مجد البيان

في تفسير القرآن

آية الله العلامة

الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي (ره)

مجد البيان

في تفسير القرآن

آية الله العلامة

الشيخ محمد حسين الاصفهاني

قسم الدراسات الإسلامية
مؤسسة البعثة

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
رابط بديل mktba.net

الكتاب : مجد البيان في تفسير القرآن

المؤلف : العلامة الجليل الشيخ محمد حسين الاصفهاني (ره)

الناشر : مؤسسة البعثة ـ قسم الدراسات الاسلامية

الطبعة الاولى : ١٤٠٨ ه‍ . ق : ١٣٦٦ ه‍ . ش

التوزيع : طهران ـ شارع سمية ـ مؤسسة البعثة . رقم الهاتف : ٨٢١١٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

* طبع لأوّل مرّة على الحجر سنة ١٣١٣ هـ بطهران في ٣١٣ صفحة مع أخطاء كثيرة. قام بطبعه وتحريره عن خط المؤلف (ره) السيد محمد تقي الموسوي الخوانساري.

* أعيد طبعته هذه سنة ١٣١٧ هـ مع ترجمة للمؤلف في المقدمة بقلم شقيقه (رحمهما).

وأما في طبعته الاخيرة

* تم أولا استنساخ التفسير المطبوع ثم قوبل مع نسخة المؤلف الخطيّة بعد استحصالها من ذويه، و جرى تصحيح كثير من الاخطاء الناشئة عن الكاتب كما أجريت تصحيحات على بعض الاخطاء النحوية. و ذُكر أيضاً بعض مواضع الاختلاف بين النسخة الخطيّة والنسخة المطبوعة الحجريّة في الهامش.

* ذُكر في الهامش مواضع الآيات ومصادر الاحاديث والأقوال المنقولة بأجمعها تقريباً.

* المؤلّف (ره) بدأ كلّ صفحات كتابه بعبارة: «ربّ يسّر بحق م، ع، ف، ح، ح (ع)» متوسّلاً بالخمسة الميامين من أصحاب

الكساء عليهم السلام. لذلك ارتأينا ذكر نفس هذه العبارة في بداية كلّ صفحة.

※ إنّ هذا الكتاب معروف بـ « تفسير الاصفهاني » غير أنّ المؤلّف لم يضع له اسماً و بناء على طلب ذوي المؤلّف (ره) سمّيناه « مجد البيان في تفسير القرآن ».

※ المراحل العلمية في المقابلة والتحقيق والتعليق جرت تحت إشراف حجة الاسلام محمّد باكتچى.

ومن الله التوفيق، والحمد لله أولاً وآخراً.

قسم الدراسات الاسلامية

في

مؤسسة البعثة

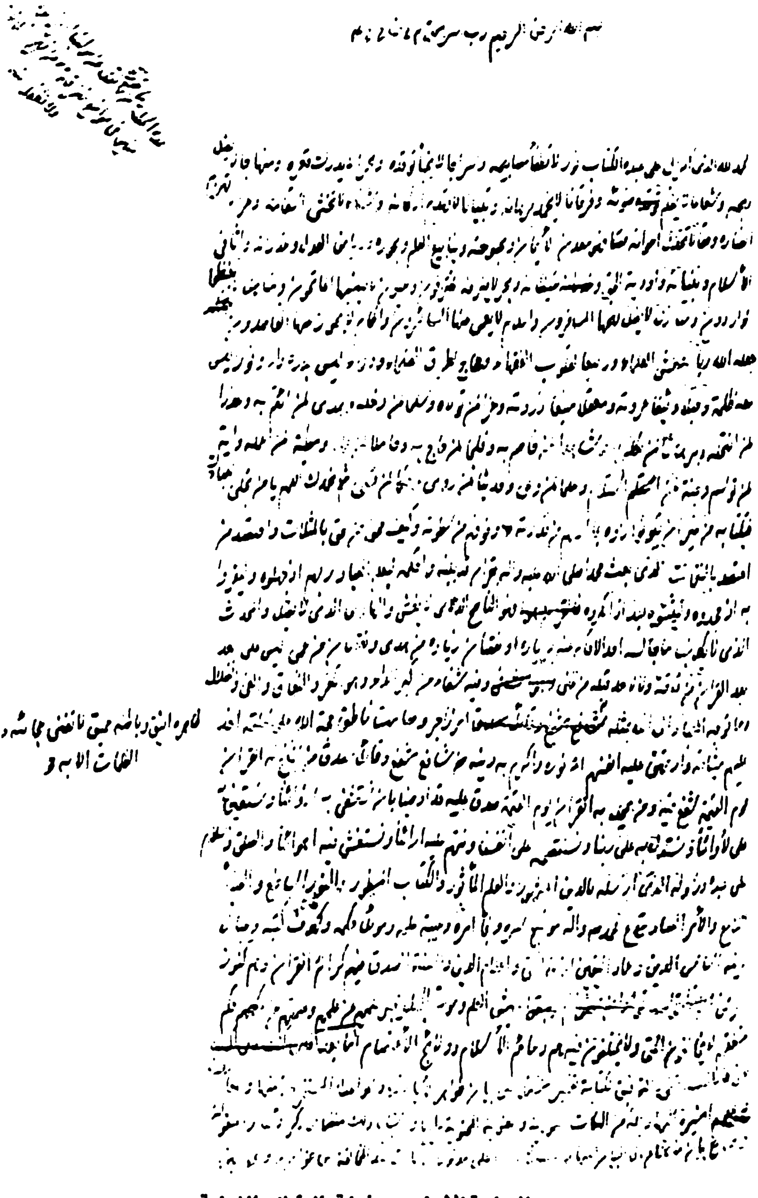

الصفحة الاولى من نسخة المؤلف الخطية

الصفحة الاخيرة من نسخة المؤلف الخطية

ترجمة المؤلف

بقلم أخيه الحجة الشيخ حاج آقا نورالله طاب ثراه

بسم الله الرحمن الرحيم

و به ثقتي

الحمد لله ربّ العالمين خالق الخلق أجمعين ، والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

أمّا بعد، فيقول العبد المذنب الخاطئ الراجي إلى رحمة الله «مهدي» الملقب بـ« نور الله » ـ عفى الله عن جرائمه و آثامه ، وأيده الله بطاعته في قصير أيّامه ـ :

قد سألني بعض الاخلّاء ممّن لا يسعني مخالفته ، و لا يمكنني مماطلته أن أذكر نبذاً من أحوال صاحب هذا الكتاب من غير إيجاز وإطناب ليكون الناظر فيه على بصيرة من الامر ، وحظّ من الدهر . فأجبته شكراً لجزيل الآلاء ، و قضاء لحقّ الاخاء ، مع ضيق المجال واختلال البال ، متوكلاً على الله الملك المتعال ، و وهو حسبي في كلّ حال . فأقول :

هو الشيخ البارع، والأيّد الجامع، والبحر المحيط، والحبر الوقيط، والعقل البسيط، والعدل الوسيط، سليل الامجاد، العلم العالم العماد، الفقيه النبيه، السامي الوجيه ، الزاهد العفيف ، والعلم الغطريف ، والعيلم العريف ، والعنصر اللّطيف ، خاتم المجتهدين ، و أعلم المتقدّمين والمتأخّرين ، و رئيس الحكماء المتألهين ، و كهف العرفاء السالكين ، المهذّب من كلّ دنس وشين ، أخي و شفيقي و ابن امّي

الشيخ محمد حسين» الاصفهاني مولداً ، والغروي مدفناً ـ أعلى الله في حظائر القدس مقامه ، وحشره مع مواليه في يوم القيامة ـ ابن الشيخ العالم الكامل حجة الاسلام والمسلمين وآية الله على الخلق أجمعين، غوث المذهب والملة والمسلمين، وغياث الدنيا والدين ، الدر الزاهر والعلم الباهر والدي العلامة « الشيخ محمد باقر » ابن الشيخ العالم الكامل معلّم البشر والعقل الحادي عشر، استاد الكل في الكل، التقي النقي « الشيخ محمد تقي » صاحب « هداية المسترشدين على معالم اصول الدين» ـ قدس الله أرواحهما الشريفة ـ .

اولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع
إذا افتخرت بآباء ذوي حسب صدقت فيه ولكن بئس ما ولدوا [١]

وبالجملة كان ـ رحمه الله تعالى ـ عالماً كاملاً ، فقيهاً محدثاً ، أصولياً حكيماً متبحراً زاهداً ، جامعاً ماهراً ، عديم النظير في زمانه في الفقه والاصول والحديث والمعاني ، و فقيد العديل في أوانه في الحكمة و الكلام و التفسير و العرفان والرياضي، لم يبصر بمثله عين الزمان في جميع ما يطلبه إنسان العين من عين الانسان من أجلاء علماء المعقول والمشروع ، و أزكياء نبلاء الاصول والفروع ، متقدماً بشعلة ذهنه الوقاد ، وفهمه المتوقد النقاد على كل حبر متبحر استاد ، و متفنن مرتاد : عظيم الهيبة ، فخيم الهيئة ، رفيع الهمة ، سريع الحمة ، جليل المنزلة و المقدار ، جزيل الموهبة والايثار، جامعاً للعلوم الدينية ، عارفاً بالمعارف اليقينية كاشفاً عن الاسرار العرفانية ، واقفاً على سرائر الافنانية، معلّماً في مضامير الغرائب من العلوم ، مسلماً في فنون الفقه والاصول والتفسير والرسوم ، عادم العديل في إرشاد الخلائق بحسن التفسير، وفاقد البديل في هداية الخلق إلى الحق والحقائق بلطف التقرير . فسبحان الذي ورثه غير الامامة والعصمة ما أراد ، و جعله حجة على قاطبة البشر في يوم الميعاد ، ونصبه علماً يأتم به في كل عصر العلماء الامجاد .

١) كان في الاصل بين البيت الاول والثاني جملة: «وإذا لم يجيني مجيب من بعيد أو قريب» وبما أنه لم نجدها فيما لدينا من المظان ولم يكن لها وزن شعري ولا معنى محصّل لم نثبتها في المتن .

و كان ـ رحمه الله تعالى ـ في ابتداء أمره وأوائل سنّه فطناً ذكيّاً تقيّاً نقيّاً ، حافظاً للصلوات ، مجتنباً عن الشهوات والشبهات، مشتغلاً بالبحث والدرس والاستفادة في عنفوان شبابه، مصروفاً همته في تحصيل العلوم والمعارف في ذهابه وإيابه، ضنيناً بعمره الشّريف من أن يصرف في ملهيات الاباطيل ، بخيلاً بأيّامه المنيفة من أن يشتغل باللّهو والتعطيل .

و قد فرغ من النحو والصرف والمعاني والبيان و سائر المقدمات قبل بلوغه إلى حد البلوغ والتكليف ، واشتغل عند ذلك بالفقه والاصول عند والدي العلامة ـ أعلى الله مقامه ـ من غير عطل ومطال وتسويف .

وكان من شدّة ذكائه وفطنته وجودة فهمه وجربزته جدليّاً عيون الطلبة و وجوه المشتغلين يهابون مباحثته مع صغر سنه، وأعيان العلماء والمحصلين يعترفون بسموّ قدره وجلالة منزلته .

ثمّ ذهب لأجل التكميل إلى النجف الاشرف ـ على ساكنه آلاف التحيّة والشرف ـ ، فظلّ هناك سنيناً عديدة مشتغلاً عند علمائه بالتحصيل ، مشمّراً عن ذيل الجدّ والاجتهاد في ذاك النادي للتكميل ، حتّى بلغ من العلم غاية قصواه وارتقى إلى سماء الفضل نهاية منتهاه. فأتقن من الاصول قوانين أصوله ومعالم فصوله وزبدة فوائده ونخبة عوائده ، و حاز من الفقه والحديث غرر درره وجواهر زهره ومنتهى نهاية تهذيبه و مسالك تخطئته و تصويبه بما حصل به تبصرة كافية لمباده وذخيرة شافية لمعاده، حتى أذعن بفضله جميع العلماء الاعيان، وصار في دوحة العلم والكمال مشاراً إليه بالبنان ، وانتشر صيت فضيلته في جميع الاقطار، واشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار .

وتلمّذ في النجف الاشرف عند جماعة من العلماء الاخيار والفقهاء الابرار .

فمنهم : الشيخ العالم الفاضل ، رئيس المجتهدين وأوحد الاصوليين و فريد المتكلمين ، حبر الامة و قدوة الائمة ، شيخ الطائفة الحقة و رئيس الفرقة المحقة ،

شيخي واستادي ومن عليه في العلوم سندي واستنادي ، العالم الأوّاه الميرزا حبيب الله الرشتي الجيلاني ـ أسكنه الله مساكن أوليائه المقرّبين في يوم الحساب ، و جزاه أفضل جزاء المجتهدين من الاصحاب ـ .

ومنهم : الشيخ الوحيد والحبر المتبحر الفريد ، العالم الوحيد والفقيه النبيه رئيس الفقهاء والمحدّثين ، عماد الملّة والدين ، شيخ الطائفة في أوانه ، واستاد الفقه والحديث في زمانه ، ابن خالنا العلامة الشيخ راضي ـ تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة جنانه ـ .

ومنهم : الشيخ الفقيه العالم العجب العجاب وأنجب الانجاب ، وحيرة أولي الالباب و حجة الله العزيز الوهّاب ، مروّج المذهب والدين ، و معلّم الفقهاء والمجتهدين ، وآية الله في الارضين ، استاد البشر ومجدد المذهب في القرن الرابع عشر ملاذ الأنام و حجة الاسلام الحسن المستحسن الحاج ميرزا حسن الشيرازي مولداً ، السامرائي مسكناً ، والغروي مدفناً ـ أفاض الله على روحه شآبيب الغفران وأسكنه مع أنبيائه في روضة الجنان ـ .

وجمع آخر من العلماء العاملين والفقهاء المتبحرين .

فلمّا فرغ من مراسم التحصيل والتكميل في الفروع والاصول ، و جمع بين المعقول والمنقول ، رجع سالماً غانماً إلى داره و مستقرّ قراره في إصفهان ـ صانها الله عن الحدثان ـ و اشتغل بالافادة و الاستفادة و اتّكأ على وسادة الاجادة ، أقبل عليه طلبة العلم من كلّ مكان ، وأحاطوا عليه لتحصيل العلوم من كلّ فجّ عميق مرخى العنان ، فتصدر من غير نكير في مجلس التدريس ، و فاق علماء عصره بالاتفاق في كل فنّ نفيس ، و أذعن كلّ ذي فضل بفضله الجزيل ، و اعترف كلّ ذي فنّ بمهارته في كل فنّ جليل ، وتصدّى للوعظ و إرشاد الخلق إلى الحق بلطف التقرير وحسن التفسير ، فصار في ذلك واحد عصره بالاتفاق بلا نظير .

ثمّ سنح له في ذلك الحال و بدا له في خلال تلك الاحوال التجافي عن دار

الغرور ، والانابة إلى دار البقاء والسرور ، فترك جميع ماكان متصدياً من الوعظ والتدريس ، وهجر جميع ماكان يحجبه عن الانس بالله وهو نعم الانيس ، فأشرق له من صبح السّعادة نور أضائت به غياهب الدجى ، و ظهر له من نور الحقيقة ضياء تقشّعت عنه سحائب العمى، واشتغل بالفكر والذكر والتلاوة، وصرف ليله ونهاره في الزهادة والعبادة ، ولايفتر عن ذكر « لا إله إلا الله » ليلا ونهاراً ، و يبكي بكاء الثكلى على نفسه سرّاً و جهاراً بحيث تأذّى من شدّة بكائه الاخوان ، و فزع من عويله النساء والصبيان ، بحيث سُئل عن جنابه ترك البكاء إما بالليل وإمّا بالنهار بعض الجيران ، وذكروا أنّ شدّة بكائه يمنعهم عن النوم في تلك الاحيان .

ولقدسافرت معه في خدمته في خلال تلك الاحوال إلى زيارة النجف الاشرف في أحسن حال، فما تكلّم معي في طول الطريق مع انحصار الرفيق بقليل ولاكثير إلا بكلمات قليلة : يشتغل في خلالها بذكر الملك القدير ، و كان كلّ من ينظر إلى حاله و غليله ، ويرى من كثرة بكائه و عويله في أثناء الطريق من الاكراد و غيرهم ، الذين لا يعتقدون بدين و لا معاد ، أراهم بتغيّر حالهم من غير اختيار ، وتفيض أعينهم من الدمع من غير بصيرة واستبصار .

و دخل يوماً من الايام في أثناء الطريق إلى الحمّام و كان فيه جماعة كثيرة من الاكراد والدهاقين والعوام ، فبمجرّد ما شاهدوا حاله ونظروا إلى جنابه ، و رأوا من خضوعه و خشوعه ، و أبصروا بكائه و دموعه ، تشوّشت أحوالهم و جرت دموعهم و خشعت أصواتهم . فسبحان الذي جعل للحقيقة أثراً في القلوب لايحيط به العقول ، وجعل للحقّ حقيقة تؤثّر في النفوس ويذهب بالغفلة والذهول .

و كان لكلامه ـ قدّس سرّه ـ أثر غريب في القلوب بحيث قلّ ما ينصح أحداً أو يوصيه بوصية إلا ويؤثّر في نفسه وهواه ، وتصرفه إلى إطاعة مولاه .

وقد قال يوماً في النجف الاشرف لبعض أصحابنا الامجاد وهو الشيخ العلم العالم العماد الفاضل المؤيّد « الشيخ علي محمد » ـ سلّمه الله و أبقاه ، و بلّغه منتهى

مناه ـ : « عليك بصلاة اللّيل ! » فأثّر هذه الكلمة في نفسه الشريفة بحيث ما ترك صلاة اللّيل على ما شاهدته مدّة مديدة ، ولو في مشاقّ الاسفار ومظانّ الاخطار .

وكان السبب في انقطاعه ـ رضوان الله عليه ـ إلى الله و ذهوله عمّا سواه على ما حدثني به الشيخ الجليل والفاضل النبيل، العالم الامين والحبر العامل الرزين غوث الملّة والحقّ والدين ، فخر العلماء العاملين و ثقة الاسلام والمسلمين ، أخي الاجلّ الاكرم الوفيّ الحاج شيخ محمّد علي ـ جعلني الله فداه ، و أدام الله ظلاله على من سواه ، وسلّمه الله وأبقاه ـ عنه ـ قدس سره ـ أنه قال :

«لمّا كنت في إصفهان مشتغلاً بامامة الجماعة خطر في قلبي بعض الوسواس الذي هو من الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، فكنت كل يوم قبل الخروج إلى الصلاة أشتغل بالفكر ساعة أو ساعتين لتحصيل الخلوص الذي هو للصلاة عين الفرض وفرض العين ، أفكر في فناء الدنيا وغرورها ، وعدم بقاء نعيمها وسرورها، وما يجري فيها من المكاره على أهلها ، وانقضاء صعبها وسهلها، وفي الآخرة وبقائها ومنجياتها ومهلكاتها دفعاً للمراء ، و حذراً من الرياء ، فأثر في قلبي أثراً انقطعت بالمرّة عمّا سوى الله ، و توجّهت بكلّ وجهي إلى الله ، فحصل لي ما حصل ببركة التفكّر في تلك الساعات، وظهر لي حقيقة قوله ﷺ : «تفكر ساعة خير من عبادة سنة » ، وأنّه أصل لكل العبادات ، ورأس لجميع السعادات » .

وحدّثني عنه أيضاً أنّه قال : « ما أذكر من نفسي أنّي عصيت الله في عمري طرفة عين ، ولا أبرّء نفسي من التجريّ في البين» . و هو الصادق الجدير بما أظهر المصّدق الامين فيما ذكر من غير ريب وشين ، والله العالم .

و حدّثني الشيخ الامين والثقه الرزين ، الفاضل المحدّث المسدّد ، العالم العامل الحبر المؤيّد ، فخر الفقهاء وزبدة العلماء الهادي المهديّ شيخنا « الحاج ميرزا محمّد مهديّ » ـ أيّده الله وأبقاه ، وبلّغه منتهى مناه ـ ، وكان صهراً على أخته وصديقه وابن خالته، وكان منه بمكان من صافي الاخاء خالصاً في المحبّة والصداقة

والوفاء، قال: «سألت عن جنابه ـ قدس الله أرواحه الشريفة ـ يوماً من الايّام عمّا رأى برأي العيان و حقيقة الوجدان من المقامات والكرامات في أيّام اشتغاله بالمجاهدة والرياضات، فذكر لي ـ رضي الله عنه ـ بعد إنكار شديد وإصرار أكيد أمرين:

أولهما، أنّه كان في ليال عديدة يظهر لي نور مشرق أراه برأي العين يستضاء منه الظلام، و أبصر به كلّ ما احتجب عن عيون الانام، و أطالع به في الكتاب في ليل داج من غير حاجة إلى الضوء والسراج.

وثانيهما، أنه ربّما يشتد علي ولع الجوع في بعض أوان الاشتغال بالرياضة والمجاهدة، فيأتيني من الغيب أنواع الاطعمة و صنوف الاشربة، فكنت أشربها و آكلها و أتناول منها على قدر الكفاية بما يرفع الجوع عنّي مدّة مديدة، بل أيّاماً عديدة.»

ولعمري صدق فيما قال، وهذا قليل بالنسبة إلى مقامات ذاك الحبر الزاهد المفضال، والله العالم بحقيقة الحال.

وكان ـ رحمه الله تعالى ـ في أواخر عمره وأوان انقضاء دهره براً رؤفاً، ضحاكاً عطوفاً، صاحباً رفيقاً، و أخاً شفيقاً؛ يستأنس بحضرته كلّ أنيس، ولا يشبع من محادثته ومجالسته الصاحب و الجليس.

و كنت في حضرته بعض الاسفار في طريق زيارة الأئمّة الاطهار، فكنت أرى منه من حسن الصحبة وصفاء المحبة، بحيث كان يخدمني ويخدم من معي من الاصحاب بأنواع الخدمات و يتحمّل صنوف المشاقّ من حمل الاثقال و تكفّل الزحمات، بل كان يشارك الخدّام فيما يلزمهم من الامور في كمال الوجد والسرور.

وكان ـ رضي الله عنه ـ كثير المعونة، قليل المؤنة، يعجبه من اللّباس ما خشن ومن الطعام ما جشب، ويؤثر بغذائه و عشائه إلى الفقراء والايتام، و يقنع بقليل شيء يسدّ به الجوع في اللّيالي والايّام، يصرف ما زاد عن مؤنته إلى الفقراء، و

كان حازماً صابراً وقوراً في السرّاء والضرّاء .

وكان ـ رضي الله عنه ـ معتدل القامة ضئيلا هزيلاً ، قليل اللّحم ، عليل المزاج غالباً ، حلو العينين غائرهما ، أقنى الانف ، مقوّس الحاجبين ، أسمر اللّون، مليح الشمائل، خفيف اللّحية، قد أثّر فيها أثر المشيب ، خفيف لحم العارضين، في وجهه أثر الجدري ليس بالقليل ، أبلج الاسنان .

وقد تلمذت عنده ـ رحمه الله تعالى ـ في النجف الاشرف أوان ابتداء تشرفي هناك للتحصيل بمقدار من كتاب « الفصول » لعمّي العلامة في الاصول ، وقليل من علم الهيئة ، ونبذة من علم المعقول .

وقد أفرغ في داره مدة إقامته في إصفهان قبة صغيرة مظلمة لنفسه، لايخرج منها ليلا ولانهاراً ، ويشتغل بالفكر والذكر والعبادة هناك سرّاً وجهاراً .

وكان ولادته في ثاني يوم من محرم الحرام من سنة ١٢٦٦ ، ووفاته ـ قدس الله روحه ـ في أوّل يوم من محرّم سنة ١٣٠٨ في أوائل الظهر ، فكان مدى عمره الشريف اثنين وأربعين سنة غير يوم واحد .

وحدّثني من أثق بقوله من خدامه الحاضر عند جنابه حين وفاته أنه سمعه يقرأ هذا الشعر في آخر آن من أوان حياته :

آنكه دائم هوس سوختن ما مى كرد كاش مى آمد و از دور تماشا مى كرد

ولايخفى على العقلاء مناسبة كلامه في ذلك الحال لمقامه ، والله أعلم بحقيقة الاحوال .

وحدّثني من أثق بقوله وجلالته ، عن بعض الأجلّاء الكرام والثقات العظام قال : « رأيت في ما يرى النائم و أنا في سامرّاء كأنّي قد وصلت إلى خدمة سيّد الانبياء ـ صلوات الله و سلامه عليه ـ فقلت له ﷺ بعد كلمات : يا سيّدي ، الشيخ مرتضى الانصاري ناج ؟ فقال ﷺ : نعم ، هو ناج بشفاعتنا ، فقلت له : يا سيّدي ، الشيخ محمّد باقر الاصفهاني ـ يعني : والدي العلامة ـ ناج ؟ فقال ﷺ :

نعم، ناج بمحبّتنا، فقلت له: الشيخ محمّد حسين الاصفهاني ناج؟ فقال عليه السلام: إنّه قد ورد على الله فأعطاه كل ما أراد. انتهى. والله العالم بالمبدء والمعاد.

وحدّثني بعض الموثّقين في نقله وروايته، عن الرجل الصالح بوّاب الروضة الشريفة الغرويّة ـ على ساكنها آلاف السلام والتحيّة ـ أنّه قال: «كان المرحوم الشيخ محمّد حسين أوان تشرّفه هناك غالباً آخر خارج من الروضة الشريفة في اللّيالي وأوّل داخل عند فتح الباب في السحر. فخرج ليلاً و خرجت و سددت الابواب، فلمّا رجعت سحراً لفتح الباب سمعت حسّاً وصوتاً و محادثة من داخل الروضة، و كأنّه رجلان يتكلّمان أو يتحادثان، فخفت أن يكون قد دخل في الروضة بعض اللّصوص لسرقة الاموال والفصوص، فأسرعت في فتح الباب، فلمّا دخلت رأيت المرحوم الشيخ محمّد حسين واقفاً قبال الضريح المطهّر والمشهد المنوّر، فعجبت من سبق حضوره إلى الحضرة قبل فتح الباب، وتحيرت من مشاهدة هذا العجب العجاب و سألته ـ رحمه الله ـ عن حقيقه الحال، و عن الرجل الذي يحادثه و يتكلّم معه في تلك الأحوال، فأشار إليّ ـ رحمه الله تعالى ـ بالسكوت، وحلّفني بترك إظهار ذلك لأحد مادام هو في الحياة، والله أعلم. انتهى.

ولمّا كان وفاته ـ رحمه الله ـ في عشر العاشور أرخ بعض الشعراء تاريخ وفاته بهذا المصرع:

«با حسين شهيد شد محشور»

وقد قلت أنا في تاريخ وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ: «ثلم الاسلام ثلمة.»

ولمّا أتاني نعي وفاته وانقضاء أيامه الجميلة رثيتها أنا بقصيدة طويلة أحببت أن أدرج بعضها في هذا الكتاب الشريف مع ما فيها من التزييف. مطلعها:

يا عين جودي بحمر الدمع مدرارا ... واذكر مساكن من تهويه والدارا
منازل عطلت من أهلها و خلت ... واستوحشت بعد ما كانوا لها جارا
بالله سل مدمع الباكي هل ارتحلوا ... أم هل بقي عنهم في الربع آثارا

ومنها :

لم أنس إذ زارني والليل معتكر أفديه من زائر جنح الدجى زارا
ثمّ استهلّ دموع العين من جزع و ظلّ دمعاً على الخدين مدرارا
كادت تأجّج نيران الغرام بـه ناراً تضرّم في الاحشاء سعّارا
و ظلّ ينثر في ورد الخد و دأساً لئالي الدمع مقلالاً و مكثارا
وصاح صبراً فانّ القوم قد ظعنوا يا بعدها منزلاً ساروا و أسفارا

ومنها في الرثاء :

لهفي على جيرة جار الزمان بهم وأضرموا في الحشا من هجرهم نارا
لهفي على قمر قد غاب عن نظري من قبل أن تكتمل للوصل مضمارا
كنا وكانوا جميعاً في هوى و تقى عوناً على الدهر ايراداً و إصدارا
حتى رمتنا صروف الدهر من عجل و فرقنا بدوح الارض أشطارا
قدكنت أرجو فدتك النفس يا أملي أن يستدان لنا الايّام أعصارا
لكن قضايا قضاء الله غالبة و ليس بعد قضاء الله إنكارا

ومنها :

قدحاز من دوحة العلياء أزهرها روضاً و أرفعها شأناً و مقدارا
ما كان بدراً و لكن يستضاء به ما كان بحراً ولكن كان زخّارا
و كان أوسعنا حلماً و أصبرنا على الحوادث ايساراً و إعسارا
و كل نبت نما من معشّب حسن يكون أقصرها عيشاً و أعمارا

ورثيته أيضاً بقصيدة طويلة اخرى أردت أن اثبت بعضها في ذلك و إن كنت غير سالك في تلك المسالك . مطلعها :

هل جاد صبّ بالهوى فأجودا أم زاد عن لوم المدى فأذودا
أم هل أفاق من الصبابة عاشق فأفيق أم هل استطاع جحودا
أم هل سمعت بعاشق ذاق الهوى فأطاع عاذله و خان عهودا

أم هل رأيت متيّماً خاف الردى ... في وصل من يهوى فرام صدودا
ما كنت اول من تصدّر للهوى ... ذاق النوى دهراً و مات شهيدا
تبدو على كلّ الامور نقيصة ... والحبّ يوماً بعد يوم يزيدا
أترى الصبا عيب الفتى بالله أم ... ذمّ الصبابة في الورى محمودا
كيف التستر والوشاة على الهوى ... و جدي وكدّي والسقام شهودا
و غزير دمع في الهوى يهريقها ... نار تأجّج في الكلى و سهودا

ومنها في الحماسة:

لله أيّام الصبا إذ كان لي ... نجم المسرّة بازغاً مسعودا
و يهزني سكر الشباب كأنّني ... غصن يميل به الصبا و بعيدا
يا دهر كفّ فانّ من عاديته ... شمس العداوة لا يخاف عنيدا
ودع التحاول لمن تذلل من غدا ... قد نال عزّاً ما عليه مزيدا
من مبلغ العلياء عنّي إنّني ... أحمي حماها قائماً و قعودا
و أنا رضيع لبانها و حليفها ... عند الهزاهز مصدراً و وروداً
والمجد ما رفعت لمجد راية ... إلا أخذت زمامها المعقودا
والعين شاخصة إلى عليائه ... شزراً إذا ما النّاس عند رقودا
فلربّ داهية رفعت قناعها ... و معاضل كشفتها و عقودا
كم طارق غرني كشفت كروبه ... و بذلت فيه طارفاً و تليدا
و مخوف صرف الزمان أجرته ... و صرفته رطب اللّسان حميدا
و بدا غصون المجد منّي مورقاً ... بيد تمدّ إلى الفخار مديدا
لو أخلد الشرف الفتى لرأيت لي ... في الدهر مادام السّماء خلودا
لكنّ من غير الزّمان و صرفه ... لم ينج مذموماً و لا محمودا
كرّ الحوادث والشهور لحادث ... لا والد يبقى و لا مولودا
و أرى المنايا والمنى أثر الفتى ... يتسابقان و ما لهنّ مدودا

ومنها في الرثاء:

يا صاحبي أرى التهاجر قاتلي ... عوداً على ودّ الاحبّة عودا
عوداً أذكراً لي بعد تذكار الهوى ... عهد الحبيب و فضله المشهودا
كنّا جميعاً في مضامير الهوى ... في ظلّ شاخصة العلى ممدودا
فأباد تأريب الزّمان و صرفه ... يا ليت كلكلة الزّمان تبودا
مهلاً رويبات الزّمان و صرفه ... أمهل رويداً و امهلين رويدا
بأبي أخاً برّاً كريماً ماجداً ... قد عاش محموداً و مات سعيدا
قد كان بحراً للفضائل والنهى ... إن كان للبحر العطا والجودا
ما جاد بعدك وابل طلاً و لا ... اخضرّ بعدك للمسرّة عودا
و لقد يعزّ على الزّمان و أهله ... إذ ما برزناك والفخار فقيدا
لهفي لايّام الوصال و قد مضت ... يا ليت أيّام الوصال تعودا
هيهات أن يلد الزّمان بمثله ... و إن استكان و أبذل المجهودا
يعزز عليّ بأن أرى غوث الورى ... ما بين أطباق الثرى ملحودا
من للأرامل واليتامى والتقى ... والنائبات إذا وردن ورودا

* * *

[خطبة الكتاب]

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع)[1]

الحمد لله الّذي أنزل على عبده الكتاب نوراً لاتطفأ مصابيحه ، وسراجاً لايخبأ توقّده ، و بحراً لا يدرك قعره ، و منهاجاً لا يضلّ نهجه ، و شعاعاً لا يظلم ضوءه ، و فرقاناً لايخمد برهانه ، و تبياناً لا تهدم أركانه ، و شفاءً لاتخشى أسقامه ، و عزّاً لاتهزم أنصاره ، وحقّاً لاتخذل أعوانه . فهومعدن الايمان وبحبوحته ، وينابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، و أثافيّ الاسلام وبنيانه ، وأودية الحقّ وغيطانه وبحر لاينزفه المنتزفون ، وعيون لاينضبها الماتحون ، ومناهل لايغيضها الواردون ومنازل لايضلّ نهجها المسافرون ، و أعلام لايعمي عنها السائرون ، وآكام لايجوز عنها القاصدون. جعله الله ريّاً لعطش العلماء ، وربيعاً لقلوب الفقهاء ، ومحاجّ لطرق الصّلحاء ، و دواءً ليس بعده داء ، و نوراً ليس معه ظلمة ، و حبلاً وثيقاً عروته ، ومعقلاً منيعاً ذروته ، و عزّاً لمن تولّاه ، وسلماً لمن دخله ، و هدىً لمن ائتمّ به ، وعذراً لمن انتحله ، وبرهاناً لمن تكلّم به ، وشاهداً لمن خاصم به ، وفلجاً لمن حاجّ به ، وحاملاً لمن حمله ، ومطيّةً لمن أعمله ، وآيةً لمن توسّم ، وجنّةً لمن استلأم ،

---

[1] هذه الفقرة الّتي كتبها المؤلّف (قده) مع البسملة في صدر كلّ صفحة من تفسيره يعني بها : ربّ يسّر بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ ، كما مرّ ذكرها ومعناها في مقدّمتنا .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعلماً لمن وعى ، وحديثاً لمن روى ، وحكماً لمن قضى .

نحمدك اللّهمّ يامن تجلّى لعباده[1] في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته ، وخوّفهم من سطوته ، وكيف محق من محق بالمثلات ، واحتصد من احتصد بالنقمات[2] ؛ الّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بقرآن قد بيّنه وأحكمه ، ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه ، وليقرّوا به إذ جحدوه ، وليثبتوه بعد إذ أنكروه . فهو الناصح الّذي لايغشّ والهادي الّذي لايضلّ ، والمحدّث الّذي لايكذب؛ ما جالسه أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان ، زيادة من هدى و نقصان من عمى ؛ ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبله من غنى ، و فيه شفاء من أكبر الداء و هو الكفر والنفاق والغيّ والضلال ، وما توجّه العباد إلى الله بمثله ؛ ظاهره أنيق وباطنه عميق، لاتفنى عجائبه ولاتكشف الظلمات إلّا به ؛آمر زاجر وصامت ناطق، حجّة الله على خلقه أخذعليهم ميثاقه ، وارتهن عليه أنفسهم ، أتمّ نوره و أكرم به دينه ؛ شافع مشفّع ، و قائل مصدّق ؛ من شفع له القرآن يوم القيامة شفّع فيه ، و من محل به القرآن يوم القيامة صدّق عليه ؛ قد اوصينا بأن نستشفي به أدوائنا ، ونستعين به على لأوائنا ، ونستدلّ به على ربّنا ، ونستنصحه على أنفسنا ، و نتّهم عليه آرائنا ، و نستغشّ فيه أهوائنا[3] .

والصّلوة والسّلام على عبده ورسوله الّذي أرسله بالدّين المشهور والعلم المأثور والكتاب المسطور و النور الساطع والضياء اللّامع والأمر الصادع محمّد صلى الله عليه وآله موضع سرّه وملجأ[4] أمره وعيبة علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه ؛ أساس

---

١) في المخطوطة : « لعبادك » .

٢) في النهج : « النقمات » .

٣) من أوّل خطبة الكتاب إلى هنا مأخوذة من كلمات أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ ، فراجع نهج البلاغة ، خ ١٩٨ و١٤٧ و١٧٦ و١٨ و١٨٣ .

٤) في المخطوطة : « لجأ » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الدّين وعماد اليقين، أزمّة الحقّ وأعلام الدّين وألسنة الصدق ؛فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرّحمن ، عيش العلم وموت الجهل ، يخبر حلمهم عن علمهم ، و صمتهم عن حكم منطقهم ، لايخالفون الحقّ و لايختلفون فيه ؛ هم دعائم الاسلام و ولائج الاعتصام .

[السبب الباعث لتأليف هذا الكتاب]

أمّا بعد ، فانّي طالما كنت أتمنّى التّوفيق لكتابة تفسير مشتمل على بيان ظواهر الآيات ، والمواعظ المستخرجة منها ، والمعارف والعلوم المشيرة إليها ، وجملة من النكات الصوريّة والمعنويّة المحتوية عليها وأشباه ذلك، منضمّاً إلى ذكر الأخبار المنقولة في طيّها مع بيان ما نحتاج إلى البيان منها، وتطبيقها على مدلول الآيات عند المخالفة بين ظواهرها ، والجمع بين ما اختلف ظواهرها ، و استخراج المعاني الكليّة منها ليكون الكتاب جامعاً بين علمي الكتاب والسنّة، الّذين امرنا بالتمسّك بهما ؛ مع أنّي لم أعثر إلى الآن على تفسير مشتمل على تلك المقاصد المهمّة مع تكثّرها ؛ وكانت العوائق تمنعني عن الاقدام منضمّة إلى علمي بقصوري عن السبق في ذلك الميدان ، وانحطاط رتبتي عن التعرّض لذلك، وخوفي عن الوقوع في تفسير شيء من كلام الله تعالى و أوليائه بالرّأي ، أو متصرّفاً فيه بهواي ؛ إلى أن اجتمع رأيي في الاقدام على ذكر مايسنح بالبال من المطالب المذكورة وما شابهها على وجه العرض على أذهان إخواني في الدّين و طلاّب العلم واليقين ، فينظروا فيها بعين الدقّة والانصاف دون الجور والاعتساف ، فما وجدوه حقيقاً بالقبول فمن فضل الله ومنّه على عبده ، وما وجدوه سقيماً فمن قصوري و تقصيري ؛ فأكون كمن يعرض السلعة على الطالبين متبرّئاً من عيوبه، مذعناً بنقصانه، فمن وجد شيئاً منها مرغوباً أخذه وإلاّ تركه أو صحّحه .

ولا أدّعي في شيء منها إصابة نظري وفكري ؛ فانّ معاني كلمات الله وأوليائه

و حقائقها وراء ما يصل إليه هذه العقول الناقصة المبتلية بأهوية النفس و وساوس الشيطان ، وليس المعصوم إلّا من عصمه الله تعالى .

فشرعت فيه آيساً من حولي وقوّتي وعلمي معتصماً بحول الله و قوّته وهدايته ملتمساً منه التوفيق في إتمام ما عزمت عليه على نهج يحبّه و يرضاه ، مستعيذاً به من وساوس الشيطان والآراء والأهواء ، مستشفعاً إليه برسوله وآله ـ صلوات الله عليهم ـ في ذلك كلّه ، سائلاً منه أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، و ذخيرة ليوم الدّين ، و أن يباركه لاخواني المؤمنين ، إنّه هو الرّؤوف الرّحيم ، الّذي يتولّى الصالحين .

ربّ عليك توكّلت و إليك أنبت و بك اعتصمت ، فهبني يا إلهي من عندك هدايةً وتوفيقاً وتسديداً وتأييداً ، ولاتكلني إلى نفسي ؛ إنّك حسبي ونعم الوكيل وأنت على كلّ شيء قدير ، ولاملجأ ولامنجا لنا منك إلّا إليك .

ولنمهّد قبل الشروع في عنوان الآيات مقدّمات .

المقدمات

[المقدّمة] الاولى

في نبذة ممّا ورد في الوصيّة بالتمسّك بالقرآن والتدبّر فيه وجملة من أوصافه منضمّة إلى استبصارات عقليّة

[في فضل القرآن وأوصافه ، والوصيّة بالتمسّك به]

قال الله سبحانه :

« أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب اقفالها ؟ »[1]

وقال تعالى :

« أفلم يدّبّروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأوّلين ؟ »[2]

وقال في وصفه :

« مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب . »[3]

وعن محمّد بن يعقوب (ره) في الكافي ، و محمّد بن مسعود العيّاشي باسناديهما عن الصّادق ، عن أبيه ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«أيّها الناس ! إنّكم في دار[4] هدنة[5] ، و أنتم على ظهر سفر و السّير بكم سريع . و قد رأيتم اللّيل و النّهار و الشّمس

---

١) محمّد ـ صلّى الله عليه وآله ـ /٢٤ .

٢) المؤمنون /٦٨ .

٣) ص /٢٩ .

٤) العيّاشي : « زمان » .

٥) خ . ل : « حضر » .

❀❀❀ بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ❀❀❀

و القمر يبليان كلّ جديد ، و يقرّبان كلّ بعيد ، و يأتيان بكلّ موعود . فأعدّوا الجهاز لبعد المجاز [1] .

قال : فقام المقداد بن الأسود فقال : يارسول الله ﷺ وما دار الهدنة ؟ فقال : دار بلاغ [2] وانقطاع ، فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم ، فعليكم بالقرآن ، فانّه شافع مشفّع وماحل [3] مصدّق ، و من جعله أمامه قاده إلى الجنّة ، و من جعله خلفه ساقه إلى النّار ؛ و هو الدّليل يدلّ على خير سبيل ، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل ، و هو الفصل ليس بالهزل ، و له ظهر و بطن ، فظاهره حكم [4] و باطنه علم ، ظاهره أنيق و باطنه عميق ؛ له تخوم و على تخومه تخوم [5] ، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه ، فيه مصابيح الهدى ومنار [6] الحكمة . ودليل على المعرفة لمن عرف الصّفة . » [7]

---

١) العيّاشي : « المفاز » .

٢) العيّاشي: « بلاء » .

٣) في المخطوطة : « مماحل » .

٤) العيّاشي : «حكمة» .

٥) في المخطوطة : «تخومة» ، وفي بعض نسخ الكافي في الموارد الثلاثة : « نجوم » بدل «تخوم » .

٦) العيّاشي : « المنازل » .

٧) العيّاشي : « و دليل على المعروف لمن عرفه » ، والحديث في الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن، ص ٥٩٨، ح ٢ ؛ والعيّاشي : ج ١ ، ص ٢ ، ح ١ ؛ ونوادر الراوندي مع ١٠ زاد في الكافي وسيأتي كما في البحار ، ج ٩٢ ، باب فضل القرآن، ص ١٧ ، ح ١٧ ؛ وهكذا في الصّافي والبرهان .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و زاد في الكافي :

«فليجل جال بصره ، وليبلغ الصفة نظره ، ينج من عطب ويخلص[١] من نشب ، فانّ التفكّر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور ، فعليكم بحسن التخلّص وقلّة التربّص .»

اقول :

في الصّحاح : « هدن يهدن هدوناً : سكن ، و هدّنه أي : سكّنه ـ إلى أن قال: ـ والاسم منها الهدنة ، و منه قولهم : هدنة على دخن أي : سكون على غلّ . »

وقوله عليه‌السلام : « مشفّع » معناه ظاهراً : مقبول الشّفاعة .

وفيه أيضاً : « يقال : محل به إذا سعى به إلى السلطان وهو ماحل و محول. و في الدّعاء : فلا تجعله ماحلاً مصدّقاً . » انتهى . ولعلّه من هنا قيل في معناه : « يمحل بصاحبه إذا لم يتبع ما فيه ؛ أعني : يسعى به إلى الله تعالى »[٢] ، و ما قيل في تفسيره من أنّه : « الخصم المجادل »[٣].

وأصل المحل : الجدب ، وهو انقطاع المطر ويبس الأرض ، فيمكن إرادته هنا على معنى أنّ القرآن مجدب لمن لم يكن من أهله لايمطر عليهم بمياه العلوم و المعارف والحكم .

وفيه أيضاً : « الأنق : الفرح والسّرور ، وقد أنق بالكسر يأنق أنقاً ، وشيء أنيق أي : حسن . » و « التخوم » على ما قيل جمع تخم بمعني : منتهى الشّيء .

وقوله : « لمن عرف الصّفة » قيل: «أي صفة التعرّف و كيفيّة الاستنباط .»[٤] و يحتمل إرادة صفة القرآن من دقائق إشارته ونكاته .

---

١) خ . ل : « ينخلّص » .

٢) راجع الصافي ، ج ١ ، المقدّمة الاولى ، ص ٩ .

٣) نفس المصدر .

٤) نفس المصدر .

و « العطب » : الهلاك ، ونشب الشيء نشوباً أي : علق فيه . فلعلّ المراد من النشب العلاقة ، وإليه يرجع تفسيره بالوقوع فيما لا مخلص منه .

إعلم أنّ الدّنيا دار يسكنها الانسان مدّة منقطعة إذا بلغ إليها انقطع عنها وانقطعت عنه ، وهي تبلغ الإنسان إلى الآخرة ، والعاقل يحصّل منها ما يبلغه إلى نعيم الأبد ، والانسان فيها على ظهر سفر مبدءه الولادة وآخره الموت ، فانّه أجزاء البدن من التّراب و غيره قد تحرّكت عن أماكنها و اجتمعت و ترقّت إلى أن صارت نطفة ، ثمّ سارت النطفة سيراً معنويّاً بطريق التكميل إلى أن صارت بدناً للانسان ، ثمّ تسير سيراً إلى العلوّ والكمال صاعدةً إلى أواسط الشباب ، ثمّ تسير سيراً مستوياً إلى أوان الانحطاط ، ثمّ تسير هابطاً إلى أوان الموت . فهذا أحد أمثلة صراط الآخرة المذكور فيه انقسامه إلى الأقسام الثلاثة . وإن شئت فلاحظ مجموع حركات الانسان من مكان الولادة إلى مكان الموت وسكناته ؛ فانّك تجده كشخص سافر من المكان الأوّل إلى الثّاني بتؤودة وبطيء ؛ كالمريض المريد لمكان بعيد ، فانّه يكثر سكونه ويقلّ زمان حركته ، و هذه المسافة مطابقة لمدّة العمر أعني : الزمان المقدّر لحياة كلّ شخص ، فالسير بهم سريع ؛ لانّه لا يتصوّر شيء أسرع سيراً من الزّمان ، سواءٌ جعلناه منتزعاً عن حركة فلك الافلاك ، أوجعلناه موجوداً ثابتاً في الواقع على نحو التقضّي والتصرّم ، واللّيل والنّهار يأتيان بكلّ حادث مقدّر في كلّ منهما ؛ لأنّ الامور مرهونة باوقاتها ، فاذا جاء وقتها أتى بها ، سواءٌ كان بلاء جديد واندراس عامر ، أوأمراً بعيداً بحسب أجزاء الزمان ، فكلّ ما وعد يأتيان بها بمجيء وقته ، والشّمس والقمر بتأثيرهما المتضادّين في الأشياء يبليان كلّ جديد ، ويؤثران في الكون والفساد ؛ فكلّ منهما كان موعوداً أوقريباً آتياً به . والمراد بالتأثير ليس هوالتأثير الاستقلالي ، بل على الوجه الّذي نذكره في محلّه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

كما أنّ بعض النسب المتقدّمة لايخلو عن توسّع بحسب اللّغة و العرف ، فلا ينبغي للعاقل أن يعتقد الدّنيا دار قرار و منزل استيطان ، ولا لها استقراراً وثباتاً ، ولا أمراً مقصوداً بنفسه ، ولا يستبعد بلاء جسده و جميع أمتعة الدّنيا ، ولا الموت ولا البرزخ و الآخرة الموعودة ؛ لأنّها ثابتة عند أزمنتها و انقضاء الزمان المتوسّط بيننا وبينها يأتي بها ، فكان ما هو كائن عن قليل لم يكن ، وما لم يكن بعد عن قليل لم يزل .

ثمّ إنّ أسباب الفتن من الجهالات والشّبهات الباطلة والاعتقادات الفاسدة، وما شاكلها كالأخبار الكاذبة وبدع المبتدعين منضمّةً إلى كلمات المعاصي و غيرها ، و رؤية كلّ شيء بخلاف ما هو عليه ، و ملاذ الدنيا و شهواتها الباعثة لحدوث الاهوية إذا اجتمعت و تراكمت صارت مانعةً عن رؤية الحقّ و إدراكه ، و سبباً لالتباس الحقّ على الطالب للحقّ ، فيغيّر كاللّباس الّذي يغطّي الانسان من حيث إحاطته بالبصيرة ، ومنعها عن تأثيرأسباب الهداية كوقاية اللّباس عن الحرّ والبرد، و تأثّر البدن عن إشراق نور الشّمس و من حيث سواده ، و مقابلته لنور المعرفة كقطع اللّيل الشّديد الظلام ، بل لعلّك إذا لاحظتها بالبصيرة الباطنة شاهدتها كألبسة سود مماثله لقطع اللّيل فيالصورة فضلاً عن المشابهة في السواد والايحاش ، ومنع الادراك بحيث إذا أخرج يده لم يكديريها .

و المخلص عنها القرآن ، فانّه شافع إلى الله لمن تتّبعه و تمسّك به وصار من أهله ، يستدعيويسأل ويقتضي معنى من أحد سبحانه دفعاً لهم ، كما يشفع لهم حسّاً وصورة يومالقيامة مقبول الشفاعة فيالمقامين، يخلّص الله أتباعه منهاباقتضائه، ويمنع خيراته عمّن لم يتمسّك به وخالفه ، ويسعى به الله سبحانه ، و يقتضي طرده وإبعاده مصدّق عند الله تعالى في شهادته وفي حكمه على هذه الطائفة ؛ بل الاولى في جميع ما أخبر به عن الامور الآتية، بل الماضية والموجودة ؛ فمن ائتمّ به وجعله

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أمامه وسار خلفه فأمكن الكتاب من زمامه فصار قائده يحلّ حيث حلّ ثقله[١] وينزل حيث كان منزله ساقه إلى الجنّة ، ومن أعرض عنه بوجه قلبه وخالفه وسار على خلافه قاده إلى الله ، كما قال سبحانه :

«وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خسارا »[٢] .

فمثله كماء النيل لبني إسرائيل و أصحاب فرعون ، فمن استنصحه نصحه ، و من نظر فيه بأهوائه زيد في ضلالته وجهالته ، ومن لم يؤمن به صار كافراً به .

وهو الدّليل الّذي يدلّ على خير سبيل كما وصفه تعالى بقوله :

« إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي أقوم »[٣] .

يريهم الطريق ويوصل إلى المطلوب من مقام الزّلفى إلى الله سبحانه والرضوان ونعيم الآخرة الأبديّة الخالصة عن الأكدار، بل إلى نعم الآخرة والاولى ومصالحهما.

وفيه تفصيل الحقّ عن الباطل، والهدى عن الضلال، والرشد عن الغيّ، وبيان المعارف والنشآت من الاولى والاخرى ، و تحصيل العلوم والخيرات والكمالات .

فهو الفصل الّذي ليس فيه شيء من الهزل الباطل ، و له ظاهر و باطن ، فظاهره حكمة علمية وعملية ، وباطنه علوم دقيقة، ظاهره حسن معجب لفظاً ومعنى، فصاحةً وبلاغة، وباطنه علوم عميقة لا تصل إلى قعرها إلاّ الرّاسخون في العلم؛ لمعانيه مبادىء ونهايات ، ولنهاياته نهايات ، فعجائبه لا تحصى ، وغرائبه لا تبلى بفناء العمر و كثرة التدبّر والتفكّر والبحث ، بل هو جديد دائماً و غريب بديع أبداً ؛ كلّما لاحظه أدرك منه شيئاً غير ما تفطّن له من قبل .

فيه مصابيح الهدى يدرك الانسان بهاهدايته في كلّ مقام، ويطرد عن الطالب

---

١) « الثقل » بالفتح : متاع المسافر .

٢) الاسراء / ٨٢.

٣) الاسراء / ٩ .

كلمات أهويته وجهالاته، ومنار الحكمة فيظهر به وجوه الحكمة العلميّة والعمليّة وحكمة الله في إجراء العالم، ويستدلّ به عليها، ودليل على معرفة الحقّ والخلق لمن عرف كيفيّة التعرّف و إشاراته و نكات بيانه، فهو الّذي ينبغي إجالة اولي الأبصار بصيرته فيه؛ إذ لاشيء أحقّ بصرفه وإنفاقه من هذا المصرف.

و ليبلغ نظره إلى صفات الحقّ الّتي تجلّى بها في صفاته و أسمائه الحسنى الظاهرة به، و استرشاده إلى أن يبلغ إلى كنه ما وصفه لعباده في ظاهره و نكاته و إشاراته ولطائفه وحقائقه، حتّى ينجو السالك فيه من الهلاك الحقيقي معنىً في هذا اليوم وصورةً في الغد، ويتخلّص من العلائق و الانداد من الوقوع فيما لامخلص منه، و يصل إلى مقام الموحّدين المنقطعين إليه سبحانه، المستكنّين المستغنين به عمّن سواه.

وهذا السّلوك الفكريّ النظريّ موجب لحياة قلب من له بصيرة، يسلك به في نور القرآن كمشي المستنير بالنور في القرآن؛ فانّ النور الحسّي يظهر المحسوسات للماشي الحسّي، ونور القرآن يظهر المعاني والطرق المعنويّة للسالك فيها معنى. وعلى العاقل قصر الهمّ في التخليص الحسن عن التشبّث وقلّة التربّص والمقام فيها؛ فانّ الكيّس من جدّ واجتهد في تحصيل الخلاص والنجاة بعد معرفته بطريقه وترك الرّاحة. والله الموفّق للصواب.

وعنهما باسنادهما عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

« القرآن هدىً من الضلالة، و تبيان من العمى، و استقالة من العثرة، و نور من الظلمة، وضياء من الأجداث[1]، وعصمة من الهلكة، و رشد من الغواية، و بيان من الفتن، و بلاغ

١) الكافي: « الاحداث »، والعيّاشي: « الأحزان ».

من الدّنيا إلى الآخرة ؛ وفيه كمال دينكم[1] ، وما عدل أحد من[2] القرآن إلّا إلى النّار »[3] .

اعلم أنّ الهدى والضلالة كما يطلقان في الطريق الحسّي، كذلك يقعان على الطرق المعنويّة الّتي يسلكها اولوا الألباب للوصول إلى الله سبحانه ورضوانه والنعم الباقية الصوريّة والمعنويّة . والانسان في هذه الدّار سالكة بمعارفه و جهالاته ، و أخلاقه الحسنة والقبيحة ، و أعماله الحسنة والسيّئة إلى القرب إلى الله سبحانه والبعد منه ، و إلى الخروج من الحجب و زيادتها على نفسه ، و إلى نعيم حقيقيّ وجحيم كذلك ، وإلى جنّة وإلى نار ؛ و كما أنّ الماشي إلى مقصد كما يحتاج إلى دلالة يستدلّ بها إلى المقصود حذراً من الضلال كذلك السالك المعنويّ يحتاج إلى هدىً يستهدي به حتّى لايضلّ عن مقصوده ، بل هو أشدّ احتياجاً لكثرة طرق الضلالة ؛ كما يشير إليه قوله تعالى :

« وأنّ هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولاتتّبعوا السبل ، فتفرّق بكم عن سبيله »[4] .

حيث أتى السبل بصيغة الجمع، والقرآن يهدي للّتي هي أقوم كما نصّ سبحانه عليه[5] . وكذا العمى قد يطلق على صفة العين الظاهرة باعتبار انعدام البصر عنه ؛ وقد يقع على العين المثاليّة باعتبار انعدام صفة الابصار عنه، فلايرى الامور المثاليّة وقد يقع على العقل باعتبار انعدام صفة التعقّل عنه، فلايعقل الأشياء الّتي من شأنها

١) و زاد العيّاشي هنا : « فهذه صفة رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ للقرآن .»

٢) الكافي والعيّاشي : « عن » .

٣) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، ص ٦٠٠ ، ح ٨ ؛ و العيّاشي ، ج ١ ، ص ٥ ، ح ٨ ؛ وهكذا في الصافي والبحار والبرهان .

٤) الأنعام /١٥٣ .

٥) إشارة إلى آية ٩ سورة الاسراء ، وقد مرّ آنفاً .

أن يدركها. وربما يطلق العمى على نفس خفاء الشيء عند شأنية ظهوره في كلّ من المقامات الثلاثة ، خفي من المبصرات الحسيّة والمثاليّة والمدركات العقليّة عند شأنية إدراكه فقدعمى عنه ، والقرآن تبيان لما خفي من العلوم والمعارف والمدركات الباطنيّة ، وتبيان به يرتفع الغشاوة والعشاوة عن البصيرة الباطنيّة ، فيصير الانسان بصيراً بعد ما كان أعمى . و به يطلب إقالة العثرات باستجلاب حال التوبة الماحية للعثرات ومن مواعظه و بياناته و استشفائه من الأمراض الباطنيّة لترتفع ببركته والاستدلال عليه لرفع الشكوك والشبهات . و هو نور من الظلمة ، فانّ النّور حقيقته مابسببه يظهر الأشياء ، وقد قيل في تفسيره : «الظاهر بنفسه المظهر لغيره»[١]. والقرآن يظهر به العلوم والمعارف و سائر الامور المتعلّقة بالنشأتين لمن كان بصيراً غير أعمى القلب؛ « إنّ في ذلك لذكرىٰ لمن كان له قلب » .[٢] كما أنّ نور الشّمس يظهر المحسوسات للبصير كذلك القرآن يظهر المعاني و غيرها لصاحب البصيرة ، وكما يرتفع ظلمة اللّيل باشراق الشّمس كذلك ترتفع ظلمة الجهل والوهم وغيرها ممّا أشرنا إليه بنور القرآن .

و لعلّك إن كنت ممّن تعرف النّور والظلمة الموجودين في باطن العالم ومراتب القرآن الحكيم ، استغنيت به عن ما ذكرنا وغيره فيه وفي أمثاله .

و ممّا أشرنا إليه يظهر وجه كونه ضياءً من الجدث المحتمل لارادة القبر و للهيكل الحيواني ؛ إذ ضياء القرآن تدخل في باطن الانسان بأيّ اعتبار أخذوه ويبقى في البرزخ ، بل دائماً أبداً إذا اجتمع بما يعتبر في بقائه .

وهو عصمة من الهلكة الصوريّة ، كما يدلّ على نبذة منه ما ذكر في خواصّ جملة الآيات والسور ، والمعنويّة ، لأنّ الكفر والجهل والأخلاق الرذيلة و هوى

١) راجع مجمع البحرين .

٢) ق / ٣٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

النفس وميلها إلى المعاصي والنّيات ترتفع ببركة قرائته وتبياناته ومواعظه وزواجره و دلالاته وغيرها من سائر بركاته . فيخلّص الانسان من الشقاوة الباقية ، و يوصله إلى السعادة الحقيقيّة .

فهو رشد من الغواية ، يحصل منه التّميز بين الضارّ والنافع الحقيقيّ ، كما أنّ الرّشد المالي عقل كيفيّة استثمار المال ، و ترك تضييعه والتميز بين المعاملة الضارّة والنافعة ، وجميع أعضاء الانسان وعمره وأمواله ، وجميع ما يرتبط به من نعم الدّنيا أموال يمكن الانتفاع بها لمنافع الآخرة ؛ فانّ الدنيا مزرعة الآخرة . وعقل الانسان أنحاء التصرّفات اللاّئقة وصورة ما يمضي منها رشد حقيقيّ يحصل من بركة القرآن .

فهو البيان لفتن الدّنيا و غيرها ، كما هو بيان لكلّ بدعة و ضلالة و شبهة وما ضاهاها .

والبلاغ من الدنيا للآخرة ، بل مخرج للانسان عن نشئة الدّنيا الدنيّة إلى دار السّلام ، ففيه كما في الدّين ، الّذي من عدل عنه صار إلى النّار المعنويّة والحسيّة .

و عن العيّاشي باسناده عن الحارث الأعور ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أتاني جبرئيل عليه السلام فقال :
يا محمّد! ستكون في امّتك فتنة .
قلت : فما المخرج منها ؟
فقال: كتاب الله ، فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، و هو الفصل ليس بالهزل ؛ من وليه[1] من

---

١) العيّاشي : « والله » .

جبّار فعمل بغيره قصمه[1] الله ، و من التمس الهدى في غيره أضلّه الله ؛ وهو حبل الله المتين ، وهو الذّكر الحكيم ، وهو الصّراط المستقيم لاتزيغه الأهوية ، و لا تلبسه الألسنة ، ولا يخلق على الرد ، ولا ينقض[2] عجائبه ، ولايشبع منه العلماء . هو الّذي لم يلبث[3] الجنّ إذ سمعه أن قالوا : « إنّا سمعنا قرآنا عجبا * يهدي إلى الرّشد »[4] من قال به صدق ومن عمل به أُجر ، و من اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم . هو الكتاب العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد »[5] .

وسيظهر لك بعض ما يتبيّن به كثير من هذه الفقرات ممّا لم يظهر بماسبق فيما يأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[في الوصيّة بالتّمسّك بأهل البيت عليهم السلام ، وأنّهم الكتاب النّاطق]

وروى عليّ بن إبراهيم القمّيّ في تفسيره عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال في جملة كلام :

« ألا وإنّي سائلكم عن الثقلين !

قالوا : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ! وما الثقلين[6] ؟

١) « القصم » : انكسار الظهر بشدّة .
٢) العيّاشيّ : « ينقضى » .
٣) في بعض نسخ العيّاشي : « لم تكنّه » .
٤) راجع سورة الجنّ ،آية ١ و٢ .
٥) العيّاشيّ ، ج ١ ، ص ٣ ، ح ٢ ؛ و الصافي ، ج ١ ، المقدّمة الاولى ، ص ٩ ، نقلاً عنه ؛ وهكذا في البحار والبرهان .
٦) القمّي : « الثقلان » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

قال : كتاب الله الثقل الأكبر طرف بيدالله وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به لن تضلّوا و لن تزلّوا ؛ والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي ، فانّه قد نبّأني اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض كاصبعيّ هاتين ـ وجمع بين سبّابتيه ـ و لا أقول كهاتين ـ و جمع بين سبّابته والوسطى ـ ، فتفضل هذه على هذه »[١] .

وروايات الثقلين على اختلاف ألفاظها كثيرة من الفريقين متواترة .

ولايخفى عليك أنّ الكتاب كتابان : كتاب صامت، و كتاب ناطق مشتمل على ما اشتمل عليه الصامت ، كما أنّ الصامت مبيّن لما اشتمل عليه الناطق ؛ كمناهاة مكتوب القرآن لملفوظه، فهما كالسبّابتين ، و كلّ منهما دالّ على الآخر؛ كالمرآتين المتقابلتين اللّتين يظهر في كلّ منهما الآخر بما انعكس فيها . فانّ كلّ ما اشتمل عليه القرآن من معرفةالله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله وآثاره، ومعرفة حقائق الاشياء في المبدء والبرزخ والمعارف و وجوه الحكمة فيها ، و بيان صفات المواليد الثلاثة وأحوال الانسان وشقاوته وسعادته و ما يؤدّي إلى كلّ منهما ، و بيان ما وقع وما يقع ، وأحكام الله سبحانه ، وغيرها ممّا يدلّ عليها دلالة لفظيّة ، موجودة في نفس الامام عليه السلام منقوشة بالوجود العلميّ الّذي هو أعلى مرتبة من الوجود اللّفظيّ والكتبيّ . و كلّ مايحكي عنه القرآن بجميع أنواعه حكاية لفظيّة وضعيّة يدلّ عليه علوم الامام عليه السلام دلالة علميّة مرآتيّة . فكما أنّ المطّلع على ألفاظ القرآن ينتقل منها إلى تلك المعاني كذلك المطّلع على علومه ينتقل إليها ، و كلّ أثر يوجده الأوّل من التّقريب والتّعريف والتّعليم، والبشارة والانذار، والتكميل

---

١) القمّيّ ، ج ١ ، مقدّمة الكتاب ، ص ٣ ؛ و البحار ، ج ٢٣ ، باب فضائل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، ص ١٢٩ ، ح ٦١ .

والترقّي إلى عالم القدس، والنصح والدعاء إلى الله سبحانه بأنواع المقرّبات يترتّب على الثاني أيضاً ، بل الموجود في الثاني المعاني والألفاظ قوالب لها يحكي عنها .

فانّ الامام عليه السلام هو الذي عنده علم الكتاب ، و كلّ شيء أحصى الله سبحانه في الامام المبين بالوجود العلميّ ، و في الكتاب الكريم بالوجود اللّفظي ، و فرق ظاهر بين كتاب العلم و نفس العالم المنتقش فيها العلوم . فالامام عليه السلام بهذا الاعتبار كتاب ناطق كتب الله سبحانه في لوحه معاني القرآن وألفاظه ، وتجلّى فيه بصفاته وآياته وأفعاله ؛ مع استجماعه لسائر الشؤون من تخلّقه بما يستحقّه القرآن من الأخلاق ، و عمله بما يرغب إليه من الأفعال ، و امتثاله لأحكامه في جميع المقامات . فهو كتاب إلهيّ ، وانقياد وعمل بمقتضاه وغيرها .

فهو الداعي إلى الله على نحو دعاء القرآن مع زيادة القبول والدعاء بالفعل فانّ أخلاقه وأعماله تدعو العارف بها إلى التشبّه بها خصوصاً مع المناسبة الظاهريّة في هيكل البشريّة . فهما من حيث الحكاية متشاركان في جميع المقامات و إن ازداد الثاني على الاوّل بامور اخر، و كلّ منهما يدلّ على صاحبه ويشهد بحقيقته وتبيّنه؛ إذ جميع صفات الامام عليه السلام مسطور في الكتاب، ويشهد له بذلك، وإلّا لم يكن تبياناً لكلّ شيء ، كما أنّ جميع صفات القرآن لفظاً و معنىً و غيرهما تحصى في الامام عليه السلام ، ويشهد له بالحقيقة تفصيلاً علماً ولفظاً وتخلّقاً، وهو على صورة القرآن تماماً مع إجابته وقبوله .

[بيان أنّ الكتاب هو الثقل الأكبر]

فان قلت : فعلى هذا الثقل الأكبر هو الامام عليه السلام دون الكتاب والخبر مصرّح بخلافه .

قلت : إذا لاحظنا سائر مراتب القرآن و مقاماته دون مقام اللّفظ والكتب والنقش، فمن جملة مقاماته مقام قلب النبيّ صلى الله عليه وآله والامام عليه السلام ؛ إذ هو آيات بيّنات

في صدور الّذين اوتوا العلم . ومن جملتها مقامات اخر لسنا نتعرّض لبيانها .

والامام أيضاً مشتمل على جميع تلك المقامات، فالقرآن بجميع مقاماته عندهم ولايبطل بذلك المقايسة والمفاضلة نظراً إلى اتّحادهما حينئذ؛ إذ ربّما يصحّ بملاحظة الاعتبارات والحيثيّات ، فيصحّ أن يلاحظ المقايسة بين القرآن بتمام شؤونه ، أو خصوص المرتبة اللّفظيّة والكتبيّة ، و بين الامام عليه السلام باعتبار كونه صورة قبول القرآن والاجابة والتخلّق به. والأوّل في مقام الفعل والاقتضاء، والآخر مقام الانفعال والاجابة . فالقرآن أكبر شأناً من هذه الملاحظة كما أنّه منسوب إلى الحقّ ومن صفاته، والآخر من صفات العبد وإن كان الامام عليه السلام هو الآية الكبرى التامّة؛ لكنّه لم يلحظ في المقايسة .

ويصحّ أن يلاحظ بين جميع مراتب القرآن مع المندرج فيها مرتبة عند الامام عليه السلام مقيساً إلى الامام عليه السلام بسائر شؤونه إذا قطع النظر عن كونه حاملاً لمراتب القرآن ، و يصحّ أن يلاحظ النسبة بين القرآن بجملتها ، و ما صدر عن العترة في الظاهر قولاً فقط أو مع ما ظهر من أفعالهم ، فانّه المتمسّك به لعامّة الناس لو أخذوا به، وحينئذ فالكتاب أكبر منه. ولا أستبعد أن يكون السرّ في هذا التعبير ملاحظة حال السامعين ، وعدم قابليّتهم لكشف أزيد من ذلك عندهم ، أو أنّ أهل الظاهر الّذين هم الجمهور يرون كتاب الله منتسباً مضافاً إلى الحقّ، والامام عليه السلام مستقلاً غير مضاف إليه سبحانه . فالأوّل أشرف من الثاني إذا لوحظا كذلك، فافهم ما ذكر ، وليكن ببالك فلعلّه يتّضح به جملة من الأخبار المؤوّلة لكثير من الآيات بهم عليهم السلام ؛ كما رواه عليّ بن إبراهيم القمّيّ ، عن أبي بصير بسند متّصل في تفسير قوله تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه »[1] عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

« الكتاب عليّ عليه السلام لا شكّ فيه ، « هدىً للمتقين » قال : فيه

١) البقرة / ٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

تبيان[1] لشيعتنا »[2].

والأخبار فيما عنونّا به المقدّمة كثيرة، كما نقله في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام ممّا اقتبسناه في خطبة الكتاب، فانّ جلّها أو كلّها مأخوذة منه متبرّكين به.

ولنقتصر من ذلك الكثير بهذا القليل.

فانظر الآن أيّها البصير إلى أنّ الله سبحانه على ما هو عليه من عزّ صفاته أهّلك لمخاطبته ومكالمته، ووجّه خطابه وكلامه إليك، وألّف كتاباً لك، وأرسله إليك على لسان أحبّ خلقه وأقربهم إليه، وجعله الرسول المبلّغ له، ثمّ جعل له حملة حفظه هم أقرب خلق الله إليه سبحانه بعد رسوله، فلاحظ شأن المتكلّم ومؤلف الكتاب، ثمّ شأن مبلّغه، ثمّ شأن حامله بقدر معرفتك وسعة وعائك، حتّى يظهر لك شأن الكتاب على حسب فهمك. وإلّا فلن تصل إلى أزيد من جزء واحد من أجزاء غير متناهية من شأن واحد من الثلاثة فضلاً عن الأوّل. فان كنت عبدالله فكن مستمعاً لكلامه، متوجّهاً نحو خطابه، متدبّراً في كتابه، مهتدياً بهداه، آخذاً به، متّبعاً له.

واعلم أنّ كلّ كتاب مصنّف[3] تابع في الكمال والنقصان لمصنّفه في المرتبة فكلّ من كان أكمل علماً وفضلاً كان كتابه أكمل، وكلّ موعظة لفظيّ أو كتبيّ تابعة لواعظه، فمن كان أعلم بجهات الوعظ وأقدر وأرحم بالمخاطبين، كان وعظه أعلى وأجلّ وأنفع، وكلّ من كان أعلم بسرائر المخاطبين وأشفق بهم، كان كلامه أنفع لهم.

---

١) في بعض النسخ: « البيان ».

٢) القمّي، ج ١، ص ٣٠؛ والبرهان، ج ١، ص ٥٣.

٣) المخطوطة: «كتاب كلّ مصنّف».

******** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ********

و بالجملة فالكلام تابع لصفة المتكلّم كاشف عنه ، ألا ترى أنّ من لم يكن مطّلعاً على حال عالم من حيث العلم والحال إذا نظر إلى كتابه عرف به حال المصنّف؟ فمن هذا الميزان يصحّ أن يعرف البصير كلام الله سبحانه من غيره ، فيعلم بد أنّه لايقدر أحد وصف كتاب الله صورةً و معنىً كما لا يحصي أحد وصف الله سبحانه و ثنائه فان كنت لا تعرف في كتاب الله سبحانه ما و صفناه لك فاعلم أنّ النقص فيك وفي بصيرتك ، وأنّك محتجب عنه بحجاب ؛ لأنّه ناقص في البيان والهداية ، والنقص منك لامنه ، فاجتهد في رفع حجابك، وألق السمع وأنت شهيد .

[أسماء القرآن]

و اعلم أنّ للقرآن صفات كثير [ة] وصفه بها [1] سبحانه ، يشهد بحقيقتها العارفون ، ينتزع منها أسماء كثيرة للقرآن على ما جمعه بعض العلماء [2] وإن كان في بعضها بعض الاحتمال :

منها : « **الفرقان** » ؛ قال تعالى : « **تبارك الّذي نزل الفرقان على عبده .** » [3] والظاهر إرادة معنى الفرق والفصل بين الحقّ والباطل .

و منها : « **التذكرة** » و « **الذكرى** » و « **الذكر** » ؛ قال تعالى : « **وإنّه لتذكرة للمتّقين** » [4] ، « **و ذكّر فانّ الذكرى تنفع المؤمنين** » [5] ، بضميمة : « **فذكّر بالقرآن من**

---

١) المخطوطة : « به » .

٢) كثير من العلماء والمفسّرين ذكروا أسماء القرآن وصفاته في كتبهم، وبيّنوا معانيها ونكتها ؛ منهم : فخرالدين الرازي في تفسيره . وقد يحتمل أنّ المؤلّف (قده) قد أخذ هذه الأسماء عنه باعتبار ترتيب بيانها وتفسير بعضها على ما ذكره ، فراجع تفسير الكبير ، ج ١ ، ص ٢٣٨ – ٢٤١ .

٣) الفرقان /١ .

٤) الحاقّة /٤٨ .

٥) الذاريات /٥٥ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

يخاف وعيد »[١] ، « وإنّه لذكر لك ولقومك »[٢] . و فسّر بأنّه ذكر من الله سبحانه ، ذكّربه سبحانه عباده أو شرّف وفخر .

ومنها : « التنزيل » ؛ قال تعالى : « وإنّه لتنزيل ربّ العالمين . »[٣] دلّ على أنّه نزل من مقام شاهق إلى هذه الدار .

و منها : « الحديث » ؛ قال الله سبحانه : « الله نزّل أحسن الحديث . »[٤] قيل : «شبّهه بما يتحدّث به ، فانّ الله تعالى خاطب به المكلّفين . » والاولى تبديل الاسم بأحسن الحديث .

ومنها : « الموعظة » ؛ قال تعالى : « قد جاءتكم موعظة من ربّكم و شفاءٌ لما في الصّدور . »[٥]

و منها : « الحكم » و « الحكمة » و « الحكيم » و « المحكم » ؛ قال تعالى : « وكذلك أنزلناه حكماً عربيا »[٦] ، « حكمة بالغة »[٧] ، « والقرآن الحكيم »[٨] ، « كتاب أحكمت آياته »[٩] .

ومنها : « الشفاء » و « الرحمة » ؛ قال تعالى : « و ننزّل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للمؤمنين »[١٠] .

---

١) ق /٤٥ .

٢) الزخرف /٤٤ .

٣) الشعراء /١٩٢ .

٤) الزمر / ٢٣ .

٥) يونس /٥٧ .

٦) الرعد /٣٧ .

٧) القمر /٥ .

٨) يس /٢ .

٩) هود /١ .

١٠) الاسراء /٨٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و منها : « الهدى » و « الهادي » : « هدىً للمتّقين »[1] ، « إنّ هذا القرآن يهدي للّتي هي اقوم »[2] .

و منها : « الصراط المستقيم » : قال تعالى : « و أنّ هذا صراطي مستقيما »[3] .

و منها : « حبل الله » : قال سبحانه : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً »[4] .

و منها : « الروح » : « و كذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا »[5] . و لعلّه باعتبار أنّه سبب لحياة الأرواح ، كما أنّ بالروح حياة الأبدان .

و منها : « القصص » : « إنّ هذا لهو القصص الحقّ »[6] . ولك تبديله بالقاص : « إنّ هذا القرآن يقصّ على بني إسرائيل . »[7]

و منها : « البيان » و « التبيان » و « المبين » : «هذا بيان للناس »[8] ، « تبيانا لكلّ شيء »[9] ، « تلك آيات الكتاب المبين . »[10]

و منها : « البصائر » : « هذا بصائر من ربّكم . »[11]

و منها : [الفصل][12] : « إنّه لقول فصل . »[13]

و منها : « النجوم » : « فلا أقسم بمواقع النجوم . »[14] و لعلّه لأنّه نزل نجماً نجماً .

و منها : « المثاني » : « مثاني تقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم . »[15] ولعلّه

---

١) البقرة /٢ .
٢) الاسراء /٩ .
٣) الأنعام /١٥٣ .
٤) آل‌عمران /١٠٣ .
٥) الشورى /٥٢ .
٦) آل‌عمران /٦٢ .
٧) النمل /٧٦ .
٨) آل‌عمران /١٣٨ .
٩) النحل /٨٩ .
١٠) يوسف /١ ؛ والشعراء /٢ ؛ والقصص /٢ .
١١) الأعراف /٢٠٣ .
١٢) أضفناها قياساً، وهي موجودة في تفسير الكبير .
١٣) الطارق /١٣ .
١٤) الواقعة /٧٥.
١٥) الزمر /٢٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

لأنّه يثنّى فيه القصص والأخبار .

ومنها : « النعمة » : « و أمّا بنعمة ربّك فحدّث . »[١] على ما روي عن ابن عبّاس من تفسيره بالقرآن .

و منها : « البرهان » : « قد جاءكم برهان من ربّكم . »[٢]

ومنها : « البشير » و « النذير » : « قرآنا عربياً لقوم يعلمون[٣] بشيراً ونذيراً . »[٤]

و منها : « القيّم » : « قيّماً لينذر بأساً شديداً . »[٥]

و منها : « المهيمن » : « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ، ومهيمناً عليه . »[٦]

و منها : « النور » : « و اتّبعوا النور الّذي انزل معه . »[٧]

و منها : « الحقّ » : « وإنّه لحقّ اليقين . »[٨]

و منها : « العزيز » : « و إنّه لكتاب عزيز . »[٩]

و منها : « الكريم » : « إنّه لقرآن كريم . »[١٠]

و منها : « العظيم » : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم . »[١١]

و منها : « المبارك » : « كتاب أنزلناه إليك مبارك . »[١٢]

فانظر بعين التأمّل إلى صفات القرآن، واعرف صدق ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه : « ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لأحد قبله من غنى »[١٣] ، فانّك محتاج إلى فرقان يفرق بين الحقّ والباطل في ظلمة هذه الدار الّتي لابدّ

١) الضحى /١١ .
٢) النساء /١٧٤ .
٣) في المخطوطة : « يعقلون » .
٤) فصّلت /٣ ـ ٤ .
٥) الكهف /٢ .
٦) المائدة /٤٨ .
٧) الأعراف /١٥٧ .
٨) الحاقّة /٥١ .
٩) فصّلت /٤١ .
١٠) الواقعة /٧٧ .
١١) الحجر / ٨٧ .
١٢) ص /٢٩ .
١٣) نهج البلاغة ، خ ١٧٦ ، ص ٢٥٢ ، وقد مرّ في خطبة الكتاب .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

من تحصيل الزاد أشدّ من جميع ما تحتاج إليه و هو الفرقان ، و إلى مذكّر لك يذكّرك ربّك و منسيّ نعمته و ما نسيته من عهدك الأوّل ، و يرفع غشاوة الغفلة والنسيان عليك ، و هو الذكر و التذكرة ، و إلى ما في العالم الاعلى لترتبط به ، وتتخلّص من هذه الدار ، وقد نزل إليك التنزيل ، و إلى حديث تستمع له و هو أحسن الحديث ، و إلى موعظة تتّعظ بها و هو الموعظة ، و إلى حكم وحكمة بالغة موصوف بالحكمة محكم الآيات وهو الحكم العربيّ و الحكمة البالغة و القرآن الحكيم المحكم الايات ، و إلى شفاء تستشفي به من أمراضك الروحانيّة من الجهل و الكفر و الأخلاق الرذيلة و العادات السيّئة ، الّتي تؤدّيك إلى موت روحانيّ أبديّ ، وأمراضك الجسمانيّة ، وهو الشفاء لما في الصدور ، وشفاء بقول مطلق ، و الى رحمة ترحمه بها ؛ لأنّك محتاج بجميع الشؤون والجهات ، وهو رحمة للمؤمنين بقول مطلق ، و إلى هداية تستهدي بها في ظلمة هذه الدار لمصالحك ، وهو الهدى والهادي إلى صراط مستقيم تصل باتّباعه إلى المقصد الأصليّ ، وهو الصراط المستقيم، الّذي من تبعه نجى ، و إلى حبل يربطك إلى عالم القدس لينجذب به روحك إليه، ويبقى معلّقة به ، كما ورد في شأن الخواصّ : أنّهم «صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ الاعلى »[١] ، ويعتصم به من رياح الأهواء وأمواج الفتن ، وهو حبل الله المتين ، و إلى روح تحيي به حياةً باقيةً حقيقة ، فانّك ميّت معنىً وإن كنت حيّاً صورةً ، و «الناس موتى وأهل العلم أحياء »[٢] ، وهو روح نزل من عالم الامر الاعلى، و إلى قاصّ يقصّ عليك القصص ، و هو المشتمل على أحسن القصص ، و إلى بيان

---

١) الكلام لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، فراجع نهج البلاغة، ح ١٤٧ ، ص٤٩٧؛ ونحف العقول ، ص ١١٤ ، وفيهما : « المحلّ » مكان « الملأ » .

٢) اشارة إلى قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في الديوان المنسوب ذيل قوله ـ عليه السلام ـ : « الناس من جهة التمثال أكفاء . . . » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و تبيان يتبيّن به ما خفي عليك ممّا لا يحصيه إلاّ الله سبحانه ، و يبيّنه لك ، و هو البيان للناس ، و التبيان لكلّ شيء ، و المبين بكلمة مطلقة ، و إلى بصائر تستبصر بها فيما خفي على بصيرتك وهي البصائر ، و إلى قول فصل يفصّل لك ما التبس عليك بين الحقّ والباطل من كلّ شيء ، وهو القول الفصل ، و إلى نجوم معنويّة تستضيىء بها في ديجور هذا الليل الّذي أنت فيه ، وآياته نجم نجوم كذلك ، و إلى تكرير الكلام ليتقرّر ويتثبّت في نفسك وهو المثاني ، وإلى ما يرعد فرائصك ويقرع سمعك بكلام عظيم ليوحشك عن هذه النشأة و يخرجك عنها ، و ما يؤنسك إلى ذكر الله ، ويلين قلبك القاسية ، و هو الّذي يقشعرّ منه جلود الّذين يخشون ربّهم ، ثمّ تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله ، و إلى نعمة روحانيّة يتنعّم بها روحك ، وهو النعمة من ربّك ، و إلى برهان تبرهن به في المعارف والعلوم لدفع شبهات شياطين الجنّ و الانس ، و تظفر به على من خالف الحقّ ، و هو البرهان النازل من الربّ ، و إلى مبشّر يبشّرك بالثواب على الخيرات ، و منذر يخوّفك عن الموبقات ، فانّك كالطفل في عمل الآخرة ، تحتاج دائماً إلى ترغيب و ترهيب لتجتهد في كسبها ، وتتّقي من ضررها ، و هوالبشير و النذير ، و إلى كتاب قيّم لاعوج فيه ، حتّى يقام ويعدل به سائر المطالب ، الّتي ترد عليك من داخل وخارج، وهو القيّم ؛ حتّى ورد في جملة من الأخبار عرض الروايات على الكتاب و طرح ما يخالفه و الأخذ بما يوافقه[١] ، و إلى مهيمن على الكتب السابقة ، إمّا بشهادة على صحّتها حتّى تؤمن بما انزل من قبله ، أويؤمنك على عدم بطلان فيه ، وإمّا باحاطته على ما فيها حتّى تكتفي به عنها ولا تحتاج إليها بعده ، و هو المهيمن للكتاب الّذي بين يديه ، و إلى نور تستنير به في الكلام على ما سبق وهو النور ، و إلى عزيز يمنع نادرالوجود لم يوجد مثله ، أويمنع الشكوك والأباطيل ويدفعها،

١) سيأتي في المقدّمة الثانية .

أو يمنع المنقطع إليه المتخلّق من كلّ آفة وسوء ، أو ذوعزّة و رفعة شأن حتّى يسرى منه العزّة إلى حامله ، وهو الكتاب العزيز ، و إلى كريم يكرم عليك ما تحتاج إليه ، يدرّ الأرزاق الصوريّة و المعنويّة ، و يعطيك المواهب الجسمانيّة والروحات ، وهوالكتاب الكريم ، و إلى عظيم يجبر به هونك و ذلّتك في الدين والدنيا والآخرة ، وهو الكتاب العظيم ، و إلى بركات كثيرة ، ظاهريّة وباطنيّة ، سماويّه وأرضيّة ، يفتح عليك ؛ كما في قوله تعالى : « لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض »[1] ، وهو الكتاب المبارك .

ولعلّك تفهم ممّا ذكرناه بعض وجوه تجلّي الحقّ سبحانه في كتابه الوارد في الأحاديث إن كنت عالماً بمعنى التجلّي ، فانّه سبحانه ظهر في كلامه باسم « الفاضل » و « الفاصل » و « المذكّر » و « المنزل » و « الحكيم » و « الشافي » و « الرحيم » و « الهادي » و « المحيي » و « المبين » و « المنعم » و « القيّوم » و « المهيمن » و « النور » و « العزيز » و « الكريم » و « العظيم » ، و سيأتي بيان هذه الاشارة في نظائره ـ إن شاء الله تعالى ـ .

فان قلت :

إنّا لانجد كثيراً ممّا ذكرت في وصف القرآن في أوّل المقدمة إلى هنا ، ولم نسمع بمن وجد ذلك ، فما وجه صحّة هذه الدعاوي ؟

قلت :

ليس معنى وجود الخاصيّة في الشيء أنّ هذا الشيء بأيّ وجه أخذ و في أيّ حال و على أيّ صفة و مقترناً بأيّ شيء و مفترقاً عن أيّ شيء له تلك الخاصيّة ، بل معناه في مثل المقام أنّ من كان بصفة كذا إذا أخذ الجزء المعيّن وصنع به كذا ، بشرط كذا وارتفاع مانع كذا ، يحصل منه كذا ، فانّ لكلّ شيء شروطاً

---

١) الأعراف / ٩٦ .

وموانع ومكملات وحدوداً وموازين وقواعد لا يطّلع عليه إلاّ من كان من أهله ، أو أخذه عنه ، ولا ينتفع به إلاّ من كان محلّه قابلاً له إذا أتى به بشروطه وموازينه بحسب الخصوصيّات المرتبطة بذلك المورد كمالاً و نقصاناً . فللشمس نور ظاهر بنفسه ، لكنّ الأعمى لا يبصره ولا يستنير به ، ومستحقّ للأجسام ، و من ابتدأ به نوبة الربيع غير مستحقّ به مربّي المنبتات والنبت الّذي بعد عهده عن الماء يهزل به ، ومنضج الثمار لكنّ الثمرة الّذي ضرّ به البرد لا تنضج به ، و ما كان محتجباً عن نور الشمس لا ينتفع به . وطريق التصديق بما ذكر إمّا بملاحظة الآيات والأخبار الواردة في المقام مع جودة التفكّر فيها ، و الاطّلاع على معانيها فيما اشتملت عليه منها بظاهرها ، إن كنت مؤمناً بظاهر الثقلين و باطنهما إجمالاً موقّناً بأنّ شيئاً منها غير مبنيّ على المجازفات الشعريّة ، و إنّه حقّ اليقين ، و إمّا تصديق أهل الخبرة فيها تقليداً لهم ، و إمّا تحصيل أهليّة الاطّلاع على تلك الاوصاف ، كلّ على حسب مقامه ليظهر لك كلّ منها بطريق الوجدان .

وسنذكر بعض شرح ذلك في المواضع المناسبة ـ إن شاء الله تعالى ـ بحسب المقدار السانح بالبال . أو لست من أهل إدراك حقائق تلك الاوصاف وحقائقها ؟ لعلّه ينبّه الطالب المستعد ليشتغل في طلبها و التأهل لظهورها فيه حتّى يجدها .

المقدّمة الثّانية

في ذكر جملة ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرأي ، وما يترالى منه بترك تفسيره بغير ماورد عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، و أنّ من عداهم لا يعلمون شيئاً منه ، وماأشبه ذلك ، و تحقيق ذلك

نبذة من الروايات التي تدلّ على أنّ علم القرآن كلّه عند أهل البيت عليهم السلام]

قال الله سبحانه بعد ذكر أنّ من آيات الكتاب محكمات :

« هنّ أم الكتاب و أُخر متشابهات فامّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله و ما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا . »[1]

و قوله تعالى : « و الراسخون » يحتمل كونه معطوفاً على اسم الجلالة ، يكونون ممّن استثناهم عن عدم علم تأويله ، وهو الظاهر من جملة من الاخبار[2] .
يحتمل كونه مبتدأ خبره « يقولون » .

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه :

---

١) آل عمران / ٧ .

٢)كما ذهب اليه جمهور علماء الشيعة ، وعقد محمد بن الحسن الصفار (ره) في بصائرالدرجات بابين أورد فيهما روايات تدل عليه ، فراجع الجزء الرابع ، باب ٧ و ١٠ . والروايات في ذلك خارج عن حدّ الاحصاء و من أرادها فليراجع التفاسير و كتب الحديث .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« من فسّر القرآن برأيه فأصاب الحق ، فقد أخطأ . »[١]

و لعلّ المراد أنّه إن أصاب الواقع اتّفاقاً فقد أخطأ في الطريق ، أو أنّه أخطأ طريق السداد أو النجاة من المهالك ، أومار وأخطأ خطيئة .

وعن الكافي ، عن الصّادق ، عن أبيه عليهما السلام قال :

« ماضرب [رجل][٢] القرآن بعضه ببعض إلا كفر . »[٣]

و روي العامّة عن ابن عباس ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« من قال في القرآن بغير علم ، فليتبوّء مقعده من النار. »[٤]

و روي عنه وعن الائمّة القائمين مقامه عليهم السلام :

« أنّ تفسير القرآن لايجوز إلا بالأثر الصحيح و النصّ الصريح . »[٥]

وعن الشيخ الطوسي [ره] باسناده عن عبيدة السلماني ، قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول :

---

١) سنن الترمذي ، ج٤ ، باب ١ من ابواب تفسير القرآن . ص٢٦٨ . رقم ٤٠٢٤ ؛ وسنن ابي داود ، ج ٣ ،كتاب العلم ، ص ٣٢٠ ، رقم ٣٦٥٢ : و هكذا نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ . المقدمة الخامسة ، ص ٢١ : و المجلسي (رض) في البحار ، ج ٩٢ ، باب تفسير القرآن بالرأي ، ص ١١١ ، ح ٢٠ ، عن « منية المريد » .

٢) سقط في المخطوطة .

٣) الكافي ، ج ٢ . باب النوادر من كتاب فضل القرآن . ص ٦٣٢ . ح ١٧ ؛ و العياشي ، ج ١ ، ص ١٨ ، ح٢ ؛ وهكذا في المحاسن وثواب الاعمال ومعاني الاخبار .

٤) اخرجه الترمذي في سننه . ج ٤ ، باب ١ من ابواب تفسير القرآن ، ص ٢٦٨ ، رقم ٤٠٢٢ : ونقله الفيض(ره)في الصافي ج ١ . المقدمة الخامسة . ص ٢١ ؛ والمجلسي (ره) في البحار . ج ٩٢ ، باب تفسيرالقرآن بالرأي ، ص١١١ . ح ٢٠ ، عن منية المريد .

٥) راجع التبيان . ج ١ ، المقدمة . ص ٤ : و مجمع البيان ، ج ١ ، المقدمة . الفنّ الثالث . ص ١٣ : والصافي ، ج ١ ، المقدمة الخامسة . ص ٢١ .

*****بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع)*****

« يا أيّها الناس ، اتّقوا الله ، ولا تفتوا الناس بما لاتعلمون، فانّ رسول الله ﷺ قد قال قولاً آل منه إلى غيره ، و قد قال قولاً من وضعه غير موضعه كذب عليه .

فقام « عبيدة » و « علقمة » و « الاسود » وأُناس معهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ،فما نصنع بما قد خبّرنا به في المصحف ؟

فقال : يسئل عن ذلك علماء آل محمد ﷺ . »[1]

و عن التفسير المنسوب إلى الامام العسكري ،عن آبائه ، عن النبيّ ﷺ في حديث أنّه قال :

« أتدرون متى يوفّر[2] على المستمع والقارئ هذه المثوبات العظيمة ؟ إذا لم يغل في القرآن برأيه ، ولم يجف عنه ، ولم يستأكل به ، ولم يراء به .

وقال: عليكم بالقرآن !فانّه الشفاء النافع ، والدواء المبارك، عصمة لمن تمسّك به ، ونجاة لمن اتّبعه .

ثمّ قال : أتدرون من المتمسّك به ، الّذي يتمسّكه ينال هذا الشرف العظيم ؟ هو الّذي يأخذ القرآن و تأويله عنّا أهل البيت ، وعن وسائطنا السفراء عنّا إلى شيعتنا ، لا عن آراء

---

۱) التهذيب ، ج ٤ ، باب من الزيادات في القضايا والاحكام ، ص ۲۹٥ ، ح۸۲۳ ؛ والوسائل ، ج ۱۸ ، باب ٤ من أبواب صفات القاضي ، ص ۱۳ ، ح ۱۹ ؛ وايضاً رواه الصفار (ره) في البصائر ، الجزء الرابع ، باب ۷ ، ص ۱۹٦ ، ح ۹ ، بهذا الاسناد ؛ و هكذا في البحار ، ج ۲ ، باب النهي عن القول بغير علم ، ص ۱۱۳ ، ح ۱ ، عن كتاب «عاصم بن حميد » باختلاف يسير في الالفاظ .

۲) في بعض النسخ : « يتوفر» .

المجادلين . و أمّا من قال في القرآن برأيه ، فان اتّفق له مصادفة صواب فقد جهل في أخذه عن غير أهله ، و إن أخطأ القائل في القرآن برأيه ، فقد تبوّء مقعده من النار . »[1]

و عن الكافي ، عن الصّادق عليه السلام في رسالته الطويلة إلى أصحابه ، المرويّة بعدّة طرق :

« إنّ الله أتمّ لكم ما آتاكم من الخير . و اعلموا أنّه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوىً ولا رأي ولا مقائيس . قد أنزل الله القرآن . و جعل فيه تبيان كلّ شيء ، وجعل للقرآن و تعلّم القرآن أهلاً لا يسع أهل علم القرآن ، الّذين آتاهم الله علمه ، أن يأخذوا في دينهم[2] بهوىً ولا رأي ولا مقائيس وهم أهل الذكر ، الّذين أمر الله الامّة بسؤالهم . »[3]

و عن الصدوق [ره] في عدّة من كتبه باسناده عن الرضا عليه السلام ، عن أبيه ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله جلّ جلاله : ما آمن بي من فسّر برأيه كلامي ، وما عرفني من شبّهني بخلقي ،

---

١) تفسير العسكري عليه السلام . المقدمة ، ص ٤ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، باب فضل حامل القرآن ص ١٨٢ ، ح ١٨ .

٢) في بعض النسخ : « فيه » بدل « في دينهم » .

٣) الكافي ، ج ٨ ، ص ٥ ، ح ١ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٦ من ابواب صفات القاضي ، ص ٢٢ ، ح ٢ .

وما على ديني من استعمل القياس في ديني . » [١]

وعنه عن الصادق عليه السلام أنّه قال لـ « أبي حنيفة » [٢] :

« أنت فقيه أهل العراق ؟ قال : نعم . قال : فبم تفتيهم ؟ قال : بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله . قال : يا أبا [٣] حنيفة ، تعرف كتاب الله حقّ معرفته ؟ و تعرف الناسخ من المنسوخ ؟ قال : نعم .

قال : يا أبا حنيفة . لقد ادّعيت علماً ، ويلك ! ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب ، الّذين أنزل عليهم ؛ و يلك ! ولا هو إلا عند الخاصّ من ذريّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله ، وما ورثك الله من كتابه حرفاً . » [٤]

---

١) رواه في التوحيد ، باب التوحيد ونفي التشبيه ، ص ٦٨ ، ح ٢٣ ؛ والعيون ، ج ١ ، باب ماجاء عن الرضا ـ عليه السلام ـ في التوحيد ، ص ٩٥ ، ح ٤ ؛ والامالي ، وهكذا في البحار ، ج ٢ باب البدع والرأي والمقائيس ، ص ٢٩٧ ، نقلا عنهم .

٢) وهو : نعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه مولى « تيم الله بن ثعلبة » الكوفي ؛ احد الائمة الاربعة السنية ، صاحب الرأي والقياس والفتاوى المعروفة في الفقه ، ومن الذين ردوا كثيراً من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وضيعوها كما قيل . وروي عن الامام مالك قال : « كانت فتنة أبي حنيفة أضرّ على هذه الامة من فتنة ابليس . » وروي : « انه كان رأس المرجئة . » (الكنى والالقاب) .

اقول : هو أشهر من أن نطيل الكلام فيه . و من أراد أن يطالع على ترجمته أكثر من هذا فليراجع كتب الرجال .

٣) في المخطوطة : « ابي » .

٤) رواه الصدوق (ره) في العلل ، ج ١ ، باب ٨١ ، ص ٨٩ ، ح ٥ ، و المجلسي (رض) في البحار ، ج ٢ ، باب البدع والراي والمقائيس ، ص ٢٩٢ ، ح ١٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و عن العيّاشي ، عن عمّار بن موسى ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل عن الحكومة ، فقال :

« من حكم برأيه بين اثنين فقد كفر ، و من فسّر برأيه آية من كتاب الله فقد كفر . » [1]

و عن الكليني [رض] باسناده إلى منصور بن حازم فيما حكاه للصادق عليه السلام من مكالمته للناس :

« قلت لهم : فحين مضى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان الحجّة لله على خلقه ؟ فالوا : القرآن ، فنظرت في القرآن فاذاً هو يخاصم المرجيء [2] والعدوي [3] والزنديق [4] الّذي لا يؤمن به حتّى يغلب الرجال بخصومته ، فعرفت أن القرآن لا يكون حجّة إلا بقيّم [5] ، فما قال فيه من شيء كان حقّاً ـ إلى أن قال : ـ فأشهد أنّ عليّاً عليه السلام كان قيّم القرآن ، و كانت طاعته مفترضة ، وكان الحجّة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ،

١) العياشي ، ج ١ ، ص ١٨ ، ح٦، والبرهان . ج١، باب النهي عن تفسير القرآن ص ١٩ ، ح ١٣ ، وهكذا في البحار والوسائل .

٢و٣و٤) في الكافي : «القدري» مكان «العدوي » وهو الظاهر ، وقد تطلق هذه الاسماء على اصحاب فرق « المرجئة » و « القدرية » و « الزنادقة » .

٥) قال المولى صالح المازندراني (ره) في شرحه على الكافي ، ج ٥ . ص ١٠٥ : « قوله : « الا بقيم » ، في الفائق : قيم القوم من يقوم بسياسة امورهم . والمراد به هنا من يقوم بأمر القرآن ويعرف ظاهره و باطنه . و مجمله ومؤوّله . و محكمه و متشابهه ، وناسخه ومنسوخه بوحي الهي ، أو بالهام رباني ، او بتعليم نبوي . »

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وأنّ ما قال في القرآن فهو حقّ .

فقال ـ يعني الصّادق عليه السلام ـ : رحمك الله . »[١]

و عن الكافي باسناده إلى زيد الشحّام ، قال : دخل « قتادة بن دعامة »[٢] على أبي جعفر عليه السلام ، فقال :

« ياقتادة ، أنت فقيه أهل البصرة ؟ فقال : هكذا يزعمون . فقال أبو جعفر عليه السلام : بلغني أنّك تفسّر القرآن ؟ فقال له قتادة : نعم .

فقال له أبو جعفر عليه السلام : فان كنت تفسّره بعلم فأنت أنت[٣] وأنا أسئلك ـ إلى أن قال أبو جعفر عليه السلام : ـ ويحك يا قتادة إن كنت إنمّا فسّرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت . وإن كنت قد فسّرته[٤] من الرجال . فقد هلكت و أهلكت ـ إلى أن قال : ـ و يحك يا قتادة ! إنّما يعرف القرآن من خوطب به . »[٥]

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له ، قال :

---

١) الكافي ، ج ١ ، باب الاضطرار إلى الحجة ، ص ١٦٨ ، ح ٢ ؛ و الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، ص ١٢٩ ، ح ١ ، نقلاعنه .

٢) هومن مشاهير محدثي العامة ومفسريهم ، روى عن « انس بن مالك » و« ابي الطفيل » و « سعيد بن المسيب » و« الحسن البصري » . وقال الخزرجي في تذهيب الكمال » : « قتادة بن دعامة السدوسي ، أبو الخطاب البصري الاكمه ، أحد الائمة الاعلام ، حافظ ، مدلس . »

٣) أي : أنت المفسر الذي يجوز له التفسير والرجوع اليه ، والحاصل : أنت كامل في العلم . كماقال المولى صالح المازندراني (ره) في شرحه على الكافي ، ج ١٢ ، ص ٤١٥ .

٤) في بعض نسخ الكافي : « أخذته » .

٥) الكافي ، ج ٨ ، ص ٣١١ ، ح ٤٨٥ ؛ والصافي ، ج ١ . المقدمة الثانية ص ١٢ .

« إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلا من ذاق طعمه ، فعلم بالعلم جهله ، وبصر به عماه ، وسمع به صممه ، و أدرك به ما قد فات[١] ، وحيي به بعد إذ[٢] مات ، فاطلبوا ذلك من عند أهله و خاصّته ، فانّهم خاصّة نور يستضاء به ، و أئمّة يقتدى بهم ؛ هم عيش العلم و موت الجهل ، و هم الّذين يخبركم حلمهم[٣] عن علمهم ، وصمتهم عن منطقهم ، وظاهرهم عن باطنهم ؛ لا يخالفون الحقّ ، ولا يختلفون فيه . »[٤]

و عن الصدوق [رض] ، عن ابن عبّاس ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة له يذكر فيها بعض فضائل عليّ عليه السلام ومراتبه :

« إنّ الله أنزل القرآن[٥] وهو الّذي من خالفه ضلّ ، و من يبتغي علمه عند غير عليّ هلك . »[٦]

و عن الصّادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام :

---

١) في بعض نسخ الكافي : « علم مافات » .

٢) في المخطوطة : « اذا » .

٣) في بعض نسخ الكافي : « حكمهم » .

٤) رواه الكليني (قده) في الكافي ، ج ٨ ، ص ٣٨٦ ، ح ٥٨٦ ؛ والحر العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٣٧ ، ح ٢٦ ، وهكذا روى السيد الرضي (رض) من قوله ـ عليه السلام ـ : « هم عيش العلم ـ الخ » ، الذى تقدم في خطبة الكتاب ، في نهج البلاغة ، خ ١٤٧ ، ص ٢٠٦ ، و خ ٢٣٩ ، ص ٣٥٧ ، فراجع .

٥) في الامالي والوسائل : « عليّ القرآن » .

٦) الامالي ، المجلس الخامس عشر ، ص ٦٤ ، ح ١١ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٣٧ ، ح ٢٩ .

*****بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع)*****

« إنّ أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن عليّ عليهما السلام يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فلا تخوضوا في القرآن، و لا تجادلوا فيه ، ولا تتكلّموا فيه بغير علم ، فانّي سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم ، فليتبوّء مقعده من النار . » [1]

و عن عبدالرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« لعن الله المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبيّاً ، و من جادل في آيات الله كفر [2] ؛ قال الله : « وما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا . » [3] و من فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب ، و من أفتى النّاس بغير علم لعنته ملائكة السموات والارض ـ الحديث . » [4]

و عن البرقي [ره] في المحاسن عن المعلّى بن خنيس قال : قال أبو عبدالله عليه السلام في رسالة له :

« فأمّا ما سألت عن القرآن ، فذلك أيضاً من خطراتك المتفاوتة المختلفة ؛ لأنّ القرآن ليس على ما ذكرت ، و كلّ

---

١) التوحيد، باب تفسير قل هوالله أحد ، ص ٩٠ ، ح ٥ ، والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٠ ، ح ٣٥ .

٢) في الاكمال : « فقد كفر » .

٣) الغافر / ٤ .

٤) اكمال الدين ، باب ٢٤ ص ٢٥٦ ، ح ١ ، والبرهان ، ج ١ باب في النهي عن تفسير القرآن بالرأي ، ص ١٧ ، ح ١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ما سمعت فمعناه على غير[١] ما ذهبت إليه، و إنّما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وهم الذين يؤمنون به ويعرفونه.

و أمّا غيرهم، فما أشدّ إشكاله عليهم و أبعد[٢] من مذاهب قلوبهم؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ: «إنّه ليس شيء أبعد من قلوب الرجال من تفسير القرآن.» وفي ذلك تحيّر الخلائق أجمعون إلا من شاء الله. و إنّما أراد الله بتعميته في ذلك أن ينتهوا إلى بابه وصراطه، و أن يعبدوه و ينتهوا في قوله إلى طاعة القوّام بكتابه و الناطقين عن أمره، و أن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم. ثمّ قال: **«ولو ردّوه إلى الرّسول و إلى أولي الأمر منهم لعلمه الّذين يستنبطونه منهم.»**[٣]

فأمّا عن غيرهم، فليس يعلم ذلك أبداً ولا يوجد، و قد علمت أنّه لا يستقيم أن يكون الخلق كلّهم ولاة الأمر؛ لأنّهم[٤] لا يجدون من يأتمرون عليه، و من يبلغونه أمر الله و نهيه، فجعل الله الولاة خواصّ ليقتدى بهم، فافهم ذلك - إن شاء الله تعالى -.

و إيّاك و إيّاك و تلاوة القرآن برأيك! فانّ النّاس غير

---

١) في بعض النسخ: «معناه غير».

٢) في الوسائل: «أبعده».

٣) النساء/٨٣.

٤) في بعض النسخ: «واذ».

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

مشتركين في علمه كاشتراكهم فيما سواه من الامور ، ولا قادرين على تأويله إلا من حدّه و بابه الّذي جعله الله له ، فافهم ـ إن شاء الله ـ ، و اطلب الامر من مكانه تجده ـ إن شاء الله ـ . » [1]

و عن الطبرسي في احتجاج النبيّ ﷺ يوم الغدير على مفسّر كتاب الله والداعي إليه إلى أن قال :

«معاشر النّاس! تدبّروا [القرآن] وافهموا آياته، وانظروا في محكماته ، ولا تتّبعوا متشابهه ، فوالله لن يبيّن لكم زواجره ، ولا يوضح لكم عن تفسيره [2] إلا الّذي أنا آخذ بيده . » [3]

و عن بشارة المصطفى ، عن الحسن عليه السلام في خطبته لمعاوية :

« نحن حزب الله الغالبون ـ إلى أن قال : ـ والمعوّل علينا في تفسيره لانتظنّى تأويله ، بل نتّبع حقائقه ، فأطيعونا ـ الحديث.» [4]

---

١) المحاسن،ج ١ ،كتاب مصابيح الظلم،باب ٣٦ ، ص ٢٦٨،ح ٣٥٦ ، والوسائل ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤١ ، ح ٣٨ .

٢) في الاحتجاج : « لكم تفسيره » .

٣) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٧٥ ، والوسائل ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٢ ، ح ٤٣ .

٤) بشارة المصطفى ، ص١٠٦ ، عن هشام بن حسان،عنه ـ عليه السلام ـ ، والوسائل ج ١٨ ، باب ١٣ من ابواب صفات القاضي ، ص ١٤٤ ، ح ٤٥ ، وروى الطبرسي (ره) في الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٢٢ ، عن موسى بن عقبة ، عن الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ نحوه ، الذي سيجيء في المقدّمة السادسة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و عن تفسير فرات بن إبراهيم ، عن سعد بن طريف ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث كلامه مع « عمرو بن عبيد » ، قال :

« و أمّا قوله تعالى : « ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى » [١] ، فانّما على النّاس أن يقرؤا القرآن كما انزل ، فاذا احتاجوا إلى تفسيره فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو ـ الحديث . » [٢]

و عن العيّاشي ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« من فسّر القرآن برأيه إن أصاب لم يوجر ، و إن أخطأ خرّ [٣] أبعد من السماء » [٤]

و عن أبي الجارود ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« ما علمتم فقولوا ، و ما لم تعلموا فقولوا : الله أعلم ؛ إن الرجل ينتزع [٥] الآية ، فيخرّ فيها [٦] أبعد ما بين السماء والارض. » [٧]

وعن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« إيّاكم و الخصومة ! فانّها تحبط العمل و تمحق الدين ؛

---

١) طه / ٨١ .

٢) تفسير فرات . ص ٩١ . والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ص ١٤٩ ، ح ٦٤ . ينتهي الحديث فيما بأيدينا من المصادر المذكورة إلى كلمة « عمرو » فلا يصح أخذ لفظ « الحديث » كما استعمله المؤلف (ره) .

٣) في بعض النسخ : « فهو » .

٤) العياشي . ج ١ ، ص ١٧ . ح ٤ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب تفسير القرآن بالرأي ص ١١٠ ح ١٣ ، والوسائل ، ج ١٨ . باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٩ ، ح ٦٦ .

٥) في بعض نسخ العياشي : « ينزع » .

٦) في بعض نسخ العياشي : « بها » .

٧) العياشي . ج ١ ، ص ١٧ . ح ٣ .

إن أحدكم لينزع بالآية ، فيخرّ فيها[١] أبعد من السماء .»[٢]

وعنه عليه السلام قال :

« ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ؛ إنّ الآية ينزل أوّلها في شيء ، و أوسطها في شيء ، و آخرها في شيء .»[٣]

و عن عبدالرحمن بن الحجّاج قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :

« ليس شيء أبعد من عقول الرجال عن[٤] القرآن .»[٥]

وعن جابر قال : قال أبوعبدالله عليه السلام :

« يا جابر ، إنّ للقرآن بطناً ، و للبطن ظهراً ، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن[٦] ؛ إنّ الآية ينزل أوّلها في شيء ، وأوسطها في شيء ، وآخرها في شيء ، و هو كلام متصرّف[٧] على وجوه .»[٨]

و ذكر صاحب الوسائل في حاشيته أنّه :

---

١) في بعض نسخ العياشي : «يقع» .

٢) العياشي ، ج ١ ص ١٨ ، ح ١ .

٣) العياشي ، ج ١ ، ص ١٧ ، ح ١ .

٤) في بعض النسخ : « من » .

٥) العياشي ، ج ١ ، ص ١٧ ، ح ٥ .

٦) في العياشي والوسائل والبرهان : « منه » بدل « من تفسير القرآن » .

٧) في بعض نسخ العياشي : « وهو كلام متصل يتصرف » .

٨) العياشي ، ج ١ ، ص ١١ ، ح ٢ . وهذه الاحاديث الخمس نقله الحر العاملي(ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ص ١٤٩ و ١٥٠ ، ح ٦٨ و ٧١ و ٧٣ و ٦٩ و ٧٤ ؛ والسيد هاشم البحراني (رض) في البرهان ، ج ١ ، ص ١٩ ، عن العياشي .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« قد ورد أحاديث متواترة تزيد على مأتين وعشرين حديثاً ، قد جمعتها في محلّ آخر ، دالّة على عدم جواز استنباط الاحكام النظريّة من ظواهر القرآن إلا من بعد معرفة تفسيره من كلام الائمّة عليهم السلام ، والتفحّص عن أحوالها ، وأنّها محكمة أو متشابهة ، ناسخة أو منسوخة عامّة أو خاصّة إلى غير ذلك ؛ أو ورد ما يوافقها من أحاديثهم الثابتة ، وأنّه يجب العمل بالكتاب والسنّة ، وقد تقدّم ذلك في حديث «عبيدة السلماني» - إلى آخر كلامه . »[1]

[معنى التّفسير وأنواعه]

أقول : إعلم أنّ المفسّر إمّا أن يفسّر ظاهر القرآن أو إشاراته و دقائقه وبواطنه ، فالقسم الاوّل من التفسير من ترجمة المراد من الالفاظ وما استعمل فيها، وبيان ما هو المقصود من الكلام ابتداء، الّذي هو الشائع المعروف في كتب التفسير؛ فانّ القرآن عبارة عن ألفاظ و كلمات عربيّة مؤلّفة على النهج العربيّ ، فكما أنّ لكلّ كلام عربيّ معنىً إذا عرض على عرف العرب فهم منه ذلك المعنى بعد ملاحظة مساق الكلام وخصوصيّاته و سائر القرائن الحاليّة و المقاليّة المتّصلة و المنفصلة ، كذلك آيات القرآن وجمله إذا عرضت عليهم بجميع الخصوصيّات الّتي هي عليها، و ملاحظة القرائن المتّصلة والمنفصلة ، يفهمون منها معاني خاصّة بملاحظة معاني المفردات وخصوصيّات الاعراب و التأليف ومساق الكلام والقرائن المكتنفة باللّفظ وغيرها ،و كلّ كلام تامّ بأيّ لغة كانت إذا عرض على العارف بتلك اللّغة يفهم منه معنىً ، ويحكم بأنّه هو معنى ذلك الكلام .

---

١) راجع التعليقة ، ص ٢٠ من مجلد ١٨ .

*****بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع)*****

ولا شكّ أنّ ظاهر القرآن كلام عربيّ نزل بلغة العرب، وطريقة العقلاء، والمسلمين خصوصاً جارية على حمل كلّ كلام على ما هو الظاهر المتبادر منه بعد ملاحظة جميع الخصوصيّات. ولعلّ مثل هذه الترجمة لايعدّ تفسيراً فضلاً عن كونه تفسيراً بالرأي؛ فقد ذكر بعض العلماء: «انّ التفسير أصله الكشف والاظهار، وكذلك سائر تقاليبه من ذلك، سفرت المرئة: كشفت عن وجهها، والفرس لأنّه يكشف به عن وجوه الحوائج، ومنه السرف لانّه يكشف عن حاله حينئذ، والرفس لأنّه يكشف عن عضوه، وانكشاف حال المقيّد من ومقاته في رسناته[1] واضح»[2]. فلا يبعد أن يكون التفسير هو بيان كلام لايفيد بنفسه ذلك المعنى، فيكون مساوقاً لتعيين المجمل وكشف المغلق. نعم، لايبعد اندراج ما دلّ عليه القرائن الخفيّة فيه باعتبار إظهار تلك القرينة، وأمّا بعد الالتفات إليها، فان كانت معتبرة عند العقلاء كانت كسائر القرائن الظاهرة، وإلا لم يصحّ الاعتماد عليها.

وبالجملة فكلّ آية لها ظاهر معنىً لفظيّ بملاحظة جميع الخصوصيّات، فهو حجّة فيه على ما فصّل في علم الاصول، فيصحّ تفسيرها به.

ويرشد إليه مضافاً إلى ما تقدّم من الاخبار من أخبار الثقلين، المرويّة في «غاية المرام» من طريق الخاصّة باثنين وثمانين طريقاً، ومن طريق العامّة بتسعة وثلاثين طريقاً، وغيرها، وماأدرجناه في الخطبة من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام روايات كثيرة:

[روايات عرض الأخبار على القرآن]

ومنها: الروايات الواردة في عرض الاخبار عند التعارض على الكتاب العزيز

---

١) «والمقة» بالكسر: المحبة، والهاء عوض عن الواو، وقد ومقه يمقه بالكسر فيهما أي: أحبه فهو وامق (مجمع البحرين). «الرسن»: الحبل الذي يشد به الدابة.

٢) الكلام للنيشابوري، راجع تفسيره، ج١، ص١٨.

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و الاخذ بما وافقه ؛ كرواية « الميثمي » ، « و عبد الرحمن بن أبي عبدالله » ، « و الحسن بن الجهم » ، و « عمر بن حنظلة » [1] وغيرها على ماهو الظاهر .

ومنها : الروايات الواردة في عرض الاخبار على الكتاب مطلقاً وترك العمل بما لم يوافقه أو لم يشبهه و ما يقرب من ذلك ؛ كرواية «السكوني » عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ على كلّ حقّ حقيقة ، وعلى كلّ صواب نوراً ، فما و افق كتاب الله فخذوه ، و ما خالف كتاب الله فدعوه .» [2]

والمراد بالموصول يحتمل أن يكون هو الحديث، أو مطلق الكلام ، أومطلق القضيّة العقليّة، ولعلّ الاطلاق أقرب، فانظر كيف يعدّ الكتاب ميزاناً للمخاطبين مشخّصاً لهم الحقّ والباطل والصواب والخطاء .

ورواية « عبدالله بن أبي يعفور » ، قال :

« سألت أبا عبدالله عليه السلام عن اختلاف الحديث يرويه من تثق به ، ومنهم من لاتثق به ؟

قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو

---

١) راجع الوسائل ، ج ١٨، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ح ٢١ و٢٩ و٤٠ و ٤٨ و ١ ، وقد نقلها عن العيون ورسالة سعيد بن هبة الله الراوندي والاحتجاج والعياشي والكافي بالترتيب .

٢) المحاسن ، ج ١ ، باب ١٤ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٢٦ . ح ١٥٠ ؛ والكافي ، ج ١ ، باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب ، ص ٦٩ ، ح ١ ؛ والعياشي ، ج ١ ، ص ٨ ، ح ٢ ؛ والامالي كما في البحار ، ج ٢ ، باب علل اختلاف الاخبار وكيفية الجمع بينها ، ص ٢٢٧ ، ح ٤ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص٧٨ ح ١٠ ؛ وهكذا في البرهان .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

من قول رسول الله صلى الله عليه وآله ، وإلا فالّذي جائكم به أولى به . »[1]

وظاهر الجواب غير مخصوص بمورد الاختلاف .

ورواية « أيّوب بن راشد » عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« مالم يوافق من الحديث القرآن ، فهو زخرف . »[2]

ورواية « أيّوب بن الحرّ » ، قال :

« سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنّة ، وكلّ حديث لايوافق كتاب الله ، فهو زخرف . »[3]

وعن هشام بن الحكم وغيره عنه عليه السلام قال :

« خطب النبيّ صلى الله عليه وآله بمنى ، فقال : أيّها الناس ، ما جائكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جائكم يخالف كتاب الله فلم أقله . »[4]

وعن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهلكة ؛ إنّ على

---

١) المحاسن ، ج ١ ، باب ١٢ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٢٥ ، ح ١٤٥ ؛ والكافي ج ١ ، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب ، ص ٦٩ ، ح ٢ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٧٨ ، ح ١١ ؛ وهكذا في البرهان .

٢) الكافي ، ج ١ ، باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب ، ص ٦٩ ، ح ٤ ؛ والوسائل ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٧٨ ، ح ١٢ ؛ وهكذا في البرهان .

٣ و٤) رواهما البرقي (ره) في المحاسن ، ج ١ ، باب ١١ من كتاب مصابيح الظلم ص ٢٢٠ و٢٢١ ، ح ١٢٨ و١٣٠ ؛ والكليني (رض) في الكافي ، ج ١ ، باب الاخذ بالسنة وشواهد الكتاب ، ص ٦٩ ، ح ٣ و٥ ؛ والعياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٩ و٨ ، ح ٤ و١ ؛ والحر العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٧٩ ، ح ١٤ و١٥ ؛ وهكذا البحراني (قده) في البرهان .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه . » [١]

وعن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث ، قال :

« انظروا أمرنا و ما جائكم عنا ، فان وجدتموه للقرآن موافقاً فخذوا به، وإن لم تجدوه موافقاً فردوه ، وإن اشتبه الامر عليكم فقفوا عنده ، وردوه إلينا حتى نشرح لكم من ذلك ما شرح لنا . » [٢]

وعن العياشي ، عن سدير قال : قال أبوجعفر وأبوعبدالله عليهما السلام :

«لاتصدق[٣] علينا إلا ما وافق[٤] كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله .»[٥]

ولعلك تستفيد من هذه الاخبار أن القاعدة هو إرجاع الاخبار إلى الكتاب وجعل الميزان فيها هو الكتاب مطلقاً ، والاخذ بما وافقه وأشبهه ، وطرح ماخالفه أو لايشبهه ، بل وما لايوافقه وما لايخالفه إذا لم يكن مستجمعة لشرائط الحجية. والعجب من جماعة عكسوا الامر، فلم يأخذوا بالكتاب بنفسه أصلا، وجعلوا الحديث ميزاناً للكتاب . فتدبر في هذه الاخبار وما قدمناه ، و احتفظ بما حصلته منها

١) نقله الحر العاملي (ره) عن رسالة سعيد بن هبة الله الراوندي ، فراجع الوسائل، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٨٦ ، ح ٣٥ .

٢) الامالي للطوسي (رض) ، ج ١ ، الجزء التاسع ، ص ٢٣٦ ؛ و البحار ، ج ٢ باب علل اختلاف الاخبار وكيفية الجمع بينها ، ص ٢٣٥ ، ح ٢١ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٨٦ ، ح ٣٧ .

٣) في بعض النسخ : « لايصدق » .

٤) في بعض النسخ : « بما يوافق » .

٥) العياشي ، ج ١ ، ص ٩ ، ح ٦ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٨٩ ، ح ٤٧ ؛ وهكذا في البرهان .

حتّى تنتفع به في مواضع كثيرة .

[في أخذ محكمات القرآن و ترك المتشابهات وردّ علمها إلى أهلها]

ومنها : ما دلّ على الاخذ بمحكم الكتاب و ردّ متشابهه إليه : كما روي عن أبي حيون مولى الرضا [عن الرضا] عليه السلام قال:

« من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه فقد هدي إلى صراط مستقيم . ثمّ قال عليه السلام : إن في أخبارنا محكماً كمحكم القرآن ، و متشابهاً كمتشابه القرآن ، فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتّبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا . »[1]

فانظر إلى هذا الخبر كيف سوّى بين الكتاب والحديث في الاشتمال على القسمين ، و كيف حكم في كلّ منها بحكم واحد ، و هو ردّ المتشابه إلى المحكم ، فان كان الاشتمال عليهما مانعاً عن الحجيّة عمّ المقامين .

و ما عن أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى مالك الاشتر ، المرويّة في نهج البلاغة :

« واردد إلى الله و رسوله ما يضلعك من الخطوب ، و يشتبه عليك من الامور ؛ فقد قال الله سبحانه لقوم أحبّ إرشادهم: **« يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله و اطيعوا الرّسول وأولي الامر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول . »**[2] فالرادّ إلى الله الاخذ بمحكم كتابه ، والرادّ إلى الرسول

---

١) رواه الصدوق (ره) في العيون ، ج١ باب ٢٨ ، ص٢٢٦ ، ح٣٩ ؛ ونقله الحر العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ، ص ٨٢ ، ح ٢٢ .

٢) النساء / ٥٩ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الاخذ بسنّته الجامعة غير المتفرّقة . »[١]

وعن إبراهيم بن هاشم ، عن ابن سنان أوغيره ، عمّن ذكره ، قال :

« سألت أبا عبدالله عليه السلام عن القرآن والفرقان ، أهما شيء واحد ؟ فقال عليه السلام : القرآن جملة الكتاب، والفرقان المحكم الواجب العمل به . »[٢] .

وعن وهيب بن حفص ، عن أبي عبدالله عليه السلام،قال :

«سمعته يقول: إنّ القرآن فيه محكم ومتشابه، فأمّاالمحكم فنؤمن به ونعمل به وندين الله به ، وأمّا المتشابه ، فنؤمن به ولانعمل به ؛ وهو قول الله : «فامّا الّذين في قلوبهم زيغ –إلى قوله : – والرّاسخون . »[٣] .

ولعلّ المراد هو التفصيل بالنسبة إلى المخاطبين وغيرهم ، وإلا فهم يعلمون جميع القرآن من دون فرق بين المحكم والمتشابه ؛ كما ورد في رواية أُخرى :

« المحكم ما يعمل به والمتشابه الّذي يشبه بعضه بعضاً . »[٤]

---

١) في بعض النسخ : « المفرقة » . والحديث في : نهج البلاغة ، ر ٥٣ ، ص ٤٣٤؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ٩ من أبواب صفات القاضي ص٨٦ ، ح ٣٨ .

٢) الكافي ، ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن، ص ٦٣٠، ح ١١ ؛ ومعاني الاخبار، ص ١٨٩ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضل القرآن ، ص ١٥ ، ح ١٠ .

٣) الآية ؛ آل عمران /٧ ؛ والحديث في : بصائر الدرجات ، ص ٢٠٣ ، ح ٣ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٦ ، ح ٥٢ ؛ وهكذا في البرهان .

٤) العياشي ، ج ١ ، ص ١٠ ، ح ١ ، عن أبي محمد الهمداني ، عن رجل ، عن أبي عبدالله – عليه السلام – ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ح ٥ .

[جواز العمل بظاهر القرآن في الأحكام]

ومنها : ما ربما يظهر صحّة العمل بظاهر القرآن في المسائل الفقهيّة : كما ورد في من أتمّ في السفر أنّه :

« إن قرء عليه آية التقصير وفسّرت له أعاد . »[١]

و لعلّ اشتراط التفسير لكون ما يترائى من الآية ابتداءً عند الجاهل هو جواز القصر لالزومه ، أو اشتراطه بالخوف .

و كقوله عليه السلام على ما ببالي في من عثر فانقطع ظفره أنّه :

« يعرف هذا وأشباهه من كتاب الله : **ما جعل عليكم في الدين من حرج** . »[٢]

وما روي من :

« انّ الله لايخاطب الخلق بما لايعلمون . »[٣]

إلى غير ذلك .

ومن لاحظ مساق الآيات الواردة في شأن الكتاب الكريم ، و تأمّلها حقّ

---

١) رواه العياشي(ره) في تفسيره، ج١، ص ٢٧١، ح٢٥٤ ؛ والصدوق (رض)في الفقيه ج ١ ، ص ٢٧٨ ، ح ١ ؛ والشيخ (رض) في التهذيب ، ج ٣، ص ٢٢٦، ح ٨٠ عن زرارة ومحمد بن مسلم ، عن أبي جعفر ــ عليه السلام ــ ؛ ونقله الحر العاملي (رض) في الوسائل ج ٥ باب ١٧ من أبواب صلاة المسافر ص ٥٣١ ، ح ٤ .

٢) الآية : الحج/٧٨؛والحديث في الكافي،ج٣،باب الجبائر والقروح والجراحات ص ٣٣ ، ح ٤ ، عن عبدالأعلى مولى آل سام، عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ ؛ والوسائل ج ١ ، باب ٣٩ من أبواب الوضوء ، ص ٣٢٧ ، ح ٥ .

٣) راجع الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٥١ ، ح ٨١ .

التأمّل، وشاهد طريقة المسلمين، وتتبّع سائر الاخبار مضافاً إلى ما قدّمناه، ظهر له أنّ ما أحدثه بعض الاخباريّين من عدم جواز استنباط العلوم من القرآن بعيد عن إصابة الحقّ والصواب، ولعلّه كفران بهذه النعمة العظيمة، الّتي أنعم الله سبحانه على عباده حيث أنزل إليهم كتاباً جامعاً لأنواع العلوم والمعارف ليدبّروا آياته، وليتذكّر اولوا الالباب. وإنّه آيات بيّنات لا إجمال ولا ريب فيه؛ كيف و الاجمال والاغلاق وعدم وفاء اللفظ بالمراد نقص في الكلام، و مناف لبلاغة الكلام، و كلام الله سبحانه منزّه عن كلّ نقص و كامل تامّ. و تفصيل البحث موكول إلى علم الاصول.

و ليعلم أنّ القدر الّذي ذكرنا من الاخذ بظاهر القرآن، والمعنى الّذي يتبادر منه عرفاً موقوف على الاطلاع على معاني المفردات وقوانين تأليفها، وملاحظة القرائن الحاليّة والمساقيّة والمقاليّة، و جميع دقائق الكلام، والبحث عن القرائن المنفصلة من الاحاديث، وسائر الادلّة العقليّة والسمعيّة.

فأمّا حمل القرآن على معنى من دون اطّلاع على القواعد اللفظيّة، أو عدم الالتفات إلى القرائن والدقائق اللفظيّة، أو عدم البحث عن القرائن المنفصلة وملاحظة حال الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصّل و غيرهما، أو تخصيص شيء منها بمورد بملاحظة استحسان عقليّ، أو نكتة غير عرفيّة، أو محض ميل نفسه إليه، أو تعصّب لمذهبه، أو تقليد مفسّر غير معصوم ولا آخذ عنه، أو خيال سبق إلى ذهنه، أو قاعدة خارجيّة فاسدة، أو قياس فاسد إلى غير ذلك، أو حمل اللفظ المحتمل لوجهين أو وجوه على معنى بأحد الامور المشار إليها، أو تصرّف آخر غيرهما بواحد منها كما هو كثير في تفسيرات المفسّرين فهو غير صحيح، و فيها يتحقّق تفسير القرآن بالرأي وضرب بعض القرآن ببعض، والقول في القرآن بغير علم ومن دون سؤال علماء آل محمّد صلّى الله عليه وآله مع التمكّن منه، كما هو شأن «قتادة» و«أبي حنيفة» وأضرابهما، والاخذ

في الدين بالهوى والمقائيس ، والتفسير من تلقاء النفس و عن الرجال ، والخوض والمجادلة والتكلّم في القرآن بغير علم، واتباع المتشابه . وتطلب التأويل ، وانتزاع الآية الّذي يخرّ به أبعد من السماء ، والغفلة عن نزول أوّل الآية في شيء وآخرها في شيء . ومنه يظهر الجواب عن أكثر الاخبار المتقدّمة .

فان قلت : إن اقتصر في علم القرآن على القدر الّذي يفيده القواعد اللفظيّة بالشروط المتقدّمة من الفحص عن القرينة المنفصلة والدليل المعارض و غيره ، قلّ الانتفاع بالقرآن في استخراج العلوم والمعارف. وبطل أكثر ما ذكره المفسّرون وقد أُمرنا بالتدبّر فيه واستنارته واستنصاحه؛ مع أنّ القرآن فيه تبيان كلّ شيء و فيه ينابيع العلم و بحوره ، و هو بحر لا يدرك غوره إلى غير ذلك ممّا ورد في صفته .

قلت : ليس مدلول القرآن منحصراً في ذلك، بل هو قطرة من ذلك البحر الزاخر ، ولكن لكلّ مرتبة منه أهل خاصّ به. فمن كان عالماً بقواعد الالفاظ وما يتوقّف عليه إعمالها فقط.كان شأنه مقصوراً على ذلك من دون تعدّي إلى الاستمداد بشيء من الامور المشار إليها ، حتّى نكون ممّن نستدلّ به على ربّنا ، ونستنصحه على أنفسنا . ونتّهم عليه آرائنا ، ونستغشّ فيه أهوائنا، وآخذاً للمعنى من القرآن وجاعلا له حجّة علينا ، لاممّن يحمل القرآن على رأيه وهواه وتقليده ، و يجعل شيئاً ممّا قدّمناه حجّة على القرآن و دليلا حاكماً عليه . و لعلّك بالتأمّل فيما فصّلنا ترى انطباق كثير من أخبار الطرفين بعد ملاحظة مساقها وما توجّه الكلام في بيانه ، و بعد اتّفاق تلك القواعد والتجنّب عمّا أشرنا إليه يحصل له باستعمالها في القرآن والتدبّر فيه علوم كثيرة بقدر غوره فيه ، والاطلاع على دقائقه يزداد علومه ، و بضمّ بعضها إلى بعض يكثر العلوم ؛ فانّ العلوم إذا كثرت يمكن العالم من استخراج مجهولات كثيرة من ضمّ بعضها إلى بعض ، كما تبين في علم المنطق ،

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

خصوصاً بملاحظة التطبيق بين ظواهر الآيات والتفاسير المأثورة عنهم عليهم السلام . فعسى أن يتحصّل منه قواعد يستخرج منها علوماً كثيرة من سائر مراتب القرآن ؛ إذ ما ذكرناه إنّما هو في عالم لفظ القرآن ونشره ، ولعلّه المراد من التنزيل في جملة من الاخبار .

و أمّا مراتبه الكثيرة الخارجة عنه ، فجميعه إنّما هو عند المعصومين ، كما استفاضت به الاخبار، بل المتواترات به، بل لايحصي جميع مراتب حرف واحدمنها غيرهم عليهم السلام ، أومن علّموه من خواصّهم إن أمكن لغيرهم إحصائه .

وقد نقل « السيّد البحراني » [رض] في «غاية المرام » عن ابن طاووس [ره] أنّه قال: ذكر أبوعمرو الزاهد واسمه محمّد بن عبدالواحد في كتابه باسناده أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام قال :

« يابن عبّاس، إذا صلّيت عشاء الآخرة فالحقني إلى الجبّان .

قال : فصلّيت ولحقته وكانت ليلة مقمرة .

قال: فقال لي : ما تفسير الالف من الحمد ؟ فقال : فماعلمت حرفاً أجيبه ، فتكلّم في تفسيرها ساعة واحدة تامّة .

قال : فما تفسير الحاء من الحمد ؟ فقلت : لاأعلم. فتكلّم فيها ساعة تامّة .

قال : قال عليه السلام : فما تفسير الميم ؟ قال : قلت : لاأدري . قال: فتكلّم فيها ساعة تامّة .

قال : ثمّ قال : فما تفسير الدال من الحمد ؟ قال : قلت : لا أدري . قال : فتكلّم فيها إلى برق عمود الفجر .

قال: فقال لي: قم يابن عبّاس إلى منزلك وتأهّب لفرضك . قال أبوالعبّاس عبدالله بن العبّاس : فقمت وقد وعيت كلّما قال ،

ثمّ تفكّرت فاذاً علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقرارة في المثعجر . »[1]

وعنه في كتاب «سعد السعود» نقله من طريق العامّة، عن أبي حامد الغزالي:

« قال عليّ عليه السلام لمّا حكى عهد موسى أنّ شرح كتابه كان أربعين حملاً: « لو أذن الله ورسوله لي، لأشرع في شرح معاني ألف الفاتحة حتّى يبلغ مثل ذلك . » يعني : أربعين وقراً أوحملا ، و هذه الكثرة في السعة والافتتاح في العلم لايكون إلا لدنيّاً سماوياً إلهيّاً ، هذا آخر لفظ محمّد بن محمّد بن محمّد الغزالي . »[2]

ولا شكّ أنّ القدر الّذي يفيده الالفاظ باعتبار اوضاعها اللغويّة والعرفيّة نسبته إلى سائر مراتبه المجتمعة عندهم عليهم السلام كنسبة القطرة من البحر ، فلاجرم مثل « قتادة » و « أبي حنيفة » و أضرابهما لم يورثوا منه حرفاً واحداً : إذ غاية إدراكهم قشر الحرف الواحد .

ومن هنا يعلم الجواب عن جملة أُخرى من الاخبار المشار إليه، وأنّ ما دلّ من الاخبار على انحصار علم القرآن أو تمامه لهم عليهم السلام ، لاتنفى صحّة التمسّك بظاهرها ؛ إذ العالم به بالنسبة إلى أصل علم القرآن كالعامي الصرف العالم بأنّ كتاب « الشفاء » للشيخ الرئيس اسمه الشفاء ، وحجمه كذا ، و جلده كذا ، و لون جلده وأوراقه كذا ، ومداده من السواد أو الحمرة ، وسطور الصفحة كم هي ؛ فهل

---

١) قال المؤلف (ده) في الحاشية : « كالقرارة في المثعجر » أي :كالغدير في جنب البحر.كذا قيل . والحديث في غاية المرام ، المقصد الثاني ، الباب الخامس والعشرون ، ص ٥١٣ ؛ وتراه في سعد السعود ، ص ٢٨٤ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، ص ١٠٤ .

٢) المصادرالسابقة .

******بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع)******

يعدّ ذلك الشخص عالماً بذلك الكتاب ؟

ومنه يعلم أنّ ما أورده صاحب الوسائل من ذلك وأشباهه في باب عدم جواز استنباط الاحكام النظريّة من ظواهر القرآن إلا بعد معرفة تفسيرها من الائمّة عليهم السلام ليس في محلّه . و يعلم أنّ ما نقلناه سابقاً عنه في الحاشية من كثرة الاخبار فالظاهر كون كثير منها من هذا القبيل ، بل لادخل لجملة منها بالمدّعى ، و على ما قرّرنا يتحسّم أصل إشكال التعارض بين الاخبار .

هذا ، ولا يخفى عليك أنّ بين المرتبتين ، مرتبة أهل اللفظ و مرتبة الائمة عليهم السلام العالمين بجميع المراتب في الجميع ، مراتب كثيرة يرشدك إليه ما قدّمنا في الخطبة من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام و جملة من الاخبار المتقدّمة ، إذا تدبّرتها حقّ التدبّر فيشاهدالمنتزفون بحراً لاينزف، والمائحون عيوناً لاتنضب. والواردون مناهل لاتغاض ، والمسافرون منازل لايضلّ نهجها ، والسائرون أعلاماً لايعمى عنها، والقاصدون آكاماً لايجاز عنها ، والعلماء فيه ريّ عطشهم ، والفقهاء ربيع قلوبهم ، والصلحاء محاجّ طرقهم .

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام في احتجاجه على زنديق سأله عن آيات متشابهة من القرآن فأجابه ، إلى أن قال :

«ثمّ إنّ الله قسّم كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم والجاهل ، و قسماً لايعرفه إلا من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه ممّن شرح الله صدره للاسلام ، و قسماً لايعلمه [١] إلا الله و ملائكته [٢] والراسخون في العلم . و إنّما فعل ذلك لئلا يدّعي أهل الباطل المستولين على ميراث رسول

---

١) الاحتجاج : « يعرفه » .

٢) في بعض نسخ الاحتجاج : « امناؤه » .

الله ﷺ من علم الكتاب ما لم يجعله الله لهم ، و ليقودهم الاضطرار إلى الائتمام بمن ولي[1] أمرهم فأستكبروا عن طاعته ـ الحديث . »[2]

والقسم الثاني يحتمل أن يكون وراء عالم الالفاظ و دون مرتبة الراسخين عليهم السلام بقرينة ذكر شرح الصدر للاسلام، وأن يكون من العالم بمباني ظاهر القرآن وما يرتبط به ، فيكون القسم الاوّل ما يفهمه أهل لسان العرب مطلقاً .

وعنه عليه السلام :

« إلا أن يؤتي الله عبداً فهماً في القرآن . »[3]

وعنه عليه السلام :

« من فهم القرآن فسّر جمل العلم . »[4]

وعن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« كتاب الله على أربعة أشياء : العبارة ، والاشارة ، واللطائف، والحقائق ؛ فالعبارة للعوام ، والاشارة للخواصّ ، واللطائف

---

١) في بعض نسخ الاحتجاج : « الى الائتمار بمن ولاه » .

٢) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٣ ، ح ٤٤ .

٣) أخرجه البخاري : والترمذي،والنسائي ، و ابن ماجة عن أبي جحيفة ، عنه ـ عليه السلام ـ باختلاف يسير في الالفاظ ، فراجع صحيح البخاري ، ج ٩،كتاب الديات، باب ٢٤ و٣١ ، ص ١٤ و١٦ ؛ وسنن الترمذي ، ج ٢ ، باب ١٦ من أبواب الديات ، ص٤٣٢ رقم ١٤٣٣ ؛ وسنن النسائي ، ج ٨ ،كتاب القسامة ، ص ٢٣؛ وسنن ابن ماجة، ج ٢ كتاب الديات ، باب ٢١ ، ص ٨٨٧ ، رقم ٢٦٥٨ ؛ وهكذا نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ المقدمة الرابعة ، ص ١٩؛ وأبوالحسن العاملي الاصفهاني (قده) في مرآة الانوار، ص١٧.

٤) الصافي ، ج ١ ، المقدمة الخامسة ، ص ٢٢ ؛ ومرآة الانوار ، ص ١٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

للأولياء ، والحقائق للأنبياء . »[١]

ولعلّ المراد من الاولياء خواصّ الشيعة و الكاملين منهم ، وإلا فالائمّة أعلم من سائر الانبياء على ما يستفاد من أحاديثهم عليهم السلام[٢] ، و سيظهر لك تحقيق الحال في ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ .

---

١) الصافي ، ج ١ ، المقدمة الرابعة ، ص ١٩ ؛ و مرآة الانوار ، ص ١٧ ؛ و جامع الاخبار ، ص ٤١ ، عن حسين بن علي ـ عليهما السلام ـ ؛ وأيضاً نقله المجلسي (رض) في البحار ، ج ٩٢ ، باب أن للقرآن ظهراً وبطناً ، ص ١٠٣ ، ح ٨١ ، عن « الدرة الباهرة » .

٢) راجع البحار ، ج ٢٦ ، باب أنّهم ـ عليهم السّلام ـ أعلم من الانبياء ـ عليهم السلام ـ ، وقد أورد ـ رحمه الله ـ فيه روايات تضمن هذا المعنى .

المقدّمة الثالثة

في نبذة ممّا جاء في أنّ علم القرآن كلّه إنّما هو عندهم ـ عليهم السّلام ـ و ما أشبه ذلك

فعن الكافي ، عن بريد بن معاوية ، عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزّ وجلّ :

« وما يعلم تأويله إلّا الله والرّاسخون في العلم » [1] :

« فرسول الله صلى الله عليه وآله أفضل الراسخين في العلم ؛ قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وماكان الله لينزل عليه شيئاً لا يعلّمه تأويله ، و أوصيائه من بعده يعلمونه ـ الحديث . » [2]

وعن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« نحن الراسخون في العلم ، ونحن نعلم تأويله . » [3]

وعن عبدالرحمن بن كثير ، عنه عليه السلام قال :

« الراسخون في العلم أميرالمؤمنين والائمّة عليهم السلام . » [4]

---

١) آل عمران /٧ ، وقد مرّ .

٢) الكافي ، ج ١ ، باب أن الراسخين في العلم هم الأئمة ـ عليهم السلام ـ ، ص ٢١٣ ؛ وكذا رواه الصفار (ره) في بصائر الدرجات ؛ الجزء الرابع ، باب ١٠ بطريق آخر عن بريد، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ ؛ والعياشي (ره) في تفسيره ، ج ١، ص١٦٤ مرسلا عن بريد ، عنه ـ عليه السلام ـ أيضاً .

٣) نفس المصادر .

٤) الكافي ، ج ١ ، باب أن الراسخين في العلم هم الائمة ـ عليهم السلام ـ ، ص ٢١٣ ، ح ٣ ؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٢٧٠ ، ح ٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن أبي بصير قال :

« سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية : « بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم »[1] فأومأ بيده إلى صدره .»[2]

وعن عبدالعزيز العبدي ، عن أبي‌عبدالله عليه السلام فيه أنّه قال :

« هم الائمّة عليهم السلام . »[3]

وعن أبي بصير قال :

« قرأ أبوجعفر عليه السلام هذه الآية : « بل هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم » ثمّ قال : أما والله يا بامحمّد ما قال : ما بين دفّتي المصحف .

قلت : من هم جعلت فداك ؟

قال : من عسى أن يكونوا غيرنا ؟ »[4]

وعن عبدالرحمن بن كثير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« قال الّذي عنده علم من الكتاب . . . ـ إلى أن قال : ـ وعندنا والله علم الكتاب كلّه . »[5]

وعن بريد بن معاوية قال :

---

١) العنكبوت / ٤٩ .

٢ و ٣) الكافى ، ج ١ ، باب أن الائمة ـ عليهم السلام ـ قد اوتوا العلم و أثبت فى صدورهم ؛ والبرهان ، ج ٣ ، ذيل الآية .

٤) المصادر السابقة ؛وأيضاً في البصائر ، الجزء الرابع ، باب ١١ ، ح ٣ .

٥) الآية : النّمل / ٤٠ ، والحديث في الكافي ؛ ج ١ ، باب انه لم يجمع القرآن كلّه إلّا الائمة ـ عليهم السلام ـ وانهم يعلمون علمه كله، ص ٢٢٩، ح ٥ ؛ والبصائر، الجزء الخامس ، باب ١ ، ص ٢١٢ ، ح ٢ ؛ وهكذا في البرهان .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« قلت لأبي جعفر عليه السلام : «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم و من عنده علم الكتاب »[1] قال عليه السلام : « إيّانا عنا ، و عليّ أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلى الله عليه وآله . »[2]

وعن سدير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في حديث قال :

«علم الكتاب كلّه والله عندنا، علم الكتاب كلّه والله عندنا .»[3]

وعن علي بن إبراهيم في تفسيره في الصحيح ظاهراً ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله : « والليل اذا يغشى »[4] قال :

« اللّيل في هذا الموضع هو الثاني غشي أميرالمؤمنين عليه السلام في دولته ـ إلى أن قال : ـ والقرآن ضرب فيه الامثال للناس ، وخاطب[5] نبيّه صلى الله عليه وآله به، ونحن نعلمه ، فليس يعلمه غيرنا.»[6]

وعن الكافي باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : ـ

---

١) الرعد /٤٣ .

٢) الكافي ، ج ١، باب انه لم يجمع القرآن كله إلّا الائمة ـ عليهم السلام ـ وأنهم يعلمون علمه كلّه ، ص ٢٢٩ ، ح ٦ ؛ والبصائر ، الجزء الخامس، باب ١ ، ص ٢١٦ ، ح ٢٠ ؛ وهكذا في البرهان .

٣) الكافي ، ج ١ باب نادر فيه ذكر الغيب ، ص ٢٥٧ ، ح ٣ ؛ والبصائر ، الجزء الخامس ، باب ١ ، ص ٢١٣ ، ح ٣ ، و فيه بعد قوله « عندنا » : « ثلاثاً » ؛ و أيضاً في البرهان .

٤) الليل /١ .

٥) في القمّي : « خاطب الله » .

٦) القمّي، ج ٢، ص ٤٢٥ ؛ والوسائل، ج ١٨، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ح ٨٠ ؛ وهكذا في الصافي .

****** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع [1] القرآن كلّه، ظاهره وباطنه، غير الاوصياء . » [2]

والاخبار فيما نحن فيه كثيرة يطول الكلام في ذكرها، وقد سبق جملة منها. وأنت إذا تأملت ما قدّمناه من صفات القرآن علمت أنّ حقائقه ليس شريعة لكلّ وارد، ولا يطّلع عليه إلا واحداً بعد واحد . وسيتّضح لك ذلك مع جملة من الاخبار في المقام ـ إن شاء الله تعالى ـ .

---

١) في البصائر : « انه جمع » .

٢) الكافي ، ج ١ ، باب انه لم يجمع القرآن كله إلّا الائمة ـ عليهم السلام ـ وانهم يعلمون علمه كله ، ص ٢٢٨ ، ح ٢ ؛ والبصائر ، الجزء الرابع ، باب ٦ ، ص ١٩٣ ، ح ١ وايضاً في الصافي والبرهان .

المقدّمة الرّابعة

في جملة ممّا جاء في معاني وجوه الآيات، والتّنزيل والتّأويل، و الظّهر والبطن، والحدّ و المطلع، والمحكم والمتشابه، والنّاسخ والمنسوخ، و اشتمال الآيات على البطون والتأويلات و غير ذلك، و ما يتعلّق ببيانها

[الرّوايات الواردة في الظّهر و البطن و الحدّ و المطلع و ...]

فعن العيّاشي والبرقي في المحاسن بتفاوت ما في الالفاظ باسنادهما عن جابر قال:

«سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن، فأجابني ثمّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسئلة بجواب غير هذا قبل اليوم؟! فقال لي: يا جابر، إنّ للقرآن بطناً، وللبطن بطناً[1] وظهراً وللظهر ظهراً[2]، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن؛ إنّ الآية ليكون أوّلها في شيء، وآخرها

---

١) في المخطوطة: « بطن ».

٢) في المخطوطة: « ظهر ».

******بسم الله الرحمن الرحيم وبّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع)******

في شيء، وهو كلام متّصل يتصرّف على وجوه.»[١]

وقد سبق ذيله بتغيير ما في الالفاظ[٢].

وعن العامّة أنّهم رووا عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

«إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف، لكلّ آية منها ظهر وبطن، ولكلّ حرف حدّ ومطلع.»[٣]

وفي رواية أُخرى:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً، ولبطنه بطناً إلى سبعة أبطن.»[٤]

وعنه صلى الله عليه وآله:

«إنّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً.»[٥]

وعن العيّاشي باسناده عن حمران بن أعين، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«ظهر القرآن الّذين نزل فيهم، وبطنه الّذين [عملوا][٦] بمثل

---

١) العياشي، ج ١، ص ١٢، ح ٨؛ والمحاسن، ج ٢ كتاب العلل، ص ٣٠٠، ح ٥؛ والصافي، ج ١، المقدمة الرابعة، ص ١٧.

٢) راجع المقدمة الثانية، ص ٤٢.

٣) أخرجه الطبري في تفسيره، ج ١، ص ٩، عن ابن مسعود، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي، ج ١، المقدمة الرابعة: ص ١٨؛ وهكذا أخرجه الفريابي مرسلاً عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ كما أورده الذهبي في التفسير والمفسّرون، ج ٣، ص ١٩؛ وايضاً في تفسير البغوي، المقدمة؛ وروح المعاني، ج ١، ص ٧.

٤) نقله الفيض (ره) في الصافي، ج ١، المقدمة الرابعة، ص ١٨؛ و ابوالحسن العاملي الاصفهاني (رض) في مرآة الانوار، المقدّمة الاولى ص ٥.

٥) ذكره الغزالي في الاحياء، ج ١، كتاب آداب تلاوة القرآن، باب الرابع، ص ٢٨٩؛ والفيض (ره) في الصافي، ج ١، المقدمة الرابعة، ص ١٨؛ و هكذا أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه كما قال العراقي في هامش الاحياء.

٦) سقط عن المخطوطة.

أعمالهم . »[١]

وباسناده عن الفضيل بن يسار قال :

« سألت أبا جعفر ﷺ عن هذه الرواية : « ما في القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن ، وما فيه حرف إلا وله حدّ و مطّلع » ما يعني بقوله : « لها ظهر وبطن » ؟

قال ﷺ : ظهره تنزيله ، وبطنه تأويله ، منه ما مضى، ومنه ما لم يكن بعد ، يجري كما يجري الشمس والقمر ، كلّما جاء منه شيء وقع؛ قال الله تعالى : « **و ما يعلم تأويله إلاّ الله والرّاسخون في العلم** » نحن نعلمه . »[٢]

وعن بصائر الدرجات روايته عنه بتفاوت يسير .[٣]

[المراد من الحدّ والمطلع هو التّنزيل والتّأويل]

اقول : يحتمل أن يكون « المطلع » اسم مكان على وزن المشدّد[٤] بمعنى مكان الاطّلاع من موضع عال ، و أن يكون على وزن المصعد أي : صعد يصعد إليه .

قيل: « ومحصّل معناه قريب من معنى التأويل والبطن ،كما أنّ معنى الحد قريب من معنى التنزيل والظهر . »[٥]

---

١) العياشي ، ج ١ ، ص ١١ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب أن للقرآن ظهراً وبطناً ، ص ٩٤ ؛ وايضاً في الصافي والبرهان .

٢) المصادر السابقة .

٣) البصائر ، الجزء الرابع ، باب ١٠ ، ح ٢ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب أنّ للقرآن ظهراً وبطناً ، ص ٩٧ ، ح ٦٤ .

٤) تشبيهه ـ رحمه الله ـ بالمشدد لايناسب كلمة الاطلاع ، والاولى تشبيهه بالمذكر.

٥) الكلام للفيض (ره) ، راجع الصافي ، ج ١ ، المقدّمة الرابعة ، ص ١٨ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في اندراج الجزئيّات تحت الكليّات و تطبيقها عليها]

و لعلّ المراد حينئذ أنّ لكلّ من المفردات والمركّبات بمعنى الحروف والكلمات أو بمعنى الكلمات والجمل معاني محدودة جزئيّة ، و حقائق كلّيّة ، فتحصّل من تجريد الجزئيات عن الخصوصيّات الّتي لادخل لها في نفس تلك الحقيقة وعن تعلّق الحكم بها كما سبق فيما قبله، فانّ الّذين نزل فيهم الآية لهم خصوصيّات لادخل فيها لما حكم في الآية عليهم، وإنّما مناط الحكم هو القدر المشترك الحاصل فيهم ، و فيمن كان له مثل أعمالهم ، فانّ الجزئيات كلّها تندرج تحت قاعدة كليّة هو المعوّل عليها ، فيعمّ الافراد الماضية والآتية ، فكلّما جاء موضوعه الكلّي في ضمن فرد من الافراد وقع عليه المحمول الكلّيّ،كالشمس والقمر ، فانّهما ينيران ويظهران كلّ جسم كثيف قابلهما ، فلا اختلاف فيهما ، وإنّما الاختلاف من جهة تقابل الاجسام لهما ،كذلك لكلّ خبر أو إنشاء تعلّق بموضوع جزئيّ حقيقيّ ، فانّما يتعلّق من حيث عنوان كلّيّ هو المناط الّذي لاتبديل فيه ولا تغيير ، و سائر الخصوصيّات المشخّصة لادخل لها بذلك الحكم، و« لاتبديل لكلمات الله »[1] سبحانه و« لن تجد لسنّة الله تبديلاً ولن تجد لسنّة الله تحويلاً . »[2]

ولعلّه لذا ورد في رواية المعلّى السابقة[3] أنّ : « القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، ولقوم يتلونه حقّ تلاوته، وهم الّذين يؤمنون به ويعرفونه ـ الحديث» وفي رواية محمّد بن مسلم السابقة :[4] « والقرآن ضرب فيه الامثال للناس ـ إلى آخره» فانّ المثل يطلق كثيراً على ما يفيد حال مماثله بتوسط الامر الجامع بينهما، الّذي

---

١) يونس /٦٤ .

٢) فاطر /٤٣ .

٣) راجع المقدمة الثانية ، ص ٣٩ .

٤) راجع المقدمة الثالثة ، ص ٦٠ .

هو المعيار والمناط ، وإلا فالجزئيّ لايكون بنفسه كاسباً لمجهول . كما تقرّر في علم المنطق ؛ مثلا : المؤمن الّذي ذكر في سورة « يس » شخص جزئيّ حقيقيّ قيل له : « ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون » .[١] لكنّ الّذي يرتبط بوقوع هذا الخطاب عليه من خصوصيّاته هو إيمانه و أعماله الصالحة من دعوة قومه ، أو تحمّل الاذى في جنب الله مثلاً دون شكله ولونه ونسبه واسمه ؛ فتنزيل الآية وحدهُ الرجل الّذي يسعى هو ذلكّ الشخص بعينه ، و تأويله من كان بمثل عمله . فمفاد التأويل قضيّة كلّيّة هو أنّ : كلّ من آمن وعمل كذا مثلاً يقال له : ادخل الجنّة ، ممّن مضى و ممّن يأتي كلّما جاء شخص بصفة كذا،وقع عليه كذا،على ما روي عن إسحاق بن عمّار زيادة على ما مرّ . قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام : يقول :

« إنّ للقرآن تأويلاً ،فمنه ما [قد][٢] جاء ، ومنه ما لم يجيء فاذا وقع التأويل في زمان إمام من الائمّة عليهم السلام عرفه إمام ذلك الزمان . »[٣]

وروي عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« تفسير القرآن على سبعة أوجه، منه ماكان، ومنه ما لم يكن بعد ، تعرفه الائمّة عليهم السلام . »[٤]

وفي رواية محمّد بن مسلم :

« والقرآن ضرب فيه الامثال للناس . »[٥]

---

١) يس / ٢٦ .

٢) سقط عن المخطوطة .

٣) رواه الصفّار (ره) في البصائر ، الجزء الرابع ، باب ٧ ؛ و نقله الحرّ العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٥ .

٤) نفس المصادر .

٥) قد مرّ آنفاً .

***** بسم الله الرحمن الرحيم ربّ يسّر بحقّ م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[إرادة الكليّ من إيراد الجزئي]

وقد جرت طريقة العقلاء والعلماء على بيان الامور الكليّة في ضمن الامثلة الجزئيّة؛ كقول «ابن مالك»: [١]

مبتدء زيد و عاذر خبر إن قلت زيد عاذر من اعتذر

في مقام بيان المبتداء والخبر بعنوان كلّي، و قيل في شأنه: «إنّ من عادته الحكم بالمثال.» فلاحظ أنّ زيداً ليس مبتداء لكون مادّته هو الحروف الثلاثة ولا كونه على زنة فعل، بل لمعان أُخرى أو معنى آخر هو المقصود بالبيان.

وتحقيق ذلك أنّ كلّ محمول خارج عن ذات الموضوع، ولا لازم لمهيّته، فانّما يعرضه لعلّة موجبة لعروضه، ولابدّ من أن يكون للموضوع اختصاص لذلك العلّة من حيث أنّها علّة موجب لتأثيره في إلحاق ذلك المحمول عليه. فالموضوع الواقعيّ هو الوصف العنوانيّ المنتزع من ذلك الاختصاص الناعث، و سائر الخصوصيّات الذاتيّة والعرضيّة خارجة عن موضوع الحكم في الواقع لادخل لها في عروضه، فاذا قال لابنه: «يا بنى لاتشرك بالله» [٢] فالمخاطب ذلك الشخص الخاص، لكن صورة النهي الارشادي لم يتعلّق به إلا من حيث كون الشرك ظلماً عظيماً، و كون لقمان شفيقاً عليه لايرضى بصدور الظلم منه، فكلّ موجود كان شركه ظلماً عظيماً وكان شفيقاً عليه اندرج تحت العنوان الواقعيّ و إن خرج عن الصورة.

وإذا جرّدت النهي عن الناهي ولاحظت أنّ ذلك الفعل بحيث ينبغي النهي عنه، الّذي هو حقيقة النهي الارشادي، سقط اشتراط الشفقة، و القضيّة حينئذ أنّ كلّ شيء كان شركه ظلماً عظيماً، فينبغي تحذّره عنه وامتناعه منه.

---

١) راجع الفية ابن مالك، باب الابتداء.

٢) لقمان / ١٣، وهي: «و إذ قال لقمان لابنه و هو يعظه يا بنيّ لاتشرك بالله إنّ الشّرك لظلم عظيم.»

وإذا لاحظت أنّ لقمان صدر منه هذا الكلام لأجل أنّه حكيم ، وجرّدته عن سائر خصوصيّاته . علم منه أنّ كلّ من كان حكيماً فهو ينهى عن الشرك معنىً ثمّ إذا جرّدت الحكيم عن كونه شخصاً خارجياً مادياً ، ولاحظت أنّ الحكمة صفة العقل هو أتقن . وأنّ العقل هو الحكيم الذي يمنع عن الشرك لكونه ظلماً وانّ صدور النهي عن لقمان لمكان عقله المتّصف بالحكمة ، صارت القضيّة أنّ العقل المتّصف بالحكمة ينهى عن الشرك لذلك . فالعقل لقمان يعظ بذلك ، و كلّ عاقل حكيم يعظ بذلك و المخاطب كلّ موجود له قابليّة النهي عنه متّصف بالصفات الموجبة لكون شركه ظلماً من الماضين والآتين . و المنهيّ عنه هو الشرك من حيث كونه ظلماً عظيماً ، فالعنوان الواقعيّ هو الظلم العظيم في أيّ مفهوم تحقّق .

وقس عليه الحال في الامور الخارجيّة ، فانّ كلّ نسبة خارجيّة يعبّر منه الكلام إنّما تحقّق لعلّة والعلّة فاعليّة و ماديّة و صوريّه و غائيّة ، ولا يخلو عن إمكانات استعداديّة ومعدّات وشرائط وانتفاء موانع. والكلام الحاكي عن النسبة الخارجيّة إذا جرّدتها ، و قطعت النظر عن جميع ما لايرتبط بتحقّق تلك النسبة الخارجية ، و أخذت بما يرتبط بتحقّقه عقلاً على الميزان العقليّ ، صار الكلام الجزئيّ قاعدة كلّيّة جارية من أوّل العالم إلى آخره . و جميع الامور الخارجيّة الجزئيّة مندرجة تحت كلّيّات معيّنة في الواقع ، لا تبديل لها أبداً ما دامت السموات والارض ، كما أنّ إعرابات الكلمات العربيّة الواقعة في ألسنة الفصحاء كلّها مندرجة تحت القواعد النحويّة، والتكاليف الشخصيّة مندرجة تحت الاحكام الفقهيّة الكلّيّة ، والكلّيّات ثابتات ، والجزئيّات دائرات ، و للتجريد درجات ، وللقضايا الكلّيّة مراتب كلّما اتّسعت دائرة عمومه وشموله وقلّت عدداً، و كلّما نزلت تعدّدت وتضيّقت .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في كثرة العوالم وأنّ لكل شيء حقيقة في كلّ واحد منها]

ثمّ اعلم أنّ العوالم كثيرة ، و لكلّ شيء حقيقة في كلّ عالم من العوالم ، ولكلّ صورة معنى ، و كما عرفت حال المفاهيم الجزئيّة والكلّيّة بمراتبها ، فقس عليه حال العوالم من حيث الضيق والسعة، وسرعة الانقضاء وبطئها، والثبات وعدمه وكما أنّ لزيد وجوداً في الخارج ، ووجوداً في الحسّ المشترك، ووجوداً معنويّاً في الوهم ، ووجوداً متوسّطاً في المتخيّلة ، ووجوداً كلّيّاً في العقل ؛

والاوّل ، جزئيّ حقيقيّ يمتنع فرض الاشتراك فيه مقترن بمادّته الجسمانيّة.

والثاني ، مجرّد عن المادّة مقترن بما اكتنفه من الخصوصيّات .

والثالث ، مجرّد عن الخصوصيّات الصوريّة ملبوس بالمعاني الكائنة فيه .

والرابع ، ملبوس بهما معاً .

والخامس ، مجرّد عن جميع المشخّصات و جميع اللواحق الّتي لا دخل لها في نفس تلك الحقيقة الكلّيّة من المعاني والصور .

مع اختلاف ما سوى الاوّل من المراتب في مقدار التلبّس والتجرّد. فربّما يلاحظ العقل حقيقة الشيء مجرّداً عن جميع ما سواه، وربّما يلاحظه ملبوساً بعوارض كلّيّة ، فيكون التصوّر على الاوّل النوع ، و على الثاني الصنف ، واللواحق والخصوصيّات لها كلّيّات متصوّرة بالعقل ، ومعان مدركة بالوهم ، وصور مدركة بالحسّ ، ولها ضمّ وتفريق يحصلان بالمتخيّلة .

و كما أنّك إذا أبصرت زيداً ارتسم صورته في الحسّ، ثمّ معناه في الوهم ، ثمّ الجميع في المتخيّلة ، ثمّ تمام حقيقته في العقل ، كذلك يوجد حقيقته الكلّيّة أوّلاً في عالم من عوالم الوجود ، ثمّ معانيه في آخر ، ثمّ الجامع لهما في ثالث أو في حدّ مشترك بين عالمين ، ثمّ صورته مجرّدة عن المادّة في رابع ثمّ المتلبّس بالمادّة العنصريّة في هذا العالم . و الاوّل في عالم العقل ، و الثاني في

عالم المعاني ، والرابع في عالم المثال ، والثالث في المتوسّط بينهما ، والخامس في عالم الحسّ والشهادة ، ولكلّ منهما درجات .

وذلك لأنّ موجودات هذا العالم كلّها مركّبات من المادّة والصورة والحصص الكلّيّة والخصوصيّات المشخّصة، ووجود كلّ مركّب مسبوق بوجود سابقه سبقاً ذاتياً عقلاً ، و سبقاً خارجيّاً بالحدس الناشي عن ملاحظة تقابل القوس الصعودي في عالم الانسان مع القوس النزولي في العالم الكبير ، و عن ملاحظة سنّة الله سبحانه في خلق الاشياء من التدريج في ايجادها ، و ترتيبها على ما يقتضيه الحكمة بوضعها في مواضعها ، و تنزيلها منزلته ، و مرتبة البسيط مقدّمة على المركّب ، فتقدّمه بالوجود وضع له في محلّه .

و أيضاً فانّ الكلّيّات أشرف من الجزئيّات الدائرة والفانية ، يقتضي قاعدة إمكان الاشرف هي موجودة مقدّمة على الجزئيات ، و أيضاً فانّ الحكمة الالهيّة المقتضية لابداع الاشياء إنّما تتحصّص متدرّجة، فلا يتعلّق أوّلاً بالماديّات المركبة والجزئيّات ، ألا ترى أنّ صفة الجود في الجواد منّا إنّما يقتضي الانفاق والاعطاء الكلّيّ فلو كنّا قادرين على أن نوجده على صفة الكلّيّة لأوجدناه كذلك ، وكانت تلك الصفة كافية في صدور ذلك الكلّيّ منّا من دون حاجة إلى ضمّ أمر آخر ؟ وأمّا الانفاق على زيد بطريق جزئيّ فلايكفي تلك الصفة في صدوره ، بل لابدّ من خصوصيّات تنضمّ إليه توجب تحصيل تلك الطبيعة في ضمن ذلك الفرد من إدراك متعلّق بزيد ، وبأنّه مستحقّ للانفاق عليه ، و بالشيء الّذي ينفق عليه وغير ذلك . و حينئذ فالجواد المطلق القادر على جميع الاشياء ينبغي أن يكون صدور الكلّيّات عنه مع قدرته عليه مقدّماً على صدور الجزئيّات ؛ و قد قال الله سبحانه :

« **وإنْ من شيء إلاّ عندنا خزائنه و ما ننزّله إلاّ بقدر معلوم .** »[١]

---

١) الحجر /٢١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ولا نريد بالكلّي هنا المفهوم الذهني الّذي يمتنع عروض الوجود العيني له ؛ إذ الكلّي إذا جاء في ظرف الخارج يصير فرداً ، بل أمراً آخر يحاكيه المفهوم الكلّي الذهني ، وهو عنوان له . وسيظهر لك تتمّة كلام فيما يتعلّق بما مرّ ـ إن شاء الله تعالى ـ .

و حينئذ فيشبه أن يكون لكلّ آية مراتب من حيث المدلول بحسب عوالم مفاده ، فانّ القرآن حكاية عن الأفعال والاحكام الالهيّة ، و فيه تبيان كلّ شيء ، و حينئذ فلايبعد أن يكون حكاية القرآن عن كلّ واقعة على نحو ينطبق على جميع عوالمه ، بشرط أن يراعى في كلّ منها المعنى بحيث يناسب ذلك العالم ؛ إذ متاع البيت يشبه صاحب البيت ، وحينئذ فلابدّ من نقل تلك القضيّة بجميع أجزائه إلى ذلك العالم ، وأخذ كلّ واحد على الوجه المناسب له ، وحينئذ فقد يكون ما هو حقيقة في هذا العالم مجازاً معنويّاً في بعض العوالم، إمّا بتوسّع في نسبة المحمول إلى الموضوع أو في غيره ، كما في نسبة القتال إلى النبيّ ، فانّه إذا لوحظ النبيّ في عالم المجرّدات يكون النبيّ هو العقل ، و عدوّه الجهل الكلّي ؛ لكن نسبة القتال بينهما لايقع في نفس ذلك العالم، بل في مظاهرهما و آثارهما كما أنّ القتل الحسّي لايقع على الارواح ، بل على الاجسام التي هي مظاهر للارواح ، وقد يكون لفظ مجازاً في عالم الشهادة ، و حقيقة في عوالم أخر ؛ كالنور و الظلمة التي كثر ذكرهما في الآيات والأخبار في شأن المكلّفين ؛ كقوله تعالى :

« الله وليّ الّذين آمنوا يخرجهم من الظّلمات إلى النّور . » ١

إذ الظلمات بحسب الظاهر هو الجهل بمصالحه و مفاسده ، أو ما أشبه ذلك و هو مجاز بعلاقة المشابهة ، لكنّه على معناه الحقيقي في عالم المثال والبرزخ وغيرهما ، وقد يكون العرض في عالم جوهراً في عالم آخر ؛ كأعمال المكلّفين، التي

١) البقرة / ٢٥٧ .

******* بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *******

تتجسّم في النشأة البرزخيّة وعالم القيامة .

[مراتب القرآن على ما ذكر بعض العارفين]

وذكر بعض العارفين للتفسير ستّ مراتب: الظاهر، وظاهر الظاهر، والباطن وباطن الباطن ، والتأويل ، وباطن التأويل . وقال (ره) في بيانها :

« الظاهر معروف ، و ظاهر الظاهر هو ما يؤخذ من مادّة الكلمة أي : من حروفها. ويراد منها معنى وإن كان مخالفاً لقاعدة أهل اللّغة : كما في قوله تعالى:

« وأوحى ربّك إلى النّحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً . » [1]

ففي تفسير الظاهر أنّ « الجبال » جمع « جبل » وهو معروف، وفي تفسير ظاهر الظاهر أنّ « الجبال » جمع « جبلّة » وهي الطبيعة ، و في تفسير التأويل « الجبال » الأجساد الحيوانيّة من الانسان وغيرها. و« النحل» في الظاهر معروف، وفي الباطن آل محمّد ، وفي التأويل نفوس العلماء و في ظاهر الظاهر النفوس التي لها قدرة على الانتحال أي : الاختيار الحسن : كما في قوله تعالى : « فيتّبعون أحسنه» [2] بقرينة قوله تعالى : « وأوحى ربّك . . . . » .

وأمّا التأويل. فأن تصرف كلاماً عن ظاهره على معنى آخر لم يرد منه ظاهراً كما قال عليّ عليه السلام في ذكر قيام القائم [عليه السلام] :

« وما ينالون ما أدركوه من العلم بحيث يستغني كلّ منهم عن علم الآخر . »

قال عليه السلام :

« وهو تأويل قوله تعالى : يغن الله كلاً من سعته . » [3]

---

١) النحل / ٦٨ .
٢) الزمر / ١٨ .
٣) النساء / ١٣٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وأمّا باطن التأويل فكذلك، ولكن يجري فيه على معنى الباطن ؛ كما روي عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصّلاة وآتوا الزّكاة ؟» [١]

قال عليه السلام :

«هو الحسن بن عليّ عليهما السلام أُمر بالكفّ عن القتال والصلح .»

أو كما قال : « فلمّا كتب عليهم القتال » [٢] قال :

« هو الحسين بن عليّ عليهما السلام كتب عليه القتال ، والله لو برز معه أهل الارض لقتلوا . » [٣]

فانظر هذا المعنى ، فانّه تأويل باطن ، لانّه باطن تأويل ؛ لكن لايجري على ظاهر العربيّة كما ترى .

وكما ورد في قوله تعالى : « ووصّينا الإنسان بوالديه حسناً » [٤] ما معناه : «أن الانسان رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنّ الوالدين الحسن والحسين عليهما السلام . » [٥]

وكما رواه فرات بن إبراهيم في تفسير قوله تعالى : « والسّماء ذات الحبك » [٦] عن أحدهم عليه السلام قال :

---

١) النساء /٧٧ .

٢) النساء /٧٧ .

٣) لم نجد الحديث بعينه فيما بأيدينا ، ولكن يقرب من ألفاظه الحديثان اللّذان رواهما العيّاشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ص ٢٥٨ ، عن الحسن بن زياد العطّار ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ، وعن عليّ بن أسباط يرفعه ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ ؛ ونقلهما البحراني (رض) في البرهان ، ج ١ ، ص ٣٩٥ ، ح ٦ و٧ .

٤) العنكبوت /٨ .

٥) راجع القمّي ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ ، ونورالثقلين ، ج ٥ ، ص ١١ .

٦) الذاريات /٧ .

✲✲✲✲✲ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ✲✲✲✲✲

« السماء رسول الله صلى الله عليه وآله ، و الحبك علي عليه السلام ، فعلي عليه السلام ذات رسول الله صلى الله عليه وآله . »[1]

وأمّا تفسير باطن الباطن ، فلايجوز بيانه ؛ فقد روي أن القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ إذا خرج ونادى أنصاره واجتمعوا عنده دعاهم إلى مبايعته ، فأجابوا فقال: تبايعونى على كيت و كيت، فنفروا عنه ولم يثبت معه إلا المسيح وأحد عشر نقيباً ، فيجولون في الارض ، فلايجدون ملجأ الا إليه، فيأتونه ويبايعونه على مايريد منهم، وهو حرف من باطن الباطن حتّى أنّ الصادق عليه السلام قال ما معناه : «والله إنّي لأعلم الكلمة التي قالها لهم فيكفرون . »[2] انتهى كلامه ـ رفع مقامه ـ .

[في جواز استعمال اللّفظ في أكثر من معنى وأقسامه]

فان قلت : قد تقرّر في علم الاصول أنّه لايجوز استعمال اللّفظ الواحد في أكثر من معنى سواء كانا حقيقيين أو مجازيين أو مختلفين ، فما وجه إرادة المعاني

---

١) تفسير فرات . ص ١٦٩ ؛ وروى القمّي (ره) صدره في تفسيره ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ عن أبي حمزة ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ .

٢) الظاهر أن القائل استفاد هذا من الحديث المروي فيكمال الدين باب ٦٢ (نوادر الكتاب) ح ٢٥،والبحار ، ج ٥٢ ، ص ٣٢٦ ، ح ٤٢ نقلا عنه . ونص الحديث ـ كما في البحار ـ هكذا :

قال الصادق عليه السلام : كأني أنظر إلى القائم على منبر الكوفة و حوله أصحابه ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا عدة أهل بدر ، و هم أصحاب الالوية و هم حكام الله في أرضه على خلقه حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول الله صلى الله عليه و آله فيجفلون عنه إجفال الغنم فلايبقى منهم إلا الوزير و أحد عشر نقيباً كما بقوا مع موسى بن عمران عليه السلام . فيجولون في الارض فلا يجدون عنه مذهباً فيرجعون إليه والله إني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المختلفة من الآية الواحدة لو أُريد منها ذلك؟ وما ثمرة حملها على غير المرادمنها إن لم يثبت الاستعمال إلا في أحدها، ولاسيّما في تفسير ظاهر الظاهر، الذي ذكره العارف المتقدّم، و به يجمع بين جملة من الاخبار المتنافية الواردة في تفسير آية واحدة بحمل أحد المتنافيين على تفسير الظاهر، والآخر على ظاهر الظاهر، كما يجمع بين كثير من المتعارضات بحمل البعض على الظاهر، و غيره على البطون والتأويلات، و بملاحظة المجموع يرفع معظم التعارض الواقع بين أخبار التفسير؟ وكيف يجوز إخراج استعمالات ألفاظ القرآن من وجوه الاستعمالات الصحيحة عند أهل اللسان، بل لو سلّم جوازه عندهم، فلايخلوا من استبشاع عندهم، و هو مناف للمرتبة العالية الثابتة للقرآن في جميع المقامات اللفظيّة والمعنويّة فصاحة وبلاغة وأُسلوباً وإمارة؟

قلت: الّذي أرى في المسألة الاصوليّة أنّ المانع من استعمال اللّفظ في أكثر من معنى عدم إمكان حقيقة الاستعمال فيه، و ملخّص بيانه: أنّ الاستعمال عبارة عن إيراد اللّفظ بازاء المعنى، وجعله قالباً له، ومرآتاً للانتقال إليه، وآلة لتصويره في ذهن السامع؛ كما أنّ الوضع عبارة عن تعيين لفظ المعنى وتخصيصه به على وجه كلّي، بحيث متى أطلق أو أحسّ فهم منه ذلك المعنى، ومفاد المقامين هوصيرورة اللّفظ كلّيّة في الثاني و في الكلام الخاصّ في الاوّل بازاء المعنى، بحيث يكون اللّفظ المركّب من حيث كونه مجتمعاً وحدانياً بازاء المعنى البسيط، أو المركب من حيث كونه مركّباً وحدانيّاً. فالمحاكات هنا بين اللّفظ الواحد والمعنى الواحد ولو كانت الوحدة اعتباريّة، والحاكي الواحد في الاستعمال الواحد لايحكي إلا حكاية واحدة عن الشيء الواحد، ومن ضروريّته أن لايقع بازاء الاكثر، ولا قالباً له ولا مرآتاً له لبساطته في هذا اللحاظ، إلا أن يلاحظ الاكثر من حيث الاجتماع واحداً، فيخرج عن العنوان ويندرج تحت استعمال اللّفظ في مجموع معنيين، وهوغير

الموضوع له ، فان تمّت العلاقة صحّ مجازاً وإلا بطل .

وإن شئت قلت: معنى الوضع تخصيص لفظ بمعنى بحيث يكون الاوّل بتمامه واقعاً بحذاء الثاني ، و يصير بكلّيته مرآتاً له ، و متمحّضاً في الدلالة عليه ، فلا يطابقه الاستعمال إلا حال وحدة المعنى ، وتوضيحه موكول إلى فنّه .

وحينئذ فمتى تعقّلنا الاستعمال على الوجه المفروض صحّ ، بل لو قلنا: بأنّ جهة المنع أمر آخر ، فلاريب أنّ المانع إنّما يمنع من الاستعمال في المتعدّد إذا لم يلاحظ فيه اعتبار بجعل المتعدّد واحداً اعتبارياً ، كما أشرنا إليه ، ويظهر ممّا فصّله متأخّرو الاصوليّين في تحرير محلّ النزاع .

وحينئذ فحلّ الاشكال إمّا باعتبار إخراج بعض المعاني عن الاستعمال ، فلا يكون مستعملا فيه ابتداء بالمعنى المتقدّم ، وإمّا بتحصيل اعتبار ولحاظ يوحّده به المتعدّد ، ويخرج به عن صفة الكثرة .

أمّا الاول ، فبأن يقال : الانتقال من اللّفظ إلى المعنى و استفادة المطلب من الكلام ليس منحصراً فيما استعمل فيه اللّفظ ابتداء بالمعنى المشار إليه ، بل إذا استعمل المفردات المركّبة تركيباً مفيداً ، أفاد الكلام مطابقة معانيها ، و تضمّناً حال أجزائها العقليّة والخارجيّة، والتزاماً عللها وأجزاء عللها وشرائطها، وانتفاء موانعها ، إلى أن ينتهي إلى مبدء المبادي تفصيلاً مع الانحصار ، أو منضمّاً إلى ما ينفي الباقي ، وإجمالا بدونهما ، ونفي ما لا يجتمع معه حال وجوده و وجود ما لابدّ منه في وجوده ، و إثبات معلولاتها و معلولات معلولاتها و ما يلزمها و مفاهيمها المعتبرة بنفسها و بمعونة القرائن ، و ما يستخرج من ضمّ تلك القضيّة إلى أخرى مثلها ، وهذه هي المرتبة الاولى من الظاهر .

ثمّ إنّ المعنى المقصود بالافادة من الكلام قد يكون منحصراً في ذلك ، وقد يكون خارجاً عنه ، كما في أحد قسمي الكناية و قد يكون كلاهما معاً ، كما في

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******
الوجه الاخر منه . فقد يقال : فلان مهزول الفصيل ولافصيل له ، مريداً بذلك أنّه جواد. فقد استعمل اللّفظ صورة في معناه، واوقعت النسبة الصوريّة مع عدم تحققها في الواقع ، وقصد به أمر آخر ، و قد اختلف في كونه حقيقة أو مجازاً ، والاوّل أقرب كما في محلّه . وقد يقال ذلك لبيان هزال فصيله ، وإفادته متضمناً إلى بيان الجواد مع إصالة كلّ منهما أوأحدهما فقط ، مع أنّ هزال الفصيل بنفسه لايدلّ على الجود بوجه من الدلالات الثلاث ؛ إذ لاملازمة بينهما واقعاً و إن أطلق عليه اسم اللازم بملاحظة غلبة محققه أو مفروضه على وجه الادّعاء ، إلا أنّه يفيده بشيوع ذكره في مقام بيانه أوبملاحظة سائر القرائن والخصوصيّات من حال أومقال أو مساق أوغيرها . و قريب من الكناية التمثيل، لكنّه في المركّب والكناية في المفرد ، و في كلّ منهما يتحصّل من الكلام معنيان مستقلّتان ، و كلاهما شايعان في استعمالات الألبّاء . بل لايبعد أن يكون كثير من القصص والحكايات العاميّة بما وضعها الحكماء والعقلاء لافادة معان مغايرة لها ، لينتقل منها إليها من كان ذا لبّ وبصيرة ، كما يؤمي إليه مطابقة جملة منها لمواعظ شافية أومطالب عالية، وفيهما ينتقل المستنبط من مطلب إلى آخر مناسب له مناسبة واقعة بين المعنيين ولايشترط كونه ملازمة ، فلا مانع من أن يكون لآيات القرآن العزيز [معان] [1] لايخلو من مداليل كنائيّة و مثاليّة ،«و لقد صرّفنا [للنّاس] في هذا القرآن من كلّ مثل . » [2] وقد سبق في الاخبار : « أنّ القرآن أمثال لقوم يعلمون » ، و تدبّر . وماذكر أحد الوجوه في المقام .

ومنها :

أنّه ربّما يتكلّم بكلام لمعنى بحيث يصلح لارادة غيره تنبيها على صحّة إرادته

١) أضفناه بقرينة المقام.

٢) الاسراء / ٨٩ .

أيضاً ، و مطابقته للواقع من دون أن يكون مستعملاً فيه أصلاً ، كما أنّه قد ينشأ الشاعر شعراً بقافية خاصّة على وجه يمكن تغييره ، وقرائته على وجه آخر موزون. و ربّما يجري بعض الكلام على الوجه المناسب للمعنى الآخر ، فيصير قرينة على صحّة إرادته أيضاً ، فانّ الكلام الصادر من الحكيم القادر العالم بتمام الوجوه ينبغي مطابقته للمعنى بجميع الخصوصيّات ، كما ينبغي كونه على أحسن الوجوه اللّفظية . وحينئذ فاذا لم يتمّ الكلام على الوجه المناسب للمعنى المقصود ، فينبغي حمل ذلك التغيير الواقع في الاسلوب على نكتة ، و من أعظمها ما ذكر . و لعلّ ذلك هو المراد خاصّة ، أو بعض أفراد المراد من قوله ﷺ في الخبر السابق : « إنّ الآية ليكون أوّلها في شيء ، و آخرها في شيء ، و هو كلام متّصل يتصرّف على وجوه »[١] و غيره ممّا تقدّم في المقدّمات السّابقة . ولا يختصّ القرينة بالتغيير في الاسلوب ، بل قد يكون الجهتان مجتمعتين ابتداءً أحدهما حاليّاً أو مساقياً ، والآخر لفظيّاً ، إلى غير ذلك . ولعلّ هذا و أشباهه من الاشارة الّتي للخواصّ في الرواية السابقة .

ومنها :

أنّه قد يذكر المتكلّم في كلامه شيئاً يشير إلى جريان الحكم المذكور في مورد آخر ، أو عنوان كلّيّ بأن يعلّق الحكم على وصف في مقام تعليقه على الذات أو تذييله بما يقتضي ذلك إشارة أو إيراد في مقام يناسب بيانه .

ومنها :

أنّه ربّما يذكر كلام أحد على وجه الحكاية ، ويسكت عنه في مقام لو كان كذباً اقتضى ردّه ، فيستفاد من الكلام صحّته، مع أنّ اللّفظ لم يستعمل في ذلك .

---

١) راجع الرواية الاولى من هذه المقدمة .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وأما الثاني : فيما عرفت سابقاً أنّ الاشياء لها عوالم و نشئات و أنحاء من الوجود و الظهور ، فالرزق مثلاً له نحو وجود في هذا العالم ؛ كالحنطة و الخبز المأكولين، وله وجود في السماء ؛ قال سبحانه : « **وفي السماء رزقكم وما توعدون** .»[١] ولأبدان الحيوانات أرزاق ، و للنفوس أرزاق ؛ بل لكلّ شيء رزق ، و هو ما به قوامه وبقائه ونموّه . فليس معنى الرزق إلا واحد ، لكنّه يختلف أحكامه بحسب العوالم ، وإن كان بحسب العرف لاينصرف إلا إلى الاوّل خاصّة ، إمّا لجهلهم بسائر أنحائه ، أو لكونه أظهر عندهم ، أو لاختصاص الوضع العرفيّ به ، أو الوضع اللّفظيّ به. وحينئذ فالاستعمال في الاعمّ فيما سوى الاخير حقيقة لغويّة ، و على الاخير مجاز لفظيّ و حقيقة معنويّة . ولاضير في التزام المجاز اللّفظي في آيات الكتاب خصوصاً مع كونه حقيقة معنويّة . ألاترى إلى إطلاق اليد والسمع والبصر و الاحاطة و الاستواء و غيرها على الله تعالى مع استحالة معانيها العرفيّة على الله سبحانه ؛ والظاهر في تفسير ظاهر الظاهر هو الاوّل ، و في غيرها هو الثاني ، و إن أمكن في بعض البطون حمل اللّفظ على الظاهر ، والانتقال إلى البطن بمثل ما تقدّم في الوجه الاوّل .

و ربّما يستفاد من كلام بعض العارفين أنّ الالفاظ لم توضع بازاء خصوص المفاهيم العرفيّة أصلاً ، بل هي موضوعة بازاء الحقائق الواقعيّة العامّة ، و أنّ أفرادها المعنويّة أولى بالصدق من الأفراد الحسّيّة ، وهذا بناء على أنّ الواضع هو الله سبحانه ، و أنّ الاسماء تنزل من السماء ، أو بني بأمر الحقّ أو إلهامه ، أو أنّ دلالاتها بالمناسبة الذاتيّة ، له وجه وجيه ، وإن كان التعميم في بعض المقامات محلّ تأمّل . والله سبحانه العالم بحقيقة الحال .

---

١) الذاريات / ٢٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع)

[في أنّ للقرآن محكماً ومتشابهاً ، وناسخاً و منسوخاً ، و سنناً و أمثالاً ، و فصلاً و وصلاً ، و أحرفاً و تصريفاً و ماجاء فيها]

وامّا المحكم ، فالظاهر أنّه الكلام الدالّ على المراد منه بالصراحة أو الظهور بحيث يفهم منه المعنى المقصود منه ، ولو بما اكتنف من القرائن الحاليّة والمقاليّة. فيكون المتشابه هو ما لايدلّ عليه كذلك ، سواء لم يكن ظاهراً في شيء أصلاً ، كالحروف المقطّعة على كثير من الاحتمالات ، أو كان موهماً لما لايُراد منه : كقوله تعالى :

« الرّحمن على العرش استوى . »[1]

و المنسوخ ، هو الآية الدالّة على حكم كان ثابتاً بحيث يترائى منه الدوام ، ثمّ رفع .

و الناسخ : ما اشتمل على الرافع له .

و عن الكليني في الكافي بسنده عن محمّد بن سالم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« إنّ أناساً تكلّموا في القرآن بغير علم . و ذلك أنّ الله يقول:

« هوالّذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات فأمّا الّذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنةوابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلّاالله والرّاسخون في العلم .»[2]

فالمنسوخات من المتشابهات ، و الناسخات من المحكمات ـ الحديث . »[3]

---

١) طه / ٥ .

٢) آل عمران / ٧ .

٣) الكافي ، ج ٢ ، ص٢٨ ، ح ١ ؛ والوسائل ، ج١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٣٤ ، ح ١٨ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و باسناده عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، في حديث احتجاجه على الصوفيّة لمّا احتجّوا عليه بآيات من القرآن في الايثار والزهد ، قال :

« ألكم علم بناسخ القرآن و منسوخه ، و محكمه و متشابهه ، الّذي في مثله ضلّ من ضلّ ، و هلك من هلك من هذه الأمّة ؟

قالوا [1] له أو بعضه فأمّا كلّه فلا .

فقال [لهم] : فمن هنا اتيتم ، و كذلك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله - إلى أن قال : - فبئس ما ذهبتم إليه وحملتم الناس عليه من الجهل بكتاب الله ، و سنّة نبيّه صلى الله عليه وآله ، و أحاديثه الّتي يصدّقها الكتاب المنزل ، و ردّكم إيّاها لجهالتكم و تركّكم النظر في غريب [2] القرآن من التفسير و الناسخ و المنسوخ [3] ، و المحكم و المتشابه ، و الامر و النهي - إلى أن قال : - دعوا عنكم ما اشتبه عليكم ممّا لا علم لكم به ، و ردّوا العلم إلى أهله تؤجروا و تعذروا عندالله ، و كونوا في طلب ناسخ [4] القرآن من منسوخه ، و محكمه من متشابهه ، و ما أحلّ الله فيه ممّا حرّم ، فانّه أقرب لكم من الله ، وأبعد لكم من الجهل ؛ دعوا الجهالة لأهلها ، فانّ أهل الجهل كثير ، وأهل العلم قليل ؛ وقد قال الله : وفوق كل ذى علم عليم . » [5]

---

١) في بعض نسخ الكافي : « فقالوا » .

٢) في بعض نسخ الكافي : « غرائب » .

٣) في بعض نسخ الكافي : « بالناسخ من المنسوخ » .

٤) في بعض نسخ الكافي : « علم ناسخ » .

٥) الآية : يوسف /٧٦ ؛ والحديث في الكافي ،ج ٥ ، ص ٦٥ ، ح ١ ؛ والوسائل، ج ١٨ باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٣٥ ، ح ٢٣ .

وعن البرقي في المحاسن بسنده عن أبي الوليد البحراني ، ثمّ الهجري ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّ رجلاً قال له : « أنت الذي تقول[١] ليس شيء من كتاب الله إلا معروف ؟ » قال عليه السلام :

« ليس هكذا قلت ، إنّما قلت[٢] : ليس شيء من كتاب الله إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه ممّا لايعلمه الناس ـ إلى أن قال : ـ إنّ للقرآن ظاهراً و باطناً ، و معانياً ، وناسخاً ومنسوخاً ، ومحكماً و متشابهاً ، وسنناً و أمثالاً ، وفصلاً و وصلاً ، وأحرفاً وتصريفاً ، فمن زعم أنّ الكتاب مبهم فقد هلك وأهلك ـ الحديث . »[٣]

قال صاحب الوسائل :

« المراد من آخره أنّه ليس بمبهم على كلّ أحد ، بل يعلمه الامام عليه السلام ومن علّمه إيّاه ، وإلا لناقض آخره أوّله . »

اقول :

بل الظاهر أنّ المراد أنّ الكتاب ليس مبهماً بنفسه بحيث لايفي ببيان مدا ليله ، بل فيه تبيان كلّ شيء ومشتمل على بيان المرادات ، ولكن لايصل إلى ذلك كلّ أحد لقصور مرتبتهم عن ذلك. فليس الاجمال فيه ، بل قصور بصائر الناس يمنعهم عن إدراكه ،كالشمس في رابعة النهار بالنسبة إلى الاعمى والضرير والخفّاش.

١) في بعض النسخ : « تزعم أن » .

٢) في بعض النسخ : « ولكن » بدل « إنّما قلت » .

٣) المحاسن ، باب ٣٦ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٧٠ ، ح ٣٦٠ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤١ ، ح ٣٩ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب أنّ للقرآن ظهراً وبطناً ، ص ٩٠ ، ح ٣٤ ؛ والبرهان ، ج ٢ ص ٣ ، ح ٣ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و حينئذ فالظاهر أن يكون حظ كل إنسان من بيانات القرآن بقدر قابليته واستعداده وعلمه بكيفية الاستخراج، ولا يستفاد من صدر الحديث ما ينافي ذلك، بل يدل على ذلك إن جعلنا قوله في كتابه طرفاً للدليل، فيكون الدليل في الكتاب هو الاية الدالة. والظاهر أنه ليس المراد من نفي علم الناس به نفي علم ما سوى الامام بشيء منه على سبيل الاستغراق الحقيقي، و إلا لاقتضى إنكار وجود المحكم في الكتاب أصلاً، بل نفي وصول أفهام عامة الناس إلى الادلة الخفية منها.

و الظاهر أن المراد بـ **السنن** هو طريقة فعل الله بالنسبة إلى عباده؛ كقوله: «**سنة الله في الذين خلوا من قبل**»[1]، و يبعد إرادة السنة التشريعية المقابلة للفريضة.

و **أما الفصل و الوصل**، فالظاهر إرادة وصل الكلام و ربطه معنى بسابقه، وانقطاعه عنه باستيناف مطلب جديد؛ كـ «آية التطهير»[2] الواقع ذيلها عقيب المخاطبة لأزواج النبي صلى الله عليه وآله في الظاهر، لكون المخاطب بالذيل غيرهن، فيكون الذيل مفصولاً عن الصدر غير موصول به.

ولا يبعد أن يكون [المراد][3] بـ **الاحرف** الحروف المقطعة في القرآن، و بـ **التصريف** ما عداها، أو بما أريد من قوله تعالى: «**نصرف الايات**».

و ربما يطلق النسخ على الاعم من النسخ التشريعي و البداء التكويني، أو على الاخير خاصة البداء؛ كما هو الظاهر فيما عن الكليني بسنده عن جميل بن صالح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: «**الم * غلبت الروم** *

---

١) الاحزاب / ٣٨ و ٦٢.

٢) الاحزاب / ٣٣، وهي: «... **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**».

٣) أضفناه بقرينة المقام.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

في أدنى الأرض » [١] ، فقال :

« إن لهذا تأويلاً لايعلمه إلا الله و الراسخون في العلم من آل محمد صلى الله عليه وآله - إلى أن قال : - ألم أقل لك إنّ لهذا تأويلاً وتفسيراً ، والقرآن ناسخ ومنسوخ » [٢]

[حدود القرآن]

وأمّا الحدود، فقد ذكر فيما رواه البرقي في المحاسن بسنده عن عبدالحميد بن عوّاض الطائيّ قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول :

« إنّ [٣] للقرآن حدوداً كحدود الدار . » [٤]

و لعلّ المراد منه حدود معانيها في التشريعيّات والتكوينيّات ، نظير ما ورد ظاهر [أ] أنّ :

« للصّلاة أربعة آلاف حدّ . » [٥]

فانّ لكلّ حكم مذكور في القرآن حدوداً من الشروط والموانع والقيود الزمانيّة و المكانيّة و الحاليّة و غيرها ، ولأفعال الله سبحانه أيضاً حدوداً و ترتيباً

١) الروم / ١-٣ .

٢) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٦٩، ح ٣٩٧ ؛ والوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٣٦ ، ح ٢٤ .

٣) هذه الكلمة ليست في بعض نسخ المحاسن .

٤) المحاسن ، باب ٣٨ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٧٣ ، ح ٣٧٥ ؛ والوسائل، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ، ص ١٤٢ ، ح ٤٠ ؛ وهكذا في البحار .

٥) رواه الشيخ (قده) في التهذيب ، ج ٢ ، باب في فضل الصلاة من أبواب الزيادات، ص ٢٤٢ ، ح ٢٥ ؛ وابن شهراشوب (ره) في المناقب ، ج ٤ باب إمامة أبي عبدالله - عليه السلام - ، ص ٢٤٩ ، عن حماد بن عيسى ، عنه - عليه السلام - ؛ و هكذا نقله المجلسي (رض) في البحار ، ج ٨٢ ، باب أنّ للصلاة أربعة آلاف باب و ... ، ص ٣٠٣ ، ح ٢ ؛ و ذكر أقوال العلماء في تبيينه ، فراجع .

ونظاماً معيّناً لايتعدّاها .

و روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« ما من آية إلا و لها أربعة معان : ظاهر و باطن ، و حدّ و مطلع . و الظاهر : التلاوة ، و الباطن : الفهم ، و الحدّ : هوأحكام الحلال والحرام ، والمطلع : هو مراد الله من العبد بها . »[١]

[تذييل]

و لنختم الكلام في هذه المقدّمة بما روي عن محمّد بن إبراهيم النعماني في تفسيره باسناده عن إسماعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول :

« إن الله تبارك وتعالى بعث محمّداً صلى الله عليه وآله فختم به الانبياء ، فلا نبيّ بعده ، و أنزل عليه كتاباً فختم به الكتب ، فلا كتاب بعده ؛ أحلّ فيه حلالاً ، وحرّم حراماً ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعكم ، وخبر من قبلكم و بعدكم .

وجعله النبيّ صلى الله عليه وآله علماً باقياً في أوصيائه ، فتركهم الناس وهم الشهداء على أهل كلّ زمان ، وعدلوا عنهم ، ثمّ قتلوهم واتّبعوا غيرهم وأخلصوا لهم الطاعة، حتّى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الامر وطلب علومهم . و ذلك أنّهم ضربوا القرآن بعضه ببعض[٢] ، واحتجّوا بالمنسوخ وهم يظنّون أنّه الناسخ،

---

١) نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الرابعة ، ص ١٨ .

٢) في البحار : « ضربوا بعض القرآن ببعض » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و احتجّوا بالخاصّ و هم يقدّرون أنّه العامّ ، و احتجّوا بأوّل الآية وتركوا السنّة [١] في تأويلها . ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى مايختمه، ولم يعرفوا موارده ومصادره؛ إذ لم يأخذوه عن أهله ، فضلّوا وأضلّوا .

واعلموا رحمكم الله أنّه من لم يعرف من كتاب الله عزّ وجلّ الناسخ من المنسوخ ، و الخاصّ من العامّ ، و المحكم من المتشابه ، والرخص من العزائم، والمكّي والمدنيّ ، وأسباب التنزيل ، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة و المؤلّفة ، وما فيه من علم القضاء و القدر ، والتقدم والتأخّر [٢] ، والمبيّن و العميق ، و الظاهر و الباطن ، و الابتداء من الانتهاء [٣] ، و السؤال و الجواب ، و القطع و الوصل ، و المستثنى منه والجار [ي] فيه ، و الصفة لما قبل ممّا يدلّ على ما بعد ، و المؤكّد منه ، و المفصّل ، و عزائمه و رخصه ، و مواضع فرائضه وأحكامه ، و معنى حلاله و حرامه ، الّذي هلك فيه الملحدون ، و الموصول من الالفاظ ، والمحمول على ما قبله و على ما بعده ، فليس بعالم في القرآن ، ولا هو من أهله . و متى ادّعى معرفة هذه الاقسام مدّعٍ بغير دليل ، فهو كاذب مرتاب ، مفتر على الله الكذب و رسوله ، و مأواه جهنّم وبئس المصير ـ إلى أن قال : ـ

١) خ . ل : « السبب » .

٢) في البحار : « التقديم والتأخير » .

٣) في البحار : « والانتهاء » بدل « من الانتهاء » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ثمّ سألوه عن تفسير المحكم من كتاب الله ، فقال : أمّا المحكم الّذي لم ينسخه شيء ، فقوله[١] عزّ وجلّ : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات ـ الاية . » وإنّما هلك الناس في المتشابه ؛ لأنّهم لم يقفوا على معناه ، ولم يعرفوا حقيقته ، فوضعوا له تأويلاً[٢] من عند أنفسهم بآرائهم ، واستغنوا بذلك عن مسئلة الاوصياء ، ونبذوا قول رسول الله ﷺ وراء ظهورهم . »[٣]

١) في البحار : « شيء من القرآن ، فهو قول الله » .

٢) في البحار : « تأويلات » .

٣) نقل العلامة المجلسي ـ أعلى الله مقامه الشريف ـ هذا التفسير بتمامه في البحار، ج ٩٣ ، باب ما ورد في أصناف آيات القرآن ، ص ٣ ، فراجع .

المقدّمة الخامسة

فيما نزل عليه القرآن من الأقسام الكليّة و ما يتعلّق بذلك

فمن الكافي وتفسير العيّاشي باسنادهما عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، و ربع في عدوّنا، و ربع سنن و أمثال، و ربع فرائض و احكام، ـ و زاد العيّاشي: ـ ولنا كرائم القرآن.»[1]

وباسنادهما عن الاصبغ بن نباتة قال: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول:

«نزل القرآن أثلاثاً: ثلث فينا و في عدوّنا، و ثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام.»[2]

---

١) رواه الكليني (رض) في الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ص ٦٢٨، ح ٤، عن أبي بصير؛ و العياشي (ره) في تفسيره ج ١،ص ٩،ح١،عن أبي الجارود، و أيضاً رواه فرات بن إبراهيم (قده) في تفسيره، ص ٢، عن الاصبغ بن نباتة، عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ؛ والحسين بن الحكم الحبري الكوفي من رواة القرن الثالث في كتاب «ما نزل من القرآن في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ»، ص ٤٤، عن أبي الجارود، عن الاصبغ، عنه ـ عليه السلام ـ، وفيه: «ربع حلال و حرام» بدل «ربع سنن وامثال»؛ و هكذا في البحار، ج ٩٢، باب أنواع آيات القرآن، ص ١١٤، ح ١؛ والصافي والبرهان.

٢) الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ص ٦٢٧، ح ٢؛ والعياشي، ج ١، ص ٩، ح ٣، و البحار، ج ٩٢، باب أنواع آيات القرآن، ص ١١٤، ح ٢، وأيضاً في الصافي والبرهان.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و عن ابن المغازلي ، عن ابن عباس ، عن النبيّ ﷺ أنّه قال :

« إنّ القرآن أربعة أرباع : فربع فينا أهل البيت خاصّة ، و ربع حرام، وربع فرائض وأحكام ، والله انزل فينا كرائم القرآن . » [١] .

و عن العيّاشي باسناده عن خثيمة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« القرآن نزل أثلاثاً : ثلث فينا و في أحبّائنا ، [و] ثلث في أعدائنا و عدوّ من كان قبلنا ، و ثلث سنّة و مثل ؛ ولو أنّ الآية إذا نزلت في قوم ثمّ مات اولئك القوم ماتت الآية ، لما بقي من القرآن شيء ، ولكنّ القرآن يجري أوّله على آخره ما دامت السموات والارض ، ولكلّ قوم آية يتلونها هم فيها [٢] من خير أوشرّ . » [٣]

---

١) انظر مناقب عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، ص ٣٢٨ ، وهكذا رواه فرات ابن إبراهيم (ره) في تفسيره ، ص ٢ و٨٩ ، بهذا الاسناد ، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ، ج ١ ، الفصل الخامس ، ص ٤٣ ، ح ٥٧ ، نقلاً عن فرات ، وأخرجه الحافظ أبو نعيم في كتاب « ما نزل من القرآن في عليّ ـ عليه السلام ـ » على ما نقله العلامة المجلسي (رض) في البحار ، ج ٣٥ ، باب ١٤ ، ص ٣٥٩ ، و أيضاً في إحقاق الحق ، ج ١٤ ، باب ربع القرآن في أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، ص ٧٠١ ، و البرهان ، ج ١ ، ص ٢١ ، نقلاً عن المناقب . وفي جميع المصادر سوى البرهان وإحقاق الحق وبعض نسخ المناقب : « ... و ربع في أعدائنا ، و ربع حلال وحرام ... والله انزل في عليّ ... »

٢) خ . ل : « منها » .

٣) العياشي ، ج ١ ، ص ١٠ ، ح ٧؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب أنواع آيات القرآن، ص ١١٥ ، ح ٤ ؛ وهكذا في الصافي والبرهان .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

اقول :

الظاهر أنّ بناء هذه القسمة ليس على تعديل السهام و تسوية الاقسام ، بل على ضبط المقسم فيها . وما ورد في أحبّائهم فقد ورد فيهم عليهم السلام ؛ لأنّ ما يلحق بأحبّائهم من حيث كونهم أحباء فقد لحق بهم عليهم السلام ، وشيعتهم منهم ، خلقوا من فاضل طينتهم ، و كلّ خير نسب إلى الاحبّاء فأصله فيهم . وعدوّ من كان قبلهم عليهم السلام فهو عدوّ لهم ، كما أنّ المؤمنين السابقين كانوا من شيعتهم وأحبّائهم ؛ لأنّه إذا ذكر الخير كانوا أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه ، و كلّ كمال نسب إلى الناقص يدخل فيه الكامل ، كما سبق بيانه ؛ كالذّم المنسوب إلى الناقص في تلك الصفة المذمومة ، وقد سبق أنّه يدخل في الآية من كان عمل [1] بمثل أعمالهم ، و [كان] [2] من سنخ طينتهم ، فراجع .

و أمّا الفرائض والاحكام ، فيمكن إدخالها في الخبر الاخير في قوله عليه السلام : « ثلث فينا وفي أحبّائنا » ؛ لأنّهم القائمون بها ، فكأنّها حكايات أحوالهم وأفعالهم ، أو لأنّ بطونها ترجع إلى ولايتهم عليهم السلام . ولعلّ المراد بالسنّة سنّة الله سبحانه في النشأة الاولى ، الّتي لا تبديل لها في السابقين واللاحقين ، فيندرج فيها القصص والاخبار عمّا مضى و ما يأتي ، و بيان صنائع الله و نعمه على عباده ما عدا حكاية أحوال المؤمنين و الكفّار ؛ إذ يمكن إدخالها فيما نزل فيهم ، خصوصاً في الخبر الاخير .

وأمّا حكاية النشأة الاخرى ، فيمكن إدخالها في السنن ، و إدخالها في ما نزل فيهم عليهم السلام و في أعدائهم ، والتفصيل بين ما يختصّ باحدى الطائفتين و غيره ، كانشاء القيامة الكبرى ومقدّماتها .

١) في المخطوطة : « من » .

٢) أضفناه بقرينة المقام .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و أمّا ما نزل في بيان صفات الحقّ ، فيمكن إدخالها في الاوّل ، لأنّهم ﷺ مظاهرها ومحالّ معرفتها ، و إدخالها في السنن فيما كان من صفات الفعل ، والامثال فيما كان من صفات الذات ؛ إذ المعاني الّتي نتصوّرها من تلك الالفاظ مثل الله سبحانه ، فانّ كلّ ما ميّزناه بأوهامنا فهو مخلوق مثلنا ، مردود إلينا [١] . وقد ورد روايات كثيرة عن المعصومين ﷺ في تأويل كثير من الآيات بهم وبأوليائهم وأعدائهم [٢] ، حتّى قيل: « إنه قد صنّف في ذلك كتب ، واحد منها يقرب من عشرين ألف بيت . » [٣] و سنورد كثيراً منها في شرح الآيات المتعلّقة بها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

و عن تفسير العيّاشي ، عن محمّد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « يا محمّد [٤] ، إذا سمعت الله ذكر قوماً [٥] من هذه الامّة بخير فنحن هم ، وإذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممّن مضى فهم

---

١) كما قال الباقر عليه السلام : « هل سمّي عالماً و قادراً الا لانه وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرين ؟ وكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه مخلوق مصنوع مثلكم ، مردود إليكم ،والباري تعالى واهب الحياة ومقدر الموت.ولعلّ النمل الصغار تتوهم أن لله زبانيتين فانهما كمالها . . . » نقله الفيض في المحجة البيضاء ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

٢) قد رواها كثير من العلماء ومحدثي الخاصّة والعامّة ، وجمعوها في كتبهم ؛كمحمد ابن العباس (ره) في الكنز ، الّذي أورده النجفي (رض) في تفسير الآيات الباهرة ؛ وأبو القاسم الحسكاني في شواهد التنزيل ، والحويزي (قده) في نور الثقلين ؛ وغير ذلك .

٣) الكلام للفيض ـ نوّر الله مرقده ـ ظاهراً . فراجع الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثالثة ، ص ١٤ .

٤) في المخطوطة : « أبا محمد » كما في الصّافي .

٥) في بعض النسخ : « أحداً » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

عدوّنا .»[١]

[في أنّ الولاية المطلقة للنبيّ والأئمّة - عليهم السّلام -]

اعلم أنّ النبوّة المطلقة مختصّة بنبيّنا صلى الله عليه وآله ، و الوصيّة النيابة المطلقة عنه ، والولاية المطلقة الكلّيّة له صلى الله عليه وآله وللائمّة - صلوات الله عليهم - ، وأمّا سائر الانبياء والاولياء فلهم نبوّة خاصّة مقيّدة و ولاية جزئيّة على أهل عصر خاصّ أو قرية معيّنة ، لا على ما سوى الله سبحانه من أقسام موجودات العوالم بأسرها ، الّذي هو معنى الخلافة عن الله سبحانه بعنوان كلّيّ مطلق ؛ لانّهم عليهم السلام مظاهر الاسم الاعظم بتمامه ، ما سوى الحرف الواحد ، الّذي لا مظهر له في العالم ، وسائر المعصومين عليهم السلام مظاهر لبعض أجزائه و حروفه[٢] . وإذا كانوا عليهم السلام مظاهر لاسم السلطنة الالهيّة المطلقة ، فلا جرم كان كلّ من سواهم تحت سلطنتهم ، و نبيّنا صلى الله عليه وآله سيّد الانبياء . ولمّا ثبت أنّ الولاية الّتي له صلى الله عليه وآله هي بعينها لخلفائه فهم السلاطين والاولياء على ما سوى الله سبحانه ، فلهم الولاية على الانبياء السابقين ، وله صلى الله عليه وآله النبوّة المطلقة ، وجميع الانبياء يخبرون عن بعض ما أنبأه معنىً لانحصار

١) العياشي ، ج ١ ، ص ١٣ ، ح ٣ ؛ والصّافي ، ج ١ ، المقدّمة الثالثة ، ص ١٤ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٢٢ .

٢) كما ورد في أحاديثهم - عليهم السلام - ؛ كرواية الصفار (ره) عن هارون ابن الجهم ، عن رجل من أصحاب أبي عبدالله - عليه السلام - قال : سمعت أبا عبدالله - عليه السلام - يقول : « انّ عيسى بن مريم أُعطي حرفين وكان يعمل بهما ، و أُعطي موسى بن عمران أربعة أحرف ، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف ، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً ، وأُعطي آدم خمسة و عشرون حرفاً ، و انّه جمع الله ذلك لمحمّد - صلى الله عليه وآله - وأهل بيته ، وانّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى الله محمّداً - صلى الله عليه وآله - اثنين و سبعين حرفاً ، وحجب عنه حرفاً واحداً . » راجع البصائر ، باب ١٣ من الجزء الرابع ، ص ٢٠٨ ، ح ٢ .

الشريعة الكاملة التامّة بهذه الشريعة ، فهم بمنزلة الدّعاة إلى بعض هذه الشريعة ، وقد أخذ ميثاق نبوّته ﷺ على جميع الانبياء ، قال تعالى :

« وإذ أخذ الله ميثاق النّبيّين ـ الخ . »[1]

فهم أتباع مقام النبوّة والولاية ، داعين إليه ﷺ ، مبشّرين به ﷺ والنبوة والولاية المقيّدتين مستمدّتان من الكلّيّتين : أخبار عرض الولاية عليهم ، وتقدّم خلقهم وأنّهم العلّة الغائيّة لانشاء هذا العالم .

ولعلّ ما ذكر يظهر للمتأمّل في ما ورد في أخذ ميثاق النبوّة المطاعيّة لهم عليهم السلام من الانبياء في العوالم السابقة[2] ، و أنّ آدم و غيره عليهم السلام تحت لوائه ﷺ يوم القيامة[3] ، إلى غير ذلك ممّا سنورد بعضه في خلال التفسير مشروحاً .

وحينئذ فالاخبار عن النبوّات السابقة و الولايات الماضية ، و عن المؤمنين والكافرين السابقين كلّها يرجع إلى الاخبار عن أتباعهم ، الّذين هم بمنزلة أبعاضهم ورشحاتهم ، وعن أعدائهم ؛ لأنّ عدوّ الجزء والتابع عدوّ للكلّ والمتبوع ، ومنكر جزء النبوّة والولاية منكر للكلّ من حيث هو كلّ لانعدام الكلّ بانعدام جزئه ، ومنكر من كان آخذاً لميثاق النبوّة ، و داعياً إلى التصديق به ، منكر لذلك النبيّ ، وعدوّه و واحده من هذه الحيثيّة جاحد وعدوّ له ، و سائر النبوّات و الولايات بمنزلة أجزاء البيت ، و النبوّة والولاية المطلقة بمنزلة البيت التامّ . فمن انتسب إلى

١) آل عمران / ٨١ .

٢) الاخبار في هذا الموضوع كثيرة جداً ، حتى أنّ المجلسي (قده) عقد له باباً في البحار ، كتاب الامامة ، ص ٢٦٧ـ٣١٩ ، وأورد فيه روايات عن كتب كثيرة ؛ من أراد أن يطلع عليها فليراجع .

٣) راجع البحار ، كتاب المعاد ، باب اللواء ؛ وكتاب الامامة ، باب الخامس والثمانين في فضائل عليّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

بيت الابعاض بمعرفة وايمان ، أومحبّة ، أو متابعة وتسليم ، فقد انتسب إلى البيت بقدره ، ومن عاند وأنكر وجحد الابعاض ، أوصار عدوّاً لها ، فقد أنكر و عاند وجحد واعتدى على التامّ . هذا جملة ما سنح بالبال ، والله العالم بحقيقة الحال .

[في أنّ علياً ـ عليه السّلام ـ قسيم الجنّة و النّار]

و يؤيّد جملة ممّا ذكر ما عن الصدوق [رض] في علل الشرائع باسناده عن المفضّل بن عمر ، قال :

« قلت لأبي عبدالله : بما صار عليّ بن أبي طالب عليه السلام قسيم الجنّة والنار ؟

قال : لأنّ حبّه إيمان و بغضه كفر ، و إنّما خلقت الجنّة لاهل الايمان ، و خلقت النّار لأهل الكفر ، فهو عليه السلام قسيم الجنّة والنارلهذه العلّة،والجنّة لا يدخلها إلا أهل محبّته، والنار لا يدخلها إلا أهل بغضه .

قال المفضّل : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، فالانبياء والاوصياء هل كانوا يحبّونه وأعدائهم يبغضونه[١] ؟ فقال : نعم .

قلت : فكيف ذلك ؟

قال : أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال يوم خيبر : « لأعطينّ الرايةغداً رجلاً يحبّ الله و رسوله ، ويحبّه الله و رسوله ، ما يرجع حتى يفتح الله على يديه » ؟ قلت : بلى .

قال : أما علمت أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا أتي بالطائر المشوي قال : اللّهم ائتني بأحب خلقك إليك[٢] يأكل معي هذا

---

١) في العلل والبحار : « كانوا يبغضونه » .

٢) في بعض النسخ : « إليك وإليّ » .

الطير »، وعنى به علياً عليه السلام؟ قلت: بلى.

قال: يجوز أن لايحبّ أنبياء الله و رسله و أوصيائهم رجلاً يحبّه الله و رسوله، ويحبّ الله و رسوله؟ فقلت: لا.

قال: فهل يجوز أنّ يكون المؤمنون من أممهم لايحبّون حبيب الله وحبيب رسوله وأنبيائه؟ قلت: لا.

قال: فقد ثبت أنّ جميع أنبياء الله و رسله وجميع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب محبّين، و ثبت أنّ [أعداءهم و] المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبّته مبغضين. قلت: نعم.

قال: فلايدخل الجنّة إلاّ من أحبّه من الاوّلين والآخرين، فهو إذن قسيم الجنّة والنار.

قال المفضّل بن عمر: فقلت له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، فرّجت عنّي فرّج الله عنك، فزدني مما علّمك الله. فقال: سل يا مفضّل.

فقلت: أسأل يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعليّ بن أبي طالب عليه السلام يدخل محبّه الجنّة و مبغضه النار، أو رضوان و مالك؟

فقال: يا مفضّل، أما علمت أنّ الله تبارك وتعالى بعث رسوله وهو روح إلى الانبياء، وهم أرواح قبل خلق الخلق بألفي عام؟ قلت: بلى.

قال: أما علمت أنّه دعاهم إلى توحيد الله وطاعته واتّباع أمره، و وعدهم الجنّة على ذلك، و أوعد من خالف ما

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

أجابوا إليه وأنكره النار ؟ فقلت : بلى .

قال : أفليس النبي صلى الله عليه وآله ضامناً لما وعد و أوعد عن[1] ربّه عزّ وجل ؟ قلت : بلى .

قال : أوليس عليّ بن أبي طالب عليه السلام خليفته و إمام أمّته ؟ قلت : بلى.

قال : أوليس رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبّته ؟ قلت : بلى .

قال : فعليّ بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنّة و النار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، و رضوان و مالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى . يا مفضّل ، خذ هذا ، فانّه من مخزون العلم ومكنونه ، لاتخرجه إلا إلى أهله . »[2]

[في أنّ القرآن نزل بايّاك أعني ...]

هذا ، و عن الكافي أنّه روى عن عبدالله بن بكير ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

« نزل القرآن بايّاك أعني واسمعي يا جارة . »[3]

وهو مثل يضرب لمن يتكلّم بكلام ويريد به غير المخاطب[4] .

١) في المخطوطة : « لما وعدوا عن وعد ربه » .

٢) العلل ، ج ١ ، باب ١٣٠ ، ص ١٦١ ، ح ١ ؛ و البحار ، ج ٣٩ ، باب انه ـ عليه السلام ـ قسيم الجنّة والنار ، ص ١٩٤ ، ح ٥ .

٣) روى الكليني (ره) هذا الحديث في الكافي ، ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ؛ والعياشي (رض) في تفسيره ، ج ١ ، ص ١٠ ؛ و نقله الفيض (ره) في الصافي ، والبحراني (ره) في البرهان ، فراجع .

٤) قال الميداني في مجمع الامثال ، ج ١ ، ص ٥٠ : « أوّل من قال ذلك « سهل بن مالك الفزاري » ، و ذلك انّه خرج يريد النعمان ، فمرّ ببعض أحياء طيء ، فسأل عن ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« ما عاتب الله نبيّه فهو يعني به من قد مضى في القرآن ؛ مثل قوله : « و لو لا أن ثبّتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً » ، عنى بذلك غيره » [1] .

ولعلّ المراد من « قد مضى » ما أُسقط اسمه من القرآن ، أو مضى زمانه ، ويكون المجرور بـ « في » متعلّقاً بقوله « عاتب » ، أوخبراً مقدّماً مبتدأه قوله : « مثل قوله » . و يحتمل تعميم المثل السابق لـكلّ كلام ورد مختصّاً بمورد ،

سيد الحي ، فقيل له « حارثة بن لام » ، فأمّ رحله فلم يصبه شاهداً ، فقالت له أُخته : انزل في الرحب والسعة ، فنزل فأكرمته ولاطفته . ثم خرجت من خبائها فرأى أجمل أهل دهرها وأكملهم . وكانت عقيلة قومها و سيدة نسائها . فوقع في نفسه منها شيء ، فجعل لايدري كيف يرسل إليها و لا ما يوافقها من ذلك . فجلس بفناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا أُخت خير البدو والحضارة كيف ترين في فتى فزارة

أصبح يهوي حرة معطارة إياك أعني و اسمعي يا جارة

فلما سمعت قوله عرفت انه إيّاها يعني ، فقالت : ما ذا يقول ذي عقل اريب ولا رأي مصيب ولا أنف نجيب ؟ فأقم ما قمت مكرماً ، ثم ارتحل متى شئت مسلماً ، و يقال أجابته نظماً فقالت :

إنّي أقول يافتى فزارة لا أبتغي الزوج ولا الدعارة

ولا فراق أهل هذي الجارة فارحل إلى أهلك باستخارة

فاستحي الفتى وقال : ما أردت منكراً . واسوأتاه ! قالت : صدقت . فكأنها استحيت من تسرعها إلى تهمته . فارتحل . فأتى النعمان فحيّاه وأكرمه . فلمّا رجع نزل على أخيها ، فبينا هو مقيم عندهم تطلعت إليه نفسها وكان جميلاً . فأرسلت إليه أن اخطبني إن كان لك إليّ حاجة يوماً من الدهر ، فاني سريعة إلى ما تريد . فخطبها و تزوّجها و سار بها إلى قومه . يضرب لمن يتكلّم بكلام ويريد به شيئاً غيره . »

١) الآية : الاسراء / ٧٤ ؛ والحديث : راجع تعليقة ٣ من صفحة ٩٦ .

والمقصود بالافادة منه غير ذلك الفرد ، كالاخبار عن الامم الماضية الّتي خلت : ولا نسئل عمّا فعلوا ولا يسئلون عمّا نفعل ، لها ما كسبت و لنا ما كسبنا ، و لكنّها أمثال تجري نظائرها في هذه الامّة أشخاصاً و أفعالاً و مجازاة . فالكلام وارد في فرعون خاصّ ، والمقصود بيان حال غيره، إلى غير ذلك . و هذا التعميم أنسب من التخصيص الاوّل ، لأنّ التصرّف في المخاطب في أكثر المقامات متعذّر ظاهراً ؛ إذ المخاطب هو النبيّ و المؤمنون ، أو جميع الناس ، أو طائفة خاصّة . و من ذلك يظهر لك وجه آخر للأخبار المتقدّمة، فتدبّر فيه بالتأمّل .

وفيما قدّمناه يظهر وجه للجمع بين الإخبار المتقدّمة وما روي عن الكليني بسنده عن داود بن فرقد ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

« إنّ القرآن نزل أربعة أرباع : ربع حلال ، و ربع حرام،
و ربع سنن وأحكام، و ربع خبرما كان قبلكم ونبأ مايكون
بعدكم وفصل ما بينكم . »[1]

١) الكافي ، ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٢٧ ، ح ٣ ؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٢١ ، ح ٢ .

المقدّمة السّادسة

في نبذة ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء و بيان ذلك

فعن الكافي بسنده عن مرازم، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«إنّ الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء، حتّى والله ماترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لايستطيع عبد يقول: «لوكان هذا في القرآن» إلاوقد أنزله الله فيه.»[1]

وباسناده عن عمرو بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سمعته يقول:

«إنّ الله تعالى لم يدع شيئاً يحتاج إليه الامّة إلا أنزله في كتابه، وبيّنه لرسوله، و جعل لكلّ شيء حدّاً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه، و جعل على من تعدّى ذلك الحدّ حدّاً.»[2]

وباسناده عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبوعبد الله عليه السلام:

---

١) الكافي، ج ١، باب الردّ إلى الكتاب و السنّة، ص ٥٩، ح ١؛ و هكذا رواه البرقي (ره) في المحاسن، باب ٣٦ من كتاب مصابيح الظلم، ص ٢٦٧، ح ٣٥٢؛ والقمي (ره) في تفسيره، ج ٢، ص ٤٥١، بهذا الاسناد؛ وأيضاً في البحار والصافي.

٢) الكافي، ج ١ باب الردّ إلى الكتاب والسنة، ص ٥٩، ح ١؛ و هكذا رواه الصفار (قده) في البصائر، الجزء الاول، باب ٣، ص ٦، إلى قوله ــ عليه السلام ــ: «يدلّ عليه» بهذا الاسناد بطريقين عن «عبدالله بن جعفر» و«إبراهيم بن هاشم»؛ والعياشي (ره) في تفسيره، ج ١، ص ٦، ح ١٣؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي.

❊❊❊❊❊❊ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ❊❊❊❊❊❊

« ما من أمر يختلف فيه اثنان إلا وله أصل في كتاب الله ، ولكن لاتبلغه عقول الرجال . »[١]

وباسناده عن أبي الجارود قال : قال أبوجعفر عليه السلام :

« إذا حدّثتكم بشيء فاسئلوني أين هو في كتاب الله تعالى» ثمّ قال في بعض حديثه : إنّ[٢] رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال . فقيل له : يا ابن رسول الله ، أين هذا من كتاب الله ؟ قال : إنّ الله تعالى يقول : « **لاخير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أومعروف أو إصلاح بين الناس .** »[٣] وقال: «**لاتؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً .** »[٤] وقال : «**لاتسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم .** »[٥]

و بأسانيد متعدّدة ، عن الصادق عليه السلام في الرسالة الّتي كتبها لأصحابه بعد التحذير عن الاخذ في الدين بالهوى والرأي والمقائيس :

« ... قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كلّ شيء ، وجعل

---

١) الكافي ، ج ١ ، باب الردّ إلى الكتاب والسنة ، ص ٦٠ ، ح ٦ ؛ و رواه في المحاسن ، ج ١ ، باب ٣٦ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٦٧ ، ح ٣٥٥ ؛ و هكذا في الصافي والبحار .

٢) في المخطوطة : « ثم ان » .

٣) النساء /١١٤ .

٤) النساء /٥ .

٥) الآية : المائدة /١٠١ ؛ والحديث في الكافي ، ج ١ ، باب الردّ إلى الكتاب والسنة ، ص ٦٠ ، ح ٥ ؛ و أيضاً رواه البرقي (ره) في المحاسن ، ج ١ ، باب ٣٦ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٦٩ ، ح ٣٥٨ بهذا الاسناد ؛ و أورده الطبرسي (رض) في الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٥٥ ، مرسلاً عن أبي الجارود .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

للقرآن وتعلّم القرآن أهلاً ... » [١]

و عن الصفّار في بصائر الدرجات بسنده عن إبراهيم بن عمر ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إنّ في القرآن ما مضى و ما يحدث و ما هو كائن ، وكانت فيه أسماء الرجال فألقيت ، و إنّما الاسم الواحد في وجوه لاتحصى يعرف ذلك الوصاة . » [٢]

وعن العيّاشي ، عنه ما يقرب من ألفاظه [٣] .

و روى غيره عن موسى بن عقبة أنّ معاوية أمر الحسين عليه السلام أن يصعد المنبر فيخطب ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال :

« نحن حزب الله الغالبون ، وعترة نبيّه الأقربون ، و أحد الثقلين ، الّذين جعلنا رسول الله ثاني كتاب الله ؛ فيه تفصيل لكلّ شيء ، لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ،

---

١) قد تقدم في المقدمة الثانية ، انظر ص ٣٣ .

٢) البصائر ، باب ٧ من الجزء الرابع ، ص ١٩٥ ، ح ٦ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة السادسة ، ص ٢٥ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ١٥ ، ح ٧ . قال الفيض ـ نوّر الله مرقده ـ : « لعلّ المراد بـ « أسماء الرجال » الملقبة أعلامهم ، و بـ « الاسم الواحد » ما كنّي به تارة عنهم و تارة عن غيرهم من الالفاظ التي لها معانٍ متعددة ؛ و ذلك كـ « الذكر » فانّه قد يُراد به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وقد يراد به أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وقد يراد به القرآن ؛ وكـ « الشيطان » ، فانه قد يراد به الثاني ، وقد يراد به إبليس ، و قد يراد به غيرهما . أراد عليه السلام أن الرجال كانوا مذكورين في القرآن تارة بأعلامهم فأُلقيت ، و أُخرى بكنايات فأُلقيت ، فهم اليوم مذكورون بالكنايات بألفاظ لها معانٍ آخر يعرف ذلك الاوصياء » .

٣) العياشي ، ج ١ ، ص ١٢ ، ح ١٠ .

و المعوّل علينا في تفسيره لا تنتظنّى[1] تأويله ، بل نتّبع حقائقه . »[2]

أقول :

اعلم أنّ الحكيم هو الّذي يضع الاشياء مواضعه ، ويعطي كلّ ذي حقّ حقّه ، والجواد المطلق هو الّذي يعطي كلّ محتاج ما يحتاج إليه ، و الفيّاض المطلق من يعطي كلّ قابل ما له قابليّته واستعداده . ولمّا كان الممكن في نفسه و مرتبة ذاته معدوماً محضاً ، لا يتّصف بأمر أصلاً ، فحصول القابليّة والاحتياج و الاستحقاق وصيرورته ذا شأنيّة وصلاحيّة به يكون موضعاً واقعيّاً لأمر ما لا يكون في الممكن إلا باعطاء الحقّ إيّاه ذلك ، كما أنّه لا تمايز بين الاعدام حال العدم المطلق ، فالله سبحانه ينشأ ذات الممكن ، ويعطيه القابليّة و الاستحقاق و الشأنيّة والاحتياج ، ويهب له ما يقتضيه ذلك العطاء الاوّل ؛ فيخلق الحيوان ويعطيه الحاجة إلى الرزق ويرزقه ، وكل شيء موجود فهو بتقدير الله وقضائه وقدره ومشيّته وإمضائه ، والمتعلّقة بتلك الجزئيّات ، وتلك الجزئيّات واقعة تحت أنواع وأصناف هي مناط صيرورتها محالّ تلك الامور الالهيّة . فالانواع و قابليّاتها المصحّحة لتلك الامور و الامور المفروضة كلّها راجعة إليه ، و فعل كلّ أحد يرجع إلى صفاته ؛ لأنّها المبادئ للأفعال ، فاذا أعطى زيداً أحداً ومنع آخر مع استواء قدرته بالنسبة إلى كلّ منهما ، فيعلم كلّ أحد أنّ للمعطى خصوصيّة في قلب المعطي به صار سبباً لاعطائه ، و هو غير

---

١) في بعض نسخ الاحتجاج : « لا يبطينا » ، وفي بعض آخر : « لا يبطننا » .

٢) رواه الطبرسي (ره) في الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٢٢ ؛ و هكذا أورده الطبري (رض) في بشارة المصطفى ، عن هشام بن حسان عن الحسن بن عليّ ـ عليهما السلام ـ نحوه ؛ ونقله الحرّ العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٨ ، باب ١٣ من أبواب صفات القاضي ص ١٤٤ ، ح ٤٥ ، وقدمر في المقدمة الثانية ، ص ٤٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

موجود في الآخر من محبّة أوصداقة أوفقر أوغيرها .

وأنت إذا تدبّرت جميع أفعال الانسان وجدت لها مبادئ في نفسه ، لولم يكن تلك المبادئ لم يصدر عنها تلك الافعال الاختياريّة ، فاذا رأينا زيداً يصلّي أويدعو أويضرب أحداً أويقتله أويكرمه أوغير ذلك ، علم العاقل أنّ له إرادة متعلّقة بذلك، منبعثة عن صفة نفسانيّة اقتضت ذلك الاختيار. وكذا جميع موجودات العالم يرجع إلى تلك الامور المفروضة ، وهي إلى حقائق أسماء الله سبحانه ، الّتي تسمّى بها ، وصفاته الافعاليّة ، وهي إلى الصفات الذاتيّة ، الّتي هي عين الذات . ولكلّ شيء سبب مركّب من مقتض و شرط و معدّ وانتفاء مانع ، ولها أيضاً أسباب كذلك ، إلى أن ينتهي إلى مسبّب الاسباب . فمن عرف الله سبحانه بجميع أسمائه فقد عرف جميع المخلوقات لانتقال الذهن من الاسباب إلى المسبّبات ، و من عرف فرداً من أفراد كلّ عنوان بالعناوين الّتي باعتبارها صار معروضاً لأفعال الله سبحانه وأسمائه ، فقد عرف الاسماء والصفات بعد معرفة كيفيّة الارتباط ومناطه .

و القرآن مبيّن للأسماء والصّفات و الحوادث و كيفيّة الارتباط تصريحاً وتلويحاً ، ويشبه أن يكون ذكر كثير من أسماء الله سبحانه عقيب ذكر الحوادث تنبيهاً على مبدء تلك الحادثة ، وأن مصدرها هو ذلك الاسم والصفة . فالقرآن واف ببيان جميع الاشياء لمن يعرفه حق معرفته .

وقد سبق بعض البيان في ذلك ، وستعرف بعض ما يتّضح به ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ . وهذا ذكر إجمالي سنح بالبال ، فتدبّره فلعلّه يكون الحقّ في المقال، والله العالم بحقيقة الحال .

المقدّمة السابعة

في نبذة ممّا جاء في جمع القرآن
و تحريفه و زيادته و نقصه ، ومايتعلّق بذلك

فمن عليّ بن إبراهيم [قدّه] في تفسيره باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام : يا عليّ ، إنّ القرآن لخلفة فراشه [1] في الصمت [2] والحرير والقراطيس ، فخذوه و اجمعوه ، ولاتضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة . وانطلق عليّ عليه السلام فجمعه في جراب أصفر [3]، ثمّ ختم عليه في بيته وقال: لاأرتدي حتّى أجمعه ، قال :كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتّى جمعه . » [4]

وعن الكافي باسناده عن سالم بن أبي سلمة قال :

« قرأ رجل على [5] أبي عبدالله عليه السلام و أنا أستمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأها الناس ، فقال أبو عبدالله عليه السلام :

---

١) في بعض نسخ القمي : « خلف فراشي » .

٢) في بعض نسخ القمي : « الصحف » .

٣) في المخطوطة : « جواب أصفر » ، و في بعض النسخ : « ثوب أصفر » ،كما يأتي الاشارة اليه .

٤) القمي ، ج ٢ ، ص ٤٥١ ، عن أبي بكر الحضرمي ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج١ ، المقدمة السادسة ، ص ٢٤ ؛ والبحار ، ج ٩٢، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن ، ص ٤٨ ، ح ٧ .

٥) في المخطوطة : « عن » ، وكتب فوقه : « عند ـ ظ » .

كفّ عن هذه القراءة، إقرأ كما يقرأ الناس حتّى يقوم القائم ﷺ فاذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حدّه، و أخرج المصحف الّذي كتبه عليّ ﷺ.

وقال: أخرجه عليّ ﷺ إلى الناس حين فرغ منه و كتبه، فقال لهم: هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد ﷺ، و قد جمعته بين اللّوحين. فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن، لا حاجة لنا فيه. فقال: أما و الله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنّما كان عليّ أن أُخبركم حين جمعته لتقرؤه.»[1]

وباسناده عن البزنطي قال:

«دفع إليّ أبو الحسن ﷺ مصحفاً و قال: لا تنظر فيه؟ ففتحته و قرأت فيه: «لم يكن الذين كفروا ...»[2] فوجدت[3] فيها اسم سبعين رجلا من قريش و أسمائهم وأسماء آبائهم – إلى آخره.»[4]

---

١) الكافي، ج ٢، باب النوادر من كتاب فضل القرآن، ص ٦٣٣، ح ٢٣؛ و ايضاً رواه الصفار (ره) في البصائر، باب ٦ من الجزء الرابع، ص ١٩٣، ح ٣؛ وهكذا في الصافي والبرهان.

٢) البيّنة / ١.

٣) في المخطوطة: «فوجد»، وكتب عليه: «كذا».

٤) الكافي، ج ٢، باب النوادر من كتاب فضل القرآن، ص ٦٣١، ح ١٦؛ والصافي ج ١، المقدمة السادسة، ص ٢٥، وقد أورد الفيض (ره) في شرحه في ص ٣٣ منه، وفي الوافي، ج ١، باب اختلاف القراءات وعدد الآيات، ص ٢٣٧ كلاماً مفيداً جدّاً، من أراد فليراجع.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعن محمّد بن سليمان، عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«قلت له: جعلت فداك، إنّا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها، وما نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال: لا، إقرؤا كما تعلّمتم، فسيجيء من يعلّمكم.»[1]

وعن العيّاشي في تفسيره، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«لولا أنّه زيد في كتاب الله ونقص، ما خفي حقّنا على ذي حجى، ولو قد قام[2] قائمنا فنطق صدّقه القرآن.»[3]

وفيه عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«لو قرء القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمّين.»[4]

---

١) قوله عليه السلام: «من يعلمكم» يعني به: صاحب الزمان ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ. والحديث في الكافي، ج ٢، باب أن القرآن يرفع كما انزل، ص٦١٩ ح ٢؛ والصافي، ج ١، المقدمة السادسة، ص ٢٤.

٢) في المخطوطة: «قدم» بدل «قد قام».

٣ و٤) العياشي، ج ١، ص ١٣، ح ٦، عن ميسر، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ وح ٤، عن داود بن فرقد، عمّن أخبره، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ؛ والصافي، ج ١، المقدمة السادسة، ص ٢٥؛ والبرهان، ج ١، ص ٢٢. وهكذا نقل الحرّ العاملي(ره) هذين الحديثين وأحاديث أخر في إثبات الهداة، ج ٣، فصل ٣٨، ص ٤٣ وقال في ذيلها: «هذه الاحاديث و امثالها دالة على ان النص على الائمة ـ عليهم السلام ـ وكذا التصريح بأسمائهم، و قد تواترت الاخبار بأن القرآن نقص منه كثير و سقط منه آيات لما تكتب، وبعضهم يحمل تلك الاخبار على ان ما نقص وسقط كان تأويلا نزل مع التنزيل، وبعضهم على أنه وحي لا قرآن، و على كلّ حال فهو حجة في النصّ، و تلك الاخبار متواترة من طريق العامة والخاصة.»

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وفيه عنه[١] عليه السلام :

«إنّ القرآن قدطرح منه آي كثيرة، ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت به الكتبة وتوهّمها الرجال .»[٢]

و عن الطبرسي في الاحتجاج في جملة احتجاج أميرالمؤمنين عليه السلام على جماعة من المهاجرين والانصار أنّ طلحة قال له في جملة مسائله عنه :

« يا أبا الحسن ، شيء أريد أن أسألك عنه ، رأيتك خرجت بثوب مختوم فقلت: أيّها الناس، إنّي لم أزل مشتغلاً لرسول الله صلى الله عليه وآله بغسله[٣] و كفنه و دفنه ، ثمّ اشتغلت بكتاب الله حتّى جمعته ، فهذا كتاب الله عندي مجموعاً ؛ لم يسقط عنّي حرف واحد ، و لم أر ذلك الذي كتبت و ألّفت ، و قد رأيت عمر بعث إليك أن ابعث به إليّ ، فأبيت أن تفعل . فدعا عمر الناس ، فاذا شهد رجلان على آية كتبها ، وإن لم يشهدعليها غير رجل واحد أرجاها[٤] فلم يكتب ، فقال عمر وأنا أسمع: إنّه قدقتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤن قرآناً لايقرأه غيرهم

١) المراد من الضمير في قوله : « عنه » هو الباقر ــ عليه السلام ــ كما يظهر من العياشي والبرهان ، لا الصادق ــ عليه السلام ــ ، كما يوهمه عبارة المتن التي هي مأخوذة من الصافي أو مرآة الانوار .

٢) العياشي ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، ح ٧٣ . عن حبيب السجستاني ، عن أبي جعفر ــ عليه السلام ــ ؛ والصافي ، ج١ ، المقدمة السادسة . ص٢٥ ؛ والبرهان ، ج١ ، ص ٢٩٤ ، ح ٥ ؛ و مرآة الانوار ، المقدمة الثانية ، ص ٣٧ .

٣) في المخطوطة : «وغسله » .

٤) أي : « أخّرها » .

فقد ذهب. وجاء شاة إلى صحيفة وكتاب يكتبون فأكلتها، وذهب ما فيها، والكاتب يومئذ عثمان، وسمعت عمر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عثمان، يقولون: إنّ «الاحزاب» كانت تعدل سورة «البقرة»، وإنّ «النور» نيّف[1] ومائة آية، و«الحجر» تسعون ومائة آية، وما هذا؟ وما يمنعك ـ يرحمك الله ـ أن تخرج كتاب الله على الناس وقد عهد عثمان حين أخذ ما ألف عمر، فجمع له الكتاب، وحمل الناس على قرائة واحدة. فمزّق مصحف «أبيّ بن كعب» و«ابن مسعود» وأحرقهما[2] بالنار؟

فقال علي عليه السلام: يا طلحة، إنّ كلّ آية أنزلها الله عزّ وجلّ على محمد صلى الله عليه وآله عندي باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ [يدي][3] وتأويل كلّ آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وكلّ حلال وحرام أو حدّ أو حكم أو شيء يحتاج إليه الامّة إلى يوم القيامة مكتوب باملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ يدي، حتّى أرش[4] الخدش ـ وساق الكلام إلى أن قال: ـ

ثمّ قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عمّا سألتك عنه من أمر القرآن، ألا تُظهره للناس؟[5]

قال عليه السلام: يا طلحة، عمداً كففت عن جوابك، فأخبرني عمّا

---

١) في بعض نسخ الاحتجاج: «ستون».

٢) في المخطوطة: «أحرقها».

٣) سقط عن المخطوطة.

٤) الارش: الدية.

٥) في المخطوطة: «تظهر».

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح(ع) ******

كتب عمر وعثمان ، أقرآن كلّه أم فيه ما ليس بقرآن ؟ قال طلحة : بل قرآن كلّه .

قال : إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار و دخلتم الجنّة ؛ فانّ فيه حجّتنا و بيان حقّنا و فرض طاعتنا . قال طلحة : حسبي [أمّا] [1] إذا كان قرآناً ، فحسبي ـ إلى آخر الحديث . » [2]

وقال رحمه الله : وفي رواية أبي ذرّ الغفاري :

« لمّا توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع عليّ عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والانصار و عرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله . فلمّا فتحه أبوبكر خرج في أوّل صفحة فتحها فضائح القوم ، فوثب عمر ، فقال : يا عليّ ، اردده فلا حاجة لنا فيه . فأخذه عليّ عليه السلام وانصرف .

ثمّ أحضر « زيد بن ثابت » ـ و كان قارئاً للقرآن ـ فقال له عمر : إنّ عليّاً جاءنا بالقرآن و فيه فضائح المهاجرين والانصار ، وقد أردنا أن تؤلّف لنا القرآن وتسقط [3] منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والانصار .

فأجابه زيد إلى ذلك ، ثمّ قال : فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم و أظهر عليّ عليه السلام القرآن الذي ألّفه ، أليس قد بطل كلّ ما عملتم ؟

---

١) سقط في المخطوطة .

٢) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٥ ، عن سليم بن قيس الهلالي . والصافي ، ج ١ ، المقدّمة السادسة ، ص ٢٥ ـ ٢٦ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن ، ص ٤١ .

٣) في بعض نسخ الاحتجاج : « رأينا أن نؤلّف القرآن ونسقط » .

******* بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *******

ثمّ قال عمر : فما الحيلة ؟ قال زيد : أنتم أعلم بالحيلة .

فقال عمر : ما الحيلة دون أن نقتله و نستريح منه ؟ فدبّر في قتله على يد « خالد بن الوليد » ، فلم يقدر على ذلك ، وقد مضى شرح ذلك[1] .

فلمّا استخلف عمر سأل عليّاً عليه السلام أن يدفع إليهم القرآن فيخرجوه[2] فيما بينهم فقال : إن كنت جئت به إلى أبي بكر فأت به إلينا حتّى نجتمع عليه .

فقال عليّ عليه السلام : هيهات ! ليس إلى ذلك سبيل ، إنّما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم ، ولاتقولوا يوم القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : ما جئتنا به . إنّ القرآن الّذي عندي لايمسّه إلا المطهّرون والاوصياء من ولدي .

فقال عمر : فهل وقت لاظهاره معلوم ؟

قال عليّ عليه السلام : نعم ، إذا قام القائم [عجّل الله تعالى فرجه الشريف] من ولدي يظهره و يحمل الناس عليه . فتجري السنّة به. »[3]

[و] روي عنه عليه السلام في جملة احتجاجه على الزنديق الّذي جاء إليه مستدلاً بآي من القرآن متشابهة[4] يحتاج إلى التأويل أنّه قال عليه السلام :

١) قوله : « وقد مضى شرح ذلك » من كلام صاحب الاحتجاج (ره) .

٢) في المخطوطة والمآخذ : « يحرفوه » .

٣) الاحتجاج ، ج ١ ، ص ٢٢٥ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة السادسة ، ص ٢٧ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن ، ص ٤٢ ، ح ٢ .

٤) في المخطوطة : « متشابه » .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« و لم يكنْ عن أسماء الانبياء تجبّراً و تعزّزاً ، بل تعريفاً لأهل الاستبصار . إنّ الكناية عن أسماء ذوي الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست [1] من فعله تعالى ، وإنّها من فعل المغيّرين والمبدّلين [2] ، الّذين جعلوا القرآن عضين ، واعتاضوا الدنيا من الدين . وقد بيّن الله تعالى قصص المغيّرين بقوله : « الّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عندالله ليشتروا به ثمناً قليلاً » [3] ، وبقوله : « وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب » [4] ، و بقوله : « إذ يبيّتون ما لا يرضى من القول » [5] بعد فقد الرسول ما يقيمون به أود [6] باطلهم حسب ما فعلته اليهود والنصارى بعد فقد موسى

١) في المخطوطة : « الّتي ليست » .

٢) قال الفيض (ره) في توضيح هذه الفقرة في حاشية تفسيره : «قوله : «ان الكناية» مفعول للتعريف؛ أراد عليه السلام ان الله سبحانه صرّح في كتابه بأسماء المنافقين كما صرّح بأسماء الانبياء ، و إنما بدلها المبدلون ، و إنما لم يكن من أسماء الانبياء في مقام ذكر هفواتهم ، بل صرّح بها تجبراً وتعزّزاً لئلا يتخذوا من دونه آلهة . وليعرف أهل الاستبصار أنّ التكنية عن أسماء المنافقين ليست من فعله ، بل هو من فعل المغيّرين ، وذلك لعلمه بأنهم سيبدلونها ، ويبقى أسماء الانبياء مصرحاً بها بلفظه، «بل» ليست للإضراب بل للترقي . »

و قال أبوالحسن العاملي الاصفهاني في مرآة الانوار في شرحها : « ثم ان قوله : « بل تعريفاً » متعلّق بمجموع قوله « لم يكن » إلى وجه التصريح ، ليس التجبر ، بل تعريف أهل الاستبصار . هذا غاية توجيه العبارة المذكورة ، و يحتمل أيضاً سقوط شيء منها . »

٣) البقرة / ٧٩ .

٤) آل عمران / ٧٨ .

٥) النساء / ١٠٨ .

٦) الاود : الاعوجاج .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و عيسى من تغيير التوراة والانجيل ، و تحريف الكلم عن مواضعه ، وبقوله : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره . »[١] يعني : إنّهم أثبتوا في الكتاب ما لم يقله الله ليلبسوا على الخليقة ، فأعمى الله قلوبهم[٢] حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه وحرّفوه منه ، وبيّن عن إفكهم وتلبيسهم، وعن كتمان ما علموه منه ؛ ولذلك قال لهم : « لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتمون الحقّ ؟ »[٣] و ضرب مثلهم بقوله : « فأمّا الزّبد فيذهب جفاء و أمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض .»[٤] فأمّا « الزبد » في هذا الموضع كلام الملحدين ، الّذين أثبتوه في القرآن ، فهو يضمحلّ ويبطل ، و يتلاشى عند التحصيل : والّذي ينفع الناس منه فالتنزيل الحقيقيّ الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، والقلوب تقبله . و « الارض » في هذا الموضع هي محلّ العلم و قراره ، و ليس يسوغ[٥] مع عموم التقيّة التصريح بأسماء المبدّلين ، و لا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب لما في ذلك من تقوية حجج أهل التعطيل والكفر ، والملل المنحرفة عن قبلتنا ، وإبطال هذا العلم الظاهر الّذي قداستكان له الموافق والمخالف بوقوع الاصطلاح على الائتمار

١) التوبة / ٣٢ .
٢) في المخطوطة : « على قلوبهم » .
٣) آل عمران / ٧١ .
٤) الرعد / ١٧ .
٥) في المخطوطة : « سوغ » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ۰ ع ۰ ف ۰ ح ۰ ح (ع)*****

لهم والرضاء بهم، ولأنّ أهل الباطل في القديم والحديث أكثر عدداً من أهل الحقّ ، و لأنّ الصبر على ولاة الامر مفروض لقول الله عزّ وجلّ لنبيّه : « فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرّسل » [١]، وايجابه مثل ذلك على أوليائه وأهل طاعته بقوله: « لقدكان لكم في رسول الله أسوة حسنة » [٢]_ إلى آخره . » [٣]

مشتملاً على مواضع أخر تدلّ على التغيير :

منها : التصريح بتغيير الكتاب و إسقاط ما فيه من فضل ذوي الفضل و كفر ذوي الكفر منه .

ومنها : التصريح بأنّهم تركوا منه ما قد رأوا أنّه لهم وهو عليهم، و زادوا فيه ما ظهر تناكره و تنافره ، وعلم الله أنّ ذلك يظهر ويبيّن، فقال : « ذلك مبلغهم من العلم » [٤] ، و انكشف لأهل الاستبصار عوارهم و افترائهم ، الّذي بدا في الكتاب من الازراء على النبيّ من فرية الملحدين ؛ ولذلك قال : « يقولون منكراً من القول و زوراً . » [٥]

و منها : التصريح بأنّه إسقاط المنافقين بين القسط في اليتامى ، و بين نكاح النساء في قوله تعالى : «فان خفتم الّاتقسطوا في اليتامى فانكحوا ماطاب لكم من النّساء» [٦]

---

١) الاحقاف / ٣٥ .

٢) الاحزاب / ٢١ .

٣) الاحتجاج ، ج ١ ، ٣٧٠ ـ ٣٧١ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدّمة السادسة ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، باب ما جاء في كيفية جمع القرآن ، ص ٤٣ ، ح ٣ ؛ ومرآة الانوار ، المقدمة الثانية ، ص ٤٣ ـ ٤٦ .

٤) النجم / ٣٠ .

٥) المجادلة / ٢ .

٦) النساء / ٣ .

من الخطاب والقصص أكثر من ثلث القرآن ، إلى غير ذلك .

والاحاديث الظاهرة في تغيير القرآن وتبديله ، والتقديم والتأخير ، و الزيادة والنقيصة، وغير ذلك كثيرة، حتّى نقل بعض العارفين المحدّثين عن السّيد نعمة الله الجزائري أنّه ذكر في الرسالة الصلاتيّة :

«أنّ الاخبار الدالّة على ذلك تزيد على ألفي حديث . »[1]

و ذكر أنّه لم يقف على حديث واحد يشعر بخلاف ذلك ، وقال :

« القرآن الموجود الآن ستّة آلاف آية ، و ستّمائة وستّ وستّون آية تقريباً . »

و في صحيحة « هشام بن سالم الجواليقي » : « أنّ القرآن الذى نزل على محمّد ﷺ سبعة عشر ألف آية . »[2]

وفي رواية: « ثمانية عشر ألف آية . »[3]

ونقل عن سعد بن إبراهيم الاردبيلي من علماء العامّة في كتاب « الاربعين » أنّه روى باسناده إلى المقداد بن الاسود الكندي ، قال :

« كنت مع رسول الله ﷺ [و هو][4] متعلّق بأستار الكعبة ويقول : اللّهمّ أعضدني ، واشدد أزري ، و اشرح صدري ، و

---

١) مراده من الرسالة الصلاتية هي: رسالة «هدية المؤمنين وتحفة الراغبين». الموضوعة في بيان أحكام الصلاة ، فراجعها . ص ١٢١ (المخطوط) .

٢) رواه الكليني (ره) في الكافي . ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٣٤ ، ح ٢٨ ، عنه ، عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ .

٣) نقله المولى محمد صالح المازندراني (ره) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي (ره) في شرحه على الكافي ، ذيل آخر حديث من كتاب فضل القرآن ، فراجع .

٤) سقط عن المخطوطة .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ارفع ذكري : فنزل جبرئيل عليه السلام و قال : اقرأ : « الم نشرح لك صدرك * و وضعنا عنك وزرك * الّذي أنقض ظهرك * و رفعنا لك ذكرك [١] بعليّ صهرك .» فقرأ النبي صلى الله عليه وآله على ابن مسعود ، فألحقها في تأليفه [٢] ، وأسقطها عثمان . » [٣]

[اختلاف العلماء في التّحريف]

وقد اختلف أنظار علمائنا ـ رحمهم الله تعالى ـ في ذلك؛ فقال عليّ بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ أستاد الكليني (ره) في أوّل تفسيره :

« فالقرآن [منه] ناسخ، ومنه منسوخ، ومنه محكم ، ومنه متشابه، ومنه خاصّ ، ومنه عامّ ، ومنه تقديم، ومنه تأخير، ومنه منقطع، ومنه معطوف ، ومنه حرف مكان حرف، ومنه محرّف [٤]، ومنه على خلاف ما أنزل الله عزّ وجلّ ، ومنه [ما] لفظه عامّ و معناه خاصّ ،ومنه [ما]لفظه خاصّ ومعناه عامّ ، ومنه آيات بعضها في سورة و تمامها في سورة أُخرى ـ ثمّ ذكر أنواعاً كثيرة وقال في آخرها : ـ ونحن ذاكرون جميع ما ذكرناه آية آية في أوّل الكتاب مع خبرها ليستدل بها على غيرها ، ويعرف بها علم ما في الكتاب ـ إلى أن قال: ـ وأمّا التقديم والتأخير ، فانّ آية « عدّة النساء » الناسخة تقدّمت على المنسوخة ؛ لأنّ في التأليف قد قدّمت آية «عدّة

---

١) الانشراح ١/ ـ ٤ .

٢) في الاربعين : « مصحفه » .

٣) تراه في الاربعين (المخطوط) ، الحديث التاسع والثلاثون .

٤) هذه الفقرة ليست في بعض النسخ .

النساء أربعة أشهر وعشراً »[1] على آية « عدّة سنة »[2] . وكان يجب أوّلاً أن تقرأ المنسوخة الّتي نزلت قبل ، ثمّ الناسخة الّتي نزلت بعد.

وقوله : « أفمن كان على بيّنة من ربّه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً و رحمة . »[3] فقال الصادق عليه السلام : إنّما أنزل : « أفمن كان على بيّنة من ربه و يتلوه شاهد منه إماماً و رحمة ومن قبله كتاب موسى . »

وقوله : « و قالوا ما هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا . »[4] و إنّما هو : « نحيا و نموت » : لأنّ الدهريّة[د] لم يقرّوا بالبعث بعد الموت ، و إنّما قالوا : « نحيا و نموت » فقدّموا

---

١) البقرة / ٢٣٤ ، و هي : « والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً . »

٢) البقرة / ٢٤٠ . وهي : « والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج . » ونظير قوله (ره) ما قال الفيض (ره) في الصافي . ج ١ ، المقدمة السادسة . ص ٣٣ ، وهو : « الآيتان متقاربتان في سورة البقرة . و أما الناسخة المتقدمة . ففي قوله تعالى : والّذين يتوفّون منكم و يذرون أزواجاً يتربّصن بأنفسهنّ أربعة أشهر وعشراً . وأما المنسوخة المتأخّرة ، ففي قوله تعالى : والّذين يتوفّون منكم ويذرون أزواجاً وصيّة لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج . »

٣) هود / ١٧ .

٤) الجاثية / ٢٤ .

د) الدهريون هم القائلون أن العالم موجود أزلاً و أبداً لاصانع له ، و هم فرقة من الكفار ملحدون ، كما في هامش فرق الشيعة . ص ٤٦ . و قال الطريحي (ره) في مجمع البحرين : « الدهرية قوم يقولون : لاربّ ولاجنّة ولانار ، و يقولون ، ما يهلكنا إلا الدهر ، وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبّت . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

حرفاً على حرف .

وقوله: « يا مريم اقنتي لربّك واسجدي واركعي . »[١] وإنّما هو: « اركعي واسجدي » .

وقوله : « لعلّك باخع[٢] نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . »[٣] وإنّما هو: «فلعلّك باخع نفسك على آثارهم أسفاً إن لم يؤمنوا بهذا الحديث . » و مثله كثير ـ إلى أن قال : ـ

وأمّا ما هو كان على خلاف ما أنزل الله ، فهو قوله : « كنتم خير أمّة أُخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . »[٤] فقال أبوعبدالله عليه السلام لقاري هذه الآية[٥]: « خير امّة يقتلون[٦] أمير المؤمنين والحسن والحسين ابنا علي عليهم السلام ؟ فقيل له : كيف انزلت يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال : إنّما انزلت : « كنتم خير أئمة اخرجت للناس» ؛ ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية : «تأمرون بالمعروف و تنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ؟

ومثله آية قرئ على أبي عبدالله عليه السلام : « الذين يقولون ربّنا

---

١) آل عمران / ٤٣ .

٢) في المصباح : « بخع نفسه بخعاً ، قتلها من وجد أو غيظ . »

٣) الكهف / ٦ .

٤) آل عمران / ١١٠ .

٥) في المخطوطة : « القرائة » .

٦) في المخطوطة : « تقتل » .

☼☼☼☼☼☼ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ☼☼☼☼☼☼
هب لنا من ازواجنا و ذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما .»[1]

فقال أبوعبدالله عليه السلام :

«لقد سألوا الله عظيماً أن يجعلهم للمتقين إماماً».

فقيل له : يا بن رسول الله ، كيف نزلت ؟

فقال :«إنّما نزلت : واجعل لنا من المتقين» .

و قوله : « له معقبات من بين يديه و من خلفه يحفظونه من أمر الله . »[2] فقال أبوعبدالله عليه السلام :

«كيف يحفظ الشيء من أمر الله ؟ و كيف يكون المعقب من بين يديه ؟»فقيل له : و كيف ذلك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله ؟

فقال عليه السلام :«إنّما انزلت : له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله . »

ومثله كثير ـ ثمّ قال : ـ

وأمّا ما هو محذوف منه ، فهو قوله : «لكنّ الله يشهد بما أنزل إليك في عليّ عليه السلام ـ كذا نزلت ـ انزله بعلمه و الملائكة يشهدون »[3] .

وقوله : « يا أيها الرّسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربّك في عليّ عليه السلام فإن لم تفعل فما بلّغت رسالته . »[4]

وقوله : « إنّ الّذين كفروا و ظلموا آل محمّد حقّهم لم يكن الله

---

١) الفرقان / ٧٤ .
٢) الرعد / ١١ .
٣) النساء / ١٦٦ .
٤) المائدة / ٦٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ليغفر لهم .»[1]

و قوله : « وسيعلم الّذين ظلموا آل محمد حقهم أيّ منقلب ينقلبون .»[2]

وقوله : « ولو ترى الّذين ظلموا آل محمد حقهم في غمرات الموت .»[3]

ومثله كثير لذكره في مواضعه ـ إلى أن قال : ـ

و أما الايات التي هي في سورة و تمامها في سورة أُخرى ، فقوله في سورة « البقرة » في قصّة بني إسرائيل حين عبر بهم موسى البحر ، و غرق الله فرعون و أصحابه ، و نزل موسى ببني إسرائيل وأنزل الله عليهم المنّ والسلوى ، فقالوا لموسى: « لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربّك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها و قثائها و فومها و عدسها و بصلها قال لهم موسى أتستبدلون الّذي هو ادنى بالّذى هو خير اهبطوا مصراً فانّ لكم ما سألتم .»[4] فقالوا له : « يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين و إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنّا داخلون .»[5] فنصف الآية في سورة « البقرة » ونصفها في سورة « المائدة ».

---

١) النساء /١٦٨ .

٢) الشعراء /٢٢٧ .

٣) الانعام /٩٣ ، و هي في المصحف هكذا : « ولو ترى إذ الظّالمون في غمرات الموت .»

٤) البقرة /٦١ .

٥) المائده/٢٢ .

وقوله : « اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا»[1] فردّ الله عليهم:

« وما كنت تتلو من قبله من كتاب و لا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون .»[2]

فنصف الآية في سورة « الفرقان » و نصفها في سورة « العنكبوت » .

ومثله كثير ، نذكره في مواضعه ـ إن شاء الله تعالى ـ . »[3]

انتهى .

والظاهر من حاله أنّ ماذكره جميعاً مأخوذ من أحاديثهم عليهم السلام .

و استظهر من الكليني اعتقاد التحريف والنقصان في القرآن من جهة روايته روايات في هذا المعنى من دون تعرّض لقدح فيها في الكافي ، مع ذكره في أوّله أنّه كان يثق بما رواه فيه .

و كذلك الطبرسي في كتاب « الاحتجاج» .

ونسب إلى أكثر الاخباريّين أنّه وقع فيه التحريف و الزيادة و النقصان[4] ،

---

١) الفرقان /٥ .

٢) العنكبوت / ٤٨ .

٣) القمي ، ج ١، المقدمة ، ص ٥ ـ ١٢ .

٤) كالسيد نعمة الله الجزائري (ره) . وقد أورد في رسالته الموسومة بـ « منبع الحياة في حجية قول المجتهدين من الاموات » (المخطوط) أدلّة لإثباته و قال : « انّ الاخبار المستفيضة بل المتواترة قد دلّت على وقوع الزيادة والنقصان والتحريف في القرآن ؛ منها : ما روي عن مولانا أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لمّا سئل عن التناسب بين الجملتين في قوله تعالى . « وإن خفتم الّا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع» ، فقال : « والله لقد سقط بينهما أكثر من ثلث القرآن . » ومنها : ما روي عن ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ومال إليه جماعة من الاصوليّين ؛ كالمحقق القمّي (ره) في ظاهر كلماته [١] .

الصادق ـ عليه السلام ـ في قوله تعالى : «كنتم خير امة » قال : « كيف يكون هذه الامة خير أُمة وقد قتلوا ابن بنت رسول الله ؟ ليس هكذا نزلت، وإنما نزلت : «كنتم خير ائمة» ؛ يعني : الائمة من أهل البيت ـ عليهم السلام . ومنها : ما روي من الاخبار المستفيضة في أن آية الغدير هكذا نزلت : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك في عليّ فإن لم تفعل فما بلّغت رسالته .

إلى غير ذلك مما لو جمع لصار كتاباً كثير الحجم . »

وذكر في رسالة « هدية المؤمنين وتحفة الراغبين » (المخطوط) : « هذا ليس بأول قارورة كسرت في الاسلام لما استفاض في أخبارنا من أن القرآن نزل أربعة أرباع ، ربع في مدح عليّ و أهل بيته ـ عليهم السلام ـ ، و حذفوه بأجمعه ، و حرّفوا القرآن والعمل تحريفاً بيناً ، و لكنّا أُمرنا في هذه الاعصار بقرائة هذا القرآن والعمل بأحكامه ، حتى تظهر دولتهم ـ عليهم السلام ـ ، و يظهر القرآن الذي جمعه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ و هو الآن مخزون مع سائر الكتب السماوية والمواريث النبوية عند الصاحب عليه السلام. والعجب من الصدوق والمرتضى والطبرسي ـ رضوان الله عليهم ـ كيف قالوا: إنّ ما بين دفّتي المصحف هو المنزل من غير حذف و تبديل ، مع أن الاخبار الواردة في هذا الباب تزيد على ألفي حديث ما بين صحيح و حسن و موثّق و معتبر . لكنّ الغارة إذا وقعت اشترك فيها الغريب والصديق ! »

ومال إليه أيضاً جماعة من العلماء في تصانيفهم ؛

كالفيض (ره) في الصافي وغيره ؛

و الحرّ العاملي (رض) في إثبات الهداة حيث قال ماتقدم في تعليقة ٣ ، ص ١٠٦ ؛

والعاملي الاصفهاني (ره) في مرآة الانوار ، المقدمة الثانية ، فراجع .

١) وجه الاستظهار من قول المحقق القمي حيث أورد أدلة المثبتين للتحريف وقوّاها وأورد أدلة النافين له وضعّفها ، و اختار في آخر كلامه وقوعه لافي الاحكام . فراجع كلامه في القوانين ، قانون حجية الكتاب ، ص ٣٨٥ ـ ٣٩٠ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعن السيّد المرتضى[١] و الصدوق[٢] والشيخ الطوسي في «التبيان»[٣] والطبرسي[٤] وجمهور المجتهدين عدمه . و نقل الشيخ و الطبرسي الاجماع على نفي الزيادة[٥] . و ادّعى بعض المتأخّرين إجماع المسلمين عليه ، قال :

« و حملوا أحاديث الزيادة على زيادة بعض الحروف في بعض القرائة ؛ مثل : ملك ومالك ، ومثل : مسكنهم ومساكنهم.»

---

١) ذكر رحمه الله في جواب المسائل الطرابلسيات على ما نقله الطبرسي (ره) في مجمع البيان ، ج ١ ، الفن الخامس ، ص ١٥ : «انّ العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام، والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة. فان العناية اشتدت والدواعي توفّرت على نقله و حراسته ، و بلغت إلى حدّ لم يبلغه فيما ذكرناه ؛ لأن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية ، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقرائته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد ؟ »

٢) قال رحمه الله : «اعتقادنا ان القرآن الذي أنزله الله على نبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ هو ما بين الدفّتين ، و ما في أيدي الناس ، ليس بأكثر من ذلك ـ الى ان قال : ـ ومن نسب إلينا انا نقول انه أكثر من ذلك فهو كاذب .» راجع الاعتقادات ، الباب الثالث والثلاثون .

٣) التبيان ، ج ١ ، المقدمة ، ص ٣ . قال : « وأما الكلام في زدياته ونقصانه ، فممّا لايليق به أيضاً ؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها ، والنقصان منه فالظاهر أيضاً من مذهب المسلمين خلافه ، وهو الاليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى (ره)، وهو الظاهر في الروايات ، غير أنه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آي القرآن ، ونقل شيء منه من موضع إلى موضع ، طريقها الآحاد التي لاتوجب علماً ولا عملاً، والاولى الاعراض عنها ، وترك التشاغل بها ، لأنه يمكن تأويلها ، ولو صحّت لما كان ذلك طعناً على ما هو موجود بين الدفتين ، فانّ ذلك معلوم صحّته ، لا يعترضه أحد من الامة ولايدفعه . »

٤) مجمع البيان ، ج١ ، المقدمة ، الفن الخامس ،ص١٥ . وكلامه فيه هو: «فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه ، وأما النقصان منه ، فقد روى جماعة من أصحابنا و قوم من حشوية العامة انّ في القرآن تغيراً ونقصاناً ، والصحيح من مذهبنا خلافه . »

٥) راجع التعليقتين السابقتين .

[معنى التحريف والزيادة]

واستظهر من الزيادة أن يكون هي الحاصلة من التقديم و التأخير؛ كما في قوله : « أفمن كان على بينة من ربه - الخ » على ما مرّ. فكان الكلام المؤخر زائداً في المكان الثاني ناقصاً من الاوّل، والكلام المقدّم زائداً في المكان الاوّل ناقصاً من المكان الثاني .

ويمكن حمله على التحريف ، فانّ المكتوب عوض ما كان زيادة ، و إسقاط ما كان نقيصة ؛ كتبديل « من » بـ « الباء » في « من أمر الله » ، و « من » بـ « اللام » في « للمتّقين » كما سبق .

و ربّما يعبّر عن التحريف بالزيادة و النقصان في العرف ، كما يظهر من ملاحظة ترجمتهما بالفارسيّة ، كما يسمّى تبديلاً و تحريفاً ؛ و قد ورد في جواب الصحابة لنبيّهم ﷺ على الحوض إذا سألهم : « كيف خلفتموني في الثقلين من بعدي ؟ » أنّهم يقولون :

« أمّا الاكبر فحرّفناه وبدّلناه ـ الخ . »[1]

ويدلّ على نفي الزيادة بالوجوه الآخر كزيادة آية ، أو جملة ، أو كلام ، مضافاً إلى الاجماع المتقدّم ما حكيناه سابقاً عن العيّاشي أنّه : « لم يزد فيه إلا حروفاً

١) أورده محمد بن بحر الرهني من علماء العامة في الجزء الثاني من كتاب مقدمات علم القرآن ؛ ونقله الجزائري (رض) في منبع الحياة (المخطوط) ؛ والمحقق القمي (ره) في القوانين قانون حجية الكتاب ، ص ٣٨٩، نقلاً عنه . وهذا المعنى قد ورد في روايات كثيرة ؛ كرواية علي بن إبراهيم (ره) عن أبي ذر (رض) ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في قوله تعالى : « يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه » ؛ قال صلّى الله عليه و آله : « يرد على أمتي يوم القيامة على خمس رايات ، فراية مع عجل هذه الامة ، فأسألهم : ما فعلتم بالثقلين من بعدي ؟ فيقولون : أما الاكبر ، فحرّفناه ونبذناه وراء ظهورنا ـ الخ . » فراجع القمي ، ج ١ ، ص ١٠٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أخطأت به الكتبة »[١] ، وما سبق من مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة[٢] حيث ذكر « أن الموجود قرآن كلّه » ولم ينكره عليه السلام ، بل ربّما سيظهر من قول طلحة بعد ذلك : « حسبي إذا كان قرآناً » أنّه فهم تقريره عليه السلام لذلك وغير ذلك ، وما ذكره السيّد المرتضى ـ رحمه الله تعالى ـ من أنّ :

« العلم بتفصيل القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة :ككتاب «سيبويه» و «المزني» . فانّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها ، حتّى لو أنّ مدخلاً أدخل في كتاب «سيبويه» باباً في النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز ، وعلم أنّه ملحق و ليس من أصل الكتاب ، و كذلك القول في كتاب « المزني» . ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن و ضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه و دواوين الشعراء . »[٣]

وأيضاً فانّ كثيراً من وجوه إعجاز القرآن تأبى عن زيادة آية أو كلام يشبهه، و من نظر في آيات القرآن نظر تدبّر و استبصار ، فربّما لاح له أنّه لم يدخل فيه كلام آخر ؛ إذ لو كان لخرج عن أسلوبه ومشاكلته ، وصار كحبّة شعير في صاع من حنطة بخلاف التحريف اليسير لبقاء الاسلوب والتركيب و غيرهما . أما سمعت بعض ما وضعه المبطلون في مقابل آيات القرآن ؟ هل يشابهه ، أو يمكن خفاء مغايرته له ومباينته معه على بصير ؟

١) قد تقدم في هذه المقدمة ، فراجع ص ١٠٧ .

٢) قد تقدم في هذه المقدمة ، فراجع ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

٣) راجع المصدر المذكور في تعليقة ١ ص ١٢٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وهذا عمدة جهات الفرق بين الزيادة وغيرها من وجوه التصرّف وبين القرآن المجيد و سائر الكتب المنزلة على ماهو الظاهر من شأنها . فان القرآن المجيد نزل معجزاً بألفاظه و معانيه ، بحيث يعجز الخلق عن الاتيان بآية مثله في أنظار الالباب ، بحيث يرونه مماثلاً له ؛ مضافاً إلى ان التحريف على تقدير وقوعه إنّما هو من فعل رؤساء المنافقين و أتباعهم ، ولو كان بنائهم على الزيادة لزادوا فيه ما يشيّد به أركان باطلهم ، ويهدم به الحقّ . فلمّا لاحظنا آيات القرآن لم نجد شيئاً منه يؤسّس شيئاً من باطلهم، ولا يدلّ على شيء من أضاليلهم الّتي كانوا ساعين في إقامتها، ولا مقيماً سوق رياستهم .

وما يترائى منه في بادئ النظر أمر لايوافق الاصول الصحيحة ، فبعدتدقيق النظر فيه و استعمال العقل المبرّء عن وساوس الشيطان في فهمه يظهر خلافه ، وأنّه « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم عليم » . على أنّه لو أُدخل في القرآن ما ليس منه ،لكان ذلك أولى ببيان المعصومين ﷺ إيّاه من النقيصة الّتي وردت بها الاخبار الكثيرة . ولم أظفر إلى الآن بخبر واحد يدلّ على زيادة آية واحدة بخصوصها ، سوى ما يترائى من رواية الاحتجاج الاخيرة مع معارضتها في مورده بغيره ظاهراً ، و عدم موافقة العقل لهذا المعنى المترائى منه ؛ إذ الآيات المذكورة لها معان صحيحة بحكم العقل بصحّتها من دون أن يلزم منه انتقاص بالنبيّ ﷺ على طبق ماورد بعضها في كلامهم ، بل في الرواية المذكورة إشكال آخر ، وهو أنّه كيف يخاطب الزنديق بمافيه لغوية حجج أهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة عن ملّتنا على ما صرّح به فيه ؛ إذ لانجد فرقاً بين التصريح بزيادة آيات مخصوصة و بين بيانه إجمالا ؛ بل الثاني أضرّ بالعقائد ؛ إذ يسرى به الشكّ إلى جميع ما في القرآن ، مع أنّ المترائى من ذيلها بيان بعضها . على أنّي لم أجد ألفاظ الخبر وكيفيّة بيانه على أُسلوب سائر أحاديثهم ، لكنّي لاأردّه ولا أنكره مع ذلك كلّه

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بل أكل علمه إليهم ، وأصدّق بما أريد به واقعاً لوكان صادراً عنهم عليهم السلام ، و نردّ ذلك إليهم ، واحتمل فيه أن يكون الحديث منقولا بالمعنى بزيادة ونقيصة . و مع هذا كلّه فهو خبر واحد ضعيف الاسناد ظاهراً، غير صريح في أمر زائد على التحريف بالمعنى المتقدّم .

[معنى التّحريف والنّقيصة]

وأمّا التحريف والنقيصة، فمع ورودها في الروايات الكثيرة من جهة العامّة والخاصّة كما اعترف به الشيخ في تبيانه [١] ، وعدم ظهور معارض لها ، لا أجد نافياً لها ، مثبتاً لعدمها ، و مجرّد الشهرة المنقولة على النفي لا يصلح للاعتماد عليه ، خصوصاً في مثل المقام الّذي ليس من المسائل الفرعيّة بنفسه ؛ مع أنّه نقل وجود المخالف في كل آن من زمن الائمة عليهم السلام إلى هذا الآن، وإن اختلفت الشهرة باختلاف الازمنة ، ولم يظهر لي أمر ينافي صحّة هذا النقل .

[نقد أدلّة النّافين للتّحريف]

وأمّا ما يذكر دليلاً للنافين ، فهي وجوه ضعيفة ؛ كقوله : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » [٢] .

وفيه أنّ سقوط البعض عن النسخ الشائعة أو تحريفه ليس مبطلاً للقرآن الواقعيّ ، خصوصاً بعد حفظه عند أهله، إذ ليس إبطال الكلام إلا بما يجعله باطلاً مخالفاً للواقع ، و يكون حجّة على ذلك ، أو رافعاً له ، أو اشتماله على الباطل في الاخبار عن الماضي أو المستقبل أو الحال . وهل يصحّ أن يقول أحد ـ العياذ بالله ـ بطل كلام النبيّ صلى الله عليه وآله والائمّة عليهم السلام و أبطله الراوون إذ غيّروا كلامهم بزيادة ونقيصة أو أتاه الباطل ؟

١) قد مرّ آنفاً ،فراجع تعليقة ٣ ص ١٢٢

٢) فصّلت /٤٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وكقوله : « انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون »[١] .

وفيه أنّه إن حمل على غير حفظ الحروف في المصاحف والقلوب فلا ربط له بالمقام و إن حمل عليه ، فان أُريد حفظه في الجميع لزم انتفاء الغلط في المصاحف الموجودة بين الناس ، و عدم ضياع المصاحف و بقائها على حالها أبدالدهر ، و عدم سهو أحد في حفظه ، و عدم نسيانه له ، والمشاهد المحسوس كثرة خلاف ذلك ؛ إذ قلّما يوجد مصحف صحيح تامّ لا غلط فيه ، و لا لها بقاء أزيد من سائر الكتب ، و يرد عليه المحو والاندراس و كثرة غلط حفظة السور والقرآن و نسيانهم إيّاه . وإن أُريد حفظه في الجملة بأن يكون باقياً ولو في بعض ، فيكفي فيه كونه محفوظاً عند أهله ، على أنّ الحفظ غير موقّت بالابد ، فيمكن كونه محفوظاً إلى زمان وقوع التحريف ؛ مع أنّه لم يصرّح فيه بالحفظ عن كلّ تحريف وتبديل ، فيمكن بقاء الاكثر محفوظاً عند الناس و وقوع التصرّف في القليل ، فلايضرّ في صدق الاسم عرفاً مضافاً إلى احتمال إرادة العلم من الحفظ ، كما احتمله المحقّق القمي[٢] .

و كدعوى أنّ : « القول بجواز التبديل فتح لباب الكلام على إعجاز القرآن » .

وفيه ما أشرنا إليه من ذلك في الزيادة بالمعنى المتقدّم . و لا يلزم من غيره خصوصاً النقيصة .

---

١) الحجر / ٩ .

٢) قال رحمه الله في بحثه عن التحريف : « و أما الدليل على الثاني ، فقوله . . . وقوله تعالى : « **انّا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون .** » وفيه انه لايدلّ على عدم التغيير في القرآن الذي بأيدينا ، فيكفي كونه محفوظاً عند الائمة ــ عليهم السلام ــ في حفظ أصل القرآن في مصداق الآية . و لا ريب أنّ ما في أيدينا أيضاً محفوظ من أن يتطرق إليه نقص آخر أو زيادة ، مع احتمال أن يراد من قوله تعالى « لحافظون » : لعالمون . » راجع القوانين ، الباب السادس ، ص ٣٨٩ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وكدعوى أنّ ذلك منافٍ للأخبار الدالّة على التمسّك بالكتاب؛ كخبر «الثقلين»[1]، وروايات عرض الاخبار عليه والاخذ بما وافقه[2] باعتبار دلالتها على بقاء الكتاب في كلّ وقت؛ إذ لامعنى للأمر بالتمسّك بما لايوجد عندنا، كما أنّ الامام موجود في كلّ عصر، أو باعتبار استظهار إرادة الكتاب الموجود عندنا في كثير منها؛ مع أنّه على تقدير التحريف لا يجوز التمسّك بها؛ إذ ليس المحرّف كلام الله حتى يكون دليلاً، بل كلام مخلوق منافق أو فاسق أو نحوهما.

وفيه أنّه يكفي بقائه واقعاً كبقاء المعصوم، فيكون لكلا الثقلين حالان: غيبة لا تتمكّن من الوصول إليه، و ظهور و حضور يتمكّن الناس من الاخذ به تفصيلاً، على أنّ قيد التمكّن معتبر في الاوامر، فالمأمور به هو المقدار المقدور من التمسّك بالكتاب، أو عرض الخبر عليه، أو الاخذ به، فيصحّ أن يكون في البعض غير مقدور؛ كالمتشابهات، و لو حمل بالنسبة إليها على التمسّك الاجمالي جرى فيما نحن فيه أيضاً؛ مع أنّ أكثر آيات الكتاب الوارد في الاحكام غير وافية بنفسها بالتفاصيل في أنظارنا القاصرة.

وامّا دعوى أنّه لايصحّ التمسّك بالكتاب الموجود حينئذ.

ففيه أنّه يمكن أن يكون المعصوم عليه السلام عالماً بأنّه لم يقع فيه تحريف يوجب تغيير حكم، كما استظهر من بعض دعوى الاجماع عليه. و يمكن أن يكون حكماً ظاهريّاً؛ كالامر بالأخذ بالأحاديث مع كثرة وقوع الاختلال فيها، كما أنّ الدلالة ظنّيّة غالباً، فليكن اللّفظ أيضاً كذلك؛ إذ الحكم ظاهريّ بالنسبة إلى الدلالة الظنّيّة ولو حمل على التمسّك بالمراد الواقعيّ، فانقطاع الايدي عنه كانقطاعها عن مصحف الامام عليه السلام. ويؤيّده ورود عرض الخبر على السنّة والتمسّك بها أيضاً مع

---

١) تقدم في المقدمة الاولى، ص ١٧. وقد علمت كثرة أخباره وتعدّد طرقه فيما سبق.

٢) تقدم في المقدمة الثانية، ص ٤٤ ـ ٤٧، فراجع.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

العلم بوقوع التصرّف بالنقصان والتحريف فيها ، مضافاً إلى أنّه إنّما يلزم ذلك لو لم يصل إلينا من ناحية المعصومين عليهم‌السلام مواضع التحريف.

وأمّا ما نقص من الكتاب فليس المصيبة به أعظم من مصابنا بالغيبة[١] المستندة إلى أعمالنا السيّئة.

و كدعوى أنّ القرآن ممّا يتوفّر الدواعي على نقله ، و اشتدّت العناية على حراسته، إذ القرآن معجز النبوّة ومأخذ الاحكام الدينيّة ، و كلّما كان كذلك فالعادة تقتضي بنقله متواتراً ، فما لم ينقل كذلك ليس قرآناً ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه و حمايته الغاية ، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقرائته وحروفه وآياته ؛ مع أنّ القرآن كان على عهد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن ؛ إذ القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه في ذلك الزمان حتّى يمكن على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، و أنّه كان يعرض على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله ويتلى عليه، و أنّ جماعة من الصحابة مثل: « عبدالله بن مسعود » و« أبيّ بن كعب » وغيرهما ختموا القرآن على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله عدّة ختمات ، و كلّ ذلك يدلّ على أنه كان مجموعاً مرتّباً غير مبثوث، ولو تمكّن المستولون على الخلافة وأتباعهم على تغيير المصاحف المكتوبة ، فما كانوا متمكّنين من تغيير ما حفظ في القلوب .

وفيه أنّ توفّر الدواعي على حفظه من جهة الاعجاز في القرآن كتوفّره

---

١) المقصود هو : غيبة الامام المنتظر والحجة الثاني عشر ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ ، واستنادها إلى معاصي العباد مؤيد بالاخبار ؛ منها :كلام القائم ـ عليه‌السلام ـ في كتابه إلى الشيخ المفيد (قده) ، و هي : « و لو أنّ أشياعنا ـ وفّقهم الله لطاعته ـ على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا ، و لتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة و صدقها منهم بنا . فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا ممّا نكرهه و لا نؤثره منهم . » فراجع الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٣٢٥ . والبحار ، ج ٥٣ ، باب ٣١ ، ص ١٧٦ ، ح ٨ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

على سائر المعجزات الّتى لم تنقل غالباً إلا من جهة الآحاد . ولعلّ ما لم ينقل منها كثير ، مع أنّ انتفاع غالب الناس بها من حيث الوضوح أكثر من القرآن لعدم شدّة ظهور الاعجاز فيه ، كظهوره عندهم في غيره ، وإن كان عند الكاملين بالعكس ومن جهة كونه أصلا لسائر الاحكام ،كالسنّة الّتى وقع في نقلها اختلالات لاتحصى واهتمام علماء الاعصار في ضبطه وحراسته إنّما وقع بعد الصدر الاوّل الّذي وقع ما وقع فيها .

[كيفيّة جمع القرآن وزمانه]

و أمّا كونه مجموعاً في زمانه ﷺ فلم يثبت [١] ، قال السيّد نعمةالله

---

١) اعلم أن جماعة من العلماء ذهبوا إلى جمع القرآن في عهد النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ، وأن كثيراً منهم نصروا المؤلّف (قده) على جمعه بعده ـ صلى الله عليه وآله ـ فمن الاول : السيد المرتضى ـ طاب ثراه ـ ، الذي قال في جواب المسائل الطرابلسيات كما في مجمع البيان ، ج ١ ، الفن الخامس ، ص ١٥ : « انّ القرآن كان على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ مجموعاً مؤلّفاً على ما هو عليه الآن . » واستدلّ على ذلك بأن : « القرآن كان يدرس و يحفظ جميعه في ذلك الزمان ، حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له و ان كان يعرض على النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ و يتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة مثل : « عبدالله بن مسعود » و« أُبي بن كعب » و غيرهما ختموا القرآن على النبي ـ صلى الله عليه و آله ـ عدة ختمات ، وكل ذلك يدلّ بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث . »

وهكذا آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي ـ متع الله المسلمين بطول بقائه ـ وقد أجاد الكلام فيه في تفسير البيان .

و من الثاني زائداً على من ذكره (ره) من الخاصة و العامة ، أبوالحسن الشريف ـ رضوان الله تعالى عليه ـ ، قال في مرآة الانوار ، المقدمة الثانية ، ص ٥١ في جواب السيد المرتضى (ره) بعد ذكر كلامه المتقدم : « و جوابه أن القرآن مجموعاً في عهد النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ على ما هو عليه الآن غير ثابت ، بل غير صريح . و كيف كان ←

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الجزائري (ره) في رسالته [١] :

مجموعاً وإنماكان ينزل نجوماً، وكان لايتمّ إلا بتمام عمره ؟ ولقد شاع وذاع و طرق الاسماع في جميع الاصقاع أن علياً ـ عليه السلام ـ قعد بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه و آله ـ في بيته أياماً مشتغلا بجمع القرآن . وأما درسه وختمه ، فانماكانوا يدرسون ويختمون ماكان عندهم منه ، لاتمامه . »

وأيضاً الشيخ آقا بزرگ الطهراني (ره)، في رسالة «النقد اللطيف في نفي التحريف عن القرآن الشريف» (المخطوط)، التي أثبت فيها حجية مصحف الموجود، وأيد إجماع المسلمين على نفي الزيادة والنقيصة العينية فيه ، واعتقد أن المقصود من الألفاظ الواقعة في متون الاخبار كالتنقيص والاسقاط والمحو والطرح وغيرها ، هو التنقيص الاجمالي المتوجه إلى الباقي ، الذي سقط عن الجامعين ، لا المصحف الموجود ؛ قال : « المصرّح به في كلمات أهل السير أن القرآن لم يكن في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ مجموعاً بين الدفتين على الترتيب المشهور في اليوم ، وماكان في موضع واحد مرسوماً ولا بالمصحف موسوماً ، بل الجمع كذلك كان بعد رحلته ـ صلى الله عليه و آله ـ . » و استشهد على ما رواه السيوطي في كتاب الاتقان ، النوع الثامن ، ص ٥٧ ، عن زيد بن ثابت ، و ما حكاه فيه أيضاً من تعليل أبي سليمان حمد الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨ لعدم جمع النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ القرآن في حياته بقوله : «انما لم يجمع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه ، أو تلاوته ـ إلى قوله : ـ وقد كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ ، لكن غير مجموع في موضع واحد ، ولا مرتب السور . » و على ما رواه أبوالفرج ابن الجوزي في كتابه « نقد العلم والعلماء » عن زيد بن ثابت ، ثم قال : « إلى غير ذلك من كلماتهم الصريحة في أن الجمع كذلك كان بعد عصره ـ صلى الله عليه و آله ـ وان اختلفت في أنه في عصر أبي بكر أو عمر أو عثمان ؛ لكنّ الكلّ متفق على عدم الجمع في موضع واحد في عصره ـ صلى الله عليه وآله ـ . »

١) منبع الحياة (المخطوط)، و هكذا نقله المحقق القمّي في القوانين ، قانون حجية الكتاب ، ص ٣٨٥ ـ ٣٨٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع)

«وإنّ القرآن كان ينزل منجّماً على حسب المصالح والوقائع وكتّاب الوحي كانوا أربعة عشر رجلاً من الصحابة، و كان رئيسهم أمير المؤمنين عليه السلام، و قد كانوا في الاغلب ما يكتبون إلا مايتعلّق بالاحكام وإلا مايوحى إليه في المحافل والمجامع. و أمّا الذي كان يكتب ما ينزل عليه في خلواته و منازله، فليس هو إلا أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّه كان يدور معه ما دار، فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف. فلمّا مضى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى لقاء حبيبه وتفرّقت الاهواء بعده جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن كما أُنزل، و شدّه بردائه وأتى به إلى المسجد [وفيه الاعرابيان و أعيان الصحابة][1]، فقال لهم: «هذا كتاب ربّكم كما أُنزل.»

فقال [له الاعرابيّ الجلف][2]: «ليس لنا [فيه][3] حاجة، هذا عندنا مصحف عثمان».

فقال عليه السلام: «لن تروه و لن يراه أحد حتّى يظهر القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ» ـ إلى أن قال: ـ

وهذا القرآن كان عند الائمّة عليهم السلام يتلونه في خلواتهم.»

وساق الكلام إلى أن ذكر حكاية عثمان ما عدا مصحفه من مصاحف كتّاب الوحي، وقال:

فلولا حصول المخالفة بينها لما ارتكب بهذا الامر الشنيع، الّذي صار من أعظم المطاعن عليه.

ثمّ حكى عن ابن طاوس:

---

١ و٢ و٣) سقط عن المخطوطة.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح(ع) *****

« أنّه نقل عن محمّد بن بحر الرهني ـ و هو من أعاظم علماء العامّة ـ في بيان التفاوت في المصاحف الّتي بعث بها عثمان إلى أهل الامصار ، قال : « اتّخذ عثمان سبع نسخ فحبس منها بالمدينة مصحفاً وأرسل إلى أهل مكّة مصحفاً ، و إلى أهل الشام مصحفاً ، و إلى أهل الكوفة مصحفاً ، و إلى أهل البصرة مصحفاً، وإلى أهل اليمن مصحفاً، وإلى أهل البحرين مصحفاً . »[1]

ثمّ عدّد ما وقع فيها من الاختلاف بالكلمات والحروف ، مع أنّها كلّها بخطّ عثمان ، فكيف حال ما ليس بخطّه ؟ »

إلى آخر ما ذكره رحمه الله .

و أنت إذا تدبّرت ما نقل في كيفيّة جمع القرآن من طريق العامّة فضلاً عن الخاصّة ظهر لك أنّه ليس الامر على ما زعموه .

قال النيشابوري في أوّل تفسيره ـ و هو من علمائهم ، الموالين لأعداء الائمة عليهم السلام ، الناصرين لهم ـ في كيفيّة جمع القرآن :

« روي عن زيد [بن] ثابت أنّه قال : أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وإذاً عنده عمر ، فقال أبو بكر : إنّ عمر أتاني فقال : إنّ القتل قد استحرّ[2] بقرّاء القرآن يوم اليمامة ، وإنّي أخشى أن يستحرّ القتل بالقرّاء في المواطن كلّها ، فيذهب قرآن كثير ، و إنّي أرى أن تأمر بجمع القرآن . قال : فقلت : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله

---

١) نقله السيد الاجل علي بن طاووس (رض) في سعد السعود ، ص ٢٧٩ .

٢) أي : اشتدّ .

صلى الله عليه وآله؟ فقال لي: هو والله خير. فلم يزل [عمر] يراجعني في ذلك حتّى شرح الله صدري له، فرأيت فيه الّذي رأى عمر.

قال زيد بن ثابت: قال أبوبكر: إنّك رجل شابٌ عاقل لانتّهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله، فتتبّع القرآن فاجمعه، فتتبّعت القرآن أجمعه من الرقاع[1] والعسب[2] واللّخاف[3] ومن صدور الرجال.

و كانت الصحف عند أبي بكر حتّى مات، ثمّ كانت عند عمر حتّى مات[4]، ثمّ كانت عند حفصة مدّة إلى أن أرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إليّ بالصحف ننسخها في المصاحف ثمّ نردّها عليك، فأرسلت إلى عثمان، فأرسل عثمان إلى «زيد بن ثابت» و إلى «عبدالله بن زبير» و «سعيد بن العاص» و «عبدالرحمن بن الحرث بن هشام»، فأمرهم أن ينسخوا الصحف في المصاحف، ثمّ قال للرهط القرشيّين الثلاثة: ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش، فانّه نزل بلسانهم.

قال: ففعلوا حتّى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، بعث عثمان في كلّ افق بمصحف من تلك المصاحف، و أمر بما سوى ذلك من القرآن أن يحرق أو يخرق.»[5]

١) «الرقاع» جمع رقعة، من رقعت الثوب اذا جعلت مكان القطع خرقة.

٢) «العسب» جريدة النخل، وفي المخطوطة: «العشب»، وهو لايلائم المعنى.

٣) «اللخاف» جمع لخفة، وهي حجارة بيض.

٤) في المخطوطة: «فات».

٥) تفسير النيشابوري، ص ٩. وهذه ليست بخبر واحد، بل مركّب من الأخبار، وقد أخرجها البخاري والترمذي والنسائي وأحمد وغيرهم في كتبهم كما في البحار، ج ٩٢، باب ماجاء في كيفية جمع القرآن، ص٧٥-٧٧، ومرآة الانوار، المقدمة الثانية، ص٣٩-٤٠.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع)******

انتهى المقصود من كلامه.

فانظر بعين التدبّر أنّ الّذين كتبوا الرقاع والعسب واللخاف ومن أُخذمن صدورهم هل كانوا معصومين من الخطأ والنسيان والسهو وتعمّد الكذب؟ أو أنّه أخذ كلّ آية آية من جماعة بالغة إلى عدد التواتر؟ أو اقترنت بالقرائن المفيدةللعلم وإلى أنّ الجماعة المستودعين للصحف كانوا ضابطين لها بحيث يعلم عدم سقوط شيء منها؟ و إلى أنّ الاربعة المباشرين للنسخ معصومون في نسخهم على ما يظهر من حالهم في الآثار؟ وإلى أنّ وقوع الاختلاف في القطعيّات ممكن؟ وإلى أنّ تحريق ما لايوافق تلك النسخ وتخريقه هل يتصوّر له داع يعتذر به عثمان إلى المسلمين، مع ماكان عليه من حفظ ظاهره نفاقاً ورياء؟ إلى غير ذلك.

[اختلاف القراءات]

و لو كان الكلّ متّفقين فما هذا الاختلاف الواقع بين القرّاء من الصحابة والتابعين و من بعدهم في الكلمات والموادّ والحروف والهيئات ممّا ملئوا به كتب التفسير والقرائة؟ و يعدّون منهم النبيّ ﷺ والائمّة عليهم السلام، بل ينقلون منهم قراءات شاذّة باصطلاحهم، فراجعها وتتبّعها و استخبرها تجدها ناطقة بخلاف ما قالوا.

ألا ترى أنّ سورة «الحمد» الّتي يحفظها الصبيان والجواري، ويجب على كلّ مكلّف قرائته في اليوم والليلة عشر مرّات وجوباً عينيّاً في غير الجماعة، و يسمعها المأموم[1] كذلك في الجماعات، كيف وقع فيها الاختلاف الكثير من الصحابة والتابعين ومن يتلوهم من حيث الكلمة، والهيئة المغيّرة للمعنى، والحرف والاعراب المغير للمعنى التركيبي وغيرها؟ فراجع «الكشاف»[2]و«مجمع البيان»[3]

١) في المخطوطة: «المأمون».
٢) ج ١، ص ٩.
٣) ج ١، ص ٢٣.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أو غيرهما ، وكفى بالاختلاف الواقع في «ملك يوم الدين» و«مالك» عند المشهورين منهم غير سائر القراءات التي قرأها أهل الصدر الاول و من يتلوهم في هذه الآية. أليس المعنى والحروف مختلفة مع أن الظاهر عندنا أن القرآن حرف واحد نزل من عند واحد ؟ فقس على ذلك حال سائر القرآن ، مضافاً إلى ما وقع فيه الاختلاف بين المسلمين ممّا يعمّ به البلوى : كغسل اليدين في الوضوء مستوياً ومنكوساً ، وكالغسل والمسح في الرجلين وغيرهما .

وذكر بعض العارفين :

« أنّ الكتاب دلّ بصريحه المؤيّد بالحديث المجمع على معناه من المسلمين كافّة على أنّه مغيّر محذوف منه كثير بمعونة الاحاديث المجمع عليها من المسلمين ، و هي ما روي عن النبي ﷺ :

«لتركبنّ سنن من كان قبلكم؛ حذو النعل بالنعل، والقذّة[1] بالقذّة ، حتّى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه . »[2]

وهذا لايختلف في معناه اثنان من الشيعة ـ ثمّ نقله من طرق العامّة عن « أبي ليث الواقدي » ، ثمّ قال : ـ و هذا الحديث لايختلف في معناه اثنان منهم ، فقد حصل إجماع المسلمين على المعنى .

---

١) « القذة » أي : ريش السهم .

٢) قد رواه كثير من علماء الخاصة والعامة في كتبهم بألفاظ و أسانيد مختلفة و طرق متعددة ، كسليم بن قيس والقمي والشيخ والصدوق وغيرهم ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ من الخاصة، والبخاري ومسلم والترمذي وأحمد والحاكم والهيثمي وغيرهم من العامة، فراجع البحار ، الباب الاول من كتاب الفتن والمحن ؛ ، ومرآة الانوار ، ص ٣٣ ـ ٣٤ ، ومجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ٢٦١ ، وجامع الاصول .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وفي صريح القرآن: «وكتبنا له في الالواح من كلّ شيء موعظةً وتفصيلاً لكلّ شيء.»[1] وهذه التوراة الّتي عند اليهود قد غيّروا فيها صفة محمد صلى الله عليه وآله بالاجماع من المسلمين، وقد أخبر القرآن عن كثير من ذالك.

و منه قوله تعالى[2]: وقدكان فريق منهم يعني: من أسلافهم اليهود يسمعون كلام الله في أصل جبل طور سيناء و أوامره و نواهيه ثم يحرفونه عمّا سمعوه إذ أدّوه إلى من ورائهم من بني إسرائيل من بعد ما عقلوه فهموه بعقولهم وهم يعلمون أنهم في قولهم كاذبون.»

انتهى كلامه.

ولعلّ مثل هذا الاستدلال هو المعنيّ في رواية الاحتجاج الاخيرة[3]، فراجع.

[اختيار القول بالتحريف في الجملة]

فالظاهر من ملاحظة ما ذكرناه هو وقوع التحريف في القرآن مادّة وهيئة و كلمة، و زيادة بعض الحروف ونقصانه، والتقديم والتأخير، ونقصان كثير؛ لكن التصرّف الواقع فيه إمّا أن لايكون مضرّاً بصحّة معنى الكلام الموجود، أو يكون مبيّناً في كلام الائمّة عليهم السلام حفظاً للدين، بل الأصل في مطلق التحريف ذلك، إلا أن يمنع عنه مانع مدفوع بالأصل، أو بيّن لهم ولم يصل إلينا، والظاهر عدمه. و بالجملة فالقرآن الموجود الآن حجّة ظاهراً بدلالة الأخبار الكثيرة

١) الاعراف/١٤٥.

٢) البقرة/٧٥.

٣) راجع صفحة ١١١.

المتقدّم كثير منها ، وليس هذا المقدار من التصرّف مقصوراً على طريقتنا بل على طريقة العامّة ؛ إذا لاحظ المنصف اختلاف القرائات بين السلف ظنّ وقوع أمثال ذلك في القرائات الشائعة ؛ إذ ليس كلّ شاذّ باطلا ولا كلّ مشهور أصيلا .

وأمّا النقصان في الجملة ، فعلى طريقتهم ليس ببعيد ، وعلى طريقتنا فالظاهر وقوع الكثير منه .

وأمّا التحريف البالغ الزائد على أمثال ما اختلف فيه القرّاء فغير ظاهر ، ويدلّ على عدمه ما روي عن الكليني باسناده عن أبي جعفر عليه السلام في رسالته إلى « سعد الخير » :

« ... وكان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه ، و حرّفوا حدوده ، فهم يروونه ولا يرعونه ، و الجهّال يعجبهم حفظهم للرواية ، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية ـ الحديث . »[١]

ولا أستبعد أن يكون جملة ممّا ورد في أخبار التحريف في خصوص الآيات محمولاً على تحريف المعنى دون اللّفظ ، فتكون تلك الأخبار مبيّنة لمعانيها لا لألفاظها[٢] ، ويؤيّده عدم ظهور أسلوب القرآن فيما ورد في بعضها . و أمّا إجراء هذا الاحتمال في الجميع وإنكار التصرّف في الألفاظ رأساً ، فبعيد جدّاً . والله العالم .

١) الكافي ، ج ٨ ، ص ٥٢ ، ح ١٦ ، والصافي ، ج ١ ، المقدّمة السادسة ، ص٣٤.

٢) كما احتمله الفيض (رض) في علم اليقين ، ج ١ ، ص ٥٦٥ ، إذ قال : « ان مرادهم ـ عليهم السلام ـ بالتحريف والتغيير والحذف إنما هو من حيث المعنى دون اللفظ، أي: حرّفوه وغيّروه في تفسيره وتأويله ، أي: حملوه على خلاف ما هو عليه في نفس الامر.» ونظيره ما قاله في الوافي ، ج ٢ ، باب اختلاف القرائات من أبواب القرآن، ص-٢٧٤ ، والصافي ، ج ١ ، المقدمة السادسة ، ص ٣٤ .

المقدّمة الثّامنة

فيما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف
و بيانه ، و اختلاف القرائات و المعتبر منها

قد اشتهر بين العامّة ، بل ادّعى بعضهم التواتر في أصل الحديث [1] عن النبيّ ﷺ أنّه قال :

« نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلّها كاف شاف » [2] .

ونسب إلى أكثر العلماء أنّها سبع لغات من لغات قريش لايختلف ، بل هي متّفقة المعنى ، واستدلّ على أنّ السبعة هي سبع لغات متّفقة المعنى بما روي عن «ابن سيرين » أنّ ابن مسعود قال :

« اقرؤا [3] القرآن على سبعة أحرف ، وهو كقول أحدكم [4] : هلمّ وتعال وأقبل » .

وعن بعضهم :

---

١) كأبي عبيد على ما في تفسير القاسمي ، ج ١ ، ص ٢٨٤ .

٢) رواه أبو يعلى في الكبير عن أبي المنهال ، والطبراني في الاوسط عن أبي سعيد كما في مجمع الزوائد ، ج ٧ ص ١٥٢ و١٥٣ ، باب كم أنزل القرآن على حرف ؛ ورواه أيضاً ابن الاثير في النهاية ؛ وهكذا نقله الشيخ (ره) في التبيان ، ج ١، المقدمة ، ص ٧؛ والطبرسي (ره) في مجمع البيان، ج ١ ، المقدمة ، الفن الثاني ، ص ١٢ ؛ والفيض(ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٨ .

٣) خ . ل : « اقرء » كما قال المؤلف (ره) في الهامش .

٤) في المخطوطة « أحدهم » .

« أنّها سبع قبائل من العرب : قريش و قيس ، و تميم[١] ، و هذيل ، وأسد ، وخزاعة ، و كنانة ، لمجاورتهم قريشاً » .

وقيل :

سبع لغات من أيّ لغة كانت لقوله صلى الله عليه وآله : « إنّه قد وسع لي أن أقرأ كلّ قوم بلغتهم » .

وقيل :

معناه أن يقول في صفات الربّ ـ تبارك وتعالى ـ مكان قوله : « غفوراً رحيماً ، عزيزاً حكيماً ، سميعاً بصيراً » لما روي أنّه صلى الله عليه وآله قال : « اقرؤا القرآن على سبعة أحرف ما لم تجمعوا مغفرة بعذاب و عذاباً بمغفرة ، أو جنّة بنار ، أو ناراً بجنّة[٢] » .

إلى غير ذلك من الوجوه . بل قيل : إنّ الاختلاف في معناه يقرب من أربعين قولاً[٣] .

و رووا عنه صلى الله عليه وآله أنه :

« نزل القرآن على سبعة أحرف : أمر ، و زجر ، و ترغيب ، وترهيب ، وجدل ، وقصص ومثل . »[٤]

---

١) في المخطوطة : « تيم » .

٢) كلّ هذه الاقوال في الأحرف السبعة تجدها في تفسير النيشابوري ، ص ٨ ، فراجع.

٣) راجع الصافي ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٨ ؛ والقوانين ، الباب السادس ، ص ٣٩١.

٤) رواه الطبري في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٣ ، عن أبي قلابة ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ ونقله الشيخ (ره) في التبيان ، ج ١ ، المقدمة ، ص٧ ؛ والطبرسي (ره) في مجمع البيان ، ج ١ ، المقدمة ، الفن الثاني ، ص ١٣ ؛ و الفيض (رض) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٨ .

وفي رواية أخرى :

« زجر ، و أمر ، و حلال ، وحرام ، و محكم ، و متشابه ، و أمثال . » [1]

والمستفاد منهما أنّ الأحرف إشارة إلى أقسامه و أنواعه . ويؤيّد ذلك ما روي من طريق أصحابنا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام ، كلّ قسم منها كاف شاف، وهي : أمر، و زجر، وترغيب، وترهيب، وجدل ، ومثل، وقصص . » [2]

[في عدم نزول القرآن على سبعة ألفاظ]

ويدلّ على نفي ورود القرآن بالألفاظ المختلفة ما روي عن الكليني بسنده الحسن كالصحيح ، عن فضيل بن يسار قال :

« قلت لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ الناس يقولون : إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، فقال: كذبوا أعداء الله . ولكنّه نزل

١) أخرجه الطبري في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٢ ، عن يونس ؛ عن ابن مسعود ، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ و رواه الطبراني عم عمر بن أبي سلمة . عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ في قوله لعبدالله بن مسعود كما ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ، ج ٧ ، باب كم أُنزل القرآن على حرف ، ص ١٥٣ ؛ وهكذا في التبيان ، ج ١ ، المقدمة ، ص ٧ ؛ و مجمع البيان ، ج ١ ، الفن الثاني من مقدمة الكتاب ، ص ١٣ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٩ .

٢) رواه النعماني (قده) في تفسيره ، عن إسماعيل بن جابر ، عن أبي عبدالله ، عنه ـ عليهما السلام ـ ، فراجع البحار ، ج ٩٣ ، باب ما ورد في أصناف آيات القرآن ، ص ٤ . وقد تقدم صدر كلام أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ من تفسيره في المقدمة الرابعة . وهكذا نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٩ ؛ والمحقق القمي (ره) في القوانين ، الباب السادس ، ص ٣٩١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

على حرف واحد من عند الواحد . »[١]

وعن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال :

« إنّ القرآن واحد نزل من عند واحد ، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرّواة . »[٢]

وعن كتاب « التحريف والتنزيل » المنسوب إلى « أحمد بن محمد » ، المعروف بـ « السيّاري » : حدّثني البرقي وغيره ، عن ابن أبي عمير وصفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن أبي نصر ، عن جميل بن درّاج ، عن زرارة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« القرآن واحد نزل من عند ربّ واحد إلى نبيّ واحد ، ولكنّ الاختلاف يجيء من قبل الرواة . »

البرقي وغيره ، عن حمّاد بن عيسى ، عن جابر بن عبدالله قال :

« قيل لأبي عبدالله عليه السلام : إنّ الناس يقولون : إنّ القرآن على سبعة أحرف ، فقال : كذبوا ، نزل حرف واحد من عند ربّ واحد إلى نبيّ واحد . »

وعنه أيضاً ، من البرقي باسناده المتّصل عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« قلت له: قول الناس : « نزل القرآن على سبعة أحرف »؟ فقال : واحد من عند واحد . »

[و] عنه أيضاً ما هذا لفظه .

وباسناده عن زرارة بن أعين قال :

« سأل سائل أبا عبدالله عليه السلام عن رواية الناس في القرآن :

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٣٠ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٤٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٢١ .

٢) نفس المصادر .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« نزل على سبعة أحرف» ، فقال : كذبوا الناس في رواياتهم، بل هو حرف واحد من عند واحد نزل به الملائكة على واحد . »

وعنه أيضاً مسنداً عن جميل بن درّاج ، عن زرارة مثل رواية الكليني [1] .

[المراد من الاحرف ما هو ؟]

وهذه الاخبار قامت على أنّ القرائة النازلة واحدة ، وأنّه لم ينزل على سبعة ألفاظ مختلفة ، فيجوز أن يكون للكلام بالمعنى الّذي أرادوا كما هو الظاهر من التكذيب ؛ إذ تكذيب اللّفظ باعتبار المعنى المقصود منه فلا ينافي ورود هذا اللّفظ في الاخبار بالمعنى المتقدّم أو بمعنى آخر ؛ كارادة البطون و التأويلات . كما ربّما يستفاد ممّا روي عن أبي عبدالله عليه السلام لمّا قال له حمّاد : « إنّ الاحاديث تختلف عنكم [2] أنّه قال :

« إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأدنى ما للامام [3] أن يفتي على سبعة وجوه . » [4]

---

١) المراد من « مثل رواية الكليني » روايته الاخيرة كما صرّح به السيد محمد الموسوي الخوانساري عند نقل هذه الاخبار في هامش الوسائل ، ج ١ ، ص ٣٨٥ ، المطبوع بتبريز في سنة ١٣١٣ ؛ وهكذا نقلها المحدث النوري (ره) في فصل الخطاب ، الدليل العاشر ، ص ٢١٢ .

٢) في بعض نسخ الخصال : « منكم » .

٣) في المخطوطة : « للإتمام » .

٤) رواه العياشي (رض) في تفسيره ، ج ١ ، ص ١٢ ، ح ١١ ؛ والصدوق (ره) في الخصال ، ج ٢ ، باب السبعة ، ص ٣٥٨ ، ح ٤٣ ؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٣٩ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٩٢ ، باب أن للقرآن ظهراً و بطناً ، ص ٨٣ ، ح ١٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وما[١] ربّما يستفاد من رواية الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« أتاني آتٍ من الله عزّوجل فقال : [إنّ الله] يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقلت : يا ربّ وسّع على امّتي ، فقال : إنّ الله عزّوجل يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف . »[٢]

فمع ضعف سنده ومعارضته بما تقدّم المعتضدة بالاعتبار محتمل لارادة التوسعة والضيق المعنويين باعتبار الاكتفاء من بعض بما يفهمونه من بعض الآيات ، وإن لم يكن مطابقاً للواقع في مقابل إلزام الكلّ بتحصيل المراد الواقعي ، أو بملاحظة أنّ المطلوب من كلّ صنف من أصناف المؤمنين آداب وشرائط لا يراد ممّن دونه؛ إذ حسنات الابرار سيّئات المقرّبين .

فلعلّ المراد أنّ القرآن على سبعة أحرف ، كلّ حرف يتعلّق بأهل مرتبة من المراتب السبعة المذكورة في الاخبار للايمان ، فلا يراد من الجميع الاحكام المراد من ذي الدرجة السابعة . و يؤيّد هذا الاحتمال الرواية السابقة ؛ إذ هذا السبب هو السبب الظاهر في اختلاف الفتاوى .

ويحتمل إرادة التوسعة اللّفظيّة مع بقاء المادّة و التركيب بحاله ، بحيث لا يتغيّر به المعنى الافرادي والتركيبي ، وإن كان اللّفظ النازل من الله سبحانه واحداً مشتملاً على كيفيّات خاصّة ، فيجوز قرائة ذلك بسائر الكيفيّات الصحيحة، على أنّه لا يبعد أن يكون العبرة في القرائة بما يعدّ حكاية لكلام الله سبحانه في العرف . و كثير من أنحاء التغييرات لا تخلّ بذلك ؛ كالا شمام، والامالة ، والتفخيم،

١) في المخطوطة : « اما » .

٢) الخصال ، ج ٢، باب السبعة ، ص ٣٥٨ ، ح ٤٤ عن عيسى بن عبدالله الهاشمي، عن أبيه ، عن آبائه ــ عليهم السلام ــ ، عنه ــ صلى الله عليه وآله ــ ؛ والصافي، ج١، المقدمة الثامنة ، ص ٣٩؛ والوسائل ، ج ٤، باب ٧٤ من أبواب القرائة في الصلاة ص ٨٢٢، ح٦.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و ما يحذو حذوها جزماً ؛ وكالقلب و الابقاء على الاصل ، و الادغام ، و فكّه ، و الاسكان ، و التحريك ؛ كقراءة « كفؤاً » بالهمزة و الواو ، متحرّك الوسط و ساكنه ، دون يرتدّ ويرتدد، على احتمال قويّ . فلا يبعد أن يقال : لايلزم في ذا مثلاً ذلك تعدّ بقراءة أصلاً ، بل يجوز قراءة الآية الواحدة بما لايخرجها عن كونها هي من الوجوه الصحيحة عندأهل اللّسان وإن لم يقرأه به أحد من القرّاء. وهذا بخلاف ما لوأفضى إلى تغيير المادّة ؛ مثل ينشر وينشز باهمال الآخر[١] أوإعجامه أوهيئته المشتملة على تبديل الحرف ، ومثل القراءة بصيغة الغايب و المتكلّم في مواضع ، وكقراءة « ملك » و « مالك » ، أو المعنى : كصيرورة المفعول حالاً ، والمبتدأ خبراً وغير ذلك. فانّه يخرجه عن حكاية القرآن عند الدّقّة ؛ إذالكلام مأخوذ فيه المادّة والهيئة في المفرادت ، و الهيئة التركيبيّة الّتي تختلف باختلافها المعاني التابعة لها كالفاعليّة والمفعوليّة ؛ فافهم .

ويؤيّد ما ذكر من عدم التوسعة الّتي زعموه بحيث تؤدّي إلى تبديل ألفاظ القرآن،ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« إن كان ابن مسعود لايقرء على قرائتنا فهو ضالّ . قال ربيعة: ضالّ ؟ فقال : نعم ، ضالّ . ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام : أمّا نحن فنقرأ على قراءة ابي . »[٢]

واستظهر بعض أنّ ذيله ورد من باب المصلحة[٣] ، واحتمل أن يكون اللّفظ

---

١) في المخطوطة : « الاحرام » .

٢) رواه الكليني (قد) في الكافي ، ج ٢، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٣٤ ، ح ٢٧ عن عبدالله بن فرقد والمعلّى بن خنيس عنه ــ عليه السلام ــ ؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة الثامنة ، ص ٤٠ .

٣) الاستظهار للفيض (ره) على حسب الاحتمال إذقال في ذيل الرواية، «ولعلّ آخر ـــ

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« أبي» باضافة الاب إلى ياء المتكلّم ، ولم يظهر إتقان النسخ بحيث لا يقع فيه تشديد زائد لو كان .

[جواز اختيار القرائة المشهورة]

ثمّ اعلم أنّ الظاهر بناء على ما ذكرناه هو التزام ما صدق عليه الاخبار المرخّصة للقرائة كما علّمنا ، كما تقدّم بعضها بالمعنى المتقدّم . فكلّ قرائة كانت شائعة في ذلك الزمان جازت القرائة به ، سواء كان من السبع أو تمام العشر أو لا ، بوجه من الوجوه الصحيحة عند أهل اللّسان فيما خرج عن جوهر الكلام ، مع احتمال إسقاط قيد الشيوع والاكتفاء بمجرّد كونه قرائة من شأنها أن يتعلّم ، وإلغاء خصوصيّة ذلك الزمان ومناسبته، فيكتفي بكلّ قرائة ؛ إذ الظاهر أنّ مبنى الكلام ليس على إفادة أنّ لهذه القرائات الموجودة في ذلك العصر خصوصيّة ، فلا تغفل .

←الحديث ورد على المسامحة مع «ربيعة» مراعاة لحرمة الصحابة، وتداركاً لما قاله في « ابن مسعود » . ذلك لأنهم ـ عليهم السلام ـ لم يكن يتبعون أحداً سوى آبائهم ـ عليهم السلام ـ ؛ لأن علمهم من الله ، وفي هذا الحديث إشعار بأن قرائة « أُبي » كانت موافقة لقرائتهم ـ عليهم السلام ـ أوكانت أوفق لها من قرائة غيره من الصحابة . » .

المقدّمة التّاسعة

في زمان نزول القرآن وما يتعلّق بذلك

قال الله سبحانه: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن.»[1]

وقال عزّ وجلّ: «إنّا أنزلناه في ليلة القدر.»[2]

وقال سبحانه: «إنّا أنزلناه في ليلة مباركة إنّا كنّا منذرين * فيها يفرق كلّ أمر حكيم * أمراً من عندنا، إنّا كنّا مرسلين * رحمةً من ربّك.»[3]

وعن الكافي بسنده عن حفص بن غياث، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «سألته عن قول الله تعالى: «شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن» وإنّما أُنزل القرآن في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام: نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل في طول عشرين سنة. ثمّ قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: نزل صحف إبراهيم في أوّل ليلة من شهر رمضان، و أُنزلت التوراة لستّ مضين من شهر رمضان، وأُنزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من شهر رمضان، وانزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان، وأُنزل

---

1) البقرة / ١٨٥.

2) القدر / ١.

3) الدخان / ٣-٦.

القرآن في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان . »[١]

وعنه عن الفقيه باسنادهما عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

«نزلت التوراة في ست مضين من شهر رمضان ، ونزل الانجيل في اثني عشرة ليلة مضت من شهر رمضان ، ونزل الزبور في ليلة ثمان عشرة في شهر رمضان ، و نزل القرآن في ليلة القدر . »[٢]

و باسنادهما عن حمران أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى : **« انا أنزلناه في ليلة مباركة »** ، قال :

« هي ليلة القدر ، وهي في كلّ سنة في شهر رمضان في العشر الاواخر، ولم ينزل القرآن إلا في ليلة القدر ؛ قال‌الله تعالى: **« فيها يفرق كل أمر حكيم »** ، قال : يقدّر في ليلة القدر كلّ شيء يكون في تلك السنة إلى مثلها من قابل ، من خير أو شرّ ، أو طاعة أو معصية ، أومولود أوأجل ، أو رزق . »[٣]

اقول :

لمّا كان جميع الحوادث الواقعة في السنة مقدّرة متعيّنة الاحكام والحدود

---

١) الكافي، ج ٢ ، باب‌النوادر من‌كتاب فضل القرآن ، ص٦٢٨ ، ح ٦ ؛ والصافي ج ١ ، المقدمة التاسعة ، ص ٤١ ؛ وكذا روى العياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٨٠ ، ح ١٨٤ ، عن علي بن إبراهيم ، عنه ـ عليه السلام ـ مثله ، إلا فيه : « و أُنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان . »

٢) الكافي، ج ٤ ، باب في‌ليلة القدرمن‌كتاب الصيام ، ص ١٥٧ ؛ والفقيه ، ج ٢، ص ١٠١ و١٠٢ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة التاسعة ، ص ٤١ .

٣) نفس المصادر .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح(ع) ******

في ليلة القدر على ما يستفاد من الاخبار المستفيضة [١] ، لزم منه أن يكون الآيات الّتي نزل في كلّ سنة ثابتة متعيّنة في ليلة القدر الّتي تقع في تلك السنة . وبهذا يصحّ القول بأن القرآن نزلت في ليلة القدر ، و في شهر رمضان ؛ لأنّها فيه على ما يستفاد من المستفيضة المعتضدة بالكتاب [٢] ، لكنّ الظاهر من تنكير اللّيلة في الآية الثالثة و رواية حفص المتقدّمة ، و ذكر عليّ بن إبراهيم في تفسيره [٣] مضمون [٤] هذا الجزء منه أعني قوله: «نزل القرآن جملة واحدة ـ الخ» من دون إسناد إلى الامام عليه السلام ، لكنّ الظاهر من حاله أخذه من رواياتهم ، مع ما يشعر به سائر الروايات ، أنّ القرآن نزل في ليلة واحدة جملة . و حينئذ فيمكن أن يقال : أنّ القرآن إنّما قرّر وثبت كلّاً تبعاً لتقدير النبوّة والرسالة؛ لأنّه لمّا قدّر الرسالة والانذار قدّر المرسل به والمنذر به ، لأنّه من متعلّقاته . و لمّا كان إعطاء منصب الرسالة دفعيّاً ، لزم منه تعيين المرسل به ، كما إذا قدّر و عين السبب في آخر السنة ، بحيث لا ينفك عن تفرّع مسبّبه عليه ، ترتّب عليه تقدير المسبّب في أوّل السنة الآتية.

[مراتب نزول القرآن]

والّذي يقتضيه النظر الدقيق أنّ توقيت التقديرات بليلة القدر إنّما

---

١) كالخبر الاخير وسائر الاخبار التي أوردها الاعلام في كتبهم، وقد جمعها المجلسي (رض) في البحار ، ج ٩٧ ، باب ليلة القدر وفضلها ، فراجع .

٢) مراده (ره) الروايات الكثيرة المتواترة المنقولة في كتب الاخبار . منها ما ذكره المجلسي (ره) في البحار ، ج ٩٧ ، باب ليلة القدر و فضلها . وهي معتضدة بقوله تعالى : « **شهر رمضان الّذي أُنزل فيه القرآن** . »

٣) القمي ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٤) في عبارة المؤلف (قده) هنا تشويش ، و عبارته هي: « و ذكر مضمون هذا الجزء منه أعني : قوله : « نزل القرآن جملة واحدة ـ الخ » علي بن إبراهيم في

هو في بعض المراتب النازلة من مراتب القضاء والقدر ، و فوقه مراتب أُخرى ، إلى أن ينتهي إلى اللّوح المحفوظ الّذي رقّم فيه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق العالم . ويشبه أن يكون هو أمّ الكتاب[1] ، الّتي يتولّد منها أحكام القضاء مرتبة بعد مرتبة ، إلى أن ينتهي إلى تفصيل أحكام كلّ سنة في ليلة القدر منها .

وحينئذ فنزول القرآن جملة واحدة يصحّ أن يكون من عالم اللّوح المحفوظ دفعةً إلى مرتبة تحتها ، ثمّ نزوله منها في مرتبة ثالثة في كلّ سنة بقدرها ، ثمّ نزوله في هذا العالم في أجزاء اللّيالي والايّام . ويشبه أن يكون المرتبة الثانية هي البيت المعمور ، أو باطنه وروحه وهو مظهره ، كما روي .

و أمّا ما ذكره المحدّث الكاشاني بقوله : « كأنه أُريد به نزول معناه على قلب النبيّ ﷺ »[2] ، فان أراد به أنّ البيت المعمور هو قلبه ﷺ فهو فاسد ؛ إذ هو من أجزاء العالم الكبير و قد ورد ذكره في الاخبار[3] ، و للقرآن مراتب نزولية في العالم الكبير . و إن أراد به أنّه مساوق لمقام قلبه بحيث إذا نزل فيه اطّلع قلبه ﷺ عليه لاتّحادهما رتبةً ، فهو ليس بذلك البعيد ؛ إذ أُريد بالقلب ما يسمّى به قلباً باصطلاح جماعة من أهل المعرفة ، إلا أنّ ذلك المقام لايأبى عن الالفاظ حين ينزّل النزول إلى المعاني ، بل الالفاظ بنفسها ممّا يصحّ نزولها فيه ، وليس تنزيل نزول القرآن إلى نزول المعاني الصرفة ، إلا تأويلاً من دون سبب

---

١) لقد ذهب اليه جمهور المفسرين .

٢) راجع الصافي ، ج ١ ، المقدمة التاسعه ، ص ٤٢ .

٣) راجع البحار ، ج ٥٨ ، باب البيت المعمور . و انه (ره) ذكر فيه روايات من الخاصة والعامة يستفاد منها أن البيت المعمور هو في السماء الرابعة ، و انه قد سمي : « الضراح » .

يقتضيه ، فثبت .

[كيفيّة نزول القرآن في ليلة القدر و تفصيله]

ثمّ لمّا كان القرآن تبيان كلّ شيء على نهج كلي إجمالي مشتمل على تكليفيّات وتكوينيّات متعلّقة بموضوعات مستقلّة ، تفصل في ليلة القدر ، وتتولّد منها أحكام وقضايا معيّنة مشخّصة جزئيّة بالنسبة إلى ما كان عليه ، صحّ أنّه : « لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن » كما روي عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام [1] ؛ إذ لو لم ينزل تفصيله فيها وبقي على حاله الاجمالي كان مرفوعاً عن هذا العالم .

و ربّما يشهد لما ذكرناه معنىً ما رواه في الكافي عن الباقر عليه‌السلام أنّه قال :

« قال الله عزّ وجلّ في ليلة القدر : « **فيها يفرق كل امر حكيم** » يقول : ينزل فيها كلّ أمر حكيم ، والمحكم ليس بشيئين ، إنّما هو شيء واحد ، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ وجلّ ، ومن حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطاغوت . إنّه لينزل في ليلة القدر إلى وليّ الامر تفسير الامور سنة سنة ، يؤمر فيها في أمر نفسه بكذا و كذا ، وفي أمر الناس بكذا و كذا ، و إنّه ليحدث لأولي الامر سوى ذلك كلّ يوم علم الله الخاصّ ، والمكنون العجيب المخزون ، مثل ما ينزل في

١) رواه الكليني (ره) في الكافي ، ج ٤ ، باب في ليلة القدر من كتاب الصيام ، ص ١٥٨ ، ح ٧ عن داود بن فرقد ، عن يعقوب ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و أيضاً الصدوق (ره) في الفقيه ، ج ٢ ، ص ١٠١ ، ح ٩ ، بهذا الاسناد ؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، المقدمة التاسعة ، ص ٤٢ .

تلك اللّيلة من الامر ، ثم قرأ : و لو أنّما في الأرض من شجرة اقلام . » ١

وسيمرّ عليك ما يوضح لك كثيراً ممّا ذكرهنا ـ إن شاء الله تعالى ـ .

١) الكافي ، ج ١ ، باب في شأن « إنا أنزلناه في ليلة القدر » وتفسيرها ، ص ٢٤٨، ح ٣ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٥٤٠ . والآية الاخيرة : لقمان /٢٧ .

المقدّمة العاشرة

في نبذة ممّا جاء في تمثّل القرآن يوم القيامة و شفاعته لأهله ومعاتبة السّورة لتاركها بعد تعلّمها ، و ثواب حفظه و تلاوته و سماعه واستماعه ، وفضيلتها، وما يتعلّق بذلك

فعن الكليني باسناده عن سعد الخفّاف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

«ياسعد ، تعلّموا القرآن ،فانّ القرآن يأتي يوم القيامةفي أحسن صورة نظر إليها الخلق ، والناس صفوف ، عشرون ومائة ألف صفّ ، ثمانون [ألف] صفّ أمّة محمّد صلى الله عليه وآله ، وأربعون ألف صفّ من سائر الامم ، فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم [1] ، فينظرون إليه ، ثمّ يقولون : لا إله إلا الله الحليم الكريم ؛ إنّ هذا الرجل من المسلمين ، نعرفه بنعته وصفته، غيرأنّه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن ، فمن هناك أُعطي من البهاء والجمال والنور مالم نعطه .

ثمّ يجاوزحتّى يأتي على صفّ الشهداء ، فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون : لا إله إلا الله الربّ الرحيم ؛ إنّ هذا الرجل من الشهداء ، نعرفه بسمته [2] وصفته غير أنّه من شهداء البحر ، فمن هناك أُعطي من البهاء والفضل ما لم نعطه .

قال : فيجاوز حتّى يأتي على صفّ شهداء البحر في صورة

---

١) قال (ره) في حاشية المخطوطة : « الظاهر : مسلم » .

٢) « السمت » : الطريق ، ويستعمل لهيئة أهل الخير .

شهيد ، فينظر إليه شهداء البحر ، فيكثر تعجّبهم ويقولون: إنّ هذا من شهداء البحر، نعرفه بسمته وصفته غير أن الجزيرة الّتي أُصيب فيها كانت أعظم هولاً من الجزيرة الّتي أُصبنا فيها ، فمن هناك اعطي من البهاء و الجمال و النور ما لم نعطه .

ثمّ يجاوز حتّى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبيّ مرسل ، فينظر النبيّون و المرسلون إليه ، فيشتدّ[1] لذلك تعجّبهم و يقولون : لا إله إلا الله الحليم الكريم ؛ إنّ هذا لنبيّ مرسل ، نعرفه بسمته و صفته غير أنّه أُعطي فضلاً كبيراً .

قال: فيجتمعون ، فيأتون رسول الله ﷺ فيسألونه ويقولون: يا محمّد ﷺ من هذا ؟

فيقول لهم : وما تعرفونه ؟

فيقولون: ما نعرفه، هذا ممّن لايغضب الله عزّ وجلّ عليه .

فيقول رسول الله ﷺ : هذا حجة الله على خلقه ، فيسلّم .

ثمّ يجاوز حتّى يأتي على صفّ الملائكة في صورة ملك مقرّب ، فينظر إليه الملائكة فيشتدّ تعجّبهم ، ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ، و يقولون : تعالى ربّنا و تقدّس ، إنّ هذا العبد من الملائكة ، نعرفه بسمته وصفته غير أنّه كان أقرب الملائكة إلى الله عزّ وجلّ مقاماً ، فمن هناك أُلبس من النور والجمال ما لم نلبس .

---

١) في بعض النسخ : « فيشد » .

ثمّ يجاوز[١] حتى يأتي[٢] ربّ العزّة تبارك وتعالى، فيخرّ تحت العرش ، فيناديه تبارك وتعالى : يا حجّتي في الارض و كلامي الصادق الناطق ! إرفع رأسك ، وسل تعط ، و اشفع تشفّع .

فيرفع رأسه ، فيقول الله تباك وتعالى : كيف رأيت ؟

فيقول : يا ربّ ، منهم من صانني و حافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً . ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي و كذب بي . وأنا حجّتك على جميع خلقك .

فيقول الله تبارك وتعالى : وعزّتي وجلالي و ارتفاع مكاني ، لأثيبنّ اليوم عليك أحسن الثواب ، ولأعاقبنّ عليك اليوم أشدّ[٣] العقاب .

قال : فيرفع[٤] القرآن رأسه في صورة أخرى.

قال : فقلت [له] : يا أبا جعفر عليه السلام ، في أيّ صورة يرجع ؟

قال : في صورة رجل شاحب[٥] اللّون متغيّر ، يبصره[٦] أهل الجمع ، فيأتي الرجل من شيعتنا الّذي يعرفه و يجادل به أهل الخلاف ، فيقوم بين يديه ، فيقول : ما تعرفني ؟

فينظر إليه الرجل، فيقول : ما أعرفك يا عبدالله .

قال: فيرجع في صورته الّتي كان في الخلق الاوّل ، فيقول :

---

١) في المخطوطة : « يتجاوز » .

٢) في بعض النسخ : « حتى ينتهي إلى » .

٣) في بعض النسخ : « اليم » .

٤) في بعض النسخ : « فيرجع » .

٥) شحب لونه : كمنع ونصر وكرم وعني ، تغيّر من هزال أوجوع أوسفر .

٦) في بعض النسخ : « ينكره » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ما تعرفني؟ فيقول : نعم .

فيقول : أنا الّذي أسهرت ليلك ، وأنصبت عينك [1] ، وسمعت الاذى ، و رجمت بالقول فيّ . ألا وإنّ كلّ تاجر قداستوفى تجارته ، وأنا ورائك اليوم .

قال : فينطلق به إلى ربّ العزّة تبارك و تعالى ، فيقول : يا ربّ عبدك و أنت أعلم به ، كان نصباً بي ، مواظباً عليّ ، يعادي بسببي ، ويحبّ فيّ ويبغض فيّ .

فيقول الله عزّ وجلّ : أدخلوا عبدي جنّتي ، واكسوه حلّة من حلل الجنّة ، وتوّجوه بتاج .

فاذا فعل به ذلك عرض القرآن ، فيقال له : هل رضيت بما صنع بوليّك ؟

فيقول : ياربّ ، إنّي أستقلّ هذا له ، فزده مزيد الخير كلّه .

فيقول : و عزّتي و جلالي و ارتفاع مكاني لانحلنّ اليوم له خمسة أشياء مع المزيد له ولمن كان بمنزلته : ألا إنّهم شباب لايهرمون ، وأصحّاء لايسقمون ، وأغنياء لايفتقرون ، وفرحون لا يحزنون ، و أحياء لا يموتون . ثمّ تلا هذه الآية :

« **لايذوقون فيها الموت إلّا الموتة الأولى .** » [2]

قال : قلت : يا أبا جعفر ، وهل يتكلّم القرآن ؟

فتبسّم ، ثمّ قال : رحم الله الضعفاء من شيعتنا ، إنّهم أهل تسليم . ثمّ قال : نعم ، يا سعد ، والصلاة تتكلّم ، ولها صورة

---

١) في بعض النسخ : « عيشك » .

٢) الدخان / ٥٦ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وخلق تأمر وتنهى .

قال سعد : فتغيّر لذلك لوني وقلت : هذا شيء لا أستطيع أن أتكلّم به في الناس .

فقال أبو جعفر عليه السلام : وهل الناس إلا شيعتنا ؟ فمن لم يعرف بالصلاة فقد أنكر حقّنا . ثمّ قال : يا سعد ، أُسمعك كلام القرآن ؟

قال سعد : قلت : بلى صلّى الله عليك .

فقال : «إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر.»[١]

فالنهي كلام ، و الفحشاء و المنكر رجال ، و نحن ذكر الله ، ونحن أكبر . »[٢] .

وعنه باسناده عن إسحق بن غالب قال : قال أبوعبدالله عليه السلام :

« إذا جمع الله الاوّلين والآخرين أراهم[٣] بشخص قد أقبل لم يرقطّ أحسن صورة منه ، فاذا نظر إليه المؤمنون و هو القرآن ؛ قالوا : هذا منّا ، هذا أحسن شيء رأينا . فاذا انتهى إليهم جازهم ، ثمّ ينظر إليه الشهداء حتّى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم ، فيقولون: هذا القرآن ، فيجوزهم كلّهم حتّى إذا انتهى إلى المرسلين ، فيقولون : هذا القرآن ، فيجوزهم . ثمّ ينتهي حتّى يقف عن يمين العرش ، فيقول

١) العنكبوت / ٤٥ .

٢) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، ص ٥٩٦ ، ح ١ ؛ والبحار ، ج ٧ ، باب تطائر الكتب وإنطاق الجوارح ، ص ٣١٩ ، ح ١٦ .

٣) في بعض النسخ : « إذا هم » .

الجبّار : و عزّتي و جلالي وارتفاع مكاني لأُكرمنّ اليوم من أكرمك ، ولأُهيننّ من أهانك . »[١]

وعنه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« تعلّموا القرآن ، فانّه يأتي يوم القيامة صاحبه في صورة شابّ جميل شاحب اللّون ، فيقول : أنا القرآن الّذي كنت أسهرت ليلك ، و أظمأت هواجرك[٢] ، و أجففت ريقك ، و أسيلت[٣] دمعتك ، أؤل معك حيث ما ألت ، و كلّ تاجر من وراء تجارته ، وأنا لك اليوم من وراء تجارة كلّ تاجر ، وسيأتيك كرامة الله عزّ وجلّ ، فأبشر .

قال : فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، ويعطى الامان بيمينه ، والخلد في الجنان بيساره ، ويكسى حلّتين ، ثمّ يقال [له] : إقرأ و ارق ، فكلّما قرأ آية صعد درجة ، و يكسى أبواه حلّتين إن كانا مؤمنين ، ثمّ يقال لهما : هذا لما علّمتماه القرآن . »[٤]

وعنه ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة

---

١) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن، ص ٦٠٢ ، ح ١٤ ؛ والوسائل ، ج ٤، باب ٢ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٢٧ ، ح ١ .

٢) « الهواجر » جمع هاجرة : وسط النهار وشدة حرارته .

٣) في بعض النسخ : « أسلت » .

٤) الكافي ، ج ٢ ، باب فضل حامل القرآن من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٠٣ ،ح ٣ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٣٤ ، ح ١ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحیم رب یسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ـ إلى أن قال : ـ حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة ، فيقول : يا ربّ فلان بن فلان أظمأت هواجره ، و أسهرت ليله في دارالدنيا ؛ وفلان بن فلان لم أظمأ هواجره ، ولم أسهر ليله . فيقول تبارك و تعالى : أدخلهم الجنّة على منازلهم ، فيقوم فيتّبعونه،فيقول للمؤمن: إقرأ وارقه. قال: فيقرأ ويرقأ حتّى يبلغ كلّ رجل منهم منزلته الّتي هي له ، فينزلها . » [١]

وعنه باسناده عن منهال القصّاب، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« من قرأ القرآن و هو شابّ مؤمن اختلط القرآن بلحمه و دمه ، و جعله الله مع السفرة الكرام [البررة] ، وكان القرآن حجيزاً عنه يوم القيامة ؛ يقول : يا ربّ إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي ، فبلّغ به أكرم عطائك. قال: فيكسوه العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنّة ، ويوضع على رأسه تاج الكرامة ، ثمّ يقال له : هل أرضيناك فيه ؟ فيقول القرآن : يا ربّ ، قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا .

[قال :] فيعطى الامن بيمينه ، و الخلد بيساره، ثمّ يدخل الجنّة ، فيقال له : إقرأ و اصعد درجة ، ثمّ يقال له : هل بلّغنا به وأرضيناك ؟ فيقول : نعم .

قال : ومن قرأه كثيراً ويعاهده بمشقّة من شدّة حفظه أعطاه

١) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، ص ٦٠١ ، ح ١١ ؛ والوسائل ، ج ٤،باب ١ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٢٤ ، ح ٢ ؛ والصافي، ج ١ ، المقدمة العاشرة ص ٤٣.

الله عزّ وجلّ أجر هذا مرّتين . » [١]

و روي قريب من كثير مضامين هذه الروايات في روايات أخر .

[مراتب وجود القرآن في النزول والصعود]

اقول : يمكن أن يقال : القرآن له وجود كتبيٌ بين الدفتّين ؛ و وجود لفظيّ للقارئ منّا و من المعصومين عليهم السلام و من الملائكة كجبرئيل عليه السلام ؛ و وجود علميٌ في لوح النفس مكتسب من المرتبتين الاولين ؛ و وجود علميٌ من إلقاء الروح الّذي في عالم الامر إيّاه في القلب بأمر الله سبحانه ؛ كما لعلّه يرشد إليه قوله تعالى : « **نزل به الرّوح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين .** » [٢] أو من انتقاش الالفاظ الغيبيّة في لوح القلب عند مواجهته لها ومقابلته إيّاه . و لعلّه يومي إليه قوله تعالى : « **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم .** » [٣]

و وجود غيبيٌ كتبيٌ في لوح غيبيٌ هو المبدأ لهذه النقوش الواقعة في لوح القلب ، و به يصير القلب مصحفاً لوجه أوراقه وتلك النقوش كتابته . ولعلّ إليه الاشارة بقوله تعالى: « **إنّه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لايمسّه إلا المطهّرون .** » [٤]

و وجود لفظيٌ غيبيٌ هو كلام الله سبحانه ، الّذي أوجده وأسمعه من شاء من عباده من الملك و النبي . و لعلّ إليه الاشارة بقوله تعالى : « **الله نزّل أحسن**

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب فضل حامل القرآن من كتاب فضل القرآن، ص ٦٠٣ ، ح ٤ ؛ والوسائل، ج ٤ ، باب ٦ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٢٣ ، ح ١ ؛ و رواه أيضاً الصدوق (ره) في ثواب الاعمال ، ص ١٢٦ .

٢) الشعراء / ١٩٣-١٩٤ .

٣) العنكبوت / ٤٩ .

٤) الواقعة / ٧٧-٧٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******
الحديث . » [١]

وله وجود إجمالي قبل التفصيل . لعلّ إليه الاشارة بقوله تعالى : « كتاب أحكمت آياته ثمّ فصّلت . » [٢]

وهو الأصل، والباقي تنزّلاته ومراتبه وشؤونه بمنزلة أصل الشجرة بالنسبة إلى ساقه وأغصانه . ولعلّ إلى هذه المقامات الاشارة باطلاق الانزال والتنزيل على القرآن في مواضع كثيرة .

ثمّ إن له صعوداً ايضاً ، فانّ القرآن اللّفظيّ الصادر عنّا يتمثّل بمثال ويتشكّل بصورة جوهريّ في عالم أرفع من هذا العالم،على ما تحقّق وثبت في محلّه بالآيات والاخبار الكثيرة الواردة في الموارد الكثيرة ، المعتضدة بالاستبصارات العقليّة وغيرها ، من أنّ الاعمال الحسنة و السيّئة تتجسّم وتتمثّل وتبقى في عالم البرزخ مع الميّت؛ وقرائة القرآن منها ، بل من أولى أفرادها بهذا الحكم ، و كتابة القرآن أيضاً عمل يتجسّم كذلك .

وحينئذ فيتحقّق في القرآن قوسان : قوس نزول ينتهي إلى وجوده اللّفظيّ والكتبيّ الواقع في هذه النشأة ، و قوس صعود واقع في عالم البرزخ ، كما هو الحال في حقيقة الانسان .

ثمّ إنّ حقيقة القرآن ليس مقصوراً على عالم الالفاظ والنقوش الواقعة في عالم الملك و الملكوت ، بل مداليل الكلمات القرآنيّة أحقّ بالدخول في حقيقة القرآن منها ، ولها وجود في عالمها المعنويّة ،فهي أيضاً يصحّ أن تعدّ مقاماً آخر له ، ومراتبه المتعددّة تنتهي إلى حقيقة الاسم الالهيّ ، الّذي هو المبدء للقرآن . ويشبه أن يكون هو حقيقة اسم الهادي والنور، الّذي ربّما أطلق اسمه على القرآن في مواضع .

---

١) الزمر / ٢٣ .
٢) هود / ١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[شرح تنزّل القرآن في القيامة بصوَر مختلفة]

ثمّ إنّ عالم القيامة الكبرى لمّا كان يوم الجمع بين العوالم ، و يوم إبلاء السرائر وإظهار المكنونات و إبراز الامور الغيبيّة بصور حسيّة مطابقة لها حتّى يتوافق النشئات والعوالم لينبّئهم بما عملوا . ولتبلى كلّ نفس ما كسبت ، ويحصد كلّ زارع ما زرع ـ والزرع تابع للبذر ـ ، والدنيا بمنزلة الأمّ للآخرة لزمه أن يتنزّل القرآن من عالم الغيب إلى ظاهر عالم القيامة مصوّرة بصورة حسنة أحسن ما يكون حتّى يوافق حسنه المعنويّ ؛ لأنّه أحسن ما يكون ، وله بهاء وجمال ونور حسيّ ، كما أنّ له هذه الصفات اليوم في عالم الغيب على وجه غيبيّ .

ثمّ إنّه لابدّ أن يمرّ على صفوف المؤمنين ، كما يمرّ على قلوبهم و نفوسهم فى دار الدنيا ليطابق الظاهر الباطن ، و القالب الروح ، و الصورة المعنى ، مبتدئاً للمرور من الادنى إلى الاعلى ؛ لأنّه سالك في الاستكمال متوجّه إلى ربّ العزّة ، فيلزمه الكون مع النازل قبل الكون مع الكامل ، وأن يكون مع كلّ صنف منهم بصورة ذلك الصنف : لأنّه عند كلّ منهم واقع في مرتبتهم بزيادة بهاء وجمال ونور لعدم مخالطته بما يضادّ هذه الصفات من ظلمة و كدورة ، ولأنّهم لايدركون منه إلا المقدار الذي كان لهم في الدنيا ، ومنه الشأن المتعلّق بصفتهم ومقامهم وحالهم ، كما أنّ كلا منهم حال قرائته للقرآن يشاهد المعنى الموافق لمقامه من الظاهر و الباطن و باطن الباطن و إن كان الكامل مشتملاً على الناقص . فلابدّ و أن يظنّ كلّ صنف منهم أنّه منهم ، كما كانوا يظنّون في الدنيا أنّه بيان طريقتهم وصفة حالهم ، وأن يعرفه كلّ منهم بنعته و صفته عند المواجهة ، كما كان يعرف ذلك المقدار في دار الدنيا من القرآن ومعانيه ، و قبله منه فيها ؛ إذ القدر الظاهر منه في كلّ مقام يساوي ذلك المقام ، ولو لم يعرف أهل الصنف ذلك القدر الظاهر لم يكونوا

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح(ع) ******

من أهل ذلك المقام . إلى أن ينتهي إلى ربّ العزّة في آخر قوسه الصعودي ، فيسجد صورة كما سجد بالخضوع المطلق والفناء معنىً . وقد كان مصير القرآن إليه سبحانه في النشأة الاولى .

ثمّ إنّ له بعد ذلك مقاماً يؤمر برفع الرأس من السجدة يضاهي مقام البقاء بالله بعد الفناء في الله ؛ وأن يسأل فيعطى ، كما كان مستمدّاً مواهب الحقّ سبحانه وبركاته لأهله في الدنيا ؛ وأن يشفع فيقبل شفاعته ، كما كان مقرّباً للعباد إلى الله سبحانه ، وموجباً لشمول الرحمة لهم ، و دفع العذاب عنهم في الدنيا .

ثمّ إنّه يظهر حال القابلين له والتاركين ، كما كان يبيّن في الدنيا أحوال الطائفتين راضياً عن الاولى ساخطاً للثانية : كالملك بالنسبة إلى رعيّته ، كموافقته ومخالفته والقبول والردّ المعنويين في الاولى .

ثمّ إنّ الحقّ يحكم بترتّب أحسن الثواب و العقاب بالقرآن هناك ، كما كان استحقاق الفريقين هنا ، ولزوم كلّه الاعطاء والعقاب هنا تابعاً له ؛ إذ لا تكليف إلا بعد البيان ، ولا ثواب ولا عقاب قبل التكليف .

ثمّ إنّه يرفع رأسه في صورة رجل شاحب اللّون متغيّر ثانياً ، كالنبيّ الكامل الراجع إلى الخلق بالحقّ بعد الفناء فيه ، قد اجتمع فيه الفعل والانفعال ، والامر والائتمار ، والطلب والاجابة ، والعبوديّة والمرآتيّة للربوبيّة ، وجهة إلى الحقّ ، والاخرى إلى النفس ، فيلزمه تغيّر لونه وكونه بصورة رجل ؛ إذ خلق الانسان في أحسن تقويم .

و من هذا البيان مضافاً إلى الرواية الاولى يظهر عدم المنافاة بين الرواية الثانية والثالثة .

ثمّ إنّه يتعرف إلى الرجل العارف به من الشيعة ، كما تعرّف إليه في

---

١) إشارة إلى قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم .» التّين /٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الدنيا ، وما يعرفه بالصورة الثانية ؛ لأنّه ما عرفه بد في الدنيا ، ويعرفه إذا تصوّر بالصورة الّتي كان عليها في باطن هذا العالم ؛ إذ كان عرفه كذلك .

ثمّ إنّه ينطلق به إلى رب العزّة ، كما كان يقرّبه إلى الله سبحانه في الدنيا بحضوره في قلبه ، وجريانه على لسانه ، وتعليمه وهدايته ، وحمله إيّاه على مايقرّبه إلى الله سبحانه ، و يظهر عند الربّ ما صنع بد ، كما أظهر في مشاهدة الربّ في دارالدنيا من العبد ما صنعه وحمله عليه، كما صرّح به في الرواية الثالثة والرابعة، فيجزيه الربّ الجزاء الاولى ، و يبشّره القرآن بكرامة الله ، كما في الرواية الثالثة ، كما كان يبشّره في الدنيا ؛ « و بشّر **الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار .** »[١]

ثمّ الظاهر أنّ تعجّب الراوي من تكلّم القرآن لأنّه لم يطّلع منه إلا على الالفاظ والنقوش الواقعة في هذا العالم ؛ لأنّه نظر إليه نظر الضعفاء في مقام الايمان، ولهذا استرحم الامام على الضعفاء المسلّمين لكلام الائمّة عليهم السلام و إن لم يصل إلى إدراكه أفهامهم ، فانّ طريقة النجاة لهم هو التسليم دون جعل الافهام الناقصة ميزاناً لكلامهم في الردّ و القبول . و أمّا الاقوياء فهم يدركون صحّته على قدر درجاتهم في الايمان، فيصدّقون تصديقاً إيقانيّاً،لاتعبّديّاً. ولعلّ محصّل الجواب هو المقايسة بالصلاة لاشتراك الاستبعاد الوهمي بينهما ، و أنّ لها صورة وخلقاً تأمر و تنهى ، وهو من باب تجسّم الاعمال الجزئيّة الصادرة عنّا ، أو من باب صورته الكلّيّة المقدّمة على الأفعال الجزئيّة ، نظير ما مرّ في القرآن .

ثمّ إنّ الصلاة بكلا الوجهين تنهى عن موالاة أعدائهم خصوصاً الاوّلين ، المكنّى عنهما بالفحشاء والمنكر بالخصوص[٢] ، أومندرجين تحت المكنّى عنه لولم

١) البقرة /٢٥ . وفي المخطوطة : « يبشر » .

٢) هذه التكنية قد وردت في روايات الائمه ـ عليهم السلام ـ ؛ كرواية رواه ←

يخصّص بهما ، وتأمر بموالات الائمّة الّذين هم ذكر الله الّذي هو أكبر . وشرحه خارج عن العنوان الّذي نحن فيه .

[تكلّم القرآن ومعاتبة السّورة المتروكة لتاركها]

وممّا ذكرنا يمكن أن يعرف كيفيّة مخاطبة السورة المتروكة والمنسيّة لتاركها وناسيها الواردة في عدّة من الاخبار ؛ كما عن الكافي بسنده الصحيح ، عن يعقوب الاحمر قال :

« قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك ، إنّه أصابتني هموم وأشياء لم يبق شيء من الخير إلا وقدتفلت منّي منه طائفة ، حتّى القرآن لقد تفلت منّي طائفة منه .
قال : ففزع عند ذلك حين ذكرت القرآن ، ثمّ قال : إنّ الرجل لينسي السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتّى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات ، فتقول : السلام عليك . فيقول : و عليك السلام ، من أنت ؟ فتقول : أنا سورة كذا و كذا ضيّعتني وتركتني ، أما لو تمسّكت بي لبلغت بك هذه الدرجة ـ إلى آخر الحديث . »[1]

العياشي (ره) في تفسيره ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، ح ٦٢ ، عن عطاء الهمداني ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ أنه قال في تفسير قوله تعالى : « وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي » (النحل/ ٩٠) : « وينهى عن الفحشاء الاول والمنكر الثاني والبغي الثالث . » وهكذا ذكر السيد هاشم البحراني (ره) هذه الرواية وغيرها ممّا يتضمّن هذا المعنى في البرهان ، ج ٢ . ص ٣٨١ ؛ فراجع .

١) الكافي ، ج ٢، كتاب فضل القرآن ، باب من حفظ القرآن ثمّ نسيه ؛ و الوسائل، ج ٤ ، باب ١٢ من أبواب قراءة القرآن .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعنه وعن عقاب الاعمال والمحاسن بالسندالحسن وغيره عن أبي بصير قال: قال أبو عبدالله عليه السلام:

«من نسي سورة من القرآن مثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنّة[1]. فاذا رآها قال: ما[2] أنت؟ فما أحسنك! ليتك لي. فتقول: أما تعرفني؟ أنا سورة كذا وكذا، لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا المكان.»[3]

وعنه بسنده عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام [يقول]:

«إنّ الرجل إذا كان يعلم السورة ثمّ نسيها أو تركها ودخل الجنّة أشرفت عليه من فوق في أحسن صورة، فتقول: تعرفني؟ فيقول: لا. فتقول: أنا سورة كذا وكذا، لم تعمل بى و تركتني، تقول: أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة، وأشارت بيدها إلى ما فوقها.»[4]

[درجات الجنّة على عدد آيات القرآن]

والمستفاد من هذه الاخبار أنّ التمسّك بأيّ سورة كانت والعمل بها وعدم نسيانها موجب للوصول إلى درجة رفيعة، وأنّ تضييعها و تركها و نسيانها وترك العمل بها سبب لفقدانها، كما أنّ المستفاد من جملة من الروايات أنّ القارئ إذا

١) ليس في عقاب الاعمال: «في الجنة». منه (ره).

٢) في المصادر: «من».

٣) المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ١٦٥، والمحاسن، ج ١، كتاب عقاب الاعمال، ص ٩٦، ح ٥٧؛ وعقاب الاعمال، ص ٢٨٣؛ و هكذا في البحار، ج ٩٢، باب ثواب تعلم القرآن وتعليمه، ص ١٨٨، ح ١١.

٤) المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ١٦٥.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

قرأ آية صعد درجة، وأنّ عدد درجات القارئ بعدد آيات القرآن، كما في الروايات الاخيرة، وكما رواه في المجالس بسنده عن المفضّل بن عمر، عن الصادق عليه السلام قال:

« عليكم بتلاوة القرآن، فانّ درجات الجنّة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: إقرأ وارق، فكلّما قرأ آية رقا درجة. »[١]

وما عن الكليني بسنده عن حفص، قال: سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول ـ في حديث ـ:

« إنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن؛ يقال له: إقرأ وارق. فيقرأ ثمّ يرقا. »[٢]

وغير ذلك.

ويشبه أن يكون السرّ في ذلك أن في كلّ سورة بل كلّ آية علم ومعرفة وهداية ودعوة إلى الحقّ، فبالتمسّك بكلّ منها والمعرفة بها والتخلّق بموجبها والعمل بها درجة في التقرّب إلى الله سبحانه، والمتحصّل من مجموعها نهاية درجات القرب إليه سبحانه. ولمّا كان الدرجات الواقعة بين العبد والحقّ مضاهياً لدرجات الجنّة ومطابقاً لها، بل هي معانيها وأرواحها، وتلك قوالبها ومظاهرها، وجوائزها وآثارها المترتّبة عليها، كانت الدرجات أيضاً على حسب السور والآيات.

ولعلّ المراد من الحفظ والنسيان ليس مجرّد ألفاظ القرآن ونسيانها، بل

---

١) المجالس للصدوق (ره)، المجلس السابع والخمسون، ح ١٠؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضل قراءة القرآن عن ظهر القلب، ص ١٩٧، ح ٤؛ والوسائل، ج ٤، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٢، ح ١٠.

٢) الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ص ٦٠٦، ح ١٠؛ وعلم اليقين للفيض (ره)، ج١، الباب الثاني عشر، ص ٥٥٤؛ والوسائل، ج٤، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٠، ح ٣.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

مع حفظ معانيها والايمان بها والتخلّق بها والعمل بموجبها ، كما يؤيّده مضافاً إلى إشارة الأخبار المذكورة من ذكر التضييع والتمسّك والعمل وتركه، ما سيجيء في آداب القرائة وحامل القرآن ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[رفعة مقام أهل القرآن]

ولعلّ ذلك هو المراد ممّا عن الكليني بسنده عن السكوني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«إنّ أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميّين ماخلا النبيين والمرسلين، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم ، فانّ لهم من الله العزيز الجبّار لمكاناً . »[1]

وما رواه الطبرسي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته . »[2]

وما رواه الصدوق باسناده عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال :

« أشراف أمّتي حملة القرآن وأصحاب اللّيل . »[3]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، باب فضل حامل القرآن ، ص ٦٠٣ ، ح ١ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٤ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٣٠ ، ح ١ : و روى الصدوق (رض) في ثواب الاعمال ، ص ١٠٥ ، عن أبيه ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن أحمد ، عن إبراهيم بن هاشم مثله .

٢) في المخطوطة : « أهل الله خاصة» . والحديث في مجمع البيان ، ج ١ ، المقدمة ، الفن السادس ، ص ١٥ ، عن أنس بن مالك ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ١ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٢٥ ، ح ٩ ؛ و أخرجه بهذا الاسناد أيضاً ابن ماجة في سننه ، ج ١ ، المقدمة ، باب ١٦ ، ص ٦٨، رقم ٢١٥ ، والحاكم في المستدرك، ج ١ ، باب فضائل القرآن ، ص ٥٥٦ .

٣) الخصال ، باب الواحد ، ص ٧ ، ح ٢١ ، وفيه : عن ابن عباس ، عنه ـ صلى

←

و لعلّ المراد من أصحاب اللّيل أرباب النفوس الساذجة من أهل المعرفة المنقطعين إلى الله سبحانه.

وما عن تفسير الامام العسكري عليه السلام عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال:

« حملة القرآن المخصوصون لرحمة الله، الملبّسون نورالله، المعلّمون كلام الله، المقرّبون عند الله؛ من والاهم فقدوالى الله، ومن عاداهم فقدعادى الله. يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، وعن قارئه بلوى الآخرة ـ إلى أن قال: ـ والّذي نفس محمّد صلى الله عليه وآله بيده لسامع [1] آية من كتاب الله وهو معتقد أعظم أجراً من ثبيرذهباً يتصدّق به ... ولقارئ [2] آية من كتاب الله معتقداً أفضل ممّا دون العرش إلى أسفل التخوم. » [3]

وما رواه الكليني بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال:

« الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة. » [4]

الله عليه وآله ـ؛ وهكذا في الفقيه ومعاني الاخبار كما في الوسائل، ج ٤، باب ٤ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٣١، ح ٢، و رواه أيضاً الطبرسي في مجمع البيان، ج ١، المقدمة، الفنّ السادس، ص ١٦.

١) وقع التقديم والتأخير هنا في المخطوطة.

٢) في المخطوطة: «لقارئه».

٣) تفسير الامام العسكري ـ عليه السلام ـ، المقدمة، ص ٤؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضل حامل القرآن، ص١٨٢، ح١٨؛ والوسائل، ج ٤، باب٤ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٣١، ح٤؛ وروى الطبرسي (ره) صدره في مجمع البيان، ج ١، المقدمة، الفنّ السادس، ص ١٥، عن أنس بن مالك، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ.

٤) الكافي، ج ٢، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن، ص ٦٠٣، ح

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وبسنده عن معاوية بن عمّار قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام :

« من قرأ القرآن فهو غنيٌّ لا يفقر[1] بعده ، و إلا ما به غنى . »[2]

[فضل قراءة القرآن وختمه واستماعه]

والأخبار الواردة في فضيلة قراءة القرآن زيادةً على ما مرّ كثير ؛

منها : ما رواه الكليني بسنده عن الزهري قال :

« قلت لعليِّ بن الحسين عليهما السلام : أيُّ الأعمال أفضل ؟

قال : الحالُّ المرتحل .

قلت : وما الحالُّ المرتحل ؟

قال : قال : فتح القرآن وختمه ؛ كلّما جاء بأوّله ارتحل بآخره . »[3]

---

٢ ؛ وهكذا رواه الصدوق (ره) في ثواب الأعمال، ص١٢٧ ؛ والمعاني كما في الوسائل، ج ٤ ، باب ٥ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٣٢ ، ح ١ .

١) في بعض النسخ : « فقر » .

٢) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، باب فضل حامل القرآن ، ص ٦٠٥ ، ح ٨ ؛ وثواب الأعمال ، ص ١٢٨ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٦ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٣٤ ، ح ٣ .

قال الفيض (ره) في ذيل هذا الحديث في الوافي : « و ذلك لأنّ في القرآن من المواعظ ما إذا اتّعظ بهاستغنى عن غير الله في كل ما يحتاج إليه ، وإن لم يستغن بالقرآن فما يغنيه شيء ، و هذا أحد معاني قوله ــ صلى الله عليه وآله ــ : من لم يتغنّ بالقرآن فليس منّا . »

٣) في المآخذ : « في آخره » . وقال المجلسي (رض) في مرآة العقول ، ج ١٢ ، ص ٤٨٨ : « الحال المرتحل أي : عمله ، وفي النهاية : فيه أنه سئل أي الأعمال أفضل ؟

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وقال : قال رسول‌الله ﷺ : من أعطاه الله القرآن فرأى أنّ رجلاً أُعطي أفضل ممّا أعطي ، فقد صغّر عظيماً وعظّم صغيراً . »[١]

وعن الصدوق روايته أيضاً كما رواه الكليني إلا أنّه قال: « كلّما حلّ بأوّله ارتحل في آخره . »[٢] وهو أقرب وأنسب .

و منها : ما عنهما بسنديهما عن عبدالله بن سليمان ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: « من قرأ القرآن قائماً في صلاته كتب الله له بكلّ حرف مائة حسنة ، و من قرأ في صلاته جالساً كتب الله له بكلّ حرف خمسين حسنة، ومن قرأ في غير صلاة كتب الله له بكلّ حرف عشر حسنات . »[٣]

فقال : الحال المرتحل . قيل : وما ذلك ؟ قال : الخاتم المفتتح ، وهو الذى يختم القرآن بتلاوته ، ثم يفتتح التلاوة من أوله ، شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحل فيه ، ثم يفتتح السير؛ أي : يبتدء به . و كذلك قراء مكة اذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدؤوا وقرؤوا « الفاتحة » وخمس آيات من أول سورة « البقرة» الى قوله « هُمُ المفلحون » ، ثم يقطعون القراءة ، و يسمون فاعل ذلك « الحال المرتحل » ، أي : أنه ختم القرآن وابتدأ بأوله ولم يفصل بينهما بزمان . »

١) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن، باب فضل حامل القرآن ، ص ٦٠٥ ، ح٧؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة العاشرة، ص ٤٣ ؛ والوسائل، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٣٩ ، ح ٢ .

٢) راجع معاني الاخبار ، باب معنى الحال المرتحل ، ص ١٩٠ .

٣) الكافي ، ج ٢ ، باب ثواب قراءة القرآن ، ص ٦١١ ، ح ١ ، وفيه : « عن ابن محبوب ، عن عبدالله بن سنان ، عن معاذ بن مسلم ، عن عبدالله بن سليمان ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ . » وقال في ذيل هذا الحديث : « قال ابن محبوب : وقد سمعته عن معاذ

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والظاهر أن الاخير من جهة أن كل حرف منها حسنة ، و « من جاء بالحسنة فله عشر امثالها . »[١] والاول لأن جعله في الصلاة حسنة أخرى ، فيضرب العشر في العشر ، أو لأن حالة الصلاة يقتضي المضاعفة كذلك ، والثاني لأن صلاة الجالس نصف القائم .

و منها : ما عن الكليني بسنده عن بشير بن غالب الأسدي ، عن الحسين بن علي عليه السلام قال :

« من قرأ آية من كتاب الله عز وجل في صلاته قائماً يكتب الله له بكل حرف مائة حسنة ، فان قرأها في غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، وإن استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة ، و إن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، و إن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسي ، وكانت له دعوة مجابة ، وكان خيراً له مما بين السماء إلى الارض .

قلت : هذا لمن قرأ القرآن ، فمن لم يقرأه ؟

قال : يا أخا بني أسد ، إن الله جواد ماجد كريم ، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك . »[٢]

على نحو مما رواه ابن سنان . » وهكذا في ثواب الاعمال ، ص ١٢٦ ؛ والوسائل ، ج٤، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٠ ، ح ٤ .

١) الانعام / ١٦٠ .

٢) الكافي ، ج ٢ ، باب ثواب قراءة القرآن ، ص ٦١١ ، ح ٣ ؛ والوسائل ، ج٤، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٤١ ، ح ٥ ؛ وهكذا رواه ابن فهد الحلي في عدة الداعي كما في البحار ، ج ٩٢، باب فضل قراءة القرآن عن ظهر القلب ، ص ٢٠٠ ، ح١٧.

قال الفيض (ره) في الوافي : « لعل المراد بختمه ليلاً و نهاراً فراغه منه فيهما ، لاختمه كله فيهما . وأما الدعوة المجابة ، فانما تترتب على ختمه كله . »

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وما عنه باسناده عن محمد بن بشير ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام [قال :] [١] وقد روي هذا الحديث عن الصادق عليه السلام قال :

« من استمع حرفاً من كتاب الله من غير قراءة كتب الله له حسنة ، ومحى عنه سيّئة ، و رفع له درجة ؛ ومن قرأ نظراً من غير صلاة كتب الله له بكلّ حرف حسنة، ومحى عنه سيّئة و رفع له درجة ؛ و من تعلّم منه حرفاً ظاهراً كتب الله له عشر حسنات ، و محى عنه عشر سيّئات ، و رفع له عشر درجات .

قال : لا أقول بكلّ آية ، ولكن بكلّ حرف ، باء أو تاء أو شبههما .

قال : ومن قرأ حرفاً وهو جالس في صلاة كتب الله له خمسين حسنة ، ومحى عنه خمسين سيّئة ، و رفع له خمسين درجة؛ ومن قرأ حرفاً وهو قائم في صلاته كتب الله له مائة حسنة ، و محى عنه مائة سيّئة ، و رفع له مائة درجة ؛ و من ختمه كانت له دعوة مستجابة ، مؤخّرة أو معجّلة .

قال : قلت : جعلت فداك ، ختمه كلّه ؟

قال : ختمه كلّه . » [٢]

وبهذا السند عن الصادق عليه السلام قال :

« سمعت أبي يقول : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : ختم القرآن إلى

١) القائل يمكن أن يكون المصنف (ره) كما احتمله المولى محمد صالح المازندراني (رض) في شرحه على الكافي ، أو الراوي كما ذكر في بعض النسخ .

٢) الكافي ، ج ٢، باب ثواب قراءة القرآن؛ والوسائل، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٤١ .

حيث يعلم . »[١]

ولعلّ المراد بالحسنة لقراءة الحرف هو الحسنة المضاعفة عشراً ، فيكون لتعلّمه عشرة مضاعفة إلى المائة بظاهر السياق .

و منها : ما عنه بسنده عن عمرو بن أبي المقدام ، عن الصادق عليه السلام في حديث قـال :

« ما من عبد من شيعتنا يتلوا القرآن في صلاته قائماً إلا وله بكلّ حرف مائة حسنة ، ولا قرأ في صلاته جالساً إلا وله بكلّ حرف خمسون حسنة ، ولا في غير صلاته إلا وله بكلّ حرف عشر حسنات . »[٢]

ولعلّ التخصيص بالشيعة لاختصاص قبول الاعمال أومضاعفتها لهم .

ومنها : ما عنه بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، و من قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ،

---

١) في بعض النسخ : « تعلم » . والحديث في المصادر السابقة .

قال الفيض (ره) في الوافي : « يعني : ختمه في حقك أن تقرأ كل ما تعلم منه . »

وقال المجلسي (ره) في مرآة العقول : «ربي حيث يعلم ؛ في بعض النسخ : « إلى » ، وفي بعضها : « إلى ربي » ، وعلى نسخة : « إلى » بدون ربي . لعلّ المراد أن من قرأ القرآن قدر ما يعلم يعطى ثواب ختمه ، فيترتب ثواب الختم على ختم هذا القرآن الذي نقرؤه ، وإن كان في الواقع أكثر من ذلك . وعلى نسخة: «ربي » فقط ؛ لعلّ المراد أنه تعالى جعل مجموع القرآن عند من يعلم ، أي : الائمة ـ عليهم السلام ـ . و على الجمع بينهما لعلّ المراد ، أن ثوابه إلى الله تعالى لايعلم غيره لكثرته ، والله يعلم . »

٢) الكافي ، ج ٨ (الروضة) ص٢١٤ ، ح ٢٦٠ ؛ و الوسائل، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٤٢ ، ح ٨ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مائتي آية كتب من الخاشعين ، ومن قرأ ثلاث مائة آية كتب من الفائزين ، ومن قرأ خمس مائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار ـ القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب؛ المثقال أربعة و عشرون قيراطاً ـ أصغرها مثل جبل أحد ، وأكبرها ما بين السماء والارض . »[١]

و منها : ما عنه باسناده عن ابن القدّاح ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« قال أميرالمؤمنين عليه السلام : البيت الّذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزّوجلّ فيه تكثر بركته ، و تحضره الملائكة ، وتهجره الشياطين، ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الارض ؛ و إنّ البيت الّذي لايقرأ فيه القرآن ولا يذكرالله عزّوجل فيه تقلّ بركته ، و تهجره الملائكة ، و تحضره الشياطين . »[٢]

وقريب من جملة ممّا فيه أخبار أخر ، ومنها غير ذلك .

---

١) في بعض النسخ : « إلى الارض » . والحديث في الكافي ، ج ٢ . باب ثواب قراءة القرآن ، ص٦١٢ ، ح ٥ ؛ و رواه أيضاً الصدوق (ره) في ثواب الاعمال والمجالس والمعاني كما في الوسائل ، ج ٤ ، باب ١٧ من أبواب قراءة القران ، ص ٨٥١ ، ح٢ .

٢) الكافي ، ج٢ ، باب البيوت الّتي يقرأ فيها القرآن ، ص ٦١٠، ح ٣: والوسائل، ج ٤ باب ١٦ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٠ ، ح ٢ .

المقدّمة الحادية عشر

في ذكر جملة ممّا ورد في آداب التّلاوة الظّاهريّة و الباطنيّة و كيفيّتها ، و ما يتعلّق بذلك

والآداب المرغّب فيها كثيرة :

[استحباب النّظر في المصحف حال القرائة]

منها : النظر إلى المصحف حال القرائة و كون القرائة منه ؛ فمن الكليني باسناده عن إسحق بن عمّار ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« قلت [له] : جعلت فداك ، إنّي أحفظ القرآن على ظهر قلبي فأقرأه على ظهر قلبي أفضل أو أنظر في المصحف ؟
قال : فقال عليه السلام لي : بل اقرأه وانظر في المصحف ، فهو أفضل، أما علمت أنّ النظر في المصحف عبادة ؟ » [1]

وعنه باسناده عن يعقوب بن يزيد رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال :

« من قرأ القرآن في المصحف متّع ببصره ، و خفّف على والديه وإن كانا كافرين . » [2]

وعن ثواب الاعمال روايته باسناده عنه ، عن رجل عن العوّام رفعه مثله إلا

---

1) الكافي، ج ٢ ، باب قراءة القرآن في المصحف ، ص ٦١٣ ، ح ٥ ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة الحادية عشرة ، ص ٤٤ ؛ و الوسائل ، ج ٤ ، باب ١٩ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٤ ، ح ٤ .

2) الكافي ، ج٢ ، باب قراءة القرآن في المصحف ، ص ٦١٣ ؛ والوسائل ، ج٤، باب ١٩ من أبواب قراءة القرآن .

******بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أنّه قال: «في المصحف نظراً.»

و زاد: وبهذا الاسناد رفعه إلى النبيّ ﷺ قال:

«ليس شيء أشدّ على الشيطان من القرائة في المصحف نظراً.»[1]

و عن الكليني باسناده عن الحسن بن راشد، عن جدّه، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«قرائة القرآن في المصحف تخفّف العذاب عن الوالدين وإن كانا كافرين.»[2]

وعن الأمالي باسناده عن أبي ذرّ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«النظر إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عبادة، و النظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة، والنظر في الصحيفة يعني صحيفة القرآن عبادة، والنظر إلى الكعبة عبادة.»[3]

ولعلّ السرّ في استحبابه أنه شغل العين بملاحظة كلام الله سبحانه، أو أنّه يورث زيادة توجّه القلب إليه، أو أنّه يمنع العين عن شغله بغيره الدارف للقلب عنه.

[استحباب الطّهارة عند قراءة القرآن]

ومنها: الطهارة؛ فعن عبدالله بن جعفر الحميري [ره] في قرب الاسناد، عن

---

١) ثواب الاعمال، ص ١٢٨ و١٢٩؛ والوسائل، ج ٤، باب ١٩ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٥٣، ح ١ و٢.

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ١٧٦.

٣) أمالي الشيخ، ج ٢، الجزء السادس عشر، ص ٧٠؛ والوسائل، ج ٤، باب ١٩ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٥٤، ح ٥.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

محمد بن عبدالحميد، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن عليه السلام قال:

«سألته: أقرأ المصحف ثمّ يأخذني البول، فأقوم فأبول و أستنجي وأغسل يدي وأعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟

قال: لا، حتّى تتوضّأ للصلاة.» [1]

و المراد من الوضوء للصلاة إنّما الوضوء المأتيّ به لأجله، و يكون ذلك لأنّه أدخل في الطهارة من غيره، أو الوضوء الّذي من شأنه أن يتوصّل به إليها وإن لم يفعله لها، فيكون المراد هوالوضوء الرافع للحدث، أوغير ذلك.

وعن الصدوق [ره] في الخصال باسناده عن عليّ عليه السلام في حديث الاربعمائة قال:

«لا يقرأ العبد القرآن إذا كان على غير طهور حتّى يتطهّر.» [2]

وعن ابن فهد [ره] في عدّة الداعي قال: قال عليه السلام [3]:

«لقارئ القرآن بكلّ حرف يقرأه في الصلاة قائماً مائة حسنة، وقاعداً خمسون [حسنة]، و متطهّراً في غير صلاة خمس و عشرون حسنة، و غير متطهّر عشر حسنات. أما إنّي لا أقول «المر»، بل بالالف عشر، و باللام عشر و بالميم عشر، وبالراء عشر.» [4]

---

١) قرب الاسناد، ص ١٧٥؛ والوسائل، ج ٤، باب ١٣ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٧، ح ١.

٢) الخصال، ج ٢، حديث الاربعمائة، ص ٦٢٧؛ و الوسائل، ج٤، باب١٣ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٧، ح ٢.

٣) والظاهر أن المراد من «قال عليه‌السلام» هو: جعفر بن محمد الصادق ــ عليه آلاف التحية والسلام ــ كما يظهر من رواية سبقت على هذا الحديث في العدة.

٤) عدة الداعي (المخطوطة)، الباب السادس، ص ٢٥٦؛ والوسائل، ج ٤، باب ١٣ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٤٨، ح ٣.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ولعلّ السرّ في ذلك أنّ حالة الطهارة أقرب إلى الاستفاضة بأنوار القرآن من حالة الحدث ، كما أنّ طهارة القلب عن الادناس الباطنيّة معدّ لحصول تلك الفيوضات للقارئ ، بل الظاهر أنّه أولى بالمراعاة ؛ إذ هو المعنى والروح ، والطهارة الظاهريّة صورة وقالب ، و بينهما ارتباط كسائر المعاني والصور ، فلابدّ من الجمع بينهما في تحصيل الكمال على ما يخطر بالبال ، والله العالم بحقيقة الحال .

[خفض الصّوت و رفعه ورجحان أحدهما على الآخر]

ومنها : خفض الصوت به ؛ ففي المجالس والاخبار باسناده عن أبي ذرّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في وصيّته له ، قال :

« يا أباذرّ ، أخفض صوتك عند الجنائز ، وعند القتال ، وعند القرآن . »[1]

و روى الكليني [ره] عن الباقر عليه السلام أنّ :

« من قرأ « إنّا أنزلناه في ليلة القدر » يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله ، ومن قرأها سرّاً كان كالمتشحّط بدمه في سبيل الله . »[2]

والثاني أرفع شأناً من الاوّل .

و أمّا ما روي عن ابن إدريس في آخر السرائر بسند ظاهره الصحّة ، عن معاوية بن عمّار قال :

---

١) المجالس و الاخبار (الامالي) للشيخ ، ج ٢ ، المجلس الاول ، ص ١٤٦ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٣ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٨ ، ح ٣ .

٢) الكافي ، ج ٢ ، باب فضل القرآن ، ص ٦٢١ ، ح ٦ ؛ والو سائل ، ج ٤ ، باب ٢٣ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٥٧، ح١؛ وهكذا رواه الصدوق (ره) في ثواب الاعمال، ص ١٥٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« قلت لأبي عبدالله عليه السلام : الرجل لايرى أنّه صنع شيئاً في الدعاء وفي القرائة حتّى يرفع صوته .

فقال عليه السلام : لابأس ، إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان يرفع صوته حتّى يسمعه أهل الدار ، وإنّ أباجعفر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان إذا قام من اللّيل وقرأ رفع [به] صوته ، فيمرّ به مارّ الطريق من السقّائين و غيرهم ، فيقومون فيستمعون إلى قرائته . »[1]

فصدره لايدلّ على أزيد من نفي البأس عن رفع الصوت لمن كان كذلك ، و هو محتمل لنفي الكراهة و إن تضمّن ترك بعض الآداب ؛ إذ ليس كلّ ترك مستحبّ مكروهاً بالمعنى الشائع ، ولكونه لأجل ترجيح ما يترتّب على رفع الصوت لمن كان كذلك من تأثّر القلب أوالتّحزّن وغيرهما على الخفض ، ولنفي كون السنّة الاخفات مطلقاً بحيث يخرج الجهر بها عن السنّة .

وأمّا ذيله فاجهار الامامين عليهما السلام لأجل تنبيه السامعين وتأثيره في قلوبهم ، خصوصاً على الحالة الّتي يقرئاه ، فيكون القرائة موعظةً وتذكيراً في ضمن عبادة ، و هو حينئذ أرجح من ملاحظة استحباب الخفض بالقرائة ، خصوصاً من الامام المنصوب لتكميل العباد ؛ لكن لايبعد أن يكون رجحان الاسرار غير عامّ بحسب حالات القارئ وإن كان الظاهر أرجحيّة إخفاء العبادات المندوبة ؛ إذ النسبة بين

---

١) السرائر ، باب النوادر (المستطرفات) ، ص ٤٨٤ ، وقد نقله من كتاب نوادر المصنفين لمحمد بن علي بن محبوب الاشعري الجوهري القمي ؛ و هكذا في الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٣ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٨ ، ح ٢ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، بآب قراءة القرآن بالصوت الحسن ، ص ١٩٤ ، ح ٩ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

الإسرار والإظهار للغير عموم من وجه، وحينئذ فيحتمل قوياً أن يكون في الحكم الاسرار والاجهار مختلفاً بحسب الاحوال ، فمن كان الإسرار له أخلص من جهة النيّة، أو أدخل في التوجّه، كان أرجح له ، ومن كمل إخلاصه، أو كان متخلّياً عن الناس، وكان الاجهار أشدّ تأثيراً في القلب ، أو أجمع للفكر ، أو كان منبّهاً للغير ، أو نحو ذلك ، كان أولى له .

ويؤيّد أولويّة الجهر في الجملة ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير قال:

« قلت لأبي جعفر عليه السلام: إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جائني الشيطان فقال : إنّما ترائي بهذا أهلك والناس .

فقال : يا أبا محمّد ، اقرأ قرائة ما بين القرائتين تسمع أهلك ، و رجّع بالقرآن صوتك ، فانّ الله عزّوجلّ يحبّ الصوت الحسن . »[1]

ولا يبعد أن يكون ذلك لاستظهاره عليه السلام أنّ ذلك الخطور له بالنسبة إلى الاهل محض خطور لا يؤثّر في نيّته، فيكون من قبيل تصوّر الرياء بخلافه بالنسبة إلى الناس ؛ إذ ربّما يشوب النيّة فيمنعه عن كمال الاخلاص .

[استحباب تحسين الصّوت وعدم جواز التّرجيع والغناء]

ومنها : تحسين الصوت ؛ كما دلّ عليه ذيل الخبرين المتقدّمين ، و ما رواه الكليني بسنده عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

« قال النبيّ صلى الله عليه وآله : لكلّ شيء حلية ، وحلية القرآن الصوت الحسن . »[2]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، والصافي ؛ ج ١ ، المقدمة الحادية عشرة ، ص ٤٥ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٤ من أبواب قراءة القرآن .

٢) نفس المصادر ، وكذا في جامع الاخبار ، ص ٤٩ ، و فيه : أنس بن مالك ، عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ .

وما رواه في المرسل عنه عليه السلام قال :

« كان عليّ بن الحسين عليهما السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وكان السقاؤون يمرّون فيقفون ببابه يستمعون قراءته . »[١]

وما رواه عن عليّ بن محمد النوفلي ، عن أبي الحسن عليه السلام ، قال :

« ذكرت الصوت عنده ، فقال: إنّ عليّ بن الحسين عليهما السلام كان يقرأ فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته . »[٢]

وما رواه الصدوق في عيون الاخبار باسنادين عن الرضا عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حسّنوا القرآن بأصواتكم ، فانّ الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً . »

وزاد في إحدى الروايتين:

« وقرأ : **يزيد في الخلق ما يشاء** . »[٣].

وما رواه الطبرسي في مجمع البيان عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « **ورتّل القرآن ترتيلاً** »[٤]، قال :

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ؛ والصافي ، ج ١. المقدمة الحادية عشرة ، ص ٤٥؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب٢٤ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٩.

٢) نفس المصادر .

٣) الآية : فاطر/١ ؛ والروايتين : تجد الاخيرة في العيون . ج ٢، باب ٣١ :ص٦٨، ح ٣٢٣ ، عن دارم بن قبيصة ، عنه ــ عليه السلام ــ ، عن آبائه ــ عليهم السلام ــ ، عنه ــ صلى الله عليه وآله ــ ؛ وأما الرواية الاولى فلم نعثر عليها فيما بأيدينا من نسخ العيون ؛ ولكن نقلهما الشيخ حرّالعاملي (رض) عنه في الوسائل ، باب٢٤ من أبواب قراءةالقرآن، ص ٨٥٩ و٨٦٠ ، ح ٦ و٧. واسناد الرواية الاولىعلى ما في الوسائل هو : محمد بن عمر الجعابي ، عن الحسن بن عبدالله التميمي، عن أبيه ، عن الرضا ــ عليه السلام ــ ، عنه ــ صلى الله عليه وآله وسلّم ــ .

٤) المزّمّل /٤ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« هو أن تتمكّث فيه وتحسن به صوتك . »[١]

أقول :

قد يكون حسن الصوت طبيعيّاً منشؤه كون آلات التنفّس والتكلّم بحيث يصدر عنه الكلام حسناً وملايماً مناسباً لسمع السامعين ، بحيث يستلذّ به السامع، كما أنّها قد تكون على خلاف ذلك بحيث يخرج منه الكلام على وجه تشمئزّ منه النفوس ؛ كصوت الحمار . وهذا في الصوت كالحسن والقبح في الوجه وغيره من سائر الاشياء . وقد يكون اختياريّاً ناشئاً من طرف المادّة باعتبار إخراج الحروف من أليق حدود مخارجها بها على وجه متناسب ، كما يشاهد في بعض القرّاء ، أو من طرف الهيئات العارضيّة للحروف ، المحسّنة لها ، المزيّنة إيّاها ، باعتبار الانفراد والتأليف مع غيرها بحيث يميل إلى معروضها نفس السامع ، كما يعرض القبح للكلام بالاعتبارين ، كما هو المشاهد من بعض الناس . وقد يكون اختياريّاً ناشئاً من ترجيع الصوت و ترديده بكيفيّات خاصّة ، بحيث تؤثر في النفس سروراً و حزناً ، مع قطع النظر عن مادّة الحروف والكلمات وهيئاتها العارضة لها، بل هو خارج عنها أصلاً ، بل ربّما يؤثّر تأثيرها في نفس السامع مع عدم سماعه لجوهر الكلام.

وبيان هذا النمط من الحسن هو الّذي تكفّل له علم الموسيقي المعدود من أجزاء علم الحكمة ، وله أقسام وقواعد مسطورة فيه .

و لايبعد أن يكون هذا القسم بالخصوص هو المراد بالغناء الّذي ورد عنه النهي في الاخبار وأفتى بحرمته العلماء ، ويشبه أن يكون موضوعه ظاهراً عند أهله و من له بصيرة بهذا الشأن ، ولو في الجملة ؛ إذ ليس كلّ من يعرف حسن الشيء من قبحه يقدر على صناعته ، كما يظهر بين الخطّ الحسن والقبيح ، والبناء الحسن

---

١) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٨ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢١ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٦ ، ح ٤ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

من القبيح . والظاهر أنّ هذا من الكيفيّات العارضة للصوت ؛ كعروض هيئة الشعر على الكلمات في تعيّنه واقعاً . وانقسامه إلى أقسام محصورة في الواقع ، و معرفته من لايقدر على إحداثه ، و اختلاف الصانعين في جودة الطبع و عدمها ، و مقدار الاكتساب . وهذه الكيفيّة هي ترجيع خاصّ معهود ، ومطرب مؤثّر في النفس سروراًوحزناً ، وهو المراد من تفسيره بالترجيع، أومع قيد الاطراب ، أوما يعبّر عنه في الفارسيّة بـ « خوانندگى » ، و نحوها إن أريد بها ، و ما يشبهها المعاني المعهودة عند أهل الخبرة بهذا الشأن .

و هيهنا نوع آخر من حسن الصوت بالقرآن يحصل من حال القارئ إذا ترقّى في مقامات القرائة من هذا العالم إلى عالم السرور والبهاء و القدس ، فانه يحدث لقرائته ملاحةً وحسناً ، ويتلبّس بها كلامه بحيث يبتهج به السامع ابتهاجاً روحانيّاً لصدوره من عالم البهجة و الحسن و الجمال ، و ظهور حال المتكلّم وصفاته في الكلام ، كما يظهر حزنه وسروره فيه بحيث سرى منه إلى السامع ، كما يؤثّر الغناء في ذلك ، و كما أنّه إذا خرج عن القلب دخل في القلب . ويشبه أن يكون هذا النمط من الحسن هو ما كان لداود و عليّ بن الحسين والباقر عليهم السلام على ما روي في الأخبار ، أو نمط أعلى من ذلك يشابهه في الروحانيّة ، و ذلك بخروج القرآن عن لسان المتكلّم على ما هو عليه من البهاء والكمال الروحاني ، أوعن مبدئه الّذي له الجمال المطلق .

وممّا ذكر يظهر أنّه لايختصّ تحسين الصوت بالقرآن ، والترجيع به بالتغنّي به ، بل ليس لتلك الاخبار الواردة ظهور تامّ في جوازه فضلاً عن رجحانه، فالخروج بها عن إطلاق ما دلّ على حرمته جرئة تامّة ، خصوصاً بملاحظة ما رواه الكليني بسنده عن عبدالله بن سنان ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اقرءوا القرآن بألحان العرب و

أصواتها ، وإيّاكم ولحون أهل الفسق وأهل الكبائر ! فانّه سيجيء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانيّة، لايجوز تراقيهم ، قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم . »[1]

[استحباب الترتيل في القراءة ومعنى الترتيل]

ومنها : الترتيل؛ قال سبحانه: « ورتّل القرآن ترتيلاً . »

وعن الكافي بسنده عن عبدالله بن سليمان قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام عن ذلك ، قال :

« قال أميرالمؤمنين : بيّنه تبياناً ، ولا تهذّه هذّ الشعر ، ولاتنثره نثر الرمل ، ولكن أقرعوا[2] به قلوبكم القاسية ، ولايكن همّ أحدكم آخر السورة . »[3]

و روى الطبرسي قريباً من ألفاظه عنه عليه السلام مرسلاً[4] . لكنّ الموجود في

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن ، ص ٦١٤ ، ح ٣ ؛ و رواه أيضاً الطبرسي (ره) فيمجمع البيان ، ج١ ، المقدمة ، الفن السابع، ص ١٦ . عن حذيفة بن اليمان ، عنه ــ صلى الله عليه وآله ــ ؛ والشيخ البهائي (قده) في كشكوله . ج ٢ ،ص ١٦ . مرسلاً عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ . عنه ــ صلى الله عليه وآله ــ : و هكذا في الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٤ من أبواب قراءةالقرآن ، ص ٨٥٨ ، ح ١ .

٢) في بعض النسخ : « أفزعوا » أو « فزعوا » .

٣) الكافي، ج ٢ ، باب ترتيلالقرآن بالصوتالحسن ، ص ٦١٤ ، ح ١ ؛والصافي، ج ١ ، المقدمة الحادية عشرة ، ص ٤٥ ؛ و الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢١ من أبواب قراءة القرآن . ص ٨٥٦ ، ح ١ . وقال الفيض (ره) في الصافي : « الهذّ : السرعة في القراءة ؛ أي : لاتسرع فيه كما تسرع فيقراءة الشعر، ولا تفرق كلماته بحيث لاتكاد تجتمع كذرّات الرمل ؛ والمراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة والبطوء المفرط . »

٤) راجع مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

النسخة أفزع بالموحّدتين، كما أنّ الموجود في نسخة الوسائل عن الكليني أقرع بالمثنّاة والمهملة، كما أنّ الموجود في نسخة تفسير عليّ بن إبراهيم هكذا : قال :

« بيّنه تبياناً . و لاتنثره نثر الرمل، ولاتهذّه هذّ الشعر، ولكن أقرع به القلوب القاسية » .[1]

وقال الطبرسي بعد الرواية : وعن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إذا مررت بآية فيها ذكر الجنّة فاسأل الله الجنّة، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار، فتعوّذ بالله من النار . »[2]

وقد سبق رواية أُخرى عنه فيه .

و روى غيره عن الصادق عليه السلام في المرسل كالصحيح :

« ينبغي للعبد إذا صلّى أن يرتّل في قراءته، فاذا مرّ بآية [فيها] ذكر الجنّة و ذكر النار سأل الله الجنّة وتعوّذ [بالله] من النار، وإذا مرّ بـ[3] : « يا أيُّها النّاس» و « يا أيُّها الّذين آمنوا » يقول : لبّيك ربّنا »[4]

١) القمي، ج ٢، ص ٣٩٢ .

٢) مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٧٨ ؛ والبحار، ج ٩٢، باب آداب القرائة وأوقاتها، ص ٢١٦، ح ٢٠ ؛ والوسائل، ج٤، باب ٣ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٣٠، ح٨ .

٣) في المخطوطة : « إذا قرأ » .

٤) رواه الشيخ (ره) في التهذيب، ج ٢، باب في كيفية الصلاة وصفتها ....، ص ١٢٤، ح ؛ ونقله الحرّ العاملي (ره) في الوسائل، ج ٤، باب ١٨ من أبواب القراءة في الصلاة، ص ٧٥٣، ح ١ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

وعن أميرالمؤمنين عليه السلام تفسيره بـ : « حفظ الوقوف ، وأداء الحروف . »[١]

وعن دعائم‌الاسلام عن‌أميرالمؤمنين عليه السلام على ما نقله بعض الفقهاء عقيب‌رواية عبدالله بن سليمان :

« ولا تنثره نثر الرمل ، و لا تهذّه هذّ الشعر ـ قفوا عند عجائبه ، وحرّكوا به القلوب ، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة . »[٢]

وقداختلفوا تعبيراً في‌تفسير الترتيل، فقال الجوهري في‌الصحاح: « الترتيل في القرائة: الترسّل فيها، والتبيين بغيربغي و كلام ، رتّل بالتحريك أي : مرتّل، وثغر رتّل أيضاً إذا كان مستوى البنات . »

وعن ابن عباس في تفسيره في الآية : « بيّنه تبياناً ، واقرأه على‌هنيئتك ثلاث آيات وأربعاً وخمساً . »[٣]

---

١) نقله‌الفيض (ره) في‌الصافي ، ج ١ ، المقدمة الحادية‌عشرة ، ص ٤٥ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٦٧ ، باب علامات المؤمن و صفاته ، ص ٣٢٣ ؛ و ج ٨٥ ، كتاب الصلاة ، باب القرائة وآدابها ، ص ٨ .

٢) دعائم الاسلام ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب في ذكر صفات الصلاة ص ١٦١ . والمراد من بعض الفقهاء هو:الشيخ محمد حسن‌النجفي ـ قدّس‌الله سرّه ـ صاحب‌الجواهر، وقد نقله في ج ٩،كتاب الصلاة، باب القرائة ، ص٣٩٢ من كتابه ؛ ونقله أيضاً المجلسي (رض) عن الدعائم ، عنه ـ عليه السلام ـ في البحار ، ج ٨٥ ، باب القرائة وآدابها من كتاب الصلاة ، ص ٥٠ ، و عن نوادر الراوندي ، عن موسى بن جعفر ، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ ، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في ج ٩٢ ، باب آداب القراءة من كتاب القرآن، ص ٢١٥ ، ح ١٧ ؛ وهكذا أخرجه العسكري في‌المواعظ عن عليّ ـ عليه‌السلام ـ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ كما في الدرّالمنثور ، ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

٣) راجع مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٧٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعن الزجاج : « البيان لايتمّ بأن يعجل في القرآن ، إنّما يتمّ بأن يبيّن جميع الحروف وتوفي حقّها من الاشباع . »[1]

و عن مجاهد : « معناه : يرسّل فيه ترسيلاً . »[2] و عن قتادة : « ثبت فيه تثبيتاً . »[3]

وقيل : « الترتيل هو أن يقرأه على نظمه وتواليه ، ولايغيّر لفظاً ، ولايقدّم مؤخّراً ، وهو مأخوذ من ترتّل الاسنان إذا استوت وحسن انتظامها . »[4]

وقيل : « رتّل معناه : ضعّف ، والرتل : اللّين » عن قطرب ، قال : « والمراد بهذا تحزين القرآن ، أي : اقرأه بصوت حزين . »[5]

وعن بعض تفسيره بـ « الترسّل والتؤودة بتبيين الحروف وإشباع الحركات. »[6]

وعن آخر : « بالتأنّي والتمهّل ، و تبيين الحروف و الحركات » ، قال : « تشبيهاً بالثغر المرتّل ، وهو المشبّه بنور الاقحوان . »[7]

وعن الشيخ الطوسي [ره] وغيره تفسيره بـ « تبيين الحروف من غير مبالغة »[8].

---

١) نفس المصدر : وهكذا نقله الطوسي (ره) في التبيان. ج ١٠. ص ١٦٢ : والرازي في التفسير الكبير. ج ٨ ، ص ٣٣٤ .

٢) التبيان . ج ١٠. ص ١٦٢ : ومجمع البيان . ج ٥. ص ٣٧٧ : و الدرّالمنثور . ج ٦ ، ص ٢٧٧ .

٣) راجع مجمع البيان . ج ٥ ، ص ٣٧٦ .

٤) نفس المصدر . ص ٣٧٨ .

٥) نفس المصدر .

٦) هذا التفسير للزمخشري على الظاهر ، راجع الكشّاف ، ج ٤ ، ص ١٥٢ .

٧) القول لابن الاثير كما يقول في النهاية ؛ و هكذا في تفسير القرطبي . ج ١ ، ص ١٧ .

٨) التبيان، ج ٧ ، ص ٤٨٨ ؛ وج ١٠ ، ص ١٦٢ ؛ وهكذا في منتهى المطلب للعلامة كتاب الصلاة ، باب القراءة ، ص ٢٧٨ ؛ والمعتبر للمحقّق الحلّي ، كتاب الصلاة ، باب القراءة ، ص ١٧٦ ، نقلاً عن الشيخ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

و عن العلامة بـ : « بيان الحروف و إظهارها » ، و بـ « أن لايمدّه بحيث يشبه الغناء . »[١] و كأنّهما مأخوذان من كلام الجوهري من التقييد بغير بغي[٢] .

و عن إرشاد الجعفريّة بـ : « تبيين الحروف و إظهارها »[٣]. وعن المدارك بـ « الترسّل و التبيين و حسن التأليف . »[٤] و عن جماعة بـ « حفظ الوقوف وأداء الحروف . »[٥]

وأكثر هذه التعبيرات متقاربة المفاد ، و ليس المفسّر ملتزماً بايراد الحدّ الجامع المانع ، و إنّما عليه كشف المعنى ولو في الجملة ، كما هو الظاهر من ملاحظة كلمات أهل اللّغة والتفسير .

وفسّره بعض الفقهاء بـ « الترسّل والتأنّي بالقرائة بسبب المحافظة على كمال بيان الحروف والحركات ، فيحسن تأليفه و تنضيده ، و يكون كالثغر المرتّل الذي حسن نضده بسبب ما فيه من الفلج حتّى شبّه بنور الاقحوان ، بخلاف غير المرتّل من الكلام الذي يشبه في تتابعه الثغر الألصّ ، أو الشعر الذي يهذّ ويسرع في تأديته ، أو الرمل المنثور الذي بعضه على بعض ؛ كالدقل من التمر المتراكم قبل سقوطه أو بعده إذا تساقط متتابعاً . »[٦]

١) ذكره (ره) في نهاية الاحكام ، كتاب الصلاة ، باب القراءة ؛ وتذكرة الفقهاء ج١ ، كتاب الصلاة ، ص ١١٧ .

٢) كما قال (ره) في الجواهر ، ج ٩ ، ص ٣٩٤ .

٣) كما في المصدر السابق : و مفتاح الكرامة ، كتاب الصّلاة ، باب القراءة .

٤) مدارك الاحكام ، كتاب الصلاة ، باب القرائة .

٥) كالشهيد الاول ـ قدّس الله روحه ـ ، ذكره في الذكرى ، ج ١ ، كتاب الصلوة باب القرائة (الواجب الرابع) ؛ وهكذا في الجواهر ، ج٩ ، ص ٣٩١ـ٣٩٥ ، ولقد يوجد فيه كثير من الاقوال المتقدمة كما أشرنا إلى بعضها فيما سبق .

٦) الكلام لصاحب الجواهر ، راجع المصدر ، ج ٩ ، كتاب الصلاة ، باب القراءة ، ص ٣٩٢ .

واستظهر أن يكون هو المراد لأكثر اللغويين والفقهاء وإن اختلفت عباراتهم.

و يشبه أن يكون الجامع لجميع ما ذكر عدا ما عن قطرب ، الترسّل و التأنّي والتؤودة والتمهّل فيها ، فلا يكون هذّاً كهذّ الشعر على ما عن ابن الاثير من تفسيره بترك الاسراع فيه وترك الافراط في التمهّل ، فيكون نثراً كنثر الرمل أوالدقل على أحد الاحتمالين ، و تبيين الحروف و إظهارها ، وترك المبالغة فيه ، و توفية حقّها من الاشباع ، و بيان الحركات ، و المحافظة على نظمه و تواليه بحيث يحسن تأليفه ، ويحفظ وقوفه . وهذا قريب ممّا سبق عن المدارك .

ولعلّ الجامع لها هو : إفصاح الكلام وإظهاره مادّة وهيئة على الوجه الّذي ينبغي أن يكون عليه ، بحيث يكون ظاهر الأجزاء منفصلة الابعاض مع بقاء نظامها ،وارتباط بعضها مع بعض؛كالثغر المرتّل الّذي انفصل أسنانه ، مع بقاء نسقه ونظامه ، ولزومه محلّه الّذي ينبغي أن يكون عليه .

وأمّا سؤال الجنّة والنار ، فلم يعلم من الاخبار كونه معنى الترتيل ، فلعلّه من لواحق الترتيل ؛ إذ الكلام الصادر على الوجه المذكور يكون منشرح المعاني للقارئ، فيناسب إلحاق السؤالين المفروضين بالقرائة؛ كقول لبّيك عقيب الخطابين ، وكذا الوقوف عند عجائبه ، وتحريك القلوب وتقريعها وتفزيعها .

ويمكن أن يقال : إنّ هيهنا ترتيلاً صورياً في لفظ القرائة ، و ترتيلاً معنوياً في معانيها الواردة على القلب ، وترتيلاً في الحالات المنبعثة عن تلك المعاني الواردة عليه ؛ فتبيين للقلب ، و تبيين للمعنى لعلّه المراد من الوقوف عند عجائبه ، و تبيين للحالة الحادثة من ذلك المعنى من طلب جنّة واستعاذة من نار في القلب مؤكّداً إيّاهما باجرائه على اللّسان ، أوحالة إجابة نداء الحقّ ،كذلك . ولعلّه المراد من إقراع القلب وإفزاعه وتحريكه ، وكذا التأنّي في اللّفظ والمعنى والحالة ، وكذا حسن التأليف في كلّ منها ، فتدبّر .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وأمّا ما نقل عن قطرب من إرادة تحزين الصوت بالقرآن فشاذٌ ، ولا يؤيّده الرواية المذكورة في بيان استحباب تحسين الصوت ؛ إذ المذكور هو : التمكّث و تحسين الصوت وهو غير التحزين ، وبينهما عموم من وجه .

و لعلّ المراد من التحسين تحسين المادّة و الصورة والنظم ، فيدلّ على ما ذكرنا ، وقد أشرنا إلى بيانه هناك، فيكون هذه الرواية والروايات السابقة والآتية متفرّقةً مع كلمات الجماعة ، مجتمعةً على ما استظهرناه و إن احتاج إلى تصرّفات في ظواهر كثير منها .

و أمّا ما ذكره العلامة [ره] من ترك مدّها بحيث يشبه الغناء ، فان كان المراد منه ما يخلّ بأسلوب القرآن و نظامه ، الّذي ينبغي أن يكون عليه ، فهو حسن ، وإلا كان ممنوعاً ؛ إذ لم نجد له شاهداً أصلاً .

هذا ما سنح بالبال ، والله العالم بحقيقة الحال .

[ترك الافراط في مقدار القرائة إلّا في شهر رمضان]

ومنها : ترك الافراط في مقدار القرائة على ما يستفاد من جملة من الاخبار ؛ فعن الكليني بسنده عن محمّد بن عبدالله قال :

« قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقرأ القرآن في ليلة ، فقال : لا يعجبني أن تقرأه في أقلّ من شهر . »[1]

وباسناده عن الحسين بن خالد ، عنه عليه السلام قال :

«قلت له : في كم أقرأ القرآن ؟ فقال : اقرأه أخماساً ، إقرأه أسباعاً ؛ أما إنّ عندي مصحفاً مجزّءاً أربعة عشر جزءاً . »[2]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب في كم يقرأ القرآن ويختم ؛ و الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٦٢ .

٢) نفس المصادر .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وباسناده عن علي بن أبي حمزة قال: سأل أبو بصير أباعبدالله عليه السلام وأنا حاضر، فقال له:

«جعلت فداك، أقرأ القرآن في ليلة؟

فقال: لا. قال: ففي ليلتين؟

فقال: لا. حتى بلغ ست ليال، فأشار بيده فقال: ها.

ثم قال: ياأبا محمد، إن من كان قبلكم من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله كان يقرأ القرآن في شهر وأقل: إن القرآن لايقرأ هذرمة، ولكن يرتل ترتيلاً. إذا مررت بآية فيها ذكر النار وقفت عندها وتعوذ[ت] بالله من النار.

فقال له أبو بصير: أقرأ القرآن في رمضان في ليلة؟

فقال: لا. فقال: ففي ليلتين؟

فقال: لا. فقال: ففي ثلاث؟

فقال: ها، وأومأ بيده، نعم، شهر رمضان لايشبهه شيء من الشهور، له حق وحرمة، أكثر من الصلاة ما استطعت.»[1]

وعن السيد ابن طاووس في الاقبال، عن وهب بن حفص، عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«سألته: الرجل في كم يقرأ القرآن؟ قال: في ست، فصاعداً.

قلت: في شهر رمضان؟ قال: في ثلاث، فصاعداً.»[2]

١) نفس المصادر.

٢) الاقبال، ص ١١٠؛ والوسائل، ج ٤، باب ٢٧ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٦٤.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن جعفر بن قولويه باسناده إلى أبي عبدالله عليه السلام قال :

« لايعجبني أن يقرأ القرآن في أقلّ من شهر . »[1]

ولعلّ السرّ في ذلك هولزوم الاخلال بآداب القرائة من الترتيل والتدبّر وغيرهما على تقدير الافراط ، أو حدوث القساوة في القلب وعدم تأثّره من مواعظه، كما ربّما يشاهد نظيره عن بعض من يدمن حضور مجالس الوعّاظ و محادثتهم ، فانّه أبعد تأثّراً من المقتصدين ، أوحدوث الكسل عن هذه العبادة الشريفة وإدبار النفس عنها ، و كراهتها إيّاها ، مع أنّ النشاط في العبادة والاقبال عليها مطلوب.

وأمّا شهر رمضان ، فانّ المواظبة فيه على العبادة أكثر ، فربّما يسهل عليه مراعات الآداب مع الاكثار ، والقلب فيه رقيق من جهة الصوم ، فلايحدث للمتّقي قساوة ، والنشاط فيه للعبادة و قلّة الكسالة وإقبال القلب مشاهد من أهل العبادة ، كما يظهر بأدنى تأمّل في تفاوت أحوالهم فيه بالنسبة إلى سائر الشهور . مع أنّ فيوضات ذلك الشهر ربّما تمدّ المتّقي باطناً ، وتصير سبباً لظهور بركات القرائة لأهله ، وقبول ما لم يكمل فيه آدابه . ولعلّه لذا ورد فيها الاذن في الختم في كلّ ليلة ، بل استفاد الرخصة في أربعين ختمة في مجموع الشهر . ولعلّ الاشارة فيما رواه الكليني إلى ما مرّ باسناده عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« لكلّ شيء ربيع ، و ربيع القرآن شهر رمضان . »[2]

ومنه يظهر قوّة احتمال اختلاف الأشخاص في المقدار الّذي ينبغي له من الجزء الواحد من ثلاثين جزء إلى السدس من القرآن ، بل ورد في رواية « إبراهيم بن العباس » أنّ الرضا عليه السلام كان يختمه في كلّ ثلاث ويقول :

---

١) نفس المصادر .

٢) الكافي ، ج ٢، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ص ٦٣٠ ، ح ١٠ ؛ و رواه أيضاً الصدوق(ره) في ثواب الاعمال، ص١٢٩؛ وفي المجالس والمعاني كما في الوسائل، ج ٤ ، باب ١٨ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٣ ، ح ٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت ، ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلا فكّرت فيها ، وفي أيّ شيء انزلت ، وفي أيّ وقت ، فلذلك صرت أختم في كلّ ثلاثة . » [1]

[التّحزين في القرائة]

ومنها : كون القرائة بالحزن ؛ فعن الكليني باسناده عن ابن أبي عمير ، عمّن ذكره ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إنّ القرآن نزل بالحزن ، فاقرؤه بالحزن . » [2]

وباسناده عن عبدالله بن سنان ، عنه عليه السلام قال :

« إنّ الله أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام : إذا وقفت بين يديّ فقف موقف الذليل الفقير ، وإذا قرأت التوراة فأسمعنيها بصوت حزين . » [3]

وباسناده عن حفص قال :

« ما رأيت أحداً أشدّ خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ، ولا أرجى الناس منه ، وكانت قرائته حزناً ، فكأنه يخاطب إنساناً . » [4]

---

١) رواه الصدوق (ره) في العيون ، ج ٢ ، باب ٤٤ ، ص ١٧٧ ، ح ٤ ؛ ونقله الحرّ العاملي (رض) في الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٦٣ ، ح ٦.

٢) الكافي ، ج ٢ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن من كتاب فضل القرآن ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٢ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٧ .

٣) نفس المصادر .

٤) الكافي ، ج ٢ ، باب فضل حامل القرآن ، ص ٦٠٦ ، ح ١٠ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٢ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٥٧ ، ح ٣ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[استحباب سؤال الجنّة والاستعاذة من النّار عند آيتيهما]

ومنها : سؤال الجنّة والاستعاذة من النار عندآيتيهما، بل سؤال كلّ مسئلة عند آيتها ، والعافية من العذاب ؛ وقد مرّ جملة من الأخبار في ذلك .

وعن الكليني باسناده عن سماعة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام :

« ينبغي لمن قرأ القرآن إذا مرّ بآية من القرآن فيهامسئلة أو تخويف أن يسأل [الله] عند ذلك خير ما يرجو أو يسأله العافية من النار ومن العذاب . »[1]

و عن الطبرسي عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى : « الّذين آتيناهم الكتاب يتلونه حقّ تلاوته »، [2] قال :

« حقّ تلاوته هو : الوقوف عند ذكر الجنّة والنار ؛ يسأل في الاولى ، ويستعيذ من الاخرى . »[3].

واعلم أنّ السؤال والاستجارة لفظيّان وقلبيّان ، ربّما يعبّر عنهما بالطلب والاستدفاع ، والرجاء والخوف ؛ و علميان فعليّان بمعنى المعرفة بأنه في معرض حصول المرجوّ له ، و وقوع المخوف عليه ، مع العلم بوجودهما في الواقع ، وكونهمافي يدالمسؤول‌عنه، والمستعاذ به يعذّب من‌يشاءبما يشاءكيف يشاء، ويرحم من‌يشاءبمايشاء كيف يشاء، مع‌تذكّرالانسان‌لمعرفته‌تفصيلا، والاوّلان حكايتان عن الثانيين‌منبعثان‌عنهما،وهمامسبّبان‌عن‌الاخيرتين.فاذا حصّل‌العلم‌والمعرفة في‌النفس

---

١) الكافي، ج ٣ ، باب البكاء والدعاء في الصلاة ، ص ٣٠١ ، ح ١ ؛ و رواه الشيخ (ره) في التهذيب، ج ٢ ، باب كيفية الصلاة وصفتها و ... من أبواب الزيادات ، ص٢٨٦، ح ٣ ؛ وهكذا في الوسائل ، ج ٤ ، باب ٣ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٢٨ ، ح ٢ .

٢) البقرة / ١٢١ .

٣) مجمع البيان ، ج ١ ، ص ١٩٨ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٦٣ ، ح ٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بما مرّ. وصار ذاكراً له انبعث الرجاء والخوف والطلب والهرب في القلب ، وإذا تحقّقت صار اللّسان مترجماً للحالة الحادثة حاكياً عنه ، و توسّل السائل بسؤاله نيل مقصوده ، أو الهرب عن مبغوضه . و القرآن هوالمذكّر لذلك ، والهادي إليه لمن يؤمن به ، فيحقّ أن يكون حقّ تلاوته هو حصول التذكّر والمعرفة بحيث يستتبعهما آثارهما في القلب و اللّسان ، ولا يكمل السؤال حقيقة إلا باستجماعه المراتب ، و كذا الاستجارة والاستعانة ، فتأمّل .

[التفكّر في معاني القرآن والتأثّر منها]

ومنها : التفكّر في معاني القرآن والتدبّر والتأثّر والاتّعاظ ، واستشعار الرقّة واللّين والوجل والدمعة ، وما أشبه ذلك دون إظهار الغشية .

فعن الكليني باسناده عن الحلبي ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، و الصدوق بسنده عن أبي حمزة الثمالي ، عن أبي جعفر عليه السلام أنّهما قالا :

«قال أميرالمؤمنين عليه السلام : ألاأُخبركم في الفقيه حقّاً ؟ من لم يقنّط الناس من رحمة الله ، [ولم يؤمنهم من عذاب الله ،] ولم يؤيسهم من رَوح الله [1] ، ولم يرخّص لهم في معاصي الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ؛ ألالاخير في علم ليس فيه تفهّم ، ألا لاخير في قراءة ليس فيها تدبّر ، ألا لاخير في عبادة ليس فيها تفقّه . » [2]

والاوّل باسناده عن الزهري قال : سمعت عليّ بن الحسين عليهما السلام يقول :

« آيات القرآن خزائن ، كلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن

---

١) هذه الفقرة غير موجودة في بعض نسخ الكافي والمعاني .

٢) الكافي ، ج ١ باب صفة العلماء ، ص ٣٦ ، ح٣ والمعاني ، باب معنى الفقيه حقاً ، ص ٢٢٦ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٢٩ ، ح ٧ .

تنظر ما فيها . »[١]

[كلام عليّ ـ عليه السّلام ـ في صفة المتّقين وشرحه]

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في كلام طويل في صفة المتّقين :

« أمّا اللّيل ، فصافّون أقدامهم ، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون به دواء دائهم . فاذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، و تطلعت نفوسهم إليها شوقاً ، وظنّوا أنّها نصب أعينهم ؛ وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أصول آذانهم . فهم حانون على أوساطهم ، مفترشون لجباههم وأكفّهم و ركبهم ، وأطراف أقدامهم ؛ يطلبون إلى الله سبحانه تعالى في فكاك رقابهم . »[٢]

وعن الصدوق في المجالس باسناده عن جعفر بن محمّد ، عن آبائه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في جملة كلام في صفتهم هكذا :

« أما اللّيل ، فصافّون أقدامهم ، تالين لاجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، ويستثيرون به تهييج أحزانهم بكاء على ذنوبهم ، ووجع كلوم جراحهم . وإذا مرّوا

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب في قراءته من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٠٩ ، ح ٢ ؛ و الوسائل ، ج ٤ ، باب ١٥ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٤٩ ، ح ٢ ؛ وهكذا رواه ابن فهد الحلّي (رض) في عدّة الداعي (المخطوطة) ، الباب السادس ، ص ٢٥٥ ؛ ونقله المجلسي (ره) عنه في البحار ، ج ٩٢ ، باب آداب القرائة وأوقاتها ، ص ٢١٦ ، ح ٢٢ .

٢) نهج البلاغة ، خ ١٩٣ ، ص ٣٠٤ ؛ والبحار ، ج ٦٧ ، باب علامات المؤمن وصفاته ، ص ٣١٥ ، ح ٥٠ ؛ وهكذا رواه الحرّاني (ره) في تحف العقول ، ص ١٠٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم و أبصارهم، فاقشعرّت منها جلودهم، و وجلت [منها] قلوبهم، فظنّوا أنّ صهيل جهنّم [وزفيرها] و شهيقها في أصول آذانهم؛ و إذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت أنفسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم ـ الحديث.»[١]

و عن كنز الكراجكي باسناده عنه ﷺ في جملة كلام له في صفة شيعة أهل البيت هكذا:

«أمّا اللّيل، فصافّون أقدامهم، تالون لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلا، يعظون أنفسهم بأمثاله، ويستشفون لدائهم بدوائه تارة و تارة، مفترشون جباههم و أكفّهم و ركبهم وأطراف أقدامهم، تجري دموعهم على خدودهم ـ الحديث.»[٢]

اقول:

«الصفّ»: ترتيب الجمع على صفّ، وصفّ القدمين في الصلاة: وضعهما بحيث يتحاذى الابهامان و يتساوى البعد بين الصدر و العقب. وحينئذ إرادة هذا المعنى في حال صلاتهم حقيقة لكون قرائتهم فيها كذلك، أو كونهم بهذه الصفة ولو في غيرها، وأن يكون كناية عن مطلق قيامهم بالقرائة مع شدّة ثباتهم وإقبالهم عليها بجدّهم، وعن بعض النسخ: «تالون».

و «الحزن»: الهمّ، وحزنه الامر كنصر أي: جعله حزيناً، وحزن كعلم أي: صار حزيناً، وحزّنه تحزيناً: جعل فيه حزناً، و الاوّل و الاخير كلاهما

١) المجالس، المجلس الرابع والثمانون، ص ٥٧٠، ح ٢؛ والبحار ج ٦٧، ص ٣٤١، ح ٥١؛ ورواه أيضاً سليم بن قيس الكوفي ـ قدّس الله سرّه ـ في كتابه، ص ٢٣٩.

٢) كنز الفوائد، ص ٣٢.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

موجودان في النسخ ، و تحزين النفوس بآيات الوعيد ظاهر ، وأمّا آيات الوعد ، فللخوف من الحرمان وعدم الاستعداد، كذا قيل؛ لكن أكثر الآيات بظاهرها خارجة عن كلتا الطائفتين. ويصح أن يلاحظ فيها أموراً يحزن به النفس من جهات عديدة، فيلا حظ في الآيات المشتملة على ذكر النعم العامّة والتقصير في شكرها ، وفيما دلّ على صفات الحقّ بعدم القيام بواجب حقّ عبوديّته ، و ما اشتمل على نعمه على بعض العباد باستشعار أنّ فقدها له لقصوره إن كان مفقوداً له ، والتقصير في الشكر إن كان مثله موجوداً ، وغيرذلك من الوجوه المناسبة . و كما يمكن تحزين النفس بالقرآن يمكن إثارة البشارة والرجاء منه ولو من آيات الوعيد لكون الانتقام من الاشقياء نعمة على السعداء لأنّهم أعدائهم ، وإثارة المحبّة منها بملاحظة صفات الله سبحانه الذاتيّة و الفعليّة في جملة أفعاله و حكمته وعدله و سنّته في الماضين والغابرين، وعجائب تدبيره . فينشرح منها القلب بالمعرفة والمحبّة واستثارة الحياء لمشاهدة عظمة المتكلّم في كلامه الحاكي عن جلاله و جماله ، و مشاهدة القصور و التقصير ، و نفوذ حكمه ومشيّته ، وسعة قدرته و حلمه و كرمه في طيّ أفعاله و صنائعه وأحكامه .

و لعلّه عليه السلام اقتصر على الاوّل لكون التحزين أقرب إلى مقام العبوديّة و الخضوع والاستكانة للحقّ ، وأقرب إلى شمول الرحمة له بالتدارك ، وأقمع للنفس عن هواه و كبره و أنانيّته من الرجاء ، مع أكثريّة الزواجر في القرآن عن المبشّرات لاقتران المبشّرات نوعاً بشرائط و خصوصيّات غير متحقّقة الحصول للعبد .

و أمّا المحبّة و الحياء ، فاستثارتهما من القرآن موقوف على علوّ مقام في المعرفة، وصلاح القلب لاتحضر لأغلب العباد في أكثر أوقاتهم. ويحتمل أن يراد من تحزين القلب بالقرآن تحزينه بما اشتمل ظاهره على ما ينبغي الحزن بسببه ، لا

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الاستغراق ، هذا .

و أثار الغبار و استثاره أي : هيّجه ؛ قيل : « لعلّ المراد بالدواء : العلم ، و بالداء:الجهل ، و استثارة العلوم الكامنة على حسب الاستعداد والكمال بالتدبّر والتفكّر والتذكّر . »

وقال بعضهم : « المراد أنّهم يداوون بآيات الخوف داء الرجاء الغالب الّذي كاد يبلغ [حدّ] الاغترار والامن لمكرالله ، و بآيات الرجاء داء الخوف إذا قرب من القنوط ، وبما يستكمل اليقين داء الشبهة ، وبالعبر داء القسوة ، و بما ينفرعن الدنيا والميل إليها داء الرغبة فيها ، ونحو ذلك . »[١]

وهذا مقام أهل الاحوال والاخلاق المشتغلين بمعالجة نفوسهم ، كما أنّ الاوّل مقام الحكماء المستهدين بأنوار القرآن ، فيمكن الحمل على الاعمّ منهما ، بل على الاعمّ من حال المنقطع إلى الله سبحانه في أدوائه المتقرّب إليه سبحانه بكلامه ليجعله شفاء لما في صدره .

و ركن إلى الشيء : مال و سكن . و التطلّع إلى الشيء : الاستشراف له ، والانتظار لوروده . ونصب الشيء : رفعه ، و أن يستقبل به شيء ، و الكلمة منصوبة على الظرفيّة ؛ أي: ظنّوا أنّها فيما نصب بين أيديهم، كذا قيل ، و عن بعض النسخ برفع النصب على أنّه خبر « أنّ » ، و يكون النصب بمعنى المنصوب و الاضافة إلى الاعين لأدنى ملابسة .

وعن «الكيدريّ » : «وتطلّعت نفوسهم إليها أي : كادت تطلع شموس نفوسهم من أفق عوالم الابدان ، فتصعد إلى العالم الاعلى شوقاً إلى ما وعدوا به في تلك الآيات من أخائر الذخائر وعظائم الكرائم . »

---

١) نقله المجلسي (رض) عن والده (ره) في البحار ، و سنشير إلى موضعه فيه عن قريب ــ إن شاء الله تعالى ــ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعن « الراوندي » أنّ : « الظنّ هنا بمعنى اليقين . » و عن بعض الشرّاح أنّه : « يمكن أن يكون على حقيقته . »[1] و كلاهما موجّهان ؛ إذ المعلوم هو وجوده المبشّر به والمشوّق إليه في حدّ نفسه ، فهو بين يدي العبد شأناً .

وأمّا انّ الوجهة الّتي توجّه العبد إليها بكمال إيمانه وخلقه وعمله هو ذلك الّذي بشّر به بأن يكون غاية تلك الجهات هو المشوّق إليه المرغوب إليه ، فذلك غير معلوم ، بل المؤمن ظنون بنفسه .

و أصغى سمعه إليه أي : أماله ، و « زفير النار » : صوت توقّدها ، والزفير أيضاً : إخراج النفس بعدمدّة ، فالمراد زفير أهل جهنّم . و « الشهيق » : تردّد البكاء في الصدر مع سماع الصوت من الحلق ، و شهيق الحمار صوته ، وكونهما في أُصول الآذان كناية عن تمكّنهما في الآذان؛ كذا ذكره بعضهم .

و حنى الظهر يحنوه و يحنيه أي : عطفه فانحنى . قيل : و حنوهم على أوساطهم وصف لحال ركوعهم . والافتراش : البسط على الارض و هو وصف لحال سجودهم . و يحتمل تعميم الفقرتين لغير الحالين أيضاً ، فانّ المتّصف بالاحوال المذكورة إذا كان قائماً كان منحني الظهر في الجملة ، وافتراش الجبهة والاكفّ من حالات الخضوع المنبعث منها .

و قال بعضهم : يطلبون إلى الله أي : يسئلونه راغبين و متوجّهين إليه . و فكّ الرقبة كمدّ أي : أعتقها ، والاسير: خلّصه .

هذا، وفي بعض النسخ في نظير الرواية الثانية: « ويستترون به » بعد قوله : « يحزنون به أنفسهم » ؛ و لعلّ المراد أنّهم يخفونه عن الناس خوفاً من الرياء ، أوطلباً لكونه عبادة سرّيّة . وفي بعضها : « ويستبشرون به» ، وقيل في معناه : «أي:

---

١) القول لابن أبي الحديد ، فراجع شرحه على نهج البلاغة ، ج ١٠ ، خ ١٨٦ ، ص ١٤٣.

يفرحون بالحزن أو بالتلاوة شكراً لما وفّقهم الله لذلك . » ولعلّ إرادة الاستبشار من آيات الترغيب ، ويكون التحزين مقصوراً على آيات الترهيب أولى ليطابق ما بعده وتهييج أحزانهم على بناء المجرّد فيكون أحزانهم فاعله ، و بكاء منصوباً على العلّة، ووجع عطف على ذنوبهم ، أوعلى بناء التفعيل و بكاء فاعله وأحزانه مفعوله ، و وجع عطف على بكاء و يحتمل العكس ، فيكون الاحزان مهيّجاً للبكاء على الذنوب والوجع ، بل لعلّه أولى وإن اقتصر بعضهم على سابقه .

و « الكلوم » جمع كلم بالفتح و هو : الجرح ، و الجراح جمع جراحة ، والاضافة للتأكيد ، أوالجراح مصدر ؛ أي : الجراحات الّتي حدثت من جراحهم لأنفسهم بالذنوب والمعاصي . و « المسامع » جمع مسمع وهو : آلة السمع ، أوجمع السمع على غير قياس . و «أبصارهم » بالنصب [١] عطفاً على المسامع أي : أبصار قلوبهم، أو بالجرّ عطفاً على قلوبهم ، فالابصار بمعنى البصائر ، كذا ذكر بعض الشارحين . [٢]

و « الصهيل » : صوت الفرس ، و لعلّه شبّه به صوت توقّد النار لرفعته و شدّته .

[عدم جواز إظهار الغشية عند قراءة القرآن]

وعن الكليني والصدوق بأسانيد مختلفة الصدور عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال :

« قلت : إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحدّثوا به

١) في المخطوطة : « بالفتح » .

٢) هذا الكلام و سائر الاقوال المذكورة في شرح خطبته ــ عليه السلام ــ لهمام (ره) في صفة المتقين لمولانا المجلسي ــ عطّر الله مرقده ــ صاحب البحار ، إلا ما ذكر قائله في كلام المؤلّف (ره) أو في الهوامش ، فراجع البحار ، ج ٦٧ ، باب علامات المؤمن وصفاته ، ص ٣٢٣ــ ٣٢٤ و ص ٣٤٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

صعق أحدهم حتّى ترى أنّ أحدهم لو قطعت يداه و رجلاه لم يشعر بذلك .

فقال ﷺ : سبحان الله ! ذاك من الشيطان ، ما بهذا نعتوا ، إنّما هو اللّين والرّقة والدمعة والوجل . »[١]

ولعلّه لأجل استظهاره ﷺ أنّه محض إظهار وتصنّع وتكلّف ، أو لأجل أنّ تكلّف تحصيل الغشية ليس مأموراً به و إن كان الترقّي في المقامات والاحوال مطلوباً . ويلزم من بعض معاليها عروضها أحياناً من دون تكلّف له . ويسنح ببالي وجود رواية مشتملة على عروض الغشية للصادق ﷺ بعد تكراره «اياك نعبدو اياك نستعين» معلّلاً إيّاه : بأنّي « ما زلت أُردّدها حتّى سمعتها من قائلها ، فلم يثبت قلبي لعظمته . »[٢]

وعنه باسناده عن أبي جعفر ﷺ قال :

« قرّاء القرآن ثلاثة ــ إلى أن قال : ــ ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه ، فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره، وقام به في مساجده، وتجافى بهعن فراشه. فبأُولئك يدفع [الله] البلاء، و بأُولئك يديل الله من الاعداء ، وبأُولئك ينزل الله الغيث من السماء . فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الاحمر . »[٣]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب فيمن يظهر الغشية عند قراءة القرآن ، ص ٦١٦ ، ح ١ ؛ والامالي ، المجلس الرابع والاربعون ، ح ٩ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢٥ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٦٠ ، ح ١ .

٢) نقله الفيض (ره) في المحجة ، ج ٢ ، كتاب آداب تلاوة القرآن ، الباب الثالث ، ص ٢٤٨ ؛ والشيخ البهائي (ره) في العروة الوثقى (المخطوطة) ، ذيل الآية .

٣) الكافي ، ج ٢ ، باب النوادر من كتاب فضل القرآن ص٦٢٧، ح١ وعن عيس بن

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وقد أشرنا في أوّل الكتاب إلى كيفيّة الاستشفاء بالقرآن و غير ذلك ممّا يناسب المقام ، فراجع و تأمّل [1] .

وعن مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ عليه ولم ينشأ حزناً و وجلاً في سرّه ، فقداستهان بعظم شأن الله ، وخسر [2] خسراناً مبيناً . فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال . فاذا خشع لله قلبه فرّ منه الشيطان الرجيم ، وإذا تفرّغ نفسه من الاسباب تجرّد قلبه للقرائة ، فلا يعترضه [3] عارض فيحرمه نور القرآن وفوائده ، وإذا اتّخذ مجلساً خالياً و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الاوّلتين استأنس روحه وسرّه بالله ، فوجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ومقام اختصاصه لهم بقبول كراماته و بدائع إشاراته . فاذا شرب كأساً من هذا المشرب ، فحينئذ لايختار على ذلك الحال حالاً ، و [لا] على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة و عبادة ؛ لأنّ فيه المناجاة مع الربّ بلا واسطة .

هشام ، عمّن ذكره ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و رواه أيضاً الصدوق (ره) بهذا الاسناد في الامالي ، المجلس السادس والثلاثون ، ح ١٥ ؛ والخصال ، ج ١ ، باب الثلاثة ، ص ١٤٢ ، ح ١٦٤ ؛ وهكذا في الوسائل ، ج ٤ ، باب ٨ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٣٦ ، ح ٣ .

١) راجع مبحث أسماء القرآن من المقدمة الاولى .

٢) في المخطوطة : « فقد خسر » .

٣) في المخطوطة : « يعترض » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

فانظر كيف تقرأ كتاب ربّك و منشور ولايتك ، و كيف تجيب أوامره ونواهيه ، و كيف تمتثل حدوده ، فانّه كتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . فرتّله ترتيلاً ، وقف عند وعده ووعيده ،وتفكر في أمثاله ومواعظه ، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده »[١] .

١) مصباح الشريعة ، الباب الرابع عشر ؛ والصافي ، ج ١ ، المقدمة الحادية عشرة، ص ٤٦ ؛ والبحار ج ٨٥، باب القراءة وآدابها وأحكامها ، ص ٤٣ ، ح ٣٠ .

المقدّمة الثانية عشر

فيما جرينا عليه في هذا التفسير من اصطلاح وغيره

اعلم أنّه إذا ذكرنا فيه عن « الكافي » فالمراد به كتاب الحديث المعروف للشيخ الاجلّ ثقة الاسلام محمّد بن يعقوب الكليني ، الّذي لم نعهد كتاباً أكثر اعتباراً منه بين الاماميّة .

و إذا ذكرنا « القمّي » فالمراد به صاحب التفسير المشهور الثقة الجليل علي بن إبراهيم القمّي شيخ الكليني .

و إذا ذكرنا « العيّاشي » فالمراد محمّد بن مسعود العيّاشي المعروف من قدماء الاماميّة صاحب التفسير المعروف .

و المراد بـ « الفقيه » في هذا الكتاب كتاب « من لايحضره الفقيه » ، و بـ « العيون » كتاب «عيون الاخبار » ، و بـ « الاكمال » كتاب « إكمال الدين وإتمام النعمة» ، و بـ « المعاني » كتاب «معاني الاخبار» و بـ « العلل » كتاب « علل الشرايع والاحكام » كلّها للشيخ الجليل رئيس المحدّثين محمّد بن علي بن الحسين [بن] موسى بن بابويه القمّي وله أيضاً كتاب « الامالي » و يسمّى « المجالس » على ما صرّح به بعض المحدّثين ، و « الخصال » ، و «ثواب الاعمال» ، و « عقاب الاعمال » ، وكتاب « التوحيد » ، و « المجالس » ، و « الاعتقادات » .

و « المناقب » لمحمّد بن شهر آشوب المازندراني .

و « التهذيب » و « الغيبة » و « الامالي » للشيخ أبي جعفر الطوسي .

و عبّرنا عن التفسير المنسوب إلى الامام أبي محمّد العسكري عليه السلام بـ « تفسير الامام » المنسوب إليه في هذا الكتاب .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ثمّ إنّا قد نأخذ الحديث من نفس الكتاب و «المجمع» و «الجوامع» للشيخ أبي عليّ الطبرسي، و من كتاب العلماء الناقلين؛ كالمحدّث الكاشاني من تفسيره «الصافي»، و المحدّث الحرّ العاملي من كتاب «الوسائل»، والمحدّث المجلسي من «بحارالانوار»، والسيّد هاشم البحراني من كتاب «معالم الزلفى» و «غاية المرام» و غيرهم، و ننسبه إلى الكتاب أو المصنّف المنقول عنه ثقةً واعتماداً عليهم.

و ربّما نوصف السندبالصحّةوالموثقيّةوالحسن، ونريد به المعاني المعروفة، و هو مبنيّ على الظنون الاجتهاديّة الرجاليّة، و ما نقل عن متقدّمي علماء الرجال.

والنسخ التي ننقل عنها غيرتام الصحّة، فان كان الغلط ظاهراً أبدلناه بالصحيح إن تعيّن، وإلا نقلناه على ما وجدنا، و ربّما ننبّه على استظهار الغلط بأن نكتب فوقه «كذا» تنبيهاً للخاطر.

ثمّ اعلم أنّا نتعرّض في هذا الكتاب إلى بيان ألفاظ القرآن و الحديث مادّةً وصورةً وتركيباً مأخوذة من كلمات المفسّرين، أوأهل اللّغة و الادب، و نعتمد فيذلك على كلامهم، فانّهم أهل الخبرة والبصيرة بهذا الشأن، وإلى مايتفرّع على تلك القواعد اللّفظيّة مبنيّة على ظنون واجتهادات لفظيّة: وإلى إيراد أكثر الاخبار التيعثرنا عليها حال التفسيرمأخوذة من كتب على ما وضعت، وإلى بيانات لها وتنبيهاتمطابقة لمداليلها، و دقائق واستبصارات من نفس تلك الآيات، وبضميمة الاخبار. ولست بانياً في جميع ما ذكرته في هذا الكتاب على القطع و اليقين و إن كان مورداً له بصورة الجزم، ولا أدّعي مطابقة الواقع فيها وإصابة النظر له، بل إنّما أذكرما يخطر ببالي ويسنح في فكري، وأعرضه على الناظرين لينظروا فيه، فان وجدوه صحيحاً قبلوه، وإنوجدوا فيه خللاً أصلحوه، وإن رأوه غير صحيح

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

لم يقبلوه ، والخطأ منّي أو منهم ، وإن وجدوه مشتبهاً فليذروه في سنبله ، وعليهم أن لايبادروا بالانكار قبل تمام الجدّ و الجهد في فهم الكلام و ملاحظة المباني والادلّة والقواعد ، فلعلّ من وراء مبلغ نظرهم نظر لغيرهم .

ولا ألتزم إصابة نظري للواقع ؛ إذ القلب عليل ، و الرأي كليل ، و موانع الادراك كثيرة ، وأسباب الاختلال في الادلّة التي نتوصّل بها إلى المطالب من الاخبار وغيرها كثيرة ، والمطالب غير محصورة ، والاوقات محدودة ، والاسباب غير مجتمعة؛ فلعلّ من وراء مذهبي مذهباً لغيري ، وفوق فكري فكراً سواه . ومع هذه الاحوال لابدّ أن يتطرّق إلى الكلام الخطأ والنقصان ، مضافاً إلى كون الانسان محلاّ للسهو والنسيان ،فغاية ما يرجى في مثل ذلك الحال أن يكون أكثر المطالب مطابقة للواقع ، إلا أن يسدّدني ربي ويعصمني، ويأخذ بقلبي إلى الرشاد ؛ إنّه بكلّ شيء قدير ، وهو بكلّ شيء عليم .

و هذا أوان الشروع في المقصود بعون الله الملك المعبود . و أخّرنا تفسير الاستعانة إلى الآية المشتملة عليها لنذكرها عنده ـ إن شاء الله تعالى ـ ، ومن الله التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

سورة الحمد

سبع آيات

[تحقيق حول كلمة البسملة]

بسم الله الرحمن الرحيم

في تفسير الامام عليه السلام والتوحيد عنه[1] عليه السلام في قوله تعالى: «بسم الله - الخ»:

«هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من كلّ من [هو] دونه، وتقطع الاسباب من جميع من سواه.

يقول: «بسم الله» أي: أستعين على أموري كلّها بالله، الّذي لا تحقّ العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، و المجيب إذا دعي.»[2]

قيل: «معنى «يتألّه إليه»: يفزع ويلتجأ إليه.»[3]

وفي رواية عنه عليه السلام:

«يعني: بهذا الاسم أقرأو أعمل هذا العمل.»[4]

[القول في معنى الباء ومتعلّقها]

إعلم أنّ حرف الجرّ يدلّ على أن له متعلّقاً وليس بمذكور، فيكون

---

١) المراد من قوله: «عنه» هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب - عليه السلام -.

٢) تفسير الامام - عليه السلام -، ص٧؛ والتوحيد. باب معنى «بسم الله الرحمن الرحيم» ص ٢٣٠، ح ٥؛ والصافي، ج١، ص٥٠؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها، ص ٢٣٢، ح ١٤، وص ٢٤٠، ح ٤٨.

٣) القول للفيض (ره)، راجع الصافي، ج ١، ص ٥٠.

٤) تفسير الامام - عليه السلام -، ص ٩؛ والصافي، ج ١، ص٥٠؛ والبرهان، ج١، ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

محذوفاً ، وقرينة تعيين المحذوف هو ما يقع بعده ، و هو القرائة و العمل الواقع بعده ، فيناسب في المقام تقدير « أقرأ » متأخّرة عن الجارّ والمجرور ، لا القرائة ، ولا مقدّماً لوجوه ذكرها المفسّرون . وفي عطف «أعمل» على «أقرأ» إشعار بأنّ في كلّ مقام يقدّر ما يكون التسمية لأجله . فالمسافر إذا حلّ وارتحل فقال : «بسم الله والبركات » كان المعنى : بسم الله أحلّ وأرتحل و كذلك . و نظيره قولهم في الدعاء للعرس : « بالرخاء و البنين » ؛ أي : بالرخاء أعرست . و تقدير القرائة ونحوها أنسب من الابتداء ليكون الفعل بتمامه منتسباً إلى اسم الله ؛كقوله تعالى: «اقرأ باسم ربك . »[١]

و ذكروا في معنى تعلّق اسم الله بالقرائة وجهين[٢] :

تعلّق الكتابة بالقلم ، كأنّ فعله لايجيء معتدّاً به إلا بعد تصديره بذكره ، كما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله على ما يأتي :

« كلّ أمر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر . »[٣]

وتعلّق الدهن بالانبات في قوله : « تنبت بالدهن »[٤] أي : متبرّكاً باسم الله أقرأ ، كما في قوله : « بالرخاء والبنين » أي : ملتبساً بالرخاء و البنين أعرست . و هذا الوجه أعرب و أحسن عند جماعة ، و علّل بوجوه عديدة من كون استعمال الباء في الملابسة و المصاحبة أكثر من الاستعانة ، و أنّ دلالتها على تلبّس إجراء

ـــ ص ٤٦ ، ح ١١ .

١) العلق / ١ .

٢) راجع تفسير النيشابوري ، ج ١ ، ص ١٩ .

٣) تفسير الامام ــ عليه السلام ــ ، ص ٩ ؛ والصافي، ج ١ ، ص ٥٢ ؛ والبحار . ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٤٢ ؛ وهكذا أخرجه أحمد في مسنده ، ج ٢ ، ص ٣٥٩ ؛ و رواه الزمخشري في الكشاف ، ج ١ ، ص ٥ .

٤) المؤمنون / ٢٠ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******
الفعل بالتبرّك أظهر ، و أنّ في التبرّك باسم الله من التأدّب ما ليس في جعله بمنزلة الآلة ؛ إذ الآلة لايكون مقصودة بالذات ، و اسم الله عند الموحّد أهمّ شيء وأقدمه ، وغيرها من بعض الامور الاعتباريّة المحضة .

و الظاهر أن الاوّل هو الظاهر من الباء في مثل المقام ، و فيه من التأدّب و المناسبة ما ليس في الثاني ؛ إذ نهاية أدب العبد غمض العين عن حوله و قوّته ، والالتجاء إلى اسم ربّه ، والاعتصام والاستعانة به في جميع شؤونه وأفعاله ، إلى أن يصل إلى مقام يغني عن مشاهدة نفسه فاعلاً و مريداً ، ويرى ذاته فاعلاً و مريداً بالله سبحانه . وهذا حقيقة التبرّك باسمه تبارك وتعالى ، فانّه مفتاح نزول البركات عليه ، و سبب لوصول الفيض عليه في إتمام المقصود ، فلا يكون الفعل المبتدء به أبتر ، بخلاف من يرى نفسه مصدراً لأفاعيله معتمداً على نفسه و إن تبرّك بذكر اسم الله . و يشهد لذلك الرواية المتقدّمة . و ليس ذكر الاستعانة فيه دليلاً على نفي تقدير القرائة والعمل ، بل لعلّه بناء [على] معنى الربط المدلول عليه بكلمة الباء ، فلا ينافي كون متعلّقها هو القرائة والعمل ، ويجوز تقدير مستعيناً حالاً من الضمير في « أقرأ » و « أعمل » ليكون هو المتعلّق .

وأمّا تعميم المستعان له للأمور كلّها ، فيجوز كونه لأجل بيان أنّ جميع الاعمال التي يبدء بها باسم الله كذلك ، فيكون كلّ فرد من أفراد البسملة مراداً بها استعانة خاصّة ، وأن يكون تكميلاً للاستعانة الخاصّة بالحاق جميع ما يشاركها به ليكون أتمّ . وحينئذ فيكون الروايتان متقاربتين في المفاد معتضدتين بالاعتبار .

ولهذا القول حينئذ صورة ومعنى . أمّا الصورة ، فاظهار أنّي أوجد القرائة والعمل باسم الله مستعيناً به و معتمداً عليه ، لا بأسمائي و صفاتي و حولي وقوّتي ومشيّتي . وأمّا المعنى ، ففي مقام الحال كون حال القائل اللجأ والاعتصام باسم الله سبحانه ، وعدم الاعتماد على نفسه وصفاته ، وفي مقام المعرفة العلم بأنّه لا يملك

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

لنفسه ضرّاً ولا نفعاً إلا ما شاء الله، وأنّه ليس بفاعل شيئاً الآن ولاغداً إلا أن يشاء الله ، كما روي في التوحيد عنه صلى الله عليه وآله :

« إنّ الله تبارك و تعالى يقول : يا بن آدم ، بمشيّتي كنت أنت الّذي تشاء لنفسك ما تشاء ، وبإرادتي كنت أنت الّذي تريد لنفسك ما تريد، وبفضل نعمتي عليك قويت على معصيتي ، و بعصمتي و عوني وعافيتي أدّيت إليّ فرائضي ، فأنا أولى بحسناتك منك ، و أنت أولى بسيّئاتك منّي ، فالخير منّي إليك بما أوليت بدأ ، والشرّ منّي إليك بما جنيت جزاءً ، وباحساني إليك قويت على طاعتي ـ الحديث . »[1]

[في معنى التّسمية]

و ربّما يؤيّد ما ذكر ويوافقه ما روي في التوحيد عن الرضا عليه السلام بعد السؤال عن ترجمة البسملة ، أنّه قال :

« معنى قول القائل « بسم الله » أي : أسم على نفسي سمة من سمات الله عزّ وجلّ ، وهي العبادة .

قال ـ الراوي ـ : فقلت له : ما السمة ؟ قال : العلامة . »[2]

---

١) التوحيد، باب المشية والارادة، ص ٣٤٣ ، ح ١٣ عن معاذ بن جبل ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ وهكذا رواه القمي (رض) في تفسيره ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ؛ عن السكوني، عن جعفر ، عن أبيه ـ عليهما السلام ـ ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٥ ، باب القضاء والقدر ، ص ٩٣ و ٩٤ ، ح ١٣ و١٤ ، عنه و عن التوحيد .

٢) التوحيد ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ص ٢٢٩ ، ح ١ ، عن علي ابن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وهكذا رواه (ره) في المعاني : باب في معنى بسم الله ، ص٣ بهذا الاسناد ؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١، ص ٥٠؛ والمجلسي (ره) في البحار ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٠ . ح ٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن العيون والعلل عنه ﷺ مثله [١] .

فانّ التسمية بهذه الكيفيّة متحقّق بمقام العبوديّة الّتي هي علامة الربوبيّة ومظهرها ، فانّ العبوديّة فناء وتبعيّة وقابليّة وسؤال والتجاء واعتصام واستمداد، والربوبيّة كمال وجود وإعطاء وإمداد وإيجاد ونفاذ كلمة وتأثير، و الاوّل علائم ومظاهر للآخر ، والمسمّى بذلك المعنى دال على ربّه فاعل به ، و تاركها كذلك مظهر نفسه في فعله ، ومحتجب عن ربّه بذاته و صفاته و أفعاله . والعلامة ما كان كاشفاً عن المعنى الّذي هي علامة له، لا حاجباً ساتراً عنه . فمن وضع التسميه على نفسه فقد وسم نفسه بسمة الله وعلامته .

ومناط التفرقة بين الوجهين ، وأصله ومبدئه أن كلّ ممكن زوج تركيبي و مركّب من وجود و مهيّة ، والاوّل هو جهته من ربّه و فعل لربّه ، والثاني جهته من نفسه وقابل لفعل الحقّ بمنزلة المادّة والصورة الفعليتين ، وجهة الوجود هو مبدء توجّهه إلى الحقّ ، و هو مبدء كلّ خير ، وجهة المهيّة نظره إلى نفسه بما هي هي ، و هو مناط الاحتجاب عن الحقّ و دعوى الأنانيّة ، و هو مبدء كلّ شرّ يصدر منه ، كما أنّ الجهة الاولى جهة كون الشيء آيةً لربّه و حاكياً عنه ومظهراً له ، والجهة الثانية مبدء كونه حجاباً له، فانّه سبحانه تجلّي لخلقه بخلقه واحتجب به عنه [٢] ؛ كما ورد في كلماتهم عليهم السلام [٣] .

---

١) العيون ، ج ١ ، باب ٢٦ ، ص ٢٠٣ ، ح ١٩ ، بنفس الاسناد . و أما موضعه في العلل ، فلم نظفر عليه .

٢) في المخطوطة : « بها عنها » .

٣) يوجد هذا المعنى في كثير من كلماتهم وخطبهم ـ عليهم السلام ـ في التوحيد ؛ كخطبة أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ خطبها للناس بالكوفة، و رواها الكليني (ره) في الكافي، ج ١ ، باب جوامع التوحيد ، ص ١٣٩ ، ح ٥ ، عن إسماعيل بن قتيبة ، عن الصادق ، عنه ـ عليهما السلام ـ ، فانه ـ عليه السلام ـ قال : « ... الحمد لله ... الدالّ على وجوده بخلقه ـ إلى أن قال : ـ ولاتحجبه الحجب ، والحجاب بينه وبين خلقه خلقه إياهم .»

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والتسمية هي نظر الوجود و توجّهه إلى مبدئه ، و من لواحقه التسمية باللّسان والقلب وغيرهما .

هذا ، و يحتمل أن يكون المراد من الرواية تعلّق الجارّ والمجرور باسم المقدّر ، و يكون الاسم بمعنى السمة والوسم ، ليكون ترجمته مطابقة : « أُعلم على نفسي بعلامة الله » ، و يكون الجملة إنشاء كالوجه السابق ؛ إذ التسمية بنفسها عبادة ويجري فيها نظير ما سبق من المراتب؛ إذ العبوديّة فعليّة وحاليّة وقلبيّة وعقلية وروحيّة ، ولكلّ تسمية ، وحينئذ فيكون أحد المعنيين تفسيراً ابتدائيّاً، والآخر تفسيراً لظاهر الظاهر على ما مرّ بيانه في المقدّمة [١] ، أو أحدهما للبسملة القرآنية والآخر لغيرهما ممّا يقع في كلمات العباد ، لابعنوان كونه قرآناً . وعلى ما ذكر يكون المعنى الثاني ذكراً للمدلول الالتزامي للمعنى الاوّل المراد بالكلام مطابقة وهذا ممّا يؤيّده ترجيحه .

ثم الرواية الاخيرة يويّد ما ذهب إليه الكوفيّون من كون الاسم أصله الوسم والسمة ، لأنّ الاسم علامة للمسمّى، خلافاً للبصريّين، فذهبوا إلى أنّ أصله السموّ بمعنى العلوّ ، والمناسبة أنّ التسمية تنويه للمسمّى و إعلاء له ، أو أنّ اللّفظ معرّف للمعنى، والمعرّف متقدّم على المعرّف في المعلوميّة ، فهو عال عليه. و كلاهما بعيدان وإن كان اشتقاق الاسماء وأسمّي وسمّيت في الجمع والتثنية وبناء الفعل يؤيّده .

[في وجوه تعليق الاستعانة باسم الجلالة وكيفيّتها]

ثمّ إنّ في تعليق الاستعانة و ما شابهها باسم الله سبحانه في البسملة و سائر

---

١) راجع المقدمة الرابعة ، بحث مراتب القرآن .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

المقامات كقوله : « سبّح اسم ربّك »[١] و « اقرأ باسم ربّك »[٢] و « تبارك اسم ربّك »[٣] و« فسبّح باسم ربّك »[٤] وغيرها وجهين :

أحدهما ، أن يكون المنسوب إليه هو الله سبحانه لا الاسم ؛ كقول «لبيد» :

« إلى الحول ثمّ اسم السلام عليكما » .

وهذا يمكن أن يكون نحو تعظيم في التعبير، كما شاع ذكر الجناب ونحوه عند إرادة العرض على الاكابر، مع أنّ المنسوب إليه هو الكبير بنفسه، وأن يكون المراد من الاسم المذكور هو المسمّى، كما صرّح به بعضهم في الآية الاولى[٥]

وثانيهما ، أن يكون الاستعانة بنفس الاستعانة ، و ما شاكلها، متعلّقة بنفس الاسم من حيث كون الاستعانة به استعانةً بالمسمّي ، وكونه وسيلةً إليه سبحانه سواء جعل الاسم بمعنى اللّفظ ، كما هو المفهوم منه عند العامّة ، فيكون إسناد التسبيح والتبارك إليه باعتبار كونه منزّهاً عن الدلالة على ما يشعر بنقص، وكونه موجباً للبركة لمن واظب عليه ، أو ذكر الله سبحانه به ، أو عبارة عن حقيقة ذلك الاسم في عالم الربوبيّة ، فانّ للاسماء حقائق في أعلى درجات عالم الامكان ، كما سنبيّنه في خلال التفسير ـ إن شاء الله تعالى ـ . و حينئذ فنسبة التنزيه والبركة والاستعانة إليه حقيقة إمكانيّة ، يعني في مقام نسبة الأشياء الامكانيّة بعضها إلى بعض . وهذا الوجه أدلّ على تنزيه الحقّ وتباركه وكونه المستعان به من حذف الاسم وجعل المسمّى متعلّق النسبة .

---

١) الاعلى / ١ .

٢) العلق / ١ .

٣) الرحمن /٧٨ .

٤) الواقعة / ٧٤و٩٦ ؛ والحاقّة /٥٢ .

٥) راجع تفسير النيشابوري ، ج ٣ ، سورة الاعلى ، ذيل الآية ؛ و هكذا في مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٢٠ ، وج ٥ ، ص ٤٧٤ وفي التفسير الكبير ، ج ٨، ص ٥٣٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ولعلّ أوجه الوجوه أن يقال : لمّا كان ذات الحقّ سبحانه منزّهاً عن تعلّق إدراكنا به ، وغيباً محضاً لايصحّ الاشارة إليه لاعقلا ولا وهماً ، ظاهراً لنا بصفاته وأسمائه و أفعاله وآثاره ، و كان صفاته الذاتيّة عين الذات الممتنعة عن الادارك ، افتقر الداعي والمستعين والمسبّح إلى وجهة يتوجّه بها إليه سبحانه من أسمائه الكلّيّة والجزئيّة : «ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها» [١] ، بمنزلة القاصر عن مشاهدة الشمس بعينه ، المتوسّل إلى ملاحظتها بالماء الصافي، أو المرآة الصافية ، فانّ الاسم من حيث أنّه اسم وعلامة للشيء لايعتبر له استقلال وهويّة ، بل يلاحظ به المسمّى و يجعل آلة للحاظه ؛ كالناظر إلى الشمس من المرآة والماء، فانّه ينبغي غفلته عن ملاحظة صفات الماء والمرآة ، و استغراقه في مشاهدة صفات الشمس الظاهرة له بتوسّط الماء . فتسبيحه حينئذ لما ظهر في الماء تسبيح للشمس ، والماء مظهر لها . وأمّا من يرى الماء شيئاً مستقلا ، و يشاهده وصفاته ، فهو غير ناظر إلى الشمس ، ولا إلى علامته ، بل إلى أمر آخر محتجب به عن الشمس. وكذا المستعين بحقائق الاسماء الالهيّة أو ألفاظها و مسبّحها قد يكون مسبّحاً له سبحانه مستعيناً به بايقاع الالفاظ والحقائق عليه ، وهو الموحّد في ذلك المقام ، و قد يكون مسبّحاً للألفاظ والحقائق ، و محتجباً بها عنه سبحانه ، و هو من أخفى أقسام الشرك . ومثالهما: القارئ المشتغل بألفاظ القرائة عن معانيها ، والمشتغل بمعانيها عن ألفاظها بحيث ربّما يذهل عن الالفاظ من كونها أشياء في عين نظره إليها ، من حيث كونها قوالب ومظاهر للمعاني . فلو سألت عن الاوّل عن معنى ما قرأ وفي أيّ مطلب كان لم يشعر بذلك ، و لو سألت الثاني عن خصوصيّات الالفاظ والحروف والكيفيّة التي وقع عليها إخراج الحروف لم يدر شيئاً منها .

و إن شئت ظهور الحال لك فاستظهر بحال مطالعة الكتاب عند استغراق

---

١) الاعراف / ١٨٠ .

النفس في معانيها، و تمام انصراف الفكر إليها، فانّه غافل عن النقوش المكتوبة من حيث صفاتها، بل هي عنده مرآة للمعاني. وقايسه بحال رجل من العوام يريد شراء كتاب، فانّ نظره على النقوش من حيث صفاتها وأنحائها، وكذلك المتوجّه إلى اللّفظ والحقيقة تارة متوجّه إلى أحدهما من حيث كونه شيئاً، وتارة من حيث كونه اسماً وعلامة ومعرّفاً، فيكون متوجّهاً إلى المسمّى بالاسم لا إلى الاسم. ونظر الموحّدين إلى كلّ شيء من حيث كونه آيةً من آيات الله سبحانه، كما أنّ نظر الناقصين إليها من حيث أنّها هي، فهو ناظر إلى مهيّاتها، كما أنّ الاوّل نظر إلى وجوداتها.

ولعلّ ما ذكر من الدقيقة هو الّذي أوقع جماعة في توهّم أنّ الاسم عين المسمّى، و استفاضت الاخبار في ردّه[1]، وردّه الجمهور، بل هو كلام لا محصّل له إلا أن يريد به ما ذكرناه توسّعاً في التعبير، ومجازاً بعيداً عن الحقيقة؛ إذ الفرق بيّن بين أن يكون الاسم هو المسمّى، وبين إمكان التوجّه بالاسم إلى المسمّى.

[تفسير الاسم باعتبار معنى كلّ حرف من حروفها]

هذا تفسير الكلمة باعتبار معناه التركيبي، وأمّا باعتبار معاني حروفه مفرداً ومادّة هذه الكلمة فهو ما رواه في الكافي و التوحيد و المعاني و العيّاشي عن أبي عبدالله ﷺ في تفسير البسملة:

« الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مجد الله ـ وفي رواية:

---

١) كحديث رواه الصدوق (رض) في التوحيد، باب أسماء الله تعالى. ص ٢٢٠، ح ١٣، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ في جواب ما سئله هشام بن الحكم (ره) عن أسماء الله عزوجل واشتقاقها، ـ إلى أن قال عليه السلام ـ: « والاسم غير المسمى ... » و هكذا روايات أخر نقله المجلسي (ره) في البحار، ج٤، باب المغايرة بين الاسم والمعنى، فراجع.

ملك الله ـ الحديث . »[1]

و روى القمّي بأسانيد متعدّدة جملة منها معتبرة، عن الباقر والصادق والرضا عليه السلام مثله بالرواية الأخيرة[2] . و ذكره كذلك في التوحيد ثانياً في ضمن حديث آخر في ترجمة البسملة[3] .

و هذه الرواية الّتي رواها أساطين مشائخ الحديث بالطرق المتكثّرة عنهم عليه السلام في تفسير البسملة موافقة لما رواه في التوحيد باسناده عن الرضا عليه السلام :

« إنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم ـ إلى أن قال :ـ ولقد حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في « ا ، ب ، ت ، ث » أنّه قال :

« الألف آلاء الله ، والباء بهجة الله ـ إلى أن قال :ـ « س ، ش » ، فالسين سناء الله ـ إلى أن قال :ـ « م ، ن » ، فالميم ملك يوم الدين[4] ، يوم لا مالك غيره ، و يقول عزّوجلّ :

---

۱) الكافي ، ج ۱ ، باب معاني الأسماء واشتقاقها من كتاب التوحيد ، ص ۱۱٤ ، ح ۱ : والتوحيد ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم» ، ص ۲۳۰ ، ح ۲ : والمعاني ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ص ۳ ، ح ۱: و العياشي ، ج ۱ ، ص۲۲ ، ح ۱۸ ؛ و رواه أيضاً البرقي (رض) في المحاسن ، ج ۱ ، باب ۲٤ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ۲۳۸ ، ح ۲۱۳ ؛ وهكذا في الصافي والبحار والبرهان . واسناد الحديث في الجميع هو: عبدالله بن سنان ، عنه ـ عليه السلام ـ .

۲) القمي ، ج ۱ ، ص ۲۸ .

۳) التوحيد ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم» ، ص ۲۳۰ ، ح ۳ ، عن صفوان ابن يحيى ، عمن حدثه ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ؛ و هكذا رواه رحمه الله بهذا الاسناد في المعاني ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ص ۳ ، ح ۲ .

٤) خ . ل : « ملك الله » .

لمن الملك اليوم ؟ ثمّ تنطق أرواح أنبيائه و رسله و حججه فيقولون : لله الواحد القهار ، فيقول جلّ جلاله : اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ـ الحديث . » [١].

وهذه الرواية تؤيّد الرواية الثانية ، كما يؤيّده في ترجمة « الميم » ما رواه فيه أيضاً باسناده عن الكاظم عليه السلام أنّه قال علي بن أبي طالب عليه السلام في جواب اليهودي السائل عن الفائدة في حروف الهجاء بعد أمر رسول صلى الله عليه وآله إيّاه بجوابه :

« ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عزّ وجلّ ـ إلى أن قال : ـ وأمّا الميم ، فمالك الملك ـ الحديث . » [٢]

وما رواه أيضاً باسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه :

« سأل عثمان بن عفّان رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير « أبجد » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : تعلّموا تفسير أبجد ، فان فيه الأعاجيب كلّها ؛ ويل لعالم جهل تفسيره .

فقيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، ما تفسير أبجد ؟

فقال : أمّا الألف ، فآلاء الله حرف من أسمائه ، وأمّا الباء ،

---

١) الآيتين : الغافر / ١٦ـ١٧ ؛ والحديث في التوحيد ؛ باب تفسير حروف المعجم : ص ٢٣٢ ، ح ١ ، عن عليّ بن الحسن بن علي بن فضال ، عن أبيه ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وهكذا رواه (ره) بهذا الاسناد في المعاني والعيون والامالي كما في البحار ، ج ٢ ، باب غرائب العلوم من تفسير أبجد وحروف المعجم ، ص ٣١٨ ، ح ٣ .

٢) التوحيد ، باب تفسير حروف المعجم ، ص ٢٣٤ ، ح ٢ ، عن يزيد بن الحسن ، عن الكاظم ـ عليه السلام ـ ، . . . . ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و المعاني ، باب معاني حروف المعجم ، ص ٤٤ ، ح٢ بهذا الاسناد ؛ والبحار ، ج ٢ ، باب غرائب العلوم من تفسير أبجد وحروف المعجم ، ص ٣١٩ ، ح ٤ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

فبهجة الله ـ إلى أن قال : ـ وأمّا الميم ، فملك الله الّذي لا يزول ، و دوام الله الّذي لا يفنى . »[1]

وما رواه عن الباقر عليه السلام في حروف « الصمد » أنّه قال :

« وأمّا الميم ، فدليل على ملكه ، وأنّه الملك الحقّ لم يزل ولا يزال ، ولا يزول ملكه . »[2]

و روى أيضاً باسناده عن الباقر عليه السلام في حديث عن عيسى عليه السلام في تفسير «أبجد»:

« الألف آلاء الله ، والباء بهجة الله . »[3]

ويؤيّد الرواية الاولى ما في المعاني عن الصّادق عليه السلام في «الم» في «آل عمران» من أنّ معناه : « أنا الله المجيد » ، وفي « حم » من أنّ معناه « الحميد المجيد ».[4]

والبهجة والبهاء متّحدان معنىً ؛ قال الجوهري في « بهج » : عن أبي عبيدة:

---

١) التوحيد ، باب تفسير حروف الجمل ، ص ٢٣٦، عن الاصبغ بن نباتة عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و رواه أيضاً بهذا الاسناد في المعاني ، باب معنى حروف الجمل ، ص ٤٦ ؛ وهكذا في الامالي كما في البحار ، ج ٢ ، باب غرائب العلوم من تفسير أبجد و حروف المعجم .

٢) التوحيد ، باب تفسير « قل هو الله أحد » إلى آخرها ، ص ٩٢ ، ح ٦ ؛ عن وهب بن وهب القرشي ، عن الصادق ، عنه ـ عليهما السلام ـ ؛ و المعاني ، باب معنى الصمد ، ص ٨ ، بنفس الاسناد ؛ والبحار ، ج ٣، باب ٦ من أبواب التوحيد ، ص ٢٢٤ ، ح ١٥ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقه ١ من هذه الصفحة ، و فيها : عن أبي الجارود زياد بن المنذر ، عنه ـ عليه السلام ـ .

٤) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة في أوائل السور من القرآن ، ص ٢٢ ، ح ١ عن سفيان بن السعيد الثوري، عنه ـ عليه السلام ـ؛ وهكذا في تفسير الامام ـ عليه السلام ـ كما في البحار ، ج ٩٢ ، باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٧٣ ، ح ١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« البهجة : الحسن ؛ يقال : رجل ذو بهجة . وقد بهج بالضمّ بهاجة فهو بهيج؛ قال تعالى : « من كل زوج بهيج » [1] . و بهج [به] بالكسر أي : فرح [به] و سرّ ، فهو بهج و بهيج . »

و لعلّ إطلاق البهجة عليه باعتبار ابعاثه كثيراً من إدراك الكمال و الحسن في نفسه ، أو لابعاثه عن إدراك الشيء الحسن من مرئيّ أو مسموع أو غيرهما ، فأطلق لفظ الأصل على أثره المتفرّع عليه ، أو لأنّ الفرح يحدث للبشرة حسناً و إشراقاً عكس الهمّ والخوف ، فيكون من إطلاق لفظ المسبّب على السبب . ويحتمل كون المعنى الأوّل مأخوذاً من الثاني باعتبار كون الحسن موجباً للسرور ، و ربّما يشعر به كلام بعضهم .

وقال في « بهاء » : « البهاء : الحسن ؛ تقول: بهي الرجل بالكسر وبهو بالضمّ فهو [2] بهيّ . »

ثمّ ذكر له معنى الخلوّ والتعطيل والفخر أيضاً ، و ذكر للبهاء من المهموز معنى الانس ، وأنّ البها بمعنى الحسن من بهى الرجل غيرمهموز .

و في مجمع البحرين : « البهاء : الحسن و الجمال ؛ يقال : « بهاء الملوك » أي : هيئتهم وجمالهم، و « بهاء الله » عظمته . »

وبالجملة فالظاهر أنّ المراد من البهاء والبهجة هنا هوالحسن ، وهو منشأ الانس الّذى هومعنى المهموز .

وأمّا السناء ، فقال الجوهري : « السنا مقصور ضوء البرق ـ إلى أن قال ـ والسناء من الرفعة ممدود ، والسنيّ : الرفيع ، وأسناه أي : رفّعه . »

و ذكر المعنيان الطريحي أيضاً وقال: «في الخبر : « بشّر أمّتي بالسناء » أي:

---

١) الحج / ٥ .

٢) في المخطوطة : « فهي » .

بارتفاع القدر والمنزلة عند الله تعالى . »

ويمكن كون الثاني مأخوذاً من الأول لارتفاع ضوء البرق على الأشياء . فشبه به الشيء الرفيع في رفعته ، فأطلق لفظه على الرفعة ؛ كالسماء في إطلاقه على ما يقابل الارض وعلى كل عال .

وأمّا المجد ، فقال الجوهري : « المجد : الكرم ، و المجيد : الكريم ، و قد مجد الرجل بالضمّ فهو مجيد وماجد ؛ قال « ابن السكّيت » : المجد و الشرف يكونان بالآباء ؛ يقال : رجل شريف ماجد ، له آباء متقدّمون في الشرف . قال : والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف . »

ويشعر ذيل كلامه بخلاف ما حكاه عنه .

وقال الطريحي : « المجد : الشرف الواسع في كلام العرب ـ إلى أن ذكر عن أبي عليّ أنّ : ـ « معناه : العلوّ والكمال والرفعة » ـ و ذكر أيضاً أن : ـ المجد : الكرم والعزّ ، وفي الخبر : « المجد حمل المغارم و إيتاء المكارم . » و رجل ماجد : كريم شريف . »

وعلى هذا فالظاهر أنّ المجد هنا هو العلوّ والعزّ ، فيصحّ اتحاده مع **الملك** ؛ إذ حقيقته السلطنة على الشيء والاستعلاء عليه و إن أخذ الأوّل وصفاً للشيء في حدّ نفسه ، فلا يقال: مجده وعزّه بخلاف مجد وعزّ الشيء ، والثاني وصفاً إضافيّاً خاصّاً ، فيقال: ملكه ولا يقال : ملك من دون اعتبار متعلق إن أُخذ الملك مكسوراً ، الذي يعبّر عن صاحبه بالمالك ، لا الملك بالضمّ ، الذى يشتقّ منه الملك . و ذلك لأنّ العلوّ والعزّ لا يعقلان ما لم يلاحظ سائر الاشياء و لو إجمالاً ليصدق العلوّ والعزّ باعتباره ؛ ألا ترى أنّه إذا فرضنا انحصار الموجود في واحد لم يصحّ وصفه بالعلوّ والعزّ ما لم يقايس بسائر الاشياء و لو وهماً ؟ غاية الامر عدم لزوم ملاحظة أمر خاصّ في التوصيف ، بل يصحّ اعتباره وصفاً مع ملاحظة إجماليّة كالملك بالضمّ

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

إذ لايعقل السلطنة بدون فرض الرعيّة ، إلا أنّه لايلزم ملاحظة شخص خاصّ أو أشخاص في التوصيف بخلاف الملك بالكسر ؛ إذ يعتبر فيه النسبة الخاصّة ولو حذف من اللّفظ .

و حينئذ فالملك بالضمّ أقوى أنواع المجد ، فيتّحد الروايتان إن أخذنا الملك بالضمّ ، كما يؤيّده الاستشهاد بالانواع : إذ مجد الحقّ أعظم مجد و أقواه بديهة ، ولا مجد فيما يعرفه الناس أعظم من السلطنة . وإن أخذنا الملك بالكسر فبعد عموم متعلّق الملك يكون بمنزلة التفصيل من الاجمال الذي يدلّ عليه المجد ، فيتّحدان في الحقيقة و إن اختلفا في اللحاظ .

و حينئذ فنقول في معنى الاشتقاق : إنّ حقائق الاسماء الالهيّة على نوعين : إمّا ظاهر من شأنه الظهور ؛ أو خفيّ من شأنه الخفاء بنفسه و إن ظهر في آثاره و الثاني أقرب إلى الحقّ ، لكونه مثالاً للحقّ في غيبيّة الذات وظهوره بالآثار ، فهو الرابطة بين الظهور و البطون ، و ذاته الخفيّ من طرف الحقّ ، و أثره من طرف الخلق ، فهو آية الحقّ في الظهور والبطون ، فالمطابق له في الالفاظ الالف الذي أوّل الحروف من حيث أوّليّته و خفائه عن أوائل أسماء الله سبحانه و غيرها ، كالبسملة لفظاً و ظهوره كتباً ، إلا في البسملة حيث ابدل إظهاره بتطويل الباء لما ذكروه في موضعه ، ونسبة الكتابة إلى اللّفظ نسبة الجسد إلى الروح ، فهو خفيّ روحاً وظاهر قشراً ، ومن حيث استقامته التي هي الاصل في أشكال الحروف، ككون « الصراط المستقيم » صفة فعل الحقّ ؛ « **إنّ ربّي على صراط مستقيم** »[1] و من حيث اشتقاق سائر الحروف منه كتباً . فهو كالمركز من الدائرة ؛ كتوسّط « الصراط المستقيم » بين السبل « **وانّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل** »[2] ولان

١) هود / ٥٦ .

٢) الانعام / ١٥٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

مخرجه أقرب من القلب الذي هو المبدء الاول في عالم الانسان ، فهو أوّل الحروف مخرجاً ، وأبعدها ظهوراً ، وأكثرها امتداداً لجريانه من قريب السرّة إلى الفم يمرّ على وسط المخارج كالصراط المستقيم إلى غير ذلك ، فهو الآلاء بمعنى النعم الباطنيّة الخفيّة .

والاوّل على أقسام ثلاثة :

إمّا أن يكون ظاهراً بالمرآتيّة المحظة للحق ، بحيث يكون فاني الهويّة في جنب الحقّ ، والاسم المكنون المخزون عنده سبحانه .

و إمّا أن يكون ظاهراً بنفسه وهويّته أيضاً .

و إمّا أن يكون ظاهراً بنفسه في مظاهره و مظهراً لها .

والاوّل مرآة ظهر بالمرآتيّة وخفي بنفسه ؛ كالمرآة الصافية التي لا يظهر بصفات نفسه للابصار ، وإنّما شأنه إظهار الشيء .

و الثاني مرآة يتعلّق بنفسها الادراك ، و يظهر فيها الصورة على ماهو عليه كأكثر المرائي الصافية.

و الثالث مرآة ضعف مرآتيّته في ظهور نفسه ، و مظهر هويّته في صفة المغايرة ، كما هو مرآة له، فصار مبدء لظهور الكثرة وخفاء الوحدة الحقيقيّة التي هي مرآة له .

ومن البيّن سبق الاوّل على الثاني ، وسبقه على الثالث .

فالاوّل هو الباء الذي يتلوا الالف مرتبة ، ولا يفارقه كتباً إلا بانحراف طرفيه و بقاء الباقي بعد الانبساط ، و هو بهاء الحقّ و مرآة حسنه ليس لها شأن وراء إظهار حسن الحقّ ؛ إذ الحقّ هو الحسن المطلق والجميل المطلق، فمرآته مرآة الحسن و البهاء ، وهو حقيقة الاسم الحاكي عن صفاته الذاتيّة ، وهو متّصف بصفة الفناء ، فهو خال عن نفسه بخلاف الثاني ، و عن سائر الاشياء بخلاف الثالث ، و

معطّل عمّا سوى شأن المرآتيّة ، فيوافقه المعنى الثاني للبهاء و هو مظهر الفخر الذاتي ، فيوافقه المعنى الثالث ، و هو أصل مقام الانس المنبعث عن الوصل ؛ إذ لا وصل إلا بالفناء و البقاء ، فيوافقه المعنى الرابع الذي للبهاء ممدوداً ، فهو مبدء البهجة و السرور بالحقّ ، الذي هو السرور الحق و البهجه الحقّة ؛ إذ لا سرور للعارف إلا بذلك ، وغيره باطل عاطل .

والثاني هو السين الذي هو الباء بزيادة التصرّف في وسطه ، وجعله كالطرفين فصار له أضراس ثلاثة ، وهو : سناء الحق، و ضوء برقه ، و نوره الظاهر بنورانيّة الحاكي عن مبدء وجوده ، و كما أنّ سناء البرق ظاهر بنفسه ، و بكونه شعاعاً للبرق ودالا عليه ، بحيث لايكاد يفارق أحد اللّحاظين عن الآخر عند إدراكه، ولمعان و ظهور للبرق لا أمر مغاير له منفصل عنه ، كذا سناء الله ظاهر بنفسه و هويّته مظهر للحقّ وآية له ، لاتغلب أحداللّحاظين الآخر ، وهو لمعان وظهور لفعل الحق والمرتبتين المتقدّمتين عليه، فكأنّ السابقة برق لايظهر بهويّته للابصار بنفسه ، و اللاحقة ضوئه الذي ظهر بنفسه و أظهر البرق بظهوره ، فكأنّه عبد قائم بصفة العبوديّة المقتضي لملاحظة نفسه وربّه ، السابق عليه ، فان عن نفسه باق بربّه ، و هذا السناء أرفع من جميع الابداعات الظاهرة ، فهو رفعة الحقّ ومظهرها ، فيصحّ أخذه بالمعنى الثاني .

والثالث فهو الميم المستدير الحاكي عن معنى دائرة الامكان ،ويقابل الالف من حيث أنّ صفته الاستقامة المقابلة للاستدارة ، و من حيث أنّ مخرجه آخر المخارج نزولا ، فيقابل مخرج الالف ، وهو ملك ، و مجده و علوّه على الاشياء ، وهذا المعنى يقتضي ظهور الاشياء بصفة المقهوريّة و المملوكيّة حتّى يظهر الحقّ فيها بصفة الملكيّة و المالكيّة و العلوّ،فهو البرزخ الحاكي عن الواجب بهذه الصفات ، و عن الممكنات بتلك ، والجامع لحقائق الاسماء الاضافيّة ، وقدانضمّ إلى

جهته التي إلى الحقّ ، و جهته في نفسه جهته إلى الخلق ، و باعتبارها أظهر أعيانها بصفاتها ، فشهدت لخالقها بأضدادها ، وهو مقام الربوبيّة الفعليّة التي تقتضي وجود المربوب . و ليس الغرض من هذا البيان حصر حقائق الاسماء في الحروف الاربعة ، بل يشبه أن يكون هي أصول تلك الحقائق ، أو الاولى من كلّ نوع من الانواع ماعدا الالف ؛ إذهو الاخير من مقام الغيب ، و قبله الالف المشار إليه بلام ألف لا وقبله النقطة ، و يشهد لكثرة الاسماء وتقدّم البهاء عليها دعاء السحر المعروف الوارد في شهر رمضان[1] حيث قدّم على الاسماء الكثيرة ، ومنها : الملك ، و النور المساوق للسناء في وجه .

هذا جملة ماخطر بالبال في ترجمة الجار والمجرور تركيباً وتحليلا، والله العالم.

[بحوث حول لفظ الجلالة]

و أمّا «الله» ففي الرواية السابقة بطرقها :

« و الله إله كلّ شيء »[2] .

و في التوحيد عن الامام العسكري عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ رجلا قام إليه ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، أخبرني عن « بسم الله الرحمن الرحيم » ما معناه ؟

فقال : إنّ قولك « الله » أعظم اسم من أسماء الله عزّ و جلّ وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمّى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق .

فقال الرجل : فما تفسير قوله : « الله » ؟

---

١) هو دعاء أبي جعفر ـ عليه السلام ـ ؛ قد نقله السيد الاجلّ عليّ بن طاووس ـ نوّر الله مضجعه ـ في الاقبال ، ص ٧٧ ، فراجع .

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١و٢ ص ٢٢٠ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

قال عليه السلام : هو الّذي يتألّه إليه عند الحوائج و الشدائد كلّ مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من دونه ، و تقطع الاسباب من كلّ من سواه . ثمّ قال : وذلك أنّ كلّ مترئّس في هذه الدنيا ، ومتعظّم فيها و إن عظم غنائه و طغيانه ، و كثرت حوائج من دونه إليه ، فانّهم سيحتاجون حوائج لايقدر عليها هذا المتعاظم ، و كذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لايقدر عليها ، فينقطع إلى الله عند ضرورته و فاقته حتّى إذا كفي همّه عاد إلى شركه : أما تسمع الله عزوجلّ يقول : **قل أرايتم ان اتيكم عذاب الله او اتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين * بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و تنسون ما تشركون .** » ١

وفيه أيضاً في حديث أنّه قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« الله معناه : المعبود الّذى يأله فيه الخلق و يؤله إليه ، و الله هو المستور عن درك الابصار ، المحجوب عن الاوهام و الخطرات » .

ثمّ قال : قال الباقر عليه السلام :

« الله معناه : المعبود الّذي أله الخلق عن درك ماهيّته و الاحاطة بكيفيّته ، و يقول العرب : أله الرجل : إذا تحير في الشيء فلم يحط به علماً ، و وله : إذا فزع إلى شيء ممّا

---

١) الآيتين: الانعام / ٤٠ ـ ٤١؛ والحديث في التوحيد، باب معنى «بسم الله الرحمن الرحيم» ، ص ٢٣٠، ح ٥ ؛ وهكذا في تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٠ ، والبحار ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٢ و٢٤٤ ، ح ١٤ و٤٨ ؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٤٥ ، ح ٨ .

يحذره و يخافه ، و الاله[1] هو المستور عن حواس الخلق ـ الحديث »[2] .

و ذكر في جملة رواه عنه أنّ :

« تفسير الاله هو الّذي أله الخلق عن إدراك ماهيّته وكيفيته بحسّ أو بوهم ، لا بل هو مبدع الاوهام ، و خالق الحواسّ ـ الحديث »[3] .

و فيه باسناده عن الحسن بن راشد ، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال :

« سألته عن معنى الله ، قال : استولى على مادقّ وجلّ »[4] .

وفي مجمع البحرين أنّ في الحديث : « الله معنى يدلّ بهذه الاسماء وكلّها

١) في بعض النسخ : « فالإله » .

٢) الحديثان في التوحيد ، باب تفسير « قل هو الله أحد » الى آخرها . ص ٨٩ ، ح ٢ ؛ والبحار ، ج ٣ ، باب ٦ من كتاب التوحيد ، ص ٢٢٢ ، ح ١٢ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٢٢٢ .

٤) التوحيد ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ص ٢٣٠ ، ح ٤ ، والمعاني باب معنى « الله عز وجل » ، ص ٤ ، ح ١ ، بهذا الاسناد ؛ ورواه أيضاً الكليني (ره) بالاسناد المذكورة في الكافي ، ج ١ ، باب معاني الاسماء واشتقاقها ، ص ١١٤ ، ح ٣ ؛ والعياشي (رض) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢١ ، ح ١٥ ، عن الحسن بن خرزاد . عن الصادق ـ عليه السلام ـ ، و نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٤ ، باب معاني الاسماء و اشتقاقها ، ص ١٨١ ، ح ٦ ، وقال في ذيله :

« لعلّه من باب تفسير الشيء بلازمه ، فانّ معنى الالهية يلزمه الاستيلاء على جميع الاشياء دقيقها وجليلها. وقيل: السؤال إنما كان عن مفهوم الاسم ومناطه، فأجاب ـ عليه السلام ـ بأنّ الاستيلاء على جميع الاشياء مناط العبودية بالحقّ لكلّ شيء . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

غيره ».

وفي التوحيد باسناده عن الصادق عليه السلام:

« الله مشتق عن إله ، وإله يقتضي مألوها [1] ».

و في خطبة الرضا عليه السلام:

« له معنى الربوبيّة إذ لا مربوب ، و حقيقة الالهيّة إذ لا مألوه . » [2]

[في اشتقاق كلمة الجلالة وعلَميّتها ، وأنّ أصلها ما هو ؟]

اعلم أنّه لاخلاف في أنّ الالف واللاّم في لفظ الجلالة حرف تعريف في الاصل لا من أصل الكلمة ، كما مرّ على ما صرّح به بعضهم ، و ذهب الاكثر إلي أنّ أصله « الالاه » ، وجوّز سيبويه أن يكون أصله لاهاً من لاه يليه: تستّر واحتجب، وقيل: بمعنى: ارتفع ، ويبعده كثرة دوران إله في الكلام واستعمال إله في المعبود، وإطلاقه على الله . فهو حينئذ كلفظ الناس حيث أنّ أصله « الاناس » ، فحذف منه الهمزة،

١) التوحيد ، باب أسماء الله تعالى ، ص ٢٢٠ ، ح ١٣ ، عن هشام بن الحكم ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والبحار ، ج ٤ ، باب ١ من أبواب أسمائه تعالى ، ص ١٥٧ ، ح ٢؛ وهكذا رواه الكليني (ره) بهذا الاسناد في الكافي ، ج ١ ، باب معاني الاسماء واشتقاقها ، ص ١١٤ ، ح ٢ ؛ والطبرسي (ره) في الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، مرسلاً عن هشام بن الحكم ،عنه ـ عليه السلام ـ .

٢) رواه الصدوق (ره) في التوحيد ، باب التوحيد ونفي التشبيه ، ص ٣٨ ، ح ٢ ؛ والعيون ، ج ١ ، خطبة الرضا ـ عليه السلام ـ في التوحيد، ص ١٢٥، عن محمد بن يحيى ابن عمر بن علي بن أبي طالب ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والطبرسي (ره) في الاحتجاج، ج٢ ص ١٧٧ ، مرسلا عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وهكذا في البحار ، ج ٤ ، باب جوامع التوحيد، ص ٢٢٩ ، ح ٣ .

و عوّض منه الالف و اللام ، كما عن أبي عليّ النحويّ ، أو من دون تعويض كما ذكره غيره .

والاله مشتقّ من أله بالفتح إلاهةً أي : عبد عبادةً على ما ذكره الجوهري[١] و وافقه جماعة .

وعن المصباح : « أله يأله ـ من باب تعب ـ إلهة [بمعنى] عبد عبادة ، وتألّه: تعبّد، والالاه : المعبود وهوالله سبحانه،ثمّ استعار [ه] المشركون لما عبد من دونه» .

و أجود منه ما ذكره الجوهري من تعليل تسمية الاصنام بالالهة باعتقادهم أنّ العبادة تحق لها ، وأسمائهم تتبع اعتقاداتهم ، لا ما عليه الشيء في نفسه .

قيل : « اتّفق القائلون بالاشتقاق على اشتقاقه ممّا ذكر[٢] ، وأنّه اسم جنس كالرجل والفرس ، يقع على كلّ معبود بحقّ أو باطل ، ثمّ غلب على المعبود بحقّ ؛ كما أنّ النجم إسم لكلّ كوكب، ثمّ غلب على الثريّا . و كذا السنة على عام القحط والبيت على الكعبة، والكتاب على كتاب سيبويه . وأمّا الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود [بـ] الحقّ لم يطلق على غيره[٣] . » انتهى .

وقيل : « من أله بكسر أي: تحيّر .» و ذكر الجوهري أنّ أصله الوله ، وردّ بمخالفته لكثير من كلام أهل اللّغة ، والمناسبة ظاهر ؛ إذ تحيّرت الاوهام ، وغمضت مداخل الفكر ، وعجزت العقول عن إدراكه .

و قيل : « من ألهت إلى فلان أي : سكنت إليه . » فالنفوس لا تسكن إلا إليه ، والعقول لا تقف إلا لديه ، « الا بذكر الله تطمئنّ القلوب »[٤] .

---

١) راجع الصّحاح ، وقد يوجد فيه أيضاً كثير من الاقوال المتقدّمة والآتية المنقولة عنه وعن غيره في حول كلمة الجلالة .

٢) يعني به ما تقدم أخيراً عن الجوهري .

٣) القول للنيشابوري ، راجع تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٤ .

٤) الرعد / ٢٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و قيل : « من الوله و هو ذهاب العقل سواء فيه الواصلون إلى ساحل بحر العرفان ، والواقفون في ظلمات الجهالة وتيه الخذلان . »

وقيل : «من أله الفصيل إذا أولع بامّه؛ لانّ العبادتتضرّع إليه في البليّات.»

و عن الخليل و متابعيه و أكثر الاصوليّين و الفقهاء من العامّة أنّ : اسم الجلالة ليس بمشتقّ ، و اسم علم له سبحانه ، و احتجّ لذلك بأنّه : لوكان مشتقاً لكان معناه كلّيّاً لا يمنع نفس تصوّره عن وقوع الشركة فيه ، فلا يكون « إلاالله » موجباً للتوحيد المحض ؛ وبأنّ : الترتيب العقلي ذكر الذات ثمّ نعته بالصفات، وإنّا نقول : الله الرحمن الرحيم العالم القادر ، ولانقول بالعكس، فدلّ على أنّه اسم علم؛ وبأنّه : لوكان صفة وسائر أسمائه صفات لم يكن للباري تعالى اسم ، ولم يبق العرب شيئاً من الاشياء إلا سمّته ، ولم تسمّ خالق الاشياء ومبدعها [1] ؛ هذا محال .

اقول :

الّذي يظهر لي في المقام أنّ الاله الّذي هو الاصل في الله على ما عرفت ، و صرّح به في الرواية المتقدّمة ، و يظهر من سائر الروايات أيضاً هو : فعال بمعنى مفعول ؛ كالكتاب بمعنى المكتوب ، من أله بمعنى عبد ، كما صرّح به جماعة [2] و أصل العبودية الخضوع و الذلّ ، كما صرّح به الجوهري ، و ربّما فسّر بغاية التذلّل ، ولعلّه لانصراف اللّفظ إلى الفرد الكامل ، فيكون الاله هو : المعبود الّذي لأجله يقع الخضوع والتذلّل الكامل .

ثمّ إنّ المعبود تارة يعتبر ويؤخذ بالاضافة إلى شخص خاصّ فيقال : معبود زيد ، و تارةً يؤخذ مطلقاً ، و على الاوّل فلا يبعد انصرافه إلى من كان شأنه أن

---

١) تجد هذه الاقوال والدلائل التي أقيم في إثبات قول الاخير في التفسير الكبير ، ج ١ ، ص ١٢١-١٢٥ ؛ وتفسير النشيابوري ، ج ١ ، ص ٢٤ .

٢) كالفيومي ، فراجع المصباح .

يعبده ذلك الشخص ، وكان قابلاً لذلك وأهلاً له . وإلا فهو متّخذ إلهاً ، لا أنّه معبود . و لمّا لم يكن المخلوق أهلاً لذلك في ظرف الواقع كان إطلاق الإله والمعبود ولو مقيّداً على المخلوق المتّخذ معبوداً خطاءً في الاطلاق لاشتباه في المصداق، كما سبق عن الجوهري ، أو مبنيّاً على اعتقاد المخطي ، فيكون إطلاق إله «هذيل» ومعبودهم على الصنم مبنيّاً على اعتقادهم ، فيكون المعنى أنّه معبود بزعمهم وعلى حسبانهم . وحينئذ فلامصداق له حقيقةً في نفس الامر سوى الواحد الحقّ وإطلاقه على غيره مبنيّ على الزعم الفاسد .

و أمّا الثاني ، فهو إمّا مأخوذ بمعنى الشأنيّة و الاستحقاق مع قطع النظر عن تحقّق العابد في الخارج ، أو بمعنى الفعليّة لكلّ من سواه استغراقاً ، بأن يكون معبوداً مطلقاً يعبده جميع من سواه ، أوعلى وجه الاهمال ليصدق على الكلّ أو البعض ، فيكون مفاده التوصيف بالمعبوديّة على وجه الاجمال .

وعلى الأوّلين فاختصاصه بالحقّ ظاهر ؛ إذ هو الّذي «ما من شيء إلّا يسبّح بحمده»[١] و «إن كلّ من في السّموات والأرض إلّا آتي الرّحمن عبداً .»[٢] .

وعلى الثالث ، فربّما يستفاد منه العموم باعتبار إفادة حذف المتعلّق العموم، و إذا حلّي بالالف واللام قوي ذلك لاقتضائه الاشارة الّتي هي مدلولها التعييني ، ولا يتعيّن المعبود بمعنى الفعليّة من حيث كونه معبوداً إلا باضافته إلى العابد، ولا تعيّن لشيء من أفراد العابدين في اللّفظ لتساوي نسبتها إلى اللّفظ ، وامتناع الترجّح من غير مرجّح فيتعيّن إرادة الجميع . والتوصيف بالمعبوديّة المطلقة نظير ما قرروه في إفادة الجمع المحلّى باللام العموم في الاصول .

وممّا ذكر ظهر أنّه لاحاجة إلى تقييد «الاله» في كلمة «لا إله إلا الله» ،

---

١) مأخوذ من آية ٤٤ سورة الاسراء ، وأصلها هو : «إن من شيء ...»

٢) مريم /٩٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و أن الاله معرّفاً باللام ظاهر الاختصاص بالحقّ من وجوه من حيث استظهار الشأنيّة ، والصلاحيّة في جوهر الكلمة من حيث هو ، و من حيث خصوصيّة ترك إضافته إلى عابد معين ، ومن حيث تحليته باللام .

فالاله هو الّذي يعبده بالاستحقاق جميع من سواه و تأكّد هذه الدلالة عند حذف الالف وقطع همزة التعريف بصيرورته ؛كالمنسلخ عن الاضافة الخاصّة ، وانضمّ إليه كثرة الاستعمال ، و هجر غيره حتّى صار كالأعلام الشخصية في الاختصاص ، بل منها حقيقةً بحسب ظاهر النظر في العرف .

وهذه حكومة بين المثبتين للاشتقاق والقائلين بالعلميّة والاسميّة؛ إذ الوضع العرفي التاري على المعنى الاصلي علميّ وإن كان مطابقاً للمعنى الاشتقاقي الاصلي من حيث المعنى ، لكنه صار بحيث لايتبادر منه المعنى الوصفي بحسب العرف ، بل يتبادر إلى أذهانهم الذات من حيث هو ، أو كاد أن يصير كذلك.ومثاله لفظ«العلامة» و « المفيد » و « بحر العلوم » وغيرها من اجتماع الجهتين فيها ، و تمحّضها أوّلاً للمعنى الوصفي .

ومن ذلك ظهر معنى تفسير الكلمة باله كلّ شيء ، وأنّه الاسم الّذي لاينبغي أن يسمّى به غير الله ، ولم يتسمّ به مخلوق ؛ إذ معنى الاسم منحصر به سبحانه على ما فصّلنا .

[في حقيقة العبوديّة ، وأنّ كلمة الجلالة مستجمع لجميع الصّفات الكماليّة]

ثمّ إنّ التذلّل و الخضوع الّذي هو معنى المادّة فيتحقّق تارةً من حيث استحقاق العابد لذاته الخضوع لمعبوده لذاته وصفاته ، فيكون المعبود مستحقاً للخضوع له بذاته وصفاته ، والعبد مستحقاً للاتّصاف به لذاته ، وهذا حقيقة العبادة؛ فاذا عرف ذاته بخواصّ الامكان ونقائصه ، وعرف الحقّ باستجماعه لجميع الصفات

الكمالية ابعث له حال الخضوع قلباً ، والطاعة له جوارحاً . وبهذه الملاحظة فالله هو الذات المستجمعة لجميع الصفات الكمالية ؛ إذ لو فقد منها شيئاً لم يكن معبوداً بقول مطلق . ومن جملتها أن يكون مرتفعاً عن الخلق وعن مبلغ مداركهم ، بحيث يحتجب عنها بغير حجاب ، و مستوراً عن درك الابصار ، و محجوباً عن الاوهام و الخطرات ، فيأله الخلق عن إدراك حقيقته ، فيناسب جملة من مبادي الاشتقاق السابقة ، ويوافق جملة من الروايات المتقدّمة .

و ذلك لأنّ المدارك لاتدرك إلا ما كان واقعاً في عالمها ومشاركاً لها ، و مثله لايستحقّ العبادة ، وإنّما المستحقّ هو خالق المدرك والمدرك ، المنزّه عن صفاتها وشباهتها ، وصيرورته في عالم من عوالمها ؛ إذ المتماثلين أو المتشابهين أو المتجانسين لايستحقّ واحد منهما العبادة على الآخر ، وإنّما المستحقّ القدّوس المطلق المنزّه عن جميع ما ينعت به الخلق .

وأيضاً الخضوع المطلق إنّما يكون عند من تحيّر فيه إدراك الخاضع ؛ إذ التحيّر من أنواع الخضوع والاستكانة ، والمدرك بالاكتناه يسكن الخضوع بعد تمام إدراكه . و أيضاً الّذي يحاط به العلم محاط للعالم ، و المحيط أولى بالمعبوديّة من المحاط .

ومن جملتها أن يكون مستولياً على جميع ما دقّ وجلّ ؛ إذ لو لم يستول على شيء منها لم يكن مستحقاً لعبادته من هذه الحيثيّة ، فانّ المستولى عليه يحقّ له عبادة المستولي دون غيره ، فليس معبوداً مطلقاً . و لعلّ إليه الاشارة بالحديث السابق ، لا اشتقاق لفظ الجلالة من الاستيلاء إلا أن يؤل بالاشتقاق الكبير ، فيكون الغرض بيان المناسبة .

وتارةً أخرى من حيث طلب شيء بالاستحقاق الذاتي من المعبود من مطلوب دنيويّ أو معنويّ أو أخروي ، أو هرب من شيء مبغوض بأحد الوجوه الثلاثة ،

فالعابد يتأله إلى معبوده في حاجته. والاله المطلق بهذا الاعتبار من كان مستولياً على كلّ شيء دقيق وجليل لايخرج عن حكمه شيء، حتّى يصحّ تذلل كلّ شيء له في كلّ أمر من الامور المتعلقة به من مطلوب أو مبغوض على الوجوه الثلاثة، حتّى يتذلل العابد له بالالتجاء إليه في كلّ حاجة.

ومن هنا يتبيّن وجه التعميم في الحاجة والمحتاج في الرواية الاولى، وتفصيله باثبات انحصاره فيه سبحانه، وأنّ من سواه لايقدر على الكلّ وإن قدر على بعض، بل هو محتاج أيضاً، والمعبود في كلّ جهة لابدّ وأن يكون غنيّاً من كلّ جهة، إذ عبادة المحتاج للمحتاج سفاهة، وهذا بحسب ظاهر النظر، وإلا فالمحتاج إليه عند العارف ليس إلا الحقّ سبحانه، وهو من دونهم وليّ الاعطاء والمنع، وجميع ما سواه يلتجأ به، إمّا دائماً كالعرف، وإمّا عند الحاجة كالمؤمنين، وإمّا عند الاضطرار كالكفار: كما يشهد له الآية [١] والرواية، وما رواه في التوحيد بعد ما قدّمناه في صدر ترجمة البسملة؛ قال:

«وهو ما قال رجل للصّادق عليه‌السلام: يا بن رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله، دلّني على الله ما هو، فقد أكثر عليّ المجادلون وحيّروني.

فقال له: يا عبدالله، هل ركبت سفينة قطّ؟ قال: نعم.

قال: فهل كسر بك حيث لاسفينة تنجيك ولاسباحة تغنيك؟

قال: نعم.

قال: فهل تعلّق قلبك هنالك أنّ شيئاً من الاشياء قادر على

---

١) كقوله تعالى: «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدّين فلمّا نجّيهم إلى البرّ إذا هم يشركون.» (العنكبوت/٦٥). وقوله تعالى: «وإذا مسّ النّاس ضرّ دعوا ربّهم منيبين إليه ثمّ إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربّهم يشركون.» (الروم/٣٣).

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أن يخلصك من ورطتك ؟ قال : نعم .

قال الصّادق عليه السلام : فذلك الشيء هو الله القادر على الانجاء حيث لامنجي ، وعلى الاغاثة حيث لامغيث . »[1] .

والظاهر أنّ السبب في ذلك رجوع الكافر حال اضطراره إلى فطرته المحجوبة ، وظهور تلك المعرفة وفعليّته .

ولا يخفى عليك أنّ الالتجاء والاستغاثة والسؤال و الفزع كلّها من شئون العبوديّة والخضوع والتذلّل ، بل هي تذلّلات وخضوعات حاليّة ، كما أن الاطاعة بالجوارح عبوديّة ، بل أغلب النفوس لاتخضع و لا تتذلّل إلا عند الحاجة : « إنّ الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى . »[2]

فالعبوديّة أصلها الخضوع والتذلّل، ولها أغصان وفروع وآثار يصحّ إطلاق العبوديّة على كلّ منها أيضاً . ألاترى أنّ السجدة عبادة جوارحيّة ، ولها معنى قلبيّ هو السجدة القلبيّة ؟

وبما فصّلنا يتّضح أنّ الله هو أعظم اسم من أسماء الله سبحانه ، الحاكية عن صفات الذات وصفات الافعال في مقام الظهور باعتبار دلالته على المعبوديّة المطلقة ، المشتملة على جميع شئونها من صفات الذات وصفات الافعال ، و العبوديّة مساوقة لعالم الامكان ، و كلّ حادث عبد : « إن كلّ من في السّموات والأرض إلّا آتي الرّحمن عبداً . » و العبوديّة وجهة العبد إلى سيّده ، و العابد إلى معبوده ، و الرابطة والوسيلة ، والله سبحانه معبود بذاته وصفاته وأفعاله وآثاره . ولو اغمض النظر عن واحد منها لم يكن معبوداً مطلقاً ، فلو خرج عن مدلول كلمة الجلالة اسم من أسمائه الظاهرة لم يكن باعتباره معبوداً ، فخرج مظاهر ذلك الاسم عن دائرة العبوديّة

---

۱) راجع تعليقة ۲ ص ۲۱۱ .

۲) العلق / ٦ ــ ٧ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

من حيث كونها مظاهر له . والمعبود المطلق من كان كاملاً في ذاته وصفاته باستجماعه جميع الصفات الجماليّة والكماليّة ، الذاتيّة والفعليّة ، مرجوّاً عند كلّ ما يرجى، مخوفاً عند كلّ ما يخاف، مستحقّاً للمحبوبيّة بجميع الوجوه والحيثيّات ، وللحياء منه بجميع الشئون الموجبة لاستحقاق الحياء منه ، متوحّداً في جميع ذلك، لايشاركه في شيء منها غيره . فمدلول هذه الكلمة شاملة لمدلول كلّ اسم من الاسماء الظاهرة، فهو أعظم منها وأعمّ .

ومن هنا يتبيّن أنّه المقدّم عليها معنى ، فهو المستحقّ للتقديم لفظاً بوصف بها ، ولايجري وصفاً لشيء منها .

[في بيان أنّ كلمة الجلالة ليست اسماً للذّات]

و ممّا ذكرنا ظهر فساد الاستدلال على أنّه اسم للذات بأنّه لولاه لم يكن مفهومه مانعاً عن وقوع الشركة فيه ؛ إذ الاستغراق والشمول لجميع ما سواه يمنع من الشركة فيه، فيكون كلمة التوحيد دالاً عليه ، فكأنّ معناها أنّه لامعبود إلا المعبود المطلق ، وبملاحظة الترتيب العقلي لما ذكرنا . وأمّا الاستدلال بلزوم انتفاع اسم الذات ، فمردود بأنّ امتناع وقوع الادراك على الذات من حيث هي هي ، الّذي هو الغيب المطلق ، ومنقطع الاشارات العقليّة والوهميّة والحسّيّة مانع عن وضع اسم بازائه : إذ كلّ معروف بنفسه مصنوع كما ورد عنهم عليهم السلام[1] .

وأمّا ما أورده الفاضل النيشابوري في تفسيره[2] من : أنّ وضع الاسم للذات لاينافي عدم إدراكه كما ينبغي ، وإنّما ينافي عدم إدراكه مطلقاً ، فيجوز أن يقال: الشيء الّذي يدرك منه هذه الآثار و اللّوازم مسمّى بهذا اللّفظ ، وأيضاً إذا كان

---

١) راجع خطبة علي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ في مجلس المأمون في التوحيد، وقد مرّ مصادرها في تعليقة ٢ ص ٢٣١ .

٢) تفسير النيشابوري . ج ١ ، ص ٢٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر تحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الواضع هو الله تعالى ، وأنّه يدرك ذاته على ما هو عليه ، فله أن يضع لذاته اسماً مخصوصاً لايشاركه فيه غيره حقيقة . فمدفوع بأنّ جميع أسماء الله سبحانه دالّة على الذات من حيثيّة من الحيثيّات السلبيّة والايجابيّة ، أو الاضافيّة ، أو المركّبة ، ولايكون معانيها عند المدرك إلا متميّزة محدودة متعيّنة : إذ لو لا التميز والتعين امتنع الادراك ، والمشار إليه بهذه المعاني ليس إلا الذات : إذ لو لاه لم تكن هذه أسماء له ، بل لغيره ، ولم يكن الداعي بها داعياً له بكلّ معنى من المعاني المدلول عليها بالاسماء ، وجهة يتوجّه بها العبد إلى ذات الحقّ سبحانه . فاذا فرضنا خلو المدلول عن وجهة أصلاً لم يقع عليه الادراك أصلاً ، فلايفهم منه شيء أصلاً ، فلم يكن موضوعاً له : إذ الوضع تخصيص شيء بشيء بحيث متى أُطلق أو أُحسّ الشيء الاوّل فهم منه الشيء الثاني . وإن اشتمل على وجهة على جهة المرآتيّة والمعرفيّة للمسمّى فهو شأن كلّ اسم من أسمائه من حيث كونه اسماً ؛ إذ لو لم يكن معرّفاً ومرآة لم يكن اسماً له سبحانه ، بل اسماً لغيره ، فتبصّر .

و حينئذ فوضع الحقّ الاسم إن كان لتعريف نفسه لنفسه فهو العالم بنفسه لنفسه ، المنزّه عن كونه معرفته بغيره ، وإن كان لتعريف غيره به ، فقد عرفت امتناعه ، فما معنى الوضع المفروض ؟

و نظير هذا الكلام يجري في حقائق الاسماء الالهيّة : إذ الاسم مخلوق والمخلوق محدود والله سبحانه منزّه عن الحدّ ، فلابدّ أن يكون الحقيقة حاكياً عن الحقّ بما ظهر له من الشأن فقط ، فلايكون اسماً للذات بما هي هي ، فافهم .

ويؤيّد ما اخترناه في كلمة الجلالة ظاهر قوله سبحانه : **«وهو الله في السّموات وفي الأرض»**[1] ، والاخبار المذكورة أخيراً .

وأمّا إطلاق المألوه على المربوب مع أنّ المألوه بمعنى المعبود ، فكأن الوجه

---

١) الانعام /٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

فيه إرادة ظهور مظاهر الالوهيّة بمعنى المعبوديّة ، ومحالّها و متعلّقات إشراقها ، فكأنّ الاله لمّا كان بمعنى المعبود بالاستحقاق ، و الاستحقاق بالصفات واقع على الأشياء وقوع الشخص بصورته في المرآة ظاهر بها، اشتقّ اسم المفعول منه بهذا الاعتبار ، فمعنى المألوه متعلّق الالوهيّة بمعنى المعبوديّة .

وممّا فصّلنا ظهر اندراج سائر الاحتمالات في المشتقّ منه تحت ما ذكرنا على وجه يظهر للمتأمّل فيما ذكر ، فلا نطيل ببيانها و وجه الجمع بين الاخبار الواردة في ذلك وانطباقها على القواعد اللّفظيّة ، فلا تغفل .

ثمّ اعلم أنّه يشبه أن يكون حقيقة اسم الجلالة بمعنى الاسم العينيّ الواقعي، لا اللّفظيّ والكتبي ، هو حقيقة الامكان والافتقار الذاتي الّذي هو مفتاح خزائن الجود والعطاء بعنوان مطلق؛ إذ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، إذ الربوبيّة الذاتيّة معناها و مدلولها ، و الربوبيّة الفعليّة أمر ظاهر فيها و متأخّر عنها : إذ مرتبة العبوديّة مرتبة القابليّة ، و الربوبيّة الفعليّة مرتبة الفعليّة ، و القابليّة شرط الفعليّة ومعدّ لحصوله ، أو التربية بعد الوجود المتأخّر عن القابليّة ، فكأنّ حقيقة هذا الاسم هو القابليّة و الامكان الكلّي ، الّذي حقّق قابليّات الاشياء و إمكاناتها و افتقاراتها إلى ما ينبغي لها ؛ إذ في هذه المرتبة يظهر العبوديّة وقبله لا عبد ولا عبوديّة ، ولا يصحّ اعتبار شيء منهما فعلاً ، وفيها يصحّ اعتبار التذلّل و الخضوع ، والسؤال والتضرّع بلسان الحال ، وامتثال خطاب «كن» بقبول الكون ، والتداعي والاتّصاف به ، وهي الرابطة بين الحقّ والخلق ؛ «قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم»[1] .
و لعلّه المراد ممّا نسب إلى بعض العارفين من أنّه إذا تمّ الفقر فهو الله ، فتبصّر .

---

١) الفرقان /٧٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

[تفسير كلمة الجلالة باعتبار حروفها]

و أمّا شرح الكلمة باعتبار حروفه ، ففي التوحيد باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام بعد السؤال عن تفسير « الله » في ضمن تفسير البسملة ، قال :

« الالف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا ، واللام إلزام الله خلقه ولايتنا .

قلت : فالهاء ؟

قال : هوان لمن خالف محمداً و آل محمد ـ صلوات الله عليهم ـ الحديث . »[1]

و لعلّه اسقط منه الالف واللام لخروجهما عن جوهر الكلمة، أو أخذ اللام المشدّدة واحدة ، واسقط الالف المتأخّرة عنه ، إمّا لخروجه عن الحروف الثمانية والعشرين المعروفة و عدم ظهوره في الكتابة ، أو عدم قابليّة الراوي لفهمه ، أو أخذ اللامين واحداً والهمزة والالف واحداً لعدم تفاوت المعنى بالتكرار. و قد مرّ في عدّة من الاخبار تفسير الالف بآلاء الله سبحانه من دون تقييد بخصوص الولاية ولعلّ التخصيص هنا لأجل كونها أصل النعم وغايتها، أو كونها أعظم النعم وأخفاها عن الانظار ، فاحتاجت إلى مزيد بيان ، أو انحصار النعمة الباطنة الخفيّة التي أريد من الآلاء بها ، أو اختصاص الاختصاص بلفظ الجلالة لخصوصيّة تظهر وجهه ممّا نذكره . و قريب منه الكلام في تفسير اللام في بيان معاني الحروف في بعض الاخبار بـ « اللّطيف بعباده »[2] ، وفي بعض آخر تفسيرها بـ « إلمام أهل الجنّة بينهم

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٢٢٠ ؛ و هكذا في البحار، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها : ص ٢٣١ ، ح ١٢ .

٢) كرواية الصدوق (ره) عن حسين بن علي ـ عليهما السلام ـ عن أمير المؤمنين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ في جوابه ممّا سأله اليهودي من الفائدة في حروف الهجاء ؛ فراجع التوحيد باب تفسير حروف المعجم ، ص ٢٣٥ ، ح ٢ .

في الزيارة والتحيّة والسلام ، وتلاوم أهل النار فيما بينهم »[1] .

واللّطف الحقيقي هو جعله الولاية الّتي هي مساوقة للدين بل هي عينه ، و ثمرة الولاية بل ظهورها بآثارها ؛ إذ الولاية موجب لتحقق الالفة والولاية بين الموالين، وهي من آثار ولايتهم عليهم السلام وتوابعها وشؤونها، والتزاور والتحيّة والسلام كلّها من آثار المحبّه والاتّحاد والمؤاخاة الّتي هي من آثار الولاية .

و أمّا تلاوم أهل النار ، فمن لوازم عدم قبولهم الولاية ؛ قال الله سبحانه : «وانّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولاتتّبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله »[2]

ولنعم ما قيل بالفارسيّة :

جان گرگان وسگان ازهم جداست   متّحد جانهای شیران خداست

وأمّا الهاء ففي بعض الاخبار المفسّرة للحروف تفسيره بأنّه : « هان على الله من عصاه . »[3] وهو مطابق لما مرّ ؛ إذ كلّ معصية راجعة إلى مخالفتهم عليهم السلام ،كما أنّ كلّ طاعة إلى طاعتهم ، و كلّ معصية مخالفة لهم ، و كلّ مخالفة لهم معصية لله سبحانه ، بل هما متّحدتان معنىً وحقيقةً وإن اختلفا صورةً واعتباراً .

وفي آخر تفسيره بـ « هول جهنّم »[4]، وفي ثالث بـ « هاء الهاوية » قال عليه السلام :

---

١) راجع كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في جواب من سأله عن تفسير أبجد؛ نقله الصدوق ـ طاب ثراه ـ في التوحيد، باب تفسير حروف الجمل ، ص ٢٣٧. ح٢ :عن الاصبغ بن نباتة ، عن أمير المؤمنين ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ .

٢) الانعام / ١٥٣ .

٣) رواه الصدوق (ره) في التوحيد ، باب تفسير حروف المعجم . ص ٢٣٤ ، ح ١؛ والمعاني ، باب معاني حروف المعجم : ص ٤٤ ، ح ١ ؛ و الامالي و العيون عن علي بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ ... عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ؛ وهكذا في البحار. ج ٢ باب غرائب العلوم من تفسير أبجد وحروف المعجم ، ص ٣١٩ ، ح ٣ .

٤) رواه الصدوق (ره) في التوحيد ، باب تفسير حروف الجمل ؛ والمعاني والامالي ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« فويل لمن هوى في النار . »[١]

و هذان غايتان لهوان العبد على الله سبحانه ، و ثمرتان له ، فانّ من هان عليه هنا ترتّب عليه ورود أهوال الآخرة خصوصاً هول جهنّم ، وأدّاه الهوان على الله إلى دخول الهاوية والهويّ في النار . فالهوان هو الاصل، وهي آثاره ونتائجه. كما أنّ الجنّة أثر كرامة العبد على الله و رضوان الله سبحانه .

و حينئذ فنقول : ظهور معنى المعبود الّذي هو معنى كلمة الجلالة بجعل حقيقة الدين الّتي هي الولاية كما أشرنا إليه، والنعيم الحقيقي،وإلزام العباد بقبوله فيترتّب على قبوله جميع الخيرات الحقيقيّه الّتي هي نتائج ذلك النعيم الحقيقي ، و جعل الهوان والهلاك والعذاب على من أبى عن قبول الدين . فهذه أمور ثلاثة وإن كانت بحسب الاعتبار الاوّل أربعة : جعل الدين ، وإلزام العباد على قبوله، وما يترتّب على القبول ، و ما يترتّب على إبائه و إنكاره ؛ لكنّ الثالث لمّا كان من آثار الدين الّذي هو الامر الاوّل صحّ تثليثها ، و هي مترتّبة بحسب الواقع كترتّب الحروف الثلاثة الدالّة عليه ، و هو ظاهر بملاحظة ما مرّ و حينئذ فيوافق معنى المادّة أعني الحروف الكلمة معنىً وتركيباً ، فلاتغفل.

[بحوث حول كلمتي الرّحمن والرّحيم]

. وأمّا الرحمن الرحيم ، ففي رواية التوحيد المتقدّمة صدرها :

«الرحمن الّذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أدياننا

← عن أبي الجارود زياد بن المنذر ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ وهكذا في البحار ، ج٢ باب غرائب العلوم من تفسير أبجد وحروف المعجم .

١) نفس المصادر ، عن الاصبغ بن نباتة ، عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ودنيانا وآخرتنا ، خفّف علينا الدين، وجعله سهلا خفيفاً ، وهو يرحمنا بتمييزنا عن أعدائه . »[١]

وفي الرواية المتقدّمة صدرها ، المرويّة بالطرق المتكثّرة :

« الرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين خاصّة . »[٢]

وفي رواية التوحيد الثانية قال :

« قلت : الرحمن ؟

قال : بجميع العالم .

قلت : الرحيم ؟

قال : بالمؤمنين خاصّة . »[٣]

وفي رواية تفسير الرحمن بـ :

« العاطف على خلقه بالرزق ، لا يقطع عنهم موادّ رزقه وإن انقطعوا عن طاعته . »[٤]

وفي المجمع عن عيسى بن مريم عليه السلام .

« الرحمن رحمن الدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة . »[٥]

وعن الصادق عليه السلام :

---

١) في بعض النسخ : «عن أعاديه » . وموضع الحديث قد أشرنا إليه . فراجع تعليقة ١ ص ٢٢٩ .

٢) راجع تعليقة ١و٢ ص٢٢٠ .

٣) راجع تعليقة ٣ ص ٢٢٠.

٤) تفسير الإمام ــ عليه السلام ــ ص ١٢ . والصافي ، ج ١ . ص ٥١ : والبحار ج ٩٢ . باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ص ٢٤٨ ح ٤٨ .

٥) مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٢١؛ والصافي ، ج، ص ٥١: وهكذا في الدرّالمنثور، ج ١ ص ٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« الرحمن إسم خاصٌ لصفة عامّة ، و الرحيم إسم عامٌ لصفة خاصّة . » [١]

وفي بعض أدعية الصحيفة السّجاديّة :

« يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما . » [٢]

ونقل النيشابوري وغيره أنّه جاء :

« رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا . » [٣]

اقول :

الرحمن والرحيم كلاهما صفتان مشتقّان من الرحم ، وأصله بحسب المعنى : العطف والرقّة وفسّرا بالتعطّف والشفقة والميل الروحاني لاالجسماني ، فانّ ذلك ليس معنى الرحمة وإن كان معنى بعض ما يلاقيها في الاشتقاق .

وذكر بعضهم : « أنّ منه الرحم لرقّتها وانعطافها على ما فيها . » [٤]

و لعلّه أراد به بيان المناسبة ، وإلا فلايطلق على ما رقّ جسمه حسّاً ، أو انعطف كذلك الرحمة ، كما نبّه عليه المفسّر المتقدّم . [٥] نعم ، يصحّ ذلك في الرحم بمعنى القريب لما جعل بين الارحام من الميل والشفقة والتعطّف .

و ذكر بعضهم في تفسير الرحمة هنا : « أنّها ترك عقوبة من يستحقّها ، أو إرادة الخير لأهله . » [٦] وذكر آخر أنّها : « في بني آدم عند العرب رقّة القلب ثمّ

١) نفس المصادر غير الدرّ المنثور .

٢) الصحيفة السجادية . دعائه ـ عليه السلام ـ في استكشاف الهموم (د ٥٣) .

٣) تفسير النيشابوري ، ج ١ ص ٢٤ ؛ ونقله أيضاً الزمخشري في الكشاف ، ج ١ ، ص ٦ ؛ والبيضاوي في أنوار التنزيل ص ٢ .

٤) ذكره النيشابوري و الزمخشري و البيضاوي في المصادر المتقدمة .

٥) راجع تفسير النيشابوري ، ج ١ ، ص ٢٤ .

٦) نفس المصدر .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

عطفه ، وفي الله عطفه وبرّه ورزقه وإحسانه . »[1]

والتحقيق أنّ الّذي يظهر لنا في مورد الرحمة في الخلق رقّة و انكسار في قلب الراحم، ثمّ عطف القلب نحو المرحوم، ثمّ ما يترتّب عليه من الافعال المنبعثة عن ذلك من إصلاح أمر المرحوم ، و كشف ضرّه ، و جبر فاقته ، و رفع حاجته ، ويشبه أن يكون الاوّل سبباً لحصول الرحمة والثالث ثمرةً له وأثراً مترتّباً عليه ، و يكون حقيقة الرحم هو الأمر الثاني . و يستظهر ذلك بملاحظة ظهور بساطة المعنى وعدم تركّبه من أمرين مختلفين: انفعال من شيء وفعل. وحينئذ فملاحظة عدم كون الاوّل متعدّياً بل لازماً لايتجاوز بنفسه إلى المفعول ، مع أنّ الرحم يتعدّى إليه بلاواسطة تقتضي بنفي الاوّل ، والمقصود من اللّزوم والتعدية هو كون المعنى بنفسه واقعاً على الفاعل أو متجاوزاً منه إلى غيره بنفسه ، و هو الاصل في التعدية واللّزوم اللّفظيّين. وملاحظة كون الرحم من الصفات الباطنية دون الافعال الخارجيّة فيقال : رحيم القلب ولايقال : رحيم الفعل ، تشهد بأنّ الفعل الخارجي منبعث عنه ومظهر له باعتبار ما يصحّ إطلاق الرحم والرحمة عليه ، لا أنّه عينه.

وحينئذ فالظاهر كون أصل الرحم هو العطف الحاصل للراحم نحو المرحوم المنبعث عن ملاحظة حاجته و ضرّه ، المقتضي لاصلاح شأنه وجبر كسره . و حينئذ فلا بعد في أن يقال ، إنّ إطلاق الرحم على الله سبحانه على نحو الحقيقة اللّغوية ، و أنّ الحكم بالمجازيّة ناش من عدم تجريد أصل المعنى من الاغشية اللازمة له بحسب الموارد المحسوسة ؛ كملازمة الانكسار والانفعال للرحم فينا بحيث لايكاد يوجد إلا منبعثاً عنه ، و ليس إطلاق الرحم على الله سبحانه مقصوداً على اعتبار أخذ الغاية والاثر ، وإلغاء المبادي التي هي المعاني الاصليّة كما يظهر منهم ،بل لأفعال الله سبحانه مبادي وجوديّة عينيّة على التحقيق هي حقيقة معاني الالفاظ .فاطلاق

١) الكلام للطريحي (ره) ، راجع مجمع البحرين .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الرحم والرضا والغضب وأشباهها ليس باعتبار تحقّق الآثار فقط مجرّدة عن المبادي بل باعتبار مبادي تلك الافعال التي هي الاصل لها .

فحقيقة الرحمة والرحم هو المعنى الذي باعتباره يرحم الممكنات ، وهو حقيقة اسم الرحمة من أسمائه سبحانه المخلوقة ؛ كما يشهد له ما روي في المشهور وأورده في المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله :

« إنّ لله عزّ وجلّ مائة رحمة ، أنزل منها واحدة إلى الارض فقسّمها بين خلقه ، فبها يتعاطفون ويتراحمون ، وأخّر تسعاً و تسعين [لنفسه] يرحم بها عباده يوم القيامة . »[1]

و عن تفسير الامام عليه السلام معناه عن أمير المؤمنين عليه السلام .[2]

و حينئذ فانكسار القلب سبب لظهور تلك الرحمة المنفصلة في القلب ، فيعطفه على المرحوم كظهورها في الآباء و الامّهات والارحام و غيرهم بالنسبة إلى الاولاد و القرابات و غيرهم ، و كلما كان القلب أصفى كان ظهور الرّحمة بالنسبة إلى الخلق أتمّ .

و لعلّه المراد بالتخلّق بأخلاق الله ، و حينئذ فاطلاق الرحمن والرحيم على الله سبحانه باعتبار كونه ذا الرحمة الواسعة و مبدء لها و جاعلا لها ، وقيامها به قيام صدور لاقيام حلول ، كما يوصف الانسان بصفات أفعاله من الكلام و غيره بخلاف توصيف الناس به ، فانّه باعتبار كونه محلا للرحم ، ومظهراً له في وجه يظهر به حصر الرحمة في الحقّ ، و أنّه لاراحم على الحقيقة إلا هو ، وأنّ له الرحمة المطلقة

١) مجمع البيان . ج ١ . ص ٢١ ؛ والصافي ، ج ١ . ص ٥١ .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٣ : والبحار . ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها . ص ٢٥٠ . وقوله ـ عليه السلام ـ : « ومن رحمته أنه خلق مائة رحمة، وجعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم . فبها يتراحم الناس ... فاذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة إلى تسعة و تسعين رحمة ، فيرحم بها أُمة محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ . »

لا لمن سواه ، وهو التوحيد في هذه الصفة كما ورد في بعض فقرات الصحيفة السجاديّة على ما ببالي :

« فلعلّ بعضهم برحمتك يرحمني . »[١]

و لعلّ هذه الرحمة هي حقيقة المراد من قوله تعالى : « كتب ربّكم على نفسه الرّحمة »[٢] في مقام التكوين لا الوعد ، و قوله سبحانه : « و رحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للّذين ـ الخ »[٣] ، و قوله عزّ وجلّ : « ربّكم ذو رحمة واسعة »[٤] ، وما ورد من أنّه سبقت رحمته غضبه[٥] ، وما في دعاء كميل من قوله ﷺ : « برحمتك الّتي وسعت كلّ شيء » ، وما شابهها .

[في أنّ مرتبة الرّحمة متأخّرة عن مرتبة الألوهيّة]

ثمّ إنّ هذه الرحمة المخلوقة يظهر في الموجودات تارة في ضمن حصص محدودة معيّنة ؛ كالحالة الحادثة فينا و في غيرنا من ذوات الادراك ، كما يظهر نور الشمس في نور القمر و غيره من ذوات الانوار ؛ وأخرى بآثارها وغاياتها المترتّبة عليها من

١) الصحيفة السجادية ، دعائه ـ عليه السلام ـ في ذكر التوبة وطلبها (د ٣١٠) .
٢) الانعام / ٥٤ .
٣) الاعراف / ١٥٦ .
٤) الانعام / ١٤٧ .
٥) هذا المعنى قد وردت في روايات نقلها الاعلام؛ منها : مارواه ابن فهد الحلّي (ره) في عدة الداعي، الباب الرابع؛ ونقله الحر العاملي (رض) عنه في الجواهر السنيه ص ٧٢ من أن الله سبحانه حين أرسل موسى إلى فرعون قال له: «توعده وأخبره أنّي إلى العفو والمغفرة أسرع منّي إلى الغضب والعقوبة.» ومنها: مانقله الطريحي (ره) في مجمع البحرين من كلامه سبحانه: «رحمتي تغلب على غضبي.» ومنها: ما في العيون والعلل وتفسير الامام ـ عليه السلام ـ من كلامه سبحانه لموسى ـ عليه السلام ـ: « انّ رحمتي سبقت غضبى . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

إعطاء مايحتاج إليه المرحوم ، أودفع ماينافيه . ويندرج فيها إعطاء الرحمة للرحماء وجعلهم رحماء . فالاولى مندرجة في الثانية بهذا الاعتبار .

والرحمة تارة تعتبر مطلقة مجردةً عن التعلّقات والاضافات ، كما يقال : فلان رحيم القلب في مقابلة القسيّ القلب بمعنى أنّه على صفة لو وجد مرحوماً لرحمه؛ وأُخرى مضافةً متعلّقةً بمتعلّق خاصّ ، ونسبته إلى الاعتبار الاول يشبه نسبة الفعليّة إلى الشأنيّة ، وما بالفعل إلى ما بالقوّة. وحقيقة الاعتبار الاوّل ملاحظة الرحمة في حدّ نفسها و صرافة حقيقتها ، و الثاني إلى ملاحظة انبساطها وشمولها وسعتها للاشياء . و به يظهر آثارها الخارجيّة الّتي ربّما تطلق عليها الرحمة أيضاً باعتبار ظهور الرحمة بها ، و اقتضائها إيّاها ، فهي بمنزلة الفرع من الاصل ، بل هي رحمة فعليّة صوريّة ، كما أنّ سابقها رحمة معنويّة صفتيّة . و على أيّ اعتبار أُخذت الرحمة فهي إنّما تعقل بالاضافة إلى محلّ يصلح لعروض الرحمة له ، و هو الشيء المتّصف بصفة الحاجة والفقر إلى أمر ليس بحاصل له ، فما لم يكن فقير محتاج سائل بلسان حاله فعلاً أو شأناً لم يكن رحمة فعليّة و شأنيّة . فمرتبه هذا الاسم متأخّرة عن مرتبة اسم الالوهيّة عقلاً و عيناً ، إذ المعبوديّة يقتضي عابداً ، كما مرّ في الحديث أنّ : « إلهاً يقتضي مألوهاً . »[1] فلو لم يكن عابد لم يكن معبوداً . و إن كانت الالوهيّة الشأنيّة لا يقتضي وجود العابد بالفعل ، بل تصير مبدءً لايجاده لتظهر ، و هو معنى ما تقدّم في الحديث من إثبات الالهيّة إذ لامألوه ؛ لكنّها لاتصدق إلا بعد فرض وجود العابد ، فتصدق الشأنيّة بعد فرض وجود العابد والفعليّة بعد الفعليّة. فبمجرّد وجود الممكن فرضاً وعيناً صحّ وصف الحقّ بالالهيّة بمعنى المعبوديّة شكراً لنعمة إيجاده ، ولما هو عليه من عزّ جلاله و صفاته ، و لما عليه الممكن من خواصّ الامكان ، و لا يلزم من ذلك كون الحقّ

---

١) تقدم عن هشام بن الحكم ، عن الصادق ــ عليه السلام ــ ، فراجع ص ٢٣١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

مستكملاً بالخلق؛ إذ المعبوديّة الاضافيّة ليس كمالاً للحقّ وإن كان تجلّياً لكماله وإظهاراً له .

و أمّا الرحمة فانّما تتحقّق بفرض حاجة الممكن إلى أمر ليس حاصلاً له ليستكمل به ، و هو حقيقة سؤاله بلسان حاله و عبادته الذاتيّة ، فالرحمة الشأنيّة تقتضي إعطاء الحاجة لها ، و تعريضها للعطاء ، و جعلها سائلة بألسنة أحوالها قابلة لعروض الرحمة لها، فهي متأخّرة عن الالوهيّة والمعبوديّة . والرحمة الفعليّة بمعنى الخاصّة لاتكون إلا بعد صيرورة كونها كذلك ، و بالمعنى العامّ لاتكون إلا بعد تحقّق الحاجة الكلّيّة . فاسم الرحمة متأخّر عن مبدء اسم الجلالة رتبةً عقليّةً وعينيّة ، فتتبعهما مرتبة اللّفظيّة والكتبيّة .

[الرّحمن اسم خاصّ لصفة عامّة والرّحيم اسم عامّ لصفة خاصّة]

ثمّ إنّ الموجودات لمّاظهرت وأُعطيت لها قابليّة عطايا كثيرة، وسألت بلسان أحوالها كمالاتها ، و ما تحتاج إليها في دوامها ، والسير إلى غاياتها و نهاياتها ، واتّصفت بصفة العبادة الذاتيّة،ظهرت صفة الرحمة ، فأُعطي كلا منها ما يستحقّها .

وهذه الرحمة تنقسم إلى قسمين؛ قسم منه بالقياس إلى القوس النزولي والنشأة الاولى ، و سيره من الحقّ إلى آخر درجات الخلق ، فاعطاء ما يحتاج إليه من إعطاء الرزق ودفع مكاره وإعطاء منافع وإصلاح شأن وتحسين صورة ، وإعطاء ما يتوقّف عليه شيء من ذلك ولو بوسائط ، إلى غير ذلك. والآخر بالقياس إلى القوس الصعودي والنشأة الاخرى ، وسيره من الخلق إلى الحقّ، وطيّ درجات القرب إلى الله سبحانه .

والاوّل هو الرحمة الاولى الابتدائيّة لعدم بنائه على فعل العبد ، فيشمل كلّ شيء من مؤمن وكافر ، و جماد ونبات و حيوان وغيرها ؛ كما وصف سبحانه :

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) *****
« ورحمتي وسعت كلّ شيء . »

والثاني الرحمة الثانية والاكتسابيّة والمجازاتيّة بـ « ان ليس للإنسان إلّا ما سعى * وانّ سعيه سوف يرى * ثم يجزيه الجزاء الأوفى »،[1] كما وصف سبحانه: « فسأكتبها للّذين يتّقون ـ الخ » . وهذه الرحمة اختصّت بالسعداء على تفاوت درجاتهم ومنازلهم وحرّمها الاشقياء على درجاتهم في الشقاوة مع شدّة احتياجهم وفقرهم إليه .

فالاوّل الرحمة الرحمانيّة ؛ كما قال سبحانه :

« ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . »[2]

وقد استوى الحقّ بتلك الصفة على العرش ، فأعطى بها كلّ ذي حقّ حقّه.

والثاني الرحمة الرحيميّة المكتوبة لخصوص أهله على تفاوتهم في درجاتهم ، وميزوا المجرمون منهم بالحرمان ، واعطوا أضداد تلك الرحمة، وهو المقرون باسم « الغفور » و ما في مرتبته . فالاوّل عامّ لم يخلّ منه شيء ، والآخر خاص بالبعض دون البعض مع تفاوت الطائفتين .

فالرحمن اسم خاصّ لصفة عامّة ، والرحيم اسم عامّ لصفة خاصّة كما مرّ في الحديث .[3]

قال النيشابوري في وجه خصوص الرحمن أنّه : « من حيث لايسمّى به إلا الله تعالي ، لأنّه من الصفات الغالبة ،كالدبران والعيّوق . »[4]

و في وجه عمومه : « أنّه يشمل جميع الموجودات من طريق الخلق والرزق

---

١) النجم / ٣٩-٤١ .

٢) الملك/٣ .

٣) راجع قول الصادق ـ عليه السلام ـ في ص ٢٤٦ المنقول عن المجمع .

٤) « الدبران » : منزل للقمر، وهو مشتمل على خمسة كواكب في برج الثور؛ سمّي بذلك لأنه يتبع الثريا . و « العيوق » : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الايمن ، يتلو الثريا ولايتقدمها ؛ سمّي بذلك لأنه يعوق الدبران عن لقاء الثريا .

والنفع . » و في وجه عموم الرحيم : « اشتراك تسمية الخلق به . » و في خصوصه : « رجوعه إلى اللطف بالمؤمنين والتوفيق . »[1]

و يمكن أن يوجّه اختصاص الرحمن معنىً بدلالة اللّفظ على زيادة الرحمة ، و بلوغها الغاية القصوى ، نظراً إلى أنّ زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني ، فهو أبلغ من الرحيم . و هذا هو النكتة في اختصاصه بالرحمة الاولى الشاملة لجميع الاشياء ، فيتبعه اختصاص الرحيم مع اجتماعه معه في التوصيف بالرحمة الخاصّة بضميمة ملاحظة الترتيب اللّفظي ، وتطبيقه على المراتب المعنويّة .

و لمّا كان كلّ رحمة وصف المخلوق بها فهي حقيرة بالاضافة إلى رحمة الحقّ لم يستحقّ إطلاق الاسم الدالّة على الزيادة والكثرة على الخلق ، بخلاف الرحيم الذي لايدلّ إلا على المتّصف بالرحمة ، فيشمل المخلوقات في النظر الجلّي . و هذه القاعدة أعني : دلالة زيادة المباني على زيادة المعاني،مع أنّها مصرّح بها في كلام أهل العربيّة،مؤيّدة بشواهد لايسعنا ذكر تفصيلها .

وممّا فصّلناه يظهر الوجه فيتخصيص الرحمن فيما مرّ من الاخبار فيالفرق بين الرحمن والرحيم ، فهو المعتمد عليه .

وأمّا ما في دعاء الصحيفة من إضافتها إلى الدنيا والآخرة ، فلعلّ الوجه فيه أخذ الدنيا والآخرة بمعنى العالم الاوّل والثاني لجميع ما تتحقّق فيهما . ولاريب أنّ الرحمة الرحيميّة يبتدء في الدنيا بجعل التكليف سهلا خفيفاً[2] ، ثمّ عرضه على العباد ، ثمّ التوفيق لقبوله والهداية بمعنى الايصال إلىالمطلوب والتسديد والعصمة ثمّ ترتيب الفيوضات الكماليّة المعنويّة عليه ، و إعطاء الجنان المعنويّة لأهله ، وغير ذلك كلّها إنّما يقع في عالم الدنيا الّتي هي المزرعة للآخرة ، وهي منالرحمة

---

١) تفسير النيشابوري ، ج ١ ، ص ٢٥ .

٢) في المخطوطة : « حنيفاً » .

الرحيميّة كما يشهد له الرواية الاولى [١] ، كما أنّ بقاء ما يحتاج إليه الانسان في بقائه من الدنيا إلى الآخرة من الرحمة الرحمانيّة ؛ إذ ليس المعاد إعادة المعدوم المحض الّذي لاعين له ولاتميز ، كما حقّق في محلّه . [٢]

وأمّا الرواية الاخيرة [٣] ، فمع ضعفه جدّاً لعلّه إطلاق اللّفظ باعتبار آخر ، أو إسقاط عطف الآخرة مرتبة ثانية تعويلا على العطف الاوّل ، أو ترك له لنكتة خاصّة .

هذه جملة ما سنح بالبال في ترجمة كلمات البسملة من حيث الأفراد ، و بقي أمور متعلّقة بها ينبغي ذكرها .

[في بيان أنّ البسملة أقرب إلى اسم الله الأعظم من بياض العين إلى سوادها]

منها : أنّه روى العيّاشي (ره) عن الرضا عليه السلام أنّها :

« أقرب إلى اسم الله الاعظم من ناظر [٤] العين إلى بياضها . » [٥]

وروى الصدوق في المجالس وعيون الاخبار عنه عليه السلام أنّه قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الاسم الاعظم من بياض العين إلى سوادها . » [٦]

---

١) يعني به أول رواية نقلها (ره) في ترجمة « الرحمن الرحيم » ، راجع ص ٢٤٤و٢٤٥

٢) راجع مبحث المعاد في الكتب الكلامية .

٣) المراد بها ما نقله النيشابوري ، راجع ص ٢٤٦ .

٤) في بعض النسخ : « سواد » .

٥) العياشي ، ج ١ ص ٢١ ، ح ١٣ ، عن إسماعيل بن مهران ، عنه ــ عليه السلام ــ و روى الحرّاني (ره) في التحف ، ص ٣٦٦ ، عن أبي محمد العسكري ــ عليه السلام ــ مثله ؛ وهكذا في الصافي ج ١ ، ص ٥٢ ، والبحار والبرهان .

٦) العيون ، ج ٢ ، باب ٣٠ ، ص ٥ ، ح ١١ ، عن محمد بن سنان ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ونسب إلى الرواية عنه عليه السلام أيضاً أنّها :

« أقرب إلى الاسم الاعظم من سواد العين إلى بياضها . » [1]

وروى الشيخ في التهذيب عن الصادق عليه السلام مثله على الوجه الاوّل [2] .

وربّما يوجّه بأنّ البسملة اللّفظيّة نسبتها إلى البسملة التكوينيّة بمعنى حقيقة ما تدلّ عليها في عالم الاسماء الالهيّة نسبة المظهر والمرآة والفرع إلى الغيب والاصل ، فتلاحظها فيها من دون مشاهدة الاولى ، و بملاحظتها ، كما إذا توجّهت إلى النفس المقابلة في المرآة من دون التفات إليها أصلا . والاولى محلّ لظهور الثانية و حاكية لها ، فهي أقرب إليه من سواد العين إلى بياضه : لأنّ ذاك قرب الملاصقة وهنا قرب المداخلة ، لا كدخول شيء في شيء .

والّذي يظهر لي أنّ البسملة في المقامين نسبتها إلى الاسم الاعظم فيهما نسبة الناظر والسواد إلى بياض العين. وذلك أنّ حقيقة الاسم الاعظم الالهي ينبغي أن يكون هو الاسم الواحد الّذي بوحدته يشمل جميع الاسماء ، ويكون تلك الاسماء بمنزلة الاجزاء والجزئيّات والحروف من تلك الكلمة العينيّة ، ولا يعزب عنه شيء من

→ والوسائل ، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ، ص ٧٤٧ . ح ١١ . نقلاً عنه. و في النسخة الموجودة عندنا من العيون : « سواد العين إلى بياضها » كما يأتي في الرواية الآتية ؛ لكنه في الوسائل ، على نحو نقله المؤلف (ره) ، و هكذا ما وجدنا الحديث في المجالس .

١) المصادر السابقة غير الوسائل؛ وهكذا نقله عليّ بن عيسى الاربلي (ره) في كشف الغمة ، ج ٢ ، ص ٤٢٠ ، من كتاب دلائل الحميري ، عن أبي هاشم الجعفري ، عن أبي محمد العسكري ــ عليه السلام ــ .

٢) التهذيب ، ج ٢، باب في كيفية الصلاة من أبواب الزيادات، ص ٢٨٩ ، ح ١٥، عن عبدالله بن يحيى الكاهلي ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ص ٧٤٥ ، ح ٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

حقائق الاسماء وحقائق مدلول البسملة أمور متعددة لا تجمعها وحدة من البهاء والسناء والملك أو المجد، وآلاء الله على خلقه من نعيم الولاية وإلزامه إيّاهم قبوله، وهو ان مخالفيهم في مقام الحروف، والرابط بين اسم الحقّ والخلق المدلول عليه بالباء، ومطلق الاسم أنّه لم يجعل مقحماً فيه، أو متعيّناً بالمضاف إليه في مقام قانون العربيّة، واسم الجلالة والرحمن والرحيم. والظاهر أنّ شيئاً منها ليس اسماً جامعاً على ما وصفنا، كما يظهر بالتأمّل فيما فصّلناه سابقاً، فيشبه أن تكون هي تفصيل ذلك الاسم الاعظم وبمنزلة الحروف من تلك الكلمة، وإذا أخذت تلك الحقائق التفصيلية و نسبتها إلى الحقيقة الاجماليّة الوحدانيّة، و لاحظت إحاطة ذلك الاسم الواحد بها و اندراجها فيه كان الاسم الاعظم كالبياض المحيط بالناظر المشتمل على الاجزاء المتعدّدة، والسواد مشتمل عليها، أو قربه إليها قرب البياض إلى أحدهما؛ إذ ليس المحاط معزولاً عن المحيط ومفضولاً عنه سواءً كانت الاحاطة صوريّة أو معنويّة، فالأعظم هو البياض، كما هو الاظهر بلفظ الرواية. و إن لاحظت أنّ الحقائق التفصيليّة مظاهر و محالّ لتلك الحقيقة الوحدانيّة، و هي الظاهر فيها المتجلّي بها كانت هي كالبياض وتلك الحقيقة كالسواد أو الناظر، وقربها إليها كقربه إليه إذ قرب الظاهر والمتجلّي في المظهر المتجلّى فيه بحسب المعنى، وكقرب الحالّ إلى المحلّ في الصورة.

و إذا عرفت كيفيّة النسبة بين البسمله والاسم الاعظم في مقام الحقيقة صحّ لك اعتبارها بين لفظ البسملة و ذلك الاسم اللّفظي؛ إذ نسب الالفاظ هيهنا تابعة للحقائق كتبعيّتها إيّاه في وصفها بالكلّيّة والجزئيّة، والترادف والتباين، وكما أنّ بياض العين غير محيط من جميع الجوانب، كذا لايحيط البسملة بجميع تفصيل الاسم الاعظم مطابقة؛ إذ منه أسامي القهر و الانتقام في مقام التفصيل، وهي غير مصرّحة بها، وإن فهم من الملك والمجد إن لم تؤخذ بمعنى الكرم والالوهيّة على

وجه التضمّن أو الالتزام . نعم ، يدلّ عليها الهاء من لفظ الجلالة على وجه إجمالي كما سبق .

وكما أنّ حقيقة العين و الاصل فيها هو الناظر و السواد المشتمل عليه ، و البياض بمنزلة القالب لهما ، كذا مرتبة الاسم الاعظم مرتبة الاصل والحقيقة بالنسبة إلى حقيقة البسملة ، وهي بمنزلة القالب له .

[هل البسملة جزء من سورة الفاتحة أم لا ؟]

منها : أنّ المستفاد من الاخبار و كلمات فقهائنا دخول البسملة في سورة الحمد ، وأنّها جزء منها وإن وقع في غيرها مناقشة شاذّة واختلف العامّة في ذلك اختلافاً فاحشاً .

قال المحدّث الكاشاني :

« البسملة في أوّل كلّ سورة آية منها ، وإنّما كان يعرف انقضاء السورة بنزولها ابتداءً للأخرى ، « وما أنزل الله كتاباً من السماء إلا وهي فاتحته » كذا عن الصادق عليه السلام رواه العيّاشي . »[1]

وفي الكافي عن الباقر عليه السلام :

« أوّل كلّ كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم ، فاذا قرأتها فلا تبال أن لاتستعيذ ، وإذا قرأتها سترتك ما بين السماء والارض . »[2]

١) راجع الصافي ، ج ١ . ص ٥١ ؛ و الحديث في العياشي ، ج ١ ، ص ١٩ ، ح ٥ . عن صفوان الجمال ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٦ ، ح ٢٩ .

٢) الكافي . ج ٣ . باب قراءة القرآن من كتاب الصلاة ، ص ٣١٣ ، ح ٣ ، عن فرات

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

اقول :

المناسبة المعنويّة في الابتداء بها ظاهرة ممّا سبق . لأنّ للقارئ حقيقتها هي المبدء لنزولها و ما اشتمل عليها من المعاني إن عمّت لمداليلها التبعيّة . وأمّا كون قرائتها ساترة ما بين السماء والارض ، وكونها مغنية عن الاستعانة . فالظاهر أنّه إنّما يكون إذا كانت القرائة مشتملة على الصورة والمعنى ، ويكون القاري متسمياً بها متحقّقاً بحقيقتها على ما يفهم ممّا قدّمناه ، وإلا فمحض تحريك اللّسان لايفيد هذه الفائدة العظيمة ، كما يظهر بالمراجعة إلى الوجدان ، و إن كان عدم خلوّه عن التأثير في الجملة غير منكر .

وفي العيون والمجالس عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب ، وهي سبع آيات تمامها بسم الله الرحمن الرحيم . »[1]

وفي العيون وتفسير الامام عليه السلام أنّه قيل لأميرالمؤمنين عليه السلام :

« أخبرنا عن بسم الله الرحمن الرحيم أهي من الفاتحة ؟
قال : فقال : نعم ، كان[2] رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأها ويعدّها آية منها ، ويقول : فاتحة الكتاب هي السبع المثاني . »[3]

ابن أحنف ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ، ص ٧٤٦ ، ح ٨ ، والصافي . ج ١ ، ص ٥١ .

١) العيون ، ج ١ ، باب ٢٨ ، ص ٢٣٥ ؛ والمجالس ، المجلس الثالث و الثلاثون وفيهما : عن علي بن محمد بن سيار ، عن أبويهما ، عن الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ عن آبائه ـ عليهم السلام ـ ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والوسائل ، ج ٤ . باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ؛ وهكذا في تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٠ .

٢) في المخطوطة وبعض النسخ : « فان » .

٣) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٢١ ؛ و هكذا في المصادر المذكورة في تعليقة ١ من هذه الصفحة بنفس الاسناد .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن القمّي، عن الصادق عليه السلام أنّها :

«أحقّ ما يجهر به، وهي الآية الّتي قال الله عزّوجلّ :

وإذا ذكرت ربّك في القرآن وحده ولّوا على ادبارهم نفوراً.»[1]

[في بيان علّة رجحان الاجهار بالبسملة في الصّلاة وأنّها أعظم آية من كتاب الله]

و لعلّ الوجه في رجحان الاجهار به كما في غيره من الاخبار أيضاً هو أنّ الاجهار نوع من الاظهار، و إظهار التحقّق بمقام البسملة في عالم الملك الانساني والكبير موجب لظهور فيوضاتها و بركاتها و دفع الشياطين فيما ظهرت فيها. و في كونه ذكراً للربّ وحده واشتمال مداولها على كثير من معاني التوحيد، كما يظهر ممّا أسلفناه، وفي تنفّرهم عنه وتولّيهم على أدبارهم نفرتهم عن التوحيد، وإعراضهم عن هذه الأسماء، والتحقّق بها، والتخلّق بموجبها، وممّن كان شأنه وصفته ذلك، كما أنّه يبعد بسبب قرائتها على وجه الحقيقة أشباههم الداخليّة في عالم القلب الانساني.

والعيّاشي [ره] عنه عليه السلام قال :

«ما لهم قاتلهم‌الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله، فزعموا أنّها بدعة إذا أظهروها.»[2]

---

١) الآية : الاسراء / ٤٦ ؛ والحديث في القمّي، ج ١، ص ٢٨ عن ابن اذينة، عنه ـ عليه السلام ـ؛ والصافي، ج ١، ص ٥٢ ؛ ونورالثقلين، ج ٣، ص ١٧٣ ؛ وهكذا روى العياشي (رض) في تفسيره، ج ٢، ص ٢٩٥، ح ٨٦، عن زرارة، عن أحدهما ـ عليهما السلام ـ مثله.

٢) العياشي، ج ١، ص ٢١، ح ١٦، عن خالد بن مختار، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي، ج ١، ص ٥٢ ؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها، ص ٢٣٨، ح ٣٩.

والظاهر أنّها تعريض بالعامّة ، المنكر ثلّة منهم لكونها جزءً من السورة ، وبعض للجهر بها في الصلاة ، كما أنّ المنكرين للجزئيّة هم المرادون بما رواه عن الباقر عليه السلام :

« سرقوا أكرم آية[1] كتاب الله بسم الله الرحمن الرحيم . »[2]

والوجه في كون البسمله أكرم آية وأعظم آية يظهر ممّا قدّمناه وفصّلناه في تفسيرها ، وممّا يأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ .

و روى البرقي [ره] في المحاسن عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« ما نزل كتاب من السماء إلا أوّله بسم الله الرحمن الرحيم . »[3]

و روى الشيخ الطوسي [رض] في الصحيح على الظاهر عن محمّد بن مسلم أنّه قال :

« سألت أبا عبدالله عليه السلام عن السبع المثاني والقرآن العظيم ، أهي الفاتحة ؟

قال : نعم . قلت : بسم الله الرحمن الرحيم من السبع المثاني ؟

قال : نعم ، هي أفضلهنّ . »[4]

---

١) في بعض النسخ : « في كتاب » .

٢) العياشي ، ج١ ، ص ١٩ ، ح٤ ، عن أبي حمزة ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٢ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٦ ، ح٢٨ .

٣) المحاسن ، كتاب ثواب الاعمال ، باب ٣٧ ، ص ٤٠ ، عن صفوان الجمال ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٤ ، ح ١٧ ؛ والوسائل ج ٤ ، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ، ص ٧٤٧ ، ح ١٢ .

٤) التهذيب ، ج ٢ ، باب في كيفية الصلاة من أبواب الزيادات ، ص ٢٨٩ ، ح١٣ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ١١ من أبواب القراءة في الصلاة ، ص ٧٤٥ ، ح ٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وعن الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

« كتموا بسم‌الله الرحمن الرحيم ، فنعم والله الاسماء كتموها .
كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل منزله و اجتمعت عليه قريش
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، و يرفع بها صوته ، فتولّى
قريش فراراً ، فأنزل الله [في ذلك] : و إذا ذكرت ربّك في
القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا . »[1]

و روى الشيخ (ره) عن أبي حمزة أنّه قال : قال عليّ بن الحسين عليهما السلام :

« يا ثماليّ ، إنّ الصلاة إذا أقيمت جاء الشيطان إلى قرين
الامام ، فيقول : هل ذكر ربّه ؟ فان قال نعم ذهب ، وإن قال
لا ركب على كتفيه ، فكان إمام القوم حتّى ينصرفوا .
قال : فقلت : جعلت فداك ، أليس يقرؤن القرآن ؟
قال : بلى ، ليس حيث تذهب يا ثماليّ ، إنّما هو الجهر ببسم
الله الرحمن الرحيم . »[2]

[لما ذا جعل البسملة في أوّل السّورة ؟]

و منها : أنّه روى الصدوق في العلل والكليني في الكافي بأسانيد معتبرة عن جماعة من أجلّاء أصحابنا ، عن الصادق عليه السلام في ذكر صلاة ليلة المعراج بطوله :

« ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ قال : يا محمّد ، استقبل الحجر الاسود

---

١) الكافي ، ج ٨ ، ص ٢٦٦ ، ح ٣٨٧ ، عن هارون ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و الوسائل ، ج ٤ ، باب ٢١ من أبواب القرائة في الصلاة ، ص ٧٥٧ ، ح ٢ .

٢) التهذيب ، ج ٢ ، باب في كيفية الصلاة من أبواب الزيادات ، ص ٢٩٠ ، ح ١٨ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٢١ من أبواب القراءة في الصلاة ، ص ٧٥٨ ، ح ٤ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وهو بحيالي ، وكبّرني بعدد حجبي . فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً ؛ لانّ الحجب سبع [1] ، وافتتح القرائة عند انقطاع الحجب، فمن أجل ذلك صار الافتتاح سنّة .والحجب متطابقة [2] ثلاثاً بعدد النور الّذي أنزل على محمّد صلّى الله عليه وآله ثلاث مرّات، فلذلك كان الافتتاح ثلاث مرّات ، فلاجل ذلك كان التكبير سبعاً والافتتاح ثلاثاً . فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح قال الله عزّ وجلّ : الان وصلت إليّ ، فسمّ باسمي . فقال: بسم الله الرحمن الرحيم. فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أوّل السوره ـ إلى آخر الحديث الشريف . » [3]

وهو مشتمل على معان تكلّ العقول عن إدراكها إلا قليلا و منها ، نشيرإلى نبذة تتعلّق بهذه السورة في خلال التفسير بما يخطر تصوّره بالبال ، و الله العالم بحقيقة الحال

فنقول :

بعد تحقّق الوصال وارتفاع الحجب افتتح صلّى الله عليه وآله بالقرائة، و ذكر اسم الحقّ ، إذ الوصال بفناء العبد في الحقّ عن أوصافه وأسمائه ، ويلحقه ظهور أسماء الله سبحانه عليه ، والتسمّي بها ، وهو حقيقة ذكر العبد الحقّ وبيانه له .

و لمّا كانت البسملة على ما مرّ مشتملة على جمل أسمائه سبحانه كانت هي الظاهرة على أشرف الممكنات في أشرف المقامات ، فصار محلّاً لهذه الكلمة

---

١) في المخطوطة : « سبعة » كما في العلل والبحار .

٢) في بعض النسخ : « مطابقة » .

٣) العلل ، ج ٢، باب ١ ، ص ٣١٥؛ والكافي ، ج ٣، باب النوادر من كتاب الصلاة ص ٤٨٥ ؛ والبحار ، ج ١٨ ، باب إثبات المعراج ومعناه ، ص ٣٥٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

الكلّيّة لفظاً وحقيقةً وحالاً ، فكان ﷺ هو تلك الكلمة ، كما أنّ لوح القرآن قرآن و محلّ للقرآن ، فظهر فيه ﷺ اسم الوهيّة الحقّ للممكنات و الرحمة الرحمانيّة والرحيميّة ، وكان رحمة للعالمين بقول مطلق في المعنى الكلماتي ، وبهاء الحقّ و سنائه ومجده أو ملكه ، وآلاء الله على خلقه بنعيم ولاية الحقّ ، و إلزام العباد إيّاه ، والهوان على المخالفة في مقام معاني الحروف .

ولمّا كان هو ﷺ محلّاً لذلك الولاية و الالزام والحكم بالهوان على المخالف. صحّ نسبة الولاية إليه و إلى القائمين مقامه في ذلك ، كما أنّ صورة العلم إذا وجدت في ذهن الانسان نسبت إليه ، وكانت علماً له عن قبل تلك الولاية عنهم أوصله إلى كلّ خير ، ومن أبى لزمه الهوان ، وهذه التسمّي بالتسمية ينسب إلى الحقّ نسبة الشيء إلى جاعله وموجده ، و إليه ﷺ نسبة الشيء إلى محلّه . فهذا روح نزول التسمية إليه و بطابقه المراتب النازلة إلى أن ينتهي إلى نزول اللّفظ عليه والوحي اللّفظي ، وظهور الكلمة من فمه المبارك في الخارج . فالبسملة أوّل السورة في كلّ مقام .

[في استحباب إتيان البسملة عند بدء كلّ أمر]

ومنها: أنّه ينبغي الاتيان بالبسملة عند افتتاح كلّ أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه ، ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال :

« لاتدعها ولو كان بعدها شعر . » [1]

وفي المحاسن عنه عليه السلام قال :

« إذا توضّأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك ،

---

1) الكافي ، ج ٢ ، ص ٦٧٢ ، ح ١ ، عن جميل بن دراج. عنه ـ عليه السلام ـ ؛ ونور الثقلين ، ج ١ ، ص ٦ ، ح ١٥ .

و إن أكل أو شرب أو لبس و كلّ شيء صنعه ينبغي له أن يسمّي عليه ، فان لم يفعل كان للشيطان فيه شرك . » [1]

وفي التوحيد باسناده عن العسكري ، عن الصّادق عليه السلام في جملة حديث تقدّم أكثره أنّه قال :

« و لربّما ترك بعض شيعتنا في افتتاح أمره « بسم الله الرحمن الرحيم » فيمتحنه الله عزّ وجل بمكروه لينبّهه على شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ، و يمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول « بسم الله الرحمن الرحيم » ـ و ساق الحديث إلى أن قال : ـ

فقال الله جلّ جلاله لعباده : أيّها الفقراء إلى رحمتي ، إنّي قد ألزمتكم الحاجة إليّ في كلّ حال ، و ذلّة العبوديّة في كلّ وقت، فاليّ فافزعوا في كلّ أمر تأخذون فيه و ترجون تمامه وبلوغ غايته ، فانّي إن أردت أن أُعطيكم لم يقدر غيري على منعكم ، و إن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم ، فأنا أحقّ من سئل ، و أولى من تضرّع إليه ، فقولوا عند افتتاح كلّ أمر صغير أوعظيم : « بسم الله الرحمن الرحيم » ـ وساق الحديث إلى أن قال : ـ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من حزنه أمر تعاطاه فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم » و هو مخلص لله ويقبل بقلبه إليه،لم ينفكّ

---

١) المحاسن ، باب ٣٣ و٣٤ من كتاب المآكل ، ص٤٣٣و٤٣٢ ، ح ٢٥٢ و ٢٦٠ ، وقد رواه (ره) بأسانيد متعددة؛ وهكذا في الوسائل، ج ٤، باب ١٧ من أبواب الذكر، ص ١١٩٤ ، ح ٣ .

من إحدى اثنتين : إمّا بلوغ حاجته في الدنيا ، وإمّا يعدّ له عند ربّه ويدّخر لديه ، وما عندالله خير وأبقى . »[1]

وفيه تأييد لما قدّمناه من كيفيّة الاستعانة باسم الله ، كما يظهر من ذلك البيان المتقدّم السرّ فيما نحن فيه ، و سيأتي فيما بعد ما يظهر منه تتمّة كلام تتعلّق بأطراف المقام ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[نزول البسملة على الأنبياء و رفع شدّتهم بها]

ومنها : أنّه روى النيشابوري مرسلاً عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« لمّا نزلت « بسم‌الله الرحمن الرحيم » قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل ما أنزلت هذه الآية على آدم قال: أمن ذرّيّتي من العذاب ماداموا على قراءتها، ثمّ رفعت فانزلت على إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ ، فتلاها فهو في كفّة المنجنيق ، فجعل الله عليه النار برداً و سلاماً ، و ثمّ رفعت بعده فما أنزلت إلا على سليمان وعندها قالت الملائكة : الآن تمّ والله ملكك ، ثمّ رفعت فأنزلها الله تعالى عليّ ، ثمّ تأتي أمّتي يوم القيامة وهم يقولون : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فاذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجّحت حسناتهم . »[2]

---

١) التوحيد ، باب معنى « بسم الله الرحمن الرحيم » ، ص ٢٣١ ، ح ٥ ، عن على ابن محمد بن سيار ، عن أبويهما ، عنه ـ عليه السلام ـ ، و هكذا في تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ص ٨ و ١٠ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣٢ ، ح ١٤ ، وص ٢٤٠ و٢٤٤ ، ح ٤٨ .

٢) تفسير النيشابورى ، ج ١ ، ص ٢٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في الأُمور الباطنيّة التي ينبغي أن يراعيها قارئ البسملة]

و منها : أنّ المناسب لحال قارئ البسملة بقلبه أن يثير في قلبه محبّة الله سبحانه من حروف «بسم» على ما تقدّم، والحياء منه سبحانه من عظمة كلمة الجلالة من حيث الكلمة والحروف، والرجاء من الرحمن والرحيم والخوف من فوات الرحمة الرحيمية الخاصّة بأهله، فانّ اختصاصه بالبعض دليل على حرمان الباقين، و العبد لا يدري من المستحقّين أم لا، و الحرمان من جهة صفات العبد لا من أسماء الحقّ؛ «ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيّئة فمن نفسك.»[1] فلا يرجو راجٍ إلا ربّه، ولا يخاف إلا نفسه.

و في جعل البسملة ابتداء للفاتحة والسور والكتب المنزلة على ما تقدّم دلالة على سعة الرحمة. فبملاحظته يعالج داء القنوط. و على أنّ إنزال السورة والكتب نشأ من الرحمة، فاللازم المسارعة في القبول والامتنان، لا الكراهة والتثاقل، وبه يقوي الرجاء الحاصل من جعل البسملة فاتحة، وتسميته نفسه رحماناً رحيماً جامعاً بينهما، فكيف لا يرحم؟

حكي أنّه وقف سائل على باب رفيع، فسأل شيئاً، فأُعطي شيئاً قليلا، فجاء بفاس وأخذ يخرب الباب.

فقيل له: لم تفعل؟

قال: إمّا أن تجعل الباب لائقاً بالعطيّة، أو العطيّة لائقةً بالباب.

و عن عارف أنّه كتب «بسم الله الرحمن الرحيم» وأوصى أن يجعل في كفنه، فقيل له في ذلك فقال: أقول يوم القيامة: إلهي، بعثت كتاباً وجعلت عنوانه «بسم الله الرحمن الرحيم» فعاملني بعنوان كتابك.

---

١) النساء / ٧٩.

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ففي البسملة إثارة للحبّ والحياء والرجاء والخوف، التي هي أصول التقوى والعبوديّة، ولاينفك العابد عن أحد هذه الاحوال.

و منها:

انّ البسملة تسعة عشر حرفاً والزبانية تسعة عشر، فالمرجوّ من الله سبحانه أن يدفع بليّتهم بهذه الحروف التسعة عشر[1].

وأيضاً انّ نوحاً لمّا ركب السفينة قال: «بسم الله مجريها ومرسيها»[2]، فنجا بنصف هذه الكلمة، فما ظنّك بمن واظب على الكلمة طول عمره؟ كيف يبقى محروماً عن النجاة؟ كذا نبّه بعضهم.

و أيضاً اليوم بليلته أربع وعشرون ساعة، فرض خمس صلوات تقع في خمس ساعات منها، فتبقى تسعة عشر ساعة لايستغرق فيها بذكر الله سبحانه، وعسى أن يجعل الله سبحانه هذه التسعة عشر حرفاً كفّارة للتفريط الواقع في التسعة عشر ساعة[3].

ولنقتصر في شرح ما يتعلّق بالبسملة على هذا المقدار وإن بقي التتمّة.

---

١) هذا المعنى يؤيّد بما روي في جامع الاخبار الفصل الثاني والعشرون، ص ٤٢، عن ابن مسعود، عن النبي ـ صلى الله عليه و آله ـ أنه قال: «من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر، فليقرء «بسم الله الرحمن الرحيم»، فانها تسعة عشر حرفاً، ليجعل الله كل حرف منها جُنّة من واحد منهم.» ونقله أيضاً المجلسي (ره) في البحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها، ص ٢٥٧، ح ٥٢.

٢) هود / ٤١.

٣) جميع ما تقدم أخيراً من النكات والحكايات مذكور في تفسير النيشابوري، ج١، ص ٢٥ ـ ٢٦؛ والتفسير الكبير، ج ١، ص ١٣١ و١٣٤.

[تحقيق حول كلمة الحمد]

الحَمدُ لله

في العيون وتفسير الامام عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن تفسيرها ، فقال :

« هو أنّ الله عرّف عباده بعض نعمه عليهم جملا ؛ إذ لا يقدرون على معرفة جميعها بالتفصيل ، لأنّها أكثر من أن تحصى أو تعرف . فقال [لهم] : قولوا : الحمد لله على ما أنعم به علينا . »[1]

[الفرق بين الحمد والمدح]

إعلم أنّ الحمد نقيض الذمّ ، وهو الثناء باللّسان على الجميل الاختياري . و لعلّه مراد من حدّه بأنّه قول دالّ على أنّه مختصّ بفضيلة اختياريّة معيّنة ، وهي فضيلة الانعام عليك و على غيرك . ولابدّ أن يكون على جهة التفضيل لا على سبيل التهكّم و الاستهزاء . و من حدّه بأنّه الثناء بالجميل على قصد التعظيم و

---

١) العيون ، ج ١ ، باب ٢٨ ، ص ٢٢٠ ، ح ٣٠ وتفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١١ ؛ وهكذا في العلل كما في البحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٢٤ ، ح ٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

التبجيل للممدوح سواء كان لنعمة وغيرها . و من زاد على ما ذكرناه أوّلا اعتبار كونه على قصد التعظيم ولا حاجة إليه ؛ إذ لو أُريد منه وقوعه على جهة التفضيل المقابل للتهكّم و نحوه فهو مدلول عليه بلفظ الثناء ، و إن أُريد أزيد من ذلك فاعتباره غير ظاهر ، بل الظاهر خلافه .

والمدح أعمّ منه مطلقاً ويقابله الهجاء ؛ إذ المدح توصيف للحيّ ولغير ذي الحياة ؛ كاللّؤلؤة والياقوتة الثمينة بخلاف الحمد ، و أعمّ من كون التوصيف على الامر الاختياريّ أوغيره بخلاف الحمد المختصّ بالاوّل في وجه اختاره جماعة ؛ إذ لايقال : حمدته على صباحة خدّه ، ويقال : مدحته عليه .

وزاد بعضهم [1] : أنّ المدح أعمّ من أن يكون قبل الاحسان أوبعده ، والحمد إنّما يكون بعده ، وهو بعيد جدّاً .

و لعلّ منشأ الوهم أنّ عمدة الفضائل الاختياريّة عند العرب هو الكرم ، فظنّ الاختصاص به ، أو أنّه لاينبغي الثناء إلا من المنعم عليه على المنعم ، فظنّ أنّ غيره ليس بحمد . و ما أبعد بينه و بين ما يظهر منه أنّهما مترادفان كعبارة « الفائق » [2] ، وهو أيضاً ضعيف .

ولو ورد في كلام العرب إطلاق الحمد على المعنى الاعمّ لم يكن بعيداً لكثرة التوسعة والمجازات في كلامهم، كما أنّ كثرة وروده في مورد الاحسان لايصير دليلا على تخصيص أصل المعنى به ، كما يفصح عنه مقابلته بالذمّ الّذي لايختصّ بالبخل وترك الاحسان ، بل يحتمل أن يكون مطلق الثناء على القادر العالم حمداً وإن كان باعتبار صفاته الذاتيّة الخارجة عن الاختيار والاكتساب . واختاره بعض

---

١) المراد من بعضهم هو : النيشابوري ، راجع تفسيره ، ج ١ ، ص ٣٠ .

٢) وعبارته هي : « الحمد هوالمدح والوصف بالجميل .» كما في رياض السالكين، دعاء ٢١ : ص ٢٢٠ .

المتأخّرين [١] فقال :

« الحمد هو الثناء على ذي علم بكماله ، ذاتيّاً كان ؛ كوجوب الوجود والاتّصاف بالكمالات ، و التنزّه عن النقائص ، أو وصفيّاً ؛ ككون صفاته كاملة واجبة ، أو فعليّاً : ككون أفعاله مشتملة على حكمة فأكثر تعظيماً له . »

[الفرق بين الحمد والشكر]

والشكر أعمّ من الحمد من وجه ؛ إذ هو على النعمة الواصلة على الشاكر خاصّة ، إمّا باللّسان أو بالقلب أو بالجوارح ؛ قال الشاعر [٢] :

أفادتكم النعماء منّي ثلاثة ... يدي ولساني و الضمير المحجبا

وسيأتي بيانه في محلّه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[أقسام الشكر]

وأمّا ما رواه القمّيّ في الحسن بأبيه عن الصادق عليه السلام في قوله « الحمدلله » أنّه قال : « الشكر لله » [٣] ، و يوافقه ظاهر مساق الرواية المتقدّمة ، فالظاهر أنّ المراد من الشكر فيه الشكر باللّسان فقط وهو على قسمين : أحدهما إظهار النعمة الواصلة إلى الشاكر باللّسان ، وثانيهما مطلق الثناء على المنعم لأجل كونه منعماً

١) هو : السيد عليخان المدني (قده) شارح صحيفة سيد الساجدين ـ عليه آلاف التحية والسلام ـ ، وقد ذكر هذا الكلام في شرحه عليها عند شرح دعائه ـ عليه السلام ـ في التحميد لله عزوجل .

٢) راجع مجمع البحرين .

٣) القمي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، عن أبي بصير ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والبحار ، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٢٩ ، ح ٥ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

على الشاكر ، وأداءً لحقّه في الانعام ، و كلاهما مندرجان تحت الحمد، ولايخرج الحمد عنهما إلا إذا لم يقع من جهة الانعام .

ولمّا كان سورة الحمد تعليماً للعباد في مخاطبتهم ومكالمتهم مع الله سبحانه على ما يظهر من جملة من الاخبار [1] ، و يوافقه الآيات الاخيرة من السورة ، وكان من حقّ العبد المستغرق في نعم الله سبحانه أن يقصد أداء حقّ النعمة و إن عجز عن إكماله على ما يستحقّه سمّى الحمد شكراً لاندراجه تحت عنوانه بهذه الملاحظة .

ويؤيّد ما ذكرنا من البيان الرواية الاولى و ما رواه في الكافي عن الصادق عليه السلام من أنّه :

« ما أنعم الله على عبد بنعمة ، صغرت أو كبرت . فقال: الحمد لله، إلا أدّى شكرها . » [2]

و يمكن أن يكون في تفسير الحمد بالشكر إشارة إلى تعميم الحمد للثناء بلسان القال ، و الثناء بلسان الحال ؛ إذ حقيقة الشكر على ما ذكره بعضهم إشاعة النعمة والابانة عنها ، فيعمّ ما كان باللّسان أوالعمل أو القلب ، و نقيضه الكفران

---

١) كالروايات المشتملة على بيان فضائل هذه السورة ، و معاني آياتها ، و بيان أنها تشتمل على تمجيد الله سبحانه و ثناءه وشكره ، و الاقرار برحمانيته و رحيميته و ربوبيته ، و مالكيته في يوم الجزاء و اختصاصه في العبادة والاستعانة . و طلب الهداية منه ، والاستعاذة به من الوقوع في طرق الضلال والمهالك ، وقد ذكر بعضها المؤلف (ره) في آخر تفسير هذه السورة ، فراجع .

واعلم أن الاخبار الواردة في آداب الدعاء واستحباب تقديم تمجيد الله سبحانه وثناءه قبله مؤيّدة لذلك أيضاً ، فراجع الوسائل ، ج ٤ ، باب ٣١ من أبواب الدعاء .

٢) الكافي ، ج ٢ ، باب الشكر ، ص ٩٦ ، ح ١٤ ، عن صفوان الجمّال ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والبحار ، ج ٧١ ، باب الشكر ، ص ٣٢ ، ح ٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ينبئ عن الستر والتغطية .

و لمّا كان كلّ ثناء من مثنٍ بلسان حال أو مقال مسبوقاً بالنعم الالهيّة عليه ، الّتي منها هذا الثناء ،كان كلّ ثناءشكراً لأياديه وإنعامه إذا قصد به ما يحقّ للعبد إيراده عليه من أداء حقّ النعمة ، فتدبّر .

[في اختصاص الحمد بالله سبحانه]

و اللام في الحمد للجنس ؛ إذ هو الظاهر من اللام حيث لاعهد كما هنا ، فهي للاشارة إلى المعنى الجنسي الّذي هو مدلول قوله .

ولمّا كانت الاشارة لاتصحّ إلا بمتعيّن ، ولا تعيّن للمعنى الجنسيّ إلا إذا أُخذ مطلقاً غير مشروط بالقيود والمشخّصات دلّت اللام على كون الماهيّة مأخونةً على وجه اللابشرطيّة .

و اللام في لله للاختصاص ، فيدلّ الجملة الخبريّة على أنّ ماهيّة الحمد وحقيقته بعنوان كلّي مختصّ بالله وملك له وحقّ له ، فلا يستحقّ غيره شيئاً من أفراده . فيفيدلام الجنس هنا مفادلام الاستغراق بالمآل، وقد فصّل في علم الاصول بيان أنّ تحلية المسند إليه باللام يفيد الحصر ، وسرّه ما ذكرناه إجمالاً و التفصيل موكول إلى العلم المذكور .

فتحصّل ممّا ذكرنا أنّ مفاد هذه الكلمة انحصار ماهيّة الحمد بجميع أفراده واختصاصه بالله سبحانه ، فلا مستحقّ لشيء منه سواه ، وهو يستحقّ جميع أفراده وأنواعه ، فهو المحمود المطلق ، ومن سواه لايحقّ له المحمودية ، و هذا هو التوحيد في مقام الحمد .

ومنه يظهر وجه ترجيح هذه الجملة على جملة من الوجوه ؛ كالجملة الفعليّة وإيراد المبتدأ منكّراً .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[اعتقاد العدليّة في جواز التّحميد لغير الله سبحانه]

فان قلت : كيف يصحّ حصر الحمد به سبحانه مع ما تقرّر عند العدليّة من القول بالتحسين و التقبيح العقليين بالنسبة إلى أفعال العباد ، وقد فسّروا الحسن بما يستحقّ المدح أو الثواب ، مع أنّ المدح هنا يقع بازاء الجميل الاختياريّ ، فهو حمدعلى ما مرّ ؟ وحينئذ يتّجه ما عن الجبريّة من التشنيع على العدليّة بأنّكم تثبتون للعبد فعلاً واختياراً ، واستحقاق الحمد إنّما يكون على أشرف النعم وهو الايمان ، فلو كان الايمان بفعل العبد لكان المستحقّ للحمد هو العبد ، ويكون هذه الكلمة على ما ذكر في مفاده دليلاً على صحّة قول الاشاعرة ، فكيف المخلص عنه؟

قلت : العدليّة على ضربين :

فمنهم : من أرادوا أن يصفوا الله بعدله ، فأخرجوه عن سلطانه ، وهم القدريّة الّذين ورد في حقّهم : « أنّهم مجوس هذه الامّة »[١] على أظهر الوجهين ، وهم المشركون بالشرك الخفيّ ، المنكرون لكثير من أبواب التوحيد .

ومنهم: الفرقة الوسطى الجامعين بين التوحيد في جميع مراتبه والعدل، وهم أهل الحقّ على تفاوت درجاتهم في زيادة العلم والمعرفة والبصيرة ونقصانها ، والخطاء في جهات المطلوب ونكاتها الدقيقة .

و حينئذ فنقول : إنّ شرطنا في مفهوم الحمد وقوعه بعد نعمة صادرة من المحمود بالنسبة إلى غيره ولو كان غير الحامد، أو في المراد من الحمد هنا كما يوافقه تفسيره بالشكر فوجه الحصر ظاهر؛ إذ لامنعم في الحقيقة إلّا الحقّ ، وليس من سواه منعماً في الواقع ، و إنّما هو في صورة المنعم ظاهراً ، و هو واقعاً مجرى النعمة

---

١) الروايات الواردة في هذا المعنى كثيرة . فراجع التوحيد، باب القضاء والقدر، ص ٣٨١ و ٣٨٢ ، ح ٢٨ و ٢٩ ؛ والبحار ، ج ٥ ، باب القضاء والقدر والجبر والتفويض.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والمجرى بيده النعمة ؛ كما ورد في دعاء الصحيفة السجادية :

« و أنت من دونهم ـ يعني : المعطين و المانعين ، أو مطلق المخلوقين ـ ولي الاعطاء والمنع . » [١]

وأمّا إذا لم نأخذ في المراد منه ذلك والقيد فوجه الاختصاص أن يقال : إنّ المراد باختصاص ماهيّة الحمد به ليس أنّه لا يحمد في الخارج سواه لكثرة ما يحمد غيره، بل إنّه ممّا يستحقّه الحقّ من الخلق، ومن جملة حقّه الثابت عليهم بحيث لو لم يفعلوا كانوا مقصّرين في أداء حقّه الثابت عليهم ، ولا يستحقّ الحمد بهذا المعنى أحد من المخلوقين و إن استحقّ فاعل الحسن الحمد بمعنى أنّه لو مدح به لكان صحيحاً عند العقل ، موضعاً للشيء موضعه الّذي ينبغي أن يوضع فيه عقلاً ، لا أنّه يستحقّ من غيره أن يمدحوه به على معنى أنّه لو لم يفعل لكانوا مانعين حقّه . فهيهنا فرق واضح بين استحقاق الديّان من المدبون دينه ، واستحقاق الفقير للبذل له ، وإن عبّر بلفظ واحد في المقامين . فالاستحقاق في الثاني بمعنى أنه لو أعطى شيئاً لكان في محلّه ؛ إذ له أهليّة ذلك ، وفي الاوّل أنّه يطلبه منه ، وله حقّ ثابت عليه لو منعه كان متعدّياً ، فالفرق بينهما كالفرق بين الجواز وبين الرجحان والوجوب . فالحمد حقّ لله ثابت له على وجه الاطلاق بحكم العقل ، وليس لأحد حقّ الحمد على غيره وإن كان في فاعل الحسن صحيحاً ؛ لكنّ الحامد متفضّل بالحمد على العبد المحمود ، كما أنّ المعطي متفضّل على الفقير المستحقّ ، بخلاف حامد الحقّ ؛ إذ هو تأدية لحقّ من حقوقه الغير المتناهية ، مع كون هذه التأدية أيضاً نعمةً منه سبحانه على الحامد .

فالاستحقاق في الواجب إلزام وترجيح، وفي الممكن تجويز وترخيص ؛ كيف ولو كان فاعل كلّ حسن مستحقاً من غيره المدح لكان الّذي ينبغي عند العقل أن

---

١) الصحيفة السجادية ، دعائه ـ عليه السلام ـ في مكارم الاخلاق (د ٢٠) .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

يترك الناس مشاغلهم ، ويشتغلوا بمدح فاعلي كلّ حسن، ولايسعه أوقاتهم لكثرتهم وكثرة أفعالهم .

و نظير هذا ما نذهب إليه في استحقاق فاعل الحسن وكلّ مطيع الثواب بحسب حكم العقل الاوّلي ، فانّه لايحكم بأنّه يستحقّ من الله سبحانه ثواباً بمعنى ثبوت حقّ للعبد على الحقّ لولم يؤدّه لكان ظالماً له ، بل يحكم بالاستحقاق بمعنى أنّ من شأنه أن يثاب عليه ، بحيث لو أثيب عليه لكان واضعاً للشيء موضعه بخلاف فعل القبيح و المعصية ، إذ لو أُثيب عليهما لكان قبيحاً ، ويظهر حاله من ملاحظة حال المعصية بالنسبة إلى الذمّ و العقاب ؛ إذ ترك ذمّ فاعل القبيح لغير مصلحة من ردع و هداية وغيرهما لولم يكن راجحاً على فعله لم يكن مرجوحاً ، مع أنّه يطلق عليه الاستحقاق ، وكذا العقاب على مرتكب القبيح والمعصية لو لم يكن مرجوحاً بالنسبة إلى العفو لم يكن راجحاً ، مع قطع النظر عن الخصوصيّات، مع أنّهم يطلقون الاستحقاق عليه .

[وجوب شكر المنعم في الواجب والممكن ونسبته مع الحمد]

فان قلت : كيف يصحّ إنكار حق المدح من المنعَم على المنعم عليه ؛ كالاستاد بالنسبة إلى التلميذ ، والسيّد بالنسبة إلى عبده ، و المعطي بالنسبة إلى السائل ، و المحسن بالنسبة إلى المحسن إليه ، مع اتّفاق كلمة العدليّة على الظاهر على وجوب شكر المنعم ، والحمد من الشكر بل رأسه كما في الخبر[1] ؟

و كيف يصحّ إنكار وجود المنعم في المخلوقين مع تصريح كلماتهم واحتجاجاتهم

---

١) قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ : « الحمد رأس الشكر . » نقله الزمخشري في الكشاف، ج ١ ، ص٧ ؛ والبيضاوي في أنوار التنزيل ، ص٣ ؛ والنيشابوري في تفسيره ، ج ١ ، ص ٣٠ . وقريب هذا المضمون قد ورد في روايات نقلها علماء الخاصة ؛ كالكليني (ره) ، فراجع الكافي ، ج ٢ ، باب الشكر .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

بما يشتمل على إثبات صفة الانعام والاحسان للخلق، ويوافقه مشاهدة صدور الاحسان و الانعام منهم ، و وجدان تحسين العقل شكرهم وقبح الكفران لهم ؛ كما ذكره العدليّة في احتجاجاتهم ؟

قلت : لاننكر استحقاق الشكر والحمد للمنعم ، وإنّما ننكر وجود الوصف في المخلوق ، ونقول : إنّه ليس غيره منعماً ، فلا يستحقّ حمداً ولاشكراً .

وأمّا ما وقع في كلماتهم من التمثيل بالخلق ، فلعلّه مسوق على ما يقتضيه النظر الظاهري ، أو على سبيل الفرض ، أو خطاء وقع في الكلام ؛ إذ ليس المعصوم إلاّ من عصمه الله .

وأمّا ما يرى من تحسين العقل وتقبيحه، فهو مبنيّ على فرض وجود الموضوع، إذ أحكام العقل كلّيّات لاجزئيّات فالعقل يحكم بوجوب شكر المنعم بالحقيقة ، والقاصرون يرون منعمين كثيرين، فيتحصّل منهما النتيجة ، فيحسّنون ويقبّحون بحسبه ، و الموحّدون لايرون في الوجود منعماً إلا المنعم الواحد الحقيقيّ ، فيحكمون بأنّه لايستحقّ أحد من أحد ثناء ولامدحاً أوّلا وبالذات . نعم ، إذا جعل الحقّ سبحانه لأحد حقّاً على غيره من شكر و ثناء وغيرهما صار ذا حقّ جعليّ ، ولزم الوفاء به من حيث أنّ الله سبحانه جعل له ذلك ، فيندرج تحت حقّ الحقّ سبحانه على عباده ، و يعرضه الوجوب عقلاً لذلك ، فلا ينافي ما ذكرناه ما ورد في شكر الناس وحمدهم [١] .

وأمّا دعوى مشاهدة النعم والاحسان صادرة عن العباد ، فمنشأها قصور النظر عن ملاحظة الواقع على ما هو عليه ، و احتجاب الناظرين بالخلق عن الحق جلّ

١) كخبر الصدوق (ره) عن الرضا ـ عليه السلام ـ حيث قال ـ عليه السلام ـ : «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزوجل» راجع العيون ، ج ٢ ، باب ٣١ ،ص ٢٣ ، ح ٢ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و علا، وإلا فالبصير لايرى معطياً ولا مانعاً سواه، و يرى الوسائط كلّها مجاري لفيضه، و وسائط‌مسخّرة تحت‌قضائه ليوصل بها حقّ كل ذي حقّ إليه على حسب ما قدّر له النعمة، والواسطة و قدرته و علمه و اختياره و داعيه على الاختيار، و تمكين المنعم عليه من الانتفاع بالنعمة، و إبقاء تلك النعمة كلّها نعم منه سبحانه عليه؛ كما قال عزّ من قائل: « وما بكم من نعمة فمن‌الله . »[1]

ولعلّك ستعرف توضيحه في المحلّ اللائق به ـ إن شاء الله تعالى ـ.

و أيضاً كلّ مخلوق ينعم على غيره فانّه يطلب بذالك الانعام غرضاً، إمّا ثواباً، أو ثناءً، أو تحصيل خلق، أو تخليصاً من‌رذيلة البخل، فهو حينئذ معاوض لا منعم ولاجواد؛ إذ الجواد هوالّذي يجود لا لغرض يعود إليه غير نفس الجود، فليس غيره سبحانه مستحقّاً للحمد و الشكر في الحقيقة. أمّا الله سبحانه، فانّه كامل لذاته، والكامل لذاته لا يطلب الكمال؛ لأنّ تحصيل الحاصل محال، فكان عطائه جوداً محضاً. فثبت أن لامستحقّ للحمد إلا الله سبحانه.

فتحصّل من ذلك كلّه أنّ صرف الحمد إلى العباد الّذين لا حقّ لهم على الحامد، مع أنّ عليه حمده سبحانه في كلّ حال ممّا لاينبغي، و أن الّذي ينبغي أن يُحمد منحصر فيه سبحانه، ومثال حامد الغير مثال من كان [له] أموال قليلة و ديون كثيرة، واشتغل بصرف تلك الاموال في مصارف لاغية لامنفعة فيها له.

[رجوع المحامد كلّها إليه سبحانه]

و ذكر بعض المتأخّرين الّذي تقدّم صدر كلامه في شرح دعاء في وجه اختصاص جميع أفراد الحمد به سبحانه أنّ:

« النعوت الكماليّة كلّها ترجع إليه، لأنّه فاعلها وغايتها،

1) النحل / ٥٣.

كما حقّق في مقامه[١] ، ولأنّه الموجود الحقيقي كما يعرفه العارفون . وثبوت الصفة فرع ثبوت الموصوف ، و ذلك أنّهم يرون كلّ قدرة مستغرقة في القدرة في الذات ، وكلّ علم مستغرقاً في العلم بالذات، وهكذا في كل صفة كماليّة، فإذن المحامد كلّها راجعة إليه سبحانه ، و لهذا ذكر اسم الله دون غيره من الاسماء لدلالته بحسب المفهوم على جامعيّته الاوصاف الجماليّة والجلاليّة و ربوبيّته أنواع الاشياء كلّها ، وكلّ اسم غيره إنّما يدلّ على صفة و ربوبيّة نوع واحد . »[٢] انتهى .

ويؤيّد ما ذكرناه من إفادة هذه اختصاص جميع أنواع الحمد به سبحانه ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« فقد أبي بغلة له ، فقال : لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها ،فما لبث أن أُتي [بها][٣] بسرجها و لجامها ، فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله ، ولم يزد . ثمّ قال : ما تركت و ما أبقيت شيئاً، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عزّ وجلّ ، فما من حمد إلا وهو داخل فيما قلت . »[٤]

---

١) في المخطوطة : « خاتمته » .

٢) راجع المصدر المذكور في تعليقة ١ ص ٢٧٠ .

٣) كذا في المصادر .

٤) رواه علي بن عيسى (ره) في كشف الغمة ، ج ٢ ، باب في ذكر الامام الخامس أبي جعفر ــ عليه السلام ــ ، ص ١١٨ ؛ ونقله البحراني (ره) في البرهان ، ج ١، ص٤٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و قيل :

«ولاشكّ أنّ الوجودخيرمن العدم، وأنّ وجود كلّ ما سوى الله فانّه حصل بايجاد الله وجوده ، فانعام الله تعالى واصل إلى كلّ من سواه . فاذا قال : « الحمد لله » فكأنّه قال : الحمد لله على كلّ مخلوق ، و على كلّ محدث أحدثه من نور وظلمة ، وسكون وحركة ، وعرش و كرسيّ ، و جنّي وإنسي ، و ذات وصفة ، وجسم وعرض من أزل الآزال و أبد الآباد . »[1] انتهى .

و أنت إذا لاحظت إفادة الجملة الخبريّة للثبات و الدوام ، ولا حظت عموم الحمدمن الجهة المتقدّمة لجميع الانواع والافراد الصادرة من كلّ حامد ، فربّما أفادت هذه الكلمة باختصارها لك أنّ المحامد الّتي أتى بها الاوّلون و الاخرون من الملائكة و الثقلين لله تعالى ، و كذا المحامد الّتي سيذكرونها إلى وقت قوله تعالى : « **وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين** »[2] ، و إلى أبد الآبدين و دهر الداهرين . وأنّ كلّ حمد يصحّ أن يقع حمداً بجهة من الجهات المتصوّرة ، فهي ثابتة له سبحانه بحيث لايبقى ثناء متصوّر لأحد باعتبار إلا و هو حقّ لله سبحانه . فيدلّ على استجماعه سبحانه جميع شؤون المحموديّة، بحيث لم يبق شأن منها وجهة من جهاتها إلا وهو متحقّق وثابت له سبحانه . وأنّ كلّ حمد صدر من أحدلغيره سبحانه باعتبار جهة من الجهات ، فانّه لا يستحقّه و إنّما المستحقّ له هو الله سبحانه ، حتّى لو وقع الحمد على فاعل فعل من الافعال الاختياريّة وباعتباره ، فانّ الله أولى بحسنات العبد من نفسه ، و هو أولى بسيّئاته ؛ كما ورد في الخبر

---

١) الكلام للنيشابوري ، راجع تفسيره ، ج ١ ، ص ٣١ .

٢) يونس / ١٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وفصّل في محلّه[١] .

و يؤيّد التعميم ما ذكر في كلام الاصوليّين من أنّ حذف المتعلّق يفيد العموم، وإذا عمّمنا الحمدللسان الحال والمقال شمل جميع الاشياء ؛ إذما من شيء إلا ويسبّح بحمده ، كما نصّ عليه في القرآن[٢] ، إن جعلت التحميدات بألسنة الاحوال و إلا بأن أثبتنا لها ألسنة على حسبها ناطقة بالثناء على ربّها فالشمول أوضح من دون حاجة إلى التعميم .

و عن بعض المحقّقين[٣] : « التعميم المذكور لا دخال حمد الحقّ سبحانه نفسه، و ذلك حيث بسط بساط الوجودعلى ممكنات لاتعدّ ولا تحصى، و وضع عليه موائد كرمه التي لاتتناهى ، فكلّ ذرّة من ذرّات الوجود لسان ناطق عنه بحمده ، و مثل هذا الحمد لايطيق به نطاق النطق ، ومن ثمّ قال ﷺ : لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك » كذا قرّر .

و له وجه عند تجريد معنى الحمد عن الخصوصيّات التي يعتبر فيه أهل العرف بالنظر الظاهريّ .

رَبِّ العالَمين

في الرواية المتقدّم صدرها عن القميّ عن الصادق عليه السلام فيه أنّه قال : « خلق[٤] المخلوقين[٥] . »

١) راجع خبر الصدوق (ره) عن النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ في ص ٢١٤.

٢) قال الله تعالى في سورة الاسراء ، آية ٤٤ : « وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده . »

٣) هذا القول نقله السيّد عليخان المدني (ره) في الرياض ، في شرح دعائه ــ عليه السلام ــ في التحميد لله عزوجل (د ١) عن بعض المحقّقين . فراجع .

٤) في بعض النسخ : « خالق » .

٥) راجع تعليقة ٣ ص ٢٧٠.

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و في العيون و تفسير الامام عليه السلام عن أميرالمؤمنين عليه السلام :

« يعني : مالك‌الجماعات من كلّ مخلوق وخالقهم ، وسائر[1] أرزاقهم إليهم من حيث يعلمون ومن حيث لايعلمون؛ يقلّب الحيوانات في قدرته ، ويغذوها من رزقه ، ويحوطها بكنفه، ويدبّر كلاً منها بمصلحته ، ويمسك‌الجمادات بقدرته،يمسك ما اتّصل منها من‌التهافت ، والمتهافت‌عن التلاصق ، والسماء أن تقع على الارض إلا باذنه ، و الارض أن تنخسف إلا بأمره . »[2] .

[معنى كلمة الربّ واشتقاقها]

أقول : ذكر جماعة أنّ الربّ هنا بمعنى « المالك » ، و قال في الصحاح : « ربّ كلّ شيء مالكه ، و الربّ اسم من أسماء الله عزّوجلّ ، ولا يقال في غيره إلا بالاضافة . وقد قالوه في‌الجاهلية للملك ـ إلى أن قال : ـ و رببت القوم:سستهم أي : كنت فوقهم ؛ قال أبونصر : « هو من الربوبيّة . » و منه قول صفوان : « لان يربّني رجل من قريش أحبّ إليّ من أن يربّني رجل من هوازن . و ربّ الضيعة أي : أصلحها وأتمّها . وربّ فلان ولده يربّه ربّاً ، و ربّبه وتربّبه بمعنى أي : ربّاه . والمربوب المربّى . » واستشهد عليه ببعض الابيات .

و ذكر غيره للربّ معنى المالك‌والمدبّر والسيّد والمربّي والمنعم والصاحب وغيرها[3] .

١) استظهر المؤلف (قده) أن تكون الكلمة « سائق » ، و يوافقه بعض النسخ .

٢) راجع تعليقة ١ ص ٢٦٨ .

٣) راجع مجمع البحرين والنهاية .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و الّذي أحتمله قويّاً أنّ الاصل في معنى هذا اللّفظ هو التربية و إصلاح شأن المربوب .

و ذكر شيخنا البهائي في تفسير التربية هنا أنّه : « تبليغ الشيء كماله تدريجاً »[1] و هو جيّد . وإطلاقه على المالك والسيّد باعتبار أنّ من شأنه القيام بشأن المربوب وتربيته ، و كذا المدبّر والمنعم ؛ إذ فيهما بعض شؤون التربية . وعلى الصاحب باعتبار أنّ من شأنه القيام ببعض حاجات صاحبه ، و يشهد له ملاحظة جملة من المشتقّات ؛ كالربيبة الّتي تربّى في دار الرجل ، و « الربّي » على فعليّ بمعنى : الشاة الّتي وضعت حديثاً حيث انّ همّها تربية ولدها ، و الربيبة واحدة الربائب للغنم الّتي تربّيها الناس في البيوت لألبانها ، والربيبة للحاضنة والمربّيات، يقال : زنجبيل مربّب ومربّى بمعنىً،وغيرها .

والمراد بالتربية ليس خصوص التغذية بالمعنى الاعمّ للحيوان و النبات ، بل إصلاح الشأن مطلقاً من رزق و تكميل و إعطاء ما يحتاج إليه و دفع ما يضادّه و ينافيه ، بل خلقه أن جعل المربوب هو الشيء الّذي أعطى خلقه ثمّ هدى[2] .

وحينئذ فالربّ هو القائم بأمر المربوب من خلق وهداية ، و رزق و إعطاء ما يحتاج إليه ، و دفع ما يضرّه . ويرشد إليه في الجملة ما تقدّم من الروايتين .

وحينئذفلعلّ منشأ عدم استعماله بدون الاضافة على غيره سبحانه واختصاصه به جلّ وعلا من جهة إفادة حذف المتعلّق العموم حيث لامعهود ، وهو منحصر فيه سبحانه، وإطلاقه مضافاً مبنيّ على ظنّهم كون غيره سبحانه مربّياً حقيقة ، أو لكونه في صورة المربّي وإن لم يكن موجداً للتربية في الواقع .

---

١) العروة الوثقى (المخطوط) ، رب العالمين .

٢) مأخوذ من قوله تعالى : « قال ربّنا الّذي اعطىٰ كلّ شيء خلقه ثمّ هدىٰ . » (طه / ٥٠) .

هذا ، ولو جعلنا الربّ هنا بمعنى المالك دلّت الكلمة على لوازم المالكيّة وآثاره من الامور المذكورة بالالتزام . فانّ الملكيّة بمعنى السلطنة يقتضي ظهور آثار المسلّط على المسلّط عليه ، فيندرج فيه ما . . .[1] .

و هذا أحد الوجهين في الرواية الثانية ، و الآخر منهما الوجه السابق بأن يكون ذكر المالك مدلولاً إلتزامياً ذكر توطئة لبيان الربوبيّة أوغير ذلك .

والظاهر أنّ الربّ صفة مشبّهة بمعنى اسم الفاعل لامصدر وصف به للمبالغة كالعدل ، وإن كان هذا أيضاً جائزاً .

[معنى العالم وعدد العوالم]

و « العالم » اسم موضوع للجمع كالانام والرهط ، وهو ما يعقل من الملائكة والثقلين عن ابن عباس و الاكثرين [2] . و قال بعضهم : « كلّ ما علم به الخالق من الجواهر والاعراض » [3] ، كقوله تعالى :« **قال فرعون و ما ربُّ العالمين ۞ قال ربُّ السّموات و الأرض و ما بينهما .** » [4]

فعلى الاوّل مشتقّ من العلم وخصّوا بالذكر للتغليب ، وعلى الثاني من العلامة ، و جمع ليشمل كلّ جنس ممّا سمّي به ، و جمع بالواو والنون تغليباً لما فيه من صفات العقلاء ، كذا قرّره بعضهم [5] .

و حينئذ فالظاهر أنّ كلّ جنس من ذوي العلم و غيرهم ، أو ممّا يعلم به الخالق أخذ عالماً ، و جمع ليفيد شمول اللفظ لجميعها لما تقرر في محلّه من إفادة

---

١) سقط هنا كلمة من المخطوطة في التجليد .

٢) راجع التبيان والمجمع والدرالمنثوروغيرها من التفاسير .

٣) راجع الكشاف . ج ١ ، ص ٨ ،

٤) الشعراء / ٢٣ - ٢٤ .

٥) الكشاف ، ج ١ . ص ٨ ؛ و رياض السالكين ، د ١٢ ، ص ٤٩ ! .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الجمع المحلى للعموم حيث لاعهد فيفيد الكلام استغراف ربوبيّته كلّ عالم من العوالم ، قال بعضهم :

يقال : عالم الملك و عالم الانس و عالم الجنّ وكذا عالم الافلاك و عالم النبات وعالم الحيوان ، وليس اسماً لمجموع ما سوى الله ، بحيث لايكون له أفراد بل أجزاء ، فيمتنع جمعه.

وقد اختلفت الاخبار في عدد العوالم ، و ذكر بعض أصحابنا العارفين :

« أنّ في بعضها العوالم ثلاثة ، وفي بعضها أربعة ، وكذا خمسة وستّة وسبعة، وثمانية وتسعة وعشرة وعشرون وثلاثون وأربعون وخمسون و ستّون و ثمانون و تسعون ومائة و ألف وألف ألف ـ ثمّ قال : ـ و الّذي عدّدنا من العوالم تسعة وثلاثون ألف ألف وتسعمائة ألف وتسعمائة وثمانون عالماً . » انتهى .

وعن الصدوق [ره] في آخر الخصال أنّه روي عن الباقر عليه السلام أنّه ذكر في قوله تعالى : « بل هم في لبس من خلق جديد » [1] :

« إنّ الله قد خلق ألف ألف عالم ، وألف ألف آدم . » [2]

ونحن في آخر العوالم وآخر الآدميّين ، وأوّل ذلك بارادة مراتب التنزّلات والتطوّرات ؛ كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « لقد دوّرتم دورات ، و كوّرتم كورات . »

وقوله عليه السلام : « إنّ لله في كلّ يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزلون من الاصلاب إلى الارحام ، وعسكر يخرجون من الارحام إلى الدنيا ، و عسكر يرتحلون من

١) ق / ١٥ .

٢) الخصال، ج ٢، ص ٦٥٢، والتوحيد ، باب ذكر عظمة الله جلّ جلاله. ص ٢٧٧، ح ٢ ، عن جابر بن يزيد ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و البحار ، ج ٥٧ ، باب العوالم ، ص ٣٢١ ، ح ٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الدنيا إلى الآخرة . » كذا أفاده بعض العلماء العارفين ، ولكن لايطمئنّ به النفس بعد خروجه عن ظاهر اللّفظ ، وهو أعلم بما قال . لكنّا لم نجده دليلا على حصر العوالم العرضيّة و الطوليّة إلا في ضمن الاجناس الكلّيّة . فمن المحتمل حينئذ وصول عدد العوالم إلى العدد المذكور ، بل جميع الأعداد الواردة في الاخبار ؛ إذ يصحّ أن يكون لأمر عدداً باعتبار ، و آخر باعتبار آخر ؛ مثلا : يمكن أن يعدّ السموات جميعها عالماً واحداً فيقال عالم السّماء وأن يعدّ كل منها عالماً مستقلاّ لما بينها من البينونة والبعد في المرتبة .

[إشارة إلى علم الهيئة وعالم الكبير والصّغير]

و ممّا يكسر سورة استبعاد وجود عوالم كثيرة بالمعنى الظاهري ملاحظة قانون الهيئة الّتي أسّسها أهل الافرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ بمؤنة الآلات القويّة، الّتي وجدت عندهم ولم تكن يصل إليها أيدي الحكماء السابقين .

والّذي نقل عنهم على ما ببالي أنّهم يعتقدون أنّ كلّ كوكب من الكواكب السيّارة غير القمر والشمس أرض كأرضها، تدور حول الشمس والشمس كالمركز لها ، وزادوا على السيارات المعروفة سيارتان كبيرتان يسمى إحديهما «أورانوس» والآخر « نبطون » ، و وجدوا أيضاً سيّارات صغار كثيرة يمتنع إدراكها إلا بتوسّط الآلات المعدّة لهذا الشأن ، ويجعلون لكلّ واحد من السيّارات الاول ثمانية أقمار إلى واحد أو اثنين تدور تلك الاقمار على تلك الاراضي ، كما أنّ لأرضنا هذه قمراً يخصّه ، وأنّ كلّ كوكب من الكواكب الثابتة شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه مع اختلافها في القرب من شمسنا والبعد منها ، و كلّما كان أبعد كان جرمه في أبصارنا أصغر ، فيستظهرون من ذلك أن يكون لكلّ كوكب منها أراضي حولها كالاراضي الّتي لشمسنا هذه . وحينئذ فيكون أصل الاراضي خارجة عن حدّ

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الاحصاء فضلاً عن الانواع الواقعة في كلّ منها.

وليس غرضي من إيراد هذا المجمل الاذعان لهم في ذلك ، بل لمجرّد رفع استبعاد من آنس بالهيئة السابقة حتّى صارقواعده في الاصول الكلّيّة كالقطعيّات عنده ، وخصوصاً بملاحظة ما وصل إلينا من الاخبار من طرقهم من أنّ جملة ممّا كان يعتقده السابقون كان خطاء ظهرخطائه بالحسّ بتوسّط الآلات الّتي عندهم، وبملاحظة ما ينقل لنا منهم لايبقى وثوق بقواعد السابقين في كثيرمن مسائل الهيئة و لا بقواعدهم ، بل هي أبعد من الوثوق منها لما نقل إلينا من استنباطات لهم لايساعدها الذهن السليم .

و الّذي أعتقده اشتمال كلام الفريقين على الحقّ و الباطل ،كما هو شأن الانسان إلا إذا عصمه الله ، هذا .

واعلم أنّ كلّ فرد من أفراد الانسان عالم صغير مشتمل على انموذج ممّا في العالم الكبير من الجواهر والاعراض ، والمجرّدات والمادّيّات ، فعلا أوقوّة ، كما نسب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال [1] :

و تزعم أنّك جرم صغير و فيك انطوى العالم الاكبر

و ذكر الحكماء أنّ : « النفس الانسانيّة إذا كملت صارت عالماً عقليّاً مضاهياً للعالم الحسّي . » وقد ورد عنهم إطلاق لفظ القرية على الانسان أو تأويلها به .

[في أنّ الرّبوبيّة منحصر في الله سبحانه وبيان اشتمالها لجميع الموجودات]

ثمّ ان إضافة الرب إلى الجمع المحلّى وحذف متعلّق الربوبية ربما تفيد أنّ وصف الحقّ بالربوبيّة لكلّ فرد من العوالم من كلّ جهة من جهات الربوبيّة ،

---

١) ديوان الامام عليّ ــ عليه السلام ــ ، ص ٥٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

فتفيد الكلمة انحصار الربوبيّة فيه سبحانه على نحوما قدّمناه في كلمة الحمد، و لذا ذكر بعضهم: «أنّه توحيد له وتحميد و إقرار بأنّه المالك لاغير.» [١].

وهذا هو توحيد الربوبيّة، وأنّه لا ربّ في الحقيقة سواه، ولايتّصف غيره بشيء من شئون الربوبيّة، وهو توحيد غامض بحسب العلم، صعب المنال بحسب الحال، و الاستقامة على العمل بها عسير. و ربّما يشير إليه قوله سبحانه: «إنّ الّذين قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا.» [٢]

وهو التوحيد الّذي يبنى عليه أساس التوكّل، و يتخلّص به من الشرك في الطاعة من المندرج فيها الرياء والسمعة. ولعلّك تسمع منّا تمام الكلام فيه و في مقدّماته متفرّقاً في خلال التفسير ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ومعنى هذه الكلمة عامّة شاملة لجميع الموجودات محيط بجميع العوالم الامكانيّة فيكون حقيقة هذا الاسم محيطة بها وبالاسماء الخاصّة ببعض المخلوقات دون بعض، أو ببعض الشؤون دون بعض؛ كالشافي المختصّ بمرض المريض، وكالرازق المختصّ بالرزق، ويعمّ الدنيا والآخرة، فيشمل فيه الرحمة الرحمانيّة و الرحيميّة الّتي ظهرت وتظهر على أعيان المربوبات في الاولى والاخرى. ومرتبة هذا الاسم تحت اسم الجلالة، ولذا أُخّر عنه وناسب وصفه به لكونه مظهراً لآثار الالوهيّة لنا، و تكميلا للثناء، و إشعاراً بعلّة استحقاقه الحمد من باب دلالة تعليق الحكم على الوصف المناسب لعلّيّته لذلك الحكم.

و في هذه الآية إنعاش لمحبّة المحبّين، وإيقاظ لرجاء الراجين لما اشتمل عليه من معناها من المدائح و المحامد المحرّكة للحبّ، و من الاحسانات الّتي تحرّك الرجاء؛ إذ كلّ كمال فعليّ أومطلقاً فرض، فقد دلّ عليه كلمة «الحمد

---

١) القول للطريحي (ره)، فراجع مجمع البحرين.

٢) فصّلت / ٣٠؛ والاحقاف / ١٣.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

لله » على ثبوته له سبحانه مع الانحصار ، فلا تستحقّ غيره المحبوبيّة لهذه الجهة .

ومن أعظم أسباب الحمد ومعناه وصف الجود والكرم والنعت به ، وهو يبعث الرجاء . وأمّا الوصف بأنّه ربّ العالمين ، فهو محرّك للحبّ باعتبار أنّ المربوب لاينبغي أن يحبّ إلا ربّه ، وبأنّ كلّ خير فرض فيه وفي كل من وجد خيراً ما ، وكلّ شرّ فرض اندفاعه عنه أو عن غيره من كلّ من سلم من شرّ ما فهو من ربّ العالمين. فمن ذا يحقّ له الحبّ غيره سبحانه، ومن الّذي يستحقّ أن يرجى دونه؟

فانظر الآن إلى كلّ جهة ، «انظروا ما [ذا] في السّموات والأرض»[1] فهل ترى إلا خيراً أعطى أو شرّاً وقى ؟ وارجع إلى نفسك و انظر كيف تربّى : « لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثمّ جعلناه نطفة في قرار مكين * ثمّ خلقنا النّطفة علقة ـ إلى قوله تعالى : ـ ثم انشاناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين »[2] ، « فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صبّاً ـ إلى آخر الآيات . »[3]

و قد ذكر الله سبحانه أنحاء نعمه سبحانه في آيات كثيرة ، و دفع البليّات في جملة . وهي كلّها من بعض شؤون الربوبيّة الّتي دلّ عليها هذه الكلمة . بل لو تأمّلت في معنى هذه الكلمة رأيت جميع الاشياء بصفاتها و هيئاتها مندرجة تحت حكم هذه الكلمة ، وتصورّها بعض تصورّ لها ، وجميع العلوم المتعلّقة بها شرح لهذه الكلمة . و كلّ من كان أعلم بها كان نصيبه من علمها أكثر . ولا مطمع في الوصول إلى نهاية علم هذه الكلمة لاندراج الكلّ فيها : «وما أوتيتم من العلم إلّا قليلاً . »[4] لكنّ التأمّل في أجزاء مجاريها يورث المعارف والاحوال ، فيوجب استشعار التعظيم

---

١) يونس / ١٠١ .

٢) المؤمنون / ١٢–١٤ .

٣) عبس / ٢٤ ـ ٢٥ .

٤) الاسراء / ٨٥ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و الانكسار ، و الحياء و الخشوع ، و الاخبات و الانقطاع ، و الوقوف على حدود المربوبية وشؤونها التي يليق به، وترك دعوى المشاركة في شيء من شؤون الربوبيّة؛ إذ كما أنّ الحقّ ربّ مطلق بكل وجه و بكلّ اعتبار وحيثيّة ، كذلك العبد مربوط مطلق بكلّ وجه و اعتبار ولحاظ . فزن بميزان العقل المربوب المطلق بصفاتها ، و انظر ما الّذي يناسب شأنه بالقياس إلى الربّ المطلق حتّى يظهر لك حقيقة ما نحن فيه من البعد عن كلّ استقامة و سداد . و اجتهد في تحصيل تلك الشؤون الّتي يليق بالمربوب حتّى يظهر الحقّ عليك ربوبيّته ، ويوصل إليك كلّ خير يليق به ، ويدفع عنك كلّ شرّ لاخير لك فيه ، فانّ ذلك من شؤون الربوبيّة العامّة الّتي لايشوبه بخل ولامنع .

فعليك بتحصل شؤونك ،وفوض شؤون الربوبية إليه ، إنه عليم بالحاجات، جواد بالعطيّات ، لايمكن تربية أحسن من تربيته ، ولا كرم فوق كرمه ، يربّيك كأنّه ليس له عبد غيرك و هو ربّ العالمين ، لاليربح عليك ؛ إذ هو الغنيّ عن عباده ، بل ليربحوا عليه ؛ إذ هم الفقراء إليه[1] ، وأنت تخدمه كأنّ لك أرباباً غيره ، ولاملجأ ولامنجا لك ولغيرك إلا إليه : « **قل من يكلؤكم باللّيل والنّهار من الرّحمن** . »[2] نسأل الله سبحانه العفو والمغفرة والسداد ، إنّه وليّ كل خير .

[أثر اسم الرّبّ في مقام الدّعاء]

ثمّ إنّ لاسم الرّب مضافاً إلى ضمير المتكلّم وحده أو مع الغير مذكوراً أو

١) قال الله تعالى في آية ١٥ من سورة فاطر : « **يا أيُّها النّاس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيُّ الحميد** . » و ذكر الديلمي (ره) في إرشاد القلوب. الباب التاسع والعشرون، ص ١٤٨ . أن الله تعالى أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ : « قل لعبادي لم أخلقكم لأربح عليكم ، ولكن لتربحوا عليّ . »

٢) الانبياء/٤٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

مقدّراً ، أو إلى اسم ظاهر يشمل القائل خصوصيّة في مقام الدعاء وما أشبهه . وقد كثر وروده في هذا المقام في القرآن والادعية ، بل لا أذكر الآن موضعاً ورد فيه دعاء في القرآن بدونه . ويشبه أن يكون السرّ في ذلك أنّ إعطاء المسئلات ورفع الحاجات وكفاية المهمّات كلّها من الشؤون المتعلّقة بالربوبيّة بالمعنى المتقدّم ، والتوجّه إليه سبحانه واقع عندها باسم الربّ ، فافهم .

[علّة تكرار آية « الرّحمٰن الرّحيم »]

الرّحمٰن الرّحيم

ولعلّ تكريرهما للتّنبيه بهما في جملة الصفات المذكورة لاستحقاقه الحمد، أولافادة التأكيد وبسط رجاء العباد في رحمته، أولأنّ الرحمتين في البسملة مأخوذتان في حدّ نفسيهما كلّيّتين من دون اعتبار نزولهما وظهورهما في المرحومات، ومن أجله إتّصلتا بكلمة الجلالة على وجه التابعيّة لهما من دون لحاظ متعلّق لهما، وهيهنا اعتبرتا في مقام الظهور والتعلّق بالمرحومات باعطاء كلّ ذي حق حقّه، ولذا تأخّرتا عن ربّ العالمين المذكور فيه المتعلّقات، وصار من جملة الاوصاف الّتي وقعت في حيّز الحمد المختصّ بالنعمة، أو الجميل الاختياري على ما سبق.

وفي حديث صلاة المعراج المتقدّم صدره:

« . . . ثمّ قال له: أحمدني[1]. فقال: الحمد لله ربّ العالمين. فقال النبيّ ﷺ في نفسه شكراً.

فقال الله: يا محمّد ﷺ، قطعت حمدي فسمّ باسمي. فمن أجل ذلك جعل في الحمد « الرحمن الرحيم » مرّتين ـ الخ. »[2]

وكون الشكر قاطعاً للحمد إمّا باعتبار أنّ الشكر إنّما يقع من العبد في مقابل نعمة الحقّ عليه بخلاف الحمد حيث يصحّ صدوره من الحقّ ومن العبد، والملحوظ في الاوّل حال العبد بالنسبة إلى الخلق، وفي الثاني وصف الحقّ

---

١) في بعض النسخ: « حمّدني ».

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٢٦٢.

بأسمائه وأفعاله ، فيكون الاوّل قاطعاً للثاني لكونه فصلا بالنسبة إلى الثاني ، وهو وصل بالنسبة إليه . و إمّا باعتبار أنّ قول « الحمد لله ربّ العالمين » كان كلام الحقّ يرد عليه ﷺ و يقوله ﷺ ، لا كلامه بخلاف شكراً ؛ إذ كان هو ممّا أنشأه ﷺ أداء لحقّ النعمة ، فكان كلام نفسه قاطعاً لكلام ربّه و إن وقع تقرّباً إليه سبحانه ، ولاختلافهما في ذلك كان الاوّل قرآناً وجزءً من المصحف بخلاف الثاني .

ويشبه أن يكون النبيّ ﷺ عند قرائة « ربّ العالمين » توجّه نحو معنى المضاف إليه ، و أوّل شيء يظهر من « العالمين » نفس القاري و الالتفات إلى نفسه من حيث كونه مربوباً ، خصوصاً في مثل ذلك الحال المغمور بالتوجّه إلى الحقّ ، وإنعام الحقّ وإقباله إليه يستدعي الشكر منه ، ويكون هذه الحالة قاطعاً للحمد الّذي هو الثناء على المحمود فقط ، فلزم تكرار اسم الحقّ سبحانه ، و تكميل التوجّه إليه سبحانه ، وإفناء ملاحظة النفس .

و لمّا كان هذه الحالة أعني الالتفات إلى المربوبين و النفس من الاحوال المشتركة بينه ﷺ و بين سائر الّذين يتلون الكتاب حقّ تلاوته ، كان كمال السورة في وقوع التكرار الصوري ليحصل به محو ما كان ، والترقّي إلى ما بعده ، و لايكفي في ذلك المحو الاسم الاخير ، إمّا لخفائه عن مدارك النوع الانساني الاوخدي منهم ، أولأنّ ظهوره مطلقاً انّما هو باقتضاء سائر الاسماء كالرحمة ، فقبل التسمّي بها لايظهر ، أولانّه وحده غير كاف لجمع القلب عن مقام الفرق الى عين الجمع ، والله العالم .

[تحقيق حول « مالك » و « ملك » و « الدين »]

مالكِ يَومِ الدّين

القمّي: قال ـ يعني الصادق عليه السلام على الظاهر ـ :

« يوم الحساب ـ ثمّ قال : ـ و الدليل على ذلك قوله : «وقالوا يا ويلنا هذايوم الدّين .»[1] ؛ يعني : يوم الحساب . »[2]

و عن تفسير الامام عليه السلام :

« يعني : القادر على إقامته ، والقاضي فيه بالحقّ ، والدين : الحساب . »[3]

[معنى الدّين]

و ذكر جماعة أنّ الدين بمعنى الجزاء[4] .

و في الحديث :

« ابن آدم ، كن كما شئت ، كما تدين تدان . »

قيل: «أي : كما تجازي تجازى بفعلك و بحسب ما عملت. وسمّي الاول جزاء

---

١) الصافات / ٢٠ .

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٢٧٠ .

٣) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٣ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٥٠ ، ح ٤٨ .

٤) كسعيد بن جبير وقتادة وغيرهما من المفسرين واللغويين .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

للازدواج، كما في قوله تعالى: «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه.»[١] و إن كان الثاني مجازاً في الآية عكس ما في الحديث.»[٢]

وقال الشاعر في جزء بيت الحماسة: «دنّاهم كما دانوا»[٣]، قيل: «يعني: جازيناهم بمثل ما ابتدئونا به.»

و الدين في قوله: «يوفّيهم الله دينهم»[٤] فسّر بالجزاء الواجب، و في قوله تعالى: «انّ الدّين لواقع»[٥] بالجزاء، و في قوله: «ذلك الدّين القيّم»[٦] بالحساب المستقيم.

و ربّما يطلق الدين على الشرع، و هو مراد من حدّه بأنّه وضع لاولي الالباب يتناول الاصول والفروع، وعلى الطاعة كما فسّر به قوله تعالى: «و لايدينون دين الحق.»[٧]

و ربّما يجيء «دان» بمعنى: أذلّ واستعبد. فيقال: فلان دان الناس إذا قهرهم فأطاعوه، و يصدق يوم الدين على يوم القيامة بكلّ من هذه الوجوه؛ إذ هو يوم الحساب والجزاء والشرع لظهور حقائقه و غاياته و ثمراته، و وقوعه على حسب ميزانه وأحكامه، ويوم الطاعة لظهور ثمرة الطاعة فيه. بل هو المعدّ لظهور

---

١) البقرة / ١٩٤ .

٢) القول للطريحي (ره)، ذكره في مجمع البحرين بعد نقل الحديث المتقدم .

٣) هو جزء بيت من قصيدة «سهل بن شيبان» قالها في حرب البسوس، وهي:

فلما صرح الشر فأمسى و هو عريان   ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

فراجع جامع الشواهد، باب الفاء .

٤) النور / ٢٥ .

٥) الذاريات / ٦ .

٦) التوبة / ٣٦ ؛ ويوسف / ٤٠ ؛ والروم / ٣٠ .

٧) التوبة / ٢٩ . وقد توجد هذه الوجوه في تفسير «الدين» في مجمع البحرين .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

غايات الطاعة ، و طاعة الاشياء كلّها للحقّ طوعاً و كرها ، و يوم الاذلال و القهر لمن لم يكن ذليلا مقهوراً للحقّ حتّى يصير الكلّ منقادين .

و أنت إذا دقّقت النظر رأيت الشريعة و الدين ميزاناً يحاسب عليها العباد في المعنى الآن و في الصورة غداً ، و الاتيان بها و إقامتها يصير جزاءً بنفسه اليوم باطناً ، وغداً ظاهراً على ما نذهب إليه من تجسّم الاعمال وجوهريّة العلوم والمعارف والملكات والاحوال، وهي الطاعة ؛ إذ لا يطاع الله إلا بدينه الّذى وضعه على خلقه ، وهو العبوديّة الّتي هي غاية التذلّل والاسلام الكلّي ، الّذي هو غاية المقهوريّة ، فيوم القيامة يوم ظهور الدين والطاعة و الذلّة له سبحانه بحقائقه وآثاره و غاياته من الحساب والجزاء ؛ « و عنت الوجوه للحي القيوم . » [١]

[اختلاف القرائات في كلمة « مالك »]

ثمّ إنّه قد اختلفت القرّاء في القرائة هنا على قراءات شاذّة ، و قرائتين مشهورتين : أحدهما : مالك يوم الدين بالالف عن « سهل » و « يعقوب » و «عاصم» و « عليّ » و « خلف » ، والاخر : ملك بلا ألف مكسوراللام كما نسب إلى الباقين من السبعة و رواتهم [٢] .

و قد اختلف كلمات العلماء في الترجيح فذهب جماعة إلى ترجيح الثاني ، وعلّل بوجوه من أنّ كلّ واحد من أهل البلد يكون مالكاً ، و الملك لا يكون إلا واحداً ، و هو أعلاهم شأناً ، و الموافقة لقوله تعالى : « قل اعوذ بربّ النّاس * ملك الناس » [٣] و لم يقرأ فيه غير ملك ، و لقوله : « لمن الملك اليوم لله الواحد

---

١) طه / ١١١ .

٢) راجع مجمع البيان ، والبيان للامام الخوئي ــ مدّ ظلّه العالي ــ و سائر التفاسير .

٣) الناس / ١-٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

القهار .» ١

و ذكر لترجيح الاولى أيضاً وجوه : كدعوى أنّ في القيامة ملوكاً ولامالك إلّا الله ، وأنّ المالكيّة سبب لاطلاق التصرّف وليست الملكيّة كذلك ، وأنّ العبد أسوء حالاً من الرعيّة ، فيكون القهر في المالكيّة أكثر منه في الملكيّة ، و أن الرعيّة يمكنهم إخراج أنفسهم عن كونهم رعيّة لذلك الملك بالاختيار بخلاف المملوك ، و أن الملك يجب عليه رعاية حال الرعيّة ولايجب على الرعيّة خدمة الملك ، أمّا المملوك فيجب عليه خدمة مالكه ، وأن لايشتغل بأمر إلا باذنه .

[في إضافة الملك والمالك إلى يوم الدّين وما يستفاد منها]

ثمّ إنّ إضافة الملك إلى يوم الدين من قبيل إضافة الصفة المشبّهة إلى غير معمولها فتكون معنويّة ؛ مثل قولهم : « ملك العصر ، وكريم الزمان ، و حسن البلد» . وأمّا إضافة المالك إليه فباجراء الظرف مجرى المفعول به توسّعاً ، ومعناه مالك الامور كلّها في ذلك اليوم .

ويمكن أن يجعل اليوم عبارة عن النشأة الاخرى، الّذي هو مظروف للظرف توسّعاً ، فيراد باليوم ما يتحقّق فيه ، و كلاهما مشتملان على نحو من التوسّع ، وهذا أيضاً من مرجّحات القرائة الاخرى .

ثمّ إنّ تخصيص يوم الدين بالاضافة مع أنّه سبحانه ملك و مالك لجميع الاشياء في جميع الاوقات لتعظيم ذلك اليوم ، و لأنّ الملك والملك الحاصلين لبعض الناس في هذه النشأة بحسب الظاهر يزولان و يبطلان في ذلك اليوم بطلاناً بيّناً ، و ينفرد جلّ شأنه بهما انفراداً ظاهراً على كلّ أحد بخلاف حال ظاهر الدنيا في نظر أهله ، حيث كان حال التوحيد في الصفتين و عموم متعلّقهما مختفياً عنهم غيباً

---

١) غافر / ١٦ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بالنسبة إليهم و إن كان ظاهراً عند العارفين ، فيظهر ذلك المعنى المختفي في ذلك اليوم ظهوراً تامّاً لايخفى على أحد ؛ كسائر الامور الّتي هي غيب في الدنيا لأهلها وينكشف ويصير شهادة في يوم تبلى السرائر : « **لقدكنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد .** » [١]

[ارتباط صفة المالكيّة مع انحصار الحمد لله سبحانه]

هذا ، و اعلم أنّ في ذكر هذه الصفة في عداد الصفات المتعلّقة بالحمد إشعار بكونه محموداً باعتباره وهو كذلك ؛ لانّ قضيّة العدالة الّتي هي من أعلى الصفات الاختياريّة الفعليّة ، و يستحقّ باعتبارها الحمد والمدح لا تظهر ظهوراً تامّاً إلا في يوم الجزاء بالفرق بين المحسن والمسيء ، والمطيع والعاصي ، والموافق والمخالف لتجزى كلّ نفس بما سعى ؛ «**يومئذ يصدر النّاس أشتاتاً ليروا اعمالهم**» [٢]. بل الملكية والمالكيّة في مقام الامكان والظهور العينيّ في الكون من الصفات الجميلة الاختيارية بل هو محمود بكلّ صفة وفعل ، و كلّ جهة واعتبار .

ثمّ إنّ في ذكر هذه الصفات بعد اسم الجلالة الدالّ على استجماع جميع صفات الكمال على ما مرّ بيانه إشعار بانحصار جهات الحمد فيه سبحانه؛ لأنّ من يحمده الناس و يعظّمونه إنّما يكون حمدهم و تعظيمهم لأحد أُمور أربعة ، إمّا لكونه كاملا في ذاته و صفاته ؛ و إمّا لكونه محسناً إليهم و منعماً عليهم ؛ و إمّا لأنّهم لايرجون الفوز في الاستقبال والحال بجزيل إحسانه و جليل امتنانه عاجلاً أو آجلاً؛ وإمّا لانّهم يخافون من قهره و كمال قدرته وسطوته ، فكأنّه جلّ وعلا يقول : يا أيّها الناس إن كنتم تحمدون وتعظّمون للكمال الذاتي والصفاتي فانّي أنا الله ، وإن كان للإحسان والتربية فانّي أنا ربّ العالمين، وإن كان للرجاء والطمع

١) ق / ٢٢ .
٢) الزلزلة / ٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

في العاجل فأنا الرحمن، أوفي الآجال فأنا الرحيم، وإن كان للخوف من كمال القدرة والسطوة فأنا مالك يوم الدين .

فبملاحظة الصفات الخمسة والتوحيد فيها كما أشرنا إليه في كلٍّ منها يظهر السرّ في انحصار استحقاق الحمد بالله جلّ وعلا ، وأنه لاينبغي الاشتغال بحمد من سواه .

وهذه الامور هي جهات المعبوديّة الّتي دلّت عليها كلمة الجلالة على ماسبق. فالصفات الاربعة بمنزلة التفصيل لذلك الاجمال ، و بذلك يظهر وجه ارتباط هذه الايات بالآية الآتية. و كما أنّ قارئ السورة يقرأ هذه الآيات أوّلا ثمّ آية العبادة والاستعانة ، كذلك قارئها بعقله وقلبه يتصور هذه المعاني ويصدّق بها، ويحدث في قلبه حالات بحسبها . ثمّ يصير موحّداً في العبادة والاستعانة ، منقطعاً إليه سبحانه فانّ هذه الامور مجامع الايمان بالله واليوم الآخر ، الّتي يبتني عليها العبادة والدين ابتناء الفروع على الاصول ، وبقدر قوّة هذه المعارف وقوّة حضورها عند النفس يحصل العبوديّة بالمعرفة ، ويحدث في القلب آثارها من الخضوع والخشوع والانقطاع والاخلاص، والرجاء والخوف والحياء والمحبّة والانس وغيرها، ويتفرّع عليها الطاعة بالجوارح على الوجه الكامل تفرّع الثمرة على الشجرة ، فانّ كلّ عمل نبات ، و كلّ نبات لاغنى به عن الماء ، فما طاب سقيه و غرسه طاب ثمره على [ما] ورد ـ ما تقرب من هذه الالفاظ ـ عن أميرالمؤمنين عليه السلام [1] .

---

١) راجع نهج البلاغة ، خطبة ١٥٤ ، ص ٢١٦ ، و قد قال ـ عليه السلام ـ فيها : « . . . و اعلم أن لكل عمل نباتاً ، وكل نبات لاغنى به عن الماء،والمياه مختلفة ، فما طاب سقيه طاب غرسه وحلت ثمرته ، وما خبث سقيه خبث غرسه وأمرت ثمرته . »

[تأثير التفكّر في معاني هذه الآية في النّفس]

ثمّ إنّ لكثرة التأمّل والتفكّر والتدبّر والغور في معاني هذه الالفاظ تأثيراً قوياً في الترقّيات المعنويّة، والانتقال في الاحوال والمقامات، وما يتفرّع على الغور في الصفة الاخيرة استشعار الخوف والرجاء، و ارتفاع الغرور باعتبار كونه يوم الدين لايوم الجزاف والعبث، وانزعاج القلب عن الدنيا باحضار النشأة الاخرى في النفس، وارتفاع الإخلاد إلى الارض والمألوفات وعالم الظلمة، وكسر النفس والهوى، و قمع مادّة العجب والغرور بملاحظة المتفكّر كونه في معرض وقوع يوم الدين بعظمته عليه، ولايدري على أيّ وجه من وجوهه يتّفق بالنسبة إليه، وبملاحظة عظمة من هو مالك هذا اليوم وملكه فيصغر في نفسه نفسه و غيره كما قال عليه السلام في صفة المتّقين: «عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم.»[1] وقلع شجرة الرياء والسمعة بنحو ما ذكر، وقطع مادّة الظلم بتذكر يوم المجازاة إلى غيرذلك ممّا يعرف بالمقايسة إلى ما ذكر. هذا لأرباب الاحوال.

و أمّا العارفون، فلهم في مثل ذلك ترقيّات إيقانيّة من علم اليقين إلى عين اليقين إلى حقّ اليقين، و صيرورة العلم عياناً، و ينكشف لقلبه حقيقة هذا الاسم و غيره مجملاً، ثمّ مفصّلا إلى مراتب لاتتناهى، فهو كالمتفرّج في عالم الآخرة بقلبه والسائر في بساتينه، والناظر إلى حال العصاة في نيرانه.

ولعلّ من ذلك أو ما هو أعلى منه ما رواه في الكافي باسناده عن الزهري في حديث قال:

« كان عليّ بن الحسين عليهما السلام إذا قرأ « ملك[2] يوم الدين »

---

١) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٢ ص ١٩٧، وتعليقة ١ ص ١٩٨.

٢) خ . ل : « مالك ».

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

يكرّرها حتّى يكاد أن يموت . »[1]

و عن العيّاشي : « أنّه قرأه الصادق عليه السلام ما لايحصى . »[2]

[محاسبة النّفس و توزين الاعمال]

و عن تفسير الامام عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله :

« أكيس الكيّسين[3] من حاسب نفسه و عمل لما بعد الموت ، و إنّ أحمق الحمقاء من اتّبع نفسه هواها ، و تمنّى على الله تعالى الامانيّ . »[4]

و قد ورد من ألفاظه من غير هذا الطريق أيضاً .[5]

وفي حديث آخر :

«حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، و زنوها قبل أن توزنوا.»[6]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، كتاب فضل القرآن ، ص ٦٠٢ ، ح ١٣ ؛ و رواه أيضاً العياشي (ره) في تفسيره، ج ١ ، ص ٢٣ ، ح ٢٣ ، بنفس الاسناد عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وهكذا في الوسائل، ج ٤ ، باب ٦٨ من أبواب القراءة في الصلاة، ص ٨١٣ . ح ١ ؛ ونور الثقلين ، ج ١ ، ص ١٩ ، ح ٧٨ .

٢) العياشي ، ج ١ ، ص ٢٢ ، ح ٢٢ ، عن داود بن فرقد ؛ و الصافي ، ج ١ ، ص ٥٣ ؛ ونور الثقلين ، ج ١ ، ص ١٩ ، ح ٨٠ .

٣) في المخطوطة : « الاكيسين » .

٤) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٣ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها ، ص ٢٥٠ ، ح ٤٨ .

٥) كطرق العامة ، فراجع سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب ٣١ ، ح ٤٢٦٠ ؛ والمستدرك للحاكم ، ج ٤ ، ص ٢٥١ .

٦) رواه سيد بن طاووس (رض) في محاسبة النفس ، الباب الثاني عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٧٠ ؛ باب مراتب النفس وعدم الاعتماد عليها ، ص ٧٣ ، ح ٢٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

قال في الصافي بعد إيراد الروايتين :

« و فيهما دلالة على أن لكلّ إنسان أن يفرغ من حسابه ، و وزن عمله في دار الدنيا بحيث لايحتاج إليهما في الآخرة ، وهو كذلك عند اولى الالباب . »[1]

اقول :

إن أراد بذلك أنّ كل إنسان يقدر أن يفرغ من مجموع حسابه ووزن عمله بحيث لايبقى موضع يتأخّر حسابه للآخرة ، ففيه أنّه موقوف على الاطلاع على كلّ عمل من أعماله بجميع ما له دخل فيه ، شرطاً كان أو مانعاً للصحّة أو الكمال أو القبول ، ابتداء واستدامة ، وانّه علي أيّ وجه من هذه الوجوه وقع ، وعلى كلّيّات كلّ عمل من الاعمال بأجزائها و شرائطها و موانعها ومفسداتها الباطنيّة و شرائط قبولها وموانعه ، و ما يحبطها وما يكملها وينميها، وعلى الاطلاع على كل عمل قبيح صدر عنه بجميع الخصوصيّات الّتي لها مدخل في زيادة قبحه و نقصانه ، وعلى مقدار كلّ عمل حسن أو قبيح في ميزان القسط وغيرذلك ؛ إذ لو لا هذه المعلوم لم يمكن للانسان وزن نفسه ، والتفرّغ عن حسابه ، وأنّى يحصل هذه الامور كلّها للانسان إلا من خرج عن عالم الغرور ، وأعطي نوراً يمشى به في الظلمات، فشاهد بذلك هذه العلوم أو حقيقة الميزان العقليّ لنفسه ، فوزن به نفسه ، و تفرّغ عن المحاسبة . لكنّه مقام لايستأهل له كلّ أحد إلا أن يراد محض الشأنيّة الّتي كانت في أصل الفطرة ؛ إذ ربّما يدّعى ثبوتها للجميع .

وإن أراد به أنّ له السعي بقدرما يتيسّر له ، فهوحقّ يشهد بصحّته الاعتبار والاخبار ، ولكنّه لاينفي الاحتياج إلى الميزان في الآخرة .

وعلى كلّ حال، فلوأريد به أنّه لايقع على المحاسب في الدنيا حساب وميزان

---

١) الصافي ، ج ١ ، ص ٥٣ .

في الآخرة ، فليس في الخبرين دلالة عليه ؛ إذ إثبات الشيء لاينفي ما عداه ، و القبليّة لاتنفي وقوع شيء بعده لو لم يقتضه ، و لانجد في اعتبار الألباب شاهداً عليه لو لم يشهد بخلافه ، والله العالم وهو المستعان .

[في دلالة الآيات الثلاث بالترتيب على المبدء والمعاد وما بينهما]

ثمّ إنّ المستفاد من الكلمات الخمسة أنّ منه المبدء وبه البقاء وإليه المعاد. و يندرج فيها عالم البدو والوسط و المعاد ، فكأنّ الآيات الثلاث محيطة بعوالم الاكوان ، جاذبة للقلب المشتغل بشيء منها إليه سبحانه ، حتّى يتحقّق له حقيقة الاسلام المطلق بأخذها بمجامع القلب؛ إذ لاملجأ ولامنجا في ذلك إلا إليه سبحانه.

وبه يظهر كون الترتيب اللّفظيّ مطابقاً للترتيب المعنويّ إذ مقام الالوهيّة مقدّمة على الربوبيّة المطلقة ، كما يظهر ممّا سبق[1] ، وهي بعنوان الوحدة مقدّمة على كلّ من القسمين ؛ إذ التفصيل هنا فرع الاجمال، والكثرة فرع الوحدة ، فمرتبة الرحمانيّة و الرحيميّة بعد الربوبيّة المطلقة .

ثمّ المقصود الاصليّ من إنشاء القيامة هو ايصال الرحمة لأهله ، ومنها الانتقام من أعدائهم ، فانّه من الرحمة لهم ويتبعه الغضب ؛ إذ الاصل في الغاية هو الرحمة دون الغضب .

ولمّا اندرج الاصل في اسم الرحيم بقي سائر ما اقتضته الحكمة تبعاً أو ضمناً، فدلّ عليه بالاسم الاخير في مرتبته الّتي هي آخر المراتب ، فالناظر إلى الآيات الثلاثة بعين البصيرة ناظر إلى بدو الموجودات ونزولها وصعودها و ختمها من حيث ظهور أسماء الله سبحانه عليها ، فهو في نظره إلى ربّه جلّ وعلا بأسمائه سائر في الموجودات بدواً وتوسّطاً وختماً . وهذا نظر صاحب مقام الوحدة في عين الكثرة .

---

١) راجع ص ٢٨٧ .

[تحقيق حول العبادة والاستعانة]

إيّاكَ نَعبُدُ

عن تفسير الامام عليه السلام :

« قال الله تعالى : قولوا يا أيّها الخلق المنعم عليهم : إيّاك نعبد أيّها المنعم علينا ، نطيعك مخلصين موحّدين[1] مع التذلّل والخضوع بلا رياء ولاسمعة . »[2]

و عن رواية عامّية عن الصادق عليه السلام :

« يعني : لانريد منك غيرك ، لانعبدك بالعوض و البدل كما يعبدك الجاهلون بك ، المغيّبون عنك . »[3]

[معنى العبادة وعلّة تقديم المفعول على الفعل]

اقول : العبادة أقصى غاية الخضوع ، و أعلى مراتب التذلّل ؛ يقال : طريق معبّد ، أي : مذلّل ، و ثوب ذوعبدة في غاية الصفاقة و قوّة النسج . و لذلك لايليق بها إلا من هو مولى لأعلى النعم و أعظمها من الوجود و الحياة و توابعها . كذا ذكروه[4] .

---

١) سقطت هذه الكلمة عن بعض النسخ .

٢) تفسير الامام ــ عليه السلام ــ ، ص ١٤ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٣ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص٢٥١ ، ح ٤٨ .

٣) نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، ص ٥٣ .

٤) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ١١ ؛ وأنوار التنزيل ، ج ١ ، ص ٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وقد سبق في كلمة الجلالة تفسيره بمطلق التذلّل والخضوع ، وأنّ التخصيص لعلّه باعتبار الانصراف إلى الفرد الكامل ، و لايليق بالعبادة إلا من كان منعماً بالحقيقة ، فليس غيره سبحانه أهلاً لها ؛ إذ لا منعم سواه على ما عرفت . و حينئذ فيقرب من التفسير المتقدّم بالاطاعة المقترنة بالتذلّل والخضوع .

وأمّا اعتبار التوحيد والاخلاص ونفي الرياء والسمعة ، فالظاهر أنّه باعتبار تقدّم المفعول على الفعل ، مع أنّ حقّه التأخير عنه ، خصوصاً مع كونه ضميراً لاينبغي الاتيان به منفصلاًمع إمكان الاتيان بهمتّصلا . وهذا يكشفعنوجود نكتة، وأظهرها في مثل المقام الحصر، بمعنى : نخصّك بالعبادة و نجعلها مختصّة بك ، فلا نعبد غيرك ولانشركه في عبادتك . وهو معنىالاخلاص والتوحيد في العبادة ، ونفي الرياء والسمعة الاستقلاليّين والانضماميّين إلى داعي القربة ؛ إذ الاوّل عبادة غيره سبحانه ، إذ هو المقصود بالعبادة في الفرض ، والثاني شرك في العبادة حيث قصد بها الخالق والمخلوق معاً .

و لمّا كان للعبادة من حيث الغاية درجات أشرنا إليها في كلمة الجلالة مع كثير ممّا يتعلّق بالمقام ؛ إذ العابد إمّا يجعل الحقّ وسيلة و واسطة لنيل مطلوب ، أو دفع مكروه ، صوريّ أو معنويّ ، دنيويّ أو أخرويّ ، و هذه درجة الخائفين والراجين ، وإمّا يجعل الحقّ غاية عبادته فلايريد منه بعبادته غيره سبحانه ، وهو العابد بالحقيقة ، و ما قبله عبادة تلك الغاية في المعنى ، فكأنّ حقيقة الحصر لم يتحقّق إلا في الثاني ، مضافاً إلى ما عساه يشعر به تقدّم الضمير على الفعل من الايماء إلى أنّ العابدينبغي أن يكونمطمحنظره أوّلاً وبالذّات هو الحقّ سبحانه على وتيرة : « ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله . »[١] ثمّ منه إلى أنفسهم لا من حيث ذواتها ، بل من حيث أنّها ملاحظة له عزّ وجلّ ومنتسبة إليه ، ثمّ إلى أعمالهم من

---

١) إشارة إلى قول أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ المعروف .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

العبادة ونحوها ، لا من حيث صدورها عنهم ، بل من حيث أنّها نسبة شريفة ووصلة لطيفة بينه جلّ شأنه وبينهم .

وهذه نكتة أخرى لتقدّم المفعول مع ما في تقديم ذكر الله سبحانه من إيراث الخشية والمهابة حتّى لايلتفت في العبادة يمنة و يسرة ، و إيراث العبد قوّة يسهل بها عليه ثقل العبوديّة ، و من المطابقة للوجود العيني بتقدّم ما هو مقدّم في الوجود .

مضافاً إلى أن «الّذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون .»[1] فالنفس إذا مسّها طائف الشيطان من الكسل و الغفلة و البطالة طلع له جلال الله من مشرق « إيّاك » فتصير مبصرة مستعدّة لأداء حقّ العبوديّة إلى غير ذلك .

[علّة إيراد الفعل بصيغة الجمع]

ثمّ إنّه يشبه أن يكون في إيراد الفعل بصيغة المتكلّم مع الغير إرشاداً إلى ملاحظة القارئ دخول الحفظة ، أو حضّار صلاة الجماعة ، أو جميع حواسّه وقواه الظاهرة والباطنة ، بل وجميع جوارحه و شعره و بشره ـ كما ربّما يومي إليه دعاء الركوع ـ أوجميع ما حوته دائرة الامكان ؛ كما قال سبحانه : « و إن من شيء إلّا يسبّح بحمده »[2] . وايذاناً إلى أنّ المناسب للعبد أن يرى نفسه حقيراً غير قابل لعرض عبادته منفرداً من دون الانضمام إلى جماعة يشاركونه في العرض ، كما يظهر من دأب الرعايا مع الملوك ، مع ما فيه من الفرار عن أنّه لايليق بنا مع ما نحن عليه من تعظيم الدنيا وأهلها ، والخضوع التامّ لأربابها من الملوك وغيرهم أن نخاطبه سبحانه بما يدلّ على حصر العبادة فيه سبحانه ؛ إذ على تقدير العدول إلى الجمع يمكن أن

---

١) الاعراف / ٢٠١ .

٢) الاسراء / ٤٤ .

يقصد حينئذ تغليب الاصفياء الخلّص على غيرهم ، فيحترز بذلك عن الكذب الظاهر عند من يعلم الضمائر .

مضافاً إلى أنّ المناسب للعبد الحامد لله الواقف بين يديه بحقيقة الحمد و الحضور أن لايقصر همّه على إصلاح حال نفسه ، بل يسعى في إصلاح حال إخوانه في الله سبحانه أيضاً ، فيدخل نفسه في جملتهم ويتكلّم عن المجموع .

[سبب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب]

ثمّ إنّ الالتفات في هذه الآية من الغيبة إلى الخطاب لعلّه إشارة إلى أنّ القرائة ينبغي أن يكون عن قلب حاضر و توجّه كامل ، بحيث كلّما أجرى القارئ اسماً من تلك الاسماء العليا والنعوت العظمى على لسانه ، ونقشه على صفحة جنانه حصل للمطلوب مزيد انكشاف وانجلاء ، وأحسّ هوبتزايد قرب واعتلاء . وهكذا شيئاً فشيئاً إلى أن يصير الخبر له عياناً ، و الغيبة حضوراً ، و البرهان مشاهدة ، فيستدعي المقام العدول إلى الخطاب ، وإلى علوّ مرتبة هذه الآيات القرآنيّة حيث انّها تصيّر قارئها وتاليها بلسانه وقلبه أهلاً لمجلس الخطاب ، فائزاً بسعادة الحضور و الاقتراب . فكيف لو لازم وظائف الاذكار ، و واظب على تلاوته و تدبّر معانيه باللّيل والنهار ، مع ما فيه من جبر كلفة العبادة بلذّة الحضور و المخاطبة و ان عرض الهديّة الحقيرة حضوراً أقرب إلى القبول من عرضه بدون المواجهة عند الاكابر والملوك، وهو آية لكون هدايا الحاضرين لديه سبحانه على ما ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني »[١] أقرب إلى القبول .

فعلى التالي صرف الهمّ على تحصيل الحضور بين يدي من هو حاضر لايغيب،

١) رواه الصدوق (ره) في العيون ، ج ٢ ، ص ٤٦ ، ح ١٧٥ ، عن الرضا ـ عليه السلام ـ . . . عن النبي ـ صلى‌الله عليه‌وآله ـ ؛ و نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٩٣ ، باب ذكر الله تعالى ، ص ١٥٦ ، ح ٢٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وهو أقرب من حبل الوريد[١] .

[حقيقة العبوديّة والخضوع ومقاماتها]

مضافاً إلى أنّ القارئ لمّا ذكر الحقيق بالحمد و أجرى عليه الصفات العظام تعلّق قلبه بمعلوم عظيم الشأن حقيق بغاية الخضوع والاستعانة في المهام ، فخوطب[٢] ذلك المعلوم الّذي لايحقّ العبادة إلا له ، وقد قدّمنا بعض الكلام في العبوديّة في كلمة الجلالة، وعلى ما سبق من أنّ أصل[٣] الخضوع له مقام في المعرفة ، والملاحظة بأن يعرف نفسه متّسماً بسمات لايليق بها سوى الخضوع و لاستكانة للحقّ و يرى نفسه كذلك ، و هو مستفاد من حصر الحمد في الحقّ ، و من كلمة الجلالة كما سبق ، ومن إضافة الربّ إلى العالمين: لأنّ كلّ شيء وجد في المربوب فهو من ربّه لا من نفسه ، فليس له من نفسه سوى ما يصحّ كونه مربوباً . وهو الحاجة والفقر، ومن إضافة الرحمة إليه سبحانه ، فالعباد مرحومون ، والمرحوم هو الخضع : « أنا عند المنكسرة قلوبهم . »[٤] و خصوصاً بالنسبة إلى الرحمة المترقّبة : لأنّ الخضوع مفتاح لتحصيل ما ليس له بحاصل ، ومن إضافة الملك أوالمالك إلى يوم الدين كما أشرنا إليه ، فانّ من كان معرضاً لوقوعه عليه و هو لايدري على أيّ وجه يكون حريّ بنهاية التذلّل ، وكلّ من كان اطّلاعه على جهات فقره عاجلاً و آجلاً ، ابتداءً واستدامةً من الجهات الغير المتناهية ، كما أنّ النعم الّتي تجبر تلك الحاجات غير متناهية ، وكان نظره إلى هذه الجهات ، كان أعبد في هذا المقام ، خصوصاً بعد

---

١) مأخوذ من آية ١٦ من سورة ق .

٢) كذا في الاصل ولكن الظاهر أن يكون الصحيح: «فخاطب» .

٣) في المخطوطة : « أصله » .

٤) هذا من حديث قدسي ، نقله الفيض (ره) في المحجة البيضاء . ج ٧ . كتاب الفقر والزهد ، ص ٣٢٥ . وفيه : « أوحى الله تعالى إلى اسماعيل ـ عليه السلام ـ : اطلبني عند المنكسرة قلوبهم . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

تكميل النظر في الاوصاف الخمسة لربّه المذكورة في الآيات الثلاث و غيرها من أسمائه وصفاته سبحانه ، وتقابل تلك الصفات إلى هذه الصفات .

فمن شاهد صفات نفسه بماذكره ومن خواص الامكان وغيرها ممّا لم يذكره يرى كلّ واحد من صفاته كافياً لذلّته و خضوعه ، كما أنّ كلّ صفة من صفات الله سبحانه ممّا عدّ من خواصّ الوجوب وغيرها كافية في استحقاق و قوع الخضوع له . فقايس وتدبّر لعلّك تستفيد منه ما لا مطمع لك فيه قبله .

و كمال هذا المقام توحيده ، وهو سلب الكمال عن جميع الممكنات و إضافتها إلى الحقّ سبحانه ، و سلب الفقر و النقص عن الحقّ و تعميمهما على جميع دائرة الحق[1] ، حتّى يظهر أنّه لاينبغي مسمّى الخضوع إلا له سبحانه ، أو بأمره ، أو من جهته .

و هذا هو الّذي ينتج التوحيد في الدعاء و الاستعانة . كيف يسأل محتاج محتاجاً ؟ وأنّىٰ يرغب معدم إلى معدم ؟

وله مقام في القلب يسمّى حالة الخضوع والخشوع ، ويظهر آثاره في العين بترك رفع الطرف و خفضه ، و في الرأس باطراقة وطأطئته[2] ، و في المنكبين بالقاء جناح الذلّة، وفي الصوت بغضّه ، وفي الصلب بانحنائه إلى حالة الركوع، وفي الجبهة و سائر المساجد عند السجدة . و كلّ هذه خضوعات و تذلّلات ظاهريّة ، و روحها ومبدئها الامر القلبيّ .

و له مقام في مقام الانقياد لما يرد عليه من طرف المعبود ، فمن كان قلبه خاضعاً قبل أحكامه ، وامتثلها على ما أراد منه ، ومن كان مستكبراً أبى ولم يقبله . ويعبّر عنه بالطاعة .

و له مقام في عمله مع كلامه معبوده ، و في حضور أوليائه ، و كلّ شيء له

١) كذا في الاصل ، لكن الظاهر : « الخلق » .
٢) أطرق رأسه أي : أماله وأسكنه ، وطأطأ الرأس وغيره أي : خفضه .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

نسبة إليه كبيته ، فمن كان خاشعاً عندتلاوته واستماعه ، وعند أولياء الله سبحانه كان خاضعاً لله ؛ **« إنّ الّذين يغضّون اصواتهم عند رسول الله أُولئك الّذين امتحن الله قلوبهم للتّقوى »** . [1]

و له مقام صور جعلت خضوعاً و عبوديّة كالصلاة ، و تسمّى عبادات بالمعنى الاخصّ ، وهي أُمورمخصوصة ومهيّات مجعولة ، جعلت لأن يعبد به الله سبحانه .

و لكلّ من هذه المقامات فروع و أغصان و مكتنفات وآثار . و قد ورد في حديث «عنوان البصري» عن الصادق عليه السلام بعض ماأشرنا إليه. قال في مجمع البحرين على ما في النسخة : وحقيقة العبوديّة كما في حديث « عنوان » ثلاثة أشياء :

« أن لايرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً ؛ لأنّ العبيد لايكون لهم ملك ، بل يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله . ولايدبّر العبدلنفسه تدبيراً ، وجملة اشتغاله فيما أمره الله تعالى و نهاه عنه . فاذا لم ير العبد فيما خوّله الله ملكاً هان عليه الانفاق ، و إذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبّرها هانت عليه مصائب الدنيا ، و إذا اشتغل العبد فيما أمره الله ونهاه لايتفرّغ منهما إلى المراء والمباهات مع الناس. فاذا أكرم الله العبد بهذه الثلاث هانت عليه الدنيا والمسيس و الخلق ، ولا يطلب الدنيا تفاخراً و تكاثراً . ولايطلب عند الناس عزّاً وعلوّاً ، ولايدع أيّامه باطلة . فهذا أوّل درجة المتّقين . » [2]

---

١) الحجرات / ٣ .

٢) مجمع البحرين، ج٣ ص ٩٦ ؛ وروى شيخنا البهائي ــ نوّر الله مضجعه ــ بتمامه في الكشكول ، ج ٢ ، ص ١٨٤ ؛ و نقله المجلسي (قده) في البحار ، ج ١ ، باب آداب

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

فرؤية المال ملكاً للحقّ من شؤون المعرفة به سبحانه ، وأنّه المالك لجميع الاشياء . و أمّا هوان الانفاق عليه ، فهو بمنزلة غصن لبذر المعرفة السابقة . و أمّا وضعه المال حيث أمرهم الله ، فهو ثمرة هذا الغصن ، وأمّا تفويض تدبير نفسه إلى مدبّرها ، فهو غصن أصلها المعرفة بأنّه الربّ المطلق ، و له الربوبيّة كيف يشاء ، وليس له من صفات الربوبيّة شيء لايقدر لنفسه ضرّاً ولانفعاً ، ولا موتاً ولاحياة ولا نشوراً . وأمّا الاشتغال بما أمره الله ونهاه ، فهو مقام الانقياد لما يرد عليه من المعبود .

هذا ما سنح بالبال في شؤون العبادة والعبوديّة ، والله العالم بحقيقة الحال .

و في كلّ هذه المقامات المتصوّرة يتصوّر توحيد و شرك ، و قلّ من توحّد في جميعها بحيث لم يدخل فيه شرك في شيء منها حتّى جنس الخضوع بأن لايخضع لغيره سبحانه ، أو لأجله ، أو لأمره سبحانه . نسأل الله التوفيق والسداد والعصمة ، وهو المستعان .

و إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ

« على طاعتك وعبادتك ، و على دفع شرور أعدائك و ردّ مكائدهم ، و المقام على ما أمرت » كذا عن تفسير الامام عليه السلام [1] .

[معنى الاستعانة]

و أصل الاستعانة طلب المعونة على الفعل ، والظاهر منه في المقام إمّا طلب

طلب العلم وأحكامه ، ص٢٢٤ . ح ١٧ . من خطه (الشيخ البهائي) ، عن الشيخ شمس الدين محمد بن مكي ، وقد نقله من خط الشيخ أحمد الفراهاني (ره) . عن عنوان البصري .

١) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٥ ، عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ والصافي ، ج ١، ص ٥٣ ؛ والبحار، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٥٢ ، ح ٤٨ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المعونة في المهمّات أو مطلق الافعال التي تتعلّق القصد بها بأسرها، ومنها: التحرّز عمّا ينبغي التحرّز منها، تعويلاً على إفادة حذف المتعلّق العموم حيث لا معين.

وإمّا بالنسبة إلى خصوص أداء العبادة والقيام بوظائفها الظاهريّة والباطنيّة من الاخلاص وحضور القلب وغيرهما باعتبار رجحان هذا القسم على سائر الافراد بورود اللّفظ عقيب ذكر العبادة ولعلّ الاوّل أولى.

[حصر العبادة والاستعانة لله تعالى]

و هذه الفقرة في إفادة الحصر كسابقه، و حصر الاستعانة به سبحانه نتيجة التوحيد في اسم الربّ بالمعنى المتقدّم الشامل لاسمي الضارّ والنافع؛ إذ من يعلم أنّه لاضارّ ولا نافع سوى الواحد القهار كيف يستعين بغيره ولم يجد معطياً سواه، ولا مغيث ولا مفزع ولا مهرب، ولا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه؟ وهذا توحيد غامض بحسب العلم، صعب المنال حالا وعملا، و بدونه لاتكمل حصر الاستعانة، فيكون القائل كاذباً؛ إذ مادام في النفس اعتقاد أو احتمال أنّ شيئاً يمكن الاستعانة منه، و يقدر على إعطاء معونة له، و إيجاد عون عليه لايكمل الانقطاع إليه سبحانه بتوحيد الاستعانة.

وهذا التوحيد من جزئيّات التوحيد في اسم المنعم المندرج تحت اسم الربّ، فانّ الاعانة وبذل المعونة من أعظم أنواع النعمة، والانعام باطلاقه من شئون الربوبيّة و إلى ما ذكرنا من صعوبة هذا الحصر ينظر ما ذكره شيخنا البهائي في جملة علل تقدّم العبادة على الاستعانة بقوله:

«إنّ التخصيص بالعبادة أوّل ما يحصل به الاسلام، و أمّا التخصيص بالاستعانة فانّما يحصل بعد الرسوخ التامّ في الدين، فهو أحقّ بالتأخير.»[1]

---

١) العروة الوثقى (المخطوط).

وملاحظة الربط بين أجزاء الكلام يغني عن هذا التوجيه وأمثاله ؛ إذ المناسب لذكر الصفات المتقدّمة وخصوصاً الصفة الاخيرة هو التخصيص بالعبادة وهو الاهمّ ، وبمنزلة النتيجة لما قبله لظهور أن لامستحقّ للعبادة إلا إيّاه من الآيات الثلاث .

وأمّا التخصيص بالاستعانة، فهو وإن كان من شئون الربوبيّة وغيرها إلا أنّها في مرتبة سائر الشئون من دون ظهور جهة يظهر خصوصيّتها ، بل هو بطلب الهداية أشدّ ربطاً و أظهر تعلّقاً ، مع أنّه لو عمّم متعلّق الاستعانة كانت العبادة لكونها أهمّ و أعظم أولى بالتقدّم . و إن خصّصت بالعبادة فالاستعانة مقصودة لغيره ، و المطلوب لذاته أشرف و أولى بالتقديم و إن تأخّر ذو المقدّمة في الوجود عن المقدّمة .

و لعلّ في تذييل حصر العبادة بحصر الاستعانة دفعاً لما يعرض القارئ حال دعوى العبادة من مبادي العجب ، أو لما يوهمه الكلام من كونه مستقلاً في إيجاد العبادة ، كما أنّ الحقّ مستقلّ في الربوبيّة وغيرهما من الصفات المتقدّمة .

[في دلالة الآية على بطلان الجبر والتّفويض]

ومن هنا يظهر أنّ هذه الآية تبطل الجبر بالشطر الاوّل ، والتفويض بالشطر الثاني ، و أنّ تمسّك كلّ منهما على بطلان الآخر به صحيح ، و على صحّة مذهبه باطل بل هو نصّ في نسبة فعل العبادة والاستعانة إلى العبد ، و في كون المعونة من الله سبحانه ، و إنّما يطلبها العبد منه سبحانه ، فليست في يده و تحت قدرته و إلا لما طلبه من غيره . فالعبد عابد بعون الله سبحانه ، و فاعل كذلك ، و الله سبحانه معين له ، لا موجد الفعل عليه قهراً بالمعنى . فالشطر الاخر نفى الجبر أيضاً ، كما أنّ باقي السورة نفي لهما معاً ، بل كلمة الجلالة بالمعنى المتقدّم تدلّ على نفيهما ، إذ المعبود لايكون معبوداً بالفعل ما لم يكن عابد يعبده باختياره . و من يستقلّ العباد عنه و يستغنون عنه في أفعالهم ليس معبوداً بعنوان مطلق ، و كذلك ربّ

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

العالمين ينفي التفويض ؛ إذ المربوب بقول مطلق لايستقلّ عن ربّه و ربوبيّته في جهة من الجهات ، وباعتبار أن إعطاء الاختيار للمربوب من الشؤون الداخلة تحت الربوبيّة ينتفي الجبر ، كما أنّها من الرحمة الرحمانيّة ، فلو لم يعط نقصت الرحمة ، ولو استقلّ العبد بها لم يكن كلّ رحمة منه حدوثاً وبقاءً وكمالاً . وفعل الخيرات من آثار الرحمة الرحيميّة أو موجباتها ، ولو لا الاختيار لاستوت العباد كلّها في استحقاق الرحمة الاخرويّة . ولم يكن للدين و الحساب والجزاء معنى حتّى يوصف الحقّ بكونه مالكاً أو ملكاً له ، فتبصّر .

[في شرائط الاستعانة ولوازمها]

ثمّ إنّ الاستعانة إنّما يستحسن في مقام يكون المستعين محتاجاً لايقوي على أمره بنفسه ، ويضعف عن تحمّله بنفسه ، والمستعان عالماً بحاله و استعانته ، وقادراً على إعطاء المعونة والعون له ، وجواداً لايبخل بما يقدر عليه ، ومجيباً لطلب الطالبين و سؤال السائلين ؛ إذ لو لم يعلم بحاله أو باستعانته منه ، أو كان عاجزاً عنه ، أو قادراً بخيلا لايبذل على المحتاجين ، أو كان غير معتن بسؤال السائلين لايجيبهم إذا سألوه كانت الاستعانة لغواً لا يترتّب عليه المقصود . و إذا علم المستعين استجماع هذه الشرائط انبعث في قلبه حالة استدعاء هو حقيقة الدعاء والطلب ، وتصير سبباً لاظهار الطلب والسؤال باللّسان وغيره ، وبقدر قوّة هذا العلوم وحضورها عند نفس السائل يقوي حالة السؤال ، ويتأكّد همّه فيه و في الالحاح به ، و بقدر زيادة الحاجة في السائل يكون لزوم السؤال عليه أشدّ ، وبقدر استجماع المسئول الشرائط كمالاً ونقصاً يكون عرض السؤال عليه أليق ، و بقدر علم السائل بكمال الشرائط في المسئول يكون انصراف قلب السائل نحو الاستدعاء . وهذه هي القاعدة في الدعاء بعنوان مطلق .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[شدّة فقر العبد إلى الله وارتباط حصول الاستعانة مع درجات الفقر]

ثمّ إنّ الممكن لمّا كان من لوازم ذاته الفقر، بحيث يمتنع امتناعاً عقليّاً ارتفاع الحاجة منه في مرتبة ذاته في ذاته و وجوده وبقائه وصفاته، وممّا يتوقّف عليه شيء من ذلك من الامور الداخليّة والخارجيّة، و في أفعاله ومقدّمات أفعاله من حوله وقوّته و توفيقه، و تهيّيء الاسباب الخارجيّة و غيرها، و بالجملة هو فقير مطلق في كلّ شأن من شئونه، و كلّ حيثيّة من حيثيّاته من كلّ جهة من الجهات، فكلّ فعل عبادة وغيرها أراد صدوره كان محتاجاً إلى جميع ما أشرنا إلى جملة حتّى يستتمّ له ذلك، وليس وجوده قبل زمان الفعل رافعاً لاحتياجه، بل هو محتاج إلى الوجود حال الفعل من دون فرق بين أن يكون قبله موجوداً أو لا، وليس حال الممكن في بقائه إلا كحاله حين الحدوث من جهة الافتقار إلى المؤثّر. فكلّ آن فرض للممكن فهو مفتقر إلى علّة وجودها في ذلك الآن من دون فرق بين وجوده سابقاً وعدمه؛ إذ لا ربط لوجوده سابقاً في وجوده لاحقاً. وحينئذ فما أعطي من النعم و المقدّمات ليس مغنياً للممكن بحيث يرفع حاجته، بل هو في كلّ آن محتاج مطلق، و كلّ آن رفع حاجته باغناء الغنيّ له صورة في مرتبة متأخّرة عن ذاته بقي بالنسبة إلى الحال اللاحق فقيراً مطلقاً، وهكذا يمتدّ الفقر منه والعطاء من الحق بقدر ما شاء من إغنائه.

فاذا عرف العبد حاله بالنسبة إلى جميع شؤونه وأموره من عبادة وغيرها على ما وصفنا تحقّق الشرط الاوّل إذا كان متذكّراً لحاله، و إذا تذكّر الاوصاف الاربعة للحقّ من الالوهيّة والربوبيّة والرحمانيّة والرحيميّة علم أنّ الحقّ عالم به و باستعانته، و قادر على إعانته، و جواد لايبخل، و أنّ من شأنه إجابة دعاء المحتاجين؛ إذ الجميع صفات كماليّة يندرج تحت كلمة الجلالة، و لو لا العلم بالحال و القدر على الاعانة و الجود المطلق لم يستحقّ له إثبات ربوبيّة العالمين،

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

و إجابة الدعاء ظاهر من صفة الرحمة ، بل و من الربوبيّة أيضاً . و إذا لاحظ مع ذلك وقوع يوم الدين ظهرت شدّة فاقته إلى أمور دينه ، وتمّ ظهور فقره واضطراره إلى تحصيله . وإذا لاحظ أنّ مالكه هو الله سبحانه يقيم على كلّ أحد على ما يشاء ظهر أنّ السعادة والشقاوة تحت حكمه وملكه ، فلابدّ من الاستعانة به لتحصيل السعادة و دفع الشقاوة عن نفسه . و إذا لاحظ شدّة خطر طريق الآخرة و دقّة صراطه و أسرار دينه و نكاته علم أنّه لاينجو من مهالكه أحد إلا باعانة الحقّ سبحانه ؛ « لا الّذي أحسن استغنى عن عونك و رحمتك . » [١]

وبقدر ظهور هذه المعارف في القلب يكون كمال الاستعانة وضعفها وعمومها للأحوال والشؤون كلّها ، واختصارها وانصراف قلب المستعين نحو المستعان منه .

و في هذا المقام يتفاوت درجات العابد تفاوتاً لاتحدّ ، فأعلاها درجة الفقر المطلق ، الّذي اتصّف بصفة الالتجاء والاعتصام الكلّي بربّه ، الّذي لايخرج منه فرد ، وشأن الداعي ربّه أن لايكله إلى نفسه طرفة عين أبداً في شأن من شؤونه .

ومـمّا ذكرنا ظهر وجه ارتباط هذه الآية بالآيات السابقة مفصّلاً ، و أنّ القارئ بقلبه الآيات الثلاث يصل إلى مقام العبادة مع التوحيد و الاستعانة المطلقة منه سبحانه ، ونفي الاستعانة بغيره . وظهر إجمالاً أنّ غير الحقّ لايليق الاستعانة ، ولو فرض تحقّق هذه الشرائط في غير الحقّ فلم يترك الاستعانة بربّه الموسوم بتلك الأسماء العظام ، ويستعين بمن فيه هو مثله في صفات الامكان والجهل والعجز وقلّة الجود الصوريّ المشغول همّه بنفسه عن غيره . فقايس بين الحالين ، وانظر فيه قبائح الاستعانة بغيره سبحانه .

---

١) هذه فقرة من مناجات علي بن الحسين ــ عليهما السلام ــ في أسحار شهر رمضان، المروية عن أبي حمزة الثمالي . نقله الشيخ (ره) في مصباح المتهجد ، الجزء الثاني ، ص ٥٢٤ .

[تحقيق حول الهداية والصراط]

اهْدِنا الصِّراطَ المُستَقيمَ

عن المعاني وتفسير الامام عليه السلام عن الصّادق عليه السلام : يعني :

« أرشدنا للزوم الطريق المؤدّي إلى محبّتك ، والمبلغ إلى جنّتك [1] ، و المانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب ، أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك . » [2]

و عن أمير المؤمنين عليه السلام : يعني :

« أدم لنا توفيقك ، الّذي أطعناك به فيما مضى من أيّامنا [3] حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا . » [4]

[معنى الهداية]

أقول : الهداية مطلق الارشاد والدلالة بلطف سواء كان معها وصول إلى البغية أم لا ، و سواء تعدّت إلى ثاني المفعولين بنفسها أو بالحرف ، بل لا يبعد أن يكون التقييد باللّطف أيضاً زائداً ، فيكون مطلق الارشاد و إرائة الطريق هداية ؛ لكنّ الارشاد و الدلالة إذا لم يقبله المهديّ ، و لم يعمل بحسبه لما لم يظهر أثره

---

١) في المعاني : « دينك » .

٢) المعاني ، باب معنى الصراط ، ص ٣٣ ؛ و تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ١٥ و ١٦ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٣ .

٣) في المعاني والصافي : « في ماضي أيامنا » .

٤) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ من هذه الصفحة .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

في الخارج ، فربّما يفرض كأن لم يكن ، لا أنّ الايصال إلى المطلوب معنى آخر للهداية مستقلاً ، بل هو ظهور إراءة الطريق في آثاره وغايته المقصودة منه ، كما أنّ كلّ شيء لايترتّب عليه غايته المقصودة منه ربّما نزّل منزلة عدمه .

قال الجوهري : « هديته البيت هداية أي : عرّفته ؛ هذه لغة أهل الحجاز ، و غيرهم يقول : هديته إلى الطريق وإلى الدار ، حكاها الاخفش . »

و الصراط جادّة ، لأنّه يسترط السابلة ؛ أي : يبتلع أبناء السبيل المختلفين ، و قيل : « لأنّهم يسترطون الطريق . »

و المستقيم ما لا عوج فيه .

و ربّما ظهر من الروايتين أنّ المراد بالهداية هنا هو إعطاء الهداية والرشاد على وجه يترتّب عليه لزوم الطريق ، ويعبّر عنه بالتوفيق ، فانّ الهداية من شأنها التأثير في العمل على حسبها ، فان لم يؤثّر فإمّا انقصان فيها لعدم كمالها ، أولمانع يمنع من تأثيره . و لمّا كان المقصود بالدعاء هو الهداية الكاملة المؤثّرة فسّرت بالتوفيق تارةً ، والارشاد للزوم الطريق أُخرى ؛ إذ الهداية الّتي لاتؤثّر في العمل ولايتبعها صاحبها ربّما كان ضررها أكثر من منفعتها، لأنّه أشدّ تقصيراً من الجاهل؛ « يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد . » كما في الحديث [١] .

و أمّا تفسير الهداية بإدامتها فليس مجازاً ؛ إذ العبد في كلّ وقت و حال محتاج إلى الهداية ، ولو كان مجازاً فلعلّه باعتبار مقامه ﷺ حيث اجتمع له جميع أنواع الهداية إلى الصراط فعلاً .

---

١) رواه الكليني (ره) في الكافي. ج ١، باب لزوم الحجة على العالم وتشديد الامر عليه ، ص ٤٧ ، ح ١ ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[معنى الصّراط وصفاته]

و أمّا الصراط ، فعنه عليه السلام أنّ :

« الصراط المستقيم في الدنيا ما قصر عن الغلوّ ، و ارتفع عن التقصير واستقام ، وفي الآخرة طريق المؤمنين إلى الجنّة .»[1]

و في المعاني عن الصادق عليه السلام :

« هو الطريق إلى معرفة الله ، و هما صراطان : صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة . فأمّا الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة ؛ من عرفه في الدنيا و اقتدى بهداه مرّ على الصراط الّذي هو جسر جهنّم في الآخرة . ومن لم يعرفه في الدنيا زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردى في نار جهنم.»[2]

وعنه عليه السلام أنّ :

« الصراط أمير المؤمنين عليه السلام . »[3]

و في أُخرى أنّه :

« معرفة الامام عليه السلام . »[4]

و في أُخرى :

١) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٢ ص ٣١٦ .

٢) المعاني ، باب معنى الصراط ، ص٣٢ ، ح ١ ، عن المفضّل بن عمر ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٤ ؛ والبحار ، ج ٨ ، باب الصراط ، ص ٦٦ ، ح ٣ .

٣) المعاني ، باب معنى الصراط ، ص ٣٢ ، ح ٢ ، عن عبيدالله الحلبي ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٤ ؛ ونورالثقلين ، ج ١، ص ٢١ ؛ و رواه أيضاً العياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٤ ، ح ٢٥ ، عن داود بن فرقد ، عنه ــ عليه السلام ــ .

٤) القمي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ ؛ و الصافي ، ج ١ ص ٥٤ ؛ ونورالثقلين ، ج ١ ، ص ٢١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« نحن الصراط المستقيم . »[1]

وروى القمي باسناد معتبر عن الصادق عليه السلام في قوله : «الصراط المستقيم» قال:

«هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين عليه السلام قوله : « و انّه في أُمّ الكتاب لدينا لعليٌّ حكيم»[2]، و هو أمير المؤمنين في أم الكتاب في قوله :« الصّراط المستقيم . »[3]

ثمّ روى باسناده عن حفص أنّه قال :

« وصف أبو عبدالله عليه السلام الصراط ، فقال : ألف سنة صعود ، وألف سنة هبوط ، وألف سنة حدال . »[4]

وباسناده عن سعدان بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« سألته عن الصراط ، فقال : هو أدقّ من الشعر ، وأحدّ من السيف ، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ، و منهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من

---

١) المعاني ، باب معنى الصراط ، ص ٣٥ . ح ٥ ، عن ثابت الثمالي ، عن علي ابن الحسين ـ عليهما السلام ـ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص٥٤ ؛ ونورالثقلين ، ج ١ ، ص ٢٢ .

٢) الزخرف / ٤ .

٣) القمي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، عن حماد ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و رواه أيضاً الصدوق (ره) بهذا الاسناد في المعاني، باب معنى الصراط ص ٣٢ ، ح ٣ ؛ ونور الثقلين، ج ١ ، ص ٢١؛ وأورده أيضاً السيد هاشم البحراني (رض) مع الاحاديث المتقدمة في هذه الآية في معالم الزلفى . الباب الثاني والثلاثون من الجملة الاولى ، ص ٢٦ و٢٧ .

٤) الحدال بضم الحاء المهملة : الاملس كما في القاموس وفي المخطوطة : «خذال»، و في نورالثقلين : « حذال » . والحديث : نفس المصادر غير المعاني ؛ وهكذا أورده محمد ابن علي بن إبراهيم في كتاب « العلل » كما في البحار ، ج ٨٥ ، باب القراءة وآدابها من كتاب الصلاة ، ص ٥٢ ، ح ٤٣ .

يمرّ عليه حبواً، و منهم من يمرّ عليه متعلّقاً ، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك منه شيئاً . »[1]

و في رواية أُخرى : « أنّه مظلم يسعى الناس عليه على قدر أنوارهم . »

اقول :

وتحقيق الكلام في الصراط بحيث يجتمع به هذه الاخبار يقتضي بسطاً ما في الكلام لابأس بايراده هنا ؛ لأنّه من المهمّات ، و يتفرّع عليه كثير من المطالب ، فنقول ـ وبالله التوفيق ، ومنه الاستعانة إلى سواء الطريق ـ :

إن لكلّ من أمثال هذه الكلمة معنىً ظاهريّاً و حقيقة بمنزلة الصورة والمعنى ، و كلاهما حقّ صحيح .

[الصّراط في الدّنيا هو الدّين]

أمّا المعنى الظاهري للصراط ، فهو أنّ لكلّ مقصد من مقاصد الانسان وسائل ومقدّمات لايصل إليه إلا بها ، ويعبّرعنها بالطريق وما يرادفه لها ، فيقال: طريق تحصيل الغنى هو التجارة ، و طريق حصول الصحّة للمريض شرب الدواء ، وطريق قرب السلطان خدمته ، و وجه المناسبة واضح ، فانّ الانسان كما لايصل إلى المكان الذي قصده إلا بطيّ طريقه ومسافته ، كذلك لايصل إلى تلك المقاصد إلا بطيّ تلك الوسائل والمقدّمات ، فهي واسطة بين الانسان ومقصوده ، و كلّ جزء من أجزاء هذه الواسطة حصل قرب حصول المقصود له ، كما يقرب الغاية المكانيّة بطيّ جزء المسافة .

و حينئذ فنقول : لاشكّ أنّ الوصول إلى نعيم البرزخ والآخرة بأقسامها

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٣١٩ ؛ وأيضاً رواه الصدوق (ره) في الامالي، المجلس الثالث والثلاثون ، ح ٤ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وأنواعها موقوفةعلى معارف‌وإخلاق وأعمال هي الموصلة إليها ، ويعبّر عن‌مجموعها بالدين والشريعة ؛ كما قال صلى الله عليه وآله :

« ما من شيء يقرّبكم إلى الجنّة و يباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به ، وما من شيء يقرّبكم إلى النار ويباعدكم من الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه .»[1]

على ما يخطر ببالي من ألفاظ الحديث . أو قريباً من ذلك .

وحينئذ فصراط نعيم‌الآخرة وصراط الذين أنعم‌الله عليهم هوالدين والعبادة؛ « و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم . »[2]

و وصفه بالاستقامة إمّا باعتبار التوسّط‌وترك الافراط والتفريط فيه ، وإمّا باعتبار كون سلوكه كسلوك الطريق المستقيم في‌سرعة الوصول إلى المقصود وقربه، إذ بين كلّ‌مكانين خط مستقيم‌واحد هوأقصر الخطوط‌المتصوّرة ، وخطوط معوّجة هي أطول منه على حسب بعده من الاستقامة وقربه إليها ، وسالك المستقيم أسرع وصولاً من سالك كلّ منها ، وكذلك بين الانسان و الوصول إلى المقصد طريقة هي‌أقرب الطرق‌إليه فهوالمستقيم، وطرق بعيدة لعدم‌تمحّضها من المقرب، بل هو بين تقريب وتبعيد ، كما أنّ الطريق‌المنحرف مشتمل‌على توجّه نحوالمقصود وانحراف عنه ، وكأنّه مركّب من المستقيم و غيره و بقدر ما فيه من المستقيم يوصل إلى المقصود . و حينئذ فسالك طريق العبوديّة و الطاعة المحضة هو السالك للصراط المستقيم ، والآخرون الّذين خلطوا بينه وبين غيره سالكون طرقاً منحرفة ، لكن

---

١) أورده ابن شعبة الحرّاني (رض) في تحف العقول ، في جملة مواعظه ـ صلى الله عليه وآله ـ ، ص ٢٨ . لفظه هو : « انه والله ما من عمل يقربكم من‌النار الا وقد نبأتكم به ونهيتكم عنه ، وما من عمل يقربكم من الجنة الا وقد نبأتكم به وأمرتكم به . »

٢) يس / ٦١ .

بقدر ما فيه من الطريق المستقيم يقربون إلى المقصود . فان كان غالباً أدّاه بالآخرة إلى المطلوب ، وإلا فهالك أو مرجي لأمر الله ، إمّا يعذّبهم ، وإمّا يتوب عليهم ١ .

ثمّ إنّك إذا مثّلت الاعمال القلبيّة والجوارحيّة الصادرة من عباد الله مدّة أعمارهم في نفسك مع دخولهم الجنّة بعد وفاتهم ، رأيت تلك الامور الاختياريّة كأنّها طيّ مسافة كانت واقعةً بين هؤلاء والجنّة ، فلمّا سلكوها وقطعوها وصلوا إلى مقصودهم ، كما أنّ أعمال الكفّار والفجّار طريق لهم إلى النار كذلك . فلمّا قطعوه وقعوا فيها . فهذا صراط المغضوب عليهم والضالّين ، وهو صراط الّذين أنعمت عليهم وصراط العبوديّة والعبادة .

[الصّراط في الآخرة هو جسر معهود وبيان ارتباطه مع صراط الدّنيا]

هذا كلّه في المعنى الظاهريّ في عالم الدنيا ، و أمّا في عالم الآخرة ، فهو جسر ممدود على متن جهنّم لابدّ في الوصول إلى الجنّة من المرور عليها على ما ورد في الشرع من صفاتها و ما يتعلّق بها . و الاعتبار يقتضي أن يكون سلوك ذلك الصراط مطابقاً لسلوك الصراط المتقدّم في دار الدنيا ، فهو يمرّ غداً على ذلك الصراط على نحو ما يسلكه اليوم ، إلا أن يتدارك حاله برحمة خاصّة يغيّر حاله .

و هو أدقّ من الشعر و أحدّ من السيف ، كما أنّ لكلّ شأن من شئون العبوديّة حدّاً ومعياراً يكون الخروج منه غلوّاً أو تقصيراً خارجاً عن الاستقامة . ففي مقام المعرفة تنتهي الدقّة إلى حدّ لا يوصف خصوصاً في معرفة الحقّ ، فقلّ ما يكون معرفته مطابقة لما عليه الواقع من جميع الوجوه ؛ وفي مقام الاخلاق حدّه التوسّط بين الافراط والتفريط والعدالة ؛ وفي مقام العمل الاتيان بالاعمال مستجمعاً لجميع الحدود والشرائط الظاهريّة والباطنيّة للصحّة والكمال والقبول .

١) كما يشهد له قوله تعالى في آية ١٠٦ من سورة التوبة وهي: « وآخرون مرجون لأمر الله إمّا يعذّبهم وإمّا يتوب عليهم . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و يختلف الناس في المرور عليه، كما يختلفون في القيام بوظائف الدين اليوم.

و هو مظلم يسعى الناس فيه على قدر أنوارهم، كما أنّ أمر الدين في الدنيا كان مشتبهاً مظلماً، ولا يعمل أحد إلا بمقدار نور إيمانه ومعرفته.

[الأئمّة ـ عليهم السّلام ـ هم الصّراط ومعرفتهم معرفته]

ثمّ إنّ للدّين أصولاً وفروعاً وأخلاقاً وأعمالاً لو كان شخصاً حسّيّاً وقالباً مرئيّاً لكان أمير المؤمنين والائمّة عليهم السلام؛ لأنّهم عليهم السلام في كلّ مقام منه كلّه قد استجمعوا جميع أنحائه، ففي مقام الايمان والمعرفة هم كلّ الايمان والمعرفة، و في مقام كلّ خلق حسن هم الكاملون فيه، بحيث لا يخرج عن صفاتهم شيء من ذلك الخلق، بل كلّ ما كان زائداً على ما وجد فيهم فهو خارج عن العدالة، وليس جزء من الدين، وكذلك في مقام الاعمال، فعملهم هو العمل المطلوب في الدين. ولو لم يكونوا كذلك لم يؤمر بالاقتداء بهم، والاخذ بسنّتهم، والتأسّي بهم.

فاذا كان الدين صراطاً في الدنيا كان حقيقته وصورته الخارجيّة صراطاً من عرفه و اقتدى بهداه نجى؛ لأنّ معرفته على هذا الوجه و الاقتداء به هو الدين، ولا يعرف الدين إلا من جهتها، فالامام صراط باعتبار كونه صورة الدين وحقيقته الخارجيّة، ومعرفته صراط؛ لان معرفته كذلك معرفة الدين، ومعرفة الدين هو الصراط، والعمل به سلوك الصراط، وهو الاقتداء بهم والاستنان بسنّتهم و الاخذ بطريقتهم في كلّ مقام؛ إذ كلّ شأن من شؤونهم داخل في الدين، و ليس للدين شأن خارج عن شؤونهم، فهم أرباب الدين بقول مطلق.

ثمّ إنّ للانسان سيراً معنويّاً إلى الله سبحانه يعبّر عنه بالسلوك إلى الحقّ، يوصل الانسان إلى مقام الحقيقة، و هو مشتمل على طيّ مسافة و منازل معنويّة

حتّى يصل العبد إلى مقصوده . و ربّما يظهر لسالكه هذا الطريق في خلسة أو رؤيا ، فيراه على ما هو عليه من الصورة ، ويرى نفسه سالكاً فيه ، وهو صراط مستقيم إلى معرفة الله سبحانه ، ومشتمل على عبادات جسمانيّة و روحانيّة ، و تقوى ظاهريّة وباطنيّة ، و تحصيل حقيقة الاقتداء بالامام ﷺ حالاً و عملاً و علماً ، وتشبّه به ﷺ ، وبه يظهر معرفة الامام ؛ إذ من لم يكن عنده حظّ ما من شيء لايعرف حال من له الحظّ الاوفر منه ، فمن لم يذق شيئاً لم يدر ما حال الذائقين . فكلّ مقام ليس للعبد فيه نصيب فهو محروم من معرفة أهله من هذه الصفة ، على أنّ معرفة الائمّة ﷺ على نحو حقّ اليقين موقوف على حصول الارتباط المعنويّ بهم ، وظهور مقامات ولايتهم الباطنيّة على النفس المتّصلة بهم ، حتّى يكون تصديقه بامامتهم عن عيان ، لا عن خبر وسماع .

ولعلّه إليه يشير ما ورد في صفات الشيعة وحصر الشيعة فيمن اتّصف بصفات على ما ذكره المحدّثون في أخبار كثيرة ، فراجع [1] .

[للعلوم والعقل مدخليّة في السّير إلى الله]

ثمّ إنّ للعلوم و الادراكات جوهرة نورانيّة ، و للجهل المركّب والكفر و الشرك جوهرة ظلمانيّة في عالم وراء هذا العالم ، و للأخلاق الحسنة و السيّئة تشكّلات بهيّة وقبيحة ، وللاعمال الحسنة والسيّئة تجسّمات حسنة وقبيحة ، فتصير العلوم والمعارف والاخلاق والاعمال جواهر مجرّدات عن المادّة العنصريّة في غيب هذا العالم ، إمّا في طرف علّيّين الّذي يشهده المقربون فيصعد بصاحبه إلى ذلك العالم ، و إمّا في طرف سجّين الذي يقابله فيهبط به إليه ، كما كان كلّيّات هذه

١) راجع كتاب « صفات الشيعة » للصدوق (رض) ، وقد جمع فيه أحاديث كثيرة في هذا المعنى .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الامور الثلاثة جواهر قبل ظهورها في هذا العالم. فكلّ خير منها بمنزلة خطوة يقرّب الانسان إلى علّيّين، فهو سلوك صراط مستقيم، وكلّ شرّ منها بمنزلة قدم يقرّب إلى أسفل السافلين، فهو سلوك بالنسبة إليه، بل هيهنا سموات سبعة وأرضين سبعة، لكلّ منها سكّان واقتضائات وأهل، وكلّ إنسان بحسب مقام باطنه ساكن في واحد منها إن كان واقفاً، ومقيم فيه مسافر إلى غيره إن كان متبدّلاً، فالانسان وإن كان ببدنه في الدنيا لكنّه بباطنه في أحد تلك الاماكن فسالك السماء وما فوقها سالك الصراط المستقيم.

ثمّ إنّ للعقل الكلّي المجرّد جنوداً من الملكات و الاعمال و العلوم في عالم المجرّدات، وللجهل الكلّي البسيط الظلماني جنوداً كلّيّة تقابل تلك الجنود على تفصيل مذكور في الاخبار [1]. وهي بمنزلة الاصل بالنسبة إلى ما يظهر فينا منها. والعقل نازل عند العرش في مقام القرب إلى الله سبحانه، والجهل ساكن في مقابله، فبقدر ظهور كلّ من الجندين في الانسان يقرب الانسان من منزل سلطانه ومأويه، فهو سلوك صراط بالنسبة إليه.

ثمّ إنّ للانسان كان مقاماً خاطبه ربّه بـ «ألست بربّكم»، فقال: بلى [2]. ثمّ نزل بعد ذلك حتّى وصل إلى هذا العالم المشحون بأسباب الغفلة و البعد عن الحضور عند المعبود. وله عروج عنها يصل به إلى ذلك المقام الّذي كان له أوّلاً. ولعلّ إليه يشير ماورد من أنّ: «الصلاة معراج المؤمن.» [3]

---

١) كرواية رواها الكليني (ره) في الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، ص ٢٠، ح ١٤؛ والصدوق (ره) في الخصال والعلل، والبرقي (ره) في المحاسن كما في البحار، ج ١، باب علامات العقل وجنوده، ص ١٠٩، ح ٧. وكلهم رووها عن سماعة بن مهران، عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ.

٢) ناظر إلى قوله تعالى: «... واشهدهم على أنفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ...» (الاعراف / ١٧٢).

٣) حديث نبويّ مشهور.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

فهو سلوك صراط مستقيم يوصله إلى ربّه، كما كان واصلاً قبل ذلك، حتّى يقابل القوس الصعودي القوس النزولي . ولعلّ إليه الاشارة بقوله تعالى :

« لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا ـ الخ . » ١

فتدبّر وتأمّل .

[طلب الهداية من أهمّ أفراد الاستعانة]

ثمّ إنّ العبد لمّا كان في كلّ حركة وسكون و كلام و سكوت و حال من أحواله ينقسم إلى أقسام ثلاثه : مقرّب له إلى ربّه ، و إلى رضوانه و كرامته ، وإلى مقام أوليائه عنده ، وإلى إفاضاته المعنويّة والبركات الباطنيّة ، وإلى ثوابه ونعمته في البرزخ والقيامة الكبرى والجنّة ؛ ومبعد له عنه سبحانه ، و عن رضوانه ، وعن مقام أوليائه ، وعن الكرامة والنعيم ؛ مقرب له عن الهوان والغضب ، و عن مواطن أعدائه من شياطين الانس والجنّ ، وإلى الشقاوة المعنويّة والزجر المعنويّ والعقاب في البرزخ والقيامة والنار ، ومتوسّط لاخير فيه ولا شرّ ، و كان الامر ملتبساً في هذه الدار الظلمانيّة البعيدة عن عالم النور ، مع شدّة الحاجة إلى معرفة ذلك في جميع أنحائه وشئونه وتنقّلاته واجتماعاته وافتراقاته وأفكاره وأنظاره ولحظاته ، كان أهمّ الامور بعد الالتزام بالعبوديّة والاستعانة بالحقّ بعنوان مطلق طلب الهداية إلى صراط الحقّ المؤدّي للانسان إلى نيل كلّ مطلوب ؛ كما يشير إليه لفظ « انعمت عليهم » بقول مطلق . وكان هذا من أعظم أفراد الاستعانة المطلقة ، كما أنّ الاستعانة الحقيقيّة من معظم أقسام العبوديّة و العبادة ، وبه يظهر ارتباط هذه الآية بما قبلها ؛ مع أنّ بعد الحضور بين يدي السلطان المطلق وعرض العبوديّة له وتخصيص الاستعانة به ، الدالّ على العجز و النقص ناسب عرض الحاجة المهمّة

١) التين /٤ـ٦.

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الّتي لا أهمّ منها للعبد، وهو طلب الهداية.

[أنحاء سلوك الصّراط في يوم القيامة]

و لهداية الله سبحانه عبده و استجابته هذا الدعاء أنحاء، أظهرها في هذا العالم، وسببه العادي الشائع هو الهداية بتوسّط هاد من جنسه، وهو النبيّ والامام بعد تعريف العبد إيّاه؛ إذ هو الواسطة بين الحقّ في مقام الهداية، والمبيّن للحقّ بكلامه وعلمه و خلقه وعمله، وكلّ من كان علمه به أكثر كان أعلم بالحقّ؛ إذ هو مع الحقّ والحقّ معه، فمعرفته معرفة الصراط، وهو الصراط. حيث انّ المقتدي به في الجنّة و تاركه المعاند له في النار. فمن كان ثابتاً معه نجى، كالثابت على الصراط، والمتخلّف عنه هالك، كالّذي زلّ عن الصراط. و الثابت معه في طريقته إمّا ثابت باستقامة وقوّة بلا كلفة، فهو مارّ على الصراط راكباً أو كالبرق؛ و إمّا مع كلفة يسيرة فهو كالماشي على الصراط؛ وإمّا مع تكلّف شديد بلاقوّة فهو كمن يمرّ حبواً؛ ومنهم: من يثبت تارةً وينحرف أخرى، أو من جهة دون جهة، فهو كمن يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً.

و ليس الغرض الاصليّ من معرفة الامام معرفة شكله و أوصافه البشريّة؛ إذ الكفّار والفجّار المشاهدون له يعرفون ذلك كلّه، ولا يعرف شيئاً منها الموالي له الغائب عن خدمته، بل معرفة إمامته و ما يتعلّق بامامته، و هو حقيقة مصداق الدين والصراط المستقيم، فالمقتدي به هو السالك للصراط المستقيم.

وعلى هذا فيتّحد طلب الهداية إلى الصراط وطلب معرفة أمير المؤمنين عليه السلام على الوجه المتقدّم، فهو مذكور في أمّ الكتاب على ما مرّ. ولعلّ وصفه حينئذ بالعلوّ لوصوله إلى المقصود وتكميله السير على الصراط، ولاتقانه العلم و العمل وهما الجزئان للصراط، أو لسلوكه على ما مرّ.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ويمكن أخذ الاسم الاوّل علماً في هذا النحو من التأويل، و الحكم خبر مبتدأ هو ضمير له، ويكون الغرض الاخبار عن حكمته وصلاحيّته للامامة العامّة، و التعبير بـ «لدينا» إشارة إلى نهاية قربه من الله سبحانه، أو ثبوت كونه كذلك عند الحقّ مصوناً عن التغيير والتبدّل.

[معرفة الامام هي معرفة الله ومعرفة النّبيّ والدّين والعبوديّة والرّبوبيّة]

ثمّ إنّ الّذي يظهر من التأمّل في صفة الامام أنّه مظهر للحقّ بآيتيّته له، و ظهور أسمائه سبحانه فيه، و صيرورته عين المعرفة بالحقّ، فمعرفته معرفة الحقّ، و هو الطريق إلى معرفة الله سبحانه بفنائه عن نفسه و بقائه بربّه، وفناء صفات نفسه وظهور انعكاس صفات الحقّ فيه، وفنائه عن إراداته و تبعيّته المطلقة لارادة ربّه بظهور إرادة الله سبحانه فيه، وفنائه عن أفعاله وظهور أفعال الحقّ فيه، فهو مرآة لمعرفة الله بعنوان مطلق ولمعرفة النبيّ ﷺ؛ لأنّه مماثل له نائب عنه وخليفة له، قائم مقامه في جميع الشؤون سوى خصائص النبيّ.

وهو مظهر صفة العدل، لكونه عادلاً في شؤون نفسه و في شؤون العباد كلّها، وهو حاكٍ عن المعاد بجامعيّته حيث إنّ الّذي يظهر من صفة المعاد هو الجمع بين العوالم المتضادّة، وتوافق العوالم وظهور البعض في الآخر، وهذا ظاهر صفة الامام. و باستشرافه على عالم الآخرة فالعارف بالامام هو العارف بأصول الدين على التفصيل.

ثمّ إنّه مع ذلك عبد مطلق ظهر فيه العبوديّة بكمالها وتحقّق فيه، فمعرفته معرفة العبوديّة، كما أنّها معرفة الربوبيّة، و متابعته خلقاً و إرادةً و عملاً هو العبوديّة والعبادة، فهو في صورة الصراط وحقيقته في الخارج.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

ثمّ إنّ هيهنا لحاظاً آخر، وهو لحاظ أنّه إن ذكر الخير كانوا أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأويه ومنتهاه، و الصراط المستقيم صراط اكتساب بالخيرات إلى أن يصل إلى المقصود، فهم عليهم السلام أصل الصراط المشتمل على جميع ما يقرّب العبد إلى الله سبحانه بهذا الاعتبار، ويحصل في غيرهم رشحات منه بقدر مرتبة تشيّعهم، كما أنّهم الاصل للطينة الطيّبة الّتي هي أصل الخيرات، وطين المؤمنين تبع في الخيريّة لطينتهم عليهم السلام.

و ربّما يرشد إلى ما ذكرنا أنّ فواتح السور بعد حذف المكرّرات يتركّب منها جملة: «عليّ صراط حقّ نمسكه.»[1]

ثمّ إنّ هداية الحقّ سبحانه لاتنحصر في الهداية الظاهريّة الّتي يحصل بتعلّم العلم صورةً من النبي صلى الله عليه وآله والائمّة عليهم السلام بالمشافهة، أو بمطالعة أخبارهم الحاكية عمّا صدر عنهم من قول أو عمل، أو بالاخذ عن تعلّم منهم عليهم السلام، وإن كان هو الطريق الظاهر العامّ العاديّ وكونهم مظاهر لاسم الهادي، بل هيهنا هداية من طرف العقل الذي هو حجّة داخليّ ابتداء، أو بملاحظة آيات الآفاق والانفس وهداية من طرف إلقاء الملك الموكّل بالقلب و روح الايمان، وهداية من طرف ما يجري الله سبحانه على ألسن العباد من الحكم، وهداية من طرف اتصال النفس المتصف بصفات التشيّع بالامام عليه السلام فيستمدّ منه، و هداية من طرف صحّة الحواسّ الباطنيّة المدركة لأمور غائبة عن مشاعر هذا العالم، و هداية بالنور الّذي يقذف في القلب، كما ورد في الحديث على ما ببالي:

«ليس العلم بكثرة التعلّم، بل هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد أن يهديه.»[2]

---

١) وقد أشار إليه الفيض (ره) في الصافي، ج ١، ص ٥٨.

٢) هذا كلام الامام الصادق ـ عليه السلام ـ في حديث عنوان البصري حيث قال ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و الظاهر تبعيّته في كلّ ذلك للامام ، كما كان تبعاً في الهداية السابقة ، فلا تغفل .

[أنحاء الهداية على ما ذكرها الشيخ البهائيّ (ره)]

وقال شيخنا البهائي ـ قدّس الله نفسه ـ :

« و اعلم ! أنّ أصناف هدايته جلّ شأنه و إن كانت ممّا لايحصر مقداره ولا يقدّر انحصاره إلا أنّها على أربعة أنحاء :

اولها : الهداية إلى جلب المنافع و دفع المضارّ ، باضافة المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة والقوّة العاقلة ، و إليه يشير قوله تعالى : « أعطى كلّ شيء خلقه ثمّ هدى » .[١]

وثانيها : نصب الدلائل العقليّة الفارقة بين الحقّ و الباطل ، و الصلاح و الفساد ، و إليه يشير قوله عزّ وعلا: « وهديناه النّجدين . »[٢]

و ثالثها : الهداية بارسال الرسل وإنزال الكتب ، و إليه يومي قوله تعالى : « و أمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى . »[٣]

و رابعها : الهداية إلى طريق السير إلى حضائر القدس ، والسلوك إلى مقامات الانس بانطماس آثار التعلّقات البدنية ، و اندراس أكدار الجلابيب الجسميّة ، والاستغراق في ملاحظة أسرار الكمال ، ومطالعة أنوار الجمال . وهذا النوع من

عليه السلام : « ليس العلم بكثرة التعلم ، انما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه . » أورده الشهيد الثاني ـ رفع الله درجاته ـ في منية المريد ، الباب الاول ، ص ٣٨ ؛ وقد علمت موضعه في الكشكول والبحار في تعليقة ٢ ص ٣٢٩ .

١) طه / ٥٠ .

٢) البلد / ١٠ .

٣) فصلت / ١٧ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الهداية يختص به الاولياء ومن يحذو حذوهم ـ ثم قال : ـ

فاذا تلا هذه الآية أصحاب المرتبة الثالثة أرادوا بالهداية المرتبة الرابعة ، و إذا تلاها أصحاب المرتبة الرابعة أرادوا الثبات على ما هم عليه من الهدى ، كما روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام[1] من تفسير « إهدنا » بـ « ثبّتنا » ، أو زيادته . »[2]

---

١) نقله أيضاً الطبرسي (ره) في جوامع الجامع ، ص ٤ .

٢) العروة الوثقى (المخطوط) .

[تحقيق حول النعمة والمنعم عليهم والمغضوب]
[عليهم والضالين]

صِراطَ الَّذينَ أَنعمْتَ عَلَيهِمْ

عن المعاني وتفسير الامام عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«أي: قولوا: إهدنا صراط الّذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك و طاعتك، لا بالمال و الصحّة، فانّهم قد يكونون كفّاراً أو فسّاقاً. قال[1]: وهم الّذين قال الله تعالى: **و من يطع الله و الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً.**»[2]

[الوسائط في إيصال النّعمة ليسوا منعمين]

اقول: حدّ النعمة بأنّها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان إلى الغير، فلو قصد الفاعل منفعة نفسه أو ّلا ّ لاعلى جهة الاحسان إلى الغير لم يكن نعمة، فلا يستحقّ الشكر، و قد نبّهنا سابقاً على التوحيد في اسم المنعم، و أنّ ما بنا من

---

1) من قوله: «لا بالمال» إلى هنا في الصافي فقط.

2) المعاني، باب معنى الصراط، ص ٣٦، ح ٩؛ وتفسير الامام ــ عليه السلام ــ، ص ١٧؛ والصافي، ج ١، ص ٥٥؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ص ٢٥٥، ح ٤٨.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

نعمة فمن الله [١] ، و كلّ نعمة وصلت إلينا بتوسّط أحد من المخلوقين ، فخالقها وخالق الواسطة و جاعله واسطة فيه هو الحقّ ، فمثال الواسطة مثال العبد الّذي سخّره مولاه و أمره بأن يوصل إلينا طعاماً من أطعمته ، فهو ليس بمنعم علينا أصلاً ، ولايستحقّ الشكر ؛ لأنّ الطعام والعبد والتسخير كلّها من المولى ، وليس العبد محسناً إلينا ، وإنّما متسخّر لما سخّره مولاه . و كذلك لايستحقّ الواسطة بيننا و بين النعم اسم المنعم ولا الشكر عليها ، فانّه مسخّر تحت داعيه سخّرها مسبّب الاسباب ليوصل إليك ما قدّره لك ، ولا يقصد بفعله ابتداءً إلا نفع نفسه . وحيث رأى منفعة نفسه في الانعام الصوري صيّر نفسه واسطة في وصول النعمة الّتي خلقها خالقها وهو باقية على ملك مالكها [٢] ؛ كالعبد في المثال المتقدّم ، و كالبهيمة الّتي يحمل عليها النعم ، مع أنّ البهائم مختارون في أفعالهم ، فكما ليست منعمة بل واسطة فكذلك الانسان المتوسّط بينك وبين النعمة ، بل والملائكة الموكّلون باصلاح النعمة و ما يتعلّق بها أيضاً ليسوا منعمين ، ولايستحقّون علينا شكراً ، فانّهم عبيد مأمورون للحقّ بأمور لايسعهم إلا الاتيان بها ؛ كالعبد في المثال المتقدّم ليس غرضهم أوّلاً و بالذات الاحسان إلينا لأجل أنفسنا ، بل إطاعة أمر مولاهم ؛ « لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » [٣].

[بيان أصناف النّعمة]

ثمّ إنّ أصناف نعم الله سبحانه على عباده كثيرة غير محصورة ، كما قال سبحانه: « و إن تعدّوا نعمة الله لاتحصوها » [٤] .

---

١) إشارة إلى قوله تعالى : « و ما بكم من نعمة فمن الله ... » (النحل / ٥٣) .
٢) في المخطوطة : « مالكها إليك » ، ويحتمل أن يكون « سالكها إليك » ، فيصحّ المعنى حينئذ .
٣) الانبياء / ٢٧ .
٤) إبراهيم / ٣٤ ؛ والنحل / ١٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

لكن ضبطها شيخنا البهائي في ثمانية أنواع ؛ لأنّها إمّا دنيويّة أو أخرويّة، و كلّ منهما إمّا موهبيّ أو كسبيّ ،وكلّ منهما إمّا روحانيّ أو جسمانيّ ، ثمّ قال :

« و هذه تفصيلها : دنيوي موهبي ، إمّا روحانيّ كافاضة العقل و الفهم ، أو جسمانيّ كخلق الاعضاء . دنيوي كسبي ، إمّا روحانيّ كتحلية النفس بالاخلاق الزكيّة ، أو جسمانيّ كتزيين البدن بالهيئات المطبوعة . أخروى موهبي ، إمّا روحانيّ كغفران ذنوبنا من غير سبق توبة ، أوجسمانيّ كالانهار من اللّبن والعسل في الجنّة . أخروي كسبي ، إمّا روحانيّ كغفران الذنوب بعد التوبة ، أوجسمانيّ كالملذّات الجسمانيّة المستجلبة بفعل الطاعات .

قال : والمراد هنا الاربعة الأخيرة ، و ما يكون وسيلة إلى نيلها من الاربعة الاول . »[١]

اقول :

ويندرج في تلك التوفيق للدين والطاعة المذكورين في الرواية المتقدّمة ، فانّهما أيضاً موهبيّ تارةً و كسبيّ بالدعاء و التضرّع و غيرهما أخرى ، و هما نعمتان ابتداءً و توصّلاً بهما إلى جميع نعم الآخرة ، وليس من شرط النعمة أن يكون بنفسها منفعة ، بل تعمّ المنفعة بنفسها و ما يوصل إليها لحصولها ؛ كالدرهم والدينار والعقار ، فانّها ليست منافع بأنفسها ، و إنّما هي موصلات إلى المنافع المقصودة لانفسها .

وحينئذ فيمكن أن يكون الغرض من الرواية أنّ المراد بالنعمة هي النعمة بالقياس إلى حال الآخرة ، و يكون ذكر التوفيق للدين والطاعة على وجه المثال ، و ذلك لأنّ أصل النعمة هو ما يكون نعمة بالمآل لافي الحال مع انقطاعه عن المآل

١) العروة الوثقى، المخطوط .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

أو ضرره فيه، فكأنّ ما سواها لاينبغي أن يعدّ نعمةً بقول مطلق و إن كان في أنظارنا معاشر أهل الدنيا بالعكس، حيث لانعدّ لأنفسنا نعمةً إلا في المأكل والمشرب وما بحكمهما، إلا أنّه من جهة الخطاء في النظر المصداقي لا من حيث [هو] وإلا إذا تعمّقنا النظر في النعم الباطنيّة والباقية والاخرويّة علمنا أنّ هذه النعم الدنيويّة لا قدر لها عندها، ولاينبغي أن يسمّى نعمة؛ أوما سمعت ما روي عن الامام المطلق عليه السلام من قوله:

«والله ما دنياكم عندي إلا كسفر على منهل[1] حلّوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا، ولا لذاذتها في عيني إلا كحميم أشربه غسّاقاً، وسمّ أفعاه أتجرّعه ذعاقاً[2]، و قلادة من نار أوهقها[3] خناقاً»[4]؟

على ما يخطر ببالي من ألفاظه. بل جعله كعراقة خنزير في يد مجذوم أو أهون منه.[5]

نعم، من حيث التوصّل بها إلى الآخرة هي نعم مقدّميّة لانفسيّة، لكنّ الكافرمحروم من هذه الحيثيّة وإن كان هومنشأ حرمانه بسوء اختياره. فتخصيص

---

١) المنهل: موضع شرب الماء على الطريق.

٢) في الامالي والبحار: «دهاقاً».

٣) الوهق بفتحتين: حبل يلقى في عنق الشخص يؤخذ به ويوثق (المصباح).

٤) رواه الصدوق (ره) في الامالي، المجلس التسعون. ح ٧. عن المفضل بن عمر، عن الصادق، عن أبيه، عن جده، عن أبيه ــ عليهم السلام ــ، عنه ــ عليه السلام ــ؛ ونقله المجلسي (ره) في البحار، ج ٧٧، باب مواعظ أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ وخطبه، ص ٣٩٢، ح ١٣.

٥) راجع نهج البلاغة، ح ٢٣٦، ص ٥١٠. و أصل كلامه ــ عليه السلام ــ هو: «والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم.»

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الانعام هنا بالانعام الحقيقيّ ليس ببعيداً عن لفظ الآية في الواقع وإن ظننّاه بعيداً لخطائنا في المصداق .

ويمكن أن يراد من الرواية حصر النعمة في الآية بما ذكر ، وله أيضاً وجه حيث إنّ قرينة ذكر « الصراط المستقيم» قبل هذا الّذي هو صراط الدين والطاعة بناءً على ما سبق يقوّي احتمال إرادة ذلك بخصوصه من الانعام .

ولعلّ في إبقاء اللّفظ حينئذ مطلقاً بناءً على هذا إشارة إلى أنّ ذلك موصل إلى كلّ النعم و بمنزلة الاصل لجميع النعم ، و هو كذلك عند الخبير . وكلا الوجهان آتيان في قوله تعالى : « و من يطع الله والرّسول ــ الخ »[1] .

و يحتمل فيهما وجه ثالث ، و هو إرادة المنعم عليهم بعموم النعم ، الّذين يصدق عليهم ذلك بقول مطلق ، فالكفّار و إن شاركوهم في القليل ، لكنّهم محرومون عن العموم . و أمّا إبقاء الانعام في الآية على إطلاقه و إخراج الكفّار و نحوهم عنه بقوله : « غير المغضوب ــ الخ » كما ربّما يظهر من بعضهم فبعيد بالنظر القاصر .

غَيرِ المَغضُوب علَيهم ولَا الضّالّين

في ذيل الرواية المتقدّمة أنّه قال في « المغضوب عليهم » :

«هم اليهود الّذين قال الله فيهم : من لعنه الله وغضب عليه[2]» .

و في الضالّين قال :

« هم النصارى ، الّذين قال الله فيهم : قد ضلّوا من قبل واضلّوا كثيرا »[3] .

---

١) قد مرّ آنفاً .

٢) المائدة / ٦٠ .

٣) الآية : المائدة / ٧٧ ؛ والحديث في تفسير الامام ــ عليه السلام ــ ، ص ١٨ ؛

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و زاد في تفسير الامام عليه السلام :

« ثمّ قال أميرالمؤمنين عليه السلام : كلّ من كفر بالله فهو مغضوب عليه ، وضالّ عن سبيل الله . »

و عن المعاني ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله :

« الّذين أنعمت عليهم شيعة عليّ عليه السلام ؛ يعني : أنعمت عليهم بولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، لم تغضب عليهم ، ولم يضلّوا . »[1]

و عن الصادق عليه السلام :

« يعني : محمّداً صلى الله عليه وآله و ذرّيّته ـ صلوات الله عليهم ـ . »[2]

والظاهر التعميم له صلى الله عليه وآله ، و ذرّيّته الائمّة ـ صلوات الله عليهم ـ ، وشيعة أميرالمؤمنين ، الّذين شايعوه و سائر النبيّين والصدّيقين ، كما يدلّ ظاهر اللّفظ و الرواية السابقة ، ويوافقه الآية الاخرى المتقدّمة .

و في الكافي في الصحيح عن معاوية بن وهب قال :

« قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أقول آمين إذا قال الامام :

« غير المغضوب عليهم ولا الضالّين » ؟

قال : هم اليهود والنصارى . ولم يجب في هذا . »[3]

والصافي ، ج ١ ، ص ٥٥ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها ، ص ٢٥٦ ، ح ٤٨ .

١) المعاني ، باب معنى الصراط ، ص ٣٦؛ والصافي ، ج ١، ص ٥٥؛ و نورالثقلين، ج ١ ، ص ٢٣ .

٢) نفس المصادر .

٣) لم نظفر عليه في الكافي ، و لعله لايكون فيه . و قد يدل عليه بعض الشواهد ؛ كعدم نقله عنه فيكتب الجامعين والشارحين ، وقدنقله الفيض (ره) في الوافي عن التهذيب،

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و روى القمي على ما في النسخة بسند معتبر عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قرأ: « اهدنا الصّراط المستقيم * صراط الّذين أنعمت عليهم * غير المغضوب عليهم و غير[1] الضالّين » قال:

« المغضوب عليهم: النصّاب، والضالّين: اليهود والنصارى ».[2]

وبسند معتبر آخر عنه عليه السلام في قوله: « غير المغضوب عليهم وغير الضالّين » قال:

« المغضوب عليهم: النصّاب، و الضالّين: الشكّاك الّذين لايعرفون الامام. »[3]

[في معنى الغضب والضّلال]

أقول: أصل الغضب ثوران النفس لارادة الانتقام، و إذا أُسند إلى الحقّ فهو باعتبار الغاية، كالرحمة، عندهم. والظاهر عندنا تحقّق مبدء الغاية في حقائق الاسماء المخلوقة.

والعروسي الحويزي (ره) في نورالثقلين عن الاستبصار، والحر العاملي (ره) في الوسائل عنهما. ويحتمل أن المؤلف (قده) أخذه عن الوسائل، وخلط في اسناد هذا الحديث و ما قبله واستظهر أنه في الكافي، والله العالم. فراجع التهذيب، ج ٢، باب في كيفية الصلاة، ص ٧٥، ح ٤٦؛ والاستبصار، ج ١، باب النهي عن قول «آمين» بعد الحمد، ص ٣١٩، ح ٤؛ والوسائل، ج ٤، باب ١٧ من أبواب القراءة في الصلاة، ص ٧٥٢، ح ٢؛ ونورالثقلين، ج ١، ص ٢٥، ح ١١١.

١) في بعض نسخ القمي: « ولا الضالين »:

٢) القمي، ج ١، ص ٢٩؛ والبحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها ص ٢٣٠؛ ونورالثقلين، ج ١، ص ٢٤.

٣) نفس المصادر، وهكذا رواه العياشي (ره) في تفسيره، ج ١، ص ٢٤، ح ٢٨؛ ونقله الفيض (ره) في الصافي، ج ١، ص ٥٥.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و «الضلال» هو العدول عن الصراط السويّ ولو خطأً، و أصله على ما قيل الغيبوبة. ضلّ الماء في اللّبن إذا غاب فيه، وضلّ الكافر غاب عنه؛ قال الله تعالى: «أئذا ضللنا في الأرض.»[1]

فيدخل في «المغضوب عليهم» كلّ تفريط وتقصير موجب للغضب؛ إذ المفرط هو المعرض المدبر، فهو البعيد، كما فعلت اليهود بموسى وعيسى و محمّد - صلّى الله عليه وآله وعليهما -، و في «الضالّين» كلّ إفراط وغلوّ؛ إذ المفرط هو المجاوز الّذي غاب عنه المطلوب؛ كالنصارى بالنسبة إلى عيسى عليه السلام؛ يدخل في صراط المنعم عليهم كلّ وسط واستقامة في عمل أو اعتقاد. كذا قيل[2].

ولعلّ الاولى أن يعدّ الجاحد للحقّ، والمعاند له، والعاصي له عن علم وما بحكمه من المقصّر الّذي تهيّأ له أسباب الهداية و الرشاد، و أعرض عنه وعاند، وأمر على خلافه مغضوباً عليهم، والمريد للحقّ والطاعة المقبل عليه الّذي أخطأه واعتقد خلافه، أو بقي حيراناً ضالاً، فانّ الضالّ مريد للمقصود و لكنّه أخطأ، و لو عرض له تقصير ما في طلب الهداية فالمتوجّه إلى الصراط المستقيم المخطىء عنه، ولو بسبب عدم بذل الجهد بكماله في تحصيل المقصود ضالّ عنه، والمدبر عنه دالّ لاستكبار أو عناد أو عصبيّة هو المغضوب عليهم بقرينة المقابلة، ولأنّهم المستكملون لاستحقاق الغضب.

و هذا هو الظاهر من حال اليهود، كما يظهر من تصفّح أحوالهم المذكورة في الآيات والاخبار والآثار. والاوّل هو الظاهر من حال النصارى، كما أنّ الظاهر من حال النصّاب هو الثاني، و من الشكّاك الّذين لايعرفون الامام هو الاوّل، فينطبق بما ذكر الروايات المذكورة كلّها سوى عدّ اليهود من الضالّين

---

١) السجدة / ١٠.

٢) الكلام للفيض (ره)، فراجع الصافي، ج ١، ص ٥٦

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

في الرواية التالية للأخيرة .

و يمكن أن يكون ذلك باعتبار عدم قبولهم الولاية عن جهلهم بها ، و إن كانوا معاندين في جحد النبوّة لكنّهم ضالّون عن الامامة ؛ إذ من لم يدخل تحت الدين كيف يظهر له صحة الولاية، بل لعلّ كثيراً منهم لم يتصوروا الولاية نفياً وإثباتاً لبعدهم عن الاصل . ويقرّب التقييد لسبق النصّاب ، وبه يجمع بينها و بين الرواية الاولى .

[علّة عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه]

هذا ، و لعلّ في عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه جلّ شأنه مع التصريح باسناد مقابله و هو الانعام إليه سبحانه تشييداً لمعالم العفو والرحمة ، و تأسيساً لمباني الجود والكرم ، حتّى كأنّ الصادر عنه هو الانعام لاغير ، مع أنّ قضيّة المقابلة أن يقول غير الّذين غضبت عليهم كجملة من المواضع الّتي جمع فيها الخير والشرّ مع التفكيك بينهما .

و أيضاً نسبة الخير إلى الله سبحانه ابتدائيّ ؛ لأنّه مقصود لنفسه ، و نسبة خلق الشرّ إليه باعتبار صدور سبب اقتضى خلقه وهو تبعيّ ، فالموجب لوقوع الشرّ هو سوء حال العبد ، والموجب للخير هو صفات الربّ وعنايته و رحمته ، كما ورد في دعاء التوجّه على ما ببالي :

« والخير في يديك ، والشرّ ليس إليك »[1] .

ولعلّك تعرف التفصيل في المواضع المناسبة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

---

١) رواه الكليني (ره) في الكافي ، ج ٣ ، باب افتتاح الصلاة ، ص ٣١٠ ، ح ٧ ؛ والشيخ (ره) في التهذيب، ج ٢ ، باب كيفية الصلاة ، ص ٦٧ ، ح ١٢ ؛ وهكذا في الوسائل، ج ٤ ، باب ٨ من أبواب تكبيرة الاحرام ، ص ٧٢٣ ، ح ١ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[السّبب في إتباع الصّراط المستقيم بصراط الّذين أنعمت عليهم]

واملّ النكتة في إتباع الصراط المستقيم بصراط الّذين أنعمت عليه هي: أنّ الصراط المستقيم لمّا كان أمراً معنويّاً دقيقاً لايكاد يظهر في هذا العالم إلا باعتبار حال سالكيه المتحقّقين بحقائقه وانّبع[1] بصراطهم، كما أنّ سائر السبل المنحرفة غير ظاهرة إلا في أصحابها، فناسب إتباع ذكر المنعم عليهم الّذين هم أهل الحقّ بالمغايرة للطائفتين الأُخريين، الّذين هم سالكوا السبل المنحرفة حتّى يتّضح حال الصراط المطلوب والطرق المبغوضة.

و لعلّ فيه إشارة إلى طلب الاقتداء بأئمّة الهداية والهرب عن مخالفيهم، فيشتمل الآية على متابعة أوليائه، و مخالفة أعدائه، و تولّي أوليائه سبحانه، والتبرّي عن أعدائهم، و بهما يكمل الهداية المطلوبة؛ إذ لايتمّ الايمان إلا بالتولّي والتبرّي.

و فيه أيضاً تقوية للطلب الّذي هو روح الدعاء، فانّ العبد إذا لاحظ حال الاصناف الثلاثة مفصّلاً قوي شوقه إلى دخوله في «المنعم عليهم» وخوفه من لحوقه بالاخرين، فيشتدّ في قلبه طلب الهداية المحصّلة للأوّل وخوف الفوات الموقع إيّاه في المحذور. وبذلك يتمّ حقيقة الدعاء، الّذي هو موجب للاجابة لما فيه من التصريح بفائدة الهداية، وغاية فواتها في حقّ أهلها.

---

[1] كذا في المخطوطة، لكن الظاهر أن يكون: «التابعين» أو «المتبعين».

[في فضائل سورة الحمد]

بقي الكلام في نبذة ممّا ورد في فضيلة هذه السورة المباركة ، وما يتعلّق بها بعنوان كلّي .

[في أنّ سورة الحمد هي شفاء كلّ داء وعلّة تكرارها]

فمن العيّاشي، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ : « أمّ الكتاب أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ، وهي شفاء من كلّ داء إلا السام يعني : الموت . »[1]

و في الكافي عن الباقر عليه السلام :

« من لم يبرأه الحمد لم يبرأه شيء . »[2]

و عن الصادق عليه السلام باسناد معتبر :

« لو قرئت الحمد على ميّت سبعين مرّة ، ثمّ ردّت فيه الروح

---

١) رواه العياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ح ٩ ، عن إسماعيل بن أبان يرفعه إلى النبيّ ـ صلى الله عليه وآله ـ ، و فيه : أنه ـ صلى الله عليه و آله ـ قال لجابر ابن عبدالله : « يا جابر ، ألا أعلمك أفضل سورة أنزلها الله في كتابه ؟ ـ إلى أن قال : ـ هي شفاء من كل داء ـ الخ . » و هكذا في الصافي ، ج ١ ، ص ٥٦ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٧٤ ، ح ٨ .

٢) الكافي ، ج ٢، باب فضل القرآن من كتاب فضل القرآن ، ص ٦٢٦ ، ح ٢٢ ، عن سلمة بن محرز ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و رواه أيضاً العياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٠ ، ح ١٠ ، بهذا الاسناد ، عن الصادق ـ عليه السلام ـ ؛ وهكذا في الصافي ، ج١ ص ٥٦ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣٧ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٧٤ ، ح ٣ .

ما كان عجباً . »[١]

وعن عبدالله بن الفضل النوفلي رفعه قال :

« ما قرئت الحمد[٢] على وجع سبعين مرّة إلا أُسكن . »[٣]

و عن الحسين [بن] بسطام في « طبّ الائمّة » عن أحدهم عليه السلام قال :

« ما قرئت الحمدعلى وجع سبعين مرّة إلا سكن باذن الله ، و إن شئتم فجرّبوا ولاتشكّوا . »[٤]

وفي الامالي باسناده عن الامام علي بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال : قال الصادق عليه السلام :

« من نالته علّة فليقرأ في جيبه الحمد سبع مرّات ، فان ذهبت العلّة ، و إلا فليقرأها سبعين مرّة ، و أنا الضامن له العافية . »[٥]

---

١) الكافي ، ج ٢ ، باب فضل القرآن من كتاب فضل القرآن . ص ٦٢٣ ، ح ١٦، عن معاوية بن عمار، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي، ج ١ ، ص ٥٦ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٧٣ ، ح ١ ؛ وهكذا في مكارم الاخلاق ودعوات الراوندي كما في البحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٥٧،ح٥٠.

٢) في الوسائل « الفاتحة » .

٣) خ . ل : « سكن » ، والحديث في الكافي ، ج ٢ ، باب فضل القرآن ، ص ٦٢٣، ح ١٥؛ والوسائل، ج٤ ، باب٣٧ من أبواب قراءة القرآن، ص ٨٧٣ ، ح ٢ ؛ ونورالثقلين، ج ١ ، ص ٤ .

٤) كما في البحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها ، ص ٢٣٥ ، ح ٢١ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٧٤ ، ح ٦ .

٥) أمالي الشيخ (ره) ، ج ١ ، الجزء العاشر ، ص ٢٩٠ ؛ والوسائل ، ج ٤ ، باب ٣٧ من أبواب قراءة القرآن ، ص ٨٧٤ ، ح٧؛ وهكذا في دعوات الراوندي كما في البحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٣١ ، ح ١٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ولعلّ الوجه في كونه شفاءً من الامراض ما ذكر فيه من أسماء الله سبحانه المحيطة بعالم الدنيا والآخرة ، مع الاستعانة باسمه سبحانه ، و الحمد له ، و حصر العبادة والاستعانة به سبحانه ، و طلبه الهداية إلى الصراط المستقيم ، مع تذكّره لأهله الّذي هم أصل الخير وفرعه ومعدنه من حيث كونهم منعَماً عليهم ، والتحرّز عن صراط مخالفيهم الّذين هم أصل الشرّ وفرعه .

ففي ذكر أسماء الله سبحانه مع الاستعانة استمداد على المقصود ، وفتح لمفاتح الغيب ، و في الحمد الكامل استيجاب للمزيد من النعم ، و قد كان قصد القارئ خصوص زيادة نعمة الشفاء على سائر النعم ، فينبغي حصوله .

وحصر العبادة إقرار بالعبوديّة الّتي هي معدن الخيرات ، والاستعانة المطلقة شاملة للمهمّ المفروض ، و الطلب والدعاء سبب الاجابة ، و طلب الهداية موجب لحصولها، وحصولها بمنزلة الاصل فيما يقرب إلى مبدء الخيرات . والصراط مؤدّي إلى النعمة المطلقة ، و تذكّر المنعم عليهم ، وطلب الدخول في صراطهم ، والكون معهم كأنّه استمداد منهم في قضاء الحاجة ، كما أنّ التبرّي عن صراط المخالفين كأنّه تحرّز عن أصل الشرّ وفرعه .

ثمّ إنّ كلام الله سبحانه عموماً و خصوص الفاتحة على ما عليه من الفضيلة والشرافة بالنسبة إلى جلّ أجزاء القرآن أوكلّه ، و كونه أمّ الكتاب محيطاً بما فيه ، لابدّ وأن يكون فيه من البركات والخيرات ما لاتحصى ، فلا تعجب في كونه شافياً لمرض ظاهريّ ، مع أنّه كلام مالك الشفاء كلّه ، و وصفه القرآن أوالبعض منه بأنّه شفاء للمؤمنين ، و أيّ وسيلة بين العبد و الشافي أقرب من هذا الكلام من كلماته ؟

ولعلّ السرّ في التكرار سبعاً كون السبع عدداً كاملاً ، أوموافقته للسموات السبع المعنويّة ، فيتجاوز بكلّ مرتبة مقام سماء منها إلى أن يصل إلى الملأ الاعلى،

الّذي هو مبدء الخير والجود . والسبعين لكونه كاملاً في الكثرة ، أو أخذ كلّ عشرة واحداً كما هو المعهود .

و يؤيّد كون قرائتها شفاءً للأمراض الظاهريّة شفائه للأمراض الباطنيّة إذا تليت حقّ تلاوتها . ويظهر تفصيل ذلك ممّا قدّمناه هنا و في أوّل الكتاب ، فراجع .[1]

[اسم الله الأعظم مقطع في أُمّ الكتاب]

و في ثواب الاعمال باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال :

« إسم الله الاعظم مقطّع في امّ الكتاب . »[2]

و ربّما يظهر الوجه فيه ممّا قدّمناه في البسملة والآيات الثلاثة الاول بمنزلة التفصيل للاسم الاعظم و الحروف المقطعة بالنسبة إلى الكلمة ، فكما أنّ الكلمة بوحدتها جامعة للحروف وهي أجزاء لها ، كذلك الأسماء الخمسة بمنزلة الاجزاء للاسم الاعظم الّذي هو الكلمة التامّة والاركان لها ، وقول « إيّاك نعبد » بمنزلة البيان لكلمة الجلالة على ما سبق من معناها ، و « إيّاك نستعين » بمنزلة البيان لربّ العالمين وقيام بموجبه ، وطلب الهداية قيام بموجب الاقرار بالرحمة ، و ذكر الطوائف الثلاثة بمنزلة التفصيل لمالك يوم الدين أو ملكه .

ومن هذا البيان يظهر شدّة ارتباط الآيات واتّصال بعضها ببعض ، وكلّ ذلك من آثار ذلك الاسم الاعظم وشؤونه ، فهو مقطّع فيها .

---

١) المقدمة الاولى ، ص ٢٦ .

٢) ثواب الاعمال ، ص ١٣٠ ، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني ، عن أبيه ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ و أيضاً رواه العياشي (ره) بهذا الاسناد في تفسيره ، ج ١ ، ص ١٩ ، ح ١ ؛ و هكذا في البحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة و تفسيرها ، ص ٢٣٤ ، ح ١٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[ما من شيء في القرآن إلّا وهو في سورة الحمد]

و عن العلل باسناده عن الرضا عليه السلام [١] :

« فان قال قائل : فلم بدء بالحمد في كلّ قرائة دون سائر السور ؟ قيل : لانّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد ، و ذلك أنّ قوله : « الحمد لله » إنّما هو أداء لما أوجب الله على خلقه من الشكر ، وشكر [٢] لما وفّق له عبده للخير .

« ربّ العالمين » تمجيد له وتحميد ، وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غير .

« الرّحمن الرّحيم » استعطاف و ذكر لربّه [٣] ونعمائه على جميع خلقه [٤] .

« مالك يوم الدّين » إقرار له بالبعث و الحساب و المجازات ، و إيجاب له ملك الآخرة ، كما أوجب له ملك الدنيا .

« إياك نعبد » رغبةً و تقرّباً إلى الله ، و إخلاصاً له بالعمل دون غيره .

« وإياك نستعين » استزادة من توفيقه وعبادته ، و استدامة لما أنعم الله عليه ونصره .

١) قال المؤلف (ره) في الهامش : « لا يبعد كون ألفاظ هذه الرواية من الفضل بن شاذان والمعنى مأخوذ من كلام الامام ــ عليه السلام ــ . »

٢) في العيون : « بشكره » .

٣) في العيون والبحار : « لآلائه » .

٤) خ . ل : « صفته » .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« اهدنا الصراط المستقيم » استرشاداً لأدبه و معتصماً بحبله ، واستزادةً في المغفرة لربه[1] ولعظمته على أوليائه ، و رغبةً في مثل ذلك النعم .

[« صراط الذين انعمت عليهم » توكيداً في السؤال والرغبة ، و ذكر لما قد تقدّم من نعمه على أوليائه ، و رغبة في مثل ذلك النعم .][2]

« غير المغضوب عليهم » استعانةً من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفّين [به و] بأمره ونهيه .

« ولا الضالين » إعتصاماً من أن يكون من الّذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا ما لايجمعه شيء من الاشياء . »[3]

انتهى ما نقلته من النسخة ، وفيه تأييد لجملة ما قدّمناه .

و روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال :

« كلّما في القرآن في الحمد ، و كلّما في الحمد في البسملة ، و كلّما في البسملة في الباء ، و كلّما في الباء في النقطة ، وأنا النقطة تحت الباء . »[4] .

---

١) في المصادر : « في المعرفة بربه » .

٢) سقط عن المخطوطة .

٣) العلل ، ج ١ ، باب ١٨٢ ، ص ٢٦٠ ، ح ٩ ، عن الفضل بن شاذان : وأيضاً رواه بهذا الاسناد في العيون ، ج ٢ ، باب ٣٤ ، ص ١٠٥ ، ح ١ ؛ وهكذا في البحار ، ج ٨٥ ، باب القراءة وآدابها من كتاب الصلاة ، ص ٥٤ ، ح ٤٦ .

٤) راجع ينابيع المودة ، ص ٦٩ ، وقد نقل فيه فقرته الاخيرة .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ويؤيّد الجزء الاوّل منه التعبير عن السورة بـ «أمّ الكتاب» و «أمّ القرآن» في روايات عديدة، والظاهر من كونها أمّاً له اشتمالها عليها كاشتمال الأمّ على ولدها، وحينئذ يكون السورة جامعاً لجميع القرآن المحيط على ما في التوراة والانجيل والزبور، بل وجميع الكتب السماويّة على ما يظهر من وصفه بأنّ: «فيه تبيان كلّ شيء».

ويشبه أن يكون السرّ في ذلك أنّ المقصود من البيان إمّا بيان الحقّ وصفاته وأسمائه وتوحيده، و[إمّا] بيان أحوال الخلق وصفاتهم وحقائقهم وذواتهم، وبيان ما هم عليه في الواقع، وبيان النسبة الواقعة بين الحقّ سبحانه بأسمائه والخلق، وهذه السورة اشتملت من أوّلها إلى «يوم الدين» على المقصد الاوّل بالاصالة، و من قوله «إهدنا» إلى آخر السورة على المقصد الثاني بالاصالة، وقوله «إيّاك نعبد ـ الخ» على الثالث.

وكذلك قيل: «إنّ في الحمد ثلاث مقامات: مقام حقّ لاخلق فيه، ومقام خلق لا حقّ فيه، ومقام حقّ وخلق.» وإنّما قلنا بالاصالة لأنّ الاسماء الالهيّة تدلّ على حال المخلوقات بالتبع لظهورها بها، ودلالة الثاني على صفات الحقّ في المعاملة معهم بالانعام وغيره. ويظهر من هذه الاشارة وجه لاندراج علوم الفاتحة في البسملة بضميمة ما أشرنا في بيان الارتباط بين آيات الفاتحة وما قدّمناه في تفسير البسملة مشروحاً وما يتعلّق بها؛ إذ لايخلو شيء عن كونه متعلّقاً بأجزاء مدلولها، وهي محيطة بجميع عوالم البدو والمعاد، فانّ اسم الرحيم ظهوره في عالم الآخرة بنفسه للمؤمنين، و بظلّه الذي هو اسم المنتقم على غيرهم، و هو مفهوم من اسم الرحيم بالتبع، وقد مرّ بيان ما يوضح ذلك.

و أما اندراج البسملة في الباء، فلأنه إن أُخذ بمعنى البهاء على ما قدّمناه فهو محيط بهذه الاسماء المتأخر ذكرها و مقدم في المرتبه عليها على ما بيناه

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

سابقاً ، فهو بمنزلة الاصل لها يدلّ عليها دلالة السبب الصوري على مسبّبه . و إن جعلنا الباء لمحض الربط بين اسم الحق والخلق ، فمن الظاهر أنّ أصل كلّ الاشياء المخلوقة هو الربط الحاصل بينها وبين اسم الحق، إذ لو لم يكن ذلك الربط تمّ لكانت معدومات صرفة لاخبر عنها ، ولاشيئية ولا ذات ولاصفة ، فذلك الربط هو الاصل الحافظ لها المحيط عليها .

ولعلّ من ذلك يظهر الوجه فيما يروى من أنّه : « ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم »[1] .

و أمّا اشتمال النقطة على ما في الباء ، فيمكن أن يراد به محلّ ظهور الباء وحامله و معيّنه و مظهره ، كما أنّ النقطة الكتبيّة يظهر الباء و يعيّنه من بين مشاركاته ، و هو محلّ لظهوره وحامل لظهوره . و حينئذ فهو حقيقة الامام عليه السلام الحامل لذلك الاسم ومظهره ، ومظهره في العالم ومعيّنه فيه .

و يمكن أن يراد بالنقطة النقطة الّتي هي أصل الالف وسائر الحروف ، وهو حكاية عن الاسم البسيط على الالف فضلاً عن الباء ، وهو على بساطته محيط بالباقي . و حينئذ فيصحّ إطلاق كونه تحت الباء كاطلاق كون المعنى تحت اللّفظ ؛ إذ هو باطن يحكي عنه الباء ، ومكنون مكتوم تحته بذاته و إن كان ظاهراً بقالبه الّذي هو الباء ولو بالواسطة . و على هذا فكونه عليه السلام نقطة باعتبار كون النقطة مقامه و رتبته عند الحقّ واتّحاده معها باعتباره ومظهريّته لها باعتبار آخر .

و يصحّ أن يجعل تحت الباء من صفات المبتدأ لا الخبر ، فيكون مفاد الكلام أنّه حينئذ عين النقطة مع كونه تحت الباء باعتبار نزوله عن مقام الحقيقة المحمّديّة صلى الله عليه وآله .

و بما مرّ في شأن هذه السورة يظهر وجه لكون « قل هو الله أحد » ثلث

---

١) نقله الشيخ رجب البرسي (ره) في مشارق أنوار اليقين ، ص ٣٨ .

القرآن [١] ، فانّه مشتمل على مقصد واحد من المقاصد الثلاثة ، و هو وصف الحق، ونعته الّذي هو أشرف المقاصد الثلاثة ، هذا .

[الفاتحة أشرف ما في كنوز العرش]

و في بعض الروايات عن النبيّ ﷺ أنّ :

« فاتحة الكتاب أشرف ما في كنوز العرش . » [٢]

و في الصافي في رواية أنّها : « من كنوز العرش . » [٣]

ويحتمل أن يراد بالعرش هنا عرش العلم ، كما هو أحد إطلاقاته ، فيستقيم المعنى بلا كلفة ، وأن يراد العرش المعهود، وحينئذفكونها من كنوزه باعتبار بعض مقامات حقيقة القرآن .

---

١) هذا المعنى قد ورد في روايات كثيرة ؛ منها: ما أورده الكليني (ره) في الكافي، ج ٢ ، باب فضل القرآن من كتاب القرآن ، ص ٦٢١ ، ح ٧ ، عن يعقوب بن شعيب ،عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ ، قال : « كان أبي ـ صلوات الله عليه ـ يقول : « قل هو الله أحد » ثلث القرآن . »

ومنها : ما رواه الصدوق (ره) في الاكمال ، عن أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ كما في الصافي، ج٢ ، ص ٨٦٦، قال ــ عليه السلام ــ : « من قرأ « قل هو الله أحد » مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، ومن قرأها مرّتين فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن قرأها ثلاث مرات فكأنما قرأ القرآن كله . »

٢) رواه الصدوق (ره) في الامالي ، المجلس الثالث والثلاثون ، ح ٢ ؛ والعيون، ج ١ ، باب ٢٨ ، ص ٢٣٥ ، ح ٦٠ ؛ وهكذا في مجمع البيان ، ج ١ ، ص ١٨ ؛ والبحار، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها ، ص ٢٢٧ ، ح ٥ .

٣) الصافي ج ١ ، ص ٥٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[في أنَّ سورة الفاتحة مقسم قسمين بين الله وبين عباده]

و عن العيون و تفسير الامام عليه السلام عن الصادق عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

« لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال الله عزّ وجلّ: قسّمت فاتحة الكتاب بيني و بين عبدي، فنصفها لي و نصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا [١] قال العبد: « بسم الله الرحمن الرحيم » قال الله جلّ جلاله: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أُتمّم له أموره وأُبارك له في أحواله.

و إذا قال: « الحمد لله ربّ العالمين » قال جلّ جلاله: حمدني عبدي، و علم أنّ النعم الّتي له من عندي، و أنّ البلايا الّتي اندفعت [٢] عنه فبتطوّلي [٣]؛ اشهدكم أنّي [٤] أُضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

و إذا قال: « الرحمن الرحيم » قال الله جلّ جلاله: شهد لي بأنّي الرحمن الرحيم؛ أُشهدكم لأُوفّرنّ من رحمتي [٥] حظّه، ولأُجزلنّ من عطائي نصيبه.

فاذا قال: « مالك يوم الدين » قال الله تعالى: أُشهدكم كما

١) في المخطوطة: « فاذا ».

٢) في العيون والامالي والبحار: « دفعت ».

٣) في العيون والامالي والبحار: « فبطولي ».

٤) في المخطوطة: « فأني ».

٥) في المخطوطة: « نعمته »

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

اعترف بأنّي أنا المالك[١] يوم الدين لأسهّلنّ يوم الحساب حسابه، ولا تقلنّ حسناته، ولأتجاوزنّ عن سيّئاته.

فاذا قال العبد: «إيّاك نعبد» قال الله عز وجل: صدق عبدي، إيّاي يعبد؛ اشهدكم لأثيبنّه على عبادته ثواباً يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي.

فاذا قال: «و إيّاك نستعين»، قال الله تعالى: بي استعان [عبدي] وإليّ التجأ؛ أشهدكم لأعيننّه على أمره، ولأغيثنّه في شدائده، ولآخذنّ بيده يوم نوائبه.

فاذا قال: «إهدنا الصراط المستقيم - إلى آخر السورة» قال الله جلّ جلاله: هذا لعبدي و لعبدي ما سأل، فقد استجبت لعبدي، وأعطيته ما أمّل، وآمنته ممّا منه وجل.»[٢]

و روي من طريق العامّة عنه صلى الله عليه وآله أنّه قال:

«يقول الله سبحانه: قسّمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، فاذا قال العبد: «بسم الله الرحمن الرحيم» قال الله: مجّدني عبدي. و إذا قال العبد: «الحمد لله رب العالمين» قال الله: حمدني عبدي. و إذا قال: «الرحمن الرحيم» قال الله: أثنى عليّ عبدي. و إذا قال: «مالك يوم الدين» قال الله: فوّض إليّ عبدي. وإذا قال: «إيّاك نعبد و إيّاك نستعين» قال الله: هذا بيني وبين عبدي. وإذا قال: «إهدنا الصراط

١) في المخطوطة: «الملك».

٢) تفسير الامام - عليه السلام -، ص ٢١؛ والعيون، ج ١، باب ٢٨، ص ٢٣٤، ح ٥٩؛ و هكذا رواه (ره) في الامالي، المجلس الثالث والثلاثون، ح ١؛ و أيضاً في البحار، ج ٩٢، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها، ص ٢٢٦، ح ٣.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

المستقيم » قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل . » [١]

وفيهما تأييد لجملة ما قدّمناه ، وفيما قدّمنا شرح لكثير من هذه الفقرات لمن تدبّر وتبصّر .

و روى القمي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« إنّ إبليس رنّ رنيناً [٢] لمّا بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل ، وحين نزلت أمّ الكتاب . » [٣]

وفيه دلالة على عظم شأن هذه السورة .

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، ج ١ ، باب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، ص ٢٩٦ ، ح ٣٨ : وأبو داود في سننه ، ج ١ ، باب من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب ، ص ٢١٦ ، ح ٨٢١ ؛ والنسائي في سننه ج١ ، باب ترك قراءة البسملة في فاتحة الكتاب، ص ١٣٦ ؛ وهكذا في مجمع‌البيان ، ج ١ ، ص ١٧.

٢) في القمي : « أنّ أنيناً» . قال المؤلف (ره) في الهامش : « يقال : رنت المرئة ترن رنيناً من باب ضرب : صوتت ».

٣) القمي، ج ١ ، ص٢٩ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب فضائل سورة الفاتحة وتفسيرها، ص ٢٣٠ ، ح ٨ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٤١ ، ح ١١.

سورة البقرة

[تحقيق حول « الم » وسائرالحروف المقطعات]

بسم‌الله الرحمن الرحيم

« ألم »

عن المعاني ، عن الصادق ـ عليه السلام ـ :

« الم هو حرف من حروف اسم‌الله الاعظم المقطّع في القرآن، الّذي يؤلّفه النبيّ أو الامام ، فاذا دعا به أُجيب . »[1]

و في تفسير القميّ ذلك بتفاوت ما في الالفاظ بعد لفظ « قال »[2] ، و الاقرب رجوع الضمير إلى الصادق ـ عليه السلام ـ .

وفي مجمع البيان وغيره ، عن أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ أنّه قال :

« إنّ لكلّ كتاب صفوة ، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجّي . »[3]

وقد اضطرب آراء المفسّرين وغيرهم من الناظرين في معنى إيراد هذه الحروف

---

١) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص ٢٣ ، ح ٢ ، عن أبي بصير ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي، ج ١ ، ص ٥٧؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٥٣ ، ح ٣ ؛ ونورالثقلين، ج ١ ، ص ٢٦ . و اعلم أن في خبر الصدوق في ثواب الاعمال ، ص ١٣٠ ، ح ١ ، عن أبي‌عبدالله ـ عليه السلام ـ إذقال : « اسم‌الله‌الاعظم مقطع في أم الكتاب » تأكيد لما مرّ في رواية المعاني ، ولما سيجيء فيما بعد من أن فواتح السور حروف اسم الله الاعظم ، فتبصّر.

٢) القمي ، ج ١ ، ص ٣٠.

٣) مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ والصافي ج ١ ، ص ٥٨ ، ونورالثقلين ، ج ١ ، ص ٣٠ ، ح ٨.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المقطّعة في أوائل السورة ، فذهب كلّ إلى مذهب ، و تشتّت الآراء فيه بحيث لا يجمعها جامع ، وأكثرها تخريجات لايظهر لها دليل يسكن إليه .

وقال المحدّث الكاشاني بعد نقل الرواية الاولى :

« فيه دلالة على أنّ الحروف المقطّعات أسرار بين الله و بين حبيبه[١] لم يقصد بها إفهام غيره ، وغير الراسخين في العلم من رسوله و ذريّته[٢] . والتخاطب بالحروف المفردة سنّة الاحباب في سنن المحابّ ، فهو سرّ الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطّلع عليه الرقيب ؛ شعر :

بين المحبّين سرّ ليس يفشيه
قول ولا قلم للخلق يحكيه »[٣]

و استدلّ عليه بقوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله »[٤] و رواية أبي لبيد[٥] المخزومي الاتية .

[روايات في تفسير فواتح السّور وما يتعلّق بها]

والاولى أن نورد أوّلاً جميع ما عثرنا عليه من الروايات الواردة في كلّ من هذه الفواتح ، فانّ الظاهر تقارب الكلام في بعضها ببعض ، ثمّ نتبعها بذكر ما يخطر بالبال في حلّها على حسب مبلغ النظر القاصر ، حتّى نكون في غنىً عن التعرّض لها في محالّها إلا من جهة بعض الخصوصيّات حسب ما يقتضيه المقام ، والله العالم بحقيقة الحال .

---

١) في بعض النسخ : « بين الله و رسوله و رموز » .
٢) في بعض النسخ : « ومن ذريته » .
٣) الصافي ، ج ١ ص ٥٧ .
٤) آل عمران /٧ .
٥) في المخطوطة : « لبيدة » .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

فمن تفسير الامام عليه السلام أنّ معنى « الم » :

« هذا الكتاب الّذي أنزلته [عليك] هو الحروف المقطّعة الّتي منها: ألف ، لام ، ميم ، وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين . »[١]

قال في الصافي :

« هذا أيضاً يدلّ على أنّها من جملة الرموز المفتقرة إلى البيان . »[٢]

وفيه نظر ظاهر ، بل الظاهر منه هو الوجه الّذي اختاره جماعة من المفسّرين من أنّ : « ورودها مسرودةً هكذا على نمط التعديد ، ليكون كالايقاظ و قرع العصاء لمن تحدّى بالقرآن؛ أي : أنّ هذا المتلوّ عليهم وقدعجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ، فاو لا أنّه من كلام خالق القدر لم يعجز معشر البشر عن الاتيان بمثل الكوثر . »[٣]

وعن العياشي، عن أبي لبيد المخزومي قال : قال أبو جعفر عليه السلام :

«يا بالبيد ، إنه يملك من ولد العباس اثناعشر، يقتل بعد الثامن منهم أربعه ، تصيب أحدهم الذبحة[٤] فتذبحه . هم فئة قصيرة

---

١) تفسير الامام ــ عليه السلام ــ ، ص ٢٢ ؛ و الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ و هكذا رواه الصدوق (ره) في المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص ٢٤ ، ح ٤ ؛ ونقله عنه البحراني (ره) في البرهان ، ج١ ، ص٥٤ ، ح٩ ؛ والعروسي الحويزي (ره) في نورالثقلين، ج ١ ، ص ٢٧ ، ح ٧.

٢) الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨.

٣) هذا الوجه مذكور في الكشاف ، ج١ ، ص١٦ ؛ وتفسير النيشابوري ، ج١ ، ص٤٤

٤) قال الفيض (ره) : « الذبحة بالضم والكسر كهمزة وعنبة : الخناق . » وقال بعض في هامش العياشي : « الذبحة كهمزة : وجع في الحلق من الدم . و قيل : قرحة تظهر فيه فتنسد معها وينقطع النفس ويسمى بالخناق ».

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أعمارهم [قليلة مدّتهم] خبيثة سيرتهم . منهم : الفويسق الملقّب بالهادي والناطق والغاوي .

يا بالبيد ، إنّ لي في حروف القرآن المقطّعة لعلماً جمّاً ، إنّ الله تبارك و تعالى أنزل « الم ذلك الكتاب » ، فقام محمد صلّى الله عليه وآله حتّى ظهر نوره ، و ثبتت كلمته ، و ولد يوم ولد ، وقد مضى من الألف السابع مائة سنة وثلاث سنين .

ثمّ قال: و تبيانه في كتاب الله في الحروف المقطّعة إذا عددتها من غير تكرار ، وليس من حروف مقطّعة حرف تنقضي أيّامه إلا وقائم من بني هاشم عند انقضائه .

ثمّ قال: الألف واحد، واللام ثلاثون ، والميم أربعون، والصاد تسعون ، فذلك مائة و إحدى و ستّون ، ثمّ كان بدو خروج الحسين بن عليّ عليهما السلام « الم الله » فلمّا بلغت مدّته قام قائم ولد العباس عند « المص» ، ويقوم قائمنا عند انقضائها بـ « المر » . فافهم ذلك وعه [1] واكتمه . » [2]

و عن المعاني عن الصادق عليه السلام في حديث :

« و أمّا « الم » في آل عمران ، فمعناه : أنا الله المجيد . » [3]

وعنه عليه السلام :

---

١) في المخطوطة والصافي : « عد » .

٢) العياشي ، ج ٢ ، ص ٣ ، ح ٣، والصافي ، ج ١ ، ص ٥٧ ؛ والبحار : ج ٩٢ ، باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٨٣ ، ح ٢٣ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعلبقة ٤ ص ٢٢٢ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

« و « المص » معناه : أنا الله المقتدر الصادق . »[١]

وعن المعاني والعيّاشي عنه ﷺ أنّه أتاه رجل من بني أميّة و كان زنديقاً ، فقال له :

« قول الله عزّ وجلّ في كتابه « المص » أيّ شيء أراد بهذا ؟ و أيّ شيء فيه من الحلال و الحرام ؟ و أيّ شيء فيه ممّا ينتفع به الناس ؟

قال : فاغتاظ من ذلك ، فقال : أمسك ويحك ! الالف واحد، و اللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، كم معك : فقال الرجل مائة وإحد[ى] وستّون .

فقال : إذا انقضت سنة إحدى و ستّين و مائة ينقضي ملك أصحابك .

قال : فنظر[نا] فلمّا انقضت إحدى و ستون و مائة يوم عاشورا دخلت المسوّدة[٢] الكوفة و ذهب ملكهم . »[٣]

وعن المعاني ، عنه ﷺ :

---

١) نفس المصادر .

٢) قال الطريحي (ره) في مجمع البحرين : « المسودة بكسر الواو أي : لابسي السواد ، ومنه الحديث : « فدخلت علينا المسودة» يعني : أصحاب الدعوة العباسية ؛ لأنهم كانوا يلبسون ثياباً سوداً . و « عيسى بن موسى » أول من لبس لباس العباسين من العلويين؛ استحوذ عليهم الشياطين ، وأغمرهم لباس الجاهلية » .

٣) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص ٢٨ ، ح ٥ ، عن أبي جمعة رحمة بن صدقة ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والعياشي ، ج٢ ، ص٢ ، ح ٢ ، بهذا الاسناد ؛ والصافي، ج١ ص ٥٦٣؛ والبحار ، ج ٩٢ ؛ باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٧٦ ، ح ٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« و الر معناه: أنا الله الرؤف . » [1]

وعنه عليه السلام في « المر » :

« معناه : أنا الله المحيي المميت الرزّاق . » [2]

وعنه عليه السلام في « كهيعص » :

« معناه أنا الكافي الهادي الوليّ العالم الصادق الوعد . » [3]

وعنه عليه السلام :

« كافٍ لشيعتنا، هادٍ لهم ، وليّ لهم ، عالم بأهل طاعتنا، صادق لهم وعده ، حتّى يبلغ بهم المنزلة الّتي وعدهم إيّاها في بطن القرآن . » [4]

و في تفسير القمّي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله « كهيعص » قال :

« هذه أسماء الله مقطّعة ، وأمّا قوله « كهيعص » ، قال : « الله هو الكافي الهادي العالم الصادق ذو الايادي العظام . » و هو قوله كما وصف نفسه تبارك وتعالى » [5]

والظاهر أنّ مرجع اسم الاشارة في صدره هو مطلق الحروف المقطّعة ، و يكون « وأمّا ـ الخ » بمنزلة التفصيل لذلك الاجمال .

١) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ .

٢) نفس المصادر .

٣) نفس المصادر .

٤) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة : ص ٢٨ ، ح ٦ ، عن جعفر بن محمد بن عمارة ، عن أبيه عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و الصافي ، ج ٢ ، ص ٣٧ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٧٧ ، ح ٨ .

٥) القمي ، ج ٢ ، ص ٤٨ ، عن أبي بصير ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و البحار ؛ باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٧٦ ، ح ٤ .

ولعلّه ترك تتمّة الحديث ، واقتصر على ما هو بصدد تفسيره .

و في الاكمال عن الحجّة القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ في حديث أنّه سئل عن تاويلها ، قال :

« هذه الحروف من أنباء الغيب ، اطّلع الله عبده زكريّا عليها ، ثمّ قصّها على محمّد صلى‌الله‌عليه‌وآله ، و ذلك أنّ زكريّا سأل ربّه أن يعلّمه أسماء الخمسة ، فأهبط الله عليه جبرئيل ، فعلّمه إيّاها . فكان زكريّا إذا ذكر محمّداً و عليّاً و فاطمة والحسن عليهم‌السلام سرى عنه همّه ، وانجلى كربه [1] ، وإذا ذكر الحسين عليه‌السلام خنقته العبرة [2] ، و وقعت عليه البهرة [3] .

فقال ذات يوم : إلهي ، ما بالي إذا ذكرت أربعاً منهم تسلّيت بأسمائهم من همومي ، وإذا ذكرت الحسين عليه‌السلام تدمع عيني ، وتثور زفرتي [4] ؟

فأنبأه تبارك و تعالى عن قصّته ، فقال : « كهيعص » ، فالكاف اسم كربلاء ، والهاء هلاك العترة ، و الياء يزيد ـ لعنه الله ـ وهو ظالم الحسين عليه‌السلام ، والعين عطشه ، والصاد صبره .

فلمّا سمع بذلك زكريّا لم يفارق مسجده ثلاثة أيّام ، ومنع فيها الناس من الدخول عليه ، وأقبل على البكاء و النحيب ، وكانت ندبته :

---

١) في المخطوطة : « انجلى عنه كربه » .

٢) العبرة بالفتح : الدمعة قبل أن تفيض ، أو تردد البكاء في الصدر .

٣) تتابع النفس وانقطاعه كما يحصل بعد الاعياء والعدو الشديد .

٤) زفر زفيراً : أخرج نفسه بعد مدة أيام ، والاسم : الزفرة .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

إلهي ، أتفجع خير خلقك بولده ؟ [إلهي] أتنزل بلوى هذه الرزيّة بفنائه ، إلهي أتلبس عليّاً وفاطمة ثياب هذه المصيبة؟ إلهي ، أتحلّ كرب هذه الفجيعة بساحتهما ؟

ثمّ كان يقول : إلهي ، ارزقني ولداً تقرّ به عيني عند الكبر ، و اجعله وارثاً وصيّاً ، و اجعله محلّه منّي محلّ الحسين عليه السلام . فاذا رزقتنيه فافتنّي بحبّه ، ثمّ أفجعني به كما تفجع محمّداً صلى الله عليه وآله حبيبك بولده .

فرزقه الله يحيى و فجّعه به ، و كان حمل يحيى ستّة أشهر وحمل الحسين عليه السلام كذلك . »[1]

وعن المناقب عنه عليه السلام مثله .[2]

و عن المعاني عن الصادق عليه السلام :

«وأمّا « طه » فاسم من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله ، ومعناه : ياطالب الحقّ الهادي إليه . »[3]

و عن المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله[4] لما أنزلت « طسم» قال :

١) الاكمال ، ج٢ ، الباب الثالث والاربعون ، ص٤٦١ ، عن سعد بن عبدالله القمي ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص٣٦ ؛ والبرهان ، ج ٣ ، ص ٣ ؛ وهكذا رواه الطبرسي (ره) بهذا الاسناد في الاحتجاج ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ؛ و نقله المجلسي (ره) عنه في البحار ، ج ٤٤ ، باب إخبار الله تعالى أنبيائه بشهادته ـ عليه السلام ـ ؛ ص ٢٢٣، ح١.

٢) المناقب ، ج ٤ ، باب إمامة أبي عبدالله الحسين ـ عليه السلام ـ ، ص ٨٤ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ ؛ وهكذا في الصافي ، ج ٢ ، ص ٥٩ ؛ والبرهان ، ج ٣ ، ص ٣٩ .

٤) مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ١٨٤ ، عن ابن الحنفية ، عن عليّ ـ عليه السلام ـ ، عنه ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ؛ ونورالثقلين ، ج ٤ ، ص ٤٥ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« الطاء طور سيناء ، والسين الاسكندريه ، و الميم مكّة . »

و قال : « الطاء شجرة طوبى ، والسين سدرة المنتهى ، والميم محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله . »

والقمّي قال :

«هو حرف من حروف اسم‌الله الاعظم المرموز في القرآن .»[١]

وعن المعاني عنه عليه السلام .

« و أمّا « طسم » فمعناه : أنا الطالب السميع المبدء المعيد. »[٢]

و عن المعاني عنه عليه السلام :

« و أمّا « طس » فمعناه : أنا الطالب السميع . »[٣]

وعنه عنه عليه السلام :

« و أمّا « يس » فاسم من أسماء النبيّ ، فمعناه : يا أيّها السامع الوحي . »[٤]

و عن الخصال عن الباقر عليه السلام قال :

«إنّ لرسول‌الله صلى الله عليه وآله عشرة أسماء : خمسة [منها] في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأمّا التي في القرآن فمحمد صلى الله عليه وآله وأحمد ، وعبدالله ، ويس ، و ن . »[٥]

١) القمي ، ج ٢ ، ص ١١٨ ؛ والصافي . ح ٢ ، ص ٢٠٨ ؛ و البرهان ، ج ٣ ، ص ١٧٩ .

٢) راجع المصادرالمذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ ؛ وهكذا في الصافي ، ج ٢ ، ص٢٠٨؛والبرهان ، ح ٣ ، ص ١٧٩.

٣) نفس المصادر .

٤) نفس المصادر.

٥) الخصال : ج ٢ ، باب العشرة ، ص ٤٢٦ ؛ و الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ؛ والبحار ، ج ١٦ ، باب أسمائه ــ صلى الله عليه وآله ــ وعللها ، ص ٩٦ ، ح ٣١.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و عن الكافي عنهما عليهما السلام :

« هذا محمد صلى الله عليه وآله اذن لهم في التسمية به ، فمن اذن لهم في « يس » يعني التسمية وهو اسم النبي صلى الله عليه وآله ؟ »[1]

و عن العيون عن الرضا عليه السلام في حديث له في مجلس المأمون ، قال :

« أخبروني عن قول الله تعالى : «يس * والقرآن الحكيم * انك لمن المرسلين * على صراط مستقيم »[2] من عني بقوله « يس » قالت العلماء : يس محمد صلى الله عليه وآله لم يشك فيه أحد . »[3]

وعن المجالس عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « سلام على آل ياسين »[4] قال : « يس محمد صلى الله عليه وآله »[5]

والقمّي عن الصادق عليه السلام :

---

١) الكافي ، ج ٦ ، باب الاسماء والكنى من كتاب العقيقة ، ص ٢٠ ، ح ١٣ ، عن صفوان رفعه اليهما ـ عليهما السلام ـ ؛ و الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ؛ و البحار ، ج ١٦ ، باب أسمائه ـ صلى الله عليه وآله ـ وعللها ، ص ٨٦ ، ح ٨ .

٢) يس ـ صلى الله عليه وآله ـ / ١ـ٤ .

٣) العيون ج ١ ، باب ٢٣ ، ص ١٨٥ ، عن الريان بن الصلت ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ؛ و البحار ، ج ١٦ ، باب أسمائه ـ صلى الله عليه وآله ـ وعللها ، ص ٨٧ ، ح ٩ .

٤) الصافات / ١٣٠ .

٥) مجالس (أمالي) الصدوق (ره) ، المجلس الثاني و السبعون ، ح ١ ، عن كادح ، عن الصادق ، عن أبيه ، عن آبائه ، عنه ـ عليهم السلام ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٤٠٣ ؛ و رواه (ره) بهذا الاسناد أيضاً في المعاني ، باب معنى آل ياسين ، ص ١٢٢ ، ح٢ ، وكذا روى الفرات (ره) في تفسيره ، ص ١٣١ ، عن سليم بن قيس (ره) عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و نقله المجلسي (ره) عنه في البحار ، ج ١٦ ، باب أسمائه ـ صلى الله عليه وآله ـ وعللها ، ص ٨٦ ، ح ٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« يس اسم رسول الله ﷺ .»[1]

و عن المجمع عن الصادق عليه السلام :

« إنّ « صاد » اسم من أسماء الله تعالى أقسم به . »[2]

و في المعاني عنه عليه السلام :

« و أمّا « ص » فعين تنبع من تحت العرش . وهي الّتي توضّأ منها النبيّ ﷺ لمّا عرج به ، ويدخلها جبرئيل عليه السلام كلّ يوم دخلة فينغمس فيها ، ثم يخرج منها فينفض أجنحته ، فليس من قطرة تقطر من أجنحته إلا خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً يسبّح الله و يقدّسه و يكبّره و يمجّده إلى يوم القيامة . »[3]

و عن الكافي عنه عليه السلام في حديث المعراج :

« ثم أوحى الله إليّ : يا محمد ﷺ ، ادن من « صاد » فاغسل مساجدك وطهّرها وصلّ لربّك . فدنا رسول الله ﷺ من « صاد » وهو ماء يسيل من ساق العرش الايمن ـ الحديث .»[4]

---

١) القمي ، ج٢ ص ٢١١ ؛ و البحار ، ج ١٦ ، باب أسمائه ـ صلى الله عليه وآله ـ وعللها ، ص ٨٦ ، ح ٦ ؛ ونور الثقلين ، ج ٤ ، ص ٣٧٥ ، ح ١٥ .

٢) مجمع البيان ، ج ٤ ، ص ٤٦٥ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ؛ ونور الثقلين ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ ، ح ٦ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ ؛ وهكذا في الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ؛ ونور الثقلين ، ج ٤ ، ص ٤٤٢ ، ح ٥ .

٤) الكافي ، ج ٣ ، باب النوادر من كتاب الصلاة ، ص ٤٨٥ ، عن ابن اذينة ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ص ٤٣٨ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و عن العلل عن الكاظم عليه السلام في حديث أنّه سئل :

« وما صاد الذي أُمر أن يغتسل منه ـ يعني : النبيّ صلى الله عليه وآله ـ لمّا أُسري به ؟

فقال : عين تنفجر من ركن من أركان العرش يقال لها ماء الحياة ،وهو ما قال‌الله عزّ وجلّ : «ص [1] والقرآن‌ذي‌الذكر». [2]

وفي المعاني عن الصادق عليه السلام :

« و أمّا « حم » فمعناه : الحميد المجيد . » [3]

و عنه عليه السلام في « حم * عسق» [4] :

« معناه الحكيم المثيب العالم السميع القادر القويّ . » [5]

و عن القميّ عن الباقر عليه السلام : [6]

« هو حروف من اسم الله الاعظم المقطوع يؤلفه الرسول أو

---

١) كذا في النسخ ، ومكانه في المخطوطة بياض .

٢) الآية : ص / ١ ؛ و الحديث في العلل ، ج ٢ ، باب ٣٢ ، ص ٣٣٥ ، ح ١ ، عن اسحاق بن عمار ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ؛ و البحار ، ج ١٨ ، باب إثبات المعراج و معناه ، ص ٣٦٨ ، ح ٧٢ ؛ و نورالثقلين ، ج ٤ ص ٤٤٢ ، ح ٤ .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقه ٤ص٢٢٢ ؛ وأيضافي الصافي ، ج ٢ ، ص ٤٧٧ ؛ و نورالثقلين ، ج ٤ ، ص ٥١٠ ، ح ٧ .

٤) الشورى / ١ـ٢ .

٥)المصادر المتقدمة في تعليقة ٤ص٢٢٢ ، و أما موضعه في الصافي : ج ٢ ، ص ٥٠٦؛ و في نورالثقلين، ج ٤ ، ص ٥٥٦ ، ح ٣ .

٦) اعلم أن اسناده عن الباقر ـ عليه السلام ـ لم يصرح به فيما بأيدينا من نسخ القمي والبحار و نورالثقلين ، بل التصريح به في الصافي فقط .

الامام عليه السلام ، فيكون الاسم الاعظم الذي إذا دعي الله به أجاب . »[١]

و عنه عليه السلام :

« عسق عدد سني القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ و قاف جبل محيط بالدنيا من زمردة خضراء ، فخضرة السماء من ذلك الجبل ، وعلم كلّ شيء في « عسق » . »[٢]

و في رواية عن الكاظم عليه السلام أنّه سأله نصراني عن تفسير « حم * والكتاب المبين »[٣] في الباطن ، فقال :

« أمّا « حم » فهو محمّد صلى الله عليه وآله ـ الحديث . »[٤]

و عن المعاني عن الصادق عليه السلام :

« وأما « ق » فهو الجبل المحيط بالارض ، خضرة السماء منه ، و به يمسك الله الارض أن تميد بأهلها »[٥].

١) القمي ، ج ٢ ، ص ٢٦٧ ؛ و الصافي ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ ؛ و البحار ، ج ٩٢ ، باب متشابهات القرآن و تفسير المقطعات ، ص ٣٧٦ ؛ و نور الثقلين ، ج ٤ ، ص ٥٥٧ ، ح ٤ .

٢) في بعض النسخ : « و علم علي ـ عليه السلام ـ كله في عسق » والحديث : المصادر السابقة ، عن يحيى بن ميسرة الخثعمي ، عنه ـ عليه السلام ـ .

٣) الزخرف / ١ـ٢ ؛ والدخان / ١ـ٢ .

٤) رواه الكليني (ره) في الكافي ، ج ١ ، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ من كتاب الحجة ، ص ٤٧٩ ، ح ٤ ، عن يعقوب بن جعفر بن ابراهيم ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ١٦ ، باب اسمائه ـ صلى الله عليه وآله ـ وعلله ، ص ٨٧ ، ح ١٢ .

٥) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ ؛ وهكذا في الصافي ، ج ٢ ص

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف .ح . ح (ع) *****

وعنه ، عن سفيان ، عنه عليه السلام قال :

« وأمّا « ن » فهو نهر في الجنّة ، قال الله عزّ و جل : اجمد ، فجمد ، فصار مداداً ، ثمّ قال عز و جل للقلم : اكتب.فسطر القلم في اللّوح المحفوظ ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة فالمداد مداد من نور ، و القلم قلم من نور ، و اللّوح لوح من نور .

قال سفيان : فقلت له : يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، بين لي أمر اللّوح و القلم والمداد فضل[1] بيان ، وعلّمني ممّا علّمك الله.

فقال : يابن سعيد لولا أنّك أهل للجواب ما أجبتك . فنون ملك يؤدي إلي القلم [وهو ملك] ، والقلم يؤدي إلى اللّوح و هو ملك ، واللّوح يؤدي إلى إسرافيل ، وإسرافيل يؤدّي إلى ميكائيل ، وميكائيل يؤدي إلى جبرئيل ، وجبرئيل يؤدي إلى الانبياء و الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ .

قال : ثمّ قال لي : قم يا سفيان فلا آمن عليك . »[2]

و عن العلل عنه عليه السلام :

« وأمّا « ن » فكان نهراً في الجنّة أشدّ بياضاً من الثلج ، و أحلى من العسل ؛ قال الله عزّوجلّ له : كن مداداً [فكان مداداً] ، ثمّ أخذ شجرة فغرسها بيده ، ثمّ قال :واليدالقوة،

←٥٩٧ و نور الثقلين ج ٥ ، ص ١٠٤ ، ح ٣ .

١) في المخطوطة : « أفضل » .

٢) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٤ ص ٢٢٢ ؛ وأيضاً في الصافي ،ج ٢ ، ص ٧٢٧ ؛ونورالثقلين ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ ، ح٦.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وليس بحيث يذهب إليه المشبّهة ، ثمّ قال لها : كوني قلماً ثم قال له : اكتب . فقال له : يارب، وما أكتب ؟ قال:ماهو كائن إلى يوم القيامة . ففعل ذلك . ثمّ ختم عليه و قال : لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم . »[1]

و عن القمّي عنه عليه السلام :

« أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب . فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة . فكتب القلم في رقّ أشدّ بياضاً من الفضّة ، وأصفى من الياقوت ، ثمّ طواه فجعله في ركن رأس العرش ، ثمّ ختم على فم القلم ، فلم ينطق بعد و لا ينطق أبداً ، فهو الكتاب المكنون[2] الذي منه النسخ كلّها ؛ أولستم عرباً ؟ فكيف لاتعرفون معنى الكلام و أحدكم يقول لصاحبه : انسخ ذلك الكتاب ؟ أو ليس إنّما ينسخ من كتاب أخذ[3] من الاصل و هو قوله : **إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**؟»[4]

و عن المجمع عن الباقر عليه السلام :

---

١) العلل ، ج ٢ ، باب ١٤٢ ، ص ٤٠٢ ، ح ٢ ، عن يحيى بن أبي العلا الرازي ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و البحار ، ج ٥٧ ، باب القلم و اللوح المحفوظ من كتاب السماء والعالم ، ص ٣٦٧ ، ح ٤ ؛ ونورالثقلين ، ج ٥ ، ص ٣٨٧ ، ح ٥ .

٢) في المخطوطة : « المكتوب » .

٣) في المخطوطة ونورالثقلين والبحار : « آخر » .

٤) الآية : الجاثية / ٢٩ ؛ والحديث في القمي ، ج ٢ ، ص ٣٧٩ ؛ والبحار ، ج ٥٧ ، باب القلم واللوح المحفوظ من كتاب السماء والعالم ، ص ٣٦٦ ، ح ١ و ٣ ؛ ونور الثقلين ، ج ٥ ، ص ٣٨٨ و ٣٨٩ ، ح ٧ و ٩ ؛ ولكن جملة : « اول ما خلق الله القلم » ليست في نسخ القمي .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« ن [هو] نهر في الجنّة ، قال له الله : كن مداداً ، فجمد ، و كان أبيض من اللّبن ، و أحلى من الشهد . ثمّ قال للقلم : اكتب . فكتب القلم ماكان وما هو كائن إلى يوم القيامة . »[١]

و روى ابن بابويه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

« الم هو حرف من حروف اسم الله الاعظم ، المقطع في القرآن الذي يؤلفه النبي صلى الله عليه وآله والامام ، فاذا دعا به أُجيب . »[٢]

و باسناده عن محمّد بن قيس قال :

« سمعت أباجعفر عليه السلام يحدث أن حيياً و أبا ياسر ابني أحطب و نفراً من اليهود وأهل [نجران][٣] أتوا رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله ـ ، فقالوا له : أليس فيما تذكر فيما أنزل عليك «الم» ؟ قال : بلى .

قالوا : أتاك بها جبرائيل من عند الله ؟ قال : نعم .

قالوا : لقد بعثت أنبياء قبلك وما نعلم نبيّاً منهم أخبر ما[٤] مدة ملكه ، وما به أكل مدته[٥] غيرك !؟

---

١) مجمع البيان ، ج ٥ ، ص ٣٣٢ ؛ والصافي ، ج ٢ ، ص ٧٢٨ ؛ والبحار ، ج ٥٧ ، باب القلم واللوح المحفوظ من كتاب السماء والعالم ، ص ٣٦١ ؛ ونور الثقلين ، ج ٥ ص ٣٨٩ ، ح ١١ .

٢) قد مر في أول هذا الفصل ، فراجع .

٣) في القمي والبحار : « من أهل نجران » .

٤) في المعاني : « أخبرنا » .

٥) كذا في المخطوطة ، وفي المعاني : « وما أجل امته » ، و في القمي والبحار ونور الثقلين : « وما أكل امته » .

قال : فأقبل حيي بن أحطب على أصحابه ، فقال : الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون [سنة] ، فعجب ممن يدخل في دين مدة ملكه وأكل[1] أمته إحدى وسبعون سنة .

قال : ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ﷺ ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم .

قال : فهاته . قال:« المص » .

قال: هذه أثقل و أطول : الالف واحد ، واللام ثلاثون، والميم أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه مائة وإحدى وستون [سنة] ثم قال لرسول الله ﷺ : فهل مع هذا غيره ؟ قال : نعم .

قال : هاته[2] . قال : « الر » .

قال: هذه أثقل وأطول ، الالف واحد ، واللام ثلاثون، والراء مائتان . [ثم قال لرسول الله ﷺ :] فهل مع هذا غيره ؟

قال : نعم .

[قال : هاته . قال : « المر » . قال : هذه أثقل و أطول،الالف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، و الراء مائتان . ثم قال له : هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم .]

قال : قد التبس علينا أمرك ، فما ندري ما أعطيت . ثم قاموا عنه .

ثم قال أبوياسر لحيي أخيه :مايدريك لعل محمداً ﷺ قد جمع

---

١) في المعاني : « أجل » .

٢) خ . ل : « هذه » .

له هذا كلّه و أكثر منه .

قال : فذكر أبو جعفر عليه السلام أن هذه الآيات أنزلت فيهم : « منه آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب ، و أُخر متشابهات . »[١]

قال : وهي تجري في وجه آخر على غير تأويل حيي و أبي ياسر و أصحابهما . »[٢]

وباسناده عن سفيان بن سعيد الثوري ، قال : قلت لجعفر بن محمد بن علي [بن] الحسين [بن] علي بن أبي طالب عليهم السلام :

«يابن رسول الله ، ما معنى قول الله عزوجل « الم » ، ...؟ قال عليه السلام أما الم في أول البقرة ، فمعناه : أنا الله الملك »[٣] .

وباسناده عن العسكري في حديث أنه قال الصادق عليه السلام :

« الالف حرف من حروف قولك «الله» ودل باللام على قولك: « الملك العظيم القاهر للخلق أجمعين » ، ودل بالميم على أنه المجيد المحمود في كل أفعاله ـ الحديث »[٤] .

---

١) آل عمران / ٧ .

٢) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص ٢٣ ؛ و هكذا رواه القمي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٢٢٣ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٩٢ ، باب متشابهات القرآن وتفسير المقطعات ، ص ٣٧٤ ، ح ٢ ؛ و العروسي الحويزي (ره) في نورالثقلين ، ج ١ ، ص ٢٦ ، ح ٦ ، وج ٢ ص ٣، ح ٦ .

٣) راجع تعليقة ٤ص٢٢٢ ، وهكذا في نورالثقلين ، ج ١، ص ٢٦ ، ح ٤ .

٤) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص٢٤ ، ح ٤ ؛ والبحار ، ج٩٢ ، باب متشابهات القرآن و تفسير المقطعات ، ص ٣٧٧ ، ح ١٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٤ ؛ ونورالثقلين ، ج ١ ، ص ٢٧ ، ح ٧ ؛ وكذا في تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ص ٢٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن البرقي باسناده عن أبي لبيد[١] البحراني المراء الهجرين ، قال :

« جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام بمكة فسأله عن مسائل فأجابه فيها ـ وذكر الحديث إلى أن قال : ـ فقال له : فما « المص » ؟ فقال أبو[٢] لبيد: فأجابه بجواب نسيته . فخرج الرجل فقال [لي] أبو جعفر عليه السلام :هذا تفسيرها في ظهر القرآن ، أفلا أخبرك بتفسيرها في بطن القرآن ؟

قلت : وللقرآن بطن وظهر ؟

فقال : نعم ، إن لكتاب الله ظاهراً وباطناً و معانياً ، وناسخاً و منسوخاً ، و محكماً ومتشابهاً ، وسنناً وأمثالا ، و فصلا و وصلا وأحرفاً و تصريفاً . فمن زعم أن كتاب الله[٣] مبهم فقد هلك و أهلك . ثم قال : أمسك ، الالف واحد ، و اللام ثلاثون ، والميم أربعون والصاد تسعون .

قلت : فهذه مائة وإحدى وستون .

فقال : يا بالبيد ، إذا دخلت إحدى وستون و مائة سلب الله قوماً سلطانهم . »[٤]

---

١) في المخطوطة : «الوليد» .

٢) في المخطوطة : « ابن » .

٣) في المخطوطة : « الكتاب » .

٤) المحاسن ، ج ١ ، باب ٣٦ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٧٠ ، ح ٣٦٠ ؛ والبحار ، ج ٩٢ ، باب أن للقرآن ظهراً وبطناً ، ص ٩٠ ، ح ٣٤ ؛ والبرهان ، ج ٢ ص ٣ ، ح ٣ .

******** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ********

وفي تفسير القمي في « ق والقرآن المجيد »[1] قال :

« ق جبل محيط بالدنيا من وراه يأجوج و مأجوج ، وهو قسم »[2] .

وهذه جملة ماوجدته مستخرجاً من أماكن متعددة في تفسير هذه الحروف وما يتعلّق بها ، وتركت غيرها . وينبغي إردافها بما ورد في ترجمة هذه الحروف الاربعة عشر ، التي ورد في أوائل السور في ضمن الروايات الواردة في بيان معاني الحروف المفردة ، مورداً لها بتمامها لما فيها من الفوائد .

فنقول :

[أحاديث في معاني الحروف المقطعة]

روى ابن بابويه في كتاب التوحيد ، عن الرضا عليه السلام أنه قال :

إن أول ما خلق الله عزوجل ليعرف به خلقه الكتابة حروف المعجم ، و إن الرجل إذا ضرب على رأسه بعصا ، فزعم أنه لايفصح ببعض الكلام ، فالحكم فيه أن يعرض عليه حروف المعجم ، ثم تعطى الدية بقدر مالم يفصح منها .

ولقد حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن أميرالمؤمنين عليه السلام في « ا ، ب ، ت ، ث » أنه قال : « الالف آلاء الله ، والباء بهجة الله ، والتاء تمام الامر بقائم آل محمد صلى الله عليه وآله ، والثاء ثواب للمؤمنين على أعمالهم الصالحة .

« ج ، ح ، خ » فالجيم جمال الله وجلال الله ، والحاء حلم

---

١) ق / ١-٢ .

٢) القمي ، ج٢ ، ص ٣٢٣ ؛ والصافي ، ج٢ ، ص٥٩٧ ؛ ونورالثقلين ، ج د ، ص ١٠٤ ، ح ٤ .

الله حكيم حي حق حليم عن المذنبين ، والخاء خمول ذكر أهل المعاصي عند الله عزوجل ، وخبير .

« د ، ذ » فالدال دين الله الذي ارتضاه لعباده ، و الذال من ذي الجلال والاكرام .

« ر ، ز » فالراء من الرؤوف الرحيم ، والزاء زلازل القيامة.

« س ، ش » فالسين سناء الله ، و الشين شاءالله ماشاء [1] وأراد ما أراد « و ماتشاؤن الا ان يشاء الله » [2] .

« ص ، ض » فالصاد من صادق الوعد في حمل الناس على الصراط ، و حبس الظالمين عند المرصاد ، والضاد ضل من خالف محمداً وآل محمد صلى الله عليه وآله .

« ط ، ظ » فالطاء طوبى للمؤمنين وحسن مآب ، والظاء ظن المؤمنين بالله خيراً ، وظن الكافرين [به] شراً [3].

« ع ، غ » فالعين من العالم ، والغين من الغني الذي لايجوز عليه الحاجة على الاطلاق .

« ف ، ق » فالفاء فالق الحب و النوى ، وفوج من أفواج النار ، والقاف قرآن ، على الله جمعه وقرآنه .

« ك ، ل » فالكاف من الكافي ، و اللام لغو الكافرين في افترائهم على الله الكذب .

---

١) في المخطوطة : « الشين ما شاءالله » .

٢) الانسان / ٣٠ ؛ والتكوير / ٢٩ .

٣) خ . ل : « سوءاً » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

« م ، ن » فالميم[1] ملك يوم الدين ، يوم لا مالك غيره ، ويقول عز وجل: **لمن الملك اليوم؟** ثم تنطق أرواح أنبيائه ورسله وحججه ، فيقولون : **لله الواحد القهار** ، فيقول جل جلاله: **اليوم تجزى كلّ نفس بما كسبت لاظلم اليوم إنّ الله سريع الحساب**[2]

والنون نوال الله للمؤمنين ، ونكاله بالكافرين .

« و ، هـ » فالواو ويل لمن عصى الله من عذاب يوم عظيم ، والهاء هان على الله من عصاه .

« لا » فلام ألف « لا إله إلا الله » ، وهي كلمة الاخلاص : مامن عبد قالها مخلصاً إلا وجبت له الجنة .

« ى » يد الله فوق خلقه باسطة بالرزق ، سبحانه و تعالى عما يشركون .

ثم قال ﷺ : ان الله تبارك و تعالى أنزل هذا القرآن بهذه الحروف التي يتداولها جميع العرب ثم قال: **[قل] لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله و لوكان بعضهم لبعض ظهيراً**[3] .

و باسناده عن الكاظم ، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ ، عن الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ قال :

« جاء يهودي إلى النبي ﷺ و عنده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، فقال [له] : ما الفائدة في حروف الهجاء؟

---

١) في المخطوطة : «فالملك» .

٢) الغافر/١٦-١٧ .

٣) الآية : الاسراء/٨٨؛ والحديث ، فقد مر بعض فقراته في تفسير« بسم الله» ، فراجع تعليقة ١ ص ٢٢١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

فقال رسول الله ﷺ لعلي ؑ : أجبه . وقال : اللهم وفقه وسدده . فقال علي بن أبي طالب ؑ : ما من حرف إلا وهو اسم من أسماء الله عز وجل . ثم قال : أما « الالف » فالله لاإله إلا هوالحي القيوم ، وأما « الباء » فالباقي [1] بعد فناء خلقه ، و أما « التاء » فالتواب يقبل التوبة عن عباده ، واما « الثاء » فالثابت الكائن ، **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا - الاية** [2] وأما «الجيم» فجل ثنائه وتقدست أسمائه ، وأما « الحاء» فحق حي حليم ، وأما « الخاء »فخبير بما يعمل العباد ، و أما « الدال » فديان يوم الدين ، و أما « الذال » فذوالجلال و الاكرام ، و أما « الراء » فرؤوف بعباده ، و أما « الزاي » فزين المعبودين ، و أما « السين » فالسميع البصير ، وأما « الشين » فالشاكر لعباده المؤمنين ، و أما الصاد ، فصادق في وعده ووعيده ، و أما الضاد ، فالضار النافع ، وأما الطاء ، فالطاهر المطهر ، وأما الظاء ، فالظاهر المظهرلآياته ، وأما العين ، فعالم بعباده ، وأما الغين ، فغياث المستغيثين من جميع خلقه [وأما الفاء ، ففالق الحب والنوى وأما القاف ، فقادر على جميع خلقه] وأما الكاف ، فالكافي الذي لم يكن له كفواً أحد ، ولم يلد يولد ، وأما اللام ، فلطيف بعباده ، وأما الميم ، فمالك الملك ، وأما النون ،فنور

---

١) في المخطوطة : «فباقي» .

٢) إبراهيم / ٢٧ .

السموات من نور عرشه ، وأما الواو ، فواحد [أحد] صمد لم يلد ولم يولد ، وأما الهاء ، فهاد لخلقه ، وأما لام ألف ، فلاإله إلاالله وحده لاشريك له ، وأما الياء ، فيد الله باسطة على خلقه .

فقال رسول الله ﷺ : هذا هوالقول الذي رضي اللهعزوجل لنفسه من جميع خلقه »[1] .

وباسناده عن الباقر عليه السلام قال :

«لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام كان ابن يوم كأنه ابن شهرين فلماكان ابن سبعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به إلى الكتاب وأقعدته بين يدي المؤدب .

فقال له المؤدب : قل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال عيسى عليه السلام : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال له المؤدب : قل أبجد .

فرفع عيسى عليه السلام رأسه و قال : هل تدرى ما أبجد ؟ فعلاه بالدرة ليضربه ، فقال : يامؤدب ، لاتضربني ، إن كنت تدرى وإلا فسلني حتى أفسّر لك.

قال: فسّره لي .

فقال عيسى عليه السلام : الالف آلاء الله ، والباء بهجة الله ، والجيم جلال[2] الله ، والدال دين الله .

« هوز » الهاء هول جهنم ، والواوويل لاهل النار ، والزاء

---

١) راجع تعليقة ٢ ص ٢٢١ وقد ذكرنا مصادره فيها .

٢) خ .ل : « جمال » .

زفير جهنم .

« حطي » حطت الخطايا عن المستغفرين .

« كلمن » كلام الله لامبدل لكلماته .

« سعفص » ، صاع بصاع ، والجزاء بالجزاء .

« قرشت » قرشهم فحشرهم .

فقال المؤدب : أيتها المرأة ، خذى بيد ابنك ، فقد علم ولا حاجة له في المؤدب [1] .

وباسناده عن الاصبغ بن نباتة أنه قال أميرالمؤمنين ﷺ :

« سأل عثمان بن عفان رسول الله ﷺ عن تفسير « أبجد »

فقال رسول الله ﷺ : تعلّموا تفسير أبجد ، فان فيه الاعاجيب كلّها ؛ ويل لعالم جهل تفسيره .

فقيل : يا رسول الله ﷺ ما تفسير « أبجد » ؟

فقال : أما الالف ، فآلاء الله حرف من أسمائه ، و أما الباء ، فبهجة الله ، وأما الجيم ، فجنة الله و جلال الله وجماله ، وأما الدال ، فدين الله .

وأما « هوز » فالهاء هاء الهاوية ، فويل لمن هوى في النار ، و أما الواو ، فويل لأهل النار ، و أما الزاء ، فزاوية في النار ، فنعوذ بالله مما في الزاوية ؛ يعني : زوايا جهنم .

---

١) التوحيد ، باب تفسير حروف الجمل ، ص ٢٣٦ ، ح ١ ؛ والمعاني ، باب معنى حروف الجمل ، ص ٤٥ ، ح ١ ؛ والبحار ، ج ٢ ، باب غرائب العلوم من تفسير أبجدو حروف المعجم ، ص ٣١٦ ، ح ١ .

وأما « حطی » ، فالحاء حطوط الخطايا عن المستغفرين في ليلة القدر ، و ما نزل به جبرئيل مع الملائكة إلى مطلع الفجر و أما الطاء ، فطوبى لهم و حسن مآب ، وهي شجرة غرسها الله عزوجل ونفخ فيها من روحه ، وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنه تنبت بالحليّ والحلل متدلية على أفواههم وأما الياء ، فيدالله فوق خلقه ؛ سبحانه وتعالى عما يشركون و أما « كلمن » فالكاف كلام الله « لاتبديل لكلمات الله ولن تجدمن دونه ملتحداً »[1] وأما اللام ، فالمام أهل الجنة بينهم في الزيارة والتحية والسلام ، [و] تلاوم أهل النار فيما بينهم وأما الميم ، فملك الله الذي لايزول ، ودوام الله الذي لايفنى و أما النون فـ « نون والقلم ومايسطرون »[2] فالقلم قلم من نور ، و كتاب من نور في لوح محفوظ يشهده المقربون ، و كفى بالله شهيداً .

وأما « سعفص » ، فالصاد صاع بصاع ، وفص بفص ، يعني :الجزاء بالجزاء ، و كماتدين تدان ، إن الله لايريد ظلماً للعباد .

وأما « قرشت » ، يعني قرشهم الله فحشرهم ونشرهم إلى يوم القيامة ، فقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون [3] .

---

١) ناظر إلى قوله تعالى في سورة الكهف ، آية ٢٧ ، وهو :« لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً » .

٢) القلم/١ .

٣) قد مضى بعض فقراته في تفسير البسملة في مواضع شتى ، فراجع المآخذ المذكورة في تعليقة ١ ص ٢٢٢ .

[في بيان دلالة الحروف المقطعة على حقائق أسماء الله سبحانه واستبصارات فيها]

اقول : الذى يظهر لي في المقام بملاحظة تلك الاخبار المترائى منها الاختلاف وملاحظة بعض الاستبصارات ، هو أنه كما أن الحروف المفردة اللفظية أصل للكلمات المركبة منها ، والمفهوم من المركبة أمور غير بسيطة بحسب الاستقراء في الغالب أو الكل ، فالظاهر أن يكون تلك الحروف المفردة بازاء أصول للعالم هي بسائط بالقياس إلى أجزاء العالم : كما أن النفس الانساني أول ما يحصل فيها الحروف على حسب مراتبها ، فالظاهر ان يكون النفس الرحماني أيضاً محصلا لبسائط هي الاصول للعوالم المقيدة المركبة ، ويكون كل حرف من الحروف الصادرة عن الانسان بازاء حقيقة من تلك الحقائق البسيطة حتى يطابق الاية التي هي الانسان مع ذي الآية ، ويطابق مع مقام اللفظ مقام المعنى حتى يصلح لكونه مرآتاً له .

و إذا لاحظت بعقلك نسبة البسيط إلى المركب المفروض وجوده ، فأحدس أنه لم يتحقق المركب في الكون إلا وقد سبقه فيها البسائط التي هي أصول هذا المركب ، فان البسيط مقدم على المركب ، وأولى بالتقدم في الايجاد وقبول الفيض، فيشبه أن يكون مقتضى النظام الاكمل تقديم إيجاد البسائط على بساطتها على خلق المركبات ، حتى تكون بمنزلة الخزائن المحصص التي عرضها التركيب في عالم التركيب و لعل إليها ينظر قوله سبحانه : **«و إن من شيء إلا عندنا خزائنه و ما ننزّله إلا بقدر معلوم »** ١

والذي يناسبها في عالم الالفاظ بحيث يدل عليها بذاته أن جعلنا دلالة الالفاظ ذاتية ، أو بوضع لها واضع حكيم يضع الاشياء مواضعه ، ولا يرجح المرجوح على الراجح هو الحروف البسيطة المفردة ، فيشبه أن يكون تلك دالة على تلك الحقائق

---

١) الحجر / ٢١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

بالذات أوالوضع .

والظاهر أن تلك الحقائق هي حقائق هي أسماء الله سبحانه ملأت أركان كل شيء بأشعتها وآثارها وستعرف ـ إن شاء الله تعالى ـ تمام البحث عن تلك الحقائق المخلوقة .

فالظاهر أن يكون كل حرف من تلك الحروف المفردة دالّة على حقيقة اسم من الاسماء الالهية العينية . وربما يدل عليه قوله ﷺ فيما تقدم : «إن اول ماخلق الله عزوجل ـ الخ[١]، وقوله: مامن حرف إلا وهو اسم من اسماء الله ـ الخ[٢]، وما ذكر من تفاصيل معاني الحروف وإن كان بعضها مما يترائى منه أنه ليس اسماً للحق سبحانه، لكن إذا لاحظته منتسباً إلى الرب سبحانه ، فربما ظهر لك المشتق الذى يصح أن يوصف به الحق سبحانه، ولايلزم أن يكون مدلول تلك الاخبار أن يكون الحروف المفردة دالّة على المركباب ، كما ربما يسبق إلى الوهم ، بل يصح أن يكون كل من الطائفتين ـالة على تلك الحقائق العينية ، وعلى الله سبحانه باعتبارها .

وربما يدل على ذلك ماسبق من أن « صفوة هذا الكتاب حروف التهجى »[٣] وكثير ممّا سبق في بيان فواتح السور المفسرة لها بأسماء الله سبحانه ، أو بمايستشم منه ذلك ؛ كتفسير نون بالمداد من النور الذي كتب به ماكان ومايكون فان الظاهر منه كونه من البسائط الاولية ، ولاينافيه وصفه بكونه نهراً في الجنة ، فان الجنة ينقسم إلى روحاني محض ، وجسماني محض ، ومتوسط بينهما ، كمالعلك ستعرف

---

١) راجع كلام علي بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ في تفسير حروف المعجم ، الذي مر آنفاً .

٢) إشارة إلى الكلام الاخير عن مولى الموحدين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في الفائدة في حروف الهجاء .

٣) قد تقدم في أول هذه السورة ، فراجع .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

تفصيلها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

فلو حمل على الروحاني المحض كان كونه نهراً روحانياً في عالم الاسماء الالهية مناسباً لما ذكرنا . ويؤيده وصفه بالنورية وبأنه ملك ، فان تلك الحقائق ربما يصح أن يطلق عليها لفظ « الملك » أو يستعار لها اسم الملك الموكل عليها الواقع تحتها ، كما يصح أن يجعل لفظ « الجنة » مستعملا في مبدء الجنة وأصلها الذي بتنزلها ظهرت الجنة ، كما أن في تتمة رواية القمي ما ربما يؤكد ما ذكرنا للبصير .

وما ورد في « صاد » من أنه عين أوماء عند العرش ، فان جعل العرش عبارة عن عالم العلم الكلي فهو يوافق ما قررناه ، وإن جعل عبارة عن بعض الموجودات المقيدة فلعله باعتبار كونه مظهراً لتلك الحقيقة ، وحصة متنزله منها على عالم السفلى يظهر بتوسطها تلك الحقيقة في هذا العالم .

وبمثل ذلك يمكن أن يحمل ما ورد من تفسير بعض الفواتح بالرسول ﷺ وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهى ، وطور سيناء وغيرها، إذ لعل ذلك كله باعتبار كونها قوالب ومظاهر لتلك الحقيقة لكون العوالم السافلة حاكية عن العالية ، وتنزلات لها. وقريب منه الكلام في تفسير «قاف» بالجبل إن أخذنا الجبل بالمعنى العرفي الشائع وإن جعلناه عبارة عن أمر باطن بالنسبة إلى هذا العالم محيط به ، فهو إما اسم من تلك الاسماء ، أو مظهر له بناء على ما ذكر .

وأما ما ورد من تفسير « كهيعص » بكربلا وهلاك العترة ويزيد والعطش والصبر ، فلعله باعتبار أخذ آثار تلك الاسماء الالهية و مظاهرها ومحالها مكانها مثلاً إذا جعل الكاف عبارة عن الكافي فيصح أن يجعل عبارة عن كربلاء باعتبار استجابة الدعاء فيه من دون ظهور تقييد المدعو به ببعض الحاجات ، فهو مظهر اسم الكافي؛ إذ هو يكفي كل محتاج ، و ممد له من الفيوضات ما يكفيه لاصلاح جميع شؤونه مثلا . وإذا جعلنا الهاء عبارة عن الهادي ، فبملاحظة ما ترتب على واقعه الطف

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

من ظهور أمر الدين والهداية ، وأن المقصود من الاقدام على تلك الوقعة هو هداية الناس مثلا يصح جعله عبارة عن هلاك العترة .

وأما إطلاق الياء على يزيد ، فلعلّه باعتبار كونه مظهراً لاسامي القهر والانتقام، ويكون الياء عبارة عن أحدها .

وأما جعل العين بمعنى العطش ، فلعلّه باعتبار كون عطش هذا العالم ربما من ذلك العالم ، ويكون العين عبارة عن العلم الذى هو موجب للري ، أو باعتبار كونه من آثار بعض الاسماء الذي يقتضي نزول البلاء على الاولياء .

وأما الصاد ، فان جعل عبارة عن الصادق ومايترتب على الصدق ، فمن أوضح مظاهر الصدق هو الصبر في تلك الشدة العظيمة .

ويمكن أن يجعل تلك الواقعة الهائلة مثالا ومظهراً عينياً لما يتوقف عليه ظهور تلك المعاني في الانسان،فان ظهور الكفاية والهداية والعلم والصدق والايادي العظام على ظاهر الرواية الاخرى في تفسير هذه الحروف فرع الشهادة المعنويه ، التي هي الموت قبل الموت الذي هو الحياة والهلاك الصوري ، الذي هو الحياة المعنوية في مقام الشهادة المعنوية ، الذي هو كربلاء معنوي وتحقق الفناء عن الانانية التي بها صار يزيد يزيداً ، وقطع التعلّقات عن جميع الاشياء مع كونه عطشاناً ورد إلى حياض ربه ، وصابراً لايجزع عمّا أصابه . فظهور تلك الاسماء في مظهر كان مماثلا لكربلاء فيصح جعله بياناً لمثال المظهر .

ولقائل أن يدعي انه كما يكون ظهورها في العالم الصغير عند وجود تلك المعاني فكذلك ظهرت في كربلاء او في مطلق العالم الكبير بواسطة ظهور تلك الوقعة فيها ، ولذلك صارت تلك البلدة والبقعة والوقعة مبادئ لظهور بركات وخيرات لاتحصى لمن انتسب إليها من ذاكر وباك ومتباك ومؤسس لعزاء أو خادم في مجلس تعزية، أو زائر أو مجاور أو خادم أو متوسل أو غيرهم، فحينئذ فتلك الوقعة ظهور كلي لتلك

الاسماء في العالم ، فاطلق عليها الاسم إطلاق اسم الظاهر على المظهر له ، فتأمل .

ثم اعلم أن ظهور آثار كل من تلك الحقائق في هذا العالم مختلفة بحسب الدهور والازمان فتارة يقوى ظهور بعضها ظهوراً بيناً ويخفى مقابله ، وأخرى ينعكس ، وثالثة يتوسط فيكون لهما الظهور ، ولدولة كل منها و استيلائه زماناً معيناً وعصراً خاصاً محدوداً على حسب ما حكم الله سبحانه له فاذا جاء زمانه كان الملك والتسلّط والاستيلاء لأهل ذلك الاسم ، و إذا انقضى ارتفعت عنهم ، وذلك كالشمس إذا طلعت ظهر آثار طلوعها من الاضائة والتسخين و التجفيف وغيرها في العالم ، وكلما ارتفعت ازدادت الاثار إلى نصف النهار على عكس حال الظلمة والبرودة والرطوبة ، فانها تضعف كذلك ، وعند وسط السماء يبتدء النزول والانتقاص إلى غروب الشمس . وحينئذ فتستولي الظلمة والبرودة والرطوبة متزايدة إلى نصف الليل ، ثم ينقص بحسب المقتضى إلى طلوع الشمس .

وهكذا الحال في أكثر موجودات هذا العالم ، فانها تبتدء وتأخذ في الكمال إلى حين ثم تقف وترجع متناقصة إلى ما يماثل الحال الاول . فالانسان يوجد ابتداء ضعيفاً من كل وجه ، ويأخذ في القوة والاستكمال إلى حد الشباب ، ثم يشرع في الانتقاص ووهن القوى إلى أن يصل إليه الموت ، الذى هو مساو لحاله قبل الحياة وكما أن حال أشخاص الموجودات على ما وصفنا فكذلك حال الاصناف والانواع فحال العلماء مثلا تارة في القوة والاقبال إلى حين ، وتارة يأخذ في الضعف إلى نهايته . وكذلك كل صنف من الاصناف كأهل الباطل وأهل الحق ، فتارة يستولي أهل الحق ويكمل استيلائهم إلى حين ، وينعكس تارة أخرى ، فيكون الاستيلاء لأهل الباطل.

ثم إن الباطل ذو شئون كثيرة ، كما أن الحق أيضاً له اركان وشعب كثيرة ، فيجري الكلام في كل جهة من كل منها ، و استيلاء كل واحد من تلك الاصناف تابع لقوة ظهور ذلك الاسم الخاص المنسوب ذلك الصنف إليه في ذلك وكونه وقتاً

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف .ح . ح (ع) *****

مجعولا له ؛ إذ لكل من تلك الاسماء المتقابلة طلوعاً يظهر عنده آثاره واستواء في الكمال ، وغروباً يختفي عنده أهله ، ويكونون مغلوبين مقهورين .

ومن هنا يظهر أن لكل طائفة خاصّة زمان ملك وسلطنة و استيلاء هو زمان طلوع الاسم المنتسب إليهم ؛ إذ الناس على دين ملوكهم وطريقتهم .

ثم إن الاعتبار يقضي بكون زمان كل اسم من الاسماء في كل مرتبة بعدد الحرف الدال عليه؛ إذ الحرف قالب المعنى والاصل مطابقتها في صفات المعنى ،فاذا كان الحرف له عدد خاص كان الظاهر ثبوت ذلك العدد للمعنى، بل كون الحرف تابعاً للمعنى في العدد.

ثم إن الجمع بين عدة من تلك الحروف في الكلام الذي ليس في الامكان أكمل منه من كل وجه لابدّ وأن يكون لحكم ومناسبة وتوافق وقع بين تلك الحقائق بحيث وقعت الالفة بينهما ، و تحقق اجتماع تلك المعاني في موضع واحد حتى يوافق الكتاب التكويني الكتاب اللّفظي،ويكون إظهار ذلك لفظاً بالوحي دليلا على ظهور مظهر تلك المعاني المجتمعة في العين في مدة مجموع أعداد آحادها ؛ إذ بعد الاجتماع في المحل يكون ظهور ذلك المظهر الجامع واستيلائه بقدر زمان كل منها مع رعاية موافقة اللّفظ والعين في العدد وحينئذ فكل فاتحة من فواتح السور يدل على استيلاء مظهر تلك الفاتحة ، و ملكه في المدة المدلول عليها بحروف تلك الفاتحة .

ولعلّه لما ظن اليهودي المتقدم أن «الم» متعلّق بأصل النبوة والشريعة حكم بأنه مدة ملك الدين وأكل امته [1] و ذلك لأنه ظن أجزاء زمان الشريعة متشابهاً متوافقاً فجعله زماناً له ولم يعلم أنه قرون وأعصار مختلفة .

وفواتح السور المتعلّقة بها كثيرة ؛ فمنها : مايتعلّق بقيام بني العباس وانقضاء دولة بني أمية «المص» على ماسبق ولا إشكال فيه بأن الظاهر من التواريخ وتصفح الاخبار ان ظهور دولة العباسيين قبل ذلك بسنين كثيرة يمكن دفعه بأن المناسب لمبدء العدد ليس هو الهجرة ، بل هو زمان البعثة ، فانه أول زمان النبوة .

١) راجع الرواية المنقولة عن ابن بابويه (ره) ، عن الباقر-عليه السلام-في ص٣٦٨ .

و نزول الكتاب . و يشهد له أنّ بدو خروج الحسين عليه السلام كان بحسب الظاهر في آخر الستّين ، مع أنّ عدد « الم » واحد وسبعين .

والظاهر من ظهور دولة العباسيّين وإن كان قبل هذا العدد من هذا المبدء أيضاً ، إلا أنّ كمال استقلالهم و شوكتهم ، و ارتفاع الاستيلاء من بني أُميّة لعلّه يوافق ذلك .

ويحتمل الحمل على البداء أيضاً وإن كان ذيل بعض الأخبار ينافيه [١] .

و أمّا ما ذكره في ذيل الخبر الاخير من أنّها تجري في وجه آخر على غير تأويل « حييّ » و« أبي ياسر » وأصحابهما [٢] ، فلعلّه ناظر إلى أنّ كلّ فاتحة إشارة إلى دولة خاصة ، لا أنّ الفواتح لأجل مدة الشريعة والدين ، أو أنّها تجري في وجه آخر غير هذا النمط أيضاً . هذا .

و أمّا أنّ « عسق » عدد سني القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ ، فهو موافق لكون علم كلّ شيء في « عسق » : إذ ذلك السنين هو زمان ظهور العلم و المعرفة والحقيقة ، واضمحلال الباطل والجهل . ولما ورد من ترجمته بالعالم السميع القادر القويّ ؛ إذ فيها يظهر حكم العلم و السمع مجتمعين مع القوّة و القدرة مؤتلفين معهما ؛ إذ القدرة والقوّة حينئذ بيد مظهر العالم السميع وأرباب العلم والسمع .

ويؤيّد ذلك كلّه أنّ لقرائة هذه الحروف أعني : « حم عسق » تأثيراً عظيماً في انكشاف العلوم والمعارف ، بل وفي ظهور دولة الحقّ في العالم الصغير على ما هو الظاهر ممّا جرّبه المجرّبون .

---

١) ومراده على حسب الظاهر هو الرواية المتقدمة التي نقلها عن المعاني والعياشي، عن الصادق ـ عليه السلام ـ ، فراجع ص ٣٦١ .

٢) راجع ص ٣٧٢ ، رواية الصدوق (ره) عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وقد ورد هذه اللّفظة و «كهيعص» في الدعاء مكرّراً[1]، إما مقسماً بهما، أو جعلهما مدخولي حرف النداء. والظاهر أنّ لهما شأناً ومكاناً لمن كان من أهله. وهذا ممّا يؤيّد كون مدلولهما من حقائق الاسماء الالهيّة.

وممّا أشرنا إليه في «عسق» من اجتماع القدرة والعلم يمكن استخراج وجه آخر لدلالة فواتح السور على زمان الملك في الجملة، وهو: أنّ كلّ موضع كان بعض الحروف دالّة على الملك أو القدرة أو القوّة أو ما شاكلها، فهو يقتضي ظهور معانيها في مظاهر باقي الحروف المجتمعة معه. فهيهنا يدلّ على ملكية العالم السميع، و في سائرها على هذا القياس. و حينئذ لا يلزم أن يكون كلّ فاتحة بل خصوص ما كان بعض تلك الحروف دالّة على أشباه الملك والقدرة، ولكن ربّما يتراءى من خبر «أبي لبيد»[2] عموم الحكم لجميع فواتح السور.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ ما ذكرناه من كون حروف التهجّي دالّة على حقائق الاسماء هو مبنى علم الحروف وأحكامه وآثاره الّتي يرتّبونها؛ إذ لولا ذلك لكان ترتّب تلك الآثار والخواصّ والاحكام بعيداً.

و ربّما يظهر للناظر في تفصيل ذلك العلم ما يشهد لما ذكرنا ويوضحه.

ثمّ إنّ تلك الاسماء الالهيّة تنقسم إلى اسم أعظم هو بمنزلة الكلّ في وحدة، وإلى أسماء جمال و رحمة و كرم، وأسماء جلال و قهر و انتقام، وإلى أسماء متعلّقة بالابداء كاسم المبدء، و إلى [أسماء] متعلّقة بأحكام الاعادة كالمعيد، و إلى أسماء

---

١) كدعاء «اللهم يا شاهد كل نجوى» نقله المحدث القمي (ره) في مفاتيح الجنان عن الاقبال والمصباح، وفيه: «وأسئلك باسمك الذي شققت به البحار و... و بحق طه ويس و كهيعص وحمعسق و...».

٢) إشارة إلى خبر العياشي المتقدم عنه، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ لقوله ـ عليه السلام ـ : «وليس من حروف مقطعة حرف تنقضي أيامه إلا وقائم من بني هاشم عند انقضائه.» فراجع ص٣٥٩ و ٣٦٠.

كلّيّات وأسماء جزئيّات بالاضافة إلى تلك الكلّيّات، كما يشهد لذلك ما سبق في تفسير آحاد حروف التهجّي .

وممّا قدّمنا هنا مضافاً إلى بعض ما سبق يظهر وجه ما روي أنّ فواتح السور حروف اسم الله الاعظم[1]، فانّ الظاهر أنّ تلك الفواتح دالة على ما عداه من الاسماء، فانّ الظاهر أنّ الدالّ عليه إمّا الالف المعبّر عنه بلام الف لا ، أو خارج عن الحروف، ونسبتها إليه نسبة التفصيل والاجزاء بالنسبة إلى الكلّ ، كما نبّهنا عليه سابقاً ، فهي بمنزلة الحروف للكلمة ، و مجموع تلك الحروف المفردة لو أخذت مؤلّفة مرتبطة كانت دالّة على ذلك الاسم الاعظم ؛ لأنّ الالف واللام والميم وعدّة من الحروف الدوالّ على الاجزاء إذا اجتمعت دلّت على الكلّ . وقد سبق شطر من الكلام في لفظ « بسم » ولفظ « الجلالة » فراجع ، وقس عليها غيرها .

ولعلّ في الاقتصار في هذه الفواتح على أربعة عشر حرفاً دلالة على أنّ أصول الحروف المنسوبة إلى الجمال و الرحمة الّتي هي المقصود الاوّل هو بهذا العدد . وبحكم إصالة تشابه العوالم يثبت أنّ الانسان الاكمل المقصود ابتداء بقول مطلق منحصر في الاربعة عشر المعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ فافهم .

هذه جملة ممّا خطر بالبال في هذا المقال، ولعلّ ما فات منّا أو أخطأنا في ذلك أكثر ممّا أصبنا فيه الحقّ والحقيقة ، والله العالم بحقيقة الحال .

---

١) قد مضى بعض الاخبار الواردة في هذا المعنى و رواية الصدوق (ره) المؤيدة له فيما سبق ، فراجع تعليقة ١ ص ٣٥٧ .

[في حقيقة الكتاب والمتّقين والارتباط بينهما]

ذلكَ الكِتابُ لارَيبَ فيه

عن تفسير الامام عليه السلام يعني :

« القرآن الّذي افتتح بـ « الم » هو « ذلك الكتاب » الّذي أخبرت به موسى فمن [1] بعده من الانبياء ، و هم أخبروا بني إسرائيل : أنّي سأنزل [2] عليك يا محمد صلى الله عليه وآله كتاباً عربيّاً عزيزاً لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

« لاريب فيه » ، لا شكّ فيه لظهوره عندهم ، كما أخبرهم أنبيائهم أنّ محمداً صلى الله عليه وآله ينزل عليه كتاب لايمحوه الباطل يقرأه هو وأُمّته على سائر أحوالهم . » [3]

و روى القمّي باسناد لايخلو عن قوّة ، عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

«الكتاب عليّ عليه السلام لاشكّ فيه: « هدى للمتقين » ، قال: تبيان لشيعتنا . » [4] .

و روى العيّاشي في المرسل عنه عليه السلام في قوله : « الم * ذلك الكتاب لاريب فيه» قال :

---

١) خ . ل : « و من » .

٢) في المخطوطة والصافي والبرهان ونور الثقلين : « سأنزله » .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٣٥٩ .

٤) تقدم في المقدمة الاولى ، فراجع ص ٢٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

« كتاب عليّ لاريب فيه ـ الحديث . »[١]

و الظاهر كما ذكره بعضهم أنّ : « إضافة الكتاب إلى عليّ بيانيّة ، يعني : أن ذلك إشارة إليه عليه السلام ، والكتاب عبارة عنه ، والمعنى : أنّ ذلك الكتاب الّذي هو عليّ لامرية فيه . »[٢] فيوافق رواية القمّي ، بل لايبعد اتّحاد الروايتين ، كما يشهد له بعض القرائن . وعلى كلّ حال فهذا تأويل والاوّل تفسير ، وقد سبق وجه التطبيق بين الكتاب والامام في المقدّمات[٣] .

ونقول هنا : إنّ القرآن إذا استولى على مملكة القلب بأمره ونهيه ، و وعده و وعيده ، ومعارفه وأحكامه، وترغيبه وترهيبه بحيث صار هو المتصرّف في الانسان، وكان مصداقاً للوصف الّذي وصف أمير المؤمنين عليه السلام « العبد الّذي هو من أحبّ عباد الله عليه من أنّه أمكن الكتاب من زمامه ، فهو قائده وإمامه يحلّ حيث حلّ ثقله، وينزل حيث كان منزله » على ما يبالي من لفظه ، فالانسان حينئذ قرآن بنفسه لفناء كلّ شيء كان من نفسه فيما جاء من طرف القرآن ، فليس هناك إلا القرآن وأحكامه وآثاره وما جاء من طرفه . وحينئذ فكلّ وصف وصف به القرآن من أنّه حقّ لا باطل معه ، و أنّه لاريب فيه ، وأنّه هدىً للمتّقين وغير ذلك ، فهو وصف لذلك العبد الموصوف ، فلاحظ وتدبّر .

هذا مع أنّ الكتاب غير مخصوص باللّفظيّ والتدويني ، بل هيهنا كتاب تكوينيّ ، بل كتب تكوينيّة يطابقها الكتاب التدويني ، كما نقل عن أمير المؤمنين

---

١) العياشي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، مرسلاً عن سعدان بن مسلم ، عن بعض أصحابه ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ح ٢ .

٢) الكلام للفيض (ره) ، فراجع الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٣) راجع المقدمة الاولى ، ص ١٨ ــ ٢١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

عليه السلام (شعر) [١] :

دوائك فيك و ما تشعر — و دائك منك و ما تبصر [٢]

و أنت الكتاب المبين الّذي — بأحرفه [٣] يظهر المضمر

وعن الصادق عليه السلام :

« الصورة الانسانيّة هي أكبر حجّة الله على خلقه و هي الكتاب الّذي كتبه الله بيده . » [٤]

وقيل : إنّ « إطلاق الكتاب على الانسان شائع في عرف أهل الله و خواصّ أوليائه . » [٥]

وبيان ذلك في خصوص الانسان : أنّ الانسان بعد التصفية الكاملة والتحقّق بحقيقة التقوى يجد في لوح نفسه معارف و علوماً ، فكأنّ نفسه لوح و تلك العلوم والمعارف نقوش مكتوبة عليها . و لعلّه المراد من الصورة الانسانيّة الموصوفة بأنّه أكبر حجّة الله ، وذلك لأنّ مثل ذلك العلم الثابت في لوح النفس أقوى من جميع الحجج على ذلك الانسان ؛ إذ ليس سائر العلوم مثله في القوّة والاستيلاء والثبات عليه ، فالحجّة به أتمّ و ألزم من غيرها ، ولا تكليف إلا بعد البيان ، و مثل ذلك الانسان المتحقّق بذلك المقام مقيم للحجّة على سائر عباد الله الّذين ليس لهم ذلك و ذلك الكتاب ما كتبه الله بقدرته ليس ما كتبه الناس ، و هو المبين الّذي يبيّن المضمرات الغائبة عن هذا العالم ، و لذلك المقام عندنا آية و هو العقل بالنسبة إلى أحكامه الغير الاكتسابيّة . فانّه لولاحظته حقّ الملاحظة وجدت هذه العلوم

---

١) ديوان الامام علي ـ عليه السلام ـ ، ص ٥٧ .

٢) في المخطوطة : « لاتبصر » .

٣) خ . ل : « بآياته » .

٤) نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٥) هو كلام الفيض (ره) ، تجده في الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

راسخة في جوهر العقل ثابتة فيه ، كأنّه لوح ، و هذه الادراكات منقوشة عليه . وكما أنّ كلّما حكم به العقل حكم به الشرع وبالعكس على ما أثبته أهل الاصول كذلك الكتاب المذكور مطابق للقرآن لايخالف أحدهما صاحبه . وكما أنّ العقل لايقبل الريب في أحكامه كذلك ذلك الكتاب لايدخله ريب ولاشكّ ، و هو ظاهر لصاحبه بنفسه ، أوهو الصاحب لنفسه وظاهر لغيره بآياته ودلائله .

و حينئذ فاطلاق الكتاب على عليّ عليه السلام المطابق للقرآن مطابقة تامّة ، لا افتراق بينهما كما يظهر من أخبار الثقلين وغيرها، ولاريب فيه له ولالغيره من أولي الالباب ، الّذين ينظرون بألبابهم في شأنه وكمالاته وصفاته المظهر لكونه كذلك صحيح وأولى بالصحّه من كلّ شيء .

ولعلّ وجه استخراج حال ذلك الكتاب العلوي من لفظ الكتاب المراد منه القرآن أنّ هذا الكتاب في مقامه الظاهري بمنزلة صورة ظاهريّة لذلك الكتاب المعنوي ، الّذي « **هو آيات بيّنات في صدور الّذين أوتوا العلم** »[1] وهم الائمّة عليهم السلام . فالاحكام المترتّبة على تلك الصورة يسري إلى حقيقته بالتأويل، فيكون مفاد التأويل هو ما ذكر في الرواية .

أو يقال : إنّ للكتاب مقامات . أحدها نفس أمير المؤمنين عليه السلام ، فاذا ثبت الحكم للكتاب بعنوان مطلق ثبت لجميع مواطنه و مواقعه وعوالمه ، فيكون من جملة مفاد الكلام أنّ « كتاب عليّ عليه السلام لاريب فيه ـ الخ . » وذلك الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام لم يدخل قلبه ريب و لا شكّ أبداً ، و ليس في شأنه شكّ و لا ريب لأولي الالباب مع ما ظهر منه .

و«هدى للمتّقين» وإمام لهم يأتمّون به ويهتدون به ، بل صدق هذا الحمل عليه في هذا المقام أوضح من مقام الكتاب الظاهر للناس .

---

١) العنكبوت / ٤٩ .

فلعلّ في ذلك إشارة إلى التأويل المذكور لأولى الالباب .

[في معنى الرَّيب]

ثمّ إنّ الريب هو الشكّ وأصله: قلق النفس واضطرابها، كما روى الزمخشري عن المجتبى عليه السلام أنّه قال :

« سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله [يقول] : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فانّ الشكّ ريبة ، والصدق طمأنينة . »[1]

قال الزمخشري : « أي : فانّ كون الامر مشكوكاً فيه ممّا تقلق له النفس ولا تستقرّ به ، وكونه صحيحاً صادقاً ممّا تطمئنّ له وتسكن . »[2]

وظاهره أن المراد كون الاعتقاد سبباً لسكون النفس ، والشك سبب للقلق . و لعلّ الاظهر أن يفسّر بأنّ الطمأنينة إذا حصلت في النفس من الخبر دلّت على كونه صادقاً في إخباره ، وإن ارتفعت عنه وحدث الريب فهو موضع ريبة وتهمة ، كما يؤيّده ما روي في المشهور عندهم أنّ الصدق طمأنينة والكذب ريبة . وكان مفاد الخبر حينئذ أنّ سكون النفس و طمأنينته على الخبر علامة صدقه . و لعلّ مرجعه الاحالة إلى ذوق النفس وطبعه ، فشرط ظهور العلامة سلامته من الامراض المغيّرة لمزاجه وطبعه .

وكيف كان ، فنفي جنس الشكّ في الكتاب لا ينافي ما ظهر من الاشقياء المرتابين ؛ لأنّ المنفي كون الريب فيه لا في النفس المائلة عن الاستقامة ؛ إذ الكلام الّذي يشهد بلفظه ومعناه من جهات كثيرة بأنّه الحقّ الثابت كيف يكون الشكّ ، أو ما يوجب التهمة مستقرّاً فيه ، و قد استقرّ فيه من كلّ وجه ما ينفي الشكّ

---

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ١٩ ؛ وهكذا في أنوار التنزيل ، ص ٨ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ١٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******
والتهمة عنه؟ بل الكلام الّذي استقرّ فيه الريب هو ما يكون متّصفاً بأضداد صفاته.

وكذا إذا لوحظ في المريب معنى اضطراب النفس إذ الكلام المشتمل على ما يسكن به النفس بحقيقته، ويوجب الاطمينان ورفع القلق عن النفس في جميع الشؤون عند استقراره في القلب، كيف يتأمّل في نفي استقرار الريب فيه؟ وإنّما الّذي أوجب الريب في المرتابين ما استقرّ في نفوسهم الخبيثة من العوج والانحراف وما غشي أعينهم من أغشية الهوى والعصبيّة، والميل إلى الباطل، والاعراض عن التأمّل في الكتاب.

وكيف يصحّ التأمّل في نفي الريب في الشمس الطالعة، مع أنّ العميان والمسجونين في السجن المظلم، لايرونه ويتردّدون فيه، مع ظهور أمر القرآن ما أقوى منها لأولي البصائر؟

وربّما نذكر جملة من وجوه ذلك فيما سيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ.

[في معنى الهداية وأنّ المتّقين هم المهتدون وهم الشّيعة]

هُدىً لِلمُتَّقِينَ

عن الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام أنّه قال في الآية: «بيان لشيعتنا.»[1]

وروى العيّاشي عنه عليه السلام فيه أنّه قال: «المتّقون شيعتنا.»[2] وقد تقدّم صدره.

والأوّل أيضاً باسناده عن يحيى بن أبي القاسم قال:

«سألت الصادق عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ «الم» إلى قوله

---

١) راجع تعليقة ١ من ص ٣٥٧ .

٢) راجع مصادر روايته الاخيرة المذكورة في ص ٣٩٣،تعلقيه ١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

«يؤمنون بالغيب»، فقال: المتّقون شيعة علي عليه السلام ـ الحديث.»[١]

وفي تفسير الامام عليه السلام:

« هدىً بيان من الضلالة للمتّقين الّذين يتّقون الموبقات، ويتّقون تسليط السفه على أنفسهم، حتّى إذا علموا ما يجب عليهم عمله[٢] عملوا بما يوجب لهم رضا ربّهم.»[٣]

وعنه عليه السلام أيضاً:

« ثمّ قال: « هدىً » بيان و شفاء « للمتّقين » من شيعة محمّد وعليّ ـ عليهما و آلهما السلام ـ. إنّهم اتّقوا أنواع الكفر فتركوها، و اتّقوا الذنوب الموبقات فرفضوها، و اتّقوا إظهار أسرار رسول الله صلى الله عليه وآله وأسرار أزكياء عباده الاوصياء بعد محمّد صلى الله عليه وآله فكتموها، و اتّقوا ستر العلوم عن أهلها المستحقّين لها، وفيهم نشروها.»[٤]

وقال القميّ:

« الهداية في كتاب الله على وجوه، فهذا هو البيان.»[٥]

---

١) الاكمال. ج ٢، باب ما روي عن الصادق ـ عليه السلام ـ من النص على القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ، ص ٣٤٠؛ والبرهان، ج ١. ص ٥٣؛ ونور الثقلين، ج ١، ص ٣٣.

٢) في المخطوطة والمعاني والبرهان: « علمه ».

٣) خ. ل: « بما يجب لهم رضا ربّهم »، والحديث فراجع تفسير الامام ـ عليه السلام ـ، ص ٢٢ ـ ٢٤؛ والمعاني، باب معنى الحروف المقطعة، ص ٢٤، ح ٤؛ والبرهان، ج ١، ص ٥٤، ح ٩.

٤) نفس المصادر.

٥) القمي، ج ١، ص ٣٠؛ والبرهان، ج ١. ص ٥٦.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

اقول : الظاهر أنّ الهدى مصدر على فعل كالسرى ، بمعنى الدلالة والبيان ، سواء أوصل إلى البغية أو لا ، على ما يظهر من تلك الاخبار : قال الجوهري : « الهدى : الرشاد والدلالة . »

ويعضده قوله تعالى : « شهر رمضان الّذى أُنزل فيه القرآن هدىً للنّاس . »[١]

وذهب بعضهم إلى الاختصاص بالموصل إليها بقرينة وقوع الضلالة في مقابلته؛ قال الله تعالى : « أولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى . »[٢] وقال : « إنّا أو إيّاكم لعلى هدىً أو في ضلال مبين . »[٣]

و يقال : مهدي في موضع المدح كمهتد ، ولانّ اهتدى مطاوع هدى ، ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله . »[٤]

و فيه أنّ لفظ الاشتراء في الاولى و لفظة « لعلى » في الثانية اقتضى الدلالة على قبول الدلالة وحلها ، والقبول القلبي هو مقابل للضلالة في الاعتقاد ، و القبول العمليّ للضلالة العمليّة ، فالوصول الاعتقاديّ لازم للاول والعملي للثاني .

وأمّا كون مهديّ مدحاً ، فدلالته على الهداية العلميّة باعتبار ظهور حصول الهداية له واعتقاده بمتعلّقها ، و على العمليّة لو كانت ، فهو لاجل كون الظاهر منه هو القبول الكامل ، فيترتّب عليه العمل .

و أمّا كون « اهتدى » مطاوع « هدى » ، فهو صحيح على ما ذكرنا ؛ لأنّ قبول الدلالة هو حصول الدلالة له ، فيكون موصلا في مقام العلم فقط ، أومع العمل أيضاً ؛ ألا ترى أنّ الائتمار مطاوع لأمر ، مع أنّه لايشترط في كونه أمراً حصول

---

١) البقرة / ١٨٥ .

٢) البقرة / ١٦ و١٧٥ .

٣) سبأ / ٢٤ .

٤) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٠ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الائتمار ؟ مضافاً إلى ما قيل من أنّ مقابل الضلالة الاهتداء لا الهدى ، وأنّ إفادة المهديّ المدح لأنّه من المعلوم أنّ الوسيلة إذا لم يفض إلى المقصود كانت كالعدم ، و أنّ لزوم اهتدى لهدى كليّة ممنوع ؛ إذ يصحّ في العرف أن يقال هدى ، فلم يهتد ؛ قال عزّ من قائل :

« وأمّا ثمود فهديناهم فاستحبّوا العمى على الهدى . »[1]

و حينئذ فالظاهر عدم اختصاصه بالموصل ، بل هو البيان والدلالة الّتي من شأنها أن يتوصّل بها إلى البغية ، سواء استجمع من له الهداية شرائط القبول وقبل وسلك على منواله أم لا .

ثمّ المتّقي اسم فاعل من وقاه فاتّقى، والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابّة تقي من وجاها إذا أصابه ضلع من غلظ الارض ورقّة الحافر، فهويقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه .[2]

قال الجوهري : « لمّا كثر استعماله على لفظ الافتعال توهّموا أنّ التاء من نفس الحرف ، فجعلوه إتّقى يتّقي بفتح التاء فيهما مخفّفة ، ثم لم يجدوا له مثالاً في كلامهم يلحقونه [به] ، فقالوا : تقى يتقي ، مثل قضى يقضي ـ إلى أن قال : ـ والتقيّ : المتّقي ، وقد قالوا ما أتقاه لله سبحانه . »

و حينئذ فالتقوى والتقى والتقي و غيرها كلّها من الوقاية الّتي بمعنى فرط الصيانة والحفظ ، فلا بدّ من كونه متعلّقاً بأمر ضارّ ، فيختلف باعتبار المواطن والمواضع ، فاذا استعمل في مقام الدين والشريعة و ملاحظة الغاية كان معناه أصل المادّة بجميع تصريفاتها فرط الصيانة عمّا يضرّ من تلك الحيثيّة، ولمّا كان للمضرات درجات من الكفر ، والكبيرة والصغيرة ، والتوسّع في أسباب الدنيا الموجب للتثقل

١) فصلت / ١٧ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٠ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

في العقبى، وللصيانة درجات من التحرّز عن المعلوم والمظنون والمشكوك والموهوم و ما يقرب من حمى المضرّات حذراً من الوقوع فيها انقسمت التقوى إلى درجات كثيرة، حتّى وصف المتّقون في خطبة نهج البلاغة[1] بصفات كثيرة ربّما يعزّ المتصف بها وجوداً .

ولايبعد أن يكون أوّل درجات التقوى في لسان الشرع هو اجتناب الكفر والكبائر، والاصرار على الصغائر، وآخره ما يتلو مرتبة المعصومين عليهم السلام، أونفس مرتبتهم عليهم السلام، فانّهم أصل التقوى .

ثمّ لمّا كانوا عليهم السلام أصول شجرة التقوى و حقيقة التقوى الظاهرة في العالم في صورة الانسان، و مشتملين على جميع شؤون التقوى، بحيث لايخرج عن مقامهم شيء من شعب التقوى، و كانوا هم الدعاة إلى التقوى، كان التابع لهم المتابع لهم في ذلك، المجيب لهذه الدعوة الّتي صدرت منهم عليهم السلام متّقياً على حسب متابعته ومتابعته واستجابته .

ولعلّه لذلك فسّر المتّقون بالشيعة في تلك الرواية خصوصاً مع توصيفهم في تفسير الامام عليه السلام بالتقويات الاربع، المشعر بأنّها العلّة في كونهم المتّقين، وجميع المراتب الاربع مندرجة تحت الجامع الّذي ذكرناه .

وأما ما ذكر في الفقرة الاولى من أخذ التقوى من تسليط السفه على أنفسهم فلعلّه بيان لوجه إدخال الاتيان بالواجبات في التقوى، مع أنّ التقوى منحصر بالوقاية عمّا يضرّ، فلا يشمل تحصيل ما ينبغي تحصيله من أخذ رفع مانعها، الّذي هو السبب في تركها في التقوى، فيلازم وجودها بعد انحصار السبب للترك في التسليط المذكور غالباً أو دائماً، و بيان لأنّ التقوى لا ينحصر بمقام العمل، بل تقوى القلب عن تسلّط السفاهة عليه أيضاً داخل في التقوى، بل تقوى القلب هو

---

١) إشارة إلى خطبة الهمام (ره) وغيرها من كلامه عليه السلام .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الاصل في تقوى الجوارح ؛ إذ أعمال الجوارح تابعة لأحوال القلب ؛ قال سبحانه :

« ومن يعظّم شعائرالله فإنّها من تقوى القلوب . » [١]

ثم إنّهم ذكروا [٢] في وجه اختصاص الهدى بالمتّقين مع أن المتقين مهتدون: إرادة الزيادة إلى ما هو ثابت فيهم، أو تسميتهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متّقين من باب مجاز المشارفة . ولم يقل للضالّين ، لأنّهم فريقان : فريق علم بقائهم على الضلالة ، و هم المطبوع على قلوبهم ، وفريق علم مصيرهم إلى الهدى ، فلوجيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدىً للصابرين إلى الهدى بعد الضلال ، فاختصر الكلام بإجرائه على الطريقة الّتي ذكرناه ، فقيل : هدىً للمتّقين .

و هذا مبنيّ على كون الايصال إلى البغية معتبر [أ] في الهدى ، كما هو مذهب الموجّه . [٣]

وقيل : إنّ التخصيص لأنّهم المنتفعون به بالهداية ، فخصّوا بالذكر مدحاً لهم ، ولكلّ وجه بحسب النظر الظاهري في تفسير اللّفظ .

ولعلّ الاولى أن يجعل ذلك إشارة إلى الهداية الحاصلة من القرآن للمتقين عقيب تحصيل التقوى، والسعي في تكميلها ، إذ هو مقتضى تعليق الحكم على الوصف المشعر بكونه علّة لذلك الحكم ، و سلامته عن جملة ممّا مرّ ونظائرها ، و لدلالة جعل الوصف متعلّقاً للحكم على نفيه عند انتفائه على مذهب جماعة من الاصوليين وإشعاره به ، ودلالته عليه بمعونة الخصوصيّات كما هو المختار .

وحينئذ فالمناسب أن يكون هدايته الحقيقية الباطنيّة بقدر مراتب التقوي

---

١) الحج / ٣٢ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٠ .

٣) راجع الصافي ، ج ١ ، ص ٥٨ ؛ و مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٣٦ ؛ و أنوار التنزيل ص ٨ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

كلّما ازداد التقوى ازداد كونه هدىً ، وهو الظاهر من حال القرآن بالنسبة إلى أهل التقوى الحقيقي . و لعلّهم المرادون بالشيعة في تلك الاخبار المفسّرة كما يقوّيه ملاحظة ما ورد من الاخبار في صفات الشيعة ، و أنّه ليس عامّاً لكلّ من أظهر كلمة الولاية كما يظنّه الناس، فراجع .

و ربّما يستفاد هذا المعنى من آيات عديدة ؛ كقوله سبحانه : « هدىً وبشرى للمحسنين . »[1] و قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين * يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السّلام ويخرجهم من الظّلمات إلى النّور . »[2]

إلى غير ذلك من الآيات الّتي يأتي في مواضعها ـ إن شاء الله تعالى ـ .

و قد مرّ سابقاً بيان إجمال بعض مراتب الهدايات القرآنيّة للمتّقين على درجاتهم في أوّل الكتاب فراجع .

و أمّا وصف القرآن بأنّه هدىً للناس في الآية الاخرى ، فلعلّه باعتبار المعنى الظاهري من الهداية الصوريّة الشأنيّة ، أو باعتبار شأنيّتهم للاهتداء به بتحصيل التقوى أوّلاً .

---

١) كذا في المخطوطة ، و كتب فوقه « ظ » . و ليس هذه الفقرة بعينها موجودة في القرآن ، و لعلّ الصحيح : « هدىً وبشرى للمؤمنين » (البقرة / ٩٧ والنمل /٢) أو : « هدىً وبشرى للمسلمين » (النحل/١٠٢) أو : « بشرى للمحسنين » (الاحقاف /١٢) .

٢) المائدة / ١٥ ـ ١٦ .

[بحوث حول الايمان والغيب]

الَّذينَ يُؤمِنُونَ بِالغَيْبِ

عن تفسير الامام عليه السلام :

« وصف هؤلاء المؤمنين الّذين هذا الكتاب[1] هدىً لهم، فقال : « الذين يؤمنون بالغيب » ، يعني : ما غاب عن حواسّهم من الامور الّتي يلزمهم الايمان بها ؛ كالبعث والحساب، والجنة والنار، و توحيد الله ، و سائر ما لايعرف بالمشاهدة و إنّما يعرف بدلائل قد نصبها الله تعالى دلائل عليها ؛ كآدم وحوّا و إدريس ونوح و إبراهيم ، والانبياء الّذين يلزمهم الايمان بهم بحجج الله تعالى و إن لم يشاهدوهم و يؤمنون بالغيب ، وهم من الساعة مشفقون . »[2]

وفي تفسير القمّي قال :

« يصدّقون بالبعث والنشور ، والوعد والوعيد . »[3]

وعن ابن بابويه باسناده عن الصادق عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : «الذين يؤمنون بالغيب» قال :

« من آمن بقيام القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ

---

١) في المخطوطة : « القرآن » .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٢٤ ؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٥٦ ، ح ١ .

٣) القمى ، ج ١ ، ص ٣٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٦ ؛ و نورالثقلين ، ج ١ ، ص ٣١ ، ح ١٠ .

أنّه حقّ . »[1]

وعن نسخة : « من أقرّ بقيام . . . »

وعنه عليه السلام في الرواية المتقدّم صدرها عن يحيى بن أبي القاسم :

« والغيب فهو الحجّة الغائب ، و شاهد ذلك قوله تعالى :
ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربّه فقل إنّما الغيب لله فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين . »[2]

وعنه باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث يذكر فيه الائمّة الاثنى عشر و فيهم القائم ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

« طوبى للصابرين في غيبته ، طوبى للمقيمين على محبّته[3] ،
اولئك من وصفهم الله في كتابه، فقال: « **الّذين يؤمنون بالغيب** »
ثمّ قال : «**أولئك حزب الله الا إنّ حزب الله هم الغالبون** .»[4]

أقول : الايمان إفعال من الامن ، و هو يتعدّى بنفسه إلى مفعول واحد ، فاذا عدّي بالهمزة عدّي إلى مفعولين ، تقول : أمنته غيري بمعنى : جعلته ذا أمن منه . ثمّ تعدّى فقيل :آمنه إذا صدّقه ، وحقيقته أمنه التكذيب والمخالفة ، وهو

---

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ، ص٣٩٨.

٢) نفس المصادر ؛ والاية : يونس / ٢٠ .

٣) فيكفاية الاثر والبحار : « محجتهم » ، وفي البرهان : « محبتهم » .

٤)كما في البرهان ، ج ١ ، ص ٥٤ ، ح ٦ ؛ وهكذا رواه الخزاز القمي (ره) في كفاية الاثر ، باب ما جاء عن جابر ، ص ٦٠ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٣٦ ، باب نصوص الرسول ـ صلى الله عليه و آله ـ عليهم ـ صلوات الله عليهم ـ ، ص ٣٠٤ ، ح ١٤٤، وج ٥٢ ، باب فضل انتظار الفرج ، ص ١٤٣، ح ٦٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

فيه حقيقة لغويّة و إن كان أصله مأخوذاً من غيره ، و تعديته بالباء لتضمينه معنى أقرّ و اعترف . و ربّما يمكن إطلاق ماآمنت على معنى ما وثقت ، وحقيقته صرت ذا أمن به ، أي : ذا سكون وطمأنينة ، كذا ذكروه .

وقد سبق أنّ الشكّ موجب لقلق النفس واضطرابه ، واليقين باعث لسكونه فيمكن كون الايمان بمعنى التصديق باعتبار أنّه سكن نفسه و صيّره ذا طمأنينة و أمن من طرف المؤمن به ، فارتفع به القلق والاضطراب عن النفس ، كما يؤيّده إطلاق الريب على الشك كما قدمنا . ويوافقه المعنى الاخير إلا في التعدية واللزوم بل يصحّ جعله متعدّياً ؛ إذ الاصل فيه حكاية أبي زيد عن العرب : ماآمنت أنأجد صحابة ؛ أي : أصحاباً أسافر معهم ، ويصحّ أن يؤخذ متعدّياً إلى المفعولين بمعنى: إنّي ما آمنت نفسي من طرف وجدان الصحابة من دون حاجة إلى إرجاع باب الافعال إلى صيرورته ذا أمن .

و حينئذ فالايمان الدالّ على الامن مقابل الريب الّذي هو قلق النفس واضطرابها في إطلاقهما على التصديق والشكّ الشائعين على معناهما الاصليّ .

وربّما يؤيّد ما ذكرنا ما نقل من حديث « رفاعة » :

« أتدري يا رفاعة لم سمّي المؤمن مؤمناً ؟ قال : لا أدري ، قال : لأنّه يؤمن على الله فيجيز أمانه . »[1]

---

(١) لم نعثر عليه بهذا الاسناد، ولكن نقله الصدوق (ره) في العلل ، ج ٢، باب ٣٠٠ ص ٥٢٣ ، عن المفضل بن عمر ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ؛ والبرقي (ره) في المحاسن ، باب ٥٦ منكتاب الصفوة والنور والرحمة ، ص ١٨٥، ح ١٩٣ ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ ؛ و كتاب العلل ، ص ٣٢٩ ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ؛ والطوسي (ره) في الامالي ، ج ١ ، ص ٤٦ ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٦٧ ، باب فضل الايمان وجمل شرائطه ، عن مشكاة الانوار و قضاء الحقوق عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وبالي أنّه ورد في روايات أخر قريبة منه أيضاً ، وذلك باعتبار أخذ الايمان من جعل الامن للغير ، و لعلّه للمؤمن الكامل باعتبار إكماله إيمانه نفسه حتّى صار يؤمن غيره ، ويصيرون ذا أمن به .

فالظاهر حينئذ أخذ الايمان في لسان أهل الشرع بهذا المعنى ، وأن يكون هذا هو الاصل في الّذي نقل الاتّفاق من الكلّ عليه من أنّ الايمان لغةً عبارة عن التصديق المطلق، وما اشتهر بينهم ظاهراً من جعل الايمان في الشرع عبارة عن تصديق بأمور مخصوصة على الاختلاف الشديد الواقع فيه بين طوائف المسلمين ، كما أنّه اختلف إطلاق اللّفظ في الكتاب والسنّة بحسب الظاهر ، و أثبت بعض المحدّثين له معانٍ وإطلاقات متعدّدة .

[أقسام الايمان على ما في تفسير القمي]

وذكره القمي هيهنا أنّ :

« الايمان في كتاب الله على أربعة وجوه[1] ، فمنه : إقرار باللسان قد سمّاه الله إيماناً . ومنه : تصديق بالقلب ، و منه : الأداء ، و منه : التأييد . . . ـ و أورد للأوّل ـ قوله تعالى :

« يا أيّها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً * و إنّ منكم لمن ليبطّئنّ فإن اصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله عليّ ـ إلى قوله :ـ فأفوز فوزاً عظيماً.»[2]

قال : فقال الصادق عليه السلام : « لو أنّ هذه الكلمة قالها أهل المشرق و أهل المغرب لكانوا بها خارجين من الايمان، ولكن قد سمّاهم الله مؤمنين باقرارهم .»[3]

---

١) خ . ل : « أوجه » .

٢) النساء / ٧١ ـ ٧٣ .

٣) رواه أيضاً العياشي (ره) في كتابه كما في الصافي ، ج ١ ، ص ٣٧٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وقوله : « يا أيّها الّذينآمنواآمنوا بالله ورسوله . » [١] .

ـ وأورد للثاني ـ قوله تعالى :

« الّذين آمنوا و كانوا يتّقون * لهم البشرى في الحياة الدُّنيا و في الآخرة . » [٢]
يعني : صدّقوا .

وقوله : « وقالوا لن نؤمن لك حتى » [٣] أي : لانصدّقك .

و قوله : « يا ايها الذينآمنوا » أي : يا أيّها الّذين أقرّوا و صدّقوا . ـ ثمّ قـال : ـ

فالايمان الخفيّ [٤] هو التصديق ، وللتصديق شروط لا يتمّ التصديق إلا بها .

وقوله: « ليس البرّ ان تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب و لكنّ البرَّ منآمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنّبيين و آتى المال على حبّه ذوي القربى واليتامى والمساكين و ابن السبيل والسائلين و في الرقاب و أقام الصلاة و آتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصّابرين فيالباساء والضرّاء وحين الباس أُولئكالّذين صدقوا وأُولئك هم المتّقون . » [٥] ـ ثمّ قال : ـ فمن أقام بهذه الشروط فهو مؤمن مصدّق ـ ثمّ قال : ـ

و أمّا الايمان الّذي هو الاداء ، فهو قوله تعالى لمّا حوّل الله قبلة رسوله إلى الكعبة قال أصحاب رسول الله ﷺ : « يا رسولالله ، فصلاتنا إلى بيتالمقدس بطلت.؟ » فأنزل الله تبارك و تعالى : « وماكان الله ليضيع ايمانكم » [٦] فسمّى الصلوة

١) النساء / ١٣٦ .
٢) يونس / ٦٣ ـ ٦٤ .
٣) البقرة / ٥٥ ، وفيها : « وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن . . . » .
٤) خ . ل : « الحق » .
٥) البقرة / ١٧٧ .
٦) البقرة / ١٤٣ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

إيماناً. ـ ثمّ قال : ـ

والوجه الرابع من الايمان و هو التأييد الّذي جعله الله في قلوب المؤمنين من روح الايمان، فقال : « **لاتجد قوما يومنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولوكانوا آبائهم او ابنائهم او إخوانهم اوعشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وايّدهم بروح منه .**» [1] ـ ثمّ قال : ـ

والدليل على ذلك قوله ﷺ : «لايزني الزاني وهو مؤمن، ولايسرق السارق وهو مؤمن ، يفارقه روح الايمان مادام على بطنها ، فاذا قام عاد [إليه] .

قيل : و ما الّذي يفارقه ؟ قال : الّذي يدعه في قلبه ـ ثمّ قال ﷺ:ـ ما من قلب إلا و له أُذنان على أحدهما ملك مرشد، وعلى الآخر شيطان مفتن ، هذا يأمره وهذا يزجره . » [2] ـ ثم قال : ـ

و من الايمان ما قد ذكره الله في القرآن « خبيث » و« طيب » ، فقال : « **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطيّب** » . [3] فمنهم من يكون مؤمناً مصدّقاً ، ولكنّه يلبس ايمانه بظلم ، وهو قوله : « **الّذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن و هم مهتدون** . » [4] فمن كان مؤمناً ثمّ دخل في المعاصي الّتي نهى الله عنها فقد لبس إيمانه بظلم ، فلاينفعه الايمان حتّى يتوب إلى الله من الظلم الّذي لبس إيمانه ، حتّى يخلص لله إيمانه ـ ثمّ قال : ـ فهذه وجوه الايمان

---

١) المجادلة / ٢٢ .

٢) قد أورد المجلسي (ره) كثيراً من الروايات التي يقرب من هذه الحديث وفقراته في باب السكينة وروح الايمان من مجلد ٦٩ ، وباب القلب وصلاحه و فساده من مجلد ٧٠ من كتابه ، فراجع .

٣) آل عمران / ١٧٩ .

٤) الانعام / ٨٢ .

في كتاب الله . »[١] انتهى .

والظاهر من حاله أنّه أخذه من الروايات المتفرّقة ، أو هو رواية واحدة ، و ربّما ينسب أصل كتاب تفسيره إلى الصادق عليه السلام ، كما أورد هذه النسبة السيّد البحراني في تفسير البرهان .[٢]

والذي يظهر لي في المقام أنّ الايمان ليس له معان متعدّدة متباينة على سبيل الاشتراك اللّفظي ، كما ربّما يلوح من بعض ، و لا هو أمر واحد لا يقبل التفاوت والتشكيك والكمال والنقص ، كما ربّما يظهر من بعض ، و لا هو ذو شأن واحد لا يتعدّاه إلى غيره ، كما هو ظاهر كثير ، ولا هو عبارة عن مجموع عدة أُمور مختلفة متباينة في محالّ مختلفة ، يسمّى ذلك المجموع من حيث المجموع إيماناً ، بحيث ينتفي اسم الكلّ بانتفاء البعض ، كما ربّما يظهر من جماعة ، بل الظاهر الذي يجمع به بين الاطلاقات المختلفة ، والاخبار المترائى بينها التعارض أنّ لفظ الايمان باقٍ على معناه الاصلي ، لكنّه اختصّ باعتبار متعلّقه ، فهو عبارة عن إيمان الانسان نفسه من طرف الحقّ سبحانه ، وإزالة القلق والاضطراب بحصول السكون والثقة والامن له من طرف الحقّ بقبوله الحقّ ، و أمنه التكذيب والمخالفة . و حينئذ فلشجرة الايمان أصل هو المعرفة والاعتقاد بدرجاتها المقابل للشكّ ، وقبوله ذلك المعرفة في مقابل الجحود القلبي والإباء النفساني على درجات القبول في تماميّة الرسوخ في النفس و عدمه ؛ و لها أغصان باعتبار التأثّر بمقتضى ذلك المعرفة ،

---

١) القمي ، ج ١ ، ص ٣٠ ؛ والبحار ، ج ٦٨ ، باب الفرق بين الايمان والاسلام ، ص ٢٧٣ ، ح ٣٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٦ .

٢) قال (ره) في أول تفسيره : « ثم إني لم أعثر في تفسير الآية من صريح رواية مسندة عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ذكرت ما ذكره الشيخ أبوالحسن علي بن ابراهيم ، الثقة في تفسيره ؛ إذ هو منسوب إلى مولانا وإمامنا الصادق ـ عليه السلام ـ . . . » .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وظهور آثارها في القلب بحدوث الحالات النفسانية الّتي تقتضيها تلك المعرفة وارتفاع أضدادها على درجاتها الغير المتناهية ، و لها ثمرات و فروع يترتّب عليها من فعل ما تقتضي تلك المعرفة فعله، وترك ما تقتضي تركه على اختلاف الافعال والتروك في قوّة الاقتضاء وضعفه بحسب مرتبتها .

فهذه مراتب أربعة ، فله شأن في مقام الاعتقاد ، و شأن في مقام القبول ، و شأن في مقام الحالات والاخلاق والملكات ، و شأن في مقام العمل ، ونسبة كلّ سابق إلى لاحقه كنسبة الاصل للفرع ، والبذر للزرع ؛ إذ الاعتقاد هو المؤثّر في القبول فما بعده ، والقبول فرع الاعتقاد الّذي هو المقبول ، وسبب لانبعاث الحالات النفسانيّة الموافقة لتلك المعرفة عنه ، و تلك الحالات هي مبدء الافعال والتروك الخارجيّة .

ومثاله مثال من أخبر بمجيء أسد في مكانه ،فايمانه بالمخبر والخبر اعتقاد صدقه و قبول كلامه . فاذا اعتقد وقبل أثراً في حقّه خوفاً من الاسد ، وطلب هرب من المكان الّذي تعرض له الاسد ، ولو لا الاعتقاد والقبول لم يخف و لم يطلب الهرب ، و إذا خاف و اشتاق إلى الهرب هرب بارادته المنبعثة عنهما . و حينئذ فقد كمل إيمانه بالمخبر حيث أمنه التكذيب والمخالفة، وجعل نفسه ذا أمن من الشك والاضطراب في الصدق والكذب بقبوله خبره اعتقاداً و حالاً وعملاً .

فمثل هذا المؤمن في المقام مؤمن حقيقة ، و بقدر الكمال في تلك الشؤون يكون كمال الايمان وضعفه، وإذا انتفت أحدها فان كان المنتفي هو الاول و الثاني انتفت الايمان ، كما ينتفي الشجرة بانعدام أصله ، أو ساقه الكبير المتصل بالاصل . وإن كان الثالث أو الرابع فلاينتفي أصل الشجرة ، و إنما ينعدم كماله فهو شجرة ناقصة؛ إذ كان بلاغصن، أو بلاثمرة . وسقوط كل واحد من الاغصان والثمرات ينتقص شجرة الايمان ، و بكماله يكمل ، ولا ينفع الاغصان والفروع او فرض وجودهما

أوشيئاً منها صورة بدون الاصل؛ إذ ليس هوشجرة بل هو يشبه الشجرة وليس منها فهو نفاق، أو تكلّف، أوتصنّع، أو رياء و سمعة، بل ليس غصناً و فرعاً بعد انتفاء الاصل والساق، وإن اشتبه بهما للتشاكل والتشابه.

و حينئذ يترتب عليه أحكام المؤمن في الدنيا ما لم يظهر الحال لقيام الدنيا بالصور، ويضمحلُّ في الآخرة لظهور الحقائق فيها.

ثم إن للّسان خصوصية التعبير اللّفظي عن الاعتقاد والقبول الباطنيين و هو الاقرار بالحق، وهو الايمان اللّفظي، فالايمان مبثوث على أجزاء الانسان وجوارحه كما ورد في الاخبار[١]، و هو بمنزلة الانسان المشتملة على الاعضاء الرئيسة و غيرها من الاصول والفروع والمكملات والمحسنات والمزينات. و كما أن شيئاً من تلك الامور لايخرج عن الانسان وإن كان لاينتفي الانسان بانتفاء أكثره، وينتفي بانتفاء الاعضاء الرئيسة، كذلك لا يخرج شيء من المراتب عن الايمان و إن لم ينتف إلا بانتفاء البعض، ولكنّه ناقص بنقصان البعض؛ كالانسان المقطوع الاعضاء.

و يشبه أن يكون عبادة كلّ جارحة بازاء نفس ذلك العضو من الايمان، فيكون عبادة القلب من المعرفة والقبول الّذي هو عقد القلب قلباً للايمان، وعبادة الدماغ دماغاً للايمان، والعين عيناً له، وهكذا؛ إذ الاصل في عبادة كل جارحة أن يكون تابعة لتلك الجارحة شرفاً وخساسة. فالايمان المبثوث على كل جارحة هو تلك الجارحة بعينها من جوارح الايمان، وهذه المراتب كلّها أجزاء لبدن الايمان كالاجزاء المحسوسة من الايمان، و له روح يسمّى روح الايمان، و قد تكرر في

١) كالرواية الطويلة التي أورده الكليني(ره) في الكافي، ج ٢، باب في أن الايمان مبثوث لجوارح البدن كلها، ص ٣٣، ح ١، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ؛ والنعماني (ره) في تفسيره عن الصادق، عن أميرالمؤمنين ـ عليهما السلام ـ كما في البحار، ج ٩٢، باب ما ورد في أصناف آيات القرآن، ص ٤٩؛ فراجع.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الاخبار ذكره ، وقد مرَّ في عبارة القمي ذكر بعضها على الظاهر المنساق من العبارة من كونه رواية .

وحينئذ فيشبه أن يكون نسبته إلى ذلك الجسد المفروض نسبة روح الانسان إلى جسده ، و هو من أعظم مواهب الله سبحانه لمن يشاء من عباده ، كما أنّ إعطاء الروح لجسد الانسان أعظم مواهب الانسان .

ويشبه أن يكون طريق تحصيله تكميل الجسد، فيكون معداً لحصول الروح فيه من طرح الحق، كما أنَّ كمال الجسد في الحيوان معدّ لنفخ الروح فيه، و كما يكون الحيّ حيّاً بالروح ، كذلك المؤمن حياة إيمانه بذلك الروح . و لعلّ تلك الحياة الايمانية المعنوية هو المراد بالحياة الطيبة في قوله سبحانه : « فلنحيينّه حياةً طيبة »[1] .

وهذا كلام إجمالي في الايمان بقول مطلق ، ولعل كثيراً من التفاصيل تذكر متفرقة في المواضع المناسبة ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[في أنّ الغيب هو الامام الغائب ـ عجّل الله تعالى فرجه الشّريف ـ]

ثم الظاهر أن قوله تعالى : « بالغيب » صلة للايمان ، فيكون هو المؤمن به، و إن أمكن كونه في موضع الحال ، أي يؤمنون ملتبسين بالغيب ، أي : غائبين عن المؤمن به ، أو عن الناس خلاف المنافقين ، المظهرين للايمان في حضور المسلمين فقط ، فيكون نظير قوله تعالى : « يخشون ربّهم بالغيب »[2] وقوله : «وليعلم أنّي لم اخنه بالغيب »[3] على الظاهر فيهما . وعلى الاول فالظاهر أن المراد بالغيب كلّما غاب عن الحواس ، وخفي عن المدارك البشرية مما يتعلّق به الايمان من معرفة المبدء والمعاد

---

١) النحل / ٩٧ .

٢) الانبياء / ٤٩ ؛ وفاطر / ١٨ ؛ والملك / ١٢ .

٣) يوسف / ٥٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وتفاصيلهما ، ونبوة الانبياء ، و إمامة الائمة عليهم السلام إلى غير ذلك من الامور الغائبة عن الحواس ، كما يشهد له ما في تفسير الامام عليه السلام [١] ، و يندرج فيه ما في تفسير القمي [٢] ، و ما ورد في الاخبار الاخيرة من إرادة الايمان بالقائم ـ عجل الله تعالى فرجه ـ أو بقيامه [٣] .

ولعلّ وجه التخصيص في تلك الاخبار أنه أكمل أفراد الايمان بالغيب. الّذي هو صفة جيء في مقام المدح على أحد الوجوه في تركيب الموصول . و حينئذ فهو يشعر بكون عنوان الايمان بالغيب من حيث أنه ايمان بالغيب مدحاً ، فكلّما ازداد الايمان أو جهات الغيبوبة في المؤمن به كان أكمل . و لا ريب أنّ الايمان بامامة الامام الغائب وقيامه مع سائر الغيوب المتعلّقة للايمان أولى بصدق الايمان بالغيب من المؤمن بالامام الحاضر ، فهو المستحق للمدح الكامل ، و لان يقال له : طوبى ، كما في الخبر الاخير ، فهو أكمل أفراد الموصوفين بالآية .

ولك أن تقول : إنّ الامام لما كان مرآتاً للمعارف الايمانية كلّها ، فحضوره كأنه حضور جميع ما يتعلّق به الايمان ، و غيبته غيبتها ، فالايمان بالامام الغائب هو الايمان بالغيب .

و يمكن أن يقال : إن الظاهر من الغيب هو الامر الموجود الخفي ، الّذي يمكن له فرض الحضور ، ومن شأنه ذلك ، فلاينصرف إلى الحق : إذ ليس من شأنه الحضور بالمعنى العرفي ، و لا أمور القيامة ؛ إذ ليست هي موجودة الآن في هذا العالم و إن وجدت الجنة والنار ، و لا النبوة و إمامة الامام الحاضر لانتفاء شأنية الحضور للوصفين ، والمفروض مشاهدة الموصوف أو ارتحاله إلى عالم آخر ليس له شأنية الحضور عند الناس . فالفرد الظاهر من الايمان بالغيب هو الايمان بالنبيّ

١ و ٢ و٣) تقدم كلها في أول هذا الفصل ، فراجع .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

والامام الغائب عن أُمته وعن رعيته . و لمّا لم يغب النبي ﷺ عن أُمته مدة حياته ﷺ ، ولا يعدّ الموت غيبة عند العرف الشائع، انحصر في الايمان بالامام الغائب فيكون الآية بهذه الملاحظات ناظرة بأحد جهات معناها إلى ذلك، ويكون الغرض من تلك الاخبار بيان ذلك الجهة .

وأما الاستدلال بالآية الاخرى على ذلك، فلعلّه باعتبار دلالته على أنّ الغيب زمان ظهور الآيات ، والامر بانتظاره ، و ظهور الآيات الغيبية المنتظرة هو زمان قيام القائم ـ عجل الله تعالى فرجه ـ ، بل هو زمان ظهور الغيب الّذي هو لله في عالم الشهادة ، وصيرورة عالم الشهادة تابعة لعالم الغيب ، فتبصّر .

[في معنى إقامة الصّلاة]

وَيُقيمُونَ الصَّلاة

إقامة الصلاة على ماذكره جماعة : «تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها ، من أقام العود إذا قومه ؛ أوالدوام عليها والمحافظة، كما ورد في قوله تعالى : « الّذين هم على صلاتهم دائمون »[١]،وقوله تعالى: « والّذين هم على صلاتهم يحافظون »[٢] من قامت السوق إذا نفقت ، و أقامها لأنّها إذا حوفظ عليها كان كالشيء النافق الّذي تتوجه إليه الرغبات ، ويتنافس فيه المحصّلون، وإذا عطلت وأُضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لايرغب فيه ؛ أو التجلّد والتشمّر لأدائها ، وأن لايكون في مؤديها فتور عنها ولا توانٍ، من قولهم : قام بالامر وقامت الحرب على ساق ، و في ضده قعد عن الامر إذا تثبّط ؛ أو أدائها ، فعبر عن الاداء بالاقامة لأنّ القيام بعض أركانها ، كما عبر عنه بالقنوت بمعنى القيام والركوع والسجود

١) المعارج /٢٣ .

٢) المعارج / ٣٤ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والتسبيح عنها . »[١]

وقال بعضهم: إنّ المفهوم من إقامة الصلاة ليس إلا أدائها وإيقاعها في الخارج من غير إشعار بما اعتبر فيه من التقوّم على الوجه المذكور ، فضلاً عمّا ذكر في الوجه الثاني من التشبيه الغريب ، الذي قلّما يخطر بالبال ، ولايظهر وجهه إلا بعد تأمل وافر .

و أما الثالث ، فلا يشعر الكلام بوجه التجوز والعلاقة فيه ، مع أن التجلّد والتشمّر من غير فتور وتفاعد إنما هو القيام بالامر، لاإقامته وجعله قائماً غير قاعد.

و أما الرابع ، ففيه أنّ الجزء للصلاة هو القيام لا الاقامة ، فلا معنى للقول بأنه عبر عن الاداء بالاقامة ؛ لأنّ القيام بعض أركانها ، وأمّا أن الاقامة فعل القيام و هو ركن في الصّلاة،فلايصحح الكلام ، لأنّ الركن فعل القيام بمعنى تحصيل الهيئة التي هي القيام في نفس الفاعل، لا بمعنى إيجاد القيام في شيء آخر سيّما في الصلاة .

فالاحسن أنّ معناها جعل الصلاة قائمة حاصلة في الخارج من قولهم: « قام هذا بنفسه وذاك بغيره » .

وربما يذكر في تفسير إقامة الصلاة إتمام ركوعها وسجودها، وحفظ مواقيتها وحدودها ، وصيانتها ممّا يفسدها وينقصها ، وهو قريب من الاول .

وعن التوحيد باسناده عن الكاظم عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يذكر فيه معاني فصول الأذان ، وفي آخره :

«ومعنى «قد قامت الصلاة» في الاقامة أي: حان وقت الزيارة والمناجاة، وقضاء الحوائج و درك المنى[٢] ، و الوصول إلى الله

١) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٢ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ٩ .

٢) المنى: جمع « منية » بضمّ الميم وكسرها ، وهي ما يتمناه الانسان .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

عزّ وجلّ ، وإلى كرامته وغفرانه ، وعفوه ورضوانه » [١] .

وهذه كلّها أرباح تكتسب في سوق الله سبحانه، فكأن الاشتغال بالصلاة دخول في السوق لأجل اكتساب هذه الذخائر النفيسة. فاطلاق الاقامة على الاتيان بالصلاة لعلّه لكونه إقامة لهذا السوق، وجعلها نافقة غير كاسدة مرغوباً فيها بخلاف المعرض عن هذا السوق، حيث جعلها كاسداً لاينفق، مرغوباً عنها ؛ إذ لم يشتغل بالاكتساب وضيّع السوق. وحينئذ فإقامتها إنما يتم إذا أتيت بها على وجه يكون محصّلاً لتلك الذخائر ، فيعتبر فيه استجماع الاجزاء والشرائط ، و ارتفاع الموانع الصوريّة والمعنويّة في الصحّة والكمال، فيكون على هذا أخصّ من التفسير المتقدم ، مشتملا عليه ؛ إذ الظاهر أنّ ترتّب تلك الغايات المذكورة على الصلاة منوط بأمور كثيرة قلّما يحصل للمصلّين .

[في معنى الرزق والانفاق]

وَمِمّا رَزَقناهُم يُنفِقُون

عن العيّاشي والمجمع عن الصادق عليه السلام :

« فيه : وممّا علّمناهم يبثّون » [٢] .

وروى ابن بابويه باسناده عنه عليه السلام مثله ، وزاد فيه :

« و ممّا علّمناهم من القرآن يتلون » [٣] .

---

١) التوحيد ، باب تفسير حروف الاذان والاقامة ، ص ٢٤١ : والمعاني ، باب معنى حروف الاذان و الاقامة ، ص ٤١ ؛ والبحار ، ج ٨٤ ، باب الاذان و الاقامة ، ص ١٢٤ ، ح ٢٤ .

٢) في بعض النسخ : « ينبئون » و الحديث في العياشي ، ج ١ ، ص ٢٥ ، ح ١ ؛ ومجمع البيان ، ج ١ ، ص٣٩ ؛ والصافي ، ج١، ص٥٩؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٥٣ ،ح٢ .

٣) المعاني ، باب معنى الحروف المقطعة ، ص ٢٣ ، ح ٢ ، عن أبي بصير ، عنه ــ عليه السلام ــ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٣ ، ح ٣ .

وفي تفسير القمي في ظاهر عبارته عنه ﷺ نحواً منه مع الزيادة [1].

اقول :

قيل : الرزق لغة هو ما ينتفع به [2]، فيشمل الحرام والحلال والمأكول وغيره. و زاد المعتزلة ، و من يجري مجريهم ، قيداً آخر ، و هو أن لا يكون ممنوعاً من الانتفاع به ، فلا يكون الحرام رزقاً عندهم . و ربما يقال : رزق كل مخلوق ما به قوام وجوده و كماله اللائق به ، و على كل حال فالعلم رزق متعلّق بالروح ، به كماله اللائق به ، كما أنه داخل تحت عموم ما ينتفع به ، وإنفاقه التعليم . و علم القرآن أيضاً كذلك ، وانفاقه تلاوته للناس تعليماً لهم و تنبيهاً ، و قرائته لنفسه ؛ لأنه صرف له في سبيل الله . و أصل الانفاق و إن كان في أصل معناه على ما ذكروه كالانفاد، بل قيل: «إن كل مافائه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب» [3] فيكون الظاهر منه هو ذهاب المنفق من يد المنفق ، والعلم ليس كذلك ، بل يزداد بالانفاق ، إلا أنه لم يعلم أن ذلك من لوازم معناه في الموجودات العينية من حيث امتناع كونها في مكانين ، أو لأجل اعتبار ذلك في نفس مفهومه ، مع أنّ الظاهر أنّ العلم الحقيقي الباطني الذي هو أصل العلم ، و أظهر أفراده استناداً إلى الحق سبحانه ينفد بالانفاق ، ويخلو القلب منه ببذله .

و ربما يدلّ عليه ما ورد عنهم ﷺ على ما ببالي من أنّه : « لولا أنا نزداد لنفد ما عندنا . [4]» وإن كان ذلك معدّاً لإعطاء العوض ، كما هو الحال في إنفاق الاموال

---

١) القمي ، ج ١ ، ص ٣٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص٥٣ ، ح ١ .

٢) راجع الصحاح .

٣) الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٣ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ٩ .

٤) الروايات الواردة في هذا المعنى كثيرة ، فراجع الكافي ، ج ٢ ، باب في أن الائمة ــ عليهم السلام ــ يزدادون في ليلة الجمعة ، وباب لولا أن الائمة ــ عليهم السلام ــ

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أيضاً : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه »[١] وسائر العلوم بمنزلة التوابع له .

ثم إن الظاهر أن كلمة « من » تبعيضيّة ، فيكون المنفق هو بعض ما رزقهم الله سبحانه ، ووجهه في الاموال واضح ؛ إذ التبذير والبسط التامّ غير مطلوب ؛ « و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كلّ البسط »[٢] ، « والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »[٣] .

وأما في العلم الّذي هو الرزق الروحاني ، فربما يظنّ أنه لا حدّ له ولا إسراف ، بل كلّما أكثر بذله كان أحسن ، وليس كذلك .

أما في علم الباطن ، فلأنه لو بالغ في البذل والتكلّم ، ولم يكن له حالة سكوت و توجه ليرد عليه العلم فيه ، يلزمه أن يقعد ملوماً محسوراً ، و قد نفد ما عنده ، مع أنه ليس كلّما يعلم يقال . كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما نقل من خطبة له عليه السلام : « واعلموا أنّ عباد الله المستحفظين علمه يصونون مصونه ، و يفجّرون عيونه - إلى آخره »[٤] ، و لا كلّما يقال قد حضر وقته ، ولا كلّما حضر وقته حضر أهله .

وأما في العلم الظاهر ، فلأنه لا بدّ للعالم من زمان فكر و تحصيل له ، وزمان توجه إلى الله سبحانه و فراغ لعباداته و عاداته ، فلا يسع له إلا بذل البعض ، ثمّ البعض ، على أنّ البذل في كل مقام مشروط بشرائط و آداب ومكملات لا تتيسّر في جميع المواضع ، مع أنّ الّذي ينبغي للعالم أن يقتصر في بذل علمه على المقدار الذي

يزدادون لنفد ما عندهم ، ص٢٥٣-٢٥٥ ؛ والبحار ، ج ٢٦ ، باب أنهم - عليهم السلام - يزدادون ولولا ذلك لنفد ما عندهم .

١) السبأ / ٣٩ .

٢) الأسراء / ٢٩ .

٣) الفرقان / ٦٧ .

٤) نهج البلاغة ، خ ٢١٤ ، ص ٣٣١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

أتقنه وأحكمه مشروحاً، لا ما لم يتمّ بعد نضجه و كماله، أولم يحضره بيان كافٍ له.

ثم إنَّ في نسبة الرزق إليه سبحانه دلالة على إرادة المال الحلال و لو قلنا بشمول الرزق للحرام أيضاً ، و اعتباره في المقام ظاهر ؛ إذ إنفاق المال الحرام على غير الوجه الشرعي حرام آخر ، فلا يستحق فاعله مدحاً ، و لا يعدّ فعله من صفات المتقين ، واعتبار النسبة إليه سبحانه في العلم يخصّه بالهدايات الالهية ، أو مع كل علم حق خالص عن شوب الوهم والخيال والاباطيل والقضايا الكاذبة .

ثمّ إن الرزق على المعنى الاول لا يختصُّ بالمال والعلم ، بل يشمل القوى والابدان والجاه ، والانفاق منها إسعاف الحاجات والاخذ بأيدي الضعفاء ، وقود الضرائر وإنجائهم من المهالك ، وحمل المتاع عنهم ، وإغاثة الملهوف و غير ذلك .

و ببالي أني سمعت أنَّ واحداً من الاتقياء رأى في النوم مجلساً اجتمع فيه علمائنا إلا « ابن فهد الحلّي » . فسأل عنه ، فقيل له : إنه دخل في مقام الانبياء أو مجلسهم . فسأل عنه بنفسه بعد لقائه في المنام، فأُجيب بأنَّ السبب أني كنت فقيراً لامال لي أتصدّق بها ، فكنت أتصدق بجاهي ، و لذلك صرت هكذا .

و قد ورد في الاخبار على ما ببالي أنَّ : « لكلّ شيء زكاة ، و زكاة الابدان الصيام . »[١]

ولعلّ في تفسير الكلام بتعليم العلم و تلاوة القرآن إشارة إلى عدم الوقوف على ما يفهمه العوام من الرزق والانفاق ، وأنه ينبغي التعدي إلى كل رزق و كلّ إنفاق ، أوخصوص الروحاني منهما .

١) بهذا المعنى ورد روايات كثيرة ، كرواية الصدوق (ره) في الامالي ، المجلس الخامس عشر ، ح ١ ، عن الصادق ، عن آبائه ـ عليهم السلام ـ ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ؛ وقد ذكرها المجلسي (رض) في البحار ، ج ٩٦ ، باب فضل الصيام ، ص ٢٤٦ ، ح ١ ، فراجع .

[في معنى الآخرة واليقين بها ومن هم الموقنون]

وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

في تفسير القمي ، قال :

« بما أُنزل من القرآن إليك ، و بما أُنزل على الانبياء من قبلك من الكتب . » [1]

ويحتمل التعميم لكل ما نزل من شريعة أو وحي أو غيرهما .

وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

الآخرة تأنيث الآخر ، الذي هو نقيض الاول ، و هي صفة الدار ، كما قال سبحانه : « تلك الدّار الآخرة » [2] . و هي والدنيا من الصفات الغالبة التي تستعمل كثيراً بلا موصوف كالصالحات .

والايقان إتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه . ولعلّ في تقديم « الآخرة » وبناء « يوقنون » على « هم » تعريضاً بأهل الكتاب، وبما كانوا من إثبات أمر الآخرة على خلاف حقيقته ، وأنّ قولهم ليس بصادر عن إيقان ، وأنّ اليقين ما عليه من آمن بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك .

ثم إنّ المراد بهؤلاء المؤمنين إمّا مؤمني أهل الكتاب، الذين اشتمل إيمانهم على كل وحي نزل من عند الله سالفاً ومترقباً ، سبيله سبيل السالف لكونه معقوداً

---

1) القمي ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

2) القصص / ٨٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بعضه ببعض ، ومربوطاً آتيه بماضيه ، وأيقنوا بالآخرة إيقاناً زال عنهم ماكانوا عليه من الاعتقادات الفاسدة في النشأة الآخرة ، فكأنّهم لم يكونوا معتقدين بالآخرة حقيقة،وإنما كانوا معتقدين آخرة موصوفة بصفات لاتحقق لها أصلا. وحينئذ فلا يبعد اختصاص الطائفة الاولى بالكفار الذين آمنوا ابتداء من غير أهل الكتاب .

أوتترك على إطلاقه ، ويكون عطف الخاص على العام تشريفاً لهم، وترغيباً لأمثالهم في الدين .

وعلى الوجهين فالظاهر كون الموصول عطفاً على الموصول ، ويكون كلمة المتّقين في الآية الاولى شاملة للطائفتين معاً وإن احتمل غير ذلك أيضاً .

ولعلّ الاقرب كون الموصولين معاً من توابع تلك الكلمة وصفت المتّقون بهما ، لا أنّ الموصول الاوّل مبتدأ والثاني كالمبتدأ معنىً لكونه معطوفاً عليه ، وجملة « اولئك » خبر للمبتدأ،وإن اختاره بعضهم .

والوجه الثاني أن لايكون مختصاً بأهل الكتاب، فيكون وصفاً آخر للمتقين كما هو الظاهر فيما عطف عقيب قوله سبحانه: « **قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون** ــ إلى آخر الآيات العديدة . »[1]

وكلا الوجهين[2] قويّان هنا .

---

١) المؤمنون/١ــ٩ .

٢) في المخطوطة : « الوجهان » .

[في معنى الهداية والفلاح و أن المهتدين]
[والمفلحين هم المتقون]

أولئكَ عَلىٰ هُدىً مِنْ ربِّهمْ

منحوه من عنده وأُوتوه من قبله. وهو إما اللّطف والتوفيق ، الّذي اعتضدوا به على أعمال الخير ، و الترقي من الافضل إلى الافضل ، و إما الارشاد إلى الدليل الموجب للثبات على ما اعتقدوه ، والدوام على ما عملوه ، وإما الهداية الباطنية الموهوبة مجازاة على الايمان والاعمال ، أو تفضلاً منه سبحانه ، كما مرّت الاشارة إليه .

قيل : « معنى الاستعلاء في قوله : « على هدى » مثل لتمكّنهم من الهدى ، و استقرارهم عليه ، و تمسّكهم به ؛ شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء و ركبه ، ونحوه هو على الحق و على الباطل ، وقد صرّحوا بذلك في قولهم [1] : جعل الغواية مركباً و امتطى الجهل أي : اتخذ الجهل مطية .

وَأولئكَ هُمُ المُفْلِحُونَ

الفائزون بالبغية .

وفي الرواية المتقدم ذيلها سابقاً الواردة في ترجمة الاذان عن التوحيد :

« و أما قوله : « حي على الفلاح » ، فانّه يقول : أقبلوا إلى بقاء لافناء معه ، و نجاة لاهلاك معها ، وتعالوا إلى حياة لا -

---

١) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٤ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١٠ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ممات [1] معها ، و إلى نعيم لانفاد له ، وإلى ملك لازوال عنه وإلى سرور لاحزن معه و إلى أنس لاوحشة معه ، وإلى نور لاظلمة معه ، وإلى سعة لاضيق فيها [2] ، وإلى بهجة لاانقطاع لها ، و إلى غنى لافاقة معه ، وإلى صحة لاسقم معها ، و إلى عز لاذل معه ، وإلى قوة لاضعف معها ، وإلى كرامة يالها من كرامة ، وعجلوا إلى سرور الدنيا والعقبى ، و نجاة الآخرة والاولى .

و في المرّة الثانية « حيّ على الفلاح » ، فانّه يقول : سابقوا إلى ما دعوتكم إليه ، و إلى جزيل الكرامة و عظيم المنّة ، وسني النعمة والفوز العظيم ، ونعيم الابد في جوار محمد صلى الله عليه وآله في مقعد صدق عند مليك مقتدر . » [3]

ثم إنه بناء على الوجه الثاني من الوجهين المتقدّمين ، فالمراد بـ « اولئك » في الموضعين هو المتّقون ، الذين وصفهم بالصفات الخمسة ، بل الستة ، و بناء على الوجه الاوّل بواحد من الثلاثة الاول والاخيرة .

هذا إذا لم نجعل الموصول الاوّل أو الثاني مبتداء و إلا فالمراد بهما هم [4] الذين يؤمنون بالغيب إن كان هو المبتدأ ، أو «الذين يؤمنون بما أنزل ـ الخ» إن جعل مبتداء على بعد فيه .

وعلى الاول، فبعد أن وصف سبحانه المتقين الذين لهم القرآن هدى بصفات

---

١) خ . ل : « موت » .

٢) خ . ل : « معها » .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٤١٧ .

٤) في المخطوطة : « هو » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

خمسة : إيمانهم بالغيب ، و إقامتهم الصلاة التي هي عمود الدين ، وبمنزلة الفسطاط للخيمة ، ورأس العبادات الجوارحية [1] ، و إنفاقهم بعض ما رزقهم الله و هو العبادة المالية بل الاعم كما مرّ [2] ، وايمانهم بجميع ما أنزل إليه ﷺ ، وما أُنزل من قبله و إيقانهم بالآخرة أخبر عنهم بأنهم : « على هدىً من ربهم » وبأنهم « المفلحون » . وظهور الهدى في الدنيا وظهور الفلاح الغالب في الآخرة .

وربما يستخرج منه انحصار المحمولين أعني: «الهدى من الرب» و«الفلاح» فيهم و أنّه ليس لغيرهم شيء منهما باعتبار اسم الاشارة ، الذي هو بمنزلة الوصف هنا ، وتكريره وتعريف المفلحين ، وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك .

وحينئذ ففيه قطع الأماني الفاسدة والرجائات الكاذبة والتمنيات التي يتمناها أمثالنا من الوصول إلى تلك الغايات ، من دون الاتصاف بشيء من حقائق تلك الاوصاف ، تنشيط للسامعين لدرك ما قدموا ، و ترغيب في طلب ما طلبوا ، و تبصير لمراتبهم .

[غايات التّقوى على ما في نهج البلاغة]

و قد وردت في الاخبار صفات كثيرة للمتقين ربّما يرد عليك شيء منها فيما بعد، وغايات عديدة للتقوى نقله السيد [ره] في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام في ضمن خطبة له :

« فإنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم ، و صلاح فساد صدوركم ، و طهور دنس

---

١) روى المجلسي(ره) في البحار، ج ٨٢، باب فضل الصلاة وعقاب تاركها ،أحاديث كثيرة تشتمل بهذه الاوصاف للصلاة ، فراجع .

٢) راجع كلامه (ره) في تفسير آية « وممّا رزقناهم ينفقون » .

أنفسكم، وجلاء غشاء أبصاركم، وأمن فزع جأشكم، وضياء سواد ظلمتكم ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، و احلولت له الامور بعد مرارتها، و انفرجت عنه الامواج بعد تراكمها، و أسهلت له الصعاب بعد إنصابها[1]، و هطلت عليه الكرامة بعد قحوطها وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، و تفجّرت عليه النعم بعد نضوبها، و وبلت عليه البركة بعد إرذاذها ـ إلى آخر الحديث.»[2]

و« النصب » بالتحريك : التعب، والانصاب : الاتعاب. و « الهطل » بالفتح : تتابع المطر المتفرق العظيم القطر، والمطر الضعيف الدائم، وتتابع الدمع. و« القحوط » بالضم : احتباس المطر كالقحط بالفتح. و« تحدبت عليه » أي : تعطفت. و« الوبل » بالفتح والوابل : المطر الشديد، و « وبلت السماء » أي : أمطرت. و « الرذاذ » : المطر الضعيف، وقيل : هو كالغبار، على ما وجدناه في بعض الحواشي.

ولا يخفى عليك أنه يمكن إدراجها جميعاً تحت الهداية والفلاح المذكورين في الآية، فانّ كونه « بصراً لعمى الافئدة » و« جلاء لغشاء الأبصار » و« ضياء لسواد الظلمة » وغيرها مندرجة تحت عنوان الهداية الّتي يعطيها الله سبحانه، أو الاولين من أسبابها ، و الاخير عين تلك الهداية. و أكثر ما بقي من تلك الخصال تحت عنوان « الفلاح » ؛ إذ هو فوز بالبغية العاجلة والباقية، و بعضها ذات وجهين يصلح للدخول تحت كل منها ؛ كتفجر النعم و هطل البركة ؛ إذ لو أُخذا من المعارف

---

١) خ . ل : « انصبابها ».

٢) نهج البلاغة، خ ١٩٨، ص ٣١٢ ؛ والبحار، ج ٧٠، باب الطاعة و التقوى والورع، ص ٢٨٣، ح ٦.

الواردة في القلب دخلا تحت الهداية ، و إلا صحّ إدخالهما تحت الفلاح . و حينئذ فربما يصح أن يجعل هذا الكلام بمنزلة تفصيل ما أجمل في الآية وتفسيرها . ولنشر إلى بعض ما ربما يصلح بياناً لها ، فنقول :

لعلّ المراد من كون التقوى دواء داء القلب أن الامراض القلبية الباطنيّة كالبخل والكبر والحسد والحقد والرياء و غيرها ممّا هو مقرّر في علم الاخلاق كلّها ترتفع بتحصيل التقوى، وتسليط التقوي عليها ، باعتبار أن الانسان المتحرز عمّا يضرُّ بدينه يتحرّز عن إعمال تلك الملكات، ويسعى لنفي شوائب الاغراض عن أعماله ليكون العمل خالصاً له سبحانه ، و كل ملكة و حال و خلق إذا تركت إعمالها ، وأُهملت ولم يلتفت إلى شأنها في مقام العمل ، و ارتفع عنها التأثير في العمل أصلا ، وكان العمل على حسب داعي التقوى المخالف له في الصورة كثيراً ، وفي المعنى دائماً إذا اعتبر الخلوص فيها ضعفت تلك القوة والحالة والملكة إلى أن يرجع إلى التوسط المطلوب منه .

وأيضاً إذا قوي باعث التقوى في القلب من الخوف والرجاء والمحبة والحياء منه سبحانه بحيث أُعطي الانسان صفة التقوى، وألبسه لباسها ، انقهرت تلك الملكات والاحوال والقوى تحت حكمها لمكان مضادّتها، و كلّما أثر باعث التقوى في العمل ازداد قوة تأثيره ، وضعف به تأثير غيرها .

وأيضاً الاخذ بالتقوى في مكان وصول المدد و الجذبة من عالم القدس والشفاء الروحاني من عند الله سبحانه ، كما ورد على ما ببالي : أن « من كان لله كان الله له » .

و أما كونها بصر عمى الفؤاد ، فلعلّه باعتبار أنّ عمى الفؤاد إما من غطاء المحبّة والعصبيّة و أمثالهما ، المانع عن إدراك الشيء بصفته الواقعيّة ؛ كما قال شعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ... كما أن عين السخط تبدي المساويا

وإما باعتبار رين الواقع على القلب من متابعة الشهوات وارتكاب المعاصي ، فاستولى بها الظلمة على الفؤاد . وإمّا باعتبار مجازات واقعيّة وقعت على معاصي العبد . وجميع ذلك ترتفع بالتقوى ؛ إذ بواعث التقوى تمنع من تلك الاغطية ، بل المتّقي يزن بميزان الحق والقسط خوفاً من ميزان القيامة، الموضوع على القسط، ولايبقى له معاصي تصير سبباً للرين ، و وقوع المجازات بتركها فعلا ، و تداركها ما فرط منها سابقاً بالتوبة والتلافي .

و أيضاً فاعطاء الله سبحانه بصراً للمتقي به يكون فؤاده بصيراً ليس ببعيد من مواهب الله و عطاياه ، و لا من المتّقي لمكان القابليّة الحاصلة له ، و من ذايكون أقرب إلى عطاياه سبحانه من المتقي . والتقوى تقرب صاحبها إلى معطي الابصار ومالكها ، ومانع كل الخيرات .

و اما كونها شفاء لمرض الاجساد ، فلعلّه باعتبار كون الامراض ناشئة من المعاصي ؛ قال سبحانه :

« ما اصابكم من مصيبة فبماكسبت ايديكم . » [١]

والتقوى مانعة عن فعل المعصية ، وموجبة لتدارك ما وقع ومحوه ، و مقربة لصاحبها من الدخول تحت قوله تعالى : « ويعفوا عن كثير » [٢] .

و إما باعتبار إرادة الأجساد المثالية الّتي هي في باطن الجسم العنصري ، وصحّتها تكون بالتقوى .

و إما باعتبار أن تلك الامراض الظاهرية بمنزلة الصور والكلال للأمراض الباطنية في كثير من الاحيان للمناسبة الواقعة بين عالم الملك والملكوت، فبارتفاع تلك الامراض ترتفع هذه .

---

١) الشورى/٣٠ .

٢) الشورى / ٣٠ ؛ والمائدة/١٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و اما كونها صلاحاً لفساد الصدر ، فلعلّه لما تقدم ، أو لأن فساده من طرف استيلاء الشيطان الّذي يوسوس في صدور الناس، والمتقي بعيد عن تسلّط الشيطان عليه؛ « إنّما سلطانه على الّذين يتولّونه والّذين هم به مشركون » [١] ؛ « إنّ الّذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشّيطان تذكّروا فإذاهم مبصرون » [٢] .

و اما كونها طهور دنس النفس، فلعلّه لأجل أن الدنس إنما يحصل في النفس لمزاولة المعاصي، أو الانهماك في الشهوات ، أو لمجاورة عالم الطبيعة والخلود إليها، والتقوى تمنع عنها و تزعجها إلى عالم القدس والطهارة ، و مقربة لها إلى المياه المعنوية المطهرة عن تلك الادناس .

و اما كونها جلاء غشاء البصر ، فلعلّه لمثل ما مرّ في ذكر كونها بصر عمى الفؤاد ؛ إذ الظاهر هنا إرادة بصر القلب أو بصر القالب المثالي .

و اما كونها أمن فزع الجأش ، فلعلّه باعتبار كونها موجبة لغمض العين عن المفاسد الدنيويّة ، فلا يكون للقلب اهتمام بشأنها حتّى يوجب حصول الفزع له لمكان صبره على مكاره الدنيا و تحمله لها ، و لصيرورة نظر صاحب التقوى أعلى من تلك المخاوف اليسيرة باستيلاء خوف المهالك العظيمة الباقية ، الّتي لا نسبة لجزء من أجزائها إلى مجموع مخاوف الدنيا بأسرها ، و علو رجائه فيما يرجوه من الامور الباقية ، أو لاتّصال صاحبها و قربه إلى محل السكينة الّتي تنزل على قلوب المؤمنين، أو لاتّصاله إلى عالم القدس المعرّى عن شوائب التغيير والنقصان، وخروجه عن عالم الكون والفساد .

و اما كونها ضياء لسواد الظلمة ، فلعلّه لمثل ما تقدم ، أو كونها سبباً لظهور النور من جانب الحق في القلب .

---

١) النحل/١٠٠ .

٢) الاعراف/٢٠١ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و اما عزوب الشدائد عمّن أخذ بالتقوى واحليلاء الامور، فلعلّه لأن كلّ أمر تحمّله وصبر عليه يصير ملكة له ويسهل عليه ، فيصير الشديد سهلا ، والمرّ حلواً ، أو لان شدة الامور صعوبتها و مرارتها إنما جاء من طرف استيلاء تلك الحالات المخالفة لها في النفس ، فاذا ارتفعت أو ضعفت أو أسكنت بوجود المزاحم القوى الذي هو باعث التقوى صارت سهلة حلوة ، أو لأن شغل النفس بالشاغل القوي يمنعها عن الانفعال التام عن تلك الامور ، أو لأن الحق سبحانه يفرغ عليه صبراً ويثبّت قدمه .

و اما انفراج الامواج بعد تراكمها ، فلعلّ المراد منه انفراج أمواج الهموم الدنيوية، أو انفراج أمواج الهوى المسلّط عليه . وظاهر أنّ بعد الصبر على تحملها ومخالفة الهوى تنفرج عنه تلك الاهوال ، و يخلص النفس عن أسرها ، وتصير حراً بعدأن كان عبداً لها .

و اما سهولة الصعاب ، فلعلّه لما ذكر ، و إن أراد به الطاعات والمجاهدات الصعبة ، فمن الظاهر أنها جميعاً بعد التمرّن والتعوّد تصير سهلة كما هو الحال في كل عمل صعب بعد الاعتياد .

و اما هطل الكرامة و تحدب الرحمة وتفجر النعم و وبل البركة ، فالظاهر أنها هي الفيوضات الباطنيّة الواردة لأهل التقوى من خزائنها الغيبية من المعارف والعلوم والارزاق المعنوية والصورية المثالية وغيرها مما يعلمه أهله، أو مع البركات الظاهرية في ماله و عمره و غيرهما ، و سائر الخيرات الصورية والمعنوية ، التي منها أن يجعل له مخرجاً ، يرزق من حيث لايحتسب على ظاهر الآية الشريفة [١] .

وهذا كلام اجمالي عسى أن تطلع على كثير من التفاصيل فيما بعد ذلك ـ إن شاءالله تعالى ـ .

١) المراد منها آية ٢ـ٣ من سورة الطلاق .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

ثم إنه ربما يستفاد من نسبة الهدى في صفة القرآن إلى المتقين ، ومن قوله: « اولئك على هدى من ربهم » على ما مرّ من دلالته على الحصر ، انحصار الهدى الالهية في المتقين والمؤمنين الموصوفين بتلك الصفات ، و أن القرآن هدىً لهم لا - لغيرهم . فالظاهر من ذلك أنّ طريق تحصيل تلك الهداية والاهتداء بالقرآن هو تحصيل تلك الصفات ، كما أن حصول الفلاح مما يترتب عليها ، وطريق تحصيله هو اكتسابها، فربما يتحصل من ذلك أن كلا من تلك الصفات والهدى أخوان متلازمان و صاحبان مصطحبان لا يفارق أحدهما صاحبه ، فمن اتصف بتلك الصفات على ما ينبغي أن يكون عليها ، فهو على تلك الهدى الخاص ، والقرآن هدى له بمقتضى منطوق الآية ، ومن لم يتّصف بها لم يكن له ذلك .

فربما يستخرج من ذلك أن كلا منهما علامة للآخر فمن وجد في نفسه هدىً ربانية، وصار القرآن هدى له على غير الوجه الذي يشاركه فيه الكفار والمخالفين والمستغرقين أعمارهم بالفسق والفجور، كان ذلك علامة لكونه مستجمعاً لتلك الصفات ولكونه مفلحاً في الآخرة؛ لأن وجود الموضوع يستتبع وجود كل محمول له فرض. و من لم يجد ذلك في نفسه ، و ظهر له أنه لم يدرك غير ما يشاركه فيه الطوائف الآخر ، كان علامة عدم كونه مستجمعاً لتلك الصفات على الوجه الّذي ينبغي أن تكون عليه، ولخروجه عن تحت المفلحين بناء على استفادة الحصر كما تقدم ذكره . وكذا كل من وجد ما صورته الهداية ، فان ظهر منه تفرّعها على تلك الصفات كان إمارة كونها هداية حقّة إلهية ، سواء كان في آيات القرآن أوغيرها ، وإن ظهر منه عدم تفرعها عليه لم يلزم أن يكون كذلك، بل لعلّها وسوسة شيطانية باطلة، ظهرت له في صورة الحق .

و ربما يلزم من ذلك أنّ غير التقوى و الايمان والاتصاف بتلك الصفات ليس من طرق الهداية ، سواء كان رياضة باطلة ، أو تعلّم العلوم العقلية من الفلاسفة ، أو

غير ذلك .

و هذا كلام سنح بالبال ، فلاحظ فيه ، عسى أن تجده صحيحاً باطلاقه ، أو بحسب المقتضى فقط بحسب بعض المراتب، وتثبّت على طلب الهداية من هذا الطريق إن وجدت الامر على ذلك المنوال المذكور .

[في معنى الكفر وأقسامه ومراتبه]

[إنَّ الَّذينَ كَفَروا]

ثم إنه لما ظهر بيان صفة الكتاب وهدايته للمتقين، ووصف المؤمنين بصفاتهم و ما يترتّب على الاتّصاف بتلك الاوصاف في هذه الآيات الكريمة ، فصارت صفاتهم و جزائهم العاجل والآجل ظاهراً منها على ما مرّ ، وكانت هذه الآيات في شأنهم ، والآية الاولى في شأن الكتاب بالنسبة إليهم ، ناسب ذكر نبذة الكتاب والمخالفين لهم في تلك الخلال ، و ما يترتب على تلك المخالفة من الكفار والمنافقين ، و لعلّ لذلك وأمثاله عقبها بقوله سبحانه : « إنَّ الَّذينكفروا . . . » .

روى القمّي في ذيل هذه الآية باسناده عن أبي عمر الزبيري، عن الصادق عليه السلام على ما في النسخة أنه قال :

« الكفر في كتاب الله على خمسة وجوه [1] : فمنه :كفر الجحود و هو على وجهين : جحود بعلم ، و جحود بغير علم . فأمّا الّذين جحدوا بغير علم ، فهم الّذين حكى الله عنهم في قوله: « و قالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما يهلكنا إلا الدهر و ما لهم بذلك من علم إن هم الا يظنون . » [2] وقوله : « إنَّ الَّذين كفروا سواءٌ عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم

---

١) خ . ل : « أوجه » .

٢) الجاثية / ٢٤ .

لايؤمنون . » فهؤلاء كفروا [وجحدوا] بغير علم . وأما الّذين كفروا و جحدوا بعلم ، فهم الّذين قال الله تبارك و تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جائهم ما عرفوا كفروا به . »[١] فهؤلاء الّذين كفروا وجحدوا بعلم .

ـ قال : ـ و حدثني أبي ، عن ابن أبي عمير ، عن حمّاد ، عن حريز ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى؛ يقول الله تبارك وتعالى: الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعني : رسول الله صلى الله عليه وآله كما يعرفون ابنائهم»[٢] ؛ لأن الله عزّ و جل قد أنزل عليهم في التوراة والانجيل والزبور صفة محمّد صلى الله عليه وآله وصفة أصحابه بنعته و منهاجه[٣] ، و هو قوله : «محمّد رسول الله والّذين معه اشدّاء على الكفّار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً . . . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل . »[٤] فهذه صفة رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة والانجيل وصفة أصحابه . فلما بعثه الله عزّ و جلّ عرفه أهل الكتاب ، كما قال جلّ جلاله : «فلمّا جائهم ماعرفوا كفروا به» فكانت اليهود يقولون للعرب قبل مخرج[٥] النبي: أيها العرب هذا أوان نبي يخرج بمكة ، و يكون مهاجره[٦] إلى المدينة

---

١) البقرة/٨٩ .

٢) البقرة/١٤٦ .

٣) في بعض النسخ : « ومبعثه وهجرته » ، وفي بعضها : « ومبعثه ومهاجره » .

٤) الفتح/٢٩ .

٥) خ . ل : « مجيء » .

٦) في بعض النسخ : « هجرته » ، وفي المخطوطة : « مهاجرته » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وهو آخر الانبياء وأفضلهم ؛ في عينيه حمرة ،وبين كتفيه خاتم النبوة؛ يلبس الشملة ويجتزي بالكسر والتميرات،ويركب الحمار العري،[1] وهو الضحوك القتّال يضع سيفه على عاتقه، لايبالي من لاقى ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر ، ليقتلنّكم [الله] به يا معشر العرب قتل عاد .

فلما بعث الله نبيه ﷺ بهذه الصفة حسدوه وكفروا به ؛كما قال الله عزّ و جلّ : «وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جاءهم ماعرفوا كفروا به »

و منه : كفر البراءة ، وهو قوله : «ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض » [2] ؛ أي : يتبرأ بعضكم من بعض .

ومنه : كفر ترك، الترك لما أمرهم الله تعالى، وهو قوله تعالى: « و لله على النّاس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر » [3]

أي : ترك الحج وهو مستطيع فقد كفر .

ومنه : كفر النعم ، وهو قوله تعالى : «ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر » [4] ، أي : ومن لم يشكر نعمة الله فقد كفر .

فهذه وجوه الكفر في كتاب الله . » [5]

---

١) في القمي : « عرية » ، وفي البحار : « العرية » .

٢) العنكبوت/٢٥ .

٣)آل عمران/٩٧ .

٤) النمل/٤٠ .

٥) القمي ، ج ١ ، ص ٣٢ ؛ والبحار ، ج ٧٢ ، باب الكفر ولوازمه و آثاره ، ص ٩٢ ، ح ٢ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وعن الكليني باسناده عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له : أخبرني عن وجوه الكفر في كتاب الله عزّ وجلّ ، قال :

« الكفر في كتاب الله على خمسة أوجه، فمنها : كفر الجحود والجحود على وجهين ، والكفر بترك ما أمر الله ، و كفر البرائة ، و كفر النعم .

فاما كفر الجحود [فهو الجحود] بالربوبية ، و هو قول من يقول : «لاربّ ولاجنّة ولانار» ، وهو قول صنفين من الزنادقة يقال لهم « الدهرية »، وهم الّذين يقولون : « **و ما يهلكنا إلاّ الدّهر** » ، و هو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان منهم على غير تثبت[1] منهم ، ولا تحقيق شيء مما يقولون ؛ قال الله عزّ و جلّ : « **إن هم إلاّ يظنّون** » ، و ذلك كما يقولون . و قال : «**إنّ الّذين كفروا سواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون**» يعني : بتوحيد الله . فهذا أحد وجوه الكفر .

وأمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفة ، و هو أن يجحد الجاحد و هو يعلم أنه حق قد استقرّ عنده ، و قد قال الله عزّ وجلّ : « **و جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما و علوّا** »[2] وقال الله عز وجل: « **وكانوا من قبل يستفتحون على الّذين كفروا فلمّا جائهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**» . فهذا تفسير وجهي الجحود .

الوجه الثالث من الكفر كفر النعم ، وذلك قوله تعالى يحكي

١) في المخطوطة : « تثيت » .

٢) النمل/١٤ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

قول سليمان : «هذا من فضل ربّي ليبلوني ءأشكر أم اكفر ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربّي غنيّ كريم » وقال : « لئن شكرتم لأزيدنّكم و لئن كفرتم إنّ عذابي لشديد » .[١] و قال : « فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون » .[٢]

والوجه الرابع من الكفر ترك ما أمر الله عز وجل به ، وهو قول الله عز و جل : «وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم و أنتم تشهدون * ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان و إن يأتوكم أُسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب و تكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم»[٣] فكفّرهم بترك ما أمر الله عز وجل به ، ونسبهم إلى الايمان، ولم يقبله منهم، ولم ينفعهم عنده، فقال: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى أشد العذاب و ما الله بغافل عما تعملون . »[٤]

والوجه الخامس من الكفر كفر البرائة ، و ذلك قول الله عزّ وجلّ يحكي قول إبراهيم ـ على نبينا وآله وعليه السلام ـ: «كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتّى تؤمنوا بالله وحده »[٥] ؛ يعني : تبرّئنا منكم . وقال[٦] : يذكر إبليس

---

١) ابراهيم/٧ .
٢) البقرة/١٥٢ .
٣) البقرة/٨٤ ـ ٨٥ .
٤) نفس الآية .
٥) الممتحنة/٤ .
٦) في المخطوطة : « قد » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[و] تبرّيه من أوليائه من الانس يوم القيامة : «إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل »[١] ؛ « و قال إنّما اتّخذتم من دون الله أوثانا مودّة بينكم في الحياة الدّنيا ثمّ يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا »[٢] ، يعني : يتبرأ بعضكم من بعض . »[٣]

انتهى .

وفي الصحاح : « الكفر : ضدّ الايمان ، وقد كفر بالله كفراً ـ إلى أن قال: ـ والكفر أيضاً : جحود النعمة ، وهو ضد الشكر ، وقد كفره كفوراً و كفراناً . وقوله تعالى : «انا بكل كافرون »[٤] أي : جاحدون . وقوله تعالى: « وابى الظالمون الاكفورا »[٥] قال الاخفش: هو جمع الكفر ؛ مثل : برد وبرود . والكفر بالفتح : التغطية ، و قد كفرت الشيء أكفره بالكسر كفراً أي : سترته . و رماد مكفور إذا سفت[٦] الريح التراب عليه حتى غطّته ـ إلى أن قال : ـ والكفر أيضاً : ظلمة اللّيل وسواده، وقد يكسر الكاف ؛ قال حميد [شعراً] :

فوردت قبل انبلاج الفجر و ابن ذكا كامن في كفر

أي : فيما يواريه من سواد اللّيل . والكافر : اللّيل المظلم ؛ لأنّه يستر بظلمته كلّ

١) إبراهيم/٢٢ .

٢) العنكبوت/٢٥ .

٣) الكافي ، ج ٢ ، باب وجوه الكفر . ص ٣٨٩ ، ح ١ ؛ والبرهان ، ج ١ ص ٥٧؛ وكذا رواه النعماني (ره) في تفسيره عن إسماعيل بن جابر، عن الصادق ، عن أميرالمؤمنين ـ عليهما السلام ـ ، فراجع البحار ، ج ٩٣ ، باب ما ورد في أصناف آيات القرآن ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، وج ٧٢ ، باب الكفر ولوازمه وآثاره ، ص ١٠٠ ، ح ٣٠ .

٤) القصص/١٨ .

٥) الاسراء/٩٩ .

٦) في المخطوطة : « سلفت ».

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

شيء والكافر : الّذي كفر درعه بثوب ؛ أي : غطاه و لبسه فوقه ، و كل شيء غطّى شيئاً فقد كفره . قال ابن السكيت : و منه سمّي الكافر ؛ لأنه يستر نعم الله عليه ـ إلى أن قال : ـ والكافر : الزارع ؛ لأنه يغطي البذر بالتراب، والكفار : الزراع .»

اقول : الظاهر على ما صرّح به بعضهم أو جماعة منهم [1] أن أصل الكفر : الستر و التغطية ، كما يشهد له ملاحظة المعاني المذكورة ، فانّ الجامع بينها المشترك بين عناوينها هو ذلك ، بل و غيرها كالكفارة ، فانه يستر الذنب و يغطيه ، كنسبته العفو إليه، الظاهر كونه من الاندراس والبلى، والتكفير في مقابل الاحباط فانّه ستر للمعاصي بفعل طاعة و محوها ، كما أنّ الاقسام الخمسة المذكورة في الحديث كلّها مشتركة في ذلك المعنى ؛ إذ الجحود مع علم و بدونه ستر للحقّ ، و كفر النعم ستر لها ، و تغطية عن نسبتها إلى المنعم بها بترك إظهار بقول أو عمل أو حال أو جحود لها كذلك ، أو ستر المنعم بالنعم واحتجاب عن المنعم بنعمه، فلا يلاحظها منسوبة إليه ، و لا يعامله معاملة المعطي المنعم ، بل يكون منقطعاً إلى النعمة معرضاً عن موليها ومعطيها .

و أما الكفر بترك ما أمر الله عزّ و جلّ ، فيمكن إدراجه تحت كفر النعم لترك استعماله النعمة المتعلّقة بذلك المأمور به فيما أراده المنعم منه ؛ كالزاد ، والراحلة ، وصحة البدن ، وتخلية السرب ، والفراغ من الاعذار ، ونعمة الهداية ، والايمان بالامر وغير ذلك في مثال الحج . و كنعمة سعة الدار والقدرة وغيرهما في مثال إخراج المجامعين لهم في المذهب من الديار .

و يمكن أن يجعل ستراً للتكليف والامر ، حيث انّ الاعراض عن الامتثال وعن الامر ستر له في مقام العمل ، كأنّه ممّن لم يؤمر ولم يرد منه ذلك ، أو ستراً عن الامر المكلّف حيث إنه أعرض عن إطاعة مولاه ، كأن مولاه مستور عنه ، أو

١) راجع مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٤١ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١٠ .

ستراً عن الايمان حيث لم يعمل بمقتضاه.

وأما كفر البرائة، فلان البرائة تقتضي إعراضاً وإدباراً من المتبري عن المتبرّئ عنه، وهو في معنى ستره أو التستر عنه؛ إذ لم يتوجه بقلبه إليه، بل نفر عنه وأدبر و القلب مع محبوبه، و المرء مع من أحب معنى و إن لم يكن معه مجتمعاً في الصورة.

و حينئذ فيشبه أن يكون الكافر المقابل للمؤمن هو من يكون ساتراً للحق، أو متستراً عنه لكونه شاكّاً أو جاحداً له لا يقبله، بل يعاند و يدفعه باطناً أو ظاهراً أو معتقداً خلافه بالجهل المركب، فان الشاك والجاهل المركب غائبان عن الامر المشكوك فيه، مستوران عنه، كما أنَّ المؤمن بالشيء كالمشاهد له الحاضر عنده والجاحد ساتر للحقّ الّذي يجحده عن قلبه أوظاهره، أو عن أعين المخالطين له؛ إذ ربما يصحُ أن يقال: إنَّ الستر و الانكشاف في الحق سبحانه لما لم يمكن من جهة ظهوره و خفائه في نفسه، بل من حيث ظهوره على القلب واستتاره عنه، فالمؤمن قدظهر الحق لقلبه وقبله، والكافر ساتر له عن قلبه بشكّه أوجهله المركب، أو بجحوده و إبائه و عناده. أو يقال: إن الحق سبحانه لمّا كان ظاهراً بأدلّته و آياته و بيناته بحيث يظهر لكل من لم يكن متستراً عنه بساتر، و محتجباً عنه بحجاب صوري أو معنوي، كان الكافر الشاك، أو الجاحد، أو المعتقد خلافه هو المتستر عن الحق بشكّه، أو سبب شكّه وخطائه من عصبية أوتقليد أو هوى أو غير ذلك، أو بجحوده و عناده، فكأنه يدفع ظهور الحق له بستره. أو يقال: إن من شأن القلب الانساني أن يكون مصدقاً للحق عند سلامته ابتداء، أو بعد قرع سمعه بالادلة المنصوبة عليه، أو ورودها عليه من سائر طرق الادراك. فمن لم يحصل في قلبه العلم إنما منعه عنه مانع هو حجاب وستر بينه وبين الحق. وكذا من شأنه قبول الحق عند وروده عليه، فالجاحد يجحد لتحقق مانع حجبه عن التسليم

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والانقياد .

وحينئذ فيكون أصل الكفر هو الاستتار و التغطية عن الحق بجهل مركب أو بسيط أو جحود و عناد ، و يترتب عليه أغصان من الاخلاق الرذيلة و الحالات و الملكات المنافية لحالة الايمان و التسليم ، و فروع هي ثمرة ذلك الاصل ، وهي المعاصي والسيئات .

فالكفر شجرة خبيثة اجتثّت من فوق‌الارض مالها من قرار في‌مقابلة‌الشجرة الطيبة الايمانية المستقرة أصلها ثابت و فرعها في السماء تؤتي أُكلها كلّ حين باذن ربّها [1] .

و المقابلة واقعة بينهما في جميع المقامات من مقام العلم و القبول و الاخلاق والملكات والنيات والاعمال ، و في النتائج والآثار المترتبة على كل منها .

و كما أنّ الكفران بالنعم من أغصان الكفر كذلك الشكر من شعب الايمان وكما أنّ المعصية كفر فرعي كذلك الطاعة إيمان فرعي ، و كما أن البرائة من الله و أوليائه كفر كذلك التولّي لأولياء الله سبحانه ايمان ، و كما أن هناك إيمان لساني‌وهو نفاق فهيهنا‌كفر لساني من‌دون موافقة‌القلب له، وهوليس كفراً عندالتقية: « من كفر بالله من بعد إيمانه إلّا من أكره و قلبه مطمئنٌ بالايمان » [2] . و كما أنّ هناك أمراً آخر هو روح الايمان فالظاهر أن هيهنا أيضاً أمر هو روح الكفر ، وهومظلم كما أنّ الاول منور ، أو نور بنفسه .

و بهذا البيان ينطبق أقسام الكفر المذكور في كلامه ﷺ ، و به يمكن الجمع بين معظم الاخبار التي ربما يترائى منها التعارض .

و هذا ذكر إجمالي وقع هنا بالمناسبة ، ولعل التفصيل يظهر لك فيما بعد

١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة إبراهيم ،آية ٢٤-٢٦ .

٢) النحل/١٠٦ .

متفرقاً ـ إن شاء الله تعالى ـ .

[معنى الانذار]

سَواء عليهمْ ءَأنذرتهُم أمْ لَم تُنذِرهُم لايُؤمنُونَ

الانذار : التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي ، كما ذكره جماعة[1]. والحكم بالاستواء بين الانذار و عدمه يفيد قطع حسم احتمال الايمان منهم بالمرة ؛ إذ الانذار أقوى تأثيراً من البشارة و غيرها من بواعث الافعال ، فإنّ دفع الضرر أهمّ من جلب المنفعة .

ويحتمل إطلاق الانذار على مطلق الدعوة بأنحائه ، أو بالقرآن تغليباً للانذار والتخويف على غيره .

والمراد بالموصول هنا يجوز أن يكون أُناساً معهودين بأعيانهم ؛ كـ « أبي جهل » و « أبي لهب » و« الوليد بن المغيرة » وأضرابهم من رؤساء الضلال الثابتين فيه ؛ ويجوز أن يكون الجنس المتناول لكل من صمم على الكفر تصميماً لا يرعوي بعده دون غيرهم من الّذين لم يبلغوا ذلك الحال بقرينة الاخبار عنهم بالاستواء بين الانذار وعدمه ، وهو من خصائص الاوّلين ، فغيرهم خارج عن المراد بالموصول ابتداء ، أو مستثنى منه بعد العموم .

---

١) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٦ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١١ .

[بحوث حول الختم والغشاوة]

خَتَمَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِم وَعَلى سَمعِهِمْ وَعَلى أَبصارِهِمْ غِشاوَة

[معنى الختم والغشاوة]

الختم والكتم أخوان ؛ لأنّ في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتماً له و تغطية لئلا يتوصل إليه ، ولا يطلع عليه ، كما ذكره جماعة [١] . ورّبما يفسّر بالشدّ والطبع حتى لا يوصل إلى الشيء المختوم عليه ، ومنه ختم الباب و الكتاب .

و الغشاوة : الغطاء فعالة من غشاه إذا غطّاه ، و هذا البناء لما يشتمل على الشيء ؛ كالعصابة والعمامة [٢] . و قرئ عشاوة بالعين المهملة والرفع من العشاء .

و عن ابن بابويه باسناده عن الرضا عليه السلام ، قال الراوي : سألته عن قول الله عزّ وجلّ : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم » قال :

« الختم هو الطبع على قلوب الكفّار عقوبة على كفرهم ؛ كما قال الله عزّ وجل : [بل] طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا . » [٣]

---

١) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٦ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١١ .

٢) راجع نفس المصادر ، وهكذا مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٤٤ .

٣) الآية الاخيرة : النساء / ١٥٥ ؛ والحديث: العيون ، ج ١ ، باب ١١ ، ص ١٠٠ ، ح ١٦ عن إبراهيم بن أبي محمود ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ و الصافي ، ج ١ ، ص ٥٩ ؛ و البحار ، ج ٥ ، باب الهداية و الاضلال ، ص ٢٠١ ، ح ٢٦ ؛ و هكذا في البرهان ونور الثقلين .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و روي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

« سبق في علمه أنّهم لايؤمنون ، فختم على قلوبهم وسمعهم ليوافق قضائه عليهم علمه فيهم ؛ ألا تسمع إلى قوله : و لو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ؟ » [1]

و ربّما ينسب إلى الامام عليه السلام تفسير الاوّل بأنّه : « وسمها بسمته يعرفها من يشاء من ملائكته و أوليائه إذا نظروا إليها بأنّهم الذين لايؤمنون . » والثاني بأنّ : « ذلك أنّهم لمّا أعرضوا عن النظر فيما كلّفوه ، و قصّروا فيما أُريد منهم ، جهلوا ما لزمهم الايمان [به] ، فصاروا كمن على عينيه غطاء لايبصر ما أمامه ، فانّ الله يتعالى عن العبث والفساد ، وعن مطالبة العباد بما قد منعهم بالقهر منه» [2].

وعن تفسير الامام عليه السلام ؛ ذكر قصّة طويلة مشتملة على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام شاهد رجالاً من المنافقين دفع واحد منهم « ثابت [بن] قيس الانصاري » في بئر عميقة ، فأوقع نفسه في البئر وسبقه إلى قرار البئر ، وجاء ثابت فانحدر ، فوقع عليه ، وقد بسطها إليه ، وكان كباقة ريحان تناولها بيده . قال عليه السلام :

« ثمّ نظرت فاذاً ذلك المنافق و من معه آخران على شفير البئر وهو يقول : أردنا واحداً . فصار اثنين . فجائوا بصخرة فيها مائة منّ فأرسلوها ، فخشيت أن تصيب ثابتاً . فاحتضنته و جعلت رأسه إلى صدري و انحنيت عليه ، فوقعت الصخرة على مؤخّر رأسي ، فما كانت إلا كترويحة بمروحة [3] تروحت

---

١) الآية : الانفال / ٢٣ ، والحديث لم نعثر عليه .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص٣٦؛ والبحار ، ج٥ ، باب الهداية والاضلال ، ص ٢٠٠ ، ح٤٢ ، وج ٩ ، باب ما ورد من المعصومين ـ عليهم السلام ـ في تفسير الآيات ، ص ١٧٤ ، ح ٢ ؛ و هكذا في الاحتجاج ج ٢ ، ص ٢٦٠ ؛ ونورالثقلين نقلاً عنه .

٣) روّح عليه بالمروحة ، حرّك يده بها يستجلب له الريح ، و المروحة آلة تحرك بها الريح عند اشتداد الحر .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بها في حارة القيظ . ثمّ جائوا بصخرة أُخرى فيها قدر ثلاث مائة منّ ، فأرسلوها علينا ، فانحنيت على ثابت ، فأصابت مؤخّر رأسي [فكانت كماء صببته على رأسي وبدلي في يوم شديد الحرّ . ثمّ جاؤوا بصخرة ثالثة فيها قدر خمسمائة منّ ، يديرونها على الارض لايمكنهم أن يقلبوها ، فأرسلوها علينا ، فانحنيت على ثابت ، فأصابت مؤخّر رأسي] وظهري ، فكانت كثوب ناعم صببته [1] على بدلي و لبسته ، فتنعّمت به ، ثمّ سمعتهم [2] يقولون : لو أنّ لابن أبي طالب و ابن قيس مائة ألف روح ما نجت منها واحدة من بلاء هذه الصخور . ثمّ انصرفوا ، فدفع الله عنّا شرّهم ، فأذن الله لشفير البئر فانحطّ ولقرار البئر قد ارتفع ، فاستوى القرار والشفير بعد بالارض ، فخطونا و خرجنا . » ـ و ساق الحديث إلى أن قال : ـ

ثمّ قال رسول الله ﷺ لعليّ ؏ : « انظر » ، فنظر إلى « عبدالله بن أبيّ » و إلى سبعة من اليهود ، قال : « [قد] شاهدت ختم الله على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم . »

فقال رسول الله ﷺ : « أنت يا عليّ ؏ أفضل شهداء الله في الارض بعد محمّد رسول الله ﷺ . »

قال : فذلك قوله : « **ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم و على ابصارهم غشاوة** » ، تبصرها الملائكة فيعرفونهم بها ، ويبصرها

---

١) أي : لبسته .

٢) في البرهان : « فسمعتهم » ، و في المخطوطة : « فاستمعتهم » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

رسول الله ﷺ ، و يبصرها خير خلق الله بعده عليّ بن أبي طالب عليه السلام . »[١] انتهى .

[اعتقاد المجبرة في الختم]

* و ذكر بعض المجبرة : « أنّ أهل السنّة يعني : الاشاعرة احتجّوا بالآيتين و نظائرهما على تكليف ما لايطاق ، و على أنّ الله هو الّذي خلق فيهم الداعية الموجبة للكفر ، وختم على قلوبهم ، ومنعهم عن قبول الحق و الصدق ، و كل بتقديره تعالى ، ولا يسأل عما يفعل[٢] » .

و هذا كما ترى انهماك في الغيّ و الضلال .

و ذكر بعض العدليّة[٣] * في الآية ما محصّله أنّه : لاختم ولا تغشية هناك على الحقيقة ، و إنّما هو من باب الاستعارة أو التمثيل .

أمّا الاوّل ، فأن نجعل قلوبهم ؛ لأنّ الحقّ لاينفذ فيها و لا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه و استكبارهم عن قبوله واعتقاده ، وأسماعهم ؛ لأنها تمجّه و تنبو عن الاصغاء إليه و تعاف استماعه ، كأنّها مستوثق منها بالختم ، و أبصارهم ؛ لاتجتلي آيات الله المعروضة و دلائله المنصوبة ، كأنّما غطّي عليها ،

١) تفسير الامام ــ عليه السلام ــ ، ص ٤٠ ؛ والبحار ، ج ٤٢ ، باب جوامع معجزاته ــ عليه السلام ــ و نوادرها ، ص ٢٧ ، ح ٧ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٨ :

٢) الانبياء / ٢٣ .

٣) بين النجمتين سقط عن المطبوعة ، ومكانه فيها : « وأيضاً ومعنى الختم على قلوبهم أنها لاتؤمن لما علم من إصرارهم على الكفر . و يمكن أن المراد بالختم : العلامة ، و إذا انتهى الكافر من كفره والمنافق من نفاقه إلى حالة ثابتة في اعوجاجه يعلم الله أنه لايؤمن ، فانه يعلم على قلبه علامة . وقيل : هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها أنه لايؤمن بعدها فيذمّونه ، ويدعون عليه . ثم اعلم أفاد بعض أهل الفضل » .

وحيل بينها وبين الادراك.

و أمّا التمثيل، فأن نمثّل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينيّة، التي خلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها و بين الاستنفاع بها بالختم و التغطية.

و قد جعل بعض المادين الحبسة في اللّسان و العيّ ختماً عليه في شعره، و ذكر في توجيه إسناد الختم إليه سبحانه ما حاصله بأنّ القصد إلى صفة القلوب بأنّها كالمختوم عليها.

[ردُّ قول المجبرة وبيان حقيقة الختم وإسناده إلى الله سبحانه]

وأمّا إسناد الختم سبحانه فللتنبيه‌على أن هذه الصفة في فرط تمكّنها وثبات قدمها كالشيء الخلقيّ غير العرضي؛ كقولهم: فلان مجبول على كذا و مفطور عليه، يريدون‌المبالغة في الثبات عليه. وكيف يصحّ تخيّل ما خيل وقد وردت الآية ناعية على الكفّار شناعة صفتهم وسماجة حالهم، ونيط بذلك الوعيد بعذاب شديد؟

و يجوز أن نضرب جملة «ختم الله على قلوبهم» كما هي مثلاً: كقولهم: سال به الوادي إذا هلك، و طارت به العنقاء إذا أطال الغيبة، وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه وطول غيبته، وإنّما هو تمثيل لحال الشخص بحال من فعلا به، فكذلك مثّلت حال قلوبهم فيما هم عليه من التجافي عن الحقّ بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغنام التي تشبه قلوب البهائم في الخلوّ عن الفطنة، أو بحال قلوب البهائم أنفسها، أوقلوب فرض ختم‌الله عليها حتّى لاتعي شيئاً ولاتفقه من دون أن يكون لله فعل في تجافيها عن الحقّ، ونبوها عن قبوله.

ويجوز أن يكون الاسناد إلى الله سبحانه مجازاً من باب إسناد الفعل إلى أحد الملابسات كما هو شائع في كلامهم، فهيهنا وإن كان الخاتم هو الشيطان أو

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الكافر، لكن لمّا كان الله سبحانه هو الذي أقدره عليه و مكّنه أُسند إليه الختم، كما يسند الفعل إلى المسبب في قولهم: « بنى الامير المدينة » و « ناقة حلوب ».

و وجه رابع، وهو أنهم لمّا كانوا على البتّ والقطع ممّن لايؤمن ولاتنفع الآيات فيهم ولا يجدي فيهم الالطاف المقربة و المحصلة إن اعطوها، لم يبق طريق إلى إيمانهم إلا القسر والالجاء، فاذا لم يقسرهم و الحال هذه لمنافاته الغرض من التكليف عبّر عن ذلك الترك بـ « الختم » إشعاراً بأنهم على صفة لا طريق إلى ردعهم إلا الالجاء، وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغيّ، و استشرائهم في الضلال والبغي.

و وجه خامس، وهو أن يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولونه تهكّماً بهم من قولهم « قلوبنا في اكنّة ممّا تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب »[١].

هذا غاية ما أمكنه من الجواب عن الاشكال المورد في الآية بملاحظة قواعد العدل. ولعلّه هو أقصى ما يمكن من الوجوه الظاهريّة مع عدم خلوّ بعضها من التكلّف والخروج عن الظاهر.

والذي يقتضيه النظر الدقيق هو ما دلّت عليه الرواية السابقة من أن الختم والطبع إنّما وجد جزاء لكفرهم وعصيانهم، و هو سمة يعرفها كلّ من له عين، يبصرها أنّ صاحبه لايؤمن استدلالاً بالملزوم على اللازم، فيوافقه التفسير الآخر. و لعلّه المراد من مشاهدة أميرالمؤمنين عليه السلام الختم على هؤلاء المنافقين، فانّ ذلك الختم والغشاوة تدركان بالنظر الباطني و النور المشرق عن عالم النبوة والولاية. فينطبق التفاسير كلّها على ظاهر الآية ونظائرها من أخبار وآيات عديدة ممّا مرّ ذكرها هنا وغيرها؛ كقوله سبحانه:

---

١) فصلت / ٥.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعّد في السماء . » ١

و في التوحيد باسناد معتبر عن الصادق عليه السلام قال :

« إنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً نكت في قلبه نكتة من نور ، و فتح مسامع قلبه ، و وكّل به ملكاً يسدّده ؛ و إذا أراد بعبد سوء نكت في قلبه نكتة سوداء ، وسدّ مسامع قلبه ، و وكّل به شيطاناً يضلّه . » ثمّ تلا هذه الآية .

قال الصدوق ـ رحمه‌الله ـ بعد ذكر الآية والرواية :

« إنّ الله إنما يريد بعبد سوء لذنب يرتكبه ، فيستوجب به أن يطبع على قلبه ، ويوكّل به شيطاناً يضلّه ، ولا يفعل ذلك به إلا باستحقاق ، و قد يوكل عزّوجل بعبده ملكاً يسدّده باستحقاق ، أوتفضّل ، ويختصّ برحمته من يشاء ؛ وقال الله تعالى : « ومن يعش عن ذكر الرّحمن نقيّض له شيطانا فهو له قرين . » ٢ انتهى .

و روي فيه باسناده عن السجاد عليه السلام أنّه قال في حديث :

« ألا إنّ للعبد أربعة أعين : عينان يبصر بهما أمر آخرته ،

---

١) الانعام / ١٢٥ .

٢) الآية : الزخرف / ٣٦ ؛ والحديث في التوحيد ، باب التعريف والبيان والحجة و الهداية ، ص ٤١٥ ، ح ١٤ ، عن سليمان بن خالد ، عن أبي عبدالله ـ عليه‌السلام ـ ؛ وهكذا رواه الكليني (ره) في الكافي ، ج ١ ، باب الهداية أنها من الله عزوجل ص ١٦٦ ، ح ٢ ، بهذا الاسناد ؛ و العياشي (رض) في تفسيره ، ج ١ ، ص ٣٧٦ ، ح ٩٤ ، مرسلاً عن سليمان بن خالد ، عنه ـ عليه السلام ـ ، و نقله الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ، ص ٥٤٥ ، والبحراني (ره) في البرهان ، ج ١ ، ص ٥٥٢ ، ح ١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و عينان يبصر بهما أمر دنياه ، فاذا أراد الله عزّ وجلّ بعبد خيراً فتح له العينين اللّتين في قلبه ، فأبصر بهما الغيب[1] ، و إذا أراد غيرذلك ترك القلب بما فيه . ثمّ التفت إلى السائل عن القدر فقال : هذا منه . »[2] .

و الذي يظهر لي في تفصيل المقام أنّ للانسان بصراً باطنياً به يبصر الامور الغيبية بالنسبة إلى هذا المقام ، وسمعاً به يسمع الكلمات الخارجة عن كلمات هذا العالم ، وقلباً ينشرح للاسلام ويضيق حرجاً كأنّما يصّعّد في السماء ؛ و كما أن لهذا البدن العنصريّ هذه الجوارح الثلاثة ، كذلك في باطنه روح كلّ منها وحقيقته بحيث لاتفاوت بين تلك الجوارح و هذه المحسوسة إلا اللّطافة والكثافة ، والخفّة والثقل . ويشبه أن يكون تلك الجوارح هي للبدن الذي تعيش به في عالم البرزخ ، وأنّ معظم الثواب والعقاب البرزخيين واقع باعتبار ذلك الجسد والقوى ، و أنّ البدن والاعضاء المذكورة ليست ممّا تحدث عقيب الموت حتّى تكون تناسخاً ينتقل الروح من بدن إلى آخر ، بل هي ثابتة في باطن هذا العالم ، و واسطة بين الروح اللّطيف غاية اللّطف والبدن العنصريّ الكثيف ، كما يشهد له شواهد كثيرة من السمع والاعتبار ، ليس المقام مقام استقصائها . و ملاحظة حال الرؤيا الصادقة التي يتفق للكاملين في التقوى أعدل شاهد على ذلك . فانك ترى في الرؤيا الصادقة عالماً آخر ، و تسمع فيها كلمات ، و لك قلب في ذلك العالم ، و ليس بالتخيّل وتعملات المتخيلة ، وإلا لما كانت مطابقة للواقع وصادقة ؛ إذ الخيال لاحكاية فيها عن

---

١) خ . ل : « العيب » .

٢) رواه (ره) في التوحيد ، باب القضاء و القدر ، ص ٣٦٦ ، ح ٤ ؛ و الخصال ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ، ح ٩٠ ، عن الزهري ، عنه ــ عليه‌السلام ــ ، ونقله المجلسي في البحار ، ج ٥ ، باب القضاء والقدر ، ص ١١٢ ، ح ٣٩ .

الخارج و إن أمكن اتفاق الموافقة ، لكن فرق ظاهر بين ذلك وبين حال الرؤيا الصادقة ، فانها تحكي عن الواقع إما بصورها ، أو بمعانيها ، كما سيرد عليك شيء من التفصيل و البيان فيما يناسبه ـ إن شاء الله تعالى ـ . و تلك العين و السمع والقلب آلات الايمان الحقيقي بالغيب ؛ كما وصف أميرالمؤمنين عليه السلام فيما أورده في نهج البلاغة عنه من قوله عليه السلام :

« إنّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب تسمع به بعد الوقرة ، وتبصر به بعد العشوة ، وتنقاد به بعد المعاندة ، وما برح لله ـ عزّت آلاءه ـ في البرهة بعد البرهة ، و في أزمان الفترات ؛ عباد ناجاهم في فكرهم ، و كلّمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا بنور يقظة في الابصار و الاسماع و الافئدة ؛ يذكّرون بأيّام الله ـ إلى أن قال عليه السلام : ـ

وإنّ للذّكر لأهلاً أخذوه من الدنيا بدلاً ، فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه ؛ يقطعون به أيّام الحياة ، ويهتفون بالزواجر عن محارم الله في أسماع الغافلين ، ويأمرون بالقسط ، ويأتمرون به ، و ينهون عن المنكر ، و يتناهون عنه ، فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك ، فكأنما اطلعوا غيوب أهل البرزخ في طول الاقامة فيه [١] ، وحققت القيامة عليهم عداتها ، فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا ، حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس ، و يسمعون ما لا يسمعون ـ إلى آخر الكلام الشريف . » [٢]

---

١) في المخطوطة : « عليهم » .

٢) نهج البلاغة ، خ ٢٢٢ ، ص ٣٤٢ ؛ و هكذا أورد الآمدي (ره) صدره في غرر الحكم ، الفصل التاسع في حرف الالف بلفظ « ان » ، ص ٢٣٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

فانظر كيف أثبت أوّلا بصراً وسمعاً و انقياداً بعد الوقرة والعشوة والمعاندة بعد الذكر، و الظاهر أنّه جزاء المواظبة على ذكره سبحانه، و أثبت بعده عباداً يناجيهم الحقّ، و يكلّمهم في ذات عقولهم، وهل يدرك الكلام و النجوى إلا بالسمع؟ ثمّ أثبت لهم نور يقظة في الاسماع و الابصار و الافئدة، ثمّ وصف أهل الذكر بقوله : « فكأنما قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها ، فشاهدوا ما وراء ذلك»، و هل يكون مشاهدة إلا بعين بصيرة؟ و كيف عطف على الاطلاع تحقيق القيامة عداتها بدون غطاء حتى كشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا؟

وأمّا التعبير بلفظ « كأنّما » بعد ذلك وقبله، فلعلّه لمشابهة الرؤية والسماع الحسيّين الواقعين في عالم الشهادة، وهما اللّذان يفهمهما الناس و المخاطبون؛ إذ لم يتصوّروا غيرهما، فلاينافي ذلك كون الابصار والسماع حقيقتين واقعتين على طبق ما في هذا العالم، أو توسّع منه عليه السلام في التعبير باعتبار ملاحظة قصور المخاطبين أو بعضهم عن إلقاء ذلك المطلب الغريب عن الأذهان عليه، فإنّهم يكلّمون الناس على قدر عقولهم، فأورد الكلام على وجه يفهم القابل ؤ الناقص ما يناسب مقامه ومرتبته.

و روى العياشي كما نقل عنه عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : سمعته يقول :

« أنتم والله الذين قال [الله] فيهم « و نزعنا ما في صدورهم من غلّ إخوانا على سرر متقابلين »[١] : إنّما شيعتنا أصحاب الاربعة الاعين: عين في الرأس، وعين في القلب، ألا والخلائق كلّهم كذلك إلا أنّ الله فتح أبصاركم و أعمى أبصارهم. »[٢]

---

١) الحجر / ٤٧ .

٢) العياشي ، ج ٢ ، ص ٢٤٤ ، ح ٢٣ ؛ و رواه بهذا الاسناد أيضاً الكليني (رض)←

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

إلى غير ذلك من الاخبار الواردة في السمع والبصر [١] .

و قد ورد أخبار في صفة القلوب [٢] ، و أنّ منها : « قلب أزهر أجرد ، فيه كهيئة المصباح ، وقلب منكوس [٣] » على ما يبالي .

[في أنّ الختم والتّغشية مرتبة من مراتب العقاب]

و حينئذ فنقول : إنّ مراتب العقاب كثيرة ، أدناها و أوّلها : المصيبات الدنيويّة من الهموم ، وإصابة الشوكة إلى أشدّها ، و آخرها ظهوراً هو : النار ، وسائر ما أعدّ الله سبحانه للعصاة في جهنم ـ نعوذ بالله منها ـ ، وبينهما مؤاخذات و عقوبات ؛ كشدائد يوم القيامة قبل دخول النار ، والعقاب الواقع في عالم البرزخ بأقسامه ، و العقاب المعنويّ الواقع على أهل المعاصي في باطن الدنيا ؛ كنزع حلاوة المناجاة ، و استيلاء الشيطان عليه ، وظلمة قلبه ، و تسلّط الدواعي الفاسدة من الهوى و العصبية و التقليد و غيرها عليه .

و منها : عمى البصر و الغشاوة الطارية عليه ، والختم على قلبه و سمعه بحيث لا يسمع ما كان ينبغي له أن يسمع ، ولا يبصر ما كان ينبغي أن يبصر ، و لا يدخل في قلبه ما كان ينبغي أن يدخل فيه .

← في ذيل حديث في فضائل الشيعة في الكافي ، ج ٨ ، ص ٢١٤ ، ح ٢٦٠ ؛ و نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٦٨ ، باب فضائل الشيعة ، ص ٣٦ ، ح ٧٧ ، وج ٨٢ ، باب فضائل الشيعة ، ص ٨١ ، ح ١٤٢ ، نقلا عنهما ؛ والبحراني (ره) في البرهان ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ ، ح ٧ ، عن الاول .

١) يوجد بعضها في البحار ، ج ٧٠ ، باب القلب وصلاحه وفساده .

٢) راجع نفس المصدر .

٣) رواه الكليني و الصدوق (ره) في الكافي و المعاني وسيأتي بتمامه ـ إن شاء الله تعالى ـ فيما يأتي .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و بالجملة : فكما أنّ ذلك الابصار و الاسماع كانتا لأهل الطاعة و الشيعة و أهل الذكر ، أو أيّ اسم سمّيتهم به ، و كان حال قلبهم مشروحاً للاسلام واعياً بصفات مطلوبة ، كذلك عمى ذلك البصر ، و صمم ذلك السمع ، و صيرورة القلب مختوماً عليه ضيّقاً حرجاً لا يدخله المواهب ، و لايخرج منه إلى الجوارح ما يفيدها للمقابلين لهم في الصفات و الاعمال و الاحوال . فكأنّ الاوّل من أعظم الثواب العاجل لهم، والثاني من أعظم النكال والعقاب المعنويّ العاجل الواقع عليهم عدلاً منه سبحانه و قسطاً ؛ **« ام حسب الّذين اجترحوا السيّئات أن نجعلهم كالّذين آمنوا و عملوا الصّالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون . »** [1]

و يصحّ في هذه المرتبة من تفسير المعنى جعل المفردات و المركبات والنسبة باقية كلّها على معانيها الحقيقية من دون لزوم مجاز أو غيره ؛ سوى أنّه لا يبعد أن يقال : إنّ الظاهر من إطلاق الالفاظ ونسبتها والمتبادر العرفيّ منها هو المعاني الموجودة في ظاهر هذا العالم الذي شاهده المخاطبون و غيرهم من أهل العرف ، دون تلك الحقائق عند وجودها في عالم آخر بنحو آخر ، لكن ذلك إنّما يتبع إذا لم يكن هناك قرينة صارفة في الكلام ، و أمّا بعد وجودها فهو أقرب من سائر المراتب إلى ظاهر اللّفظ ؛ إذ هو أقرب إلى الحقيقة العرفيّة ، و المقام منه ؛ إذ من الواضح عند المخاطبين وغيرهم أنّه على قلوبهم وسمعهم المحسوسة ختم حسي ، ولا على بصرهم المحسوس غشاوة حسيّة . و أعلى [2] من هذه المرتبة من التفسير يظهر بملاحظة النور العقليّ الذي يظهر به حقيقة كلّ محسوس ومسموع ، ومقابله من الظلمة التي **« اذا اخرج يده لم يكديراها »** [3] . ولعلّ إليهما ينظر قوله سبحانه على

---

١) الجاثية / ٢١ .

٢) كذا في المخطوطة .

٣) النور / ٤٠ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) ******

ما يبالي :

«أ ومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظّلمات ليس بخارج منها . » ١

وسيأتي بيانه في محلّه ـ إن شاء الله سبحانه ـ .

وفي هذين المقامين يصحّ المقابلة بين صفة الكفّار والمتقين حيث أورد سبحانه في صفتهم تارة أنّ : « القرآن هدى لهم »، وأخرى بـ « إيمانهم بالغيب » ، و ثالثة بـ « أنّهم على هدى من ربهم » و هذان المشار إليهما من أعظم أنواع الهدايات الباطنية التي تقدمت إليها الاشارة ، وأعظم أنواع الايمان بالغيب إن أخذ الغيب على إطلاقه ، فانّ المدرك بها غيب عن هذا العالم ؛ كما أن تلك الصفات المقابلة لها من الختم والغشاوة من أنواع الضلالة المقابلة لها .

و الكفر بالغيب بمعنى « الستر » ؛ إذ الموصوف بتلك الصفة غير مؤمن بحقيقة الايمان العياني ، فهو كافر بحسب هذا المقام و هذه المرتبة و إن كان مؤمناً باعتبار المراتب الاخر .

و المناسب اعتباره في هذا المقام من المعنى أن يكون المراد بالكفر في صلة الجملة في الآية هو الكفر المعنويّ الموجب لعروض هذه البلايا ، كما أنّ التقوى و الايمان في الآيات السابقة في مرتبة إرادة الهدايات الباطنية الحقيقية هو الفرد الكامل ، و لايلزم من ذلك قصر معنى اللّفظ في المقامين على البعض مطلقاً ، بحيث يخرج ما عداهم عن الكلام بالمرّة ، بل بحسب بعض المراتب فقط ؛ إذ الكلام بنفسه صالح لمقامات ينبغي مراعات الموضوع و المحمول في كلّ منها بحسبه ، ليكون القرآن معطياً حكم كل مقام لأهله بحسبه ؛ فانّه مائدة الله سبحانه لجميع عباده ، لا يختصّ ببعض دون بعض ، كما ربما يظهر ممّا قدّمناه في المقدّمات .

---

١) الانعام / ١٢٢ .

[ارتباط درجات الختم بمراتب الحجاب في الانسان]

و حينئذ فنقول : إنّ دون المرتبتين المتقدّمتين مقاماً آخر ، وبيانه : إنّ الانسان تارة يكون بحيث يتأثّر بورود الانذار الصحيح عليه مطلقاً ، خصوصاً بعد استجماع الانذار شرائط كماله ؛ و تارة يكون بحيث لايتأثّر بالانذار بوجه من الوجوه ، و كيفية من الكيفيات ، وبأيّ نحو وقع ، بحيث خرج عن القابلية رأساً ؛ وبينهما متوسطات ، فيتأثّر صاحبها تارة دون أخرى ، أو بوجه دون وجه ، أومن شخص دون آخر ، أو من بعض الانذارات دون آخر .

و لا ريب أنّ هذا الاختلاف ينشأ عن اختلاف في أمر باطنيّ هو الموجب لهذا الاختلاف ؛ إذ الاختلاف في الآثار يكشف عن الاختلاف في المؤثرات أو المتأثرات ، و حيث فرض عدم الاختلاف في المؤثّرات بين الطوائف الثلاثة كشف عن كون اختلاف الحال من طرف المتأثّر . ولمّا فرض المؤثّر ، وهو الانذار الواقع من النبيّ ﷺ ، مستجمعاً لشرائط المؤثّريّة تامّ الاقتضاء ، و كان القلب الانسانيّ بحسب الفطرة الاصلية قابلاً للتأثّر ، فيعلم أنّ عدم التأثير لأجل عروض أمر مانع عنه ، و أقرب مانع يتصوّر في المقام هو وجود الحجاب بين المؤثّر و المتأثّر ، بحيث لايصل المؤثّر إليه ، و هو غشاء واقع على وجهة القلب التي بها يتوجّه نحو الاشياء ، أو ختم على سمعه التي بها يدرك معاني المسموعات ، أو ختم على أصل القلب الذي من شأنه أن يدرك المعاني والحقائق ، فلا يتعقّل الامر الذي ينبغي له تعقّله ، ولا يصل إليه الامر المعقول ، فالقلب الذي من شأنه أن يكون وعاء للحقائق و المعاني إذا ختم عليه فلم يدخله المعنى المعقول ، أو ختم على سمعه فلم يدرك المسموع ، أو جعل على بصره غشاوة فلم يبصر المعنى الذي يبصره ، فقد وقع الحجاب والمانع عن وصول المؤثّر إلى المتأثّر ؛ إذ محض الابصار أو السماع

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

الصوريّين لايترتب عليه الحذر والعمل إلا بعد اداًئهما المعنى بحقيقته إلى القلب، وتعقله ذلك الحقيقة على الوجه الذي ينبغي أن يعقل، وكون القلب واعياً له.

فاذا خرج الحال عن هذه الصفة استوى الانذار و عدمه، و ذلك الحجاب المعنوي قد يكون هوى عارض للقلب يحول بينه و بين إدراكه مضار متعلّقه، أو تقليد مخالف للمنذر به، أو حميّة وعصبية مخالفة له، أو عادة تمنع من رسوخ داعي خلافه، أو أفكار متشتّتة استولت على القلب فلم يبق خالياً ساذجاً، أو وساوس شيطانية أحاطت هواجسه، أو نحو ذلك. و هي ربّما تتصور و تتشكل في باطن هذا العالم، و تصير سدّاً غاشياً للقلب، مانعاً عن إدراكه المعاني و وصول المعاني إليه على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه، بل الظاهر أنّ المعاصي بعد تجسّمها أيضاً من أعظم أنواع الحجاب للقلب، ولاتستبعد من تجسّم الاعمال والمعاني الباطنيّة و قد دلّت عليه استبصارات معتضدة بآيات و أخبار كثيرة تأتي كثير منها - إن شاء الله تعالى - مشروحاً.

فحينئذ فنسبة الختم إلى الله سبحانه باعتبار أنّ تحقّق تلك المعاني والاعمال و * تشكلها و تمثّلها في عالمها من فعل الله سبحانه، و بذره عمل العبد؛ كالبذور الخارجية، فانّ الدنيا مزرعة الآخرة، ومن يزرع شرّاً يحصد شرّاً وإن كان الخالق هو الله سبحانه.

فهذه الخطايا الباطنية والظاهرية إذا أحاطت بالقلب، واستولت عليه بحيث لم يبق له مجال لغيره، و استحكمت وصارت كأنّ مقتضياتها طبيعة ثانوية له، فصاحبه لايؤول إلى خير أبداً، و *[1] استوى عليه الانذار وعدمه. فهذه أيضاً مرتبة

---

١) ما بين النجمتين سقط من المطبوعة، ومكانه فيها: «الافعال لهم حاضرة عنده تعالى بحيث «لايعزب عن علمه مثقال ذرة في السماء ولا في الارض.» - ناظر إلى قوله تعالى في سورة يونس آية ٦١، وسورة السبأ آية ٣ - ويؤيد ما ذكرنا ما قيل في معنى الآية بأن-

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

من البيان في الختم والغشاوة .

و دون تلك المرتبة مرتبة أخرى ظاهرة ، و بيانها أنّه لاشكّ أنّ للقلب حالات وملكات ، من جملتها : حالة تمنع من التأثّر و الاتّعاظ ، وهي قدتتقوى إلى حيثية تصير لازمة للقلب كسائر الملكات عند البلوغ إلى أقاصيها ، و هذه الحالة ربما يعبّر عنها بالقساوة والشقاوة .

والقلب الموصوف به لاينفعل بما سمع أو أبصر مما يخالفه ، بل من مطلق جهات الادراك المتعلّق بما يخالفه ، فهو كالمختوم عليه و على سمعه ، وكمن على بصره غشاوة ؛ إذ لا يعي ولا يدرك شيئاً من المسموع والمبصر ، ولمّا كان هذه الصفة و الحالة تحدث في النفس تدريجاً إلى أن يكون بحيث لا يمكن ارتفاعها ؛ كسائر القوى و الملكات النفسانيّة التي تتقوّى بالاعمال والممارسة شيئاً فشيئاً ، وهي من مكتسبات العبد ؛ لكنّ الموجد له ليس هو العبد ، بل العبد غير شاعر بذلك نوعاً و إن كان باختياره ما يترتب ذلك عليه .

فالظاهر أن يكون حدوث تلك الصفة من الطينة السجينيّة المخلوقة اكتسبها العبد بفعله ، فينسب إلى الله سبحانه الفعل باعتبار ايجاد مبدئه ، و جعله بحيث يتّصف به القلب المكتسب له جزاء لعمله واكتسابه ، وإعطاء له ما يطلبه من حيث لا يشعر بطلبه .

ثمّ إنّ وقوع ذلك الامر على المكلّف داخل تحت قضاء الله و قدره و مشيّته لما تحقّق عندنا من عدم خروج شيء عن تحتها ، و أنّه لايدخل في ملك الحقّ

«المراد بالختم على القلوب أن الله شهد عليها ، وحكم بأنها لاتقبل الحق . ثم اعلم أن معنى الختم على قلوبهم وعلى سمعهم ، والغشاوة على أبصارهم : أنهم لما أعرضوا عن النظر فيما كلفوه ، وتهاونوا بل تعاندوا فيما أمروا به، وبلغ جهلهم في أعلى مراتب بحيث تجسم لهم أعمالهم السيئة » .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

إلا ما يشاء و إن كان بعضها أوّليّاً مقصوداً بذاته، وبعضها ثانويّاً مقصوداً بالعرض والتبع، كما يبيّن في محلّه ـ إن شاء الله تعالى ـ، وبه يتحقق نفي التفويض.

فمن هذه الوجوه يصحّ إسناد الفعل إلى الله سبحانه من دون حاجة إلى التكلّفات التي ذكرها الفاضل المتقدّم. والله العالم بحقيقة الحال، وهو المستعان.

بقي هيهنا شيء وهو: أنّ من قرأ عشاوة بالمهملة، فظاهر المعنى حينئذ أنّ أبصارهم موصوفة بالعشاء وعدم الرؤيه باللّيل دون النهار. وفيه نكتة مليحة و هو: أنّ الدنيا بأسرها مظلمة النور بمنزلة اللّيل الاليل، لايرى فيها نور إلا ما ورد فيها من عالم آخر. و الكافر أعشى لايبصر فيها شيئاً من المعارف و الحقائق، فاذا انتقل منها إلى الآخر علم و رأى حين لاينفعه إلا مزيد الندم؛ «لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد.»[1]

وقال أميرالمؤمنين عليه السلام في ضمن كلام له على ما ببالي روايته[2]:

فعند الصباح يحمد القوم السرى و تنجلى عنهم غلالات الكرى

[في معنى العذاب وأقسامه]

وَلَهُم عَذابٌ عَظيمٌ

عن تفسير الامام عليه السلام بعد ما تقدّم:

«ثمّ قال: «و لهم عذاب عظيم» في الاخر[ة] بما كان من كفرهم بالله، و كفرهم بمحمّد رسول‌الله صلى الله عليه وآله.»[3]

و ربّما يحكى عنه أيضاً فيه:

---

١) ق / ٢٢.

٢) توجد أول مصراعه في نهج البلاغة، خ ١٦٠، ص ٢٢٩.

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٤٤٦.

« يعني : في الآخرة العذاب المعدّ للكافرين ، و في الدنيا أيضاً لمن يريد أن يستصلحه بما ينزل به من عذاب الاستصلاح لينبّهه على طاعته[1] ، أو من عذاب الاصطلام ليصيره إلى عدله وحكمته . »[2]

و فسّر الاصطلام بالاستيصال ، وهو يرشد إلى عدم انحصار الآية بمن يمتنع عليه الرجوع ، ولشموله لمن يمكن منه الايمان . ولا ينافي ذلك الحكم باستواء الانذار وعدمه ؛ لأنّ عدم تأثير إنذار أمر غير تأثير عذاب الاستصلاح ؛ إذ ربّ شخص لا يمكن اتّعاظه بالموعظة والالطاف المقرّبة ، ولكن بالعذاب يستصلح ، إمّا بتبديل العذاب حالته الباطنية ابتداء ، أو لقوّة استيلاء العذاب عليه بحيث لا يبقى لقلبه مجال للإباء . و مثاله في مقام تأديب الاطفال والعصاة ظاهر لا يخفى .

و أمّا وقوع ذلك تنبيهاً من الله سبحانه له وإتماماً للحجّة و إن لم ينتفع به ، فهو بعيد عن مساق الكلام حيث ذكر فيه إرادة الاستصلاح بما ينزل به .

و العذاب على ما في الصحاح هو : « العقوبة » .

و ذكر جماعة[3] أنّه : « كالنكال بناء و معنى ؛ لأنك تقول : أعذب عن الشيء إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه . ومنه «العذب» لأنه يقمع العطش ، ويردعه بخلاف الملح ، فانه يزيده ، ثمّ اتّسع فيه فسمّي كلّ ألم قادح عذاباً وإن لم يكن نكالاً ؛ أي : عقاباً ، يرتدع به الجاني عن المعاودة » وأيّد وجه المناسبة المذكورة في العذب بـ « تسميتهم إيّاه نقاخاً ، لأنه ينقخ العطش أي : يكسره ، و فراتاً لانّه يرفته على القلب . » و ذكر في معنى التنكير هنا و في غشاوة : « أنّ على أبصارهم

---

١) خ . ل : « لينبهه لطاعته » .

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٤٤٤ .

٣) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٢٩ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

نوعاً من الاغطية غير ما يتعارفه الناس ، و هو غطاء التعامي عن آيات الله ، ولهم من بين الآلام العظيم نوع عظيم لا يعلم كنهه إلا الله . »

هذا ، ولعلّ في ايراد الجملة خبرية ظاهرة في الحال دلالة على ثبوت العذاب لهم فعلاً و إن لم يشعروا به . و ذلك إمّا باعتبار العذاب الاخروي ، فباعتبار مخلوقية ما يعذب به فعلاً على ما نطقت به الادلة الكثيرة و إن لم يقع التعذيب بعد ، إلا أنّه ثابت لهم . و إمّا باعتبار العذاب المعنوي ، فهو الآن موجود ، وأهله معذّبون بها ، ولكن لا يشعرون بعذابهم و آلامهم ، فاذا خرج عن جلابيب أبدانهم ، وكشف لهم عن حالهم ، و ارتفعت عنهم موانع الادارك ، شاهدوا أنفسهم معذّبين بأنواع العذاب الروحاني ، مضافاً إلى سائر أنواع عذاب عالم البرزخ و القيامة ، ولو ارتفعت في حال حياته الموانع عنه من تخديرات الطبيعة ، و شغل النفس الانسانية بأسباب هذه الدار الفانية و خيالاتها ، والظلمة التي اكتسبته حتّى صار ناسياً لنفسه ، و العلائق الشاغلة له عن نفسه و غير ذلك ، لشاهد نفسه اليوم معذّباً بالعذاب الروحاني .

[شرائط إدراك العذاب الباطنيّ وكيفيّته]

فإن قلت : فهل يمكن مشاهدة ذلك في حال الحياة بارتفاع الموانع مع بقاء الحياة ؟

قلت : أمّا للمتجرّدين عن جلابيب الطبيعة الذين صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ الاعلى . فهو ممكن واقع على قدر مراتبهم . ولعلّ في ظاهر الكلام المتقدّم عن أميرالمؤمنين عليه السلام [1] و غيره دلالة و إشارة اليه . و إثبات ذلك بالادلة ، ولو أمكن لا ينفع لنا في مقام اليقين بعد أن لم نكن من أهله وإن ترتب عليه

---

١) تقدم في ص ٤٥١.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

منافع أخر من تكميل المعرفة بحالهم وطلب مقاماتهم ودرجاتهم .

وأمّا في حقّ غيرهم ، فربما للمتوسّم المتفرّس منها أشياء بإماراتها إذا دقق النظر فيها ، وتخلّى عن الشواغل الملهية للنفس عن ذاتها ، وأمعن الفكر في حالها ، و تحقق له خلوة مع نفسه و ذاته ، فربما يظهر له آلام أو لذّات لاسبب له من الخارج أصلا ، و لا في أعضائه وقواه ما يقتضيه ، بل لايبعد أن يكون من أعظم أسباب الميل إلى الملهيات والشواغل ومجالس البطالة و غيرها هو استشعار النفس آلامها الباطنيّة ، فتطلب ما يلهيه ، و يرفع إدراكها لئلا يتألّم بها تألّماً فعليّاً ، كما لايبعد أن يكون من أسباب سوء الحال الواقع عند القيام من النوم المشاهد في حقّ كثير من الناس هوإدراك النفس حالها عند تفرّغها عن الشواغل الظاهريّة، و رجوعها عن الخارج إلى الداخل من جهة النوم . نعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا .

[تحقيق حول النّفاق والمنافقين]

وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنّا بِاللهِ وَ بِاليَوْمِ الآخرِ وَماهُمْ بِمُؤْمِنِينَ

في تفسير القمي :

« إنها نزلت في قوم منافقين أظهروا لرسول الله ﷺ الاسلام، فكانوا إذا رأوا الكفّار قالوا : « إنا معكم »، و إذا لقوا المؤمنين قالوا : « نحن مؤمنون »، و كانوا يقولون للكفّار : إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن »[1] .

و عن محمّد بن الحسن الصفار والكليني باسنادهما عن الصادق عليه السلام [2] أنّه قال:

---

١) القمي ، ج ١ ، ص٣٤ : والبرهان ، ج ١ ، ص٥٩ ، ح ٢ . والاية : البقرة / ١٤.

٢) لايخفى أن الصفار (ره) رواه باسناده عن الصادق ـ عليه السلام ـ ؛ و رواه الكليني (ره) قائلاً عنه ـ عليه السلام ـ ، ولم يصرّح باسم المعصوم ـ عليه السلام ـ المنقول عنه . و يظهر منه أن المراد من الضمير هو : الصادق ـ عليه السلام ـ . و يؤيده ما ذكره البحراني (ره) في تفسيره بعد نقل الحديث عن الصفار باسناده عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ حيث قال : « و روى هذا الحديث محمد بن يعقوب ؛ عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن الحسين بن سعيد ، عن النضر بن سويد ، باقي السند والمتن . » لكن المجلسي (ره) حمل الضمير في شرحه لهذا الحديث في المرآة على أبي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ و قال : «وضمير « قال » لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ لما رواه الكشي عن أبي بصير ، قال : سمعت أبا جعفر ـ عليه صلوات الله و السلام ـ يقول : ان الحكم بن عتيبة وكثير النواء وأبا المقدام والتمار يعني سالماً أضلّوا كثيراً ممّن ضل هؤلاء و انهم ممّن قال الله عزوجل : ومن النّاس من يقول . . . »

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« إنّ « الحكم بن عيينة »[1] ممّن قال الله : « و من النّاس من يقول آمنا بالله و باليوم الآخر وما هم بمؤمنين » . فليشرّق الحكم و ليغرّب ؛ أما و الله لا يصيب العلم إلا من أهل بيت نزل عليهم جبرئيل عليه السلام . »[2]

و عن تفسير الامام عليه السلام : قال الامام موسى بن جعفر عليهما السلام :

« إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا وقّف[3] أميرالمؤمنين عليه السلام في يوم الغدير موقفه المشهور المعروف ، ثمّ قال : يا عباد الله ، أنسبوني .

فقالوا : أنت محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف .

ثمّ قال: أيّها الناس ، ألست أولى بكم منكم بأنفسكم ، فأنا مولاكم أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله .

---

١) خ . ل : « عتيبة » . قال في هامش نورالثقلين : « الحكم بن عتيبة كنتية الكوفي الكندي كان من فقهاء العامة ، و قيل : « انه كان زيدياً بترياً . » و حكي عن ابن فضال انه قال : « كان الحكم من فقهاء العامة ، وكان استاد زرارة وحمران و الطيار قبل أن يروا هذا الامر . » وقيل : كان مرجئاً . مات حدود سنة ١١٥ ، وقد ورد في ذمّه روايات كثيرة ، منها هذه الروايات ، و إن شئت تفصيل الحال فراجع تنقيح المقال وغيره من كتب الرجال . »

٢) البصائر ، باب ٦ من الجزء الاول ، ص ٩ ، ح ٢ ؛ و الكافي ، ج ١ . باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلا ما خرج من عند الائمة ــ عليهم السلام ــ ، ص٣٩٩، ح ٤ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ح ٣ ؛ و نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٣٤ ، ح ١٨ .

٣) خ . ل : « أوقف » .

فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء فقال : اللهم إني أُشهدك . يقول هو ذلك ويقولون ذلك ثلاثاً . ثمّ قال : ألا فمن كنت مولاه و أولى به فهذا [عليّ] مولاه و أولى به ؛ اللّهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، و اخذل من خذله .

ثمّ قال : قم يا أبا بكر فبايع له بامرة المؤمنين ، فقام ففعل ذلك فبايع .

ثمّ قال : قم يا عمر فبايع له بإمرة المؤمنين ، فقام فبايع .

ثمّ قال بعد ذلك لتمام التسعة، ثم لرؤساء المهاجرين والانصار، فبايعوا كلّهم .

فقام من بين جماعتهم عمر بن الخطاب ، فقال : بخ بخ [لك] يابن أبي طالب أصبحت مولاي و مولا كلّ مؤمن ومؤمنة .

ثمّ تفرّقوا عن ذلك .

و قال : وكّدت عليهم العهود و المواثيق . ثمّ إنّ قوماً من متمردي جبابرتهم تواطئوا بينهم لئن [1] كانت لمحمّد ﷺ كائنة لندفعنّ [2] هذا الامر عن عليّ عليه السلام ، و لانتركنّه [3] [له] ، فعرف الله ذلك في [4] قلوبهم ، وكانوا يأتون رسول الله ﷺ و يقولون له : لقد أقمت علياً [5] أحبّ خلق الله إلى

١) خ . ل : « إن » .
٢) خ . ل : « ليدفعن » .
٣) خ.ل : « يتركونه » .
٤) خ . ل : « من » .
٥) خ . ل : « علينا » .

الله و إليك و إلينا ، [و] كفيتنا به مؤونة الظلمة و الجبابرة وسياستنا ، وعلم الله في قلوبهم خلاف ذلك [من] مواطاة بعضهم لبعض أنهم على العداوة مقيمون ، و لدفع الامر عن مؤثره[١] مؤثرون. فأخبر الله عزّ وجلّ محمداً صلى الله عليه وآله عنهم ، فقال : يا محمد صلى الله عليه وآله ! « ومن الناس من يقول آمنا بالله الذي أمرك بنصب عليّ عليه السلام إماماً وسائساً لأمتك و مدبّراً ، و ما هم بمؤمنين بذلك ، ولكنّهم مواطئون على هلاكك وهلاكه ، يوطئون أنفسهم على التمرد على عليّ عليه السلام إن كانت به كائنة . »[٢]

و اقول :

فالظاهر بملاحظة هذه الروايات أن يكون شأن نزول هذه الآيات جماعةمن المنافقين ؛ كابن أبيّ و أصحابه ، أوكالاوّل و الثاني و غيرهما من المنافقين ، الذين زادوا على الكفر الباطني النفاق و إظهار ما ليس فيهم ، و بعد إلغاء الخصوصيات النزولية والاخذ بأصل المعنى فالظاهر اندراج كلّ منافق ممّن كان في زمانه صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة تحت الآية ، و منهم : الحكم بن عيينة بناء على الرواية السابقة .

[في أنّ النّفاق أقبح من الكفر]

ثمّ إنّ في ذكر قصة المنافقين في ضمن ثلاث عشر آية ، و الاقتصار في صفة الكفّار على الآيتين لعلّه ايماء إلى كثرة الاهتمام بردع المنافقين . فربما يستشعر من ذلك أن النفاق أقبح من الكفر لزيادته الكذب و الخديعة و الاستهزاء على

١) خ . ل : « مستحقه » أو « محقه » .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٤١ ؛ والبحار، ج ٣٧ ، باب في اخبار الغدير، ص ١٤١ ، ح ٣٦ ، والبرهان ، ج ١ ، ص ٥٩ ، ح ١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح(ع) *****

الكفر و إن كان الكافر قبيح الظاهر والباطن بخلاف المنافق ، الّذي يري كلامه و ظاهره حسناً ، لكن لايبعد أن يكون ظاهره في صورة الحسن لا أنّه حسن واقعي؛ إذ الاقوال و الافعال تابعة للنيات و الباطن في حسنها و قبحها ، فهم ذئاب لابسون لباس المسوك ، و أنّ المنافقين ما كانوا جمعاً قليلاً ممَّن كان ظاهره الاسلام ؛ إذ لو كان منحصراً في ذلك القليل لما ناسب حالهم شدّة الاهتمام بردعهم وتوبيخهم و غيرذلك في هذه الآيات وغيرها من الآيات الكثيرة الواردة في حالهم .

و حينئذ فلاينبغي الوثوق التامّ بأحوال كلّ من دخل في الصحابة ظاهراً و إن كان عمله في الظاهر حسناً ، كما هو ظاهر ديدن العامّة العمياء و مقتضى طريقتهم ، بل لعلّه مبنى مذهبهم ، ويأتي مثل ذلك في كلّ زمان ، فلاينبغي كثرة الوثوق بأحوال الاشخاص الذين ظاهر [هم] الصلاح بمحض قولهم أو فعلهم في محضر الناس .

ثمّ إنّ الاقتصار هنا بالايمان بالله وباليوم الآخر ، الذي هو من وقت الحشر إلى استقرار الجنّة والنار بأهلها ، أومطلق زمان المعاد الذي لايتناهى ، أوالاعمّ منه ومن عالم البرزخ الواقع بينه وبين الموت لعلّه مشعر بأنّ أهمّ أركان الايمان هو هذان الامران الراجعان إلى الايمان بالمبدء والمعاد .

[في بيان حقيقة النّفاق]

ثمّ إنّه بناء على ما سبق في معنى الكفر و الايمان والمقابلة بينهما ربّما يتّجه أن يكون حقيقة النفاق هو ظهور صورة فرع الايمان دون[1] أصله ، وإظهار إيمان بفعل أو قول ليس بمتحقّق .

وحينئذ فقد يكون التصديق أو القبول الباطني معدوماً ، والقول أو الفعل

---

١) في المخطوطة : « بدون » .

بالجوارح موجوداً : كأداء الشهادتين ، أو الاتيان بالعبادة الدالة على الايمان كالصلاة، و ذكر الله ، وقد يكون الامران موجودين في الجملة ، ولكن يظهر المقدار الذي [يكون] موجوداً بقول أو عمل ، أو يكون مقام الاخلاق و الاحوال و غيرهما ممّا سبق كونه في مقام الاغصان معدومة بأسرها أو ببعضها ، و يظهر المفقود بالقول أو العمل ، أو يكون نيّة الخلوص والقربة مفقودة ، ويأتي بالعبادة مظهراً أنها لله .

وبالجملة فلا يبعد إلحاق كلّ من أظهر شأناً من شؤون الدين و مرتبة من المراتب ، ولم يكن متحققاً به في الواقع بحقيقة النفاق ، فالنفاق يشارك الكفر في الباطن ، ويشابه الايمان في الصورة الظاهرية ، فهو إظهار إيمان وصورة إيمان لاحقيقة له . بل حقيقة من شجرة الكفر إن جعلناهما ضدين لاثالث لهما في كلّ مقام و كلّ شأن . وإلا جاز خلوّ الباطن عن الحقيقتين ، وكان النفاق في الباطن أعمّ من الكفر في بعض المراتب .

و ربّما يرشد إلى ما ذكرنا ما ورد على ما ببالي من أن :

« كلّما زاد [1] خشوع الجسد على خشوع القلب [2] فهو عندنا نفاق . » [3]

---

١) في المصادر : « مازاد » .

٢) في المصادر : « على ما في القلب » .

٣) رواه الكليني (رض) في الكافي ، ج ٢ ، باب صفة النفاق والمنافق ، ص٣٩٦ ؛ ح ٦ ، عن مسمع بن عبدالملك ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ ؛ وهكذا في الصافي ، ج ٢ ، ص ١٣٦ ؛ ونور الثقلين ، ج ٣ ، ص ٥٢٨، ح٩٠.
وقريب من هذا المضمون موعظة عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أوردها ابن شعبة الحراني (ره) في تحف العقول ، ص ٤٢ ، وهي : « إياكم وتخشع النفاق ، و هو أن يرى الجسد خاشعاً . والقلب ليس بخاشع . »

قال المجلسي (ره) في المرآة ، ج ١١ ، ص ١٧٣ ، في شرح حديث الكليني (رض):ـــ

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وما وردعلى ما ببالي من أن : «آيات النفاق فيمن ينتحل مودّتنا أهل البيت .» أو ما يقرب من ذلك .

وما عن كتاب صفات الشيعة باسناده عن المفضل ، قال : قال أبو عبدالله عليه السلام :

«إن الله تبارك و تعالى خلق المؤمنين من أصل واحد ، لا يدخل فيهم داخل ، ولا يخرجّ منهم خارج ، مثلهم و الله مثل الرأس في الجسد ، و مثل الاصابع في الكف ، فمن رأيتم يخالف ذلك فاشهدوا عليه بتاتاً أنّه منافق .»[1]

قيل : بتاتاً أي : بتّاً وقطعاً . وعلى هذا فالمنافق هو من يظهر شأناً و مقاماً من شؤون الدين ومقاماته ، مع أنّه ليس بواجد له في الواقع ، فهو يقول بلسانه أو عمله إنّه آمن بالله واليوم الآخر في مقام وشأن من الايمان وما هو بمؤمن فيه، كما أنّه يظهر ممّا سيأتي في صفتهم في جميع ذلك المراتب النفاقية ، كما ننبّه عليه - إن شاء الله - .

[في اندراج الرّياء تحت النّفاق]

و حينئذ فيندرج تحت النفاق بالمعنى الاعمّ العبادة الريائية ، و كل عمل أظهر صاحبه أنه لله وليس له ، و كلّ ملكة أو خلق أظهر صاحبها أنه واجد لها من حيث كونه مستحسناً في الدين وليس فيه ؛ كإظهار الزهد والخوف و المحبّة لله

← « كلمة « ما » شرطية زمانية ، نحو : « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم » (التوبة / ٧) وكذا لم يحتج إلى العائد ، ويدل على أن زيادة خشوع البدن على خشوع القلب من الرياء، و هو من النفاق . و في قوله : « عندنا » إيماء إلى أنه ليس بنفاق حقيقي ، بل هو خصلة مذمومة شبيهة بالنفاق . »

١) صفات الشيعة . الحديث الثامن والاربعون .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

سبحانه وغير ذلك ، وكلّ مقام ادّعى تحقّقه بينه وبين الله سبحانه وهو خالٍ عنه . فيكون النفاق إظهار صورة الايمان والدين من دون حقيقة .

وهذا الحصر ما سنح بالبال في باب النفاق عند تجريده عن الخصوصيات ، ولعلّه ورائه أمر أحقّ بالتصديق منه ؛ إذ النظر لايستلزم الاصابة ، والله العالم .

[وجه المناسبة بين هذه الآية والآيات السابقة]

ثمّ إنّ وجه الاتصال بين هذه الايات وما قبلها ظاهرة ؛ إذ المنافقون داخلون تحت الكفّار إن أخذ الكفر على إطلاقه الشامل له ، فهم طائفة من هؤلاء يناسب تذييل حال الجنس بصفة الطائفة الخاصة منهم ، حتّى يتّضح الصفة المشتركة بين الطائفتين و المختصة بإحديهما ، و مقابلون لهم إن خصّصت الكفار بالكافرين من حيث الصورة والمعنى معاً ، فيناسب بيان حال هذه الطائفة بعد بيان صفة الطائفتين الأخريين المقابلين لها . و لها ارتباط مع قصة المؤمنين من حيث بيان الموضوع لدلالته على أن ليس كل من يقول آمنّا بمؤمن واقعاً .

و لعلّ إليه يشير كيفيّة التعبير في الآية حيث جعل صفتهم قوله : « آمنّا بالله واليوم الآخر » وردّ « ما هم بمؤمنين » لا بأنّهم لم يؤمنوا ، الذي هو أنسب بالمقابلة و إن كان ملاحظة التأكيد و غيره أيضاً مناسباً للنحو الذي ورد عليه الآية لدلالته على إخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين .

[تحقيق حول المخادعة مع الله والمؤمنين]

[و الآثار المترتبه عليها]

يُخادِعُونَ اللهَ والَّذينَ آمَنُوا

[في معنى الخدعة]

و « الخدع » كما صرّح به بعضهم : « أن يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم : « ضبّ خادع » . و خدع إذا أمرّ الحارش يده على باب جحره أوهمه إقباله عليه ، ثمّ خرج من باب آخر . »[1]

و قال آخر : « أصل المخادعة الاخفاء ، و منه سمّيت الخزانة المخدع ، و الاخدعان عرقان في العنق خفيّان ، وخدع الضبّ خدعاً إذا توارى في جحره ، فلم يظهر إلا قليلا » .

و ذكر أنّ « الخديعة إظهار ما يوهم السداد و السلامة ، وإبطان ما يقتضي الاضرار بالغير أو التخليص منه » . و لعلّه يرجع إليه التفسير الاوّل و ما ذكره الطريحي بقوله : « خدعه يخدعه خدعاً و خداعاً أيضاً بالكسر : ختله و أراد به المكروه من حيث لا يعلم ، والاسم الخديعة » . هذا ، و عن تفسير الامام عليه السلام عن الكاظم عليه السلام بعد ما تقدم :

« فاتصل ذلك من مواطاتهم وقيلهم في عليّ عليه السلام ، و سوء تدبيرهم عليه برسول الله صلى الله عليه وآله ، فدعاهم فعاتبهم فاجتهدوا

---

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٠ .

في الأيمان، وقال أوّلهم: « يا رسول الله ﷺ، ما اعتددت بشيء كاعتدادي بهذه البيعة! و لقد رجوت أن يفتح[1] الله بهالي في قصور الجنان، و يجعلني فيها من أفضل النزّال و السكان! »

وقال ثانيهم: «بأبي أنت [وامي] يا رسول الله ﷺ! ما وثقت بدخول الجنة و النجاة من النار إلا بهذه البيعة! والله ما يسرّني إن نقضتها أو نكث بها ما اعطيت من نفسي ما أعطيت، و إن لي طلاع ما بين الثرى إلى العرش لآلي رطبة وجواهر فاخرة».

و قال ثالثهم: « والله يا رسول الله ﷺ لقد صرت من الفرح بهذه البيعة من السرور والفسح من الآمال في رضوان الله ما أيقنت أنه لو كان علي ذنوب أهل الارض كلّها لمحصت عنّي بهذه البيعة! » وخلف على ما قال من ذلك!! ولعن من بلّغ عنه رسول الله ﷺ خلاف ما حلف عليه!! ثمّ تتابع بمثل هذا الاعتذار بعدهم من الجبابرة المتمرّدين.

فقال الله عزّ وجلّ لمحمّد ﷺ: **يخادعون الله** يعنى: يخادعون رسول الله بأيمانهم بخلاف ما في جوانحهم، **والذين آمنوا**، كذلك أيضاً الذين سيدهم و فاضلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام. »[2]

---

١) فى البحار: « يفسح ».

٢) راجع المصادر المذكورة فى تعليقة ٢ ص ٤٦٦.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[في معنى المخادعة مع الله]

اقول : ذيل كلام يدل على أن المراد من مخادعة الله مخادعة رسول الله، و أن إسناد المخادعة إليه سبحانه باعتبار إسناده إلى رسوله . ولعلّه إشارة إلى جواب سؤال مشهور ، و هو أنّه : كيف يتصور الخدعة بالنسبة إليه سبحانه وهو عالم السر و الخفيات ، لايخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ، وهو عليم بذات الصدور ؟ فيكون الجواب صرف الاسناد عن ظاهره كما مثّل له بأنه يقال : قال الملك كذا و رسم كذا ، و إنما القائل و الراسم وزيره أو بعض خاصّته ، الذين رسمهم رسمه و قولهم قوله ، مصداقه قوله تعالى : « إنّ الّذين يبايعونك إنّما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم »[1] و « من يطع الرّسول فقد أطاع الله . »[2]

وهذا بيان ظاهري وتحته معنى دقيق يظهر بمعرفة حقيقة الفناء والبقاء بعد الفناء ، ومعنى كون العبد خليفة الحق ويداً له باسطة ، وعيناً له ناظرة ، و أذناً له واعية ، ولعلّه نشير إلى بيان ما لتلك المعاني فيما يأتي - إن شاء الله تعالى - .

و مخادعة الرسول [و] إن امتنع بالنسبة إلى ذلك الشأن ، لكن لم يظهر امتناعه في شأن البشرية ، و لو بحسب ظنّهم الفاسد الكاسد لجهلهم بمقامه ﷺ ، و لايلزم في إطلاق الخدعة أزيد من حسبان المخادع إخفاء الامر على من يريد خداعه ، وإظهار ما يخالف باطنه باعتقاده .

وحينئذ فربما يصحّ دفع الاشكال من أصله وهو التزام أنهم قصدوا مخادعة الله سبحانه لجهلهم بصفاته سبحانه ، كما يصحّ دفعه أيضاً بارادة صورة المخادعة ، وأنهم يعاملون الله معاملة المخادع . وبمثله يصحّ الجواب عن إشكال آخر وهو : أنّ باب

---

١) الفتح /١٠ .

٢) النساء /٨٠ .

المفاعلة بين اثنين فيلزم أن يكون الله سبحانه خادعاً لهم ؛ كما ذكر في قوله سبحانه « وهو خادعهم » [١] ، مع أنّ الخدعة ممّا لا يستحسن صدوره عنه سبحانه ؛ إذ يصح حينئذ أن يقال : إنّه سبحانه يعاملهم معاملة الخادع بإيجاد ما في صورة الخدعة بأن يفعل بهم مايظنون أنه خير لهم وهو في الواقع شرّ لهم ، كما أنّه ينسب إليه سبحانه لفظ المكر إن لم نجعل بناء المفاعلة هنا مصروفاً عن ظاهره حتى يكون مرادفاً ليخدعون مع المبالغة .

[في أنّ المرائي يخادع الله]

و بمثل ذلك ربّما يصحّ بيان ما عن ابن بابويه باسناده عن الصادق عليه السلام ، عن أبيه عليه السلام ، سئل [٢] فيما النجاة غداً ؟ فقال :

« إنّما النجاة في أن لاتخادعوا الله فيخدعكم ، فانه من يخادع الله يخدعه ، و يخلع منه الايمان ، ونفسه يخدع لو يشعر .

فقيل له : كيف يخادع الله ؟

فقال : يعمل بما أمر الله عزّ وجلّ به ثمّ يريد به غيره ؛ فاتقوا الرياء فانّه شرك بالله عزّ وجلّ ؛ إنّ المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء : يا كافر ، يا فاجر ، يا غادر ، يا خاسر ! حبط عملك و بطل أجرك ، و لاخلاق [٣] لك اليوم ، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له . » [٤]

---

١) النساء /١٤٢ .

٢) في المعاني والبحار ونور الثقلين : « أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ سئل » .

٣) خ . ل : « خلاص » .

٤) رواه رحمه الله في المعاني ، باب معنى مخادعة الله عزّ و جلّ ، ص ٣٤٠ ، عن ←

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

و عن العياشي، عن الصادق عليه السلام أنّ النبي صلى الله عليه وآله سئل فيما النجاة غداً ؟ فقال مثله إلى قوله : « شرك بالله » بتفاوت ما في النسختين في الالفاظ [1] .

وفيه دلالة على أنّ مخادعة الله لا يختص بالمنافق المعروف ، بل يعمّ المرائي الآخذ ببعض شعب النفاق أيضاً . وفيه تأييد للتعميم المذكور في معنى النفاق، وبيان مخادعة المرائي إن حمل لفظه ، ثمّ على التراخي عن تمام الفعل ، فينحصر بالرياء المتأخر عن العمل ، [فـ] إنه عقد العمل على أنه لله سبحانه ، وفعله على هذا الوجه الخالص ، ثم إنه أراد به غيره ، وجعله للناس طلباً للجاه وغيره من بواعث الرياء ، فصيّره للناس ثانياً بعد كونه لله سبحانه ، فهو كأجير عمل عملاً لشخص ، ثم عارض ذلك العمل مع غيره بأجرة يطلبها منه وسلّمه إليه . فهذا صورة الخدعة ، فان لم يلتفت بأنّ الله سبحانه مطلع على حال قلبه ونيّته فربما يتخيل إليه أن جزاء العمل ثابت بحاله ، ويريد منه سبحانه الجزاء ، ويحاسب في نفسه أنه قد فاز بالجزائين ، كما أنّ المعاملة الثانية مما لم يطلع عليها الحق سبحانه ، وأن رجوعه عمّا عقدعليه العمل لم يكن بمحضر الحق سبحانه ، فيكون بذلك مخادعاً لله سبحانه ، و غادراً وخاسراً لحبط عمله ، وفاجراً لكونه عاصياً به ، و كافراً لحسبانه عدم اطلاع الحق عليه ، إما في مقام الاعتقاد إن كان معتقداً لذلك ، أو في مقام التذكر و التصور إن كان ذلك فيه . و هو أيضاً من شعب الكفر و أغصانه على المعنى المتقدم . وهذا شرك في العبادة لله سبحانه حيث أراد بعبادته غيره ولو حمل لفظه .

ثمّ على التأخر من ابتداء النية أو العمل فيكون الخبر في الرياء المقارن لجزء العمل أولكلّه بعد انعقاد العزم على وجه الخلوص ، ويجري فيه نحو البيان

مسعدة بن صدقة بن زياد ؛ والامالي وثواب الاعمال ؛ وهكذا في البرهان ، ج ١ ، ص ٦٠، ح ٢ ؛ والبحار ونور الثقلين .

١) العياشي ، ج ١ ، ص ٢٨٣ ، ح ٢٩٥ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المتقدم ولو ألغي التّرتيب الخارجي بين العمل و إرادته الغير به كان هو الرياء الاصلي ، و كونه خدعة لله سبحانه باعتبار أنّه يوقعه على أنّه عبادة لله سبحانه فيما بينه و بين ربّه في صورة خياله و حسبانه ، مع أنه ليس عبادة له ، بل هو مأتيّ به لغيره ، فهو كمن يظهر إيقاع عمل لشخص و هو في الواقع ليس يريده به ، بل يريد غيره به ، كمن يظهر للملك إيقاع تعظيمه له وهو في الواقع معظّم لغيره راكع وساجد له ، و هو محض الخداع . و هو أيضاً خدعة في حد نفسه من حيث أنّ الصورة صورة عبادة والحقيقة حقيقة المعصية ، وهو خدعة للناس حيث أنه يظهر لهم أنّي عابد لله سبحانه ، مع أنّه عامل لهم لاعابد له عزّ وجلّ ، ولو ظهر لهم كونه مرائياً لكان ذلك مناقضاً لغرضه ، فهو إظهار الطاعة من دون واقعية .

و إطلاق الشرك عليه فيما لو انضمّ الداعيان ظاهر ، وأمّا في صورة انحصار الداعي في الرياء من دون انضمام القربة ، فلعلّه لكونه مشركاً في عبادة الله سبحانه حيث أنّه يفعل العبادة لغيره كما يفعله له سبحانه ، أو لكونه في الظاهر لله سبحانه و في الباطن لغيره . ونجري هذه الوجوه في القسم الثاني أيضاً بأدنى تأمّل . وقريب من هذه البيانات يأتي في سائر شعب النفاق بالمعنى المتقدّم .

فكلّ شعبة من شعب النفاق مخادعة لله و الذين آمنوا بنحو من الانحاء ، واعتبار من الاعتبارات ، كما يظهر بالتأمّل فيما سبق .

[في أنّ الأوّل والثاني وأضرابهما هم أصل الخدعة والنّفاق]

ومن أوضح أفراد المخادعة ما كان يصنعه الاوّل والثاني وأضرابهما ، بل هم أصل الخدعة والنفاق في كلّ مقام من مقاماته حيث يظهرون التسليم للرسالة والدين وهم جاحدون ، وخصوصاً لأمر الخلافة وهم معاندون ، ولكمال الايمان و الاخلاق الحسنة وهم عنه خلاء ، و للأعمال و العبادات مع أنّهم مراؤون ، بل

✿✿✿✿✿ بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ✿✿✿✿✿

الظاهر أنهم ما كانوا يدعون شأناً من شؤون الايمان و غصناً من أغصانه بالمعنى المتقدم ، إلا أظهروا تحققهم به ، مع أنهم في الباطن كاملون في الكفر مستجمعون لأصله وأغصانه وفرعه ، فهم إن ذكر النفاق كانوا أصله وفرعه و معدنه و مأويه و منتهاه ، و أتباعهم في مقام الفعل والحقيقة ، لا في مقام اللفظ والدعوى : من اتصف بتلك الصفات النفاقية ، و وافق صفتهم في الصورة والمعنى على دركات كثيرة بمقدار تخلّقه واتصافه بصفتهم وشأنهم ، فلا تغترّ بمن ينتحل التشيع و هو على هذه الصفة ، كما ربما يدلّ [عليه] ما سبق من الرواية ، بل لعلّ هذا الانتحال الصوري أيضاً متابعة ومشايعة لأعدائهم حيث كانوا يقولون عند رسول الله ﷺ ما سبق عن التفسير من دعاويهم بالنسبة إلى قبول الولاية ، فيشبه حالهم حال من يدّعي التشيع وهو في صفة أعدائهم و أخلاقهم و أعمالهم و جهالتهم ، التي كلّها نفاق أو كفر بالمعنى الاعمّ .

و لعلّ من ذلك يظهر لك الوجه في الاخبار الواردة في صفات الشيعة ، و انحصار الشيعة بالمتصفين بصفات ربّما يعزّ وجودها ، و نفي هذا الاسم عن غير المتصف بصفات كماليّة ، كما لا يخفى على من تصفّح تلك الاخبار في مظانها من « بحار الانوار »[1] وغيرها .

نسأل الله سبحانه أن يخلّصنا من شؤون تلك الشجرة الخبيثة ، و يجعلنا من المؤمنين المخلصين ، والشيعة الحقيقيين بحق الائمة الطاهرين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

---

١) راجع بحار الانوار ، ج ٦٨ ، باب صفات الشيعة .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في رجوع الخدعة إلى الخادع]

و ما يَخدَعونَ إلّا أنفسَهُم [وَما يَشعرونَ]

عن تفسير الامام ﷺ بعد ما سبق :

«ثمّ قال : « و ما يخدعون الا انفسهم » ما يضرّون بتلك الخديعة إلا أنفسهم ، فانّ الله غنيّ عنهم و عن نصرتهم ، لو لا إمهاله لهم لما قدروا على شيء من فجورهم وطغيانهم « وما يشعرون » أنّ الامر كذلك ، و أن الله يطلع نبيّه على نفاقهم و كذبهم و كفرهم ، ويأمره بلعنهم في لعنه الظالمين الناكثين ، و ذلك اللّعن لايفارقهم في الدنيا يلعنهم خيار عباد الله ، و في الآخرة يبتلون بشدائد عذاب الله . » [1] .

أقول :

ظاهره أنّ المراد من الخديعة هنا هو غاية الخديعة ، وهو الضرر ؛ إذ الخادع إنّما يخادع لايصال ضرر إلى المخادع غالباً ، ولسائر الاغراض المترتبة على إظهار ما ليس ثابتاً ، ، وإخفاء ما هو ثابت ، ولما لم يخف الحال على الله و رسوله وجلة من المؤمنين لم يترتب تلك المقاصد المترتبة على الاخفاء عليه ، ولم يبق للخداع غاية إلا الضرر الذي ورد عليهم بخداعهم في الدنيا والآخرة ، فكأنهم كانوا يخادعون أنفسهم إذ أوردوا أنفسهم في ضرر من حيث لاتشعر به أنفسهم .

وأمّا المنافع الّتي كانت تصل إليهم في الدنيا من معاملة الاسلام معهم ، و مشاركتهم للمسلمين ، فهي ليست من نتائج خداعهم ، و إنّما هي من آثار كلمة الاسلام والتسليم الظاهري حيث بني أمر الدين في الظاهر على نفس ذلك الامر

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٤٦٦ .

الظاهري، وعدم التكشف عن أحوال الباطن في ترتيب آثار الاسلام وأحكامه.

و ربما يتصور هنا حقيقة المخادعة باعتبار أنهم يخدعون أنفسهم حيث يمنّونها الاباطيل وأنفسهم أيضاً تمنيهم و تحدّثهم بالاكاذيب.

هذا، و ربما يستفاد من الآية منضماً إلى الرواية السابقة أنّ من خادع الله فهو يخدع نفسه لو شعر في كل مقام من مقامات الخداع والنفاق وهو كذلك، فانه لايخفي على الحق شيئاً من أمره، و إنّما يخفي على نفسه علم الحق به، ولايظهر السداد والصلاح عند الحق البصير بعدم حقيقته، وإنّما يظهر عند نفسه صورة الصلاح زاعماً أنه مما يترتب عليه آثار الصلاح عند الحق، فهو قد خدع نفسه حيث أظهر لنفسه كونه نافعاً لها لما يترتب عليه من الثواب و المجازات من عند الحق و هو ليس كذلك، فهو يوهم نفسه النصح و الرشاد و طلب الخير، و هو مريد لما لايترتب عليه إلا الضرر على نفسه، فهو يظهر لنفسه ما يوهم السداد والصلاح، وقد خفي على نفسه الشرّ و الفساد الواقع عليه، وحينئذ فهو المخادع نفسه.

[في بيان حقيقة إسناد الخداع إلى الله]

و أمّا نسبة الخداع إلى الله سبحانه في الرواية، و ربما تدلّ عليه الآية باعتبار بناء المفاعلة، و صرّح به في الآية الاخرى [1]، فربما يتصوّر هنا باعتبار أنّ الحقّ لمّا خذله، وخلّى بينه وبين نفسه و الشيطان، ترتّب عليه المخادعة بحيث خفي عليه أمر نفسه وما هو عليه، ووقع في حسبان الرشاد مع أنه ليس إلا الفساد. وهذا نظير نسبة الاضلال إليه سبحانه كما سيأتي - إن شاء الله تعالى -.

و لمّا كان من شأن حال المخادع المذكور أن لايشتبه عليه حال نفسه لأنه أوضح الاشياء عنده و قد فرض اشتباهه، فيصحّ حينئذ سلب الشعور عنه، الذي

١) يعني قوله سبحانه: « وهو خادعهم ».

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

هو علم الشيء علم حس، وصورة معاملته مع نفسه و حاله في حد ذاته من أحق الاشياء بأن يكون عالماً به علماً وجدانياً . وعلى هذا المعنى لا حاجة إلى توسع في الشعور بأن يقال : إنّ لحوق ضرر ذلك بهم لما كان كالمحسوس ، وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حسّ له وإن كان حسّياً باعتبار المعنى المذكور سابقاً .

ثم لا يخفى عليك أن مخادعة النفس الامّارة للحق سبحانه ليس أمراً نادراً ، بل هي في كثير من مقامات العبودية تبنى على الخداع مع الله سبحانه ، و لا يلتزم بالصدق في المواطن ، فتدّعي عند الحق ما ليس فيها ، وتظهر في حضور الحق ما ليس بواقع من دعوى الثبات في مقام العبودية والاخلاص و التوكل و التفويض و الرضاء و المحبة و سائر المقامات ، فتأتي بكلام كاذب كحصر العبادة و الاستعانة بالحق سبحانه ، وطلب الهداية ، مع أنه لا يهمّها ولها معبودون ومستعان بهم غير الحق ، ويستغفر الله سبحانه وهو مصرٌّ على الذنب ، الذي ورد في حقه على ما يبالي: « إنّه كالمستهزئ بربه »[1] ، وتظهر حالاً ليس لها واقعيّة ، كالخشوع الظاهري الزائد على خشوع القلب الذي سبق كونه نفاقاً ، فضلاً عن أن يكون القلب خالياً عن الخشوع رأساً ، وكإظهار الرضاء عند الحق سبحانه والحق يراها كارهاً لقضائه وكإظهار حبّ الله وغيره من سائر المقامات ، و تظهر مقاماً من مقامات الايمان و ليس فيها ، و تعد الحق بشيء ولا تفي به ، و تجادل عند الحق في تصحيح أعمالها القبيحة وتطلب لها المعاذير ، فتعدّ لنفسه لكل قبيح عذراً يتغطى به حذراً عن حدوث انكسار لها و ذلة ، كما أنه ربما يظهر من قوله سبحانه : « يوم تأتي كلُّ نفس تجادل عن نفسها »[2] ، أنها لا تترك المجادلة في القيامة فضلا عن الدنيا ، ولا تعترف بالقصور

---

١) روى الكليني (رض) في الكافي ، ج ٢ ، باب التوبة ، ص ٤٣٥ ، ح ١٠ . عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام ــ أنه قال : «المقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ .»

٢) النحل / ١١١ .

و التقصير ، بل تعدّ نفسه كاملة في حضور الحق ، كأنها قد وفت بجميع حدود العبودية من دون نقص في شيء منها ، إلى غير ذلك من خداعها بالنسبة إلى ربّه و في حدّ نفسه ، فضلاً عن خداع المؤمنين باظهار شيء من ذلك و أمثاله عندهم ، أوسائر أنواع الخداع الكثيرة . و كلّها من شؤون النفاق بالمعنى المتقدّم .

و لعلّ الجامع لأفراد المخادعة هو المخالفة بين الظاهر و الباطن ، و كون الاول أرجح من الثاني ، الذي ورد في شأن من كان كذلك الحكم بخفّة ميزانه على ما يبالي .

و حينئذ فقد يلاحظ ذلك فيما بين العبد و ربّه بالنسبة إلى ربّه ، وقد يلاحظ كذلك بالنسبة إلى إظهار ذلك للعباد ، وقد يلاحظ ذلك بالنسبة إلى حال العباد بعضهم مع بعض ؛ كاظهار المحبة و الصداقة و الالفة و الموافقة ، مع استبطان أضدادها بلسان أوعمل أوحال . فمنها : أن يمشي الانسان بين الناس بوجهين ولسانين، ومنها غير ذلك ، ولها أفراد كثيرة لايسع المقام اذكرها .

و لعلّ بعض الكلام فيما يأتي متفرّقاً ـ إن شاء الله سبحانه ـ في المواضع المناسبة .

ويقابل هذه الاصناف من الخداع والنفاق الصدق في جميع المواطن والتحقق بالصديقيّة ، فانّ مرجع الخداع إلى كذب لفظي أوعملي أوحالي ، ويقابله الصدق في كل مقام مقام بحسبه .

[المخادع لايضرّ المؤمنين بالخدعة بل يضرّ نفسه]

ثمّ إنّ جميع أفراد الخداع بالنسبة إلى المؤمنين لايقع إلا على نفسه لو يشعر أيضاً ، فإنّ الخدعة بإظهار الايمان عند الناس لو خفي عليهم فعاملوه معاملة المؤمن الكامل ، فهم في ذلك معذورون مأجورون مثابون لمكان نيّاتهم . وصحة

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

دواعيهم، و إرادتهم وجه الله سبحانه فيه، فلم يقع عليهم ضرر في ذلك، حتى لو وقعوا في أمر غير مشروع؛ كالصلاة خلفه، أو قبول شهادته بناء عن ترتّب الحكم على الموضوع الواقعي؛ إذ هم معذورون بامتثال الحكم الظاهري، والعمل على الطريق المشروع، فلم يوقعهم في مكروه، ولم يتخلّص من ضررهم أيضاً؛ إذ الضرر في المقام هو نهيهم إيّاه عمّا لاينبغي ارتكابه من باب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر و النصيحة لعباد الله، و هذا عين نفعه لوكان شاعراً لمصالحه، فهو دفع عن نفسه خيراً كان في مظانّ الوقوع عليه، لا أنه تخلّص عن شرّ.

و الخدعة بإظهار المحبة والصداقة و ما شاكلهما أيضاً لايرد ضرره عليهم؛ إذهم ينتفعون بهذا الاظهار عاجلا، ولايضرهم آجلا، ولوفرض إيراد المخادع عليهم ضرراً دنيويّاً في ضمن إظهار ما أظهره لم يكن ضرراً حقيقياً بعد ملاحظة عدل الله سبحانه، وأن الله يأخذ بحقوق الناس، والضرر كل الضرر في جميع ذلك على المخادع في دنياه بالافتضاح عند الناس، و في الآخرة بالوبال و النكال، فان «من أسرّ سريرة رداه الله رداءها، إن خيراً فخير، و إن شرّاً فشرّ»[1] كما ورد في الاخبار على مايبالي. فهو مضرّ نفسه ومخادع نفسه أوقع نفسه في صورة خير وصلاح، وباطن فساد و ضرار، ديني ودنيوي و أخروي، وأظهر لنفسه إيراد الخير عليها، و أورد

---

١) رواه الكليني (رض) في الكافي، ج ٢، باب الرياء، ص ٢٩٤، ح ٦، عن عمر بن يزيد، عن الصادق ـ عليه السلام ـ في تفسير قوله تعالى: «بل الانسان على نفسه بصيرة» (القيامة / ١٤) قال: «ان رسول الله ـ صلى الله عليه و آله ـ كان يقول: من أسر...» وهكذا في مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٩٦؛ و البحار، ج ٧٢، باب الرياء، ص ٢٨٥، ح ٦؛ ونور الثقلين، ج ٥، ص ٤٦٢، ح ٨.

قال المجلسي (ره) في شرحه: «استعير الرداء للحالة التي تظهر على الانسان، وتكون علامة لصلاحه أوفساده.»

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

عليها الشرّ العظيم . ولو لم يكن في الخداع إلا ما يترتب عليه في الدنيا من الافتضاح لكفى به رادعاً لأولي الالباب عن استعماله ، ولو فرض خفاءه في الدنيا ففي ظهوره يوم تبلى السرائر كفاية للتحرّز عنه ؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام على ما ببالي من لفظ الحديث :

« قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة و دونها حاجز من تقوى الله ، فيدعها رأي عين ، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين . »[1]

والله المستعان على جميع الاحوال .

---

١) لم نعثر عليه .

[أمراض قلوب المنافقين وعللها و آثارها]

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً

عن الكاظم عليه السلام :

« إن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اعتذر إليه هؤلاء بما اعتذروا به ، وتكرم عليهم بأن قبل ظواهرهم و وكّل بواطنهم إلى ربّهم، لكن جبرئيل أتاه فقال : يا محمد صلى الله عليه وآله ، العلي الاعلى يقرئك السلام [1] ، و يقول [لك] : أخرج هؤلاء المردة الذين اتصل بك عنهم في عليّ عليه السلام ، ونكثهم لبيعته ، و توطينهم نفوسهم على مخالفتهم أن يظهر من العجائب ما أكرمه الله به من طاعة الارض و [الجبال و] السماء له ، وسائر خلق الله بما أوقفه موقفك ، و أقامه مقامك ، ليعلموا أنّ ولي الله علي عليه السلام غني عنهم ، وأنه لا يكفّ عنهم انتقامه إلا بأمر الله الذي له فيه و فيهم التدبير الّذي بالغه ، والحكمة التي هو عامل بها وممض لما يوجبها .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله الجماعة الذين اتصل منهم [2] ما اتصل في أمر عليّ عليه السلام ، و المواطاة على مخالفته بالخروج ، فقال لعلي عليه السلام لمّا استقر عند سفح بعض جبال المدينة : يا علي،

---

١) في المخطوطة والبرهان : « يقرأ عليك السلام » .

٢) في المخطوطة : « اتصله منهم » و في التفسير والبحار : « اتصل به عنهم » .

إنّ الله أمر هؤلاء بنصرتك و مساعدتك، و المواظبة على خدمتك، و الجدّ في طاعتك. فإن أطاعوك فهو خير لهم يصيرون في جنان الله ملوكاً خالدين ناعمين، و إن خالفوك فهو شرّ لهم يصيرون في جهنم خالدين معذبين.

ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لتلك الجماعة: اعلموا أنكم إن أطعتم علياً عليه السلام سعدتم، وإن خالفتم شقيتم، وأغناه الله عنكم بمن سيريكموه وبما سيريكموه.

[ثمّ] قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا علي، سل ربك بجاه محمد وآله الطيبين، الذين أنت بعد محمد صلّى الله عليه وآله سيدهم أن يقلب لك هذه الجبال ما شئت. فسأل ربه ذلك، فانقلبت فضّة، ثمّ نادته الجبال: يا علي، يا وصي رسول رب العالمين، إن الله قد أعدّنا لك، إن أردت إنفاقنا في أمرك، فمتى دعوتنا أجبناك، يقضي فينا حكمك، و تنفذ فينا قضائك. ثمّ انقلبت ذهباً كلّها، و قالت مقال الفضة، ثمّ انقلبت مسكاً و عنبراً وعبيراً وجواهر و يواقيت، و كلّ شيء منها ينقلب إليه فيناديه: يا أبا الحسن، يا أخا رسول الله صلّى الله عليه وآله، نحن مسخرات لك، ادعنا متى شئت.

ثمّ قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يا عليّ، سل الله بمحمد وآله الطيبين الذين أنت سيدهم بعد محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يقلّب إليك أشجارها رجالاً شاكين السلاح، وصخورها أسوداً ونموراً وأفاعي. فدعا الله على ذلك، فامتلت تلك الجبال و الارضون و الهضبات و قرار الارض من الرجال الشاكين

السلاح ، الذين يفي[1] واحد منهم بعشرة آلاف من الناس المعدودين[2] من الاسود والنمور والافاعي . حتى طبقت تلك الجبال والارضون والهضبات بذلك كل ينادي ، يا علي ، يا يا وصيّ رسول الله ﷺ هانحن قد سخّرنا الله لك ، وأمرنا باجابتك كلّما دعوتنا إلى اصطلام كلّ من سلّطنا عليه ، فمتى شئت فادعنا نجبك بما شئت ، وتأمرنا به نطيعك .

يا علي ، يا وصيّ رسول الله ﷺ ، إن لك عندالله من الشأن العظيم ما لو سألت الله أن يصير لك أطراف الارض وجوانبها هيئة واحدة كضوة كيس لفعل، أو يحط لك السماء إلى الارض لفعل ، أو ينقل لك الارض إلى السماء لفعل ، أو يقلب لك ماء بحارها الاجاج ماء عذباً أو زيبقاً أو باناً[3] أو ما شئت من أنواع الاشربة والادهان لفعل ، ولو شئت أن يجمد البحار أو يجعل سائر الارض هي البحار لفعل ؛ لايحزنك تمرّد هؤلاء المتمردين ، وخلاف هؤلاء المخالفين ، فكأنهم بالدنيا قد انقضت بهم كأن لم يكونوا فيها ، و كأنّهم بالآخرة إذ وردت عليهم كأن لم يزالوا فيها .

يا علي ، إن الذي أمهلهم مع كفرهم وفسوقهم و تمرّدهم عن طاعتك ، هو الذي أمهل فرعون ذا الاوتاد ، ونمرود بن

---

١) في المخطوطة : « بقى » .

٢) خ . ل : « المعهودين » .

٣) الزئبق: سيال معدني لايجمد إلا في درجة ٤٠ من الصفر، والعامة تقول له الزيبق؛ والبان : شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف ، يؤخذ من حبه دهن طيب .

كنعان ، ومن ادعى الالهية[1] من ذوي الطغيان ، وأطغى الطغاة إبليس رأس الضلالات ، ما خلقت أنت ولاهم لدار الفناء ، بل خلقهم لدار البقاء ، ولكنهم ينقلون من دار إلى دار ، ولاحاجة بربك إلى من يسومهم ويرعاهم ، لكنه أراد تشريفك عليهم ، وإبانتك بالفضل فيهم ، ولو شاء لهداهم .

قال : فمرضت قلوب القوم لمّا شاهدوا من ذلك مضافاً إلى ما كان من مرض أجسامهم له ولعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال الله تعالى عند ذلك : « في قلوبهم مرض » أي : قلوب هؤلاء المتمرّدين الشاكّين الناكثين [لمّا] اخذت عليهم من بيعة عليّ عليه السلام « فزادهم الله مرضاً » بحيث تاهت له قلوبهم جزاء بما أريتهم من هذه الآيات والمعجزات . »[2]

اقول :

لايخفى أنهم كما اعتذروا بما اعتذروا ، كذلك يعتذر سائر المخادعين والمخالفين ظواهرهم لبواطنهم عند الله سبحانه وعند الامام إن كان حاضراً ، وعند خواص المؤمنين الذين اطلعوا على قبائح أعمالهم من طرف التوسم والباطن ، أومن جهة ظهور حالهم عندهم بالعلامات الظاهرية ، وكما أنّه يكرم عليهم فقبل ظواهرهم على ما سبق. كذلك يجري الحق عليهم بعض الاحكام الظاهرية في الدنيا، ويعاملهم خواص المؤمنين معاملة من وافق باطنه ما أظهروه في الجملة ، و يقبلون معذرتهم صورة وتكرّماً ، و كما أنهم أعطوا البيعة على أنفسهم ولم يوطنوا أنفسهم

---

١) في المخطوطة : « الالهة » .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٤٣و٤٤ ؛ والبحار ، ج ٣٧ ، باب في أخبار الغدير ، ص ١٤٤-١٤٧ ، ح ٣٦ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٠ و ٦١ .

على الموافقة بل وطنوها على مخالفته ﷺ، كذلك هؤلاء يقرون بكلمة الولاية و يذعنون به، ويظهرون كمال التسليم لأميرالمؤمنين ﷺ، لكنهم لم يوطنوا أنفسهم على إطاعته في أوامره ونواهيه، والائتمام به ﷺ علماً وخلقاً وحالاً ونيّة وعملا، بل وطنوا أنفسهم على مخالفته ﷺ في ذلك كلّه إلا في أشياء قليلة لو وافقت، وهو النكث لذلك الانقياد الذي أظهر بالقول، و كما أنّه أمر الله سبحانه باخراج هؤلاء لظهور عجائب ما أكرم ﷺ به من طاعة الاشياء له بما أوقف موقف الرسول كذلك أمر كل مكلّف بمعرفة شأن الامام وخروجه لطلب معرفته بالادلة الموصلة له إلى ذلك المطلوب، خصوصاً لو قلنا بوجوب تكميل المعرفة بهم على كلّ أحد بالقدر الذي يتيسر له و له أهليته، كما هو أحد الوجوه ـ وتحقيقه في محلّه ـ .

و هذا القدر من المعرفة يعني: طاعة جميع الأشياء للامام شأناً بحيث لو أمرهم أطاعوه أمر يسعه كل ذهن وصدر، و كذا قدرته على الانتقام، وأن المانع عن ذلك هو أمر الله وحكمته، وملاحظة المعجزات الصادرة عنهم عليهم السلام المنقولة يشهد لذلك.

و كما أنه ﷺ ذكر له ﷺ: «أن الله أمر هؤلاء بنصرتك و مساعدتك، والمواظبة على خدمتك، والجد في طاعتك»، كذلك وصل إلى هؤلاء المخادعين أنّ عليهم أن ينصروا أميرالمؤمنين ﷺ في أنفسهم بأن يصيروا أتباعاً وشيعة له في جميع المراتب، و يساعدوه فيما دعاهم إليه، ويواظبوا على خدمته ﷺ ويجدوا في طاعته بامتثال أوامره ونواهيه ومواعظه وتعليمه وإرشاده وتأديبه، المأثورة عنه ﷺ وعن القائمين مقامه في طي الاخبار والاثار، وأنهم إن فعلوا ما أمرهم الائمة عليهم السلام في طي ذكر صفات المؤمن والشيعة و غيره كانوا ملوكاً خالدين ناعمين، و إن خالفوا ما وعظوا به و عصوهم كان عليهم العقاب و التعذيب، و أنهم إن أطاعوا الائمة عليهم السلام في جميع أقوالهم وأحوالهم وشؤونهم سعدوا، وإن خالفوهم وسلكوا

سبيل الخداع والنفاق شقوا بقدر المخالفة ، والائمة أغنياء عنهم .

وكما أنه ﷺ سأل ربه في استحالة الجبال فضة و ذهباً ومسكاً وعنبراً وعبيراً وجواهر وغيرها، ونادوها ﷺ بالتسليم والانقياد والتسخير ، كذلك لايبعد أن جبال الانانية في الانسان لو وقع عليها نظرهم استحالت جواهر باقية ، وعطريات أبدية مذعنة له بالاطاعة والتسليم الكامل له ، وأنهم شيعة له ظاهراً وباطناً بمحضر هؤلاء المخادعين والمخالفين بواطنهم ظواهرهم وأقوالهم ، وهم إن لم يشاهدوا ذلك الانقلاب لكن ربما ظهر لهم آثار كراماتهم وأطوارهم الخارجة عن أطوار هؤلاء ، وسمعوا قصص خواص الشيعة والكرامات الصادرة عنهم حياً وميتاً من أولاد الائمة عليهم السلام وغيرهم ، كما نقل عن « سلمان » و « جابر الجعفي » و « الفضيل بن يسار » و « أبي حمزة الثمالي » و « ابن مهزيار » وغيرهم على ما هو مسطور في محالّه .

وكما أن جملة الاشجار و الجمادات أُمروا فصاروا جنوداً له ﷺ مذعنين بالطاعة له ، كذلك وقع القلب على قلوب جماعة من الناس حتى صارو مخلصين في الموافقة للامام ﷺ ، ومطيعين له ظاهراً وباطناً ، ثابتين في ذلك ، طالبين للمجاهدة في خدمته، فمنهم من تنبّه على أن مجاهدة النفس الامّارة خدمة له ﷺ فواظب على ذلك ومنهم من بقي منتظراً لزمان إظهار الحق في قلبه وباطنه وظاهره ؛ واعتقدوا أن الامام لوسأل الله سبحانه في أيّ شيء من إجراء العالم أُجيب ، و أن هؤلاء المخادعين الذين لم يتحققوا بحقيقة الصدق في المواطن لايضرّ الله والامام والمؤمنين شيئاً ، و أن الدنيا يوشك أن ينقضي بهم كأنهم لم يكونوا للدنيا عماراً ، ولم تزل الآخرة لهم داراً ، وعلم هؤلاء أيضاً أن الحق سبحانه أمهل هؤلاء مع ما في باطنهم من الجهل و الاخلاق السيئة والنيات الفاسدة والاحوال القبيحة ، كما أمهل مدعي الربوبية والشيطان ، وأنهم خلقوا للبقاء لا للفناء ، و كما أن القوم مرضت قلوبهم عند مشاهدة تلك الاحوال ، كذلك مرضت قلوب المخادعين حين رأوا خلوص

المخلصين ، وظهر لهم شؤونهم ومقاماتهم وطاعتهم و ثباتهم ، وحين ظهر عليهم شأن إمامهم فيهم مضافاً إلى أمراضهم السابقة فزادهم الله مرضاً جزاء بما كان منهم .

فاعتبروا في تلك القصة و غيرها ، واستخرج المناط في كل منها ، و انتقل منها إلى نظائرها وأشباهها و كل ما فيه شيء مما ثبت فيها. فهذا إشارة إلى الاعتبار السانح لي ، وعسى أن يكون لك اعتبار أحسن منها ، أو أن يكون خطاء مني في بعضها تنبّه له .

[في بيان معنى القلب والمراد منه]

فلنرجع إلى ألفاظ الآية فنقول :

القلب قد يطلق على لحم صنوبري الشكل ، مودع في وسط الصدر ، مائلاً إلى الجانب الايسر منه ، وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف ، وفي ذلك التجويف دم ، وهو منبع الروح البخاري الذي ينتشر منه إلى البدن بتوسط الشرائين ، وهذا المعنى للقلب موجود للبهائم والموتى ، وهذا المعنى ظاهر . و ربما يطلق على أمر آخر أيضاً ؛ فقال بعض المحققين :

« إنه يطلق على لطيفة ربانية وروحانية ، لها بهذا القلب تعلّق ، وتلك اللطيفة هي المعبَّر عنها بالقلب تارة ، وبالنفس أخرى ، وبالروح أُخرى ، وبالانسان أيضا . وهو المدرك العالم العارف ، وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ، وله علاقة مع القلب الجسداني ، و قد تحيَّر أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته ، و أن تعلّقه يضاهي تعلّق الاعراض بالاجسام أو الاوصاف بالموصوفات ، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة ، أو تعلّق المتمكّن بالمكان ، وشبه ذلك . »[1] انتهى .

---

١) نقله الفيض (ره) في المحجة ، ج ٥ ، ص ٤ ؛ والمجلسي (ره) في البحار ، ج ٧٠ ، ص ٣٤ ؛ و الطريحي (رض) في مجمع البحرين ، ج ٢ ، ص ١٤٨ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و في الصحاح : «القلب : الفؤاد ، وقد يعبَّر به عن العقل ؛ قال الفراء في قوله تعالى : « إنَّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب »[1] أي : عقل . » انتهى .

و الذي يظهر لي في المقام أنّ للقلب الصنوبري الحسي باطن هو غيب بالنسبة إلى العالم المادي ، وهو مشكّل ، كما أن اللحم مشكّل وهو الذي يدخله الامور المعنوية ويخرج منه، وهو محلّ الاحوالات النفسانية من الخوف والرجاء، والحب والحياء و الخجل ، والغم والفرح وغيرها ، و يظهر آثاره في هذا القلب الظاهري ؛ كحصول الاضطراب للقلب الجسماني عند حدوث الخوف في ذلك القلب لما بينهما من المناسبة التامة ، كما يظهر آثاره في الروح الحيواني من الانبساط و الانتشار في حال الفرح ، والانقباض في حالة الغم و نحوها أيضاً ، وأن هذا ليس هو اللطيفة الربانية الروحانية التي يعبر عنها بالروح والنفس أحياناً و بالانسان أيضاً ، و هو المخاطب و المكلّف بالحقيقة و الاصالة ، بل هذا القلب المعنوي واقع بين الامر المذكور والقلب المادّي الكثيف ، وواسطة وبرزخ بينهما ، وليس له مرتبة تجرد ذلك اللّطيفة ، و لادنائة كثافة اللّحم الصنوبري ، بل هو من حيث قبول التشكل والصورة موافق للثاني، ومن حيث تجرده عن المادة الكثيفة يخالفه ويوافق الاول.

والظاهر أنه المراد بما نقل عن الحديث من أنّ :

« القلوب أربعة : قلب فيه نفاق و ايمان ، إذا أدرك الموت صاحبه على نفاقه هلك ، وإن أدركه على ايمانه نجا . و قلب منكوس ، و هو قلب المشرك . و قلب مطبوع ، وهو قلب المنافق . وقلب أزهر أجرد . وهو قلب المؤمن فيه كهيئة السراج، إن أعطاه الله شكر ، وإن ابتلاه صبر . »[2]

---

١) ق / ٣٧ .

٢) هو مضمون كلام الامام الباقر ــ عليه السلام ــ ، و قد رواه الكليني (ره) في الكافي ، ج ٢ ، باب في ظلمة قلب المنافق ، ص ٤٢٢ ، ح ٢ ، عن سعد ، عنه ــ عليه

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و المراد ممّا نقل عن الحديث من أنه : « أمير الجوارح و لا تصدر إلا عن رأيه »[١] ، فإنّ أمير مجموع أجزاء الانسان و إن كان هو الروح القدسي ، لكن أحكامه في الجوارح يظهر بتوسط القلب المذكور ، و هو محل ظهور الارادات وغيرها من الاحوال وما ورد في الحديث من إطلاق الآنية على القلب[٢] .

و لايبعد أن يطلق القلب أيضاً على الروح المجرد بملاحظة اتصاله المعنوي و ارتباطه إلى القلب المذكور و كون القلب مظهراً لآثاره وأحكامه .

السلام ؛ و الصدوق (ره) في المعاني ، باب النوادر ، ص ٣٩٥ ، ح ٥١ ، بهذا الاسناد عنه ــ عليه السلام ــ . وأصل كلامه ــ عليه السلام ــ هو :

« إن القلوب أربعة ، قلب فيه نفاق وايمان ، و قلب منكوس . وقلب مطبوع ، وقلب أزهر أجرد . فقلت ــ يعني الراوي ــ : ما الازهر ؟ قال : فيه كهيئة السراج . فأما المطبوع فقلب المنافق ، و أما الازهر فقلب المؤمن ، إن أعطاه شكر وإن ابتلاه صبر ، و أما المنكوس فقلب المشرك ، ثم قرأ هذه الاية : « **افمن يمشي مكبّاً على وجهه اهدى امّن يمشي سويّاً على صراط مستقيم .** » (الملك / ٢٢) فأما القلب الذى فيه إيمان ونفاق فهم قوم كانوا بالطائف ، فان أدرك أحدهم أجله على نفاقه هلك ، وإن أدركه على إيمانه نجا . »

ونقله أيضاً المجلسي(رض) في البحار ، ج ٧٠ ، باب القلب وصلاحه وفساده ، ص ٥١ ، ح ١٠ ، و قال في شرحه في المرآة : « يمكن أن يكون المراد هنا بالنفاق : التزلزل في الايمان ، أو الرياء ، أو عدم العمل بمقتضى الايمان ، فيشمل ارادة المعاصي و الاصرار عليها . »

١) نقله الطريحي (ره) في مجمع البحرين ، ج ٢ ، ص ١٤٧ .

٢) لم نعثر عليه بهذا اللفظ ، ولكن يشهد له ما قاله أميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ لكميل بن زياد النخعي ، قال ــ عليه السلام ــ : « يا كميل بن زياد ، إنّ هذه القلوب أوعية ، فخيرها أوعاها . . . » راجع نهج البلاغة ، ص ٤٩٥ ، ح ١٤٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[معنى المرض وحقيقته]

وأمّا المرض، فهو حالة توجب وقوع الخلل في الافعال الصادرة عن موضوعها كما ذكره بعضهم[١] ، وهو فرع خروجه عما ينبغي أن يكون عليه بحيث لايتأتّى منه ما كان من شأنه أن يتأتي منه ، ولعلّ الاولى تعميم الخلل بالنسبة إلى الافعال وسائر الآثار المقصودة منه ، فيحدُّ المرض حينئذ بأنه حالة توجب الخلل في الاثار التي من شأن موضوعه ترتبها عليه، أو بأنه آفة توجب خروج العضو عما ينبغي أن يكون عليه . و على كل حال فمرض كل جزء بحسبه ؛ فمرض العين حدوث حالة تمنع من جودة الابصار، أو توجب ألم صاحبه و إن بقي إدراكه على حاله ، و مرض المعدة بحدوث خلل في هاضمته أو دافعته أو ماسكته، أو بحدوث ألم فيها أو غير ذلك . فكل جزء من أجزاء الانسان إذا لوحظ باعتبار سلامته ومبدئيته لما ينبغي أن يكون مبدءه له ، ويترتب عليه من أثر أو فعل ، إمّا أن يكون باقياً على ما يقتضيه بحسب طبيعته و جبلّته ، وإما أن يكون خارجاً عنه بفقدان سلامته، أو عدم ترتب ما يترتب عليه بمقتضى طبعه. فالاول هو الصحة، والثاني الذي هي الحالة الخارجة عن مقتضى طبعه هو المرض .

وأنت إذا لاحظت حقيقة المرض بما ذكر علمت أنه لا تختص بالاعضاء الحسية ، بل يجري فيها و في سائر أجزاء الانسان بحسب ارتفاع سلامتها و خروجها عما كان ينبغي أن يكون عليها ، وعدم صدور آثارها عنها على الوجه اللائق به ؛ ويشهد له ما عن « ابن فارس » من أن : « المرض كل ما خرج به الانسان عن الصحة من علّة أو نفاق أو تقصير في أمر »[٢] ، وما يقال من أن : « المرض في القلب الفتور عن الحق، و في الابدان فتور في الاعضاء ، و في العيون فتور في النظر »[٣] و إن لم يكن هذا

١) راجع أنوار التنزيل وغيره من كتب التفسير .

٢و٣) راجع مجمع البحرين .

الكلام محيطاً بأطراف الامراض .

[أنواع أمراض القلب وآفاته]

وحينئذفنقول : مرض القلب هوالحالة الّتي توجب وقوع الخلل في‌الافعال الصادرة عنه ، أو في مطلق الآثار المترتّبة عليه ، والآفة الّتي توجب خروجه عن الوجه الّذي ينبغي أن يكون عليه بحسب طبيعته وغريزته و جبلّته في حاله أو فعله أو انفعاله أو تأثيره أو في شأن من شؤونه المقصودة منه . فمن جملة تلك الاحوال والآفات حالة تمنع من إدراك ما من شأنه إدراكه ، وعدم التصديق عند قيام الحجّة وتمام الدليل ، فهو حينئذ لايرى ببصيرته ما من شأنه إبصاره ؛ كالعين الّتي لايبصر ما من شأنه إبصاره بسبب العمى ، فهو عمى القلب ، و لعلّه المعبّر عنه بالشكّ والنفاق حيث فسّر بهما المرض في قوله تعالى: « في قلوبهم مرض » ؛ إذ المرض هوالشكّ وفقدان الاعتقاد في‌الموضع الّذي‌كان مقتضى‌فطرة القلب‌وسجيّته التصديق بقيام البرهان و الحجّة ، أومشاهدة الآثار ، أو كونه من الفطرة الّتي فطر القلب عليه وأمثال ذلك ، فهذا أحد الامراض .

ومنها : حالة تمنع من الانفعالات الّتي من شأنها أن ينفعل عنها و يتأثّر بها ؛ كالقساوة المانعة عن تأثير المواعظ الّتي يليق به تأثيرها فيه ، و هو كخروج آلة السمع الحسّيّ عن الانفعال بالاصوات الّتي تقرعها الّذي هو صمم ظاهريّ ، فالاوّل صمم قلبي .

ومنها : حالة الختم الّتي باعتبارها لا يدخل فيه ما كان يرد عليه و يخرج عنه ؛ كالمعدة المريضة بالمرض المانع عن دخول الغذاء فيه وصرفه ، و دفع ما ينبغي دفعه .

ومنها : الآلام القلبيّة الواردة عليه باعتبار عروض حالات غير طبيعيّة

بحيث لو بقي على طبيعته الاصليّة لما وردتلك الالام عليه ؛كالغلّ والحسدوالحقد على عباد الله من دون وجود سبب صحيح بحسب العقل لذلك ، بل لعروض حالات رديّة فاسدة أوجبت ورود تلك الهموم ؛ بل مطالق هموم الدنيا و عمومها من هذا القبيل ؛ إذ ليس من شأن القلب بحسبفطرته الاصليّة أن يكون قويّ التعلّق بها بحيث يورد عليه تلك الهموم . فمثاله فيالجسد وجودالأخلاط الفاسدة ، وانصباب الموادّ الرديّة على العضو بحيث يوجب حدوث ألم فيها .

ومنها : أن يخرج فيغضبه أوخوفه أوخجله عنحدّ الوسط، ويقع فيالافراط فيه أوالتفريط ، مع أنّ منشأنالقلب الصحيح التوسّط فيذلك . ومثاله في الجسد خروج الانسان في جوعه وعطشه عن حدّ الاعتدال إلى الافراط و التفريط لفساد مزاجه ، فهو فساد مزاج القلب .

ومنها : أن يشتهي ما لاينبغي له شهوته و محبّته كفضول الدنيا ، و الامور الاعتباريّة كالجاه لفساد مزاجه الباطني . و مثاله في الجسد مثال خروج شهوة الاكل عن ميزانه بميله إلى ما لاينبغي له طبعاً ؛ كشهوة أكل الطين و الفحم والأفيون وسمّ الفأر وغيرها ؛ وكما أنّ هذا المريضكلّما ازداد أكلاً منها ازداد ميله ومرضه، كذلك المريض القلبيّ كلّما ازداد فيتحصيل الفضول وصرفه ازداد شهوته ومرضه القلبي .

ومنها : تغيّر ذائقته ، فلا يجد الحلو حلواً ، بل يجده مرّاً ؛ كالقلب الّذي نزع عنه حلاوة مناجاة الحقّ سبحانه . و مثاله الذائقة الّتي غلب عليها الصّفراء حتّى صار يدرك الحلويّات مرّيّات .

ومنها : عدم أنسه بالله سبحانه و خواصّ عباده ، واستيحاشه من الخلوة به سبحانه والمجالسة معهم . و مثاله : بعض أنواع أمراض الدماغ الّذي يوحشه من مجاورة أبناء نوع الانسان ، و يؤدّي إلى فراره منهم ، مع أنّ من مقتضى طباع

البشريّة الاستيناس بهم ، كما أنّ مقتضى طبع القلب السليم الصحيح هو الانس بالله سبحانه وأوليائه .

ومنها : ارتفاع صفة الرشد والسداد عنه وصيرورته بحيث لايتبع ما فيه صلحته، ولايجتنب ما فيه مفسدته مع علمه بأنّه كذلك ؛ كالاعمال و التروك الغير المرضيّة بحسب الشرع الصادرة عمّن يعتقد بالدين و الشريعة ، بل و ممّن يظنّ بصحّته أيضاً ، فانّ من مقتضى الطبيعة الصحيحة طلب المنفعة المظنونة . والهرب من الضرر المظنون ، كما يشاهد ذلك في حال البهائم في طلبها الكلاء من مظانّها والهرب عن مظانّ وجود السباع وغيرها من المضرّات . وهذا حالة السفه الباطني ، كما أنّ فقدان عقل المعاش وإصلاح المال هو السفه الظاهري ، بل لعلّ الاوّل أشدّ و أقوى باعتبار أنّه عالم ، أو ظانّ لايعمل بعلمه وظنّه ، و هذا جاهل في كثير من موارده . و لعلّ إلى ما ذكر يشير ما ورد على ما يبالي من أنّ : « شارب الخمر سفيه » [1] .

ومنها : خوفه ممّا لاينبغي الخوف منه ، و رجائه ممّن لاينبغي رجائه ؛ كالمعتقد بأنّه لامعطي ولا مانع إلا الله ، أو الظانّ بذلك وهو يرجوا غيره ويخاف سواه . ومثاله بعض أقسام الجنون الّذي يعترض فيه الخوف ممّا لاينبغي الخوف منه ، كمن عضّه الكلب الّذي يخاف من الماء خوفاً شديداً ، وكبعض أفراد الماليخوليا الّذي يعرض فيه الخوف من أمور لايصحّ الخوف منه .

---

١) الاخبار المؤيدة لهذا المعنى كثيرة ، فانظر رواية علي بن إبراهيم (ره) في تفسيره، ج ١ ، ص ١٣١ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ، عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ، وهي : « أي سفيه أسفه من شارب الخمر » و رواية العياشي (ره) عن عبدالله بن سنان ، عنه ـ عليه السلام ـ ، في تفسير آية : « لاتؤتوا السّفهاء » (النساء ٥/) وهي : « لاتؤتوا شراب الخمر والنساء» وسائر الروايات التي جمع بعضها البحراني(ره) في البرهان ، ذيل الآية الاخيرة .

بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع)

ومنها : أن لايخاف من يستحقّ الخوف منه ؛ كحالة التهوّر و ملكتها المقابلة للجبن والشجاعة ، و كحال من يعتقد بربّه أو يظنّ به أو يشكّ فيه على ما قرع سمعه من صفات القهر و الانتقام و الجلال و الكبرياء ، وهو لايخاف منه خوفه من الشكّ في طروق السارق عليه ليلاً لأخذ أمواله منه ، كما إذا سمع حسّاً و شكّ أو ظنّ ليلاً أنّه سارق لايقوى على مقاومته . فانّ مقتضى سلامة القلب وبقائه على الفطرة الصحيحة أن يكون خوف ذلك المسلم من ربّه أكثر من هذا الخوف بدرجات كثيرة بل غير متناهية ، كما يظهر وجهه من ملاحظة جهات الخوف في المقامين، والحال أنّه ليس فيه خوف صادقاً أصلاً . ومثاله في الحالات الظاهرة السكران في بعض حالاته الّتي يشتدّ له التهوّر بحيث يقدم على المهالك من دون خوف و دهشة على ما ينقل عنهم ، وبعض أقسام الجنون السبعيّ الّذي يعرض لصاحبه سبعيّة و جرأة يقدم بسببها على المهالك والمضرّات ولايتجنّبها .

ومنها : أن لايرجو من يستحق رجائه من المنعم الحقيقي الّذي اتّصلت نعمه عليه وعلى سائر عباده ، وملأ عالم الكون من نعمه وإحسانه ، فمن ليس فيه حقيقة الرجاء له فقلبه مريض . ومثاله في الظاهر : المبهوت والحيران الّذي كلّما يعرض عليه الانعام و الاحسان ، و دفع الآلام و الاسقام لايحصل فيه طلب و رجاء أصلاً . مع أنّ البهائم المعلوفة ترجو من يواظب على علفها ، ويعطيها شعيرها إذا شاهدته ظهرت فيها آثارالرجاء . ونحن لم نفقد حسن‌صنيع ربّنا ونعمه المتواترة الواردة علينا مدّة أعمارنا الّتي عمرناها ، بل لم نفقدها في آنٍ من الآنات و حين من الاحيان، وأخذنا مدّة العمر من مائدة إنعامه مأكولنا ومشروبنا وملبوسنا ، و مع ذلك لايظهر فينا رجاء صادق لربّنا ، فالقلوب كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام على ما ببالي روايته: «قاسية عن حظّها، لاهية عن رشدها، سالكة في غير مضمارها»[١] .

١) نهج البلاغة ، خ ٨٣ ، ص ١١١ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ومنها انصراف محبّته وبغضه عمّا ينبغي حبّه وبغضه بحسب المزاج الصحيح، وحبّه وبغضه من لاينبغي حبّه وبغضه بحسب الفطرة الاصليّة. وذلك بأن لايحبّ من به بقاء نفسه و كماله، وكلّ شيء يتعلّق به، والمحسن إليه بأنواع غيرمتناهية، والمحسن إلى جميع من سواه، و من كان حسن الفعل بعنوان مطلق والجميل بقول مطلق، والّذي يحبّه من دون حاجة إليه الرؤف الرحيم به، و هو الله سبحانه؛ ويحبّ من سواه ممّن ليس فيه شيء منها على الحقيقة، ولايبغض الشيطان المضرّ له بقول مطلق، العدوّ له القبيح، فيتولاه بقلبه ويتبعه بأعماله. وكذا حبّ الكمالات المعنويّة والافعال المستحسنة عقلاً، ومن كان متّصفاً بتلك الكمالات، فانّ فقدانه دليل على آفة القلب خصوصاً بعد صرفه إلى أضدادها، مع أنّه ينبغي له بغضها. ومثاله في الجسد: مثال من لايحبّ الطعام اللّذيذ الملائم، ويحبّ الغذاء المرّ الغير الملائم، إلى غير ذلك.

و هذا ذكر إجماليّ على طريقة علم الاخلاق، و التفصيل موكول إلى ذلك الفنّ.

فنرجع إلى ما نحن فيه ونقول:

إنّ المرض الّذي استقرّ في قلوب هؤلاء المنافقين يمكن أن يكون هو السبب الموجب لفقدان الايمان عنهم من الحالة المخرجة لقلوبهم عن التصديق بعد قيام السبب القويّ الظاهر، أو الباعثة لها على الجحود الباطنيّ و العناد و اللّجاج في موضع يقتضي الفطرة الاصليّة التسليم و الانقياد والقبول، و ذلك كالغلّ والحسد والبغضاء، كما حكي[1]: «أنّ صدورهم كانت تغلي على رسول الله ﷺ والمؤمنين غلاً وحنقاً، و يبغضونهم البغضاء الّتي وصفها الله سبحانه في كتابه: «قد بدت البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر»[2]، و يتحرّقون عليهم

---

١) راجع الكشاف، ج ١، ص ٣٢.

٢) آل‌عمران / ١١٨.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

حسداً ، أو الضعف و الجبن و الخور الّتي دخلت قلوبهم ، أو الهوى الّذي ملك قلوبهم . والعصبيّة و الحميّة الجاهليّة ، و الكبر والعجب والخيلاء الّتي منعتهم من قبول نبوّة النبيّ ﷺ . » وتلك الامور كما تمنع عن قبول الحقّ بعد ظهوره على القلب ، كذلك قد تمنع من ظهور الحقّ عليه أيضاً ، فانّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ ، ومثل الحبّ غيره ، وهو واضح بعد دقّة النظر فيما نجده من أنفسنا وغيرنا و كون الهوى شريك العمى على بعض وجوهه يشهد له .

وعلى ما ذكر فزيادة الله أمراضهم يصحّ أن يؤخذ باعتبار إيجاد الاسباب الموجبة لشدّته ؛ كاعطاء ما أعطى سبحانه نبيّنا ﷺ من الملك والحشمة وقوّة الاسلام الموجبة لشدّة ظهور الحسد والغلّ والبغضاء وفعليّتها ، وظهور آثار ما في قلوبهم من الحميّة والكبر و غيرهما ، و أن يؤخذ باعتبار ما جعل الله سبحانه في جميع القوى والحالات من أنّها تزداد بالاعمال و تنقص بالاهمال كما سبق . و مرّ أيضاً ما يمكن استخراج غير هذين الوجهين في المقام أيضاً .

[في أنّ مرض القلب يوجب النفاق]

ثمّ إن سائر أقسام النفاق بمعنى مخالفة الظاهر للباطن على ما سبق أيضاً ملازم لوجود المرض في القلب يوجب فقدان الايمان وإحداث النفاق ، ويزيدالله في مرضهم، إمّا بالامتحانات المظهرة له والمخرجة له من القوّة إلى الفعل ومن الباطن إلى الظاهر ، أو غيره ممّا يظهر بالمفاتشة إلى ما مرّ . و قد اجتمع فيهم صنفان من المرض: صنف يمنع من تحقّق حقيقة شؤون الايمان فيهم ـ وقد مرّت الاشارة إليه ـ وصنف يبعثهم على إظهار شؤون الايمان من حبّ الجاه و الطمع في أموال الناس ، وحبّ المدح و خوف الذمّ و مهانة النفس و إظهار ما ظهر في المخلصين ، و أزيد منه حسداً على ممدوحيّتهم دون هؤلاء ، أو إرادة إظهار

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

نقصانهم، وأنّهم أعلى منهم . و كما أنّ هؤلاء المنافقين كانت تغلي قلوبهم حسداً على النبيّ ﷺ كذلك هؤلاء يحسدون الصادقين فيما أعطاهم الله ومنحهم .

[في معنى الاليم و وجوه توصيف العذاب به]

وَلَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكذِبُون

« في قولهم[١] : إنّا على البيعة و العهد مقيمون » كذا عن الكاظم عليه السلام في ذيل ما تقدّم سابقاً[٢] .

و « الاليم» هنا إمّا بمعنى: المولم الموجع ، أو بمعناه الاصليّ ، و يكون التوصيف توسّعاً كما في جدّ جدّه . و الالم بالحقيقة للمولم بالفتح، كما أنّ الجدّ للجادّ و في كلا الوجهين دلالة على المبالغة ؛ إذ العذاب يلزمه الايلام و الايجاع، فوصفه بكونه مولماً يدلّ على مبالغة فيإيلامه وإيجاعه ، كما يظهر من نظائره ، و كذا وصفه بأنّه أليم فكأنّه لشدّة إيلامه متألّم بنفسه ؛ كوصف الجاهليّة بالجهلاء . ولعلّه تنبيه على كون عذاب المنافقين أشدّ من الكفار، كما يوافقه قوله سبحانه : « إنّ المنافقين في الدّرك الأسفل من النّار »[٣] .

و ذلك لأنّهم زادوا على الكفر الباطنيّ المشترك بين الطائفتين كذباً ، فثبوت ذلك العذاب الاليم للمنافقين من جهة كذبهم في دعوى الايمان ، و هذا على قراءة التخفيف ظاهر ، وأمّا على قراءة التشديد فالظاهر إرادة تكذيبهم ما ينبغي الايمان به ؛ كآيات الله ، و كلمة التوحيد و الرسالة ، وإن احتمل فيه أن يكون من « كذّب » الّذي هو مبالغة في كذب ؛ كصدّق وصدق ، و بان وبيّن ، أوبمعنى

---

١) في المخطوطة : « قلوبهم » .

٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٨٧ .

٣) النساء / ١٤٥ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الكثرة نحو : موّتت البهائم . و عليهما يطابق قرائة التخيف ، فيدلّ الآية على تعليل ثبوت العذاب الاليم بالكذب الصادر منهم بعد اشتراكهم في مرض القلب والكفر. وفيه دلالة على قبح الكذب وسماجته حيث علّل به ثبوت العذاب الاليم ، مع ماهم عليه من الكفر في الباطن . ونظيره قوله سبحانه : « مما خطيئاتهم اغرقوا »[١] حيث علّل الغرق بالخطيئات إن أريد بها ما سوى الكفر .

وكما أنّ هؤلاء المنافقين زادوا على الكفر والمرض المانع للايمان كذباً استحقّوا به عذاباً أليماً على ما سبق ، كذلك سائر أقسام المخادعين و المنافقين زادوا على انتفاء أغصان الايمان و التشبّث بأغصان الكفر المقابل لتلك الاغصان كذباً قوليّاً أو عمليّاً ، فصار سبباً لاستحقاق زيادة العذاب والالم بذلك .

[في مراتب قبح الكذب]

والكذب وإن كان عبارةً عن الاخبار بالشيء على خلاف ما هو به ، والحكاية المخالفة للواقع لفظاً ، إلاّ أنّه لا يبعد سراية القبح الموجود فيه إلى سائر أفراد الاظهار المخالف للواقع ، و إغراء الناس بالجهل ، و الاتيان بما يدلّ على أمر يخالف الواقع بأيّ دلالة كانت ، وأيّ آلة أظهرت ، وإن كان في الاظهار بالكلام أقوى لقوّة دلالته ، و كون الترجمان الاصليّ هو اللّسان . ولايبعد وصوله في بعض المراتب إلى حدّ الحزازة بحيث يخرج عن صدق اسم القبح عليه ، فيكون القبح قويّاً في بعض الاظهارات ، وضعيفاً في بعضها ، و منتفياً صدقه في آخر و إن بقي الحزازة وشائبة ما منه ، فتأمّل .

---

١) نوح / ٢٥ .

[تحقيق حول الفساد وجواب المنافقين في منعهم عن الافساد]

وَ إذا قيلَ لَهُم لا تُفسِدوا في الأرضِ [قالُوا إنَّما نَحنُ مُصْلِحُون]

عن الامام عليه السلام أنّه قال العالم موسى عليه السلام أنه :

« إذا قيل لهؤلاء الناكثين البيعة في يوم الغدير : **«لاتفسدوا في الارض »** باظهار نكث البيعة لعباد الله المستضعفين ، فتشوّشوا عليهم دينهم ، و تحيروا لهم في دينهم و مذاهبهم .
« قالوا إنّما نحن مصلحون »؛ لأنّا لا نعتقد دين محمد صلى الله عليه وآله و لا غيردين محمد صلى الله عليه وآله ، ونحن في الدين متحيّرون، فنحن نرضي في الظاهر محمّداً باظهار قبول دينه و شريعته ، ونقضي في الباطن على شهواتنا فنتمتّع ونتركه ونعتق أنفسنا من دين محمد صلى الله عليه وآله ، و نكفّها من طاعة عليّ عليه السلام لكي لانذلّ في الدنيا ، كما قد توجّهنا عنده ، و إن اضمحلّ أمره كنّا قد سلّمناه على أعدائه » [1] .

اقول :

يحتمل كون جملة : « إذا قيل ـ الخ » معطوفاً على « يكذبون » ؛ أي : ولهم عذاب أليم بما كانوا إذا قيل لهم كذا قالوا كذا ، وأن يكون معطوفاً على «يقول» أي : ومن الناس من إذا قيل لهم، و أن يكون الواو للاستيناف، واستوجه الاوّل

---

١) راجع المصادر المذكورة فى تعليقة ٢ ص ٤٨٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

بعضهم ، ويضعّفه أنّه على تقديره لايكون الآيات على سنن تعديدقبائحهم ، وإفادة اتّصافهم بكلّ من الاوصاف المذكورة قصداً واستقلالاً ، وهوالاوّل بحسب ملاحظة مساق الآيات .

[في معنى الفساد]

و« الفساد » : خروج الشيء عن حال استقامته و كونه منتفعاً به ، ونقيضه : الصلاح ، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ، كما يظهر من جماعة [١] .

و ذكر بعضهم أنّ : « الفساد في الارض هيج الحروب والفتن ؛ لأنّ في ذلك فساد ما في الارض ، وانتفاء الاستقامة عن أحوال الناس والزروع والمنافع الدينيّة و الدنيويّة . . . و كان فساد المنافقين في الارض أنّهم كانوا يمائلون الكفّار ، و يمالئونهم على المسلمين بافشاء أسرارهم إليهم وإغرائهم عليهم ، و ذلك ممّا يؤدّي إلى هيج الفتن بينهم » [٢] .

وقيل : « هو مداراة المنافقين الكافرين و مخالطتهم إيّاهم حيث يوهم ذلك منهم ــ مع كون ظاهرهم الايمان ــ ضعف أمر النبيّ ﷺ وأصحابه ، فيصير سبباً لطمع الكفّار في المؤمنين ، فتهيج الفتن والحروب » .

وقيل : كانوا يدعون في السرّ إلى تكذيبه ، ويلقون الشبه » .

وعن ابن عبّاس والحسن وقتادة والسدّي : « أنّ المراد بالافساد المنهيّ عنه إظهار معصية الله تعالى ، فانّ الشرائع سنن موضوعة بين العباد ، فاذا تمسّك الخلق بها زال العدوان ولزم كلّ أحد شأنه ، فحقنت الدماء وضبطت الاموال و

---

١) كالطبرسي (ره) والزمخشري والبيضاوي ، فراجع مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٤٩ ؛ والكشاف ، ج ١ ، ص ٣٣ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١٣ .

٢) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

حفظت الفروج ، فكان ذلك صلاح الارض وأهلها ؛ أما إذا أُهملت الشريعة ، وأقدم كلّ أحد على ما يهواه اشتعلت نوائر الفتن من كلّ جانب ، وحدثت المفاسد » .

والحمل على المجموع أيضاً ممكن ؛ إذ لم يعلم من الآية إرادة فساد خاصّ منهم ، بل لايبعد من حالهم أن لايتركوا ممّا يوجب الفساد عند قدرتهم وتيسّره لهم ، فلعلّ من جملتها ما ذكرتها ، ومن جملتها ما سبق في الرواية من إظهار نكث البيعة ، و من جملتها ما تعاهدوا عليه من غصب الخلافة ، و أن لايتركوا الحقّ لأهله إلى غير ذلك .

ثمّ الظاهر من جوابهم للناصحين دعوى تمحّضهم لصفة الصلاح بحيث لم يبق فيهم من الفساد شيء ، و ذلك يمكن أن يكون لأجل أنّهم لايرون ما يضرّ بالاسلام وأهله فساداً ، ويمكن أن يكون خداعاً منهم لاخفاء فسادهم عن الناصحين ، وإنكار صدور الفساد منهم .

[كيفية إفساد المنافقين]

ثمّ لايخفى عليك أنّ الفساد في الارض ، و عدم قبول نصح الناهي عنه ، و دعوى انحصار شأنهم في الاصلاح ليس مقصوراً على هؤلاء المنافقين ، بل هو صفة سائر المنافقين المظهرين لخلاف بواطنهم أيضاً ، فانّ المتكلّفين لاظهار شؤون الايمان من دون حقيقة يفسدون في الارض حيث يراهم الناس كاملين في الايمان ، فاذا صدر منهم أمور غير لائقة بحال الايمان لكون المتكلّف لايقدر على ملازمة تكلّفه في جميع الامور و الاحوال ، ظنّ الناس أنّها أُمور دينيّة أو غير مضرّة بالدين ، أو صار سبباً لوهن قبحها العقليّ أو الشرعيّ في أنظار العامّة ، و تجرّيهم عليها وعلى نظائرها .

ثمّ إنهم ليصدر منهم فتاوى وأحكام ومواعظ وآداب باطلة مخالفة للشريعة ، ويقبله

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الناس منهم لما رأوا من ظواهرهم ، فيفسدون عليهم امور دينهم، وفيه فسادالارض كما سبق ، بل الظاهر تأثير جملة منها في منع السماء قطرها ، و الارض بركتها ، كما ربّما يستفاد من الاخبار[1] . وكذا حسدهم على المخلصين يؤدّيهم إلى ايذائهم وإهانتهم ، وردّ كلامهم ، والمنع من قبول الناس قولهم وغير ذلك ، فيؤدّي إلى الفساد؛ بل لايبعد استناد معظم المفاسد الّتي وقعت في الاسلام إلى هؤلاء المتصنعون المظهرون للعلم أوالعمل من دون حقيقة ، كما لايخفى على من مارس أخبارهم[2] .

و هؤلاء إذا نصحهم ناصح أنكروا نسبة الفساد إلى أنفسهم أشدّ إنكار ، بل إذا قيل لأحدهم : اتّق الله ، أخذته العزّة بالاثم[3] ، و يبالغون في دعوى الاصلاح وسائر الكمالات .

[في أنّ قلب المفسد لايتأثّر بالنّصيحة]

ثمّ لايخفى عليك أنّ أرض القلب أيضاً من الاراضي الّتي لاينبغي إفسادها ، بل هي أوسع من هذه الاراضي . و أعظم أسباب فسادها هو اتّباع الدواعي الّتي

---

١) كقول الصادق ــ عليه السلام ــ حيث أفتى أبو حنيفة فيما جرى بين أبي ولاد الحناط وصاحب البغل وقضى بينهما بالجور والظلم، قال ــ عليه السلام ــ : «في هذا القضاء وشبهه تحبس السماء ماءها ، وتمنع الارض بركتها . . . » وقد نقل بتمامه الشيخ حر العاملي (ره) في الوسائل ، ج ١٣ ، باب ١٧ من أبواب الاجارة ، ص ٢٥٥ عن الكليني و الشيخ (ره) ، فراجع .

٢) راجع كتب التراجم و التواريخ ، و قد توجد فيها كثير من المفاسد و البدع التي أظهروا في الدين بعد وفاة النبي ــ صلى الله عليه وآله ــ و خصوصاً في زمان غصب الخلافة .

٣) مأخوذ من آية ٢٠٦ من سورة البقرة ، وهي : « و إذا قيل له اتّق الله أخذته العزّة بالاثم . . . »

توجب إظهار مقامات دينيّة ليست متحقّقة بها بقول أو عمل ظاهري ، أو تكلّف حال لايوافقه القلب مظهراً له على صورة الواقعيّة ، تلبيساً على نفسه أو على النّاس .

وهذا القسم من المفسدين لأراضي قلوبهم إذا ورد عليهم نصيحة ناصح يردعهم عن إفساد قلوبهم ، ويبعثهم على إصلاحها ، أنكروا ذلك أشدّ إنكار ، وأظهروا انحصار شأنهم في إصلاح بواطنهم ، بخلاف الّذين لايظهرون مقامات دينيّة ، فانّهم ربّما يتأثّرون باستماع المواعظ ويقبلونها إن لم يكن المرض قويّاً متمكّناً في قلبهم ، وإن لم يقبلوا لم يدعوا حوضة شأن الاصلاح لهم ؛ إذ ليسوا بصدد إظهار مقامات الدين بالخداع و التلبيس . فنظير الجواب و السؤال المذكور عن المنافقين جارٍ فيهم كما لايخفى .

[عدم العمل بمقتضى الولاية موجب للفساد]

ثمّ لايخفى أنّ نظير حال هؤلاء الناكثين لبيعة أمير المؤمنين عليه السلام من إظهار نكث البيعة للضعفاء ، وصيرورتهم سبباً لتشويش أمر دينهم ، وتحيّرهم في مذاهبهم ، و عدم اعتقادهم صحّة الدين ، و اقتصارهم في إظهار الدين ، وقضائهم في الباطن شهواتهم ، وإرادتهم عتق أنفسهم من الدين ، والفرار من ذلّ الطاعة ، يجري في هؤلاء المظهرين لقبول الولاية ، والتاركين للتحقّق بها في بواطنهم وظواهرهم ، حيث أنّ ما يظهر منهم ممّا يخالف مقتضى المتابعة و الائتمام الحقيقي ، يصير سبباً لتشويش أمر الدين ، وتحيّر المستضعفين حيث يحسبون أنّه لولم يكن خيراً ما فعله هؤلاء الشيعة ، و الطبيعة مجبولة على التقليد وملاحظة أفعال أبناء نوعه وصنفه ، و من حيث أنّهم لايعتقدون صحّة الدين اعتقاداً باتّاً مؤثّراً في أحوال القلب و تغيير صفاته وأحواله وأفعاله ، بل يقتصرون على أمور ظاهرها عبادات و باطنها عادات ، و أمثال ذلك من الأعمال الظاهريّة ، و لايطلبون في بواطنهم حقائق الأخلاق و

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الاحوال والاخلاص ، و التوجّه التامّ ، والاعمال الخفيّة الّتي لايطّلع عليها إلاّ الله سبحانه ، وتكميل المعرفة ، فهم يقضون في الباطن شهواتهم ، ولايدعون أهوية أنفسهم ، فليسوا أُسراء إيمان في بواطنهم ، بل يفرّون عن ذلّ حقيقة العبوديّة في الباطن .

فتدبّر هذه الاحوال في نفسك و حاسبه ، و اترك حال غيرك ، و راقب أمر نفسك ، فان لم تجدشيئاً من هذه الخلال فيها ، فكرّر النظر ، وأنعم الفكر ، فانّ النفس خدّاعة غرّارة، وإن كان فيها،فبادرالحذرو التخلّص؛ والله المستعان .

[تأكيد لافساد المنافقين]

[أَلا إِنَّهُمْ هُمُ المُفسِدونَ وَلكن لايَشعُرون]

الا إنّهم هم المفسدون بما يفعلون [من] أمور أنفسهم ؛ إنّ الله تعالى يعرّف نبيّه ﷺ نفاقهم ، فهو يلعنهم ، و يأمر المسلمين بلعنهم أيضاً ، و لا يثق بهم أعداء المؤمنين ؛ لأنّهم يظنّون أنهم ينافقونهم أيضاً كما ينافقون أصحاب محمد ﷺ . فلا يرتفع لهم[1] عندهم منزلة ، ولايحلّون عندهم بمحلّ الثقة[2] . كذا عنه عليه السلام في تتمّة ما سبق .

ويحتمل أن يكون ذكر خصوص فساد أمور أنفسهم من باب ذكر أحد الافراد ، ويكون المعنى أنّهم هم المفسدون بقول مطلق ، فيعمّ إفساد أمرهم و أمر سائر الناس عليه ، فهو ردّ وتكذيب لما ذكروه من حصر حال أنفسهم في الاصلاح أبلغ ردّ، وأحسن وآكد تكذيب حيث قوبل ذلك الدعوى باثبات الافساد المطلق لهم ، مع ما ذكر من وجود أسباب المبالغة فيه من جهة الاستيناف ، وما في كلتا الكلمتين ألا وإنّ من التأكيدين، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل ، وقوله سبحانه: « **ولكن لايشعرون** ».بل ربّما يستفاد منها انحصار المفسدين فيهم ، و أيضاً لا ينحصر إفساد أمر أنفسهم بالوجه المذكور ، بل صلاح أمرهم في العاجل والآجل في الايمان والتسليم والوفاء بالبيعة لو كانوا يشعرون بمصالح أمورهم .

وإجراء نظير هذا الكلام في غيرهم يظهر بالنظر فيما سبق من البيان .

---

1) في المخطوطة : « عليهم » .

2) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٤٨٧ .

[تحقيق حول الايمان والنّاس والسّفاهة]

وَإِذا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَما آمَنَ النّاسُ [قالُوا أَنُؤْمِنُ كَما آمَنَ السُّفَهاءُ أَلاإِنَّهُم هُمُ السُّفَهاءُ وَلٰكِنْ لايَعلَمُونَ]

عن الكاظم عليه السلام :

« و إذا قيل لهؤلاء الناكثين البيعة ـ قال لهم خيار المؤمنين؛ كسلمان و المقداد و أبي ذرّ و عمّار ـ : آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله و بعليّ عليه السلام ، الّذي أوقفه[1] موقفه ، و أقامه مقامه ، و أناط مصالح الدين و الدنيا كلّها به ، فآمنوا بهذا النبيّ صلى الله عليه وآله ، وسلّموا لهذا الامام ، و سلّموا لظاهره و باطنه كما آمن الناس المؤمنون ؛ كسلمان والمقداد وأبي ذرّ و عمّار ، قالوا في الجواب لمن يفضون إليه لا لهؤلاء المؤمنين ، لأنّهم لايجسرون على مكاشفتهم بهذا الجواب ، و لكنّهم يذكرون لمن يفضون إليه من أهليهم الّذين يثقون بهم [من المنافقين ومن المستضعفين ومن المؤمنين الذين هم بالستر عليهم واثقون بهم] يقولون لهم: « **أنؤمن كما آمن السّفهاء** » يعنون: سلمان و أصحابه لمّا اعطوا عليّاً خالص و دّهم و محض طاعتهم ، و كشفوا رؤوسهم لموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه ، حتّى إذا

---

١) في المخطوطة : « وقفه » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

اضمحل أمر محمد صلى الله عليه وآله طحطحهم[١] أعدائه، و أهلكهم سائر الملوك و المخالفين لمحمد صلى الله عليه وآله: أي: فهم بهذا التعرض لأعداء محمد صلى الله عليه وآله جاهلون سفهاء: قال الله عز و جل: «الا إنهم هم السفهاء ولكن لايعلمون» الاخفاء العقول والآراء، الذين لم ينظروا في أمر محمد صلى الله عليه وآله حق النظر فيعرفوا نبوته ويعرفوا به صحة ما ناطه بعلي عليه السلام من أمر الدين والدنيا، حتى بقوا لتركهم تأمل حجج الله جاهلين، و صاروا خائفين وجلين من محمد صلى الله عليه وآله و ذويه[٢] ومن مخالفيهم، لايؤمنون أنه ينقلب فيهلكون معه، فهم السفهاء [حيث] لم يسلم بنفاقهم هذا لامحبة المؤمنين ولامحبة اليهود وسائر الكافرين، وهم يظهرون لمحمد صلى الله عليه وآله موالاته و موالاة أخيه علي عليه السلام، و معاداة أعدائهم اليهود والنواصب، كما يظهرون لهم من معاداة محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام»[٣].

[من المخاطب في الآية ومن المراد من الناس ؟]

اقول: يحتمل أن يكون ذكر خصوص الناكثين في تفسير هذه الآية وعدة من الآيات السابقة واللاحقة بياناً لتنزيلها، وأنها نزلت في شأنهم بالخصوص و إن جرت في غيرهم ممن يشاركهم على القاعدة المتقدم إليها الاشارة في المقدمات[٤]،

١) طحطح: كسر وفرق وبدد إهلاكاً (قاموس).

٢) خ . ل : وأصحابه.

٣) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ، ص ٤٤ و٤٥؛ والبحار، ج ٣٧، باب في أخبار الغدير، ص ١٤٧ و١٤٨، ح ٣٦؛ والبرهان، ج ١، ص ٦٢.

٤) ص ٦٤ ـ ٧٢.

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

وأن يكون ذكراً لتأويلها وبياناً لاجرائها عليهم في مقدّمة البيعة وقبول الولاية، وإجراء للآيات بتمام ما فيها فيما فعلوه ، وإثباتاً لمساواتهم للمنافقين الّذين وردت في شأنهم الآيات في جهات الشناعة والقباحة، وتطبيقاً بينهم وبين هؤلاء في مدلول الآيات .

و الاوّل و إن كان أقرب بظاهر لفظ الرواية على ما يترائى منها ، لكنّ الثاني أقرب بملاحظة بعض القرائن الخارجيّة ، وملاحظة كثرة ذكر التأويل في مقام يترائى منه كونه تنزيلاً وتفسيراً وبياناً للنزول على الظاهر فيها ، وإن جرى مثل الاحتمال الاوّل في جملة منها أيضاً .

و حينئذ فنقول : كأنّ القائلين الناصحين لهم نصحوهم تارةً بنهيهم عن المنكر ، و ردعهم عن الفساد بتقبيحهم ما كانوا يفعلون ، فأنكروا ذلك في شأنهم وبالغوا في دعوى خلافه ، وأخرى أمرهم بالمعروف ، و تبصيرهم طريق الخير ، و دعوتهم إلى الطريقة المثلى من متابعة هؤلاء المؤمنين في الايمان ، فرموهم بالسفاهة لفرط سفههم ، و في ذلك تسلية للعلماء والمؤمنين وأهل الكمال ممايلقى من الجهلة والفجّار وفاقدي الكمال .

و«ما» في «كما » إمّا مصدريّة كما في قوله : « بما رحبت » [١] ، أو كافّة نصحّح دخول الجارّ على الفعل ، فيكون مفاد الكلام تشبيه الجملة بالجملة . وعلى الوجهين فلايبعد أن يكون مراد الناصحين بعثهم على إيمان مشابه لايمان الناس ومماثل لهم لاالتشبيه في أصل الايمان. وحينئذ فالمراد بالناس رسول الله ﷺ ومن معه، وهم ناس معهودون أو الكاملون في الانسانيّة ، الّذين آمنوا بألسنتهم وقلوبهم ، فيطابق الاوّل مصداقاً ، بل ربّما يكون أخصّ منه ، كما ورد في الحديث على ما ببالي :

---

١) التوبة / ٢٥ و ١١٨ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

« نحن الناس ، وشيعتنا أشباه الناس ، وسائر الناس نسناس » [١].

وقد فسّر « الناس » في بعض الآيات ـ أيضاً بهم عليهم السلام [٢] على ما ببالي .

وحينئذ فلعلّ في الآية إشارة إلى قبول الولاية و متابعة الاولياء ، والتشبّه بهم والاقتداء بطريقتهم .

وأمّا احتمال إرادة «عبدالله بن سلام» وأضرابه ممّن كانوا على طريقة أهل الكتاب فآمنوا ، فهو غير ظاهر الوجه ؛ و حينئذ فيندرج في الآية جميع مراتب الايمان من قبول التوحيد والرسالة والولاية وغيرها اعتقاداً والتزاماً وتخلّقاً بموجبها، وإخلاصاً وعملاً على ما سبق في بيان الايمان لاندراج جميع تلك الشؤون في المشبّه

١و٢) فانظر رواية حسين بن علوان ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن جده ، عن عليّ ـ عليهم السلام ـ رواه الفرات (ره) في تفسيره ، ص ٨ ؛ وهي : « قال : قام رجل إلى علي عليه السلام ـ فقال : يا أميرالمؤمنين ، أخبرنا عن الناس و أشباه الناس و النسناس . قال : فقال علي ـ عليه السلام ـ : أجبه يا حسن . فقال له الحسن ـ عليه السلام ـ : سألت عن الناس فرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ الناس : لأن الله يقول : « **ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس** » (البقرة / ١٩٩) ونحن منه . وسألت عن أشباه الناس . فهم شيعتنا ، وهم منا وهم أشباهنا . وسألت عن النسناس ، فهم هذا السواد الاعظم . » والسواد من الناس كما قال الفيروز آبادي عامتهم .

وكذا روايات رواها أساطين المشايخ كالكليني، والصفار ، و الشيخ ، و العياشي و غيرهم ـ رحمهم الله تعالى أجمعين ـ في الكافي ، والبصائر . والامالي ، وتفسير العياشي وغيرها ، عن أبي جعفر وأبي عبدالله ـ عليهما السلام ـ في تفسير آية : « فاذاً لايؤتون الناس نقيراً * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله . . . » (النساء / ٥٣ و٥٤) قالا : « نحن الناس» . فراجع البرهان ، ج ١ ص ٣٧٥-٣٧٩ وأيضاً رواية رواها ابن المغازلي في المناقب، ص ٢٦٧ ، ح ٣١٤ ، عن جابر ، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ في تفسير الآية المتقدمة ؛ وابن حجر الهيثمي في الصواعق ، ص ١٥٠ ؛ والشيخ سليمان القندوزي في ينابيع المودة، ص ١٢١ ، كلاهما عن طريقه ، قال ـ عليه السلام ـ : « نحن الناس » .

به، وتعلّق الدعوة بخصوص الايمان المشابه لايمانهم والمماثل له، فيجري هذا القول في كلّ ناصح يدعوا إلى شأن من شؤون الايمان، خصوصاً في الاقتداء بالائمّة عليهم السلام و التأسّي بهم كما أشرنا إليه، بل يندرج سائر الافراد فيه؛ لأنّ الاقتداء بهم ظاهراً و باطناً والتسليم لهم في جميع المراتب و المقامات مشتمل على جميع شعب الايمان، ولايخرج منها شيء أبداً؛ إذ لو خرج منه شيء لكان إمّا لنقصان في المقتدى به من حيث الدين والايمان . وهم عليهم السلام أرفع شأناً من أن ينسب إليهم ما يوهم النقص . أو لوقوع المخالفة بين المأموم والامام بفقدان المأموم ما تحقّق في الامام ، فهو غير مقتدى به في ذلك ، و مخالف للأمر بالاقتداء المطلق .

و ربّما يومي إلى ذلك ما ذكر في الرواية السابقة من قوله : « وسلّموا لهذا الامام ، وسلّموا لظاهره وباطنه كما آمن الناس المؤمنون » .

وحينئذ فكلّ ناصح في أمر الدين إنّما ينصح ويدعو إلى الولاية والائتمام بهم عليهم السلام ، وهو الايمان كلّه .

[في معنى السّفاهة ومن هم السّفهاء ؟]

ثمّ إنّ هؤلاء المنصوحين قالوا لأصحابهم لا لهؤلاء الناصحين على ما في الرواية ، أو قالوا للناصحين سرّاً عند أمنهم على ما هو أقرب إلى ظاهر لفظ الآية على وجه الانكار : « **أنؤمن كما آمن السفهاء ؟** » .

والسفاهة سخافة العقل وخفّة الحلم، فنسبوهم إلى السفاهة ، واستنكفوا عن متابعتهم و موافقتهم . و هذا شأن كلّ من خالف المؤمنين في كلّ مرتبة من المراتب، فالمنكرون للاسلام رأساً يعدّون المسلمين سفهاء خصوصاً في ذلك العصر الاوّل حيث يظنّون أنّ أمر الاسلام لايثبت ، وينقلب الامر على المسلمين ، و يرد على المتشمّرين لاقامة الدين و الثابتين فيه المكروهات كلّها من طرف أعدائهم ،

كما ربّما يظهر من الرواية ، و لغير ذلك من حيث إعراضهم عن النعم التي كانوا فيها، وإقدامهم على المهالك، وإنفاقهم الاموال،وصبرهم على ماكان ينالهم من الشدائد والمكروهات ، و نهاية التذلّل والانقياد للاسلام والنبي ﷺ ظاهراً وباطناً بعد كون ذلك لغير داعٍ صحيح في نظرهؤلاء المنكرين المنافقين ، وإنكارهم أن يكون للدين أصل وحقيقة ، فيكون كلّ ذلك بحسب طريقتهم وحسبانهم خالياً عن فائدة وعائدة إن كانوا منكرين اعتقاداً ، وإن كانوا جاحدين عن علم .

فيمكن أن يكون نسبة السفاهة لأجل تحمّلهم شدائد الدنيا وغيرها للآخرة، مع أنّ الدنيا أرجح في نظرهم ، أو لأجل كون ذلك جحوداً لكمال عقلهم و مرتبتهم ،كما جحدوا أصل الايمان .

ومثله الكلام في منكري الولاية اعتقاداً وجحوداً ، كما يظهر من الرواية السابقة ، ويعرف التفصيل بالمقايسة ، ويجري نظيره في الفسّاق المنهمكين في فسقهم بالنسبة إلى المتّقين ، فانّهم يرونهم سفهاء في إعراضهم عن الشهوات المحرّمة و المشتبهة والمكروهة والمباحة على حسب درجاتهم ، وإقدامهم على العبادات الواجبة و المندوبة ، و ترك الحيل المحرّمة و غيرها على حسب درجاتهم في التقوى ، كما يصدر منهم كثيراً كلمات تدلّ على أذاهم و تحقير شأنهم والاستهزاء بهم . وهذا طريقة أهل الدنيا مع أهل الآخرة ؛ كأنّهم يزعمون أنّ هؤلاء لم يفهموا ولم يدركوا لذّات ما هم منهمكين فيه ، أو لم يهتدوا إلى تحصيلها سبيلاً .

ثمّ يجري نظيره في أهل الآخرة في كلّ مرتبة بالنسبة إلى ما فوقها ، فالعابد بالجوارح يرى العابد بالمجاهدة والرياضة الباطنيّة سفيهاً ؛ إذ لم يصل إلى ذلك المقام ، ولم يدرك منافعها و مصالحها ، وكذا حال العابدين بالنسبة إلى العارفين .

و بالجملة فكلّ ناقص عن نيل مقام و عن إدراك ذلك المقام يرى عمل أهل

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

ذلك المقام خارجاً عن ميزان السداد والاستقامة ، إلاّ إذا لم يكن واقفاً على حدّ علمه ومعرفته ، مذعناً بأنّ فوقه مقامات لم يصل إليه ، أوكان مدركاً لذلك المقام علماً وإن نقص عنه بالحال و العمل .

ويشهد لبعض ذلك ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتّقين على ما في النهج من قوله عليه السلام على ما ببالي :

« ويقولون : قد خولطوا ، ولقد خالطهم أمر عظيم »[1] .

و غير ذلك .

ثمّ إنّ الله سبحانه ردّ عليهم قولهم بقوله : « الا إنّهم هم السفهاء » ، المشتملة على تأكيدات على ما يظهر بالمقايسة إلى ما ذكر في الآية السابقة .

ثمّ إنّ إدراك الناقصين والفاقدين ما لأجله كان عمل هؤلاء صحيحاً مطابقاً للعقل والرشاد موقوف على حصول العلم بحقيقة ما هم عليه من الايمان ، فكأنّ التعبير بـ « لايعلمون » أولى من « لايشعرون » بخلاف الآية السابقة ؛ إذ الفساد الصادر منهم في الارض أمر قريب من الاحساس و الشعور ، فكأنّ التعبير بالشعور أولى .

ثمّ إنّه يجري نظير الاية في العلماء بالاكتساب بالنسبة إلى أهل المعرفة و الدراية ، فيعدّونهم سفهاء لخروج كلماتهم عن ميزان أدلّتهم و قياساتهم ، و بالنسبة إلى ناقصي العلم بالنسبة إلى الكاملين فيه إذا تجاوز كلامهم عن مرتبة أفهامهم و تصوّراتهم ، و وقوع البينونة التامّة بينهم ، و كذا العارفين بعضهم مع بعض .

فطريقة السداد والرشاد أن يلازم الانسان مقامه وحدّه ، ولا ينكر على من

---

١) راجع نهج البلاغة ، خ ١٩٣ ، ص ٣٠٤ ، وفيها : « ويقول : لقد خولطوا ، ولقد خالطهم أمر عظيم » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

تجاوز ذلك المقام، ويكل أمره إلى ربّه ، ويشتغل بأمر نفسه : إذ حسابه ليس عليه، سواءكانت التفاوت بحسب العمل أوالحال أو العلم والمعرفة، ولا يسلك مع غيره سبيل التسفيه والتضليل والتجهيل والاستهزاء ونحوها ، وإلا فلايأمن أن يكون لهمرتبة أعلى من مقامه في الايمان والدين، فربّما يتوجّه عليه من ربّه سبحانه نظير الردّ الواقع في شأن المنافقين هنا ؛ إذ من صفات المتّقي أنّه إذا بغي عليه صبر ، حتّى يكون الله هوالّذي ينتقم له، وليس من البعيد منه سبحانه أن يجازي الطاغين لعباده المخلصين ولو بعد وفاتهم بالانتقام أو العتاب الشديد .

وحينئذ فالمناسب لحال المؤمن وفي كلّ مرتبة أن يرى فوق إيمانه إيماناً ، و فوق مرتبته مرتبة ، و فوق علمه علماً ؛ كما قال سبحانه: **«وفوق كلّ ذي علم عليم»** [١].

ويكون سبيله التوقّف وردّ علم حال سائر المؤمنين إلى الله سبحانه ؛ كما قال بعض الانبياء : **«وما علمي بما كانوا يعملون * إن حسابهم إلا على ربّي لو تشعرون»** [٢] .

ثمّ إنّ لهذا المقام تفريطاً ينبغي التحرّز عنه ، و ملازمة حدّ الوسط و الاستقامة والاعتدال ، و ذلك كما إذا اقتضى ضرورة حفظ الشرع مثلاً أوردع البدعة وإبطال الباطل على التعرّض لحال شخص ، فربّما يكون مراعات ذلك أهمّ ، و كما إذا أدّى السكوت عن حال الاشخاص على تزلزله في مقام علومه و معارفه ، فكلّما سمع من أحد كلاماً مخالفاً لما عنده احتمل أن يكون حقّاً ، فيزول بذلك اعتقاده ؛ إذ لايجامع الاعتقاد الجزمي الاحتمال ، بل ينبغي له ملازمة علمه و ومعرفته ودفع التزلزل عنه مع السكوت عن حال السائرين، واحتمال أن يكون مطلبهم ما فهمه ، أو لايكون منافياً لما عنده كما يتّفق كثيراً في كلمات الكاملين

---

١) يوسف / ٧٦ .

٢) الشعراء / ١١٢-١١٣ .

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

[بحوث في كيفيَّة ملاقات المنافقين مع المؤمنين ومباحثتهم]

وَإذا لَقُوا الَّذينَ آمَنُوا قالُوا آمَنّا وَ إذا خَلَوْا إلى شَياطينِهِم قالُوا إنّا مَعَكم إنّما نَحنُ مُستَهْزِؤُنَ

في غاية المرام عن موفّق بن أحمد قال: روى أبو صالح عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ :

« انّ عبدالله بن أُبيّ وأصحابه خرجوا ، فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال عبدالله بن أُبيّ لأصحابه : انظروا كيف أردّ[1] ابن عمّ رسول الله ﷺ وسيّد بني هاشم خلا رسول الله ﷺ .

فقال عليّ ـ كرّم الله وجهه ـ : يا عبدالله ، اتّق الله ولا تنافق ، فانّ المنافق شرّ خلق الله تعالى .

فقال : يا أبا الحسن ، و الله إنّ إيماننا كايمانكم . ثم تفرقوا فقال عبدالله بن ابيّ لاصحابه : كيف رأيتم ما فعلت ؟ فأثنوا عليه خيراً ، فأنزل الله على رسوله ﷺ : « اذا لقوا الذين آمنوا ـ الاية » [2] .

---

[1]) قال المؤلف (ره) في الهامش : « كذا وجد ، و الظاهر وقوع السقط . ويحتمل أن يكون كذا : أرده ، ثم قال : يابن عم . . . » و في المناقب : « أراد » .

[2]) غاية المرام ، الباب الحادي عشر و مائة من المقصد الثاني ، ص ٣٩٥ ؛ و قد أخرجه الخوارزمي في المناقب ، الفصل السابع عشر ، ص ١٩٦ ؛ وكذا رواه ابن شهرآشوب (ره) في المناقب ، ج ٣ ، ص ٩٤ ، بهذا الاسناد عن تفسير الثعلبي .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

قال موفّق بن أحمد عقيب ذلك :

« فدلّت الآية على إيمان علي ـ كرّم الله وجهه ـ ظاهراً وباطناً ، و على قطعه موالاة المنافقين و إظهار عداوتهم . و المراد من الشياطين رؤساء الكفّار » .

هكذا وجدناه ، و إنّما أوردناه من طريق العامّة على ما ذكره لما فيه من ذكر الفضيلة .

و عن ابن شهرآشوب ، عن الباقر عليه السلام :

« أنّها نزلت في ثلاثة لمّا قام النبيّ صلى الله عليه وآله بالولاية لأمير ـ المؤمنين عليه السلام أظهروا الايمان والرضاء بذلك ، فلمّا خلوا بأعداء أميرالمؤمنين عليه السلام **قالوا إنّا معكم إنّما نحن مستهزؤن** » [1]

وعن تفسيرالهذيل ومقاتل، عن محمّدبن الحنفيّة، في خبر طويل:

« **إنّما نحن مستهزؤن** بعليّ بن أبي طالب ، فقال الله تعالى : « **الله يستهزئ بهم** » ؛ يعني : يجازيهم في الاخرة جزاء استهزائهم بأميرالمؤمنين عليه السلام » [2] .

و عن تفسير الامام عليه السلام في معنى الاية ، قال موسى بن جعفر عليه السلام :

« و إذا لقي هؤلاء الناكثون للبيعة المواطئون على مخالفة عليّ عليه السلام و دفع الامر عنه الّذين آمنوا قالوا : آمنّا كايمانكم ، وإذا لقوا سلمان و المقداد و أباذرّ و عمّار قالوا

---

١) البرهان ، ج ١ ، ص ٦٤ .

٢) أورده ابن شهرآشوب (ره) في المناقب ، ج ٣ ، ص ٩٤ ؛ ونقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٨ باب النار ، ص ٣٠١ ، ح ٥٦ ؛ و البحراني (ره) في البرهان ، ج ١ ، ص ٦٤ .

لهم: آمنّا بمحمّد صلى الله عليه وآله، وسلّمنا له بيعة علي عليه السلام وفضله، وأنفذنا لأمره كما آمنتم. إنّ أولّهم وثانيهم وثالثهم إلى تاسعهم وربّما كانوا يلتقون في بعض طرقهم مع سلمان وأصحابه، فاذا لقوهم اشمأزّوا منهم قالوا: هؤلاء أصحاب الساحر و الاعوج[1]؛ يعنون محمّداً و عليّاً عليهما السلام، ثمّ يقول بعضهم لبعض: احترزوا منهم، لايقفون من فلتات[2] كلامكم على كفر محمّد صلى الله عليه وآله فيما قاله في عليّ عليه السلام، فيقعوا عليكم، فيكون فيه هلاككم.

فيقول أوّلهم: انظروا إليّ كيف أسخر منهم، و أكفّ عاديتهم عنكم. فاذا التقوا قال أوّلهم: مرحباً بسلمان بن الاسلام، الّذي قال فيه محمّد صلى الله عليه وآله سيّد الانام: «لو كان الدين معلّقاً بالثريّا لتناوله رجال من أبناء فارس، هذا أفضلهم» يعنيك، و قال فيه: «سلمان منّا أهل البيت»، فقرنه بجبرائيل[3] عليه السلام الّذي قال له يوم العباء لمّا قال لرسول الله[4] صلى الله عليه وآله: وأنا منكم؟ فقال: وأنت منّا، حتّى ارتقى جبرائيل إلى الملكوت الاعلى يفتخر على أهله ويقول: بخ بخ وأنا من أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ يقول للمقداد: و مرحباً بك يا مقداد! أنت الّذي قال

١) في المصادر: «الاهوج»، قيل: «الهوج محركة طول في حمق وطيش و تسرع».

٢) الفلتات: الزلات، جمع فلتة، وهي الزلة (مجمع).

٣) في المخطوطة: «فقرب جبرائيل»، وفي البرهان: «فقرنه جبرئيل».

٤) في المخطوطة: «قاله رسول» وفي البرهان: «قاله لرسول».

فيك رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام : يا عليّ ، المقداد أخوك في الدين وقد قدّمتك ، فكأنّه بعينك حبّاً لك ، وبغضاً على أعدائك وموالاة أوليائك . لكن ملائكة السموات والحجب أشدّ حباً لك منك لعلي عليه السلام وأشدّ بغضاً على أعدائك منك على أعداء علي عليه السلام .فطوباك ، ثمّ طوباك .

ثمّ يقول لأبي‌ذرّ : مرحباً بك يا أباذر! أنت فيك قال رسول الله ﷺ : «ما أقلّت الغبراء ولاأظلّت الخضراءعلى ذي‌لهجة أصدق من أبي ذرّ » قيل : بما ذا فضّله الله بهذا و شرّفه ؟ قال رسول‌الله ﷺ : «إنّه كان يفضّل علياً عليه السلام أخا رسول الله ﷺ قوّالاً ، وله في كلّ الاحوال مدّاحاً ولشانيه و أعاديه شانياً ، و لأوليائه و أحبّائه موالياً : سوف يجعله الله عزّ و جلّ في الجنان من أفضل سكّانها ، و يخدمه من لا يعرف عدده إلاّ الله من وصائفها و غلمانها و ولدانها » .

ثمّ يقول لعمّار بن ياسر : أهلاً وسهلاً يا عمّار ! نلت موالاة أخي رسول الله ﷺ من وادع رأفة لاتزيد على المكتوبات والمسنونات من سائر العبادات ما لاينااله الكادّ[1] بدنه ليله ونهاره ؛ يعني : اللّيل قياماً ، والنهار صياماً ، و الباذل أمواله وإن‌كانت جميع أموال الدنيا له . مرحباً بك ! فقد رضيك رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام أخيه مصافياً ، وعنه مناوياً حتّى‌أخبر أنّك‌ستقتل في‌محبّته ، وتحشر يوم‌القيامة في خيار زمرته ؛ وفّقني الله لمثل عملك و عمل أصحابك ممّن

---

١) الكاد : المشقة (قاموس) .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

توفّر على خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله وأخي محمد صلى الله عليه وآله علي عليه السلام، و معاداة أعدائهما بالعداوة، و مصافاة أوليائهما بالموالاة و المشايعة؛ سوف يسعدنا يومنا هذا إذا التقينا بكم.

فيقول سلمان وأصحابه: ظاهرهم كما أمر الله تعالى ويجوزون عنهم.

فيقول الاوّل لأصحابه: كيف رأيتم سخري بهؤلاء؟ و كيف [أكفّ][1] عاديتهم عنّي وعنكم؟

فيقولون له: لاتزال بخير ما عشت لنا، فيقول لهم: فكهذا فلتكن معاملتكم لهم إلى أن تنتهزوا الفرصة فيهم مثل هذا، فانّ اللّبيب العاقل من تجرّع على الغصة حتّى ينال الفرصة.

ثمّ يعودون إلى أخدانهم المنافقين المتمرّدين المشاركين لهم في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله فيما أدّاه إليهم عن الله عزّ وجل من ذكر تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام ونصبه إماماً على كافّة المكلّفين، قالوا لهم: إنّا معكم على ما وطّأتكم عليه أنفسكم من دفع عليّ عن هذا الامر إن كانت لمحمّد صلى الله عليه وآله كائنة، فلا يغرّنّكم و لا يهولنّكم ما تسمعونه منّا من تفريطهم، وترونا نجترئ[2] عليه من مداراتهم، فانّما نحن مستهزؤن بهم».[3]

١) في البحار: «كففت».
٢) في المخطوطة والبرهان: «مني ... تروني أجترئ».
٣) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ، ص ٤٥ـ٤٧؛ و البحار، ج ٨ (ط كمباني)، باب كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم، ص٢١٩؛ والبرهان، ج١، ص ٦٢ـ٦٣.

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في شأن نزول الآية]

اقول : لامنافاة بين كون «عبدالله بن ابيّ [بن] سلول » مورد النزول، كما سبق في الرواية الاولى وتكرّرت في تفاسير العامّة ذكره ، وبين كون الثلاثة الّذين أظهروا الايمان والرضا بالولاية ، أومطلق الناكثين للبيعة ، أو خصوص التسعة ، أو القائل منهم ما سبق مورداً لنزول الآية ؛ إذ يحتمل أن يكون الآية واردة لبيان حال المنافقين بأسرهم و معاملتهم مع المؤمنين من تكلّف الكذب لهم والاستهزاء بهم ، و لقائهم بوجوه المصادقين ، و إيهامهم أنّهم معهم . فاذا فارقوهم إلى شطار دينهم صدّقوهم بما في قلوبهم ، وهذا من شأن مطلق المنافقين يمشي مع كلّ من الطائفتين بلسان مغاير للسانه مع الآخر سواء كانوا معاندين لرسول الله صلى الله عليه وآله كابن ابي ، أو لأميرالمؤمنين عليه السلام بالاصالة كهؤلاء الناكثين ؛ مع أنّه لايبعد من أحوالهم أن يكونوا جامعين بين عداوته عليه السلام و عداوة الرسول صلى الله عليه وآله استقلالاً ؛ كابن أبيّ وأصحابه وإن كانوا في إظهار خلافه والموافقة مع الرسول صلى الله عليه وآله ومتابعته في ظاهر الحال جادّين مجتهدين .

و بالجملة فلايبعد من ملاحظة الآيات شمولها لمطلق المنافقين ، الّذين لم يؤمنوا سواء المانع لايمانهم إباؤهم عن الولاية بعد ظهور الحجّة وانقطاع المعذرة ، أوغيره بعد أن كانوا ثابتين على النفاق مع الرسول والمؤمنين .

وعليه فيصحّ أن يكون المراد بالقائلين مطلق من صدر منه القولان ، و يشمل كلا الفريقين ، بل لعلّه أقرب إلى مفاد اللّفظ من إرادة شخص خاصّ . و ربّما يجري نظيره في حقّ سائر أقسام النفاق الّتي أشرنا إليها سابقاً ، فانّ كثيراً منهم يمشون بين الناس بلسانين مختلفين و كيفيّتين متضادّين ، بل ربّما يعاشرون مع كلّ فرقة و أهل طريقة بمذاقهم ، و يظهرون موافقتهم في ذاك ، بحيث يظنّ

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر محق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بهم أنّهم من هؤلاء ليروّج بذلك أمرهم .

[في معنى اللّقاء والخلوّ و الشّيطان و أنّ الثاني هو الشيطان الاكبر]

و حينئذ فنقول : يقال : : لقيته ولاقيته إذا استقبلته قريباً منه ؛ و خلوت بفلان و إليه ، إذا انفردت معه . واحتمل في الآية أن يكون من « خلا » بمعنى : مضى ، كما في « وخلاك ذمّ » أي : عداك ومضى عنك ، و من خلوت به إذا سخرت به ، وهو من قولك : خلا فلان بعرض فلان يعبث به ، ومعناه حينئذ : و إذا أنهوا السخريّة بالمؤمنين إلى شياطينهم وحدّثوهم بها . ولعلّ الاوّل أظهر .

و فسّر الشياطين هنا بالّذين ماثلوا الشياطين في تمرّدهم ، و هو بظاهره أعمّ من الرؤساء وغيرهم ، وخصّه بعضهم بالرؤساء والأكابر من المنافقين . فيكون القائلون بأنّا مصاحبوكم وموافقوكم على أمر دينكم أصاغرهم أو من الكافرين ، فيحتمل كون القائلين مجموع المنافقين .

و ذكر في وجه التخصيص بالرؤساء أنّهم القادرون على الافساد في الارض .

ويحتمل إرادة الناس الّذين يوسوسون في صدور غيرهم . ويلقون إليهم ما يضرّ بدينهم وآخرتهم و صلاح أمورهم ، الّذين يضلّون غيرهم بغير علم سواء كانوا أكابر أوأصاغر ، فانّ الاصاغر ربّما يغوون جماعة من أهاليهم وأولادهم وأمثالهم ، فيكون مماثلتهم للشيطان باعتبار إضلالهم الناس كالشياطين ، أو باعتبار أنّ الشياطين اتّخذهم أشراكاً . فباض وفرّخ في صدورهم ، و تكلّم بألسنتهم ، و أغوى النّاس بهم ؛ و قد ورد قريباً من ذلك في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في صفة جماعة . فراجع[1] .

---

[1]) وهو كلامه ــ عليه السلام ــ يذم فيه أتباع الشيطان، قال ــ عليه السلام ــ : «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً ، و اتخذهم له أشراكاً ، فباض وفرخ في صدورهم ، و دبّ و درج ←

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ويحتمل أن يؤخذ وجه المماثلة هوالتشبّه بصفات الشيطان في مرتبة نفسه من حيث عناده وتمرّده وثباته في الكفر .

وفوق هذه الانظار نظر آخر ، وهو أنّه قد ورد في بعض الاخبار أنّ الثاني ـ لعنه الله تعالى ـ كان شيطاناً [1] ، و ربّما يحكى رواية : أنّه كلّما ذكر الشيطان في القرآن فهو الثاني [2] .

ولعلّ دقّة النظر في المقام تؤدّي إلىأنّ الانسان بحسب الصورة قد ينسلخ من معنى الانسانيّة ، و يتحقّق بالحقيقة الشيطانيّة في باطنه ، و يكون مسوخاً بالشيطان في الباطن ، كما يتحقّق المسخ الباطني للانسان بصورة الحيوانات على ما سنذكره ـ إن شاءالله تعالى ـ فيما بعد ، فيكون خارجاً عن حدود الانسانيّة و داخلاً تحت حقيقة الشيطانيّة وإن غايره صورةً وشكلاً .

و الظاهر أنّ الثاني ـ لعنه الله ـ من أقوى أفراد هذا العنوان ، وكذا نظائره من كثير من المتوغّلين في الكفر والنفاق ، الّذين صاروا أئمّة يدعون إلى النار ، هذا .

← في حجورهم ، فنظر بأعينهم ، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل ، وزين لهم الخطل ، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه ، و نطق بالباطل على لسانه . » فراجع نهج البلاغة ، خ ٧ ، ص ٥٣ .

١) كخبر العياشي (ره) في تفسيره ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ ، ح ٨ ، عن حريز ، عمن ذكره ، عن أبي جعفر ـ عليه‌السلام ـ في قول الله تعالى : « **وقال الشّيطان لمّا قضي الامر** . . . » (ابراهيم /٢٢) قال : « هوالثاني ، وليس في القرآن شيء « وقال الشيطان » إلا وهو الثاني . » والروايات في هذا المعنى كثيرة ، قد جمعها المجلسي (رض) فيالبحار، ج ٨ (ط كمباني) ، باب كفرالثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم ، فراجع .

٢) قد مضى في التعليقة السابقة .

[في معنى الاستهزاء وأنّه ملازم للنّفاق]

وأصل الاستهزاء هو السخريّة والاستخفاف ، وأصله على ما قيل : « الخفّة من الهزء ، و هو قتل السريع . » [١] ولعلّ إيرادهم الجملتين معاً مع شياطينهم بالجملة الاسميّة مؤكّدة بـ« إنّ » وأداة الحصر واقتصارهم مع المؤمنين بالجملة الواحدة الفعليّة لأنّ نفوسهم لاتساعدهم في الثاني على أزيد من ذلك ، أو لأنّه لايروح عنهم لوقالوه على لفظ التأكيد والمبالغة ، والجملة الثانية مؤكّدة للاولى معنىً ، و كأنّه دفع اعتراض متوّهم ، و هو أنّه ما بالكم إن صحّ أنّكم معنا توافقون أهل الاسلام ، هذا .

و ربّما يجري نظير مفاد الآية في كلّ منافق بالمعنى المتقدّم ، و ذلك لأنّ النفاق على ما ذكرهو كون الظاهر راجحاً على الباطن ، والفرع أزيد من الاصل ، سواء كان الاصل فاسداً رأساً أو ناقصاً ، و من كان على هذه الصفة فهو في الظاهر الذي هوموضع الملاقات مع الناس و المعاشرة مع المؤمنين مظهر لشؤون الايمان بقوله أوفعله أوحاله وصفته ، وفي باطنه الّذي هوموضع ملاقاته للشياطين ، واتّصاله بهم مظهر للثبات على ما كان عليه ، والموافقة معهم باعتقاده أوجحوده أو خلقه و ملكته السبعة ، فهو ثابت الباطن مع الشياطين لم يتحوّل منه إلى غيرهم ، وله معهم خلوة باطنيّة ، ومضيّ وتجاوز إليهم . و في ذلك المقام يظهر أنّ ماظهرمنه في الظاهر هواستهزاء لاحقيقة له ، ولاثقل له لكونه فرعاً بلا أصل ، وصورة بلا روح ، بل سخريّة لنفسه لو انكشف حاله لعارف بصيرلضحك منه ضحك من اطّلع على أفعال أهل السخريّة ، و سخريّة لمن أظهر عنده ذلك لوكان لأجل الناس ، بل لعلّه يندرج تحت من اتّخذ آيات الله هزواً على ما ببالي من ورود رواية في شأن

---

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٥ ؛ وأنوار التنزيل ، ص ١٤ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

من قرأ القرآن ولم يحجزه عن مخالفة الله سبحانه ، الّتي يترتّب عليها العقاب أنّه ممّن اتّخذ آيات الله هزواً ، أو قريباً من هذا المضمون[١].

وهذا بخلاف صفة المؤمنين المخلصين ، فانّهم لاخلوة لهم مع الشياطين ، بل يدفعونهم ويجاهدونهم ويخرجونهم إن اجتازوا عليهم ولا لهم مضيّ وتجاوز إليهم، و أعمالهم ليست استهزاءً و سخريّة ، بل من عين الحقيقة ، وهي ثقيلة متّصلة بأصولها .

و لعلّ في التعبير هنا بلفظ « **إذا خلَوا إلى شياطينهم** » إشارة إلى البيان المذكور ، فانّ لهم شياطيناً يخلون إليهم بالبيان المتقدّم ، فتدبّر .

ثمّ إنّه ما أشبه صنيع الناكثين بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام بالتفصيل المتقدّم بحال كثير من الناقصين في الايمان ، المقتصرين على الايمان الظاهري أوقليل من الباطني ، حيث إنّهم إذا لقوا أهل الصلاح والسداد والكمال في الايمان أثنوا عليهم بكلّ وجدوا ، وأظهروا نهاية الموافقة معهم في طريقتهم وعقائدهم ، و إذا خلوا إلى شياطينهم كان صفتهم على ما تقدّم ، و كثيراً ما يصرّحون بنظير ما قالوه مع المشاركين لهم في النقصان ، كما مرّت الاشارة إلى نظائره .

---

١) قال أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ : « من قرأ القرآن فمات فدخل النار ، فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً . » فراجع نهج البلاغة ، ح ٢٢٨ ،ص ٥٠٨ ؛ وهكذا رواه العياشي (ره) في تفسيره ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ح ٢٧٩ ، عن عمرو بن جميع رفعه اليه ـ عليه السلام ـ .

[بحوث حول استهزاء الله بالمنافقين]
[وإمهاله ومدده على طغيانهم]

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ

« يجازيهم جزاء استهزائهم في الدنيا والآخرة » كذا في ذيل الرواية السابقة الطويلة »[1] .

و عن ابن شهرآشوب بعد نقل ما سبق عن التفسير عن محمّد بن الحنفيّة أنّه قال ابن عباس :

« و ذلك أنّه إذا كان يوم القيامة أمر الله الخلق بالجواز على الصراط ، فيجوز المؤمنون إلى الجنّة ، ويسقط المنافقون في جهنّم [فيقول الله : يا مالك ، استهزىء بالمنافقين في جهنّم] فيفتح مالك باباً من جهنّم إلى الجنّة و يناديهم : معاشر المنافقين ، هيهنا هيهنا ، فاصعدوا من جهنّم إلى الجنّة ، فيسبح المنافقون في بحار جهنّم سبعين خريفاً حتّى إذا بلغوا إلى ذلك الباب ، و همّوا بالخروج أغلقه دونهم ، وفتح لهم باباً إلى الجنّة من موضع آخر ، فيناديهم من هذا الباب : فاخرجوا إلى الجنّة ، فيسبحون مثل الاوّل ، فاذا وصلوا إليه أغلق دونهم من موضع آخر ، و هكذا أبد

---

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٥٢٢ .

الآبدين ».[١]

وعن تفسير الامام عليه السلام أنّه قال العالم عليه السلام:

« فأمّا استهزاء الله بهم في الدنيا، فهو أنّه مع إجرائه إياهم على ظاهر أحكام المسلمين لاظهارهم ما يظهرونه من السمع والطاعة والموافقة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالتعريض لهم، حتّى لايخفى على المخاصين من المراد بذلك التعريض ويأمر بلعنهم.

وأمّا استهزاؤه بهم في الآخرة، فهو أنّه عزّ وجلّ إذا أقرّهم في دار اللّعنة والهوان أو عذّبهم بتلك الالوان العجيبة من العذاب، و أقرّ هؤلاء المؤمنين في الجنان بحضرة محمّد صلى الله عليه وآله صفيّ الملك الديّان اطّلعهم على هؤلاء المستهزئين بهم[٢] في الدنيا حتّى يروا ما [هم] فيه من عجائب اللّعائن و بدائع النقمات، فتكون لذّتهم وسرورهم بشماتتهم بهم كما [كان] لذّتهم و سرورهم بنعيمهم في جنّات ربّهم. فالمؤمنون يعرفون أولئك الكافرين المنافقين بأسمائهم و صفاتهم، و هم على أصناف:

منهم: من هو بين أنياب أفاعيها تمضغه.

ومنهم: من هو بين مخاليب سباعها تعبث به وتفترسه.

و منهم: من هو تحت سياط زبانيتها و أعمدتها و مرزباتها[٣]

---

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٥١٩.

٢) في المخطوطة: «كانوا بهم».

٣) الارزبة بالكسر والتثقيل عصا كبيرة من حديد يتخذ لتكسر المدر، وفي لغة «مرزبة» بكسر الميم مع التخفيف والعامة تثقل مع الميم (مجمع).

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

يقع من أيديها عليه بشدّد في عذابه، ويعظم حزنه ونكاله.

ومنهم: من هو في بحار جحيمها [1] يغرق، ويسحب فيها.

ومنهم: من هو في غسلينها وغسّاقها تزجره فيها زبانيتها.

ومنهم: من هو في سائر أصناف عذابها.

والكافرون والمنافقون ينظرون فيرون هؤلاء المؤمنين الذين كانوا بهم في الدنيا يسخرون لما كانوا من موالاة محمّد وعليّ وآلهما ـ صلوات الله عليهم ـ يعتقدون، فيرونهم:

منهم: من هو على فرشها يتقلّب.

ومنهم: من هو على فواكها يرتع.

ومنهم: من هو في غرفها أو في بساتينها ومتنزّهاتها يتبحبح [2] والحور العين والوصفاء والولدان والجواري والغلمان قائمون بحضرتهم، وطائفون بالخدمة حواليهم، وملائكة الله عزّ وجلّ يأتونهم من عند ربّهم بالحباء [3] والكرامات وعجائب التحف والهدايا والمبرّات، يقولون: «سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدّار.» [4] فيقول هؤلاء المؤمنون المشرفون على هؤلاء الكافرين المنافقين: يا فلان ويا فلان ويا فلان، حتّى يناديهم بأسمائهم: ما بالكم في مواقف خزيكم ماكثون؟ هلمّوا إلينا نفتح لكم أبواب الجنان

١) في المصادر: «حميمها».

٢) البحبح: الفرح والتبحبح، وهو التمكن في الحلول والمقام (مجمع).

٣) الحباء: العطية، يقال: حباه حبوة وحباء أي: أعطاه.

٤) الرعد/٢٤.

لتتخلّصوا من عذابكم و تلحقوا بنا في نعيمها . فيقولون ياويلنا أنّى لنا هذا ؟! فيقول المؤمنون : انظروا لهذه الابواب. فينظرون إلى أبواب من الجنان مفتّحة تخيّل إليهم أنّها إلى جهنّم التي فيها يعذّبون . و يقدرون أنّهم يتمكّنون أن يتخلّصوا إليها ، فيأخذون في السباحة في بحار جحيمها [1]، وعدوا من بين أيدي زبانيتها ، وهم يلحقونهم [و] يضربونهم بأعمدتهم ومرزباتهم وسياطهم فلايزالون كذلك يسيرون هناك . و هذه الاصناف من العذاب تمسّهم حتّى إذا قدروا أن يبلغوا تلك الابواب وجدوها مردومة عنهم ، و تتهدّدهم [2] الزبانية بأعمدتها ، فتنكّسهم إلى سواء الجحيم ، و يستلقي اولئك المنعّمون على فرشهم في مجالسهم يضحكون منهم مستهزئين بهم ، فذلك قول الله عزّ وجلّ : **الله يستهزىء بهم** وقوله عزّ وجلّ : **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون** .» [3]

وعن الصدوق باسناده عن ابن فضّال ، عن الرضا عليه السلام قال :

« سألته عن قول الله : « **الله يستهزىء بهم** » ؟

فقال: إنّ الله لايستهزئ ولكن يجازيهم جزاء الاستهزاء .» [4]

---

١) في المصادر : « حميمها » .

٢) في المصادر : « تدهدههم » والتدهده : التدحرج .

٣) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٥٢٢ .

٤) رواه رحمه الله في العيون ، ج ١ ، باب ١١ ، ص ١٠٣ ، ح ١٩ ؛ والبرهان، ج ١ ، ص ٦٤ ، ح ٥ ؛ ونورالثقلين ، ج ١ ، ص ٣٥ ، ح ٢٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في بيان حقيقة استهزاء الله سبحانه والمراد منه]

اقول : لمّا كان الاستهزاء والسخريّة من قبيل الباطل والجهل والعبث، كما يشهد له ما حكاه سبحانه: « قالوا اتّتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين»[١] وكان الله سبحانه منزّهاً عن مثل ذلك، لزم أن يتصرّف في اللّفظ بما يخرجه عن الدخول تحت هذه العناوين، إمّا بأن يراد منه جزاء الاستهزاء، فيكون إطلاقاً للفظ الاستهزاء على جزائه كما في قوله تعالى: « و جزاء سيّئة سيّئة مثلها »[٢]، وقوله سبحانه : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم »[٣]، كما هو المترائى من جملة من الروايات[٤]؛ و إمّا بأن يراد منه إنزال الهوان والحقارة بهم؛ لأنّ غرض المستهزء هو الخفّة والزراية بمن يهزء به، وإدخال الهوان والحقارة عليه. ويؤيّده الاشتقاق كما مرّ.

وقال بعضهم إنّه : « قد كثر التهكّم في كلام الله سبحانه بالكفرة، والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم، والدلالة على أنّ مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون، و يضحك الضاحكون »[٥] و أن يكون المراد منه معاملة مشابهة في الصورة لمايفعله المستهزئ ، وذلك باجراء أحكام المسلمين عليهم ظاهراً مع التعريض بهم حتّى لايخفى أمرهم على المخلصين في الدنيا، وإظهار صورة النجاة لهم بحيث يتخيّلون أنّ به نجاتهم، و حصول اليأس بعد الطلب والتعب في الآخرة بالتفصيل المتقدّم.

١) البقرة/٦٧ .
٢) الشورى/٤٠ .
٣) البقرة/١٩٤ .
٤) كالروايات المتقدمة في بيان حقيقة مخادعة الله مع المنافقين، وأنها ليست إلّا جزاء لمخادعتهم اليه، فراجع .
٥) الكشاف، ج ١، ص ٣٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

و لعلّ الذي يقتضيه دقيق النظر أنّ حقيقة الاستهزاء و روح معناه هو: إظهار ما يوجب خفّة المستهزء به، و ركاكة حالته، وكونه على حالة يصحّ أن يصير مضحكة للناس؛ وكشف هذه الحالة عنه استهانة بشأنه وازدراء بقدره وتحقيراً لأمره. وهذا المعنى لا يلزم أن يكون في صورة لفظ خاصّ لظهور تحقّقه بالافعال أيضاً، بل هي أقوى منه، ولا كونه في صورة الباطل واللّعب وإن كان المتحقّق في الخارج عند العرف نوعاً منه.

وهذا المعنى قد تحقّق على المستهزئين من المنافقين حال نفاقهم واستهزائهم؛ لأنّه ظهر ١ منهم أمر يوجب خفّتهم وركاكة [حالتهم]، وكونهم على صفة يليق بأن يضحك منه.

وكشف هذه الحالة عنهم استهانة بشأنهم لله و لرسوله وللمؤمنين، الّذين يرون أعمال العباد، وللملائكة الّذين يحفظون أعمالهم، و لسائر شهداء الله على خلقه من المكان والزمان والجوارح و غيرها. و هذا الاظهار والكشف والاستهانة مستمرّة، ويتجدّد حدوث ظهوره أحياناً لسائر الناس بالتعريضات الّتي ترد عليهم كما قال سبحانه:

« يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا انّ الله مخرج ما تحذرون . » ٢

و ظهور هذه الحالة يكمل بعد الموت، فيظهر باطن أمره لنفسه ولغيره من مجاوريه هناك، و يتمّ كمالاً يوم يقوم الاشهاد و تبلى السرائر، يوم تشهد عليهم أرجلهم وأيديهم وجوارحهم، ويرد عليهم الهوان والحقارة والزراية باطناً في المقام المعنويّ الثابت لكلّ أحد على حسب حاله في الدنيا عاجلاً. و ربّما يظهر أثره

---

١) في المخطوطة: « أظهر ».

٢) التوبة/٦٤.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بضرب الذلّة والمسكنة في الدنيا عليهم ، ويتمّ ظهوره عند الموت إلى نفخة الصور ، ويتمّ كمال ظهوره في القيامة الكبرى .

وكلّ هذه ممّا أورده الحقّ عليهم من الاظهار و إدخال الهوان العينيّ الخارجي ،كما يدخل المستهزئ من العباد الهوان الصوريّ الاعتباري ، ويظهره بلفظه ، بل حدوث هذه الحالة الاستهزائيّة لهم مستندة إلى الاسباب الالهيّة استناداً به يتمّ الامر بين الامرين : الجبر والتفويض . فهم المستهزؤن بأنفسهم ، والله قاض به عليهم على وجه يليق بجنابه ، و هو جاعل فعلهم الّذي هو الاستهزاء أمراً حقيقيّاً لازماً لهم في الباطن ، ظاهراً عليهم في البرزخ والقيامة كسائر أعمال العباد ، وحامله عليهم ، وملزمه على عنقهم .

ولمّا كان الجزاء مناسباً للجرم و موافقاً له بحسب المعنى ، أو ظهوراً لنفس العمل بالحقيقة العينيّة البرزخيّة في البرزخ ، والحقيقة الكاملة في المعاد الاكبر و ظهور وقوعه على عامله بعد ما كان ثابتاً معناه في غيب الدنيا عليه ، على تفصيل ربّما نذكر هنا في خلال التفسير ـ إن شاء الله سبحانه ـ كان اللازم أن يظهر صورة عملهم في مقام الجزاء واقعاً عليهم : **« هل يجزون إلّا ما كانوا يعملون »** [١] **« من عمل سيّئة فلايجزى إلّا مثلها »** . [٢]

فالمناسب أن يقع جزاء الاستهزاء هو نحو ممّن ذكر تفصيله في الرواية ، وعن ابن عباس ، الّذي لايبعد من حاله أخذه أمثال هذه المعاني عن النبي ﷺ أو أمير المؤمنين عليه السلام لمكان شدّة اختصاصه به، وملازمته له على ما يظهر ممّا يحكى عن حاله .

---

١) الاعراف / ١٤٧ ؛ والسباء / ٣٣ .
٢) الغافر / ٤٠ .

[كيفيّة استهزاء الله سبحانه بالمنافقين في الآخرة]

و لمّا كانوا في الدنيا يرون أبواب الجنّة التي منها يتمكّن الانسان من دخول الجنّة ، وهو الايمان بأغصانه وشؤونه المتقدّمة ؛ إذ به يدخل العبد الجنّة بحسب المعنى ، و كانوا متقرّبين إلى صورها و ساعين في تحصيلها بحسب الصورة ، و يطلبون بذلك النجاة الدنيويّ الصوري و هم في تلك الاحوال مستغرقون في بحار الكفر والذنوب منهمكون فيها، وكان المناسب أن يرى هؤلاء المنافقون أبواب الجنّة هناك مفتوحة . كما كانت مفتوحة في نظرهم في الدنيا . وأن يتقرّبوا إليها ويسعوا في تحصيلها ، ويطلبوا النجاة بسببها و هم في النار معذبون ، و في عذابها مستغرقون على حسب أحوالهم المختلفة حسب اختلاف حالاتهم في الدنيا .

ولمّا لم يكن ما يرونه في الدنيا باباً واقعيّاً لعماء أبصارهم عن معاينة الواقع وإنّما الذي يدركونه صورة الباب، أوكان ولم يدخلوها بالحقيقة ، وكان الدخول الحقيقي هوالموصل إلى المقصود والمنجي من المحذور. وإنّما تشبّثوا بصورة الداخل فيها ، لزم أن يكون ما شاهدوه هناك صورة أبواب الجنان أوحقيقتها ، ولكن غير مفتوحة إليهم ، و ليسوا ممّن يدخلها حقيقة ، فلم يتمكّنوا من حقيقة الدخول فيها ، ولا من حقيقة الخروج من النار ، كما كانوا مستقرّين في معنى النيران في الدنيا ، كما أنقذ المؤمنون منها في قوله سبحانه : « **و كنتم على شفا حفرة من النّار فأنقذكم منها .** »[1] فيبقون في النار، ولايحصل لهم محيص واقعي ، كما لم يحصل في الدنيا ، وعند الوصول إلى المواضع التي قدّروها أبواب منجية يجدونها مردومة كماكانت أبواب الخيرات مردومة عليهم في الدنيا في الحقيقة وإن كانت مفتوحة بحسب الصورة .

---

١) آل عمران/١٠٣ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وهذه الحالة يتجدّد حدوثه لهم حيناً بعد حين ، كماكانت أعمالهم في الدنيا يتجدّد حيناً بعد حين على هذه الصفة ، بل يستمرّ عليهم للزوم أعمالهم لهم في الدار الباقية .

و لعلّه لذلك عبّر عن استهزاء الله سبحانه بهم على صيغة المضارع ، مع أنّ حكاية قولهم كانت بصيغة الجملة الاسميّة .

ثمّ لمّا كانت انفتاح أبواب الصور في الدنيا لهم بتوسّط المؤمنين ، إذ هم الذين يبلّغونهم الدين ويظهرونه لهم قولاً و فعلاً ، مع استغراقهم في باطن النيران كانت مناسبة الجزاء قاضية بأن يكون انفتاح تلك الابواب هناك من نحو طرف المؤمنين أيضاً .

و أيضاً لمّا كان من العدل أن يجزى كلّ سيّئة بمثلها والاعتداء بمثل ذلك الاعتداء ، وكانوا مسيئين معتدين على المهتدين بالاستهزاء ، صحّ في عدله سبحانه أن يوقع عليهم مماثل فعلهم ، الذي ارتكبوها بالنسبة إلى المؤمنين ، حتّى يظهر حكم العدل منه سبحانه. وفي هذا تسلية للمؤمنين في تحمّل استهزائهم ؛ إذ لاقدر له بالقياس إلى ما يرد على أنفسهم ، بل في نفس كون الحقّ في مقام المقابلة والمجازاة كفاية في السلوة عند العارفين .

و لعلّ بالتأمّل فيما ذكر تقدر على استخراج سائر الخصوصيّات ، فلاحظ وتدبّر ، وعسى أن تجد فيه ما أخطأ فيه النظر القاصر ، والله الهادي .

وَيَمُدُّهُم في طُغْيانِهِم يَعْمَهُونَ

«يمهلهم فيأتي بهم برفق، ويدعوهم إلى التوبة ، ويعدهم إذا تابوا [1] المغفرة. يعمهون ، وهم يعمهون لايرعوون عن قبيح ، ولايتر كون أذى لمحمّد ﷺ وعليّ

1) خ . ل : « أنابوا » .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ﷺ [ما] يمكنهم ايصاله إليهما إلا بلغوه . » كذا في ذيل الرواية السابقة من قبل [١] .

[في معاني المدّ والطّغيان والعمه]

وقال القمي فيه : «أي: يدعهم» [٢] كأنه فسّر المد بالدعة، وأصله إمّا « من مدّ الجيش وأمدّه إذا زاده ، و ألحق به ما يقوّيه و يكثره ، و كذلك مدّ الدواة و أمدّها زادها ما يصلحها ، و مددت السراج والارض إذا استصلحتهما بالزيت والسماد ، و مدّه الشيطان في الغي إذا واصله بالوساوس حتّى يتلاحق غيّه ، و يزداد انهماكاً فيه . » ، أومن « مدّ الله في عمره، ومدّه في غيّه؛ أي : أمهله وطوّل له » على ما نصّ عليه الجوهري و إن أنكر في الكشّاف [٣] ذلك ، و ذكر : « أنّ الذي بمعنى أمهله إنّما هو مدّ له مع اللام كأملى له » بعد أن استدلّ على تعيين الاوّل بقراءة « ابن كثير » و« ابن محيص » ويمدّهم من الامداد ، وقراءة « نافع » و اخوانهم يمدّونهم ، مع أنّه لم يستعمل أمدّ من المدّ ، بل من المدد على ما ذكره بعض المحشّين عليه في تعميم وجه الاستدلال والاخير غير تامّ الدلالة بعد كون الظاهر وحدة القرائة الواقعيّة و أنّ الاختلاف من قبل الرواة ، فلا يثبت ببعض القرائات حال البعض الآخر .

وما ذكره من عدم كونه متعدّياً بنفسه بعد مخالفته لظاهر كلام الجوهري غير ثابت على أنّ الحمل على الحذف والايصال أيضاً ممكن وإن كان خلاف الظاهر.

ومنه يظهر النظر في السؤال والجواب الذين أوردهما [٤] بقوله : « فما حملهم

---

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٣ ص ٥٢٢ .

٢) القمي ، ج ١ ، ص ٣٤ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٣٥ .

٣) الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٥ .

٤) نفس المصدر ، ص ٣٦ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

على تفسير المدّ في الطغيان بالامهال ، وموضوع اللّغة كما ذكرت لايطاوع عليه » فأجاب بأنّه : «استجرّهم إلى ذلك خوف الاقدام على أن يسندوا إلى الله ما أسند إلى الشياطين ، ولكنّ المعنى الصحيح ما طابقه اللّفظ ويشهد لصحّته ، وإلاكان منه بمنزلة الاروى من النعام . و من حقّ مفسّر كلام الله الباهر و كلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدّي سليماً عن القادح، فاذا لم يتعاهد أوضاع اللّغة ، فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل . »

وبالجملة فالظاهر عدم خروج شيء من المعنيين عن قانون اللّغة على ماعرفت ويؤيّده ظاهر الثاني منهما ماتقدّم عن تفسير الامام عليه السلام وتفسير القميّ وإن أمكن تطبيقهما على أخذه من المدد بتصرّف في معنى المدد ، و لعلّ المعنى الاوّل أقرب إلى ظاهر الآية .

والطغيان أصله : التجاوز عن الحدّ على ما قال الجوهري : «طغا يطغا و يطغو طغياناً أي : جاوز الحدّ ، و كلّ مجاوز حدّه في العصيان طاغ ، و طغي بالكسر يطغى مثله. وأطغاه المال أي: جعله طاغياً، وطغى البحر: هاجت أمواجه.»

و فسّر الطغيان في الآية جماعة بـ « الغلوّ في الكفر ، و مجاوزة الحدّ في العتوّ . »[١]

ولعلّ ما فسّره بعضهم به من الغيّ والكفر أولى منه ؛ إذ كلّ كفر وعتوّ طغيان و تجاوز عن الحدّ ؛ سواء غلى فيه وتجاوز عن الحدّ فيه أم لا . ولعلّهم لم يريدوا التقييد أيضاً ، أوجعلوه منصرفاً إلى الفرد الكامل ، وفيه تأمّل أيضاً .

و « العمه » على ما في الصحاح « التحيّر والتردّد » ، وقال : « أرض عمهاء : لاأعلام بها . وذهبت ابله العمّهى إذا لم يدر أين ذهبت . »

---

١) راجع نفس المصدر .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

وذكر جماعة أنّ : « العمه مثل العمى إلا أنّ العمى عامّ في البصر والرأي ، والعمه في الرأي خاصّة وهو التحيّر والتردّد ، لايدري أين يتوجّه . »[1]

[في بيان حقيقة إمهال الله المنافقين ومدده على طغيانهم]

ثمّ إنّه إن أخذ يمدّ في الاية من المدّ بمعنى الامهال والاملاء فلا إشكال في نسبة ذلك إلى الله سبحانه ؛ إذ لو [لا] إمهاله و أناته وتمكينه إيّاهم ما قدروا على الطغيان والكفر والغي ، ولم يقع منهم ذلك .

ولعلّ السرّ في إعطاء المهلة لهم في هذه الحالة إتمام الحجّة عليهم، خصوصاً مع انضمام ما مرّ من دعوتهم إلى التوبة ووعد المغفرة على تقدير الانابة والتوبة.

وإن أخذ من المدد فربّما يتوجّه سؤال ، وهو أنّه : كيف يعطيهم المدد في الطغيان و هو من فعل الشياطين ، كما يظهر من قوله سبحانه : «**وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثم لايقصرون .**»[2] ؟

و أجيب بالحمل على أنّهم لمّا منعهم الالطاف الّتي يمنحها المؤمنين ، و خذلهم بسبب كفرهم وإصرارهم عليه، بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين ، فسمّي ذلك التزايد مدداً ، وأسند إلى الله سبحانه لأنّه مسبّب عن فعله بهم بسبب كفرهم، وعلى منع القسر والالجاء ، وعلى إسناد فعل الشيطان إلى الله سبحانه ؛ لأنّه بتمكينه و إقداره والتخلية بينه و بين إغواء عباده ، و قد سبق في البحث عن الختم على القلوب والاسماع ما يظهر منه الحال في الجواب عن الاشكال .[3]

---

١) نفس المصدر .

٢) الاعراف/٢٠٢ .

٣) ص ٤٤٦ ـ ٤٥٣ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و نقول :

إنّ الّذي يظهر من حال الممكن أنّه لايستغني في حال من حالاته عن ربه من دون فرق بين حالتي حدوثه وبقائه ، و أنّه في الحالين محتاج إلى إقامته إيّاه في الاعيان من دون تفاوت ، والعبد إنّما يطغى بعد فرض وجوده واتّصافه بالقدرة والعلم والشعور و غير ذلك من صفاته ، و بعد فرض وجود الاسباب المطغية له ، و كلّ هـذا من مدد الحقّ سبحانه عليه حدوثاً و بقاء ، و ليس من شرط المدد أن لا يصلح إلا لخصوص ما يمدّه بحيث لا يكون مدداً لغيره ، بل يجوز أن يكون صالحاً لأمرين متضادّين ، فاذا صرف الممدّ له المدد في أحدهما صحّ أن يقال : إنّ الممدّ أمدّه في ذلك و إن لم يعين عليه ، و لم يكن متعيّناً الامر الّذي صرفه فيه.

و لمّا كان كلّ ما في الكون ممّا يتعلّق بالانسان من نفسه و قواه و أعضائه و سائر الاسباب المهيّئة له صالحة لفعل الطاعة والمعصية ، و مجموع ذلك مدد للمكلّف في طاعته ومعصيته ، فاذا صرف العبد ذلك في المعصية، وجعله وسيلة إلى العصيان ، فقد أمدّه الحقّ في معصيته وطغيانه .

ثمّ إنّه إنّما يفعل بالله وبحوله و قوّته ، وهو مفتقر في فاعليّته إلى ربّه ، وهذا أيضاً مدد له. والطغيان الذي يصدر منه أيضاً موجودمن الموجودات، محتاج في تحقّقه إلى وصول المدد إليه ، وله أصل كلّيّ تحت الجهل الكلّيّ منفصلاً عن هذا العالم بأسرها؛ كسائر جنود الجهل إن لم نعمّم الطغيان لجميعها، وإلا فأصله نفس الجهل الكلّي وجنوده بأسرها ، والطغيان الحادث في كلّ نفس يستمدّ من ذلك الطغيان الكلّيّ ويتحقّق بسببه. والجهل وجنوده كلّها ممّا خلقهالله سبحانه و أبقاه في عالمه[١] بناء على إثبات ذلك العالم ، كما لعلّه سيجيء بيانه في مطاوي

١) راجع رواية الكليني (ره) فيالكافي باسناده عن سماعة بن مهران، عن أبيعبدالله ←

الابحاث ـ إن شاء الله تعالى ـ .

ثمّ إنّه غير خارج عن مشيّة الله و قضائه و قدره بناء على ما أشرنا إليه من عدم خروج المعاصي عنه ، ولعلّه ستعرف التفصيل .

[وجه اضافة الطغيان الى المنافقين]

ثمّ إنّ في إضافة الطغيان إليهم كأنّه إشارة إلى ما ذكره في الكشّاف من « أنّ الطغيان والتمادي في الضلالة ممّا اقترفته أنفسهم، واجترحته أيديهم، وأنّ الله بريء منه ردّاً لاعتقاد الكفرة القائلين: لو شاء الله ما أشركنا، ونفياً لوهم من عسى يتوهّم عند إسناد المدّ إلى ذاته لو لم يضف الطغيان إليهم أنّ الطغيان فعله . ولمّا أُسند المدّ إليه على الطريق الذي ذكر أضاف الطغيان إليهم ليميط الشبهة ويقلعها ، ويدفع في صدر من يلحد في صفاته .»[1] وأكّد ذلك بترك إضافته الغيّ حيث أسند إلى الشياطين في قوله : « **واخوانهم يمدونهم في الغي** » . و غرضه الردّ على المجبّرة و إن كان هو بنفسه أيضاً خارجاً عن الميزان المستقيم ، مائلاً إلى التفويض على ما يظهر من جملة كلماته ، و فيه إشارة إلى تكفير جمهور أهل مذهبه .

[في أنواع الطغيان وأن النفاق هو الطغيان]

ثمّ إنّ سائر أقسام النفاق أيضاً ممّا يجري عليهم المهلة والمدد في الطغيان مستنداً إلى الله سبحانه بالوجوه المتقدّمة على ما سبق. فانّ الطغيان على ماسبق ضدّ العبوديّة الّتي هي حدّ العبد الّذي من تجاوزه تجاوز حدّه وعتى وغاز ، وهي غاية

ـعليه السلام ـ في بيان العقل والجهل وجنودهما وما يتعلق بهما؛ تجده في المجلد الاول من المصدر كتاب العقل والجهل ، ح ١٤ .

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع ٠ ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

الخضوع ، أو الخضوع مطلقاً على ما سبق ، و هو مقام المؤمنين المخلصين لاالمخالفين ظواهرهم لبواطنهم ، فانّهم خارجون عن تحت الخضوع بقدر ما يصدر منهم من ذلك ؛ إذ ليس هذا من شؤون الخضوع و العبوديّة والطاعة ، بل من شأن أنانيّة النفس و استعلائها ، وطلبها الجاه والكبرياء ، بل كلّ غصن من أغصان النفاق بالمعنى المتقدّم تجاوز عن الحدّ و كفر ، وتجاوز فيه على بعض الوجوه المتقدم إليها الاشارة ، بل لايبعد أن يندرج كلّ ما خرج عن الايمان و أغصانه و شؤونه تحت الطغيان لكونه تجاوزاً عن الحدّ الّذي هو العبوديّة المطلقة، كما يظهر من تطبيق صفات نفسه مع صفات ربّه ، و سائر الوجوه المتقدّم إليها الاشارة في شرح كلمة الجلالة .

ثمّ إنّهم في ذلك عامهون متحيّرون متردّدون لانسلاب نور المعرفة واليقين منهم ، و استيلاء الظلمة الموجبة لذلك عليهم ، سالكون أرضاً عمهاء لاأعلام لها ، و ذهبت إبل نفوسهم العمهى ؛ إذ لا يدرون أين ذهبت ، بل إذا أخرجوا أيديهم لم يكد يروها ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور [1] . وأصل ذلك كلّه هو حالة الطغيان ، كما أنّ أصل حالة البصيرة والسكينة والثبات هو العبوديّة على ما ظهر ويظهر لك ــ إن شاء الله سبحانه ــ .

ثمّ إنّ لأنواع من الطغيان بالمعنى الاعمّ خصوصيّة في تحقّق العمى في القلب ؛ كالكبر والعجب والفخر و أمثالها ، فانّها توجب أحوالاً مضادّة للهداية و البصيرة ، بل تمنع البصيرة عن الادراك ، و هي العمدة في أسباب النّفاق بالمعنى المتقدّم .

ثمّ إنّ مدّهم في طغيانهم و هم يعمهون نوع من الاستهزاء بالمعنى المتقدّم

---

١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور ،آية ٤٠ ، وهو : « . . . إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . »

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

كما يظهر وجهه بالمراجعة. وبه يظهر وجه اتّصال وارتباط معنويّ بين الجملتين بل بين المجموع وسابقته. و هذا العمه الحاصل لهم مقابل للهدى الثابت للمؤمنين في بعض الوجوه، و مضاهٍ للختم والغشاوة اللّتين أُثبتتا للكافرين، و ربّما يؤكّد ذلك اتّباع تلك بقوله سبحانه: « **أولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وماكانوا مهتدين** »

[بحوث حول الضّلالة والهداية]

[و تجارة المنافقين باشتراء الاولى بالاخرى]

[أُولئكَ الَّذينَ اشْتَرَوُا الضّلالَةَ بالهُدى فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهم وَما كانُوا مُهْتَدينَ]

«**أولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى**، باعوا دين الله، و اعتاضوا منه الكفر بالله **فما ربحت تجارتهم**؛ أي: ما ربحوا في تجارتهم في الآخرة لأنّهم اشتروا النار و أصناف عذابها بالجنّة الّتي كانت معدّة لهم لو آمنوا، **وما كانوا مهتدين** إلى الحقّ والصواب.»[1] كذا عن العالم عليه السلام فيما ربّما يحكى من تفسير الامام عليه السلام.

وفي تفسير القمي:

«الضلالة ههنا: الحيرة، والهدى: [هو] البيان، فاختاروا الحيرة والضلالة على الهدى والبيان.»[2]

[كيفيّة اشتراء الضّلالة بالهدى]

اقول: اشتراء الضلالة التي هي ضدّ الرشاد، و فقد الاهتداء، والجور عن القصد: اختيارها عليه، واستبدالها به؛ إذ حقيقة الاشتراء إعطاء شيء و أخذ شيء مكانه، فهؤلاء تركوا الهدى و أخذوا الضلالة مكانه بعد تمكّنهم من الهدى، و قدرتهم عليه، فكأنّهم كانوا مالكين له مسلّطين عليه، فأعرضوا عنها و تركوها،

---

١) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ، ص ٤٧ ـ ٤٨؛ والصافي، ج ١، ص ٦٣؛ والبرهان، ج ١، ص ٦٤.

٢) القمي، ج ١، ص ٣٤؛ والبرهان، ج ١، ص ٦٤.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) *****

وجعلوا مكانه الضلالة. فهذه صورة معاملتهم في متجر الدنيا وسوقها المعدّ لتحصيل الربح الدائم والثواب العظيم. ولمّا كان الهدى هو الاصل في كلّ خير باقٍ لكون الملكات والاحوال والنيّات، والاعمال كلّها من توابع الهداية، والضلالة المقابلة له هي أصل كلّ شرّ حقيقي، كان هؤلاء المستبدلين خاسرين في تجارتهم، و ما كانوا مهتدين إلى طريق التجارة؛ لأنّهم أضاعوا الربح الذي هو فضل التجارة، و رأس المال الذي هو الهداية الّتي هي مال التجارة، التي لم يبق لهم مع الضلالة، و لم يحصل لهم سوى الضلالة التي هي أصل كلّ شرّ و مقصود التاجر هو بقاء رأس المال والربح، وعدم حصول الضرر عليه، وهؤلاء ذهب عنهم الأوّلان، ولزم عليهم الامر الثالث مضافاً إلى ضرره السابق.

ثمّ إنّ مراتب الهداية والضلالة متقابلة. فالهداية الموهوبة الالهيّة عقيب سعي العبد في مقام العبوديّة في مقابلة الضلالة الحقيقيّة تقابل النور والظلمة، والمعرفة الفطريّة التي فطر الناس عليها، التي هي أولى بصدق الاشتراء عليه في مقابل الضلالة الحاصلة من الاحتجاب عنه، واليقين الاكتسابيّ البرهاني في مقابلة الشكّ والجهل المركّب، والعلوم الاكتسابيّة في مقابلة الجهل بها بسيطاً أو مركّباً، وكذا الامور المترتّبة على تلك الهدايات من السداد والاستقامة والرشاد والاحوال والملكات الحسنة، والنيّات الخالصة، والافعال الصالحة في مقابلة أضدادها. والانسان في الدنيا كأنّه مجبول بالتجارة و اكتساب مصالحه بما عنده من العمر والاعضاء والادوات الخارجيّة، والقوى الداخليّة، والادراكات الحاصلة له، فيستعملها في أخذ شيء و تحصيله، و ترك شيء ودفعه، كأنّه يحسّ من نفسه أنّه خلق لأجل الاكتساب والتجارة، لكنّ التجارات والاكتسابات مختلفة، فتجارة المؤمنين رابحة يسّرها لهم ربّهم؛ كما وصف المتّقون بها في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام[١]

١) قال عليه السلام في وصفهم: «تجارة مربحة، يسرها لهم ربهم.» راجع نهج البلاغة، خ ١٩٣، ص ٣٠٤.

[في تشبيه المنافقين بالمستوقد]

[النّار الَّذي أذهب الله نوره و تركه في الظُّلمة]

[في بيان معنى المثل ووقود النار]

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذي اسْتَوْقَدَ ناراً

«المثل في أصل كلامهم بمعنى المثل، وهو : النظير؛ يقال: مثل ومثل ومثيل؛ كشبه وشبه وشبيه . ثمّ قيل للقول السائر الممثّل مضربه بمورده : مثل . ولا يخلو من غرابة ، ومن ثمّ حوفظ عن التغيير ... وقد استعير المثل للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنّه قيل: حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد ناراً ، و كذلك قوله : « **مثل الجنّة الّتي وعد المتّقون** » . . . [1] « **و لله المثل الأعلى** » [2] أي : الوصف الذي له شأن من العظمة و الجلالة ، و قوله : « **مثلهم في التوراة** » [3] أي : صفتهم وشأنهم المتعجب منه . » [4] كذا ذكره بعضهم .

وفي الصحاح : « مثل كلمة تسوية ؛ يقال: هذا مثله ومثله ، كما يقال : شبهه وشبهه بمعنى ـ إلى أن قال : ـ والمثل ما يضرب به من الأمثال، ومثل الشيء صفته أيضاً . » انتهى .

و كأنّ إطلاق لفظ المثل على القول من قبيل توصيف اللّفظ بما هو من صفات

---

١) الرعد/٣٥ ؛ ومحمد ـ صلى الله عليه وآله ـ /١٥ .

٢) النحل/٦٠ .

٣) الفتح/٢٩ .

٤) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٨ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ثمّ إنّ أقسام النفاق بالمعنى المتقدّم كلّها مشتركة في اشتراء الضلالة بالهداية؛ إذ الهداية الموهوبة وظهور الهداية الفطريّة وكمالها إنّما يحصلان للعبد بالتحقق بالايمان الحقيقي بشؤونه وأغصانه، لا بالاتّصاف بصفات المنافقين والاتيان بأفعالهم. وكذا يجري نظير ذلك في سائر المراتب بالنسبة إلى كثير من أقسام النفاق، و يظهر التفصيل بالتأمّل فيما سبق.

ثمّ إنّ المعاملة الواقعة بين الهدى والضلالة الذين هما الأصلان في المقامين تجري في جميع آثارها، فقد اشتروا الاسلام بالكفر، والسعادة بالشقاوة، والآجلة بالعاجلة، والآخرة بالاولى، والامر الحقيقيّ بالامر الوهمي، والجنّة بالنار إلى غير ذلك، بل و في مبدأ الهداية والضلالة في النفس، فانّ النفس لها صلاحيّة لقبول الهداية وطلبها، وميل شأنيّ نحوها من طرف العقل والفطرة. ولها صلاحية للاتّصاف بالضلالة، وطلب ما يترتّب عليه الضلالة وإن لم يشعر به، و ميل شأنيّ نحوه من طرف النفس وأسباب الحجاب الطاري على الفطرة، فلاتغفل.

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

المعنى ؛ كالكلّيّة والجزئيّة وغيرهما لما بينهما من العلاقة والربط معنى؛ إذ مدلول المثل أمر هو مماثل للممثّل له ونظيره ، و إطلاقه على الصفة والحال باعتبار كون الصورة والحال الظاهر في الكلام الذي هو المعنى المتصوّر عند النفس مماثلاً لما حلّ في الممثّل ، كما يقال للصورة التمثال ، ويقال: مثّلت له تمثيلا إذا صوّرت له مثاله بالكتابة وغيرها .

و احتمل في الموصول هنا أن يكون موضوعاً موضع « الذين » ؛ كقوله : « **وخضتم كالّذي خاضوا** » [١] باعتبار أنّ « الذي » وصلة إلى وصف كلّ معرفة بجملة و تكاثر وقوعه في كلامهم . و كونه مستطالا بصلته ، فصار خفيفاً بالتخفيف ، و أنّ جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون ، إنّما ذلك علامة لزيادة الدلالة ، كما يشهد له وحدة لفظ سائر الموصولات في الجمع والواحد ، و أن يكون المراد جنس المستوقدين وإن يراد الجمع أو الفوج الذي استوقد ناراً.

و هذه الوجوه إنّما يوجّه لأجل إرجاع ضمير بنورهم و ما بعدها إلى الموصول ، وإلا فتشبيه مثل جماعة المنافقين بمثل الشخص الذي استوقد ممّا لاضير فيه أصلا . فعلى تقدير عدم إرجاع ضمائر الجمع إلى لفظ الموصول يتعيّن إبقاء اللّفظ على ظاهره .

و لعلّ أولى الوجوه إرادة الجنس من الموصول بحيث يشمل الواحد والمتعدّد بعد النظر إلى المعنى واللّفظ معاً ، كما يظهر وجهه بالتأمّل .

و وقود النار : سطوعها و ارتفاع لهبها ، والنار : جوهر لطيف مضيء حارّ محرق ، والنور : ضوئها ، وهو نقيض الظلمة .

---

١) التوبة/ ٦٩ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[في معنى الاضاءة]

فَلَمّا أَضاءَتْ ما حَوْلَه

الاضاءة : فرط الانارة ، كما يؤيّده قوله سبحانه : « **جعل الشمس ضياء والقمر نورا** . » [١]

والظاهر كون «ما» موصولة ، وهو مفعول أضاءت ، وإن احتمل أن يكون الفعل لازماً ، والموصولة فاعله ، والتأنيث باعتبار المعنى ؛ لأنّ ما حول المستوقد أماكن وأشياء ، وأن يستتر في الفعل فاعله ، ويكون «ما» مزيدة أوموصولة بمعنى الامكنة . و على كلّ حال فـ « حوله » منصوب على الظرف ، و تأليفه للدوران والاطافة ، ولاجله قيل للعام حول ؛ لانّه يدور . كذا ذكروه [٢] .

ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِم [وَ تَرَكَهُم في ظُلُماتٍ لايُبْصِرُونَ]

يحتمل أن يكون جواب « لمّا » ، فيكون الضمير راجعاً إلى الّذي استوقد باعتبار المعنى بناء على كونه جمعاً في المعنى ، و يكون إفراد الضمير سابقاً باعتبار اللّفظ . كذا ذكروه .

ولعلّ الاولى منه ما ذكر من إرادة الجنس ، ويكون توحيد الضمير أولاً باعتبار ملاحظة الجنس أمراً واحداً بالوحدة الصنفيّة، وجمعه ثانياً باعتبار ملاحظة تحقّقه في ضمن الجماعة ، ووجوده في ضمن عدّة أشخاص فرضوا مستوقدين، وليس هذا من الاستخدام في شيء ، كما هو ظاهر ، و كذا الكلام في قوله سبحانه : « **وتركهم في ظلمات لايبصرون** » .

و ترك بمعنى : طرح و خلى إذا علّق بواحد ، فاذا علّق بشيئين كان مضمّناً

---

١) يونس/٥ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٨ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

معنى صيّر، ويجري مجرى أفعال القلوب، ومنه المقام بحسب الظاهر وإن احتمل فيه كونه هنا بمعنى طرح. و يكون في ظلمات لا يبصرون حالين مترادفين أو متداخلين.

والظلمة : عدم النور على ما ذكره في الكشّاف [1] ، والصواب زيادة قيد ، و هو كونه عمّا من شأنه النور ، كما عن الحكماء . و قيل : « عرض ينافي النور . و اشتقاقها من قولهم : « ما ظلمك أن تفعل كذا ؛ أي : ما منعك وشغلك ، لأنّها تسدّ البصر ، وتمنع الرؤية . » على ما ذكر بعضهم [2] .

وفي جمع الظلمة وتنكيرها وإتباعها بما يدلّ على نفي الابصار مطلقاً ، و هو قوله : « لايبصرون » ، و إسقاط المفعول منه بمنزلة المتروك المطرح الذي لايخطر بالبال على ما قيل ، دلالة على أنّ الظلمة بلغت مبلغاً يبهت معها الواصفون .

وفي تعليق الذهاب بالنور لاالضوء الذي كان يناسبه المقابلة، ونسبة الذهاب به إلى الله سبحانه تأييد لذلك .

والاحتمال الثاني في قوله : ذهب الله بنورهم » أن لا يكون جواب « لمّا » ، فيكون جواب « لمّا » محذوفاً بقرينة ما بعده ، و هو مثل طفئت النار الموقدة و خمدت ، وبقي خابطاً متحيّراً في الظلمات .

وحينئذ يكون الجملة المذكورة بمنزلة بيان اوجه المشابهة بين حال المنافقين والمستوقدين، ومرجع الضميرين إلى المنافقين ، وهوأنسب بايرادها جمعاً على خلاف الضمائر السّابقة ، كما أنّ ذهاب النور أقرّ مناسبة لحال مستوقد النّار من حال المنافقين ،كما أنّ لفظ النور و الظلمات و نفي الابصار ربّما يترائى من ظواهرها تأييد الوجه الاول نظراً إلى بقائها على معانيها العرفيّة الشائعة .

---
١) نفس المصدر ، ص ٣٩ .
٢) نفس المصدر.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في بيان وجه تشبيه المنافقين بالمستوقدين]

وعلى كلّ حال فالتشبيه الواقع بين مثلي المنافقين ومستوقد النار تارة يؤخذ تشبيهاً مركّباً ، والمراد به أن ينتزع كيفيّة أمور متعدّدة فيشبّه بكيفيّة أُخرى كذلك ، فيقع في كلّ من الطرفين عدّة أمور ربّما يكون التشبيه فيما بينهما ظاهراً ، لكن لايلتفت إليه ، بل إلى الهيئة الحاصلة من المجموع ، كما في قوله[1] :

و كأنّ أجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على بساط أزرق

ويكون التشبيه مركّباً .

وأُخرى يؤخذ مفرّقاً ، فيكون التشبيه واقعاً بين عدّة أمور مفردة وأُخرى كذلك ، وينحلّ إلى تشبيهات عديدة بين أمور كذلك .

ومنهم من قال : هذا التشبيه ليس مفرّقاً ولامركّباً ، وإنّما يكون كذلك لو كان نسبة أشياء إلى أشياء و ليس كذلك ، بل هو تشبيه شيء هو حال المنافقين بشيء هو حال المستوقد ، و وجه الشبه اسم الاضائة والظلمة ؛ أي : كما في حال المستوقد مايسمّى إضائة وظلمة، فكذا في حال المنافقين. ووقوع الاسم في أحدهما بالحقيقة و في الآخر بالمجاز لايقدح في اشتراك الاسم ، و كأنّه مناقشة لفظيّة ، و إلا فمعنى التشبيه المركب موجود فيما ذكره كما يظهر بالتأمل فيما قدّمناه .

وحينئذ فالامر دائر بين الامرين المذكورين . وعلى تقدير كونه مركّباً فوجود المشابهة بين المفردات و إن لم يكن لازماً ولاملحوظاً من حيث هي ، لكن وجو[د]ها بين المفردات بأسرها ممّا يقوّي المقصود من التشبيه و يؤكّده ، بل يصير غالباً سبباً لقوّة المشابهة بين المركّبين ، لأنّ المركّب في الخارج ليس إلا الاجزاء والهيئة التركيبيّة القائمة بها .

---

١) هو من قصيدة لأبي طالب الرقي، نقله التفتازاني (ره) في المطول في باب التشبيه فراجع .

و على تقدير أخذ التشبيه بين المفردات وجود المشابهة بين الهيئتين أيضاً كذلك، بل لاضير في اعتبار الهيئه أيضاً من الامور المفرّقة التي يوقع التشبيه بينها. والظاهر في المقام كون التشبيه مركّباً ، كما هو الشأن في مطلق التمثيل بالمعنى المصطلح عليه ، وإيراد الامثال الغير البسيطة ممّا هو شائع عند العرب ، بل ربّما صنّف في شأنها الكتب .

[في تطبيق مفاد الآية على حال المنافقين]

و حينئذ فلنشرع في تطبيق الاجزاء المذكورة في الاية على حال المنافقين مفردات ، ثمّ نتمّمه ببيان المشابهة بين الجملتين من حيث التركيب على حسب ما نتصوّره من المشابهة ، والعلم عندالله سبحانه . فنقول :

المفروض في المثال «استوقد ناراً»، وأضائت النار ما حول المستوقد، و« ذهب الله بنورهم » ، و « تركهم في ظلمات لا يبصرون » بناء على كون الجميع مثالاً . و المنافق أيضاً أمّا استيقاده النار ، فهو مشابه لحال المنافقين من حيث إظهارهم الاسلام، وتديّنهم به ظاهراً، وللالتزام بما يظهر منه في توجّه طمعهم وطلبهم إلى شيء مطلوب بسبب مباشرة أسبابه القريبة؛ وإضائة ما حوله لحالهم من حيث احتقان دمائهم و أموالهم بها ، ومشاركتهم المسلمين في الغنائم والعزّة الظاهريّة ، و سائر منافع الاسلام من الامور الدنيويّة الظاهريّة التي وصل إليهم؛ وذهاب الله بنورهم و تركهم في ظلمات لحالهم من حيث تعقّب الحرمان والخيبة لانقلاب الاسباب قليلاً في الدنيا بقدر ما ظهر من آثار نفاقهم فيها ، و كمالاً عند الموت إلى الابد ؛ إذ ذهب نور صورة إسلامهم عند إخراج الله إيّاهم عن عالم الصورة بالامانة، و بطل عنده المنافع التي كانت تترتّب على الصورة المجرّدة ، و تركوا في ظلمات نفاقهم و كفرهم ومعاصيهم لايبصرون فيها أصلا ، وإدّائهم تلك الظلمة إلى ظلمة العقاب

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

السرمد . ويؤكّد وجه المشابهة بين إضائة النار ما حوله وبين المنافع القليلة التي ظهرت في الخارج أنّ الخارج هو محلّ استيقادهم النار ؛ إذ ليس لهم من الاسلام إلا الظواهر الخارجيّة ، وهي ممّا تضيء ما حوله من الآثار الظاهريّة ، ولاتمتدّ إلى سائر الاطراف .

وحينئذ فيصحّ أن يجعل ذهاب نورهم أنّ وراء استضائتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق الباطنيّ المؤدية إلى ظلمات البرزخ و القيامة و العقاب ، فيكون بين الحالين في المنافقين باعتبار عالم الظاهر والباطن ، وفي المستوقد زمانيّاً .

وإذهاب الله نورهم عن الباطن مع أنّه لم يكن قطّ مستنيراً ، يمكن أن يكون باعتبار منع الحقّ من تأثير هذه الصور الاسلاميّة الصادرة منهم من دون حقيقة عن نفوذه في الباطن ، وتنويره إيّاه بنور الايمان ، أو باعتبار الطبع والختم الواقعين على بواطنهم وغيرهما من سائر أسباب الظلمة الباطنيّة .

وربّما يذكر في هنا وجه مشابهة آخر يكون به مطابقاً لما سبق من اشترائهم الضلالة بالهدى، وذلك بأن يمثّل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها ، و الطبع الواقع على قلوبهم بذهاب الله بنورهم ، و تركهم في الظلمات .

[وجوه المشابهة بين النّار والدّين]

ثمّ إنّ التأمّل التامّ في حال مستوقد النار يؤدّي إلى أنّه يطلب أمراً يظهر به نور ، ويترتّب عليه منافع من دفع البرودة ، وإنضاج ما ليس بمنضج، و تلطيف ما ليس بلطيف ، وتأليف ما ليس بمؤتلف ، وإحالة ما يتشبّث به ، وتصعيد أجزائه إلى السماء .

وإذا تأمّلت في حال دين الاسلام بتمام شؤونه الظاهريّة والباطنيّة ، فربّما

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

أدّاك إلى أنّه ممّا استجمع فيه هذه الصفات بأسرها باعتبار ظهور النور والهداية على ما سبق ، واندفاع برودة الطبع به بحصول الشوق والرغبة والمحبّة وغيرها به، وانضاجه النفس الحيوانيّة التي ليست بمنضجة ، وتلطيفه الطبع الكثيف، وتأليفه بين الاشخاص المتباينة بجامع المشاركة في الدين ، و بين الاعمال المختلفة المتضادّة المرتبطة كلّ منها إلى جزء من مصالح الدّنيا والآخرة بجامع الاخلاص و وحدة الغاية والداعي ، وبين العقل والنفس والقوى والاعضاء بالعدل بينها وسلوكها كلّا إلى الصراط المستقيم ، و إحالته النفس التي يتشبّث بها من مقام الامّارة إلى اللّوّامة والمطمئنّة، وتصعيده الارواح التي تتشبّث بها إلى العالم الاعلى ؛ كما ورد في صفة طائفة : « أنّهم صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلّقة بالملأ[1] الاعلى » في كلام أميرالمؤمنين (عليه السلام) [2] على ما يبالي .

و إن شئت مزيد بيان للمشابهة بين الدين والنار فانظر إلى كلامه (عليه السلام) في صفة من يصفه نفسه على ما حكي عن نهج البلاغة :

«قد أحيا عقله وأمات نفسه، حتّى دقّ جليله ولطف غليظه و برق له لامع كثير البرق ، فأبان له الطريق ، و سلك به السبيل ، و تدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الاقامة ، و ثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الامن والراحة ، بما استعمل قلبه ، وأرضى ربّه . » [3]

فانظر إلى هذه الصفات ، و قايسه إلى صفات النار ، أو ليست النار تميث

---

١) خ . ل : « بالمحل » .

٢) فقرة من كلامه ـ عليه السلام ـ لكميل بن زياد النخعي (قده)، راجع نهج البلاغة ح ١٤٧ ، ص ٤٩٧ .

٣) نهج البلاغة ، خ ٢٢٠ ، ص ٣٣٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الحطب الذي توقد بها ، و تحيي الشعلة التي تقوم بها ، و تدقّ جليل الحطب ، و تلطف غليظه حتّى يصير الحطب الكثيف دخاناً لطيفاً ، ويظهر بسببها لمعان النور الذي يبين المساكن بطرقها ، و يتمكن السالك من سلوك السبيل في ضوئه حتى يصل إلى مقصده و مقامه ، و به يثبت رجلا السالك ، و يطمئنّ بدنه ؛ إذ لولاه لم يتمكن من وضع رجليه في موضع الطمأنينة والاجتناب عن المزلق والمدحض ، و به يحصل الامن والراحة باستعمال البدن و إرضاء النفس ، كما أنّ موقد نار الدين يستعمل قلبه ويرضي ربه ؟

وأنت [إذا] تدبرت صفات النار وجدت المشابهة بينه وبين الايمان والدين من وجوه أُخر أيضاً : ككونها مخلّصة للذهب من بين الاجناس التي يغشّ بها محرقة للامور الغير الثابته الباقيه ، وككونها مؤلمة للبدن الغريب ويعيش فيها[1] السمندر على المشهور ، وكذا الدين والايمان مخلص للخلّصين الممتحنين محرق لغيرهم بالنار الباقية ، ومؤلمة للمبتدئ بحيث يفرّ منه فرار الجبان من الاسد الشاكي ، ويعيش فيها أهله عيشاً هنيئاً ، ويحيون به حياةً طيّبةً بعد موتهم بالموت الاختياريّ ، كما أنّ النّار تفني الصورة الاولى و تحدث صورة أُخرى ، و هذا حقيقة الموت بالمعنى الشامل للمعادن وغيرها ، إلى غير ذلك ممّا يظهر بالتأمّل .

ولعلّه لما ذكر وأشباهه ظهر الدين بصورة النار في العالم الاوّل حيث عرض على الناس الدخول فيها . و في القيامة حين يعرض جماعة ممّن لم يتمّ عليهم الحجّة على نار ، ويؤمرون بالدخول فيها ، فمن دخل كان عليه سلاماً على ما يظهر من الاخبار المذكورة في محلّه . والاعتبار يقضي بكونه صورة الدين في كلا العالمين . و ربّما يظهر في صورة النار في المنامات الصحيحة الواقعة من أهل التقوى الباطنيّة .

١) في المخطوطة : « فيه » .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[في ظهور آثار النّور والظّلمة في الدّنيا والآخرة]

ثمّ إنّ هذه النار المعنويّة مشتمل على نور يضيء ما حولها . فان كان مستوقدها في باطن العالم و ظاهره ظهرت آثار النور فيهما معاً ، وبقي النور في الباطن بعد خراب البدن لبقاء محلّه ، و إن كان مستوقده الظاهر فقط ، كما هو شأن المنافق يشرق نوره على الظاهر ، و يحصل به المنافع الدنيويّة الظاهريّة ، ولم يرتفع نوره إلى الباطن ، بل يبطل النور الفطريّ بتلك الاعمال النفاقيّة ، ويرتفع ظلمته إلى القلب ، ويستولى الظلمة عليه شيئاً وشيئاً من أثر تلك المعاصي الواقعيّة الظاهر بصورة الطاعات ، إلى أن يحيط الظلمة بعالم القلب ، فيصمّ و يعمي ويبكم . ولا يرجع إلى خير أبداً .

وربّما يظهر أثر الظلمة الباطنيّة في عالم البدن لما بينهما من المناسبة والارتباط، كما يشاهده الفطن في حال بعض الكفّار و المنهمكين في الفسق . و ربّما يظهر عند الموت حسّاً للحاضرين ، كما يحكى عن بعض المحتضرين ، و بعد الموت ينكشف ظلمته لنفسه وأهل ذلك العالم من كان حاضراً عنده تمام الانكشاف ، و يبقى الظلمة أبداً وينتهي إلى ظلمة جهنّم خالداً فيها .

فاذهاب الله نور فطرتهم بمعاصيهم ، وردعه عن تأثير الصور الظاهريّة في تنوير الباطن ، وإعدام النور بالمرّة عند فراق الدنيا كلّها مماثلة لحال المستوقد المذكور ، و المبالغات المذكورة في الظلمة المتروكة فيها كلّها آتية هنا على النهج الاتمّ والاكمل .

ثمّ إنّ التشبيه في الهيئة قد ظهر من تضاعيف ما ذكرنا ، و نقول أيضاً : إنّ الحالين اشتركا في أنّهم غبّ الاضاءة خبطوا في ظلمة ، و تورّطوا في حيرة ، و وقعوا في ظلمات لايبصرون أصلاً ، وخاب سعيهم ، و بطل كدحهم ، ولم يدم ما قصدوه بعد بروز وظهور .

[في بيان وجه التّمثيل]

و ممّا فصّلنا يظهر بعض شأن هذا التمثيل الالهيّ بحسب مبلغ أفهامنا و مدرك بصائرنا، وما يترتّب على ضربه من زيادة الكشف، وتتميم البيان، وتصوير المعقول صورة المحسوس، وتطبيق العوالم بعضها مع بعض، وإظهار حال بعضها لمن ليس من أهل ذلك العالم بايراد مثاله المطابق له من العالم الّذي هو فيه. و لمثل ذلك كثر ضرب الامثال في كلام الحكماء و العلماء و العرب على حسب مراتبهم ومقاصدهم في ضربها، وليس يخفى شأنها في إبراز خبيّات المعاني، و رفع الاستار عن الحقائق، حتّى تريك المتخيّل في صورة المحقّق، والمتوهّم في معرض المتيقّن، و الغائب في صورة الشاهد. وفيه تبكيت للخصم، وقمع سورته.

و لعلّه لمثل ذلك كثر في كلامه سبحانه ضرب الامثال؛ كما قال سبحانه: «**وتلك الامثال نضربها للنّاس وما يعقلها إلّا العالمون**»[١].

وقد سبق في الاخبار على ما ببالي: «أن القرآن أمثال لقوم يعلمون»[٢].

والظاهر أنّ كمال المثال في اتّحاده مع الممثّل مع تغاير العالمين؛ إذ العوالم متطابقة، فكلّ شيء يرى هيهنا فله حقيقة في سائر العوالم، بل كلّ ما هيهنا مثال لما هناك، فتفهّم إن كنت من أهله.

ثمّ إنّ هيهنا نكته و هو: أنّهم فرّقوا بين «أذهبه» و «ذهب به» بأنّ معنى أذهبه: جعله ذاهباً و أزاله، و معنى ذهب به: استصحبه و مضى به معه. و حينئذ فلعلّ في التعبير على الوجه الثاني هيهنا دلالة على أن ما يفنى من هذا العالم لاينعدم انعداماً مطلقاً، بل هو موجود في عالم آخر من عوالمه سبحانه،

---

١) العنكبوت/٤٣.

٢) المقدمة الثانية، ص ٣٩.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ولعلّك تطّلع على تفصيله في سائر المواضع ـ إن شاء الله سبحانه ـ ، هذا .

[روايات حول تفسير الآية]

ويؤيّد بعض ما ذكرنا هنا ما روي عن الكاظم عليه السلام أنّه قال :

« مثل هؤلاء المنافقون كمثل الّذي استوقد ناراً أبصر بها ما حوله ، فلمّا أبصر ما حوله ذهب الله بنورهم بريح أرسلها فأطفأها ، أو مطر ، كذلك مثل هؤلاء المنافقين لمّا أخذ الله عليهم من البيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام أعطوا ظاهرها شهادة أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، و أن محمّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله ، وأنّ عليّاً وليّه و وصيّه ووارثه ، وخليفته في أمّته ، وقاضي دينه ، ومنجز عداته والقائم بسياسة عباد الله مقامه . فورث مواريث المسلمين بها ، و نكح في المسلمين بها ، فوالوه من أجلها ، و أحسنوا عنه[1] الدفاع بسببها ، و اتّخذوه أخاً يصونونه ممّا يصونون عنه أنفسهم بسماعهم منه لها . فلمّا جاءه الموت وقع في حكم ربّ العالمين ، العالم بالاسرار الّذي لاتخفى عليه خافية ، فأخذهم بعذاب باطن كفرهم ، فذلك حين ذهب نورهم ، وصاروا في ظلمات عذاب الله ، ظلمات أحكام الآخرة ، لايرون منها خروجاً ، ولا يجدون عنها محيصاً »[2] .

وإذا دقّقت النظر في هذه الرواية وجدت مساقها جارية على سائر مراتب النفاق

١) في المخطوطة والبرهان : « عنها » .

٢) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ص ٥٠ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٤ ـ ٦٥ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المشار إليها بعد ملاحظة ما ذكرناه في الآيات السابقة ، فلا نطيل بذكر التفصيل، كما أنّه يجري نظير جملة ممّا تقدّم في شرح نظاير الرواية هنا بأدنى تأمّل .

ـ عن الكافي باسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « كمثل الذى استوقد نارا فلما اضائت ما حوله » :

« يقول : أضائت الارض بنور محمد صلى الله عليه وآله كما تضيء الشمس، فضرب الله مثل محمد صلى الله عليه وآله الشمس ، ومثل عليّ الوصيّ عليه السلام القمر ، و هو قوله عزّ وجلّ : « و هو الّذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا » وقوله : « وآية لهم الّليل نسلخ منه النّهار فاذا هم مظلمون » [1] ، و قوله عزّ و جلّ : «ذهب الله بنورهم و تركهم فى ظلمات لايبصرون » ؛ يعني قبض محمد صلى الله عليه وآله فظهرت الظلمة ، فلم يبصروا فضل أهل بيته ، و هو قوله عزّ وجلّ : و إن تدعهم إلى الهدى لايسمعوا و تراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون » [2] .

اقول :

كأنّه إشارة إلى تطبيق حال المنافق في عالمه الصغير بحال العالم الكبير بالقياس إلى النوع ، و ذلك أنّه كما كان صفة المنافق هنا أنّه كان في حكم الاسلام مدّة تضيء نار الاسلام عليه ، وعقّب باذهاب الله نورهم و تركهم في ظلمات لايبصرون، كذلك نار الاسلام في العالم الكبير كانت يستوقدها محمد صلى الله عليه وآله حتّى شيّد أمر الدين، و نصر الاسلام و أعلى كلمته ، كما تضيء الشمس في النهار في ظاهر العالم . كما

---

١) يس/٣٧ .

٢) الآية الأخيرة : الاعراف/١٩٨ ، و فيها : « إن تدعوهم » ؛ والحديث في الكافي ج ٨ ، ص ٣٨٠ ، ح ٥٧٤ ، عن جابر ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وكذا في البرهان ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ح ٣ ؛ ونور الثقلين ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ح ٢٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

أنّ إشراق الاسلام كان في ظاهر الناس قوياً ، ثمّ سلخ الله من اللّيل النهار ، فاذا هم مظلمون ، و ذهب الله بنورهم عند قبضه ﷺ فصاروا في ظلمات لا يبصرون نورهم الّذي هو أهل البيت ، فأظلمت الدنيا ، وبقي أهلها في ظلمة اللّيل لا يبصرون النور الّذي هو الامام .

و يناسبه إطلاق الاضائة أوّلاً الّذي هو صفة الشمس ، و ذكر النور في الذهاب به ، الّذي هو صفة القمر ، فالمضيء الشمس ما لم يسلخ ، و المذهب به هو القمر ، و ليس الذهاب به إلا استصحاب الحقّ إيّاه ، والمضيء به معه لا الاعدام على ما سبق ، وهو مقام توجّهه إلى الله سبحانه ، وتفرّده عن الخلق .

ويمكن أن يكون الرواية ناظرةً إلى تطبيق المثال الخارجيّ المذكور في الآية إلى عالم المعنى ، فيكون مستوقد النار هو النبيّ ﷺ ، وإضاءته إشراق نور الاسلام وظهور كلمته ، و النور نور الامام ، و إذهاب الله بالضياء هو ارتحال النبيّ ﷺ وبقائهم في الفتنة العمياء الحادثة بعده .

ويناسبه عدم التعبير بضمير المفرد المطابق للمستوقد : إذ لم يذهب الله بنور النبيّ ﷺ في حدّ نفسه ، ولم يتركه في الظلمات ، بل أذهب بما أشرق عليهم من نوره عنهم ، وترك هؤلاء في ظلمات لا يبصرون .

و كما أنّ نور القمر مأخوذ من الشمس ، كذلك علم الامام من علم الرسول ، فالشمس هي المنيرة أوّلاً ، كما أنّ النبيّ هو المنير الاوّل في عالم المعنى ، وهو الضياء المشرق في النهار الّذي هو عالم الظاهر ، والقمر هو المنير ثانياً خلافةً عن الشمس و وساطة بينها وبين العالم ، كما أنّ الامام هو الثاني في مقام المعنى و إشراقه في الباطن ، و الخفاء الّذي يساوقه اللّيل في الظاهر . و كما أنّ لعالم الظاهر نهاراً وليلا ، كذلك لنور الهداية زمان ظهور وإشراق ، و زمان انسلاخ نهار عن اللّيل وخفاء تامّ له .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

و عن ابن بابويه باسناده عن إبراهيم بن أبي‌محمود ، قال :

سألت أبا الحسن الرضا ﷺ عن قول الله تعالى : « و تركهم في ظلمات لايبصرون » فقال : « إنّ الله لايوصف بالترك كما يوصف خلقه ، ولكنّه متى علم أنّهم لايرجعون عن الكفر و الضلالة فمنعهم المعاونة واللّطف خلّا بينهم و بين اختيارهم »[1].

و كأنّه ﷺ أراد به أنّ الله لايوصف بترك المخلوق بحاله ؛ إذ لو ترك وقطع عنه المدد والفيض لم‌يبق له وجود ،وصار معدوماً محضاً لم يبق له شيئيّة بخلاف المخلوق الذي يوصف بترك الشيء بحاله ، و دفع التصرف عنه بوجه من الوجوه ، و يصير خارجاً عن قبضته و تقليبه و تصرّفه و جريان حكمه عليه . و أمّا الحقّ القيّوم ، فلايمكن أن يخرج شيء من قبضته وتصرّفه وملكه وقضائه وقدره وفيضه، لكنّه بعدتمام الحجّة عليه وظهور عدم رجوعه يمنعه المعاونة على الخير واللّطف المقرب إليه ، أومطلق اللّطف بالمعنى العرفي ، وخلّى بينه وبين اختياره ، و ولاه ما تولّى ، وأبقى عليه وجوده واختياره ، وما يتوقّف عليه أحدهما في حال كفره أو عصيانه حتّى صار عاصياً بما أمدّه به وأعطاه وجارياً عليه في ذلك قضاؤه و قدره ، ومحفوظاً في حاله ومقامه .

و يمكن أن يكون إشارة إلى أنّ ترك ما من شأنه أن يفعل لايصدر منه سبحانه كما يصدر من الخلق ، بل علمه بعدم‌الرجوع أخرجهم عن شأنيّة الاعطاء فمنعوا و تركوا على حالهم ، فهم الموجبون للترك على أنفسهم ، و حرموها عن

١) أورده ــ رحمه الله ــ في العيون ، ج ١ ، باب ١١ ، ص ١٠١ ، ح ١٦ ؛ و كذا في الصافي ، ج ١ ، ص ٦٣ ؛ و البرهان ، ج ١ ، ص ٦٥ ، ح ٤ ؛ و نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٣٦ ، ح ٢٦ .

[في بيان معنى الصّمم والعمى و البكم]
[و ظهورها في الدنيا و الآخرة]

<u>صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ</u>

يعني : يصمّون في الآخرة في عذابها . « بكم » : يبكمون هنا بين أطباق نيرانها . « عمي » يعني : يعمون هناك ، و ذلك نظير قوله عزّ وجلّ : « ونحشره يوم القيامة أعمى »[1] « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً وصمّاً مأويهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيراً »[2] كذا عن تفسير الامام عليه السلام في ذيل ما تقدّم ظاهراً .

اقول :

كونهم أصمّ وأعمى وأبكم في الآخرة يشهد عند أولى الالباب أنّ لهم صمماً وعمياً وبكماً باطيناً غيبياً في الدنيا لم تظهر فيها لأهل الدنيا ، و إنّما ظهرت في الآخرة الّتي هي يوم تبلى السرائر وتبدى الضمائر ، فانّ الدنيا مزرعة الآخرة بنوالها و نكالها ، و ثوابها و عقابها . و كيف يوجد في الزرع وقت حصاده ما ليس في البذر وقت زراعته ؟ ولعلّ في ذيل الآية المتقدّمة إشارة إليه ، وهو قوله عزّ وجل: « قال : ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »[3] .

---

١) طه / ١٢٤ .

٢) الآية الاخيرة . الاسراء / ٩٧ ؛ و الحديث : راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٥٥٩ .

٣) طه / ١٢٥ – ١٢٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بمعدن طيّب . »[١] .

ثمّ إنّ نظير هذا المعنى المنتزع من المثال المذكور في الآية يحصل لأهل المجاهدة و إصلاح القلب ، فانّه كثيراً ما يحدث لهم مواهب و أحوال حسنة ، و إشراقات أنوار غيبيّة و غير ذلك ، ثمّ يتعقبه الخمود و انقلاب الحال إلى ما كان قبله أو أسوء منه ، وذلك لكونه عارضاً ليس له في قلبه أصله ، ولم يتمكّن من باطن الغيب . وهو أيضاً من النفاق بالقياس إلى مقام حقيقته ، وإن كان من مقام الايمان بالقياس إلى ما نزل عليه ، فانّ للايمان درجات و مراتب ، كما يظهر من أخبار عديدة مذكورة في محالّها[٢] .

و ربّما يرى هؤلاء في مبادئ أحوالهم رؤياً مطابقةً لما ذكر في الآية ، ويكشف ذلك عن وجود النفاق بالمعنى الاعمّ في نفس من رأى تلك الرؤيا إن كان ما يراه في منامه ناظراً إلى أحوال نفسه وباطن حاله . وحينئذ فلابدّ له من السعي والمجاهدة إلى أن يصل إلى حقيقة ذلك الامر الصوري ، والله الهادي .

---

١) رواه علي بن عيسى (ره) في كشف الغمة، ج ٢، باب في فضائل الامام أبي عبدالله الصادق ــ عليه السلام ــ ، ص ١٥٨ ؛ و نقله المجلسي (رض) في البحار ، ج ٧٨ ، باب مواعظ الصادق ــ عليه السلام ــ ، ص ٢٠٢ ، ح ٣٣ .

٢) راجع مبحث الايمان ذيل آية : « الّذين يؤمنون بالغيب » ، و قد أورد المصنف ــ رحمه الله ــ فيه أخباراً في هذا المعنى .

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

وكذا قوله : «كما بدأكم تعودون» [١] .

إلى غير ذلك وقد تكرّر في الآيات والاخبار الوصف بالعمى والصمم والبكم وما في معناها على وجه ظاهره تحقّقها فعلا : كما نقل عن مواعظ المسيح ـ على نبيّنا وآله وعليه السلام ـ أنّه قال :

«ألم تكونوا عمياً فبصّركم فلما بصّركم عميتم ؟ ويلكم ! ألم تكونوا صمّاً فأسمعكم ، فلمّا أسمعكم صممتم ؟ ويلكم ! ألم تكونوا بكماً فانطقكم فلما أنطقكم بكمتم» [٢].

ومن تلك المواعظ أنّه قال :

«بحقّ أقول لكم : إنّ الدنيا خلقت مزرعةً يزرع فيها العباد الحلو والمرّ والشرّ والخير ؛ الخير له مغبّة [٣] نافعة يوم الحساب ، والشرّ له عناء وشقاء يوم الحصاد» [٤] .

وقد سبق منّا مراتب من البيان في شرح الختم على القلب والسمع، وغشاوة البصر : فالسمع المختوم عليها أصمّ عمّا ختم عليه ، والعين المغشيّ عليها أعمى ، واللّسان الّذي من شأنه الحكاية عمّا في القلب إذا كان القلب مختوماً عليها فليس له حكاية عمّا ختم عليه ؛ إذ الختم مانع عن الدخول باعتبار ، ومن الخروج والاظهار باعتبار آخر ، والاصل في الاظهار اللّسان ، والمانع عن الدخول رافع للموضوع

---

١) الاعراف / ٢٩ .

٢) رواه الحراني (ره) في تحف العقول ، باب مواعظ المسيح ـ عليه السلام ـ ، ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ؛ ونقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ١٤ ، باب مواعظ عيسى ـ عليه السلام ـ ، ص ٣١٢-٣١٤ ، ح ١٧ .

٣) «المغبة» : عاقبة الشيء .

٤) راجع المآخذ المذكورة في تعليقة ٢ من هذه الصفحة .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

بالنسبة إلى الاظهار ؛ إذ الاظهار فرع الوجود في القلب . وكما أنّ في الباطن عيناً و بصراً كذلك للانسان لسان باطنيّ غيبيّ به يذكر صاحبه الحقّ سبحانه ذكراً باطنيّاً ، ويقرأ القرآن كذلك . وكما أنّ للقلب نوراً معنويّاً به يظهر حقيقة المسموع والمبصر والمعقول،كذلك للانسان مقام إظهار المعنى بالاشراق من دون كلام لفظيّ . وكما أنّ في القلب والسمع والبصر موانع عن التأثير والادراك الواقعيّ للحقّ كذلك للّسان مرض يمنعه عن الاقرار بالحقّ والاذعان به ، كما أنّ البكم مرض صوريّ يمنعه عن التنطّق .

و حينئذ فيظهر جملة ممّا يتعلّق بالمقام ممّا قدّمناه في الآية السالفة من الوجوه الظاهرية و المعنويّة ، فراجع و تأمّل . ولعلّه يأتي تتمّة البيان في طيّ شرح سائر الآيات المشتملة على نحو من ذلك ــ إن شاء الله تعالى ــ ، هذا .

و في تفسير القميّ هنا أنّ :

« الصمّ : الّذي لايسمع ، و البكم : الّذي يولد من أمّه أعمى ، والعمي : الّذي يكون بصيراً ثمّ يعمى » [1] .

و هو بظاهره غريب إلاّ أن يؤول إلى ما قيل من أنّ : « الاخرس : الّذي خلق ولانطق له ، والابكم : الّذي له نطق ولايعقل الجواب » . [2] و ذلك بأن يريد من العمى عمى الباطن وعدم تعقّل الكلام ، و مع ذلك فهو أيضاً لايخلو عن بعد . ألاترى إلى أنّ جماعة من أهل العربيّة ذكروا هنا أنّه لمّا سدّوا عن الاصاخة إلى الحقّ مسامعهم ، و أبوا أن ينطقوا به ألسنتهم ، و أن ينظروا بعيونهم جعلوا كأنّما ألفيت مشاعرهم ؟ ويحتمل في المقام وقوع اشتباه في التعبير ، وأنّه كان في الاصل أنّ الابكم هو الّذي يولد من أمّه غير سميع ، والاصمّ الّذي يولد سميعاً

١) القمي ، ج ١ ، ص ٣٤ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٥ .
٢) راجع مجمع البحرين .

******* بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *******

ثمّ يصمّ ، و ذلك غير خال عن الوجد ؛ إذ الاصمّ بحسب الخلقة أبكم ، إذ ما لم يسمع الالفاظ و يتعلّمها كيف ينطق بها ؟ و يكون قصر الاصمّ على غيره لقضيّة المقابلة له . والله العالم .

[فَهُمْ لايَرْجِعُونَ]

« فهم لايرجعون إلى الهدى بعد أن باعوا ، أو عن الضلالة بعد أن اشتروها ، أو أراد أنّهم بمنزلة المتحيّرين الّذين بقوا جامدين في مكانهم ، ولايدرون أيتقدّمون أو يتأخّرون ، و كيف يرجعون إلى حيث ابتدئوا منه . » كذا ذكروه [1] .

ولعلّ الاولى إرادة أنّهم لايرجعون عمّا هم فيه إلى الاستقامة على الصراط المستقيم بعد فقدان أسباب الاهتداء .

وقال بعض المفسّرين في ذيل شرح الآية : « مثله مثل مريد الطريقة ، الّذي له بداية ، ولازم خلوة وصحبة . حتّى شرقت له من صفحات القلب شوارق الشوق ، وبرقت له من أنوار الروح بوارق الذوق ، فطرقته الهواجس وأزعجته الوساوس ، ويرجع قهقري إلى ما كان من حضيض عالم الطبيعة ، فغابت شمسه و أظلمت نفسه وفضل يومه أمسه . »

---

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٠ .

[بيان أحوال المنافقين]
[وامتناعهم عن استماع الحقّ في تشبيه آخر]

[أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ]

[في معنى الصيّب وما يراد منه]

او كصيّب فيعل من الصوب ؛ يقال : صاب أي : نزل ، كما في الصحاح . وهو المطر لأنّه يصوب أي : ينزل ويقع ، كما ذكره جماعة [1] ، وفسّره به القمي [2] ، و الظاهر من الرواية الآتية ـ إن شاء الله ـ ؛ أو السحاب ذوالصوب ، كما ذكره الجوهري و غيره . قال [3] : « الشماخ وأسحم دان : صادق الرعد صيب . » أي : هطل غير خلب لاعبث فيه ، والاحتمالان متقاربان في المقصود من المثال .

من السماء ، يطلق السماء على هذه المظلّة ، و على كلّ ما علاك فأظلّك كما صرّح به الجوهري ؛ قال : « و منه قيل لسقف البيت سماء و على المطر يقال : ما زلنا نطأ السماء حتّى أتينا كم . » و كأنّه من إطلاق مبدء الشيء عليه .

و ذكر [4] في وجه تقييد الصيّب بكونه من السماء مع أنّ كل صيّب كذلك أنّه يفيد حينئذ أنّه غمام مطبق آخذ بجميع الآفاق على ما يفيده تعريف الجنس من غير قرينة التبعيضيّة ، ولو لم يذكر لم يحصل هذه الفائدة لجواز أن يكون الصيّب من بعض الآفاق ؛ إذ كلّ ناحية من السماء و أفق من آفاقها سماء ، ففي

---

١) كالزمخشري ، فراجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٤١ .

٢) القمي ، ج ١ ، ص ٣٤ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٣) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤١ .

٤) نفس المصدر .

الكلام حينئذ مبالغات من جهة مادّة الصيّب؛ الاولى ، لأنّ الصاد من المستعلية والياء مشدّدة ؛ والمادّة الثانية ، لأنّ الصوب فرط الانسكاب و الوقوع ؛ ومن جهة الصورة ، لأنّ فيعلاً صفة مشبّهة دالّة على الثبوت ؛ و من جهة العارض ، لأنّ التنكير للتعظيم والتهويل ، وأمدّ ذلك بقوله : « من السماء » دلالة على أنّه مطبق لايختصّ بسماء دون سماء .

وقال بعضهم [١] : « إنّ في ذكر السماء هنا دلالة على أنّ السحاب من السماء ينحدر ، و منها يأخذ ماءه ، لا كزعم من يزعم أنّه يأخذه من البحر . » و أيّده بقوله سبحانه : « و ينزل من السّماء من جبال فيها من برد . » [٢] .

وفيه أنّه مبنيّ على حمل السماء على الجوهر المحيط بالارض دون مطلق ما علا وأظلّ، على أنّ المراد من كونه من السماء كون انحداره منه بأن يكون الماء نازلاً من السماء نزولاً ظاهرياً كنزول المطر من السحاب ، لامطلق كون السماء مبدء له بأن يكون دورانه أو إلقاء شعاع ما فيه على الاجسام الرطبة معدّاً لتكوّنه ونزوله، ولا أن يكون النزول معنوياً بأن يكون له نحو وجود وثبوت في ملكوت السماء و باطنه مقدّماً على ظهوره وتحقّقه عندنا ، فينزل منه إلينا ، كما لعلّه المراد من قوله سبحانه : « و في السّماء رزقكم و ما توعدون » [٣] ومن قوله سبحانه: « يدبّر الأمر من السّماء إلى الأرض ثمّ يعرج إليه » [٤] .

وستعرف الحال في ذلك المطلب ممّا سيمرّ عليك في خلال التفسير ـ إن شاء الله تعالى ـ .

---

١) نفس المصدر .
٢) النور / ٤٣ .
٣) الذاريات / ٢٢ .
٤) السجدة / ٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

فيهِ ظُلُماتٌ

أي : في الصيّب على الظاهر، ولعلّ ظلمته على تقدير إرادة السحاب لكونه أسحم مطبقاً منضمّة ظلمته لسحمته ، وتطبيقه إلى ظلمة اللّيل المستفاد من قوله سبحانه : « كلّما أضاء لهم مشوا فيه ـ الخ » [1] وإن لم يكن ظلمة اللّيل في المطر حقيقة ، إلا أنّها باعتبار انضمامها إليهما يصحّ جعله في السحاب بتبعيّتهما ؛ وعلى تقدير إرادة المطر ظلمة تكاثفه و انتساجه بتتابع القطر و ظلمة أظلال غمامه مع ظلمة اللّيل .

وَ رَعْدٌ وَبَرْق

[في بيان حقيقة الرّعد والبرق وكيفيّة ظهورهما]

الرعد : الصوت الّذي يسمع من السحاب كما في الصحاح وغيره [2] ، بل قال بعضهم إنّ : « في كلام أهل اللّغة الرعد : صوت السحاب » [3] .

والبرق الّذي يلمع من السحاب من النور و الضياء من برق الشيء بريقاً إذا لمع ، أو يكون هو الاصل المأخوذ منه ذلك ، وما ذكر هو الظاهر من العرف و اللّغة .

و قيل : « إنّ الرعد صوت ملك يزجر السحاب » [4] وكأنّه يريد بيان مبدء ذلك الصوت المسموع من السحاب ، لا بيان معنى اللّفظ .

و روي عن ابن عباس و مجاهد أنّ : « الرعد هو ملك موكل بالسحاب

---

١) البقرة / ٢٠.

٢) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٤١ .

٣) راجع مجمع البحرين .

٤) مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

يسبح »[١] .

و ذكر الطبرسي في المجمع أنّه المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام .

و عن الاوّل أنّ : « الملك الذى اسمه الرعد هو الذي يسمع صوته»[٢].

و روي عنه أيضاً أنّه قال : « انه ريح تختنق تحت السماء »[٣] .

و عن أمير المؤمنين عليه السلام :

« انّه مخاريق الملائكة من حديد تضرب بها السحاب ، فينقدح منه النار »[٤] .

و في مجمع البحرين في الحديث :

«البرق مخاريق الملائكة تضرب السحاب، فتسوقه إلى الموضع الّذي قدّر الله فيه المطر »[٥] .

و في حديث النبيّ صلى الله عليه وآله :

« إن الله ينشئ السحاب ، فينطق أحسن النطق ، و يضحك

١) راجع التفسير الكبير ، ج ٥ ، ص ٢٨٠ ؛ و التبيان ، ج ١ ، ص ٩٢ ؛ و مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٥٧ ؛ وكذا في نورالثقلين ، ج ١ ، ص ٣٧ .

٢) نقله الطريحي (ره) في المجمع .

٣) أورده الشيخ (ره) في التبيان ، ج ١ ، ص ٩٢ ؛ والطبرسي (ره) في المجمع ، ج ١ ، ص ٥٧ .

٤) نفس المصادر .

٥) رواه العياشي (ره) في تفسيره ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ، ح ٢٣ ، عن أبي بصير ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ، إلا فيه « قضى » بدل « قدر » ؛ و أورده الصدوق (ره) في الفقيه ، ج١ ، باب صلاة الاستسقاء ، ج١، ص ٣٣٤ ، ح٩، بهذا الاسناد عنه ـ عليه السلام ـ؛ و كذا نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٥٩ ، باب السحاب و المطر و الشهاب ، ص ٣٧٩ ، ح ٢٠ .

أحسن الضحك، فمنطقه الرعد، وضحكه البرق»[١].

وعن ابن عباس:

«أنّه سوط[٢] من نور يزجر به الملك السحاب»[٣].

و عن مجاهد، «أنّه مصع ملك»[٤]. و فسّر المصاع بالمجادلة بالسيوف و غيرها.

وقيل[٥]: إنّه نار تنقدح من اصطكاك الاجرام.

وعن الفقيه أنّه روي:

«أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب، و أصغر من الزنبور»[٦].

وعنه والعيّاشي، عن الصادق عليه السلام:

«أنّه بمنزلة الرجل يكون في الابل فيزجرها هاي هاي

---

١) مجمع البحرين؛ و كذا أخرجه الرازي في التفسير الكبير، ج ٥، ص ٢٨٠؛ و نقله أيضاً المجلسي (رض) في البحار، ج ٥٩، باب السحاب و المطر و الشهاب، ص ٣٥٧.

٢) في المخطوطة: «صوت».

٣) التبيان، ج ١، ص ٩٢؛ والمجمع، ج ١، ص ٥٧؛ ومجمع البحرين.

٤) التبيان، ج ١، ص ٩٣؛ والمجمع، ج ١ ص ٥٧

٥) مجمع البيان، ج ١، ص ٥٧.

٦) الفقيه، ج ١، باب صلاة الاستسقاء، ص ٣٣٤، ح ١١؛ و نقله الفيض (ره) في الصافي، ج ١، ص ٨٦٧؛ و المجلسي (رض) في البحار، ج ٥٩، باب السحاب والمطر والشهاب، ص ٣٨٠، ح ٢١؛ والعروسي الحويزي (ره) في نور الثقلين، ج ١، ص ٣٧، ح ٣٠.

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

كهيئة ذلك »[١] .

و لقائل أن يقول : إنّ ظهور البرق والرعد لاجتماع الآجزاء الناريّة و الدخانيّة في باطن السحاب المتراكم الحاصل من الابخرة الّتي اشتمل على تلك الاجزاء النارية و الدخانيّة قبل تراكمه ، فاذا اجتمع تلك الاجزاء في باطن السحاب بعد تراكمه ببرودة الهواء العالي أوالزمهرير ، وتكاثفه من جهة البرودة و انعصاره ، وكان أعلى السحاب أشدّ تراكماً من أسفله لكون أعلى الهواء أبرد من أسفله ، اندفعت تلك الاجزاء ، وتخلّصت من الطرف الاسفل وشقّته و ظهرت بصورة نار ذا بريق ولمعان ، وحصل من ذلك الانشقاق صوت هائل ، فيكون البرق و الرعد ؛ لكنّ البرق يدرك بالبصر ، و هو لايظهر لادراكه زمان ، فهو مقارن للحالة المبصرة حقيقة أو عرفاً ، والرعد يدرك بالسمع ، فيلزمه تأخّر الادراك إلى وصول الصوت من السحاب إلى الارض ، كما يشاهد نظيره في آلات النارالمصنوعة للحرب ، فان إدراك البصر ضوء نيرانها مقدّم للبعيد على سماع صوتها .

و يشهد لما ذكرنا من المنشأ للرعد و البرق أنّ الاكثر تصاحبهما معاً وتأخّر الرعد عن البرق على حسب اختلاف السحاب قرباً وبعداً إذا لم يكن السحاب بعيداً جدّاً ، وإلا ظهر البرق دون الرعد ؛ لأنّ في إدراك البصر الضوء في الظلمة امتداداً يزيد على قرع الصوت الهواء المقابل له ، وأنّ الاكثر حدوثهما في السحاب المتراكم جدّاً ، و في الربيع وما يقرب منه من حيث الحرارة دون أصل الشتاء

---

١) الفقيه ، ج ١ ، باب صلاة الاستسقاء ، ص ٣٣٤ ، ح ٩ ؛ والعياشي ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ ، ح ٢٣ ؛ و نقله أيضاً الفيض (ره) في الصافي ، ج ١ ص ٨٦٧ ؛ و المجلسي (ره) في البحار ، ج ٥٩ باب السحاب والمطر و الشهاب ، ص ٣٧٩ ، ح ٢٠ ؛ و البحراني في البرهان ج ٢ ص ٢٨٥ ، ح ٧ ؛ و العروسي الحويزي (ره) في نور الثقلين ، ج ١ ، ص ٣٧ ، ح ٣١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م ٠ ع. ف ٠ ح ٠ ح (ع) ******

البارد جداً لكثرة الاجزاء النارية و الحرارة في مادة السحاب حينئذ الموجبة لكثرة تصاعدها و وصولها إلى الهواء القوي البرودة الموجب لشدة عقد السحاب، واحتباس تلك الاجزاء في باطنه ؛ ولذا لايظهر دائماً أو غالباً شيء منها في سحاب الثلج ؛ إلى غير ذلك من الشواهد والامارات .

لكن هذا إنما هو في عالم الاسباب الطبيعية الظاهرية الكائنة في ظاهر عالم الكون و الفساد ، فلاينافي ذلك وقوع ذلك بسبب الملائكة الموكلين بتلك الاجرام و الطبائع ؛ و أن يكونوا هم الفاعين لتلك الافاعيل واقعاً بتلك الاسباب الظاهرية والقوى والاستعدادات ؛ وأن يجري على ذلك الملك الزاجر للسحاب بتلك الاجزاء النارية حيث إنها السبب في تحرك السحاب وصعوده وانتقاله في حد نفسه دون ما يعرضه من جهة الريح ، ونحوه اسم الرعد ، ويقال ذلك الاسم على الملك الموكل بهذا الشأن الذي يستند إليه ظهور هذه الاسباب الظاهرية في ظاهر عالم الشهادة ، و توصيفه بأنه الزاجر للسحاب ؛ و أن يقال : إنه الملك الموكل بالسحاب ، وأنه يسبح لكونه من جملة الملائكة المسبحين : و أن الرعد صوته لكونه المبدء في ظهوره ، كما أن الانسان مبدء لظهور كلامه في الهواء في قالب فمه ، مع أن حقيقة الانسان مغاير للقالب ؛ وأنه ريح تختنق تحت السماء إن أراد به الهواء المركب مع تلك الاجزاء النارية ، واختناقه في داخل السحاب الواقع في جهة العلو ، أو تحت جوهر السماء ؛ وأنه مخاريق الملائكة من حديد تضرب به السحاب فينقدح منه النار لما ذكرنا من كون تلك الأجزاء النارية حاصلة من أفاعيل الملائكة دالة لفعلها وعندهم أصلها ومعدنها .

فان شئت جعلت المخاريق نفس تلك الاجزاء النارية ، و كونها من حديد لمشابهتها له جوهراً ، أو كونها عندالاستحالة حديداً أوقريباً به ، وضرب السحاب به شق السحاب الملك به ، وانقداح النار منه ظهور لمعانه بعد انشقاقه .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و إن شئت جعلت المخاريق عبارة عن الأصول الحاصلة عندهم ، و ضرب السحاب به عبارة من إلقائها عليه ، وانقداح النار عن ظهور النار منه .

وكذا يمكن وصفه بأنّه يسوقه الملائكة بتلك المخاريق إلى الموضع المقدّر إمطاره لما ذكر من أنّ تلك الاجزاء هي المحرّكة الداخلية ، والحركة المفروضة هي المستندة إلى ذلك الملك استقلالا دون الحركة الحاصلة من جهة الريح مثلا ؛ لاستنادها إصالة إلى الملك الموكّل بالريح المحرّك .

ثمّ إذا لوحظ السحاب مبدء لظهور البرق و الرعد بمنزلة انسان كان نطقه والكلام الصادر منه الرعد وضحكه البرق ، ويصحّ التعبير عن البرق بأنّه صوت من نور يزجر به السحاب ، وأنّه مصع ملك إذا شبّه ذلك الامر المعنويّ بالمقاتلة بآلات الحرب ، و ذلك الملك الّذي هو المنشأ للرعد يصحّ التعبير عنه بالرعد ، في عالم الملائكة ، كما أنّ الصوت رعد في عالم الشهادة ، اولكونه فعله وصفته ومعلوله ، فيطلق عليه اسمه ؛ إذ ليس هنا لفظ من الالفاظ اللّغويّة أقرب إليه من ذلك اللّفظ .

ولعلّه لكون ذلك الموكّل من أصاغر الملائكة دون أكابرهم يوصف بأنّه أصغر من الزنبور ، ولأنّه ليس في المرتبة القصوى من الصغر بأنّه أكبر من الذباب حيث إنّه أصغر الحيوانات و الزنبور أكبر منه و مندرج تحت الصغار . ويصحّ وصف ذلك الملك بأنّه كالرجل يكون في الابل يزجرها بكلامه ؛ إذ هو ملك موكّل بالسحاب كائن فيه بفعله ، و زاجر له بما يصدر منه .

و لقائل أن ينكر ذلك كلّه ، و يبقي ألفاظ الاخبار على ما يفهمه العرف أوّلاً قبل تدقيق النظر ، ولا يلتفت إلى شيء ممّا يخالفه أخذاً بحجزتها على حسب معانيها العرفيّة ، أوراداً لها إلى الائمّة ـ صلوات الله ... ـ موكلا لعلمها إليهم مسلّماً . وهو الاقرب إلى الاحتياط وإن كان الظاهر هو ما ...

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و قريب من هذا المبحث كثير من المباحث ، فعليك بالمقايسة واستخراج العناوين الكلّيّة من البيانات الخاصّة ، لكن بشرط أن لايطّرد الكلام إلى ما يتعلّق بالديانات وأصول الشرائع و فروعها ، وما يتعلّق بأغصانها وشؤونها . وإيّاك و أن تفتح باب التأويل فيها ! وهذا كلام وقع في البين ، فلنرجع إلى ما كنّا فيه ، فنقول :

إنّه إن جعلنا الصيّب عبارة عن السحاب فكونه مكاناً للبرق و الرعد ظاهر لخروجهما منه و إن لم يتسمّيا قبل الخروج باسميهما بعد أن يكون هو محلّ خروجهما . و أمّا إن جعل عبارة عن المطر ، فلعلّ جعلها فيه لوقوعهما في أعلاه و مبدئه ، وملابستهما له في الجملة ، و كون ظهورهما و امتداد الصوت و الضوء مجاوراً له في الهواء الفاصل بين السحاب و الارض . و لعلّ توحيدهما مع جمع الظلمات لكونهما في الاصل مصدرين ، أو لارادة المعنى المصدريّ ؛ أعني : الرعد والبرق المصدرين لرعدت السماء رعداًوبرقت برقاً ، وتنكيرهما لأنّ المرادأنواع منها كأنّه قيل : ظلمات داجية ، و رعد قاصف ، و برق خاطف .

يَجعَلُونَ أصابِعَهُم في آذانِهِم

والجاعلون هم أصحاب الصيّب الّذين وقعوا فيه ، و ذلك بأن يقدّر للصيّب المدخول لأداة التشبيه مضافاً ، فيكون المشبّه به هو ذو الصيّب حتّى يوافق المشبّه و المثال الاوّل بحسب المساق ، و يكون المضاف حينئذ هو المرجع لهذا الضمير وما بعده .

ويحتمل ترك إضمار المضاف فيه ؛ إذ لايلزم في هذا النحو من التشبيه أن يكون المفرد المدخول لأداة التشبيه بنفسه مطابقاً للمشبّه ، ولا موافقاً لما ابتدء به في المثال الاوّل ، ويكون هذه الضمائر راجعة إلى القوم الّذين وقع عليهم المطر

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الّذي كالمذكور حكماً أو مقدّر قبلها .

ثمّ إنّ هذه الجملة إمّا حاليّة من أصحاب الصيّب ، كما ذهب إليه بعضهم[1] ، أو مستأنفة كأنّها وقعت جواباً للسؤال عن أنه كيف حالهم مع هذا الرعد، فقيل: « يجعلون أصابعهم » ، ثمّ قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق ، فقيل : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » ، كما ذكره جماعة[2] . ولعلّ الاوّل أقرب .

ثمّ إنّ في نسبة الجعل إلى الاصابع مع عدم وقوعه إلاّ على رؤوسها مبالغة حسنة ، ولها نظائر كثيرة ينسب المنسوب إلى الجزء حقيقة إلى كلّه ، كما يقال : طلعت الشمس في وقت ظهور قرنه .

مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ

[معنى الصّاعقة]

الصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقّة من نار ، والبحث في حقيقتها قريب ممّا تقدّم في الرعد و البرق . فعلى ما ذكر تلك الاجزاء الناريّة إمّا أن تكون لطيفة تنطفي بسرعة ، أو تكون قويّة شديدة غليظة المادّة ، فتصل إلى الارض . و ربّما دخلت في باطنها لقوّة وقوعها ، فتسمّى صاعقة . و يقال الصاعقة لصيحة العذاب أيضاً على ما ذكره بعضهم[3] .

و كون جعل الاصابع في الاذان من الصواعق بمعنى كونه من أجلها ، و أنّها الباعثة على ذلك ؛ قيل : إنّ من هيهنا يغني غناء اللام في المفعول له ، فقد يكون غاية يقصد حصوله ، وقد يكون غاية يتقدّم وجوده .

والحذر هو طلب السلامة ممّا يخاف ، وهو منصوب على أنّه مفعول له .

---

١) راجع أنوار التنزيل ، ص ١٦ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٣ ؛ والاية الأخيرة : البقرة / ٢٠ .

٣) راجع الصحاح ؛ والتبيان ، ج ١ ، ص ٩٣ ؛ ومجمع البيان ، ج ١ ، ص ٥٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

وَاللهُ مُحِيطٌ بِالكافِرِينَ

[معنى إحاطة الله سبحانه]

ذكر جماعة أنّ : « إحاطة الله بالكافرين مجاز ، والمعنى أنّهم لايفو[تو]نه كما لايفوت المحاط به المحيط حقيقة »[١] . و قريب منه تفسيرها بأنّه قادر عليهم لايستطيعون الخروج عن قدرته .

و عن الاصم : « أنّه عالم بهم فيعلم سرائرهم ، ويطلع نبيّه على ضمائرهم»[٢] . وعن مجاهد : «أنّه جامعهم يوم القيامة ، يقال أحاط بكذا إذا لم يشذّ منه شيء»[٣] . واحتمل بعضهم[٤] أن يراد بالاحاطة : الاهلاك ، كما في قوله سبحانه : « و أُحيط بثمره »[٥] أي : أصابه ما أهلكه . وأقرب هذه الوجوه هو الوجه الاوّل ، و ورائها معنى يعسر بيانه وإدراكها ، ويظهر بملاحظة ما ورد : «أنّه سبحانه مع كلّ شيء لابمقارنة ، و دون كلّ شيء لا بمزايلة »[٦] . و ما يقرب من ذلك البيان . و لعلّه يأتي بيان ما له ــ إن شاء الله تعالى ــ .

وقالوا : إنّ هذه الجملة اعتراضيّة ، و ذكروا في نكتة إيراد تلك الجملة الاعتراضيّة : أنّه تنبيه على أنّ الحذر من الموت لايفيد ، و في فائدة وضع الكافرين موضع الضمير دلالة على أنّ أصحاب الصيّب كفّار ، ليظهر استحقاقهم شدّة

---

١) التفسير الكبير ، ج ١ ، ص ٣٠٠ ؛ والكشاف ، ج ١ ، ص ٤٢ .

٢) راجع مجمع البيان ، ج ١ ص ٥٨ .

٣) نفس المصدر .

٤) نفس المصدر .

٥) الكهف / ٤٢ .

٦) هو كلام أمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ في خطبته ، وفيه « غير » بدل « دون » ، راجع نهج البلاغة ، خ ١ ، ص ٤٠ .

الامر عليهم ، ليكون أبلغ ؛ كما في قوله تعالى : « **كمثل ريح فيها صرٌّ اصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم** » ١ .

و قيل : هذا الاعتراض من جملة أحوال المشبّه على أنّ المراد بالكافرين المنافقين ، و أنّهم من عذاب الله في الآخرة و قدرته على إهلاكه إيّاهم في الدنيا بحيث لامدفع له ، و وسّط بين أحوال المشبّه به تنبيهاً على شدّة الاتّصال و فرط التناسب .

[وجوه تشبيه المنافقين بما أصابه الصيب]

ثمّ إنّ الكلام في هذا التشبيه نظير ما قدّمناه في التشبيه الاوّل ، و أنّ المناسب بيان تطبيق المفردات و الهيئة التركيبيّة معاً . فنقول في المقام الاوّل : قد يقال : شبّه دين الاسلام بالصيّب ؛ لأنّ القلوب تحيى به حياة الارض بالمطر ، وما يتعلّق به من شبه الكفّار بالظلمات، وما فيه من الوعد والوعيد بالرعدوالبرق، وما يصيب الكفرة من الافزاع و البلايا و الفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق ؛ أو الظلمات بما في إسلامهم من إبطان الكفر ، و ما فيه من الرعد بما في الاسلام من فرض الجهاد وخوف القتل ، و بما يخافونه من وعيد الاخرة لشكّهم في دينهم، وما فيه من البرق بما في إظهار الاسلام من حقن دمائهم ومناكحتهم وموارثتهم ، و ما فيه من الصواعق بما في الاسلام من الزواجر بالعقاب في الآجل و العاجل ؛ وقوّي ذلك بما روي عن الحسن أنّه : « مثل إسلام المنافق كصيّب هذا وصفه » ؛ أو أنّه شبّه المطر المنزل من السماء بالقرآن ، وما فيه من الظلمات بما في القرآن من الابتلاء ، و ما فيه من الرعد بما في القرآن من الزجر ، و ما فيه من البرق بما فيه من البيان ، وما فيه من الصواعق بما في القرآن من الوعيد آجلا والدعاء

---

١) آل عمران / ١١٧ .

إلى الجهاد عاجلاً، كما عن ابن عباس [١].

و قيل: « إنّه مثل للدنيا شبّه ما فيها من الشدّة و الرخاء بالصيّب الّذي يجمع ضرّاً و نفعاً، وأنّ المنافق يدفع عاجل الضرر ولايطلب آجل النفع » [٢].

[في تشبيه الحقّ بالمطر و بيان حقيقة متعلّقاته من الرّعد وغيره]

ولعلّ الاولى في وجه التطبيق بين المشبّه والمشبّه به أن يجعل المطر النازل من السماء إلى الهدى والحقّ والدين الّذي نزل من عندالله سبحانه، ومن عالم الامر إلى هذا العالم لاحياء النفوس القابلة له المطيعة المنقادة: كما قال سبحانه: « استجيبوا لله وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم » [٣].

وهو ماء الحياة الروحانيّة الّذي من شرب منه لم يمت، وحيي حياة طيّبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة وأتمّ العيش؛ لكنّه إنّما يحيي الارض الساكنة تحته، القابلة له، الشاربة منه، الخاشعة القابلة للحياة الّتي ليست صلبة كالحجر، ولا مستعلية كالجبال، ولا سبخة لاتخرج النبات، وهي المحياة به المنتفعة به، ولا تستقرّ بما فيه من الرعد والبرق والظلمات والصواعق، بل هي عطشانة لاتطلب إلا الماء، وليست لها التفات إلى تلك الامور، ولا لها ضرر بالنسبة إليها؛ لكن الّذين لم يتّصفوا بالصفات المذكورة للأرض خارجون [٤] عن ذلك الحكم بقدر بعدهم عن تلك الصفات وما يقتضيه طبيعة الارض. و ذلك الهدى والعلم إذا صوّر بصورة حسيّة كان صورته ماء، ولذا يرى في المنام بصورة الماء اوكان المرئيّ فيه هو

---

١) قد ترى هذه الوجوه من التطبيق في مجمع البيان، ج ١، ص ٥٧؛ والتفسير الكبير، ج ١، ص ٢٩٨؛ والكشاف، ج ١، ص ٤٠، وغيرها من كتب التفسير.

٢) مجمع البيان، ج ١، ص ٥٧.

٣) الانفال / ٢٤.

٤) في المخطوطة: « خارجين ».

نفس الهدى والعلم من حيث هو ، وبصورة المطر النازل من السحاب إن كان المرئيّ في النوم هو الرشحات النازلة منه الواردة على القلب .

ثمّ إنّ ذلك الحقّ والهدى لمّا نزل من عالم القدس ، وظهر في هذا العالم الظلماني لانقاذ أهله[1] ممّا هم فيه من الضلالة بصورة ألفاظ القرآن و ألفاظ النبي ﷺ والامام عليه السلام ، وسائر أنواع ما أظهر به الحقّ للناس من فعل واقع موقع بيانه ، أو تقرير أو غيرهما ، عرضه الظلمة الثابتة لهذا العالم ، كما أنّ الظلمات الّتي كانت في السحاب و المطر إنّما نشأت من نفس ظلمة هذا العالم الّتي كانت ثابتة له لو لا إشراق أنوار الكواكب عليه . فمن كان قلبه مظلماً بظلمة باطن الدنيا ظهر له ذلك الحقّ في الظلمات الّتي هي مأويه ومستقرّه ؛ كالمنافق ، فتعلّق به منه شبهات وتخييلات و تمويهات أوجبت عدم إيمانه بها ، و من كان خارجاً بقلبه عن حكم ظلمة عالم المادّة و الطبيعة وما يتفرّع عليها من الهوى و الكفر والفسوق و العصيان ، الّتي رأسها الدنيا وحبّها ، و كان متّصفاً بصفات الارض المتقدّمة ، منقاداً لأمر الله سبحانه، خاشعاً له ، متّبعاً للذكر ، قابلاً للحقّ ، ساكناً تحت الامر والحكم ، شارباً ، وليس قلبه قاسياً ، ولا نفسه متكبّرة ، ولا فاسد الطينة ، خبيث المنشأ ، عطشاناً لا يطلب إلا الحقّ ، لا همّ له إلا فيه ، فهو خارج عن حكم الظلمة، ولا يضرّه ما يضرّ هؤلاء الواقعين فيها .

وتلك الشبهات الظلمانيّة تستولي على أهله على حسب مراتبهم ، فمنهم من يمنعه عن إدراك الحقّ أصلا ، ومنهم من لا يمنعه إلا عن فهم المتشابهات الّتي عرضها التشابه في هذا العالم في الانظار الواقعة بحسبه ، لا للراسخين في العلم و بينهما مراتب متوسّطة .

و في ذلك الحقّ النازل من سماء عالم القدس رعد وصوت قويّ يقرع أسماع

---

١) في المخطوطة : « أهلها » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الغافلين والنائمين في مراقد الغفلة والطبيعة والدنيا قرعاً قويّاً ، ويزعجها إزعاجاً شديداً مهولاً مخوفاً ؛ كالتخويفات و الانذارات الواقعة فيه بالمخوفات العاجلة و الآجلة ، و ذكر أسماء الغضب و الجلال و وصف القدرة و بيان الوقائع الماضية المشتملة على ورود النقمة على الطوائف السالفة و غير ذلك ، وهي تقرع أسماعهم قرعاً قويّاً ، و يوقظهم لو كانوا أحياء سامعين ، و يزعجها لطلب النجاة من تلك الاهوال والمخاوف ، وطلب دارالسلام ، وبرق وبشارات ، ومنافع عاجلة و آجلة ، و بيان رحمة و لطف ، و بيان ألطاف سابقة وضعت على الماضين وما يشمل ذلك ، و هدايات تظهر في عين الظلمات ، وتردع الظلمة عن اولئك المنافقين الواقعين فيها ؛ لكنّها لا تدوم ولاتثبت فيها ، وليسوا قابلين لها قبول تأثّر وانفعال ، فكأنّما برق تألق بالحمى ثمّ انثنى، فكأنّما لم يرجع ، كما أنّ الرعدالواقع على تلك القلوب القاسية لم يسكن فيها ، ولم يحلّ بها ، بخلاف المؤمنين الّذين رسخت فيهم الانذار والتخويف والبشارة والهداية ، فخرج الحال لهم عن حال الرعد والبرق في انتفاء الثبات وغيره .

وكذا فيه صواعق وإنذارات قويّة يكاد يهلك بصوتها ونارها هؤلاء المنافقون من التخويفات البليغة الاخرويّة و الدنيويّة الّتي هي أشدّ الصواعق عليهم ؛ إذ الدنيا هي معبودهم و مقصودهم وقبلة قلوبهم ، وهم يسدّون أسماعهم عن الاصاخة إلى الحقّ و الهدى بأعمالهم الّتي يعملونها و يكتسبونها بأيديهم حتى لايتأثر بتلك الانذارات القويّة ، ويحذرون أن يميتهم إمّا صورة لشدّة استيلاء الخوف عليهم المهلك لهم ظاهراً ، أو يميت نفوسهم المنافقة عن حياتها الخبيثة الشهوانيّة ، الّذي هوالموت الارادي قبل الموت الطبيعي ، الّذي يشير إليه ما ربّما يروى عنهم عليهم السلام من قولهم عليهم السلام : « موتوا قبل أن تموتوا » ، أو يقعوا في القتل بسبب الاطاعة الصوريّة ؛ كأوامر الجهاد وغيرها ممّا فيه تعريض النفس للموت ، فهم يمنعون

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

أنفسهم عن استماع الحقّ المشتمل عليه استماع قبول وائتمار حذراً عن ترتّب الموت عليه .

و هذا بخلاف المؤمنين الّذين قبلوا تلك الانذارت ، و خافوا خوفاً أمات نفوسهم ، وعرضوا أنفسهم للمهالك في سبيله ، بل صاروا بحيث لولا الاجل الّذي كتب الله عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب كما وصف به أميرالمؤمنين عليه السلام المتّقين بذلك فيما يبالي من كلامه المذكور في النهج [1] ، بل أمات بعضهم كما صنع ذالك الخطبة بـ « همّام » المصغي لها ، الّذي قال عليه السلام عند موته به أنّه : «هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها» على ما يبالي .

« والله محيط بالكافرين » المستترين عن الحقّ بأغشيتهم ، لايخرجون عن تحت حكم قضائه وقدره ومشيّته وإرادته و قدرته بحيلة من حيلهم ، ولا في حال من أحوالهم .

وأنت بعد التأمّل فيما قدمناه في سائر الآيات تقدر على إجراء هذا المثال في سائر مراتب النفاق ، فتدبّر في ذلك .

و أمّا الهيئة التركيبيّة و الكيفيّة الحاصلة من مجموع تلك المفردات المنضامّة المتلاصقة ، فربّما يقال : إنّه لمّا وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم ، وما خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبّهت حيرتهم و شدّة الامر عليهم بمن أخذته السماء في اللّيلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق . وهذا في مقابلة الامن والسلامة والهدى والاستقامة والفلاح الحاصلة للمؤمنين ، هذا .

وعن تفسير الامام عليه السلام أنّه قال العالم عليه السلام :

« ثمّ ضرب الله عزّوجلّ مثلا آخر للمنافقين ، فقال : مثل

١) راجع النهج ، خ ١٩٣ ، ص ٣٠٣ .

ما خوطبوا به من هذا القرآن الّذي أُنزل عليك يا محمّد ﷺ مشتملاً على بيان توحيدي، وإيضاح حجّة نبوّتك، والدليل الباهر على استحقاق أخيك عليّ عليه السلام الموقف الذي وقّفته، والمحلّ الّذي أحللته، والرتبة الّتي رفعته إليها، و السياسة الّتي قلّدته إيّاها، فهي كالصيّب فيه ظلمات و رعد وبرق.

قال: يا محمّد ﷺ، كما أنّ في هذا المطر هذه الاشياء و من ابتلي به خاف، فكذلك هؤلاء في ردّهم لبيعة عليّ عليه السلام وخوفهم أن تعثر أنت يا محمّد على نفاقهم، كمثل من هو في هذا المطر والرعد والبرق يخاف أن يخلع الرعد فؤاده، أو ينزل البرق بالصاعقة عليه. و كذلك هؤلاء يخافون أن تعثر على كفرهم فتوجب قتلهم واستيصالهم: يجعلون أصابعهم في آذانهم لئلا يخلع [قلوبهم من الصواعق حذر الموت، كما يجعل هؤلاء المبتلون بهذا الرعد أصابعهم في آذانهم لئلا يخلع] صوت الرعد أفئدتهم. و كذلك يجعلون أصابعهم في آذانهم إذا سمعوا لعنك لمن نكث البيعة، و وعيدك لهم إذا علمت أحوالهم؛ «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت» لئلا يسمعوا لعنك و لا وعيدك، فيتغيّر ألوانهم، فيستدلّ أصحابك أنّهم المعنيّون باللّعن والوعيد لما قد ظهر من التغيير و الاضطراب عليهم، فتقوى التهمة عليهم، ولا يأمنون هلاكهم بذلك على يدك وفي حكمك.

ثمّ قال: «والله محيط بالكافرين» مقتدر عليهم، ولو شاء

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أظهر لك نفاق منافقيهم ، و أبدى لك أسرارهم ، و أمرك بقتلهم »[١] .

وفيه تأييد لجملة ممّا قدّمناه بعد تذكّر جملة ممّا ذكرناه سابقاً في تفسيره للآيات السابقة و بعض القواعد المتقدّمة ، فلا تغفل عن ذلك .

١) تفسير الامام ـ عليه‌السلام ـ ، ص ٥٠ ـ ٥٢ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٦ .

[تحقيق حول الخطف والشيء وبيان قدرة الله سبحانه]

يَكادُ البَرْقُ يَخطَفُ أَبْصارَهُمْ

[في معنى الخطف و وجه خطف أبصار المنافقين]

« الخطاف » على ما في الصحاح هو : الاستلاب ، و فسّر بالاخذ باستلاب، وبالاخذ بسرعة ، وهما قريبان من التفسير الاوّل .

و في تتمّة الرواية السابقة :

« وهذا مثل قوم ابتلوا ببرق فلم يغضّوا عنه[1] أبصارهم ، ولم يستتروا[2] منه وجوههم لتسلم عيونهم من تلألئه ، ولم ينظروا إلى الطريق الّذي يريدون أن يتخلّصوا فيه بضوء البرق، ولكنّهم نظروا إلى نفس البرق يكاد يخطف أبصارهم، فكذلك هؤلاء المنافقون يكاد ما في القرآن من الآيات المحكمة الدالّة على نبوّتك ، الموضحة عن صدقك في نصب عليّ عليه السلام إماماً ، و يكاد ما يشاهدونه منك يا محمّد صلى الله عليه وآله و من أخيك عليّ عليه السلام من المعجزات الدالات على أنّ أمرك و أمره هو الحقّ [الّذي] لاريب [فيه] ، ثمّ هم مع ذلك لاينظرون في دلائل ما يشاهدون من آيات القرآن وآياتك وآيات أخيك عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ يكاد ذهابهم عن الحقّ في

---

١) في المخطوطة والبرهان : « عنها » .

٢) في التفسير : « لم يستروا » ، استظهره المصنف (ره) في الهامش .

حججك ، فيبطل عليهم سائر ما قد علموه من الاشياء الّتي
يعرفونها ؛ لأنّ من جحد حقاً واحداً أدّاه ذلك الجحود
[إلى] أن يجحد كلّ حقّ ، فصار جاحده في بطلان سائر
الحقوق عليه كالناظر إلى جرم الشمس في ذهاب نور
بصره »[1] .

و كأنّه يدلّ على أنّ المشبّه بالبرق هو الوجه الثاني من الوجهين المتقدّمين أعني : الهدايات الظاهرة في ألفاظ القرآن و النبي والامام عليهما السلام ، و في أفعالهما و سيرتهما و ما أشبه ذلك ، و أنّ اختطاف ذلك البرق بصائرهم لأنّهم لم يكونوا ناظرين إليها نظر المستهدي الطالب للحقّ والسلوك فيه ، بل هم معرضون عن طلب النجاة والفلاح لأنفسهم ، وسلوك الصراط المستقيم المؤدّي إلى كلّ خير ، والنجاة من كلّ شرّ ؛ و إنّما ينظرون إلى نفس تلك العلامات ملتزمين بتركها متأبّين عن قبولها ؛ كالمسافر المعرض عن طلب الطريق الفاتح بصره نحو البرق ، فانّه في معرض ذهاب البصر ، كذلك المنافقون الجاحدون للنبوّة أو الولاية أو الشاكّون فيها نظروا إلى تلك الآيات من حيث هي مع إعراضهم عن قبولها ، فتكاد تلك الآيات أن يخطف بصائرهم بالكلّيّة وتسلبهم عقولهم و ألبابهم . و ذلك لأجل خروجهم بذلك عن مقتضى الفطرة الصحيحة القاضية بتطلّب الفلاح والنجاة لصاحبها ، الّذي هو أعزّ النفوس عنده ، وقبوله بعقله والتزامه إيّاه . فاذا وقع إدراكه على طريقه وأبى وجحد وأقدم على الحرمان من جميع الخيرات، والوقوع في كلّ شرّ استكباراً وعناداً ، وتكرّر ذلك في حقّه بترادف ظهور الآيات ، وتواتر الاصرار على الجحود والانكار ، أدّى ذلك إلى تغيّر الفطرة الاولى في الطلب والقبول والالتزام بمقتضى تعوّد مخالفتها في أهمّ مقتضياتها ، فصار عدوّاً لنفسه لايطلب خيرها ولا دفع شرّها

١) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٥٨٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

إذا كانا من الامور الحقيقيّة الباقية لا الدائرة الفانية ، ولا يقبل ذلك عند ورود موجب العلم و الادراك ، ولايلتزم به ، فصار منسلخاً عن الصيرة الّتي من شأنها القبول والانّصاف بالعلم ، و داعية الطلب قبل ورود الموجب ، و داعية الالتزام بعد القبول، كما هوالشأن في جميع القوى الانسانيّة والحيوانيّة ، فانّها تقوى بالاعمال، وتضعف أو تنعدم بالاهمال ، خصوصاً عند العمل على خلاف مقتضياتها و أضدادها، فانّ العادة كالطبيعه الثانية قاهرة على الطبيعة الاولى واردة عليها ؛ ألاترى إلى أنّ بعض المشتغلين لوعظ الناس و ذكر المصائب لأجل التكسّب بهما و طلب المال والجاه،إذا كان بناء أمره من أوّله إلى محض الحفظ والذكر وترك التأثّر ، إذا داوم على ذلك يصير بحيث لايمكن له تأثّر بوعظ ولا ذكر مصيبة ولو أجهد نفسه؟ لأنّه كلّما يرد على نفسه منهما شيء كان مسبوقاً بورود نظائر كثيرة له مقترنة بعدم التأثّر ، فلايكون له وقع وتأثير في النفس أصلاً ، حتّى كأنّه منسلخ عن مقتضى التأثّر رأساً .

وأيضاً فانّه إذا جحدالنبوّة أوالولاية بعدظهورالآية فقد أقدم على الاعراض عن الآخرة والواقع رأساً ، والامورالراجعة إليهما هي الاصل في مدركات البصائر، فلم يبق لبصائرهم مجال نظر وتأمّل فيما من شأنها ، فكأنّهم انسلخوا عنها ، بل وقع ذلك بورود الغطاء و ضرب حجاب الجحود عليه و إن بقيت الشأنيّة ، وقد عرضوا تلك النعمة الجسيمة بالكفران وترك صرفها فيما خلقت لأجلها ، لأخذ الله سبحانه إيّاها عنهم بعد إتمام الحجّة بظهور الآيات والبيّنات . فمن طرفها صاروا في معرض خطف البصائر ، وكاد أن يقع ذلك عليهم .

ثمّ من بعد التمادي في ذلك الحال ينجرّ الامر إلى الختم والطبع والغشاوة الخاطفة للبصائر ، وقد سبق بيان أحوالها . ويجري نظيرهذا البيان في جميع مراتب الجحود الواقع باختلاف العلم مع الحال ، أو أحدهما مع العمل ، كما يشهد له

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

في الجملة ما ورد من أنّ :

« العلم يهتف بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل [عنه] »[١].

وقوله سبحانه :

« وما كان الله ليضلّ قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتّقون »[٢].

وغير ذلك ، والتفصيل موكول إلى محلّه .

وأيضاً فانّه إذا عاند الآيات والبيّنات بعد ظهورها و وضوحها استحقّ بذلك اللّعن والخذلان ، والتخلية بينه وبين الشيطان الغويّ ، وتركه في الظلمة ، وسلب نور البصيرة عنه ، هذا .

ولو شبّه البرق بالبشارات الواردة عليهم فلعلّ مقاربتها لخطف أبصارهم لاجل أنّها من البشارات المتعلّقة بالعاجلة الّتي هي بأنفسها كالبرق أيضاً في عدم الثبات والبقاء ، والمنافقون لكونهم معرضين عن الآخرة ، وتوحّد همّهم في الدنيا ، إذا سمعوا بشرى عاجلة تطلّعت نفوسهم إليها شوقاً بحيث كاد أن تطير عقولهم لأجلها ؛ كالكاملون في الايمان بالقياس إلى ذكر أوصاف المبدء و المعاد بخلاف المؤمنين الّذين لايأسون على ما فاتهم منها ، ولايفرحون بما آتاهم .

---

١) هو من حكم أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ، فراجع نهج البلاغة ، ح ٣٦٦ ، ص ٥٣٩ ؛ وكذا رواه المجلسي (ره) في البحار ، ج ٢ ، باب استعمال العلم و الاخلاص في طلبه ، ص ٣٣ ، ح ٢٩ ، وص ٤٠ ، ح ٧١ ، عن عوالي اللئالي ، عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ، وعن منية المريد ، عن أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ ؛ وقال في ذيله : « يهتف بالعمل أي : العلم طالب للعمل ، و يدعو الشخص إليه ، فان لم يعمل الشخص بما هو مطلوب العلم ومقتضاه فارقه » .

٢) التوبة / ١١٥ .

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في إيمان المنافقين عند الرّاحة وكفرهم عند الشّدائد]

كُلَّما أَضاءَ لَهُم مَشَوْا فيه

إمّا متعدّ فيكون المعنى : كلّما نوّر لهم ممشىً ومسلكاً مشوا فيه ، أو لازم بمعنى : كلّما لمع لهم مشوا في مطرح نوره . فينبغي عليه حذف مضاف أو التزام توسّع في نسبة ، كما أنّ المفعول على الاوّل محذوف من الكلام . والمشي : جنس الحركة المخصوصة .

وَ إذا أَظْلَمَ عَلَيْهِم

يحتمل فيه اللّزوم والتعدية كالاضائة ، و اللّزوم هو الظاهر لكثرة استعماله على ما ذكر ، واستغنائه عن الحذف .

قامُوا

وقفوا وثبتوا في مكانهم . و في تتمّة الرواية السابقة عند الجملة الاولى :

« إذا ظهر ما اعتقدوه أنّه الحجّة مشوا فيه ثبتوا عليه ، و هؤلاء كانوا إذا أنتجت خيولهم الاناث ونساؤهم [الذكور] ، وحملت نخليهم ، و زكت زروعهم ، ونمت تجاراتهم ، وكثرت الالبان في ضروعهم قالوا : يوشك أن يكون هذا ببركة بيعتنا لعليّ عليه السلام ، إنّه مبخوت بذلك ينبغي أن نعطيه ظاهر الطاعة لنعيش في دولته . « **و إذا اظلم عليهم قاموا** » ؛ أي : إذا أنتجت خيولهم الذكور و نساؤهم الاناث ، ولم يربحوا في تجارتهم ، ولا حملت نخيلهم ، ولازكت زروعهم وقفوا و قالوا : هذا بشؤم هذه البيعة الّتي بايعناها عليّاً عليه السلام ، والتصديق الّذي صدّقنا محمّداً صلى الله عليه وآله . وهو نظير ما

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

قال الله عزّ وجلّ : يا محمد « إن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله و إن تصبهم سيّئة يقولوا هذه من عندك قال الله تعالى قل كلّ من عند الله »[1] بحكمه النافذ وقضائه ، ليس ذلك لشؤمي ولا ليمني »[2] .

و اقول :

لمّا كان من جملة تلك الآيات المشبّهة بالبرق البركات والخيرات المترتّبة على الهدى: الحقّ و دين الاسلام كما يشهد به ملاحظة حال أهل المدينة وغيرهم قبل الهجرة ، وملاحظة أحوالهم المتأخّرة عنها حيث أرخت الدنيا عليهم عراسيها، وأقبلت عليهم بجميع شؤونها من كثرة المال ، و بسط الجاه و الرخاء و السعة ، و ارتفاع أسباب الفساد الّتي كانت قبله ، و سائر البركات و الخيرات ، مضافاً إلى المعجزات الخاصّة ، التي ظهر في نصر الاسلام و إصلاح أُمور المسلمين المتعلّقة بدنياهم ، وإلى سبق الاخبار بوقوعها من القرآن أو كلام الرسول صلى الله عليه وآله ، فيكون وقوع المخبر به على حسب الاخبار السابق دليلاً على صحّة النبوّة .

و لمّا كان المنافقون معرضين عن الآخرة مقصوري الهمم على أُمور الدنيا فلا تضيء لهم الحجج إلا ما كان من هذا القبيل ، و إضائته لهم ظهور تلك الآثار الدنيويّة عليهم، وهم يمشون في ضوئه ، ويسيرون في ظاهر أحكام الاسلام متمسّكين به طلباً لتلك الخيرات العاجلة ، الّتي ظهرت لهم أنّ وصولها إليهم ببركة إظهارهم الاسلام ، والتزامهم بأحكامه ، الّتي من جملة عظامها قبول الولاية ظاهراً و الاقرار اللّساني بها ، و كذا ما ظهر لهم كونه من طرف كلّ حكم من أحكام الاسلام ، و كلّ شأن من شؤونه ، كما يشاهد كثيراً من ترتّب الخيرات على الصدقات ، وإقامة

1) النساء / ٧٨ .
2) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٥٨٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المراثي على سيّد شباب أهل الجنّة وغيرهما .

و تلك الآثار الدنيويّة المترتّبة على آحاد أحكام الدين في طرفي الموافقة والمخالفة من أعظم البراهين على صحّة الدين بعد الاطلاع على مجاريها ، وتدقيق النظر فيها ؛ إذ ينكشف للعاقل عند ذلك أنّه لولم يكن أمراً حقّاً ثابتاً في الواقع، لم يكن ليترتّب عليها شيء من ذلك ؛ مضافاً إلى شهادة الآثار الباطنيّة الظاهرة لأهل البصيرة الباطنيّة عليها ، وإلى ما مرّ من انقلاب حال المسلمين بحسب دنياهم انقلاباً فاحشاً ؛ لكن تلك البيّنات لاتؤثّر في قلوب المنافقين و باطنهم ، و إنّما تؤثّر في مشيهم على طبقها ، وثباتهم على الالتزام الظاهريّ بما ترتّب عليه تلك الآثار المطلوبة من أصل الاسلام ، أوقبول كلمة الولاية ، أو سائر أحكام الحقّ و الدين . فلم توجب تحقّق الايمان لهم كما أوجب في حقّ المؤمنين ، بل أوجب سلوكهم على حسبها ظاهراً .

ولمّا كانوا ناظرين إلى تلك الآيات بأنفسها طالبين لتلك الآثار من حيث ذواتها ، لكونها من مصالح دنياهم لا من جهة كونها دلائل على أنّه الحقّ و والصدق ؛ لأنّهم غير طالبين له كما مرّ مثل ذلك في وصفهم ، لزمه انقلاب حالهم إذا لم يظهر لهم تلك الآثار ، أوظهر لهم ما يضادّ مقاصدهم الدنيويّة ، و تثاقلهم عن قبول أحكام الدين والثبات عليه لفتور دواعيهم ، وانتقاض أغراضهم ، و عروض الشبهة لهم في كون الاسلام بأحكامه موجباً لترتّب المنافع الدنيويّة ، و دفع المضارّ العاجلة الذين هما الغايتان لفعلهم .

ثمّ المناسب لحال المنافقين في الأصل أن يحملوا ما شاهدوا ترتّبها على الاسلام و أحكامه على أنّه من قبيل البخت و اليمن و البركة ، الّتي يعتقدون أمثالها في كثير من الافعال و الاشخاص و غيرها ، كما يشاهد في اعتقاد الناس نحو ذلك في الاعصار والامصار ، فلا يجعلونها حجّة و برهاناً لكونه الحقّ النازل من عندالله

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

سبحانه لجحودهم ذلك ، بل يجعلون المقامين من البخت و الشؤم ، فيلزمهم المشي عند ظهور آثار ما يرونه بختاً ، والوقوف والتثاقل عند خلافه .

وهذا يجري نظيره في حقّ كلّ عامل يعمل بالدين لأجل المنافع الدنيويّة في كلّ مقام ، ولا ينظر إلى كونه وصلة إلى الآخرة سواء اعتقد كونه حقّاً في الواقع موصلا إلى الجزاء الاخرويّ أم لا : كالمجاهد لأجل الغنيمة ، و الحاجّ للتجارة ، ومعطي الزكاة والخمس لأجل بركة المال وعدم تلفه ، والساعي في ترويج الدين للمال والجاه ، والمحصل للعلم لأحدهما و غير ذلك ، ومقيم مجلس العزاء للبركة و دفع البليات وقضاء الحاجات . فانّه كلّما ظهر لهم ترتب مقاصدهم على ما فعلوه مشوا على الطريقة التي فعلوها . و إذا افتقدوا تلك الآثار قاموا و ثبتوا عند هذا .

ولو جعل البرق مشبهاً بالبشارات العاجلة كما احتملناه سابقاً ، فالامر في الجملتين أوضح وأظهر ، كما يظهر بملاحظة ما تقدّم .

ولعلّه بهذه الملاحظة ذكر بعضهم في وجه المشابهة هنا أنه : « كلّما دعوا ـ يعني : المنافقين ـ إلى خير و غنيمة أسرعوا ، و إذا وردت شدّة على المسلمين تحيّروا لكفرهم ، و وقفوا كما وقف أولئك في الظلمات متحيرين »[1] .

و أمّا ما قيل من : « أنهم اليهود لما نصر المسلمون ببدر قالوا : هذا الذي بشّر به موسى عليه السلام ، فلما نكبوا بأُحد وقفوا و شكوا »[2] ، فبعيد جدّاً حيث أنّ مساق هذه الجمل في صفة المنافقين وبيان حالهم لا الكفار .

نعم ، لو جعلهم المنافقين المتردّدين باطناً ، المظهرين للايمان ، المصغين إلى كلام اليهود ، أو المتخيلين نظير ما صدر منهم ، أو القائلين به في خفاياهم ، لم يكن

١) راجع مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٥٩ .

٢) نفس المصدر .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

خالياً عن وجه .

و أما ما قيل هنا من أنهم : « إذا آمنوا صار الايمان لهم نوراً ، فاذا ماتوا عادوا إلى ظلمة العقاب »[1] ، فهو أيضاً بظاهره بعيد ؛ إذ إظهار اسلام مع الكفر الباطني الذي اتصف به المنافق ليس نوراً ، ولايضيء لهم شيئاً ، مع عدم ظهور المناسبة بين قيام أصحاب الصيب ، العود إلى ظلمة العقاب .

و لعلّه أراد بذلك إجراء نظير الجملتين في سائر مراتب النفاق ، الواقعة برزخاً بين الايمان الخالص والكفر المحض .

فالمناسب حينئذ أن يقول : إنّهم يسيرون تارة في ضوء الايمان ، ويمكثون أخرى ، كما في المثل المعروف : « أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى » ؛ إذ لاثبات لحالهم و دواعيهم ومقاماتهم ، كما مرّ بيانه في ذيل الآيات السابقة .

و ربما يجعل الجملتان تمثيلاً لشدة الامر على المنافقين بشدته على أصحاب الصيب ، و ماهم فيه من غاية التحيّر و الجهل بما يأتون ، وما يذرون إذا صادفوا من البرق خفقة[2] ، مع خوف أن يخطف أبصارهم انتهزوها فرصة ، فخطّوا خطوات يسيرة ، فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة .

ويجري نظير هذا البيان في سائر أقسام النفاق ، بل في غير ما خصّ الايمان الّذي أخلص نفسه لله فاستخلصه ، وصار من معادن دينه و أوتاد أرضه ؛ كما ورد هذا الوصف في كلام أميرالمؤمنين عليه السلام على ما ببالي[3] . فانّ من عدا ذلك المؤمن لايخلوا عن تحيّر في أمر دينه ، وجهل يرشده ، وغيّ[4] ولو في بعض الموارد و

---

١) نفس المصدر .

٢) خفق البرق : لمع (منه ره) .

٣) راجع نهج البلاغة ، خ ٨٧ ، ص ١١٩ ؛ و كلامه ـ عليه السلام ـ هو : « قد أخلص لله فاستخلصه . فهو من معادن دينه ، و أوتاد أرضه » .

٤) في المخطوطة : « غيه » .

الاحوال ، و عن سعي ناقص بخطوات قليلة ، و سكون أحياناً عن سلوك الصراط المستقيم ، و الوقوف متقيّداً عند تقلّب الاحوال ، و الله المستعان .

وَلَوْ شاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِم وَأَبْصارِهِمْ

[في أنّ الله قادر بإذهاب بصر المنافقين وإظهار كفرهم]

كأنّ المعنى أنّه لوشاء أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها ، و حذف المفعول في« شاء » تعويلاً على دلالة الجزاء عليه شائع، حتّى قيل : إنهم « لايكادون يبرزون المفعول إلا في الشيء المستغرب »[١] .

و كأن الاولى أن يجعل هذا أيضاً من تتمّة أحوال أصحاب الصيب، فيكون الاذهاب بالسمع بقصيف الرعد ، و شدّة صوته بالزيادة في شدّته ، أو واقعاً على وجه يترتب عليه الذهاب ، أوجعله مذهباً بمشيّة الله سبحانه ، أو بسبب آخر، أو بنفس المشية بلا سبب أصلا ، و كذا في إذهاب البصر بالبرق أوغيره .

ويشبه أن يكون إيراد هذه الجملة تنبيهاً على أنّ ما يفعلونه حذار البرق والرعد ليس مخرجاً لهم عن قضاء الله سبحانه وقدره ومشيّته و حكمه عليهم ، ولا مغنياً لهم عن الله شيئاً ، وأنّ الحكم لله وحده ، فلا ينبغي الاعتماد على الحذر و تدبير العبد لنفسه ، ولا طلب مسابقة الله في قضائه والفرار من حكمه ، بل ينبغي التوكل عليه سبحانه والاعتماد عليه والتسليم له .

و في تتمّة الرواية السابقة :

« ثمّ قال الله عزّ وجلّ « **ولو شاءالله لذهب بسمعهم وابصارهم** » حتّى لايتهيأ لهم الاحتراز من أن تقف على كفرهم أنت و أصحابك المؤمنون ، وتوجب قتلهم »[٢] .

١) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٣ .
٢) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ١ ص ٥٨٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ولعلّه بيان لما يفيده هذه الجملة الواقعة في المثال في صفات المشبه أو إثبات لمثله فيه، و أنّه كما أن الله سبحانه لو شاء أذهبها عن أصحاب الصيب بما فيه من البرق و الرعد، فيبقون في تلك الاهوال و الشدائد مأخوذين عنهم أسباب التخلّص؛ إذ المبدء للخلاص هو الادارك والعمدة في أسبابه السمع والبصر؛ كذلك لو شاء لذهب بها عن المنافقين حتّى لايتمكنوا من الحيلة والتحرز عن وقوع سبب الهلاك عليهم باظهار الاسلام و الالتزام بأحكامه، و سائر ما كانوا يجعلونه وقاية لهم، وجنة لدفع ما كان يعامل الكفار بمثله. ولعلّه مراد من فسره بأنه لو شاء لأظهر على كفرهم، فأهلكهم و دمّر عليهم.

و يحتمل خروج هذه الجملة عن حكم ماقبله، فيكون المراد بها المنافقون ابتداء. و الاول أقرب، و المآل على كلّ منهما واحد لايتفاوت كثير تفاوت على الظاهر.

إِنَّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

[حقيقة الشيء ومصاديقه]

« الشيء » ما صحّ أن يعلم ويخبر عنه [1].

و عن سيبويه: « أنّه أول الاسماء و أعمها و أبهمها؛ لأنه يقع على الموجود و المعدوم. » [2] وهذا التعميم منسوب إلى محققي المتكلّمين، بل قال جماعة: « إنّ الشيء أعمّ العامّ، كما أنّ الله أخص الخاص، يجري على الجسم والعرض و القديم، وعلى المعدوم والمحال » [3].

---

١) راجع مجمع البيان، ج ١، ص ٥٨؛ والكشاف، ج ١، ص ٤٣.

٢) مجمع البيان، ج ١، ص ٥٨.

٣) راجع الكشاف، ج ١ ص ٤٣.

واعترض بأن المحال ليس شيئاً اتفاقاً ، وأجيب بأنّ : ذلك الخلاف في الشيئية بمعنى التقرر و الثبوت في الخارج ، لا في إطلاق لفظ الشيء . فانه بحث لغوي ، مرجعه إلى النقل والسماع ، لايصلح محلاً لاختلاف العقلاء الناظرين في المباحث العلمية . والظاهر من طريقة الحكماء أنّ الشيئيّة تساوق الوجود ، وأن ما ليس بموجود ليس بشيء .

و في المجمع بعد أن اختار الاول أيده بذيل هذه الآية و قال : « فان كل شيء سواه محدث ، وكل محدث فله حالتان : حالة عدم ، و حالة وجود ، و إذا وجد خرج عن أن يكون مقدوراً للقادر ، لأن من المعلوم ضرورة أن الموجود لايصح أن يوجد ، فعلمنا أنه إنما يقدر عليه في حال عدمه ليخرجه من العدم إلى الوجود ـ ثمّ قال : ـ وعلى هذه المسألة يدور أكثر مسائل التوحيد »[1]. و ذكر في آخر كلامه في تفسير الآية أنّه : « قادر على الاشياء كلّها على ثلاثة وجوه : على المعدومات بأن يوجدها ، و على الموجودات بأن يفنيها ، و على مقدور غيره بأن يقدر عليه و يمنع منه »[2] .

و هذا الكلام لايلائم ما سبق منه إلا أن يقرر في خصوص القدرة على الايجاد بأن يقال كما أورده بعضهم : من أنّه لوكان الشيء هو الموجود كما يزعمون ، لما كان متعلّقاً للقدرة ، لأنها عبارة عن الصفة المؤثرة على وفق الارادة ، و تأثيرها هو الايجاد ، وإيجاد الموجود محال .

وهو أيضاً فاسد ، وكيف يخرج الموجود عن تحت القدرة والحال أن وجوده قائم بقدرته ، وأثر له ؟ و كيف ينفك الاثر عن المؤثر ؟

بل التحقيق أن الممكن له حالة واحدة افتقارية إلى موجده في حال عدمه

---

١) مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٥٨ .

٢) نفس المصدر ، ص ٥٩ .

وحدوثه وبقائه من دون تفرقة في نحوالافتقار . فأنتم الفقراء إلى الله بقول مطلق، وبكل اعتبار و في كل حال ، والله هو الغني الحميد [1] .

وبيالي أن في دعاء الحسين عليه السلام في يوم عرفة :

«أنا الفقير في غناي ، فكيف لا أكون فقيراً في فقري » ؟ [2] .

وأما الشبهة المذكورة ، فالجواب عنه ما ذكره بعضهم من أن المحال إيجاد الموجود بوجود سابق . و هو غير لازم ، و اللازم إيجاد موجود بوجود هو أثر ذلك الايجاد ، وهو ليس بمحال .

وأمّا المقدور ، فان أريد به ما تعلّقت به القدرة فهو لايكون إلا موجوداً ، و إن أريد ما يصلح أن يتعلّق به القدرة يكون معدوماً . وهو المعنيّ بقولهم : «إن الله قادر على جميع الممكنات ، وأن مقدوراته غير متناهية » .

وهذا الكلام قريب من الصواب بعد إرادة الشأنيّة المقابلة للفعلية من صلوح التعلّق في كلامه ، فانّ الممكن لاينعدم عنه صلوح التعلّق بعد وجوده ، بل هو بعد على ذلك الصلوح السابق ، و أنّما كمل صلوحه بالفعلية ما دام باقياً بابقاء الحق إياه ، وإقامته في الاعيان ، فاذا انسلخ عنه ذلك ارتفع الكمال و الفعلية ، كيف و ذلك الصلوح و القابليّة إنّما ثبت لذات الممكن من حيث ذاته ، لا بعلّة أخرى ، فكيف يزول عنه في حال الوجود الّذي هو وقت تقوّم الذات و تحققه ؟

وقد تقرر في محلّه أن علّة الاحتياج إلى المؤثّر هوالامكان الذاتي ، الّذي لم يسلب عنه بالوجود ، بل هو موصوف بالامكان حال وجوده ، كما كان موصوفاً حال حدوثه ، وباعتبار ما قبله . وحقيقة الامكان هو صلاحية الوجود ؛ لكن الممكن

---

١) إشارة إلى قوله تعالى : « يا أيّها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنيّ الحميد » (فاطر / ١٥) .

٢) راجع الاقبال وسائر كتب الادعية .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

لايصلح للكون بنفسه وبلا علّة ؛ إذ هو ظاهر الامتناع ، بل الذي يمكن أن يصير موجوداً بايجاد قادر عليه ما دام هو موجداً له ، فكيف يخرج عن تحت القدرة حال تأثير ذلك القدرة فيه ، وخروجه عن حكم القدرة سبب امتناع وجوده ؟

و من هذا البيان ظهر بقاء عموم الآية في الممكن حال الوجود من حيث وجوده ومن حيث عدمه ، ومن حيث تقليبه و تصريفه في كلّ حيثية من حيثياته ، وكلّ شأن من شؤونه .

ثمّ إنّهم التزموا بعد عدم تخصيصهم الشيء بالموجود بأنّ الآية مخصّصة بالممكنات، وأنّ المراد بالشيء ماسوى الواجب والممتنع ، و كذا مقدور قادر آخر على ما نسب إلى جمهور المعتزلة من إنكار كونه مقدوراً للحق سبحانه ، وأنه يمتنع أن يكون مقدور واحد بين قادرين .

والتحقيق أنّه لم يرد على الآية تخصيص خارج أصلا ، و أنّه باق على مفاده الذي ينساق إلى الذهن منها مع قطع النظر عن الخارج ، لا أنّ العقل حكم بورود التخصيص عليه . وبيانه أن الشيء على ما صرحوا به هو ما يصح أن يعلم و يخبر عنه كما تقدم ، واعترف جماعة منهم بذلك صريحاً ، وهو الظاهر من ملاحظة العرف واللّغة أيضاً ؛ لكن من البيّن أنه لو لم يفرض للشيء تميّز في حدّ نفسه في ذهن أو خارج أو في نفس الامر ، لم يصح أن يكون معلوماً ولا مخبراً عنه ، ولا له مفهوم ولا معنى . فالشيئية فرع التميز و التحدد بحدوده ، بحيث يمتاز به ممّا عداه ولو بوجه من وجوهه واعتبار من اعتباراته ، حتّى يصحّ وقوع العلم والادراك به ، والخبر عليه ، ويكون متحصلا في مرتبة نفسه ، ومعنى مغائراً لسائر المعاني ، و مفهوماً في مقابلة سائر المفاهيم . فلو لم يكن كذلك لما كان لادراجه تحت عنوان الشيء وجه أصلا ، ولايصح أن يشار إليه ويحكم عليه بأنّه شيء ، ومندرج تحت الشيء أم لا .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وهذا التميز والتعين فرع ثبوت ذلك المتميز المتعين، وتقرره إمّا في الذهن، أو في الخارج، أو في نفس الامر، أو مساوق له؛ إذ المراد بالثبوت و التقرر هو كون الشيء في حدّ نفسه متميزاً عمّا سواه، و متعيناً بحيث يصحّ الحكم عليه بأنّه هو.

و لعل مثل ذلك هو المراد ممّا نسب إلى أهل المعرفة من القول بالاعيان الثابتة في علم الحقّ، فان العلم يقتضي تعين المعلومات و تميزها بحدودها و مقاديرها، مع أنّها لم تتصف بعد بالوجود، ولم توجد في الاعيان. وهذا المعنى ظاهر إذا أريد بالعلم هو حقيقة اسم العليم، والعلم المخلوق المنسوب إلى الحقّ نسبة الفعل إلى الفاعل، والكلام إلى المتكلّم؛ إذ عند ظهور ذلك الاسم لابدّ وأن يتعيّن المعلومات في ظلاله وبتبعيّته معرّاة عن الوجود، وإلا لم يكن علماً بها، ولاصحّ وصفها بأنّها معلومات به.

والمفروض أن ذلك العلم محيط بالاشياء كلّها: « لايعزب عنه مثقال ذرّة في الارض ولا في السماء »[1]، وقد « وسع كلّ شيء »[2]، « ولايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء »[3]، و ذلك العلم متقدّم في الوجود على الاشياء الموجودة مع شمولها لأولها وآخرها، فلابدّ من أن تكون متعينة متميزة في نفس الامر بتبعيّة ذلك الاسم الحقيقي؛ إذ القدر الثابت من عدم تميز الاعدام هو أنّ الاعدام لاتتميّز بأنفسها، ولكنّها تتميز مقيساً إلى وجود موجود وتبعاً له، بحيث يصح الحكم عليه وبه، ويتعلّق به الادراك في حدّ نفسه، لا أن التميز يحصل في الذهن عند وجود ذلك العدم الخارجيّ في الذهن وتصوّر الذهن له. فانّ التحقيق أنّ الذهن

١) مأخوذ من آية ٦١ من سورة « يونس »، وآية ٣ من سورة « السبأ ».
٢) طه / ٩٨.
٣) البقرة / ٢٥٥.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

في مثل ذلك ليس إلّا مرآتاً لنفس الامر وحاكياً له ، ولذا يترتب عليه المحمولات ، ويحكم عليه بأحكام ، و تتصف تلك القضايا بالصدق والكذب ، فلابدّ أن يكون لها خارج نطابقه أو لاتطابقه ، وليس في دائرة الوجود ؛ إذ الفرض عدمه ، فلامناص من إثبات تميز للمعدومات حال عدمها في مرتبة أنفسها في ظلّ الموجودات ، حتّى يلاحظها الذهن ؛ ويحكم عليها العقل أحكامها التي تثبت لها بالقياس إلى الواقع، لا ما يحمل عليها بلحاظ كونها موجودات في الذهن ، كالمحمولات المنطقية مثلا ، يتصور العقل عدم الشرط وعدم المعدّ وعدم المقتضي وعدم جزئه وعدم المانع وعدم ما يلازمه وعدم الضد لشيء من الاشياء ، ثمّ يحكم عليها بأحكام ، ويحكم بصدقها ، فيقال في الاعدام الاربعة الاول : إنها أسباب لانعدام الشيء ، و أنّه يصح في كلّ منها أن يقال عدم ذلك فانعدم الشيء ، ولايصح العكس ، وأنّه مقدم على عدم الشيء مرتبة ، ومقارن له زماناً ، وأنّ الخامس شرط لوجود الممنوع ، والسادس مقارن وليس بشرط ، وعدم الضدّ مقدّمة لوجود الضدّ على القول به .

وهذه القضايا كلّها قضايا صحيحة عقليّة محكومة بأنها صادقة مطابقة للواقع، ونقائض تلك القضايا كاذبة محكومة بأنّها مخالفة للواقع . وليس اتصافها بالصدق والكذب في الذهن من حيث هي ، مع قطع النظر عمّا سوى الذهن ؛ إذ ليس نظر العقل في تلك الاحكام والنسب إلا إلى الواقع ، و هو ظرف النسبة كما هو ظاهر بالرجوع إلى الوجدان، ولو كان كذلك لم يتصف بالصدق والكذب أصلا ، فالوجدان الصحيح يحكم بأنّ تلك الاعدام متميزة مترتبة ، و محدودة في ظلّ الموجود و بتبعيته، وأنّ العقل يدركها ويدرك مراتبها وأحكامها بما أعطاه الحقّ من المرآتية و شأنيّة الاطلاع على الغيب ؛ فتلك المعدومات ثابتة في حدّ نفسها ، متقررة في مراتبها على حسب ما نبهنا عليه .

و لو ناقش مناقش في لفظ الثبوت و التقرر ، فلا يهمّنا المضائقة من التزام

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

توسّع في اللّفظ بعدوضوح المقصود . فاجعل المثال مرآتاً لتصور تعيّن المعدومات وتميزها في حضرة العلم المحيط بكلّ شيء وإن كان الامر فيه على نحو أعلى من ذلك المثال ، ولاتبادر إلى إنكار ثبوت الاعيان الثابتة في ذلك العلم المنسوب إلى الحقّ .

وأمّا العلم الذاتي الّذي هو عين الذات المقدّسة ، فالكلام في فرض ثبوت للاعيان عنده ممّا لاينبغي الخوض فيه لأمثالنا لبعد مقامه عن مقام العقل والنظر. فالاولى الاغماض عنه و الاكتفاء بغيره .

ولعل إلى ذلك وقع نظر عقول جماعة من المتكلّمين ، الذين التزموا بثبوت المعدومات فجنحوا إلى الصواب ، لكن أخطأوا الطريق فوقعوا في المضيق حيث إنّ الظاهر أنّهم اعتقدوا ثبوتها في حدّ ذاتها مع قطع النظر عن وجود موجود أصلا، فتكون هي في ثبوتها مستغنية عن الحق سبحانه و عن كل موجود . و هذا عين الفساد ، بل شرك خفي عند العارف . كما أن المنكرين لثبوتها ، المساوقين بين ثبوت الشيء و وجوده لم يصيبوا من كل وجه وإن أصابوا من البعض . فنظر كل من الطائفتين مركب من صواب و خطاء لم يحط بتمام الامر على ما هو عليه ؛ كأكثر المسائل العقلية وجملة كثيرة من غيرها .

و منها : قصر الشيئية على الموجود و التعميم لها ، و للمعدومات التي كنّا بصدد بيانها . فان الظاهر بملاحظة ما قدمنا أن الشيئية فرع التميز ، فما كان متميزاً في ظرف و وعاء من الاوعية الثلاثة أعني : الذهن والخارج ونفس الامر ، الذي هو مقام تميز المعدومات الخارجية ، كان شيئاً باعتباره ، و لمّا كان مرتبة نفس الامر شاملاً للخارج و الذهن ، بمعنى أن كل ما وجد فيهما فهو متعين في نفس الامر أيضاً ، بل وجوده في كل منهما تابع لتعينه في نفس الامر ، كما يظهر مما تقدم كانت الشيئية مساوقة لتميز الشيء وتعينه في الواقع ، فما لم يكن متعيناً

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ومتميزاً ليس شيئاً .

وحينئذ فنقول : إن المحالات الذاتية الاولية ليست أشياء حتى يخصص به عموم الشيء في هذه الآية ونظائرها ممّا دلّ على عموم القدرة من ألفاظ الكتاب و السنة النبوية والاماميّة ؛ كما تقدم في كلام بعض أهل البصيرة بأقوال العلماء من أن المحال ليس شيئاً اتفاقاً ، وما ذكره جواباً من أن النزاع ليس في الامر اللّفظي، بل في الشيئية بمعنى الثبوت والتقرر قد عرفت أن المدلول اللّغوي هوذلك المعنى، الذي وقع النزاع فيه بعد إرادة ما تقدم من الثبوت والتقرر . فيكون محل النزاع أن ذلك المعنى الظاهر للفظ الشيء هل هو متحقق في المعدومات حال عدمها أم لا ؟ فيكون نزاعاً في أمر معنوي لا في أن لفظ الشيء دال على أي معنى .

فان قلت : إنّ المحال الذاتي وإن لم يكن له وجود خارجيّ لكنّه موجود في الذهن قطعاً ، ولولاه لم يكن متصوراً ، ولا صحّ الحكم عليه بكونه محالا ، ولا كان للمباحث المتعلّقة بالمحالات المذكورة في كتب الحكمة وغيرها معنى أصلا ، فيكون شيئاً ، فلابد من تخصيص عموم القدرة بغيره .

قلت : نمنع كون المحال الذاتي موجوداً في الاذهان بالوجود الذهني ، وإنّما الموجود فيه حقيقة هو الممكنات فقط ، كيف وقد ذكرنا أنّ الذهن إنّما يتلقّى المفاهيم من طرف الواقع ، وهو في ذلك تابع له ، فما ليس متميزاً فيه لم يتميز في الذهن ، ولم يتعلّق به الادارك ، سواء قلنا بكون الصورة الذهنيّة تابعةً للموجود الخارجي ومتفرعة عليه ، أو بكونها تابعة لعالم المثال المقدم على الوجود المادي الواقع في سلسلة النزول ، فيكون الذهن متلقيّة للصورة منة ، أو كونها تابعة للمثال البرزخي المتأخر مرتبةً عن هذا العالم الواقع في السلسلة الصعودية ، أو كونها تابعة لسبب الادراك تبعية المعدّ له للمعد ، ويكون النفس منشئاً للصورة في عالم ملكوتها الصغرى ، أو كونها تابعة للتعين و التميز الثابت للشيء في حدّ

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

نفسه ، أو فصّلنا بين الموارد في ذلك ، وجعلنا لكلّ منها مورداً خاصّاً ، كما هو المختار ؛ إذ لايخلو الذهن على كلّ تقدير من كونه تابعاً للواقع ، فما لا واقع له لا وجود له في الذهن ؟ ألاترى أنك لاتتصور بذهنك و إن أجهدت نفسك ، و بذلت مجهودك أمراً ، إلا بالتفاتك إلى شيء رأيته أو سمعته أو أدركته من الامور الواقعية العينية ، بحيث لو لا ذلك الالتفات لم يتأت لك ذلك التصور ، ولم يحصل لك تلك الصورة ؟

نعم ، بعد ملاحظة ذلك الامر الواقعي ربما يتصرف المتخيلة في عدّة أمور متصورة بضم وتفريق وغيرهما ، فيحضر عندك صورة لها مركبة ليست متحققة في الواقع على هذا التركيب ؛ لكنّ الموجود في الذهن ليس إلا نفس البسائط المتحققة في الواقع ، و فرض الاجتماع فيها محض تصرف للمتخيلة ، وتعمّل لها . وليس ذلك التصرف أمراً ممتنعاً ، بل أمر ممكن موجود في الذهن بنفسه ، وليس في ذلك ناظراً إلى الواقع أصلاً . فالمتصور من حيث هو موجود في الذهن ليس أمراً ممتنعاً ، ولا مصداق له بحسب الواقع ، فهو شيء بحسب الذهن فقط ، و هو موجود و الله قادر على إيجاده فيه ، و ليس شيئاً بحسب الواقع ، وبالنظر إلى الموجود الخارجي حتّى يخصّص به عموم الشيء في نحو الآية .

فان قلت : لو لم يكن للموضوع في تلك القضايا حكاية عن الواقع، فكيف يحكم عليه بتلك الاحكام التي يحكم عليه بها بالقياس إلى الواقع ، مع أنّك قد ذكرت أنّ الذهن في نحو هذه القضايا مرآة للواقع و حاك عنه ؟ و ما المناط في صدق تلك القضايا و كذبها ؟

قلت : المحكيّ عنه في تلك القضايا هو محدودية عالم الامكان ، و نفي الامكان والشيئيّة والتقرر عن تلك المفاهيم المخترعة، وأنّه ليست بأشياء و بممكنة، ولا لها تميز وثبوت، كما أنّ توصيف الحقّ سبحانه بسبب صفات الامكان والحوادث

مرجعه إلى تحديد عالم الامكان، وأنّه لا محلّ لتلك الصفات الامكانية فيما سوى الممكنات، لا إلى تحديد الحقّ سبحانه عن أن يحدّ بالحدود التي نتعقلها. و عساك تقف على بيانه - إن شاء الله تعالى -.

ولنذكر بعض كلمات أهل المعقول تأييداً لما ذكرناه.

قال بعض الافاضل: «المعدوم لا يخلو إمّا أن يكون بسيطاً، و إمّا أن يكون مركّباً. فان كان بسيطاً مثل عدم ضدّ الله وعدم شريكه وعدم مثله و غير ذلك، فذلك إنما يعقل لأجل تشبيهه بأمر موجود؛ مثل أن يقال: ليس له تعالى شيء نسبته إليه نسبة السواد إلى البياض ولا له ما نسبته إليه نسبة المندرج مع آخر تحت نوع أو جنس، فلو لامعرفة المضادّة أو المماثلة أو المجانسة بين أمور وجودية، لا استحال الحكم بأن ليس لله تعالى ضدّ أو مماثل أو مجانس، أو ما يجري مجريها من المحالات عليه.

و إن كان مركباً؛ مثل: العلم بعدم اجتماع المتقابلين كالمتضادين، فالعلم به إنما يتم بالعلم بأجزائه الوجودية؛ مثل أن يعقل السواد والبياض، ثمّ يعقل الاجتماع حيث يجوز، ثمّ يقال: الاجتماع الذي هو أمر وجودي معقول غير حاصل بين السواد والبياض.

فالحاصل أنّ عدم البسائط إنما يعرف بالمقايسة إلى الامور الوجودية، وعدم المركبات إنما يعرف بمعرفة بسائطها».

و قال صدر الحكماء: «و اعلم أنّ العقل كما لايقدر أن يتعقل حقيقة الواجب بالذات لغاية مجده و علوه وشدة نوريته و وجوبه و فعليته وعدم تناهي عظمته و كبريائه، كذلك لايقدر على أن يتصور الممتنع بالذات بما هو ممتنع بالذات لغاية نقصه ومحوضة بطلانه ولا شيئيته. فكما لاينال ذات القيوم الواجب بالذات لأنه محيط بكل شيء فلا يحاط للعقل، فكذلك لا يدرك الممتنع بالذات

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

لفراره عن صقع الوجود و الشيئية ، فلا حظّ له من الهوية حتّى يشار إليه و يحيط به العقل و يدركه الشعور و يصل إليه الوهم . فالحكم بكون شيء ممتنعاً بالذات بضرب من البرهان على سبيل العرض و الاستتباع ـ إلى آخر ما ذكره » .

و حينئذ فنقول : إنّ الممتنعات الذاتية إذا لم تكن بحقائقها موجودة في الخارج ولا في الذهن ، ولم يكن لها ثبوت وتقرر في الواقع يوجب تميزها في نفس الامر ، فمن أين صحّ الحكم بأنّها أشياء ، و أنّها داخلة تحت لفظ الآية حتّى يحتاج في إخراجه بالتزام التخصيص ؟

و أمّا مفاهيمها ، فهو إن وجدت في الاذهان لاتصدق عليها ذلك المفاهيم بالحمل المتعارفي وإن صدقت عليها بالحمل الذاتي ، فمفهوم اجتماع النقيضين ليس اجتماعاً لهما بالحمل المتعارف وإن كان هو بالحمل الذاتي ، كما بيّنه صدر الحكماء في كتابه الكبير. فالمصداق ليس شيئاً ، و المفهوم ممكن مندرج تحت العموم . وتتمة الكلام في ذلك موكول إلى محلّه .

و أمّا الالتزام بالتخصيص في لفظ الشيء بما سوى الواجب ، فنحن ولو كنّا قائلين بأنّه سبحانه شيء بحقيقة الشيئية بخلاف الاشياء كلّها بالعقل و السمع ، لكنّا نقول: المنساق من لفظ الشيء في الآية هو ما سوى الواجب سبحانه . ألا ترى إلى أنّه إذا قيل : « فلان أمير على الناس » لم يفهم منه انّه أمير على من ورائه منهم ، ولم تدخل فيه نفسه ، على أنّ في إدخال الحق سبحانه تحت العموم في عرض الممكنات ، والبناء على أنّه شيء وسائر الممكنات أشياء في عرضها حتّى يرد عليها لفظ العموم ، كلاماً غامضاً حاصله أنّه : لا ثاني للحقّ سبحانه ولا يعرضه العدد ، فيقال : الشيء الاوّل الحقّ سبحانه و الثاني الممكن . و لعلّك تطلع على بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[في بيان قدرة الله تعالى وإعطائه القدرة للنّاس]

وأمّا فعل قادر آخر فقد اختلفوا فيه ، فالمنسوب إلى الاشاعرة تجويزه بناء على أنّه لا تأثير لقدرة العبد إيجاداً ، وأنّ جميع الممكنات مستندة إلى قدرة الله سبحانه ، فالفعل الاختياري للعبد قد تعلّق به قدرة الله تعالى إيجاداً و قدرة العبد كسباً ، وإنّما الممتنع تعلّق القدرتين إيجادا ، كذا أورد بعض أفاضلهم . و اختلف المعتزلة فيه ؛ فالمنسوب إلى « أبي الحسن البصري » تجويزه مطلقاً ، وإلى الجمهور منعه بناءً على امتناع قدرة غير مؤثّرة ، فلو كان مقدور بين قادرين لزم اجتماع المؤثّرين على أثر واحد . وأيضاً لو أراد أحدهما الفعل والآخر الترك لزم اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما .

والذي نعتقده في المقام أنّه سبحانه قادر على مقدور العبد ، وأنّه إنّما يقدر باقدار الله إيّاه ، و هو فرع قدرته سبحانه ، فلو لاقدرته سبحانه لم يتحقّق للعبد قدرة ، بل لو لا كون الفعل مقدوراً له سبحانه ، وكان عاجزاً عنه امتنع إعطاء القدرة لمخلوقه عليه ، فانّ عادم الشيء كيف يكون معطياً له ، و الوجدان شاهد بأنّ ما لم يدخل تحت سلطنة شيء لايجوز أن يكون عطاءً لغيره منه ؟ وأنّ العبد لاحول له عن المعاصي ولاقوة له على الطاعات بل في كلّ شيء إلا بالله ، وأنّه « ما من قبض ولابسط إلا ولله فيه المنّ والابتلاء والمشيّة والقضاء» كما ورد في الاخبار[1]،

١) مركب من خبرين رواهما الصدوق (ره) في التوحيد ، باب الابتلاء والاختبار ، ص ٣٥٤ ، ح ١ و٢ ؛ الاول باسناده عن هشام بن سالم ، عن أبي عبدالله ــ عليه السلام ــ وهو : « ما من قبض ولا بسط الا ولله فيه المن والابتلاء . » والثاني باسناده عن الطيار ، عنه ــ عليه السلام ــ وهو : « ما من قبض ولابسط الا و لله فيه مشية وقضاء وابتلاء» . وروى الثاني أيضاً البرقي (ره) في المحاسن ، باب ٤٠ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٧٩ ، ح ٤٠٣ ؛ ونقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٥ ، باب التمحيص و الاستدراج و الابتلاء و الاختبار ، ص ٢١٦ ، ح ٤ و٥ .

وأنّهم: « لايكونون آخذين ولاتاركين إلا باذن الله » . كما ورد في خبر إبراهيم بن عمر اليماني عن الصادق عليه السلام [1] .

و في رواية حفص عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنّ :

« من زعم أنّ الخير و الشرّ بغير مشيّة الله فقد أخرج الله عن سلطانه ، و من زعم أنّ المعاصي بغير قوّة الله فقد كذب على الله ، ومن كذب على الله أدخله النار » [2] .

و في رواية هشام بن سالم عنه عليه السلام بعد نفي الجبر :

« والله أعزّ من أن يكون في سلطانه ما لايريد » [3] .

وفي رواية سليمان بن جعفر الجعفري عن الرضا عليه السلام :

« إنّ الله عزّوجلّ لم يطع باكراه ، ولم يعص بغلبة ، ولم يهمل العباد في ملكه . هو المالك لما ملّكهم ، والقادر على

---

١) رواه الكليني (رض) في الكافي ، ج ١ باب الجبر والقدر ، ص ١٥٨ ، ح ٥ ؛ و الصدوق (ره) في التوحيد ، باب نفي الجبر والتفويض ، ص ٣٥٩ ، ح ١ ؛ وقد يوجد هذا المعنى أيضاً فيما رواه رحمه الله في التوحيد ، باب الاستطاعة ، ص ٣٤٩ ، ح ٨ ، باسناده عن اسماعيل بن جابر ، عنه ـ عليه السلام ـ ؛ وما رواه الطبرسي (رض) في الاحتجاج ج ٢ ، ص ١٥٨ ، باسناده عن الحسن بن علي بن محمد العسكري ، عن موسى بن جعفر ـ عليهم السلام ـ .

٢) رواه الصدوق (ره) في التوحيد ، باب نفي الجبر والتفويض ، ص ٣٥٩ ، ح٢؛ و نقله المجلسي (ره) في البحار ، ج ٥ باب نفي الجبر والتفويض ، ص ٥١ ، ح ٨٥ ؛ و كذا روى العياشي (ره) في تفسيره عن مسعدة بن صدقة ، عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ مثله كما في البحار ، ج ٥ ، ص١٢٧ ، ح ٧٩ .

٣) راجع التوحيد ، باب نفي الجبر و التفويض ، ص ٣٦٠ ، ح ٤ ؛ والبحار ، ج٥ باب نفي الجبر والتفويض ، ص٥٢ ، ح ٨٧ ؛ وهكذا رواه البرقي (ره) في المحاسن، باب ٤٩ من كتاب مصابيح الظلم ، ص ٢٩٦ ، ح ٤٦٤ ، بهذا الاسناد عنه ـ عليه السلام ـ .

ما أقدرهم عليه ؛ فان ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صادّاً ولا منها مانعاً ، و إن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم و بين ذلك ، و إن لم يحل و فعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه »[١] .

إلى غير ذلك من الاخبار .

و كأن هؤلاء المنكرين لكون فعل العبد مقدوراً له سبحانه هم المعنيون بقول الصادق عليه السلام المرويّة في التوحيد :

« إن القدرية مجوس هذه الامة ، و هم الذين أرادوا أن يصفوا الله بعدله فأخرجوه عن سلطانه . وفيهم نزلت هذه الآية:

يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر * انا كلّ شيء خلقناه بقدر ».[٢]

وأمّا ما تشبّثوا به من الوجهين ، فهو كنسج العنكبوت الّذي هو من أوهن البيوت ، نسجها عليهم أهوائهم وآرائهم و شياطينهم ؛ إذ دعوى امتناع قدرة غير مؤثّرة غير بيّنة ولا مبيّنة ، وليس من شرط القدرة فعليّة التأثير ، بل صلاحية التأثير وإمكانه . ثمّ لا يشترط أن تكون مؤثّرة ابتداءً ، لم لايجوز أن تكون مؤثّرة بتوسط إقدار العبد عليه ؟ ثمّ اجتماع المؤثرين على الشيء الواحد لم لايجوز إذا كان أحدهما في طول الآخر بأن يؤثّر أحدهما في إعطاء التأثير والايجاد للمؤثّر الآخر،

---

١) رواه ـ رحمه الله ـ في التوحيد ، باب نفي الجبر والتفويض ، ص٣٦١ ، ح ٧ ؛ والعيون ، ج ١ ، باب ١١ ، ص ١١٩ ، ح ٤٨ ؛ و نقله المجلسي (ره) في البحار، ج ٥ ، باب نفي الجبر و التفويض ، ص ١٦ ، ح ٢٢ .

٢) الاية : القمر /٤٨-٤٩ ، و الحديث في التوحيد ، باب القضاء و القدر ، ص ٣٨٢ ، ح ٢٩ ؛ و البرهان ، ج ٤ ، ص ٢٦١ .

بحيث يكون الآخر في ذاته و تأثيره متقوّماً بالاوّل ، لا مستقلاً مفوّضاً إليه الامر؟ و أمّا لو اختلفا في إرادة الفعل والترك ، فأيّهما كان أقدر وقع ما أراده دون الآخر؛ كسائر المقتضيات المجتمعة المتنافية؟ ففي المقام لايكون إلا ما أراده الله سبحانه أراد العباد خلافه و كرهوا ما أراده أم لا . ومن أين وأنّى للعبد مغالبة الله سبحانه في قضائه وقدره ؟ إلى غير ذلك من جهات الفساد في الدليلين . وستعرف ـ إن شاء الله سبحانه ـ تتمة الكلام في ذلك ، وسبق نبذة منه .

ثمّ اعلم أنّه ربّما يعرض للساعين في تكميل الايمان و درجات التقوى و المجاهدة رؤيا على طبق هذا المثال الاخير كلاً أو بعضاً ، بأن يرى الصاعقة أو الرعد أو البرق فقط ، وكأنّه إمارة عدم رسوخ الايمان فيه و بقاء عروق الكفر والنفاق بالاعتبار الاعمّ فيه ، وهو أيضاً علامة كونه متعرضاً للترقّي في الايمان .

و ربّما يلوح له المطر بسحابة أو بدونه ، و كأنّه دليل نزول الرحمة و البركة عليه . و لعلّ إليه الاشارة في الرواية السابقة في شأن التقوى و ما يترتّب عليه .

و ربّما يرى برقاً يكاد يخطف بصره أو بدونه ، و هو مبدء ترقّيه من عالم الظلمة إلى عالم النور .

و ربّما يرى رعداً وصاعقةً فيدخل في قلبه خوف و دهشة وهو من إمارات نقصانه و عدم مناسبة نفسه لذلك العالم مناسبةً تامّةً بعد ، و هو من مقدّمات خروجه عن أنانيّة نفسه و فرعونيّتها ، و حدوث الخشوع و الاستكانة لنفسه على الحقيقة لا الصورة فقط .

و ربّما يرى الظلمات فقط ، و هو دليل على بعده عن عالم النور ، و عدم تمكّن النور . وثباته دليل على نقصان العبد وبقاء شوائب الظلمة والسمع والبصر المدركين لأمثال ذلك لو شاء الله أذهب بهما ، ولو شاء أبقاهما ، و هو نعمة عظيمة

توجب تيقّظ العبد لحاله و اهتمامه بأمر نفسه ، و عدم غفلته ومسامحته في السعي و الاجتهاد .

هذا ما خطر بالبال في كيفيّة استخراج الاحوال الباطنيّة و تأويل الرؤيا المتعلّقة بالباطن من هذا المثال ، والله العالم بحقيقة الحال .

[تحقيق حول معاني]

[النّداء والعبادة و الخلق والترجّي]

يا أيّها النّاس

« يعني : سائر المكلّفين من ولد آدم عليه السلام » . كما ربّما يحكى عن تفسير الامام عليه السلام [1] .

و فيه ردّ على ما ذكره في الكشّاف [2] وتبعه غيره من أنّه خطاب لمشركي مكّة ، تعويلاً على رواية « علقمة » أنّ : « كلّ شيء نزل [فيه] « يا ايها الناس » فهو مكي ، و « يا ايها الذين آمنوا » مدني ؛ مع أنّه لايلزم منه ما فرّعه عليه إلا بتكلّف ، و الرواية ضعيفة سنداً موهونة متناً بالمخالفة لما هو المنقول في محلّ نزول السور إن أُريد بها ظاهرها ، وإن أُريد بها تعلّق الخطاب بـ « يا أيها الناس» بمشركي مكّة ، سواء كان نزولها بمكّة أو بالمدينة ، فهو مخالف لظاهر لفظ الكتاب المقتضي للشمول لغيرهم أيضاً . فالتعميم هو الاولى .

[حقيقة نداء الله سبحانه عباده وكيفيّة تأثير النّداء عليهم]

و « يا » حرف موضوع لنداء البعيد في أصله كما ذكر بعضهم [3] ولعلّه المشهور،

---

١) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص٥٢ ، عن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٦ .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٤ .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

أو لنداء ما ليس بقريب حقيقة أو تقديراً،لكونه ساهياً أو غافلاً أو نائماً ، أو لتبعيد المنادى عن ساحة عزّة المنادي هضماً واستقصاراً ؛ كقول الداعي في جواره: « يا ربّ ، يا الله » ، مع أنّه أقرب إليه من حبل الوريد كما ذكره آخر .

و في الصحاح : « ان « يا » حرف ينادي به العرب القريب والبعيد ؛ يقول : يا زيد أقبل » . وهذا لاينافي ما قبله ، بل الاوّل أيضاً ؛ لانّ الاستعمال أعمّ من الحقيقة الاصليّة .

ويمكن إرجاع الثاني إلى الاول ، فانّه بعد فرض القريب بعيداً ، وتقديره وتنزيله منزلته باحدى الجهات المتقدمة يعبّر معه ما كان يعبّر به لو كان بعيداً حقيقة ، فيكون نظير الاستعارة على مذهب السكاكي في كونها حقيقة لغوية و إن كان مخالفاً للأصل على ما حقّق في محلّه .

ويمكن إرجاع الاول إلى الثاني بتعميم البعد للبعد المكاني و ما بمنزلته ؛ ككون المخاطب من وراء حجاب حسيّ أومعنويّ حقيقيّ ، أو اعتباريّ تحقيقيّ أو تنزيلي . و نظير هذين الوجهين يجري في أكثر الحروف ؛ كدلالة « في » على الظرفيّة ، فيجري فيها احتمال اختصاصها بالظرفيّة الحقيقيّة الحسّيّة بحسب الاصل ، وتعميمها لها وللظرفيّة المعنويّة والاعتباريّة والتنزيليّة الفرضيّة ، كما هوأكثر مجاري إطلاقها .

و على كلّ حال فكثرة نداء الله سبحانه عباده عموماً وخصوصاً بهذه الكلمة المنبئة عن بعد ما للمنادى على ما تقدّم ، يحتمل أن يكون للبعد المعنويّ الواقع بين العبد و الحقّ ، و أيّ مناسبة بين الحقّ المطلق المستجمع لجميع الصفات الكماليّة ، بحيث لايشاركه فيها شريك المتوحّد بالتوحيد الذاتيّ و الصفاتيّ و الافعاليّ بالمعاني المقرّرة في محلّه ، و الممكن الّذي ليس له في مرتبة ذاته و في حدّ نفسه سوى إمكان الشيئيّة بالامكان العقليّ و فاعليّته ، الفقير المطلق في ذاته

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و وجوده وأوصافه وتأثيراته لو أثبتناه له بذاته، وما يتوقّف عليه شيء من أموره، العادم لكلّ كمال وخير من عند نفسه؟

أو للبعد الحاصل للعبد باعتبار نزوله في العوالم إلى هذا العالم الادنى، و ما ترتّب عليه، الّذي لعلّه المراد من قوله سبحانه: «ثم رددناه أسفل سافلين»[١]. أو لاحتجابه عنه سبحانه بغفلته وآماله وأخلاقه وأعماله المظلمة و أنيّة نفسه، ونومه في مرقد الطبيعة، وسهوه عمّا يراد منه، و ما شاكل ذلك من أسباب البعد المكتسب، سوى ما هو من لوازم الكون الدنيوي.

ثمّ إنّه يشبه أن يكون حقيقة النداء و الدعاء الّذي ينوب عنه حروف النداء ويؤدى بها هو: طلب توجّه المنادى ـ بالفتح ـ نحو المنادي وإقباله إليه، وتنبّهه والتفاته إلى جانبه، و أن يكون حروف النداء مجعولة آلة لانشاء ذلك الطلب، وسبباً لايقاعه، كما هو الانسب بجملة من كلماتهم، أو آلةً لحصول نفس المطلوب من التوجّه والاقبال في ظرف الواقع، كما هو الانسب بجملة من مجاري استعمالاتها؛ كنداء النائم لايقاظه. وبكونها حروفاً لاتدلّ على المعاني في أنفسها، و لو كانت آلات لانشاء الطلب، لم يظهر فرق بينها وبين «أدعو» و «أنادي» المستعملين في المعنى الانشائيّ؛ كظهور الفرق بينهما على الوجه الثاني. ونيابتها عنهما باقية بحالها على الوجهين في الجملة و إن كانت على الاول أقوى و أظهر.

و حينئذ فنقول: بناء على ما ذكر يكون حقيقة نداء الله سبحانه لعباده طلبه سبحانه توجّههم إليه، وإقبالهم نحوه، وانصرافهم عمّا يلهيهم عن ذكره ويشغلهم عنه إلى جنابه، و دعائهم إليه. وهو عناية عامّة لجميع الناس على اختلافهم في مراتب القابليّات والاستعدادات.

١) التين/٥.

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

والناس في قبول النداء والدعاء على مراتب لاتحصى بحسب الصفات الذاتيّة والكسبيّة ومقاماتهم و درجاتهم . فمنهم : المستغرق في التوجّه ، اللاهي عن نفسه فضلا عن غيره ؛ ومنهم : الناسي لربّه نسياناً أداه ذلك إلى إنساء الله إيّاه نفسه ، حتّى كأنّه إذا سمع أسمائه سبحانه يكاد لايلتفت بقلبه إلى أنّ لتلك الالفاظ معنىً . و بينهما درجات غير محصورة .

و هذا المعنى إذا ظهر في عالم الالفاظ و أظهر بها كان إنشاءً للطلب ، كما في لفظ « أدعوا » و حروف النداء على الوجه الاوّل ، و إذا ظهر تأثيره بتوسّط الآلات الحرفيّة كان نداء لهم بها على الوجه الثاني . و إذا نقّحت المناط بين تلك الحروف و غيرها و بين سائر ما يكون آلةً لحصول التوجّه والاقبال نحو جنابه إذا أوجدها الحقّ لأجل ذلك ، وحينئذ فيصلح جميع صنائع الله سبحانه من الجواهر والاعراض باعتبار دلالتها العقلية على فاعلها و جاعلها وصانعها ومدبّرها ، و إنّ من شأنها تنبيه النفوس الطاهرة إلى تذكّر ربّها أن تكون نداء منه سبحانه و دعاء لعباده في الكتاب التكوينيّ المطابق للقرآن ، و كذا مناد وداع ينادي و يدعوا إلى الله سبحانه بأمره و إرادته جلّ وعزّ ، لابارادة نفسه وميل ذاته ، فتبصّر .

ثمّ إنّ هذا الالتفات و التوجّه في العباد الّذي هو المقصود بالنداء شرط تنجّز التكاليف وتوجّه الخطابات اللّبيّة على المكلّفين كما بيّن في علم الاصول . فيكون تقديم أداته أوطلبه على الوجهين في لفظ القرآن على مايدل على تلك التكاليف و الخطابات مطابقاً لمرتبة المعنيين عقلاً . و كذا هو مقدّم على الائتمار بتلك الاوامر والتكاليف والتأثّر بتلك المخاطبات وحصول ماهو الغرض من إيراد الكلام بل هو مفتاح جميع الفيوضات والترقيات والكمالات ، كما أنّ الغفلة عن الله سبحانه واللّهو عن ذكره مبدء كلّ خسارة وحرمان وشقاء .

ثمّ إنّ في ائتلاف حروف النداء بالاسم المنادى مع ما الحرف عليه من

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الضعف ، والاسم عليه من القوّة وصيرورة الحرف حينئذ نائباً عن الفعل إشعار بأنّ العبد الضعيف إذا تحقّق في مقام النداء والدعاء حتّى صار كأنّه كلمة نداء بفنائه عن صفات نفسه وصيرورته محض الاقبال والتوجّه ، بحصل له الفة بالحقّ سبحانه و صلاحيّة لحضرة الربّ و قرب إليه ، و كان في ذلك المقام العالي نائباً عن مقام الفعل الالهي ، وصار مظهراً لافاعيله .

فلابعد في صدور خوارق العادات والكرامات حينئذ من صاحب هذا المقام، كما أنّ لما سواه من مراتب الداعين و المتضرعين الفة واختصاص على حسب كمال المعنى فيهم و ضعفه ، و لهم نصيب من مقام الفعل باعتبار تأثير دعائهم المستجاب في تغيير الكائنات وانعدام الموجود وحدوث المعدوم .

ثمّ إنّ « أيّ » وصلة إلى نداء ما فيه الالف واللاّم ، و هو اسم مبهم يفتقر إلى ما يوضحه و يزيل إبهامه ، فلابدّ أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه وصفاً له حتّى يتّضح المقصود بالنداء .

و « ها » حرف تنبيه ، و في هذا التدرج من الابهام إلى التوضيح . و كلمة التنبيه المقحمة بين الصفة والموصوف الّذي هو والنداء من واد واحد ضروب من التأكيد والتشديد . ولعلّه لأجلها كثر في كتاب الله سبحانه النداء على هذه الطريقة، إما لبعدهم عن مقام النداء بالبيان المتقدّم ، فلزم التأكيد فيه ، أو لأنّ ما نادى الله سبحانه عباده من التكاليف والعظات والوعد والوعيد والقصص المتلوّة عليهم وغير ذلك ممّا ورد في الكتاب الكريم أُمور عظام وخطوب جسام ، عليهم أن يتيقّظوا لها كمال التيقظ ، ويصرفوا قلوبهم وبصائرهم إليها كمال الصرف ، فكأنّ التأكيد هو المقتضي للحال .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ثمّ اعلم أنّ حقيقة نداء الحقّ سبحانه الناس يقع عليهم على حسب درجاتهم في كمال الانسانيّة وضعفها ، فكلّ من كان أكمل في الانسانيّة كان أخصّ بالنداء ، وكان أشدّ تأثّراً من النداء ، وظهور أثره عليه أكثر ، واختصاصه بالمخاطبة أشدّ. و « إنّما يعرف القرآن من خوطب به » كما ورد في الرواية [١] فربّما يصحّ القول بأنّ كلّ ذي مقام من المقامات له مرتبة من مراتب مخاطبات القرآن على قدر ما يسعه بصيرته وإدراكه إلى أن يصل إلى مقام الانسان الكامل من جميع الوجوه ، فهو المخاطب بالمجموع العارف به .

وببالي أنّه ورد في الاخبار أنّه : « ما كان الله ليخاطب الناس بما لا يعلمون» أو قريباً من ذلك . و الاعتبار و الاستبصار يشهدان على اختصاص كلّ منهم على مقدار قابليته . و كيف يصحّ مخاطبة من ليس من شأنه إدراك الخطاب بين المتخاطبين ؟

وأمّا ما اشتهر بين الاصوليين منّا وثلة من العامّة من اختصاص الخطابات الشفاهيّة القرآنيّة بالموجودين في ذلك العصر ، بل بالحاضرين دون الغائبين عند جماعة منهم ، فهو على تقدير تسليمه منزل على اختصاص صوريّ لصورة المخاطبة اللفظيّة الظاهريّة ، لا اختصاص الخطاب الواقعيّ وحقيقة القرآن بهم، مع انعدام ما يوجب التفرقة . ويشهد له ما ورد في الاخبار قوله عقيب مواضع من ألفاظ القرآن ، كقول : « لبّيك ربّنا » إذا مرّ بـ « يا أيّها الناس » و « يا أيها الذين آمنوا » على ما رواه الشيخ عن الصادق عليه السلام [٢] بطريق لا يخلو عن اعتبار وغير ذلك .

---

١) قد تقدمت فى المقدمات ، فراجع .

٢) تقدم سابقاً .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

اُعبُدُوا رَبَّكم [الّذي خلَقكُم وَالّذينَ مِن قَبلِكُم]

عن تفسير الامام عليه السلام في الآية عن السجّاد عليه السلام :

« أطيعوا ربكم من حيث أمركم أن تعتقدوا أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ولا شبيه له ولا مثل : عدل لايجور ، جواد لايبخل ، حليم لايعجل ، حكيم لايخطل [1] ، و أنّ محمّداً عبده و رسوله ـ صلى الله عليه وآله الطيبين ـ ، و أنّ آل محمد أفضل آل النبيين ، و أنّ عليّاً أفضل آل محمد صلى الله عليه وآله ، وأنّ أصحاب محمد المؤمنين منهم أفضل أصحاب المرسلين ، وأنّ أمّة محمد أفضل أمم المرسلين .

ثمّ قال عزّ وجلّ : « الّذي خلقكم » : اعبدوا الّذي خلقكم من نطفة من ماء مهين فجعله في قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون العالمون » [2] .

ثمّ عنه أيضاً :

« قوله : « اعبدوا ربّكم الّذي خلقكم و الّذين من قبلكم » أي : اعبدو [ه] بتعظيم محمد صلى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، و الذي خلقكم نسماً وسوّاكم من بعد ذلك ، و صوّركم أحسن صورة .

ثمّ قال عزّ وجلّ : « والّذين من قبلكم » ، قال : وخلق الذين من قبلكم من سائر أصناف الناس » [3] .

١) الخطل ـ بالتحريك ـ: المنطق الفاسد المضطرب ، يقال : خطل في منطقه خطلا : أخطأ .

٢و٣) تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٥٢و٥٥ ؛ و البرهان ، ج ١ ، ص٦٦ـ٦٧ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في أنّ ربوبيّة الله توجب العبوديّة]

اقول : قد مرّ ذكر تفاصيل في العبادة والعبوديّة في كلمة الجلالة وفي قوله سبحانه : « اياك نعبد » ، وأنّ من جملة أغصانه الاطاعة بمعنى امتثال الامر بالاتيان بالمأمور به على وجهه ، ومن جملة الوجوه المغيّرة في العبادات في الجملة الاسلام و الايمان المشتمل على الولاية على التفصيل المذكور في محلّه ، والظاهر اعتبار ما زاد على القدر اللازم من الاعتقادات أيضاً في كمالها و إن لم يكن معتبراً في صحّتها .

وقد مرّ أنّ أصل العبوديّة هو الخضوع مطلقاً أو أقصى مراتبه ، والخضوع للحقّ تعظيم له سبحانه كما أنّ تعظيمه سبحانه خضوع له ، و تعظيم الرسول و الامام من حيث كونهما رسولاً له سبحانه وإماماً من قبله ، ومن حيث سائر جهات ربطهما إلى الحقّ تعظيم له سبحانه ، كما أنّ مطلق تعظيم شعائر الله سبحانه تعظيم له جل وعز .

ثمّ إنّه يشبه أن يكون ذكر اسم الربّ مضافاً إلى المخاطبين إشارة إلى أن ربوبيّته سبحانه موجبة لعبادته لاشعار تعليق الحكم على الوصف المناسب بعلّيته لذلك الحكم .

و بيانه أنّ الربوبيّة تقتضي مقابلتها بالعبوديّة ، و القيام بوظائفه شكراً للنعم التي أُعطيت ، و المضارّ الّتي دفعت سابقاً ، وخوفاً من الحرمان من النعم في المستقبل ، وأخذ ما أولاه و هو في الحال واجد له ، ومن تركه دفع ما يفسده و يضره فيما بعد ، و من إيراد البلايا و الآفات عليه ، و رجاء لابقاء ما أعطاه ، و إعطاء أمثال ما عوده من الاحسان ، وللزيادة عليها وتكميل الاحسان إليه ، وحباً لربه الذي أحسن إليه من كلّ جهة ولم يخل في طرفة عين من نعمه التي إن

عدّت لايحصيها العادّون؛ إذ من أعظم أسباب الحب الاحسان ، ولأن الرب المتكفل لجميع مصالح المربوب ، الكافي له عن كلّ ما سواه ، حقيق بأن يعبده المربوب وأهل لذلك ، بل ليس من شأنه عند العقل إلا عبادته . فقد جمع هذا الاسم مجامع أسباب العبودية و غاياتها التي لأجلها يعبد العابدون إذا لوحظت الربوبية لكل واحد موجبة لعبادته ، ويكون مقابلة الجمع بالجمع على سبيل التوزيع ، و إذا لوحظ بالنسبة إلى كلّ منهم عموم ربوبيته للجميع كان مقوياً للايجاب السابق ، فان من شأنه الاحسان المطلق ، و الربوبيّة لكلّ شيء أحقّ بالمحبّة و الخوف والرجاء ، و بأن يعبده واحد من مربوبيه،من المربوب الّذي يفرض له ربّ واحد مقصور الربوبية على ذلك الواحد بحسب العقل إذا لم يكن ربوبيّته لكلّ منهم شاغلاً له عن ربوبية الآخر ، ومانعاً عن كمالها موجباً لنقصانها ، كما هو شأن من لايشغله شأن عن شأن ، ولايزيده كثرة العطاء إلا جوداً و كرماً ، ولاتفني خزائنه المسائل [١] .

و يظهر كيفيّة اقتضاء الربوبيّة للمحبّة و الرجاء والخوف وأهليّة العبادة من ملاحظة حال المربوبين بالقياس إلى مظاهر شؤون الربوبيّة ، و وسائطها الواقعيّة التي يترائى منها أنّها المتّصفة بالربوبيّة القائمة بشؤونها في أنظار الناقصين .

ألاترى حال الخدّام بالنسبة إلى مولاهم المعطي لهم ما يحتاجون إليه ، والمرئوسين بالنسبة إلى رئيسهم الّذي ينعم عليهم ويدفع عنهم جملة من المخاوف ، والاولاد الصغير بالنسبة إلى الوالدين ، والزوجة بالنسبة إلى زوجها ، و المريض

---

١) قال ـ عليه السلام ـ في دعاء الافتتاح : « الحمد لله الفاشي في الخلق أمره ـ إلى أن قال : ـ الذي لاتنقص خزائنه ، ولا يزيده كثرة العطاء إلاجوداً و كرماً . » فراجع كتب الادعية .

بالنسبة إلى الطبيب ، والفقير بالنسبة إلى الغني المتكفّل لحاله ، والرعيّة بالنسبة إلى السلطان والحاكم الشفيقين المحسنين العادلين المتحننين على من تحت حكمهما ، وسائر من أحسن إليهم أو دفع عنهم الضر بالنسبة إلى المحسن و الدافع للضرر ؟ فانّك تجدهم محبّين لهم ، راجين لهم ، خائفين منهم ، خاضعين لديهم ، منقادين لهم ، منقطعين إليهم بقلوبهم ؛ مع أنّهم ليسوا نافعين ولا دافعين للضرّ ، بل الله سبحانه المعطي الدافع ، وهم وسائط مسخّرة تحت حكم قضائه و قدره في عين اختيارهم كما نبّهنا عليه سابقاً . وهم مع ذلك معاوضون على الحقيقة يريدون بفعلهم عوضاً من مال أو جاه أو جزاء أو شكور ومدح أو دفع ذمّ أو جالبون به سكون الداعي القلبي الذي يزجرهم عليه .

فانظر الآن إلى معاملتك مع ربّك الواقعي ، كيف تعامله وتعبده وتنقاد له ، وقايس ذلك بحال المذكورين وغيرهم بالنسبة إلى وسائط الربوبيّة ، حتّى يظهر لك حقيقة انحرافك طريقة الصواب و جادّة الانصاف ، وأنّه لايمكن القيام بما يستحقّه سبحانه من حيث الربوبيّة فضلاً عن سائر الجهات ، ولو بذلت كلّ مجهودك ، و صرفت غاية وسعك ؛ إذ جميع ما كانوا يفعلونه للوسائط مستند إلى جهالتهم بحقيقة الأمر ، و التباس مصداق المحسن و الدافع و غيرهما الواقعيّة بالصوريّة . فان كنت موحّداً لاترى لك إلا ربّاً واحداً جامعاً لجميع شؤون الربوبيّة فجميع ما كان يصدر منهم بالنسبة إلى جميع الوسائط كان ينبغي صدوره منك بالنسبة إلى الحقّ سبحانه فضلاً عن سائر الجهات الموجبة للطاعة ، فتبصّر ، هذا .

[معنى الخلق وكيفيّة اتّصاف الربّ به]

و « الخلق : التقدير ؛ يقال : خلقت الاديم إذا قدّرته قبل القطع . و منه

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

قول زهير :

ولأنت تفري ما خلقت و بعـ ـض القوم‌يخلق ثمّ [لا] يفري

و قال العجاج : ما خلقت إلا فريت ، ولا وعدت إلا وفيت . » كذا ذكر الجوهري .

و صرح جماعة بأنّ الخلق هو التقدير أيضاً و هو المعنى المناسب لكثير من إطلاقات‌هذه المادّة المذكورة في اللّغة ؛ كاطلاق الخليقة على الطبيعة و الخلقة على الفطرة ، وكأنّه باعتبار ملاحظة وجودها في مقام تقديرذلك الشيء ، و كونه مقدراً بهاتقديراً معنويّاً . والخليق والمختلق في‌مقام التوصيف على‌تامّ الخلق المعتدل ، و كأنّه لكون تقديره على الوجه الذي ينبغي أن يكون عليه ، وكونه مقدراً بالمقدار الذي يصلح ، كان غيره خارجاً عن التقدير ، و الحدّ واقع بدونه ، وكما يقال : فلان خليق بكذا بمعنى : أنّه جدير به وقد خلق لذلك ، كأنّه ممّن يقدر فيه ذلك ، وترى فيه مخاملة . وخلق الافك واختلقه و تخلّقه أي : افتراه ، و منه قوله سبحانه : « وتخلقون إفكاً» [1] على ما ذكروه [2] ، وكأنّه لأنّ الكاذب هو الّذي قدره الكذب في نفسه ، و جعله من دون أن يكون له حقيقة . و كاطلاق الخلاق على النصيب ، وكأنّه لأنه المقدار الّذي قدّر له ، إلى غير ذلك .

فالظاهر أنّ أصل معنى الخلق هوالتقدير ، و إطلاقه على ما ذكر و غيرها باعتباره فيها .

و عن بعض‌الاعلام : « قديظنّ أنّ الخالق‌والبارئ والمصور ألفاظ مترادفة، و أنّ الكلّ يرجع إلى الخلق والاختراع ، و ليس كذلك ، بل كلّما يخرج من العدم إلى الوجود مفتقر إلى تقديره أولا ، وإيجاده على وفق التقدير ثانياً ، و إلى

١) العنكبوت / ١٧ .
٢) راجع الصحاح .

****** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

التصوير بعد الايجاد ثالثاً . فالله تعالى خالق من حيث هو مقدر ، و بارئ من حيث هو مخترع ، و موجد و مصور من حيث أنّه مرتب صور المخترعات أحسن ترتيب »[1] .

وقال غيره : « الخالق هو المقدر لما يوجده ، والبارئ المميّز بعضه‌عن‌بعض بالاشكال المختلفة ، والمصور الممثّل »[2] .

و أمّا ما ذكره في الكشّاف هنا من أنّ : « الخلق هو إيجاد الشيء على تقدير واستواء ؛ يقال : خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس »[3] ، فلعلّه أرادبذلك جعل الشيء ذا مقدار واستواء و تصييره كذلك ، فيكون في معنى التقدير مرادفاً له إن عمّم الوجود بالخارجيّ والذهني ، فانّ جعل المقدار للشيء و تقديره إمّا في مقام التصوير في الوجود الذهني ، أوفي‌الاعيان والخارج في‌الوجود الخارجي ، وسائر أنحاء الوجود بمنزلة أحدهما هنا .

و أمّا ما سبق من‌إثبات التميّز للأعيان‌الثابتة قبل وجودها فهو وراء أنظار أهل العربيّة واللّغة ، وأخصّ منه أن خصص بالوجود الخارجي . و لعلّه باعتبار استظهار أنّه المراد من لفظ الخالق في الآية ، ويشهد لما ذكر ذيل كلامه ؛ إذ ليس في القول المذكور اعتبار الايجاد بل التقدير والتسوية كما ذكره أيضاً .

وقال ابن بابويه في توحيده بعد أن ذكر أنّ الخلق في اللّغة تقديرك الشيء مستشهداً بأنّه يقال في مثل : « إنّي [إذا] خلقت فريت لا كمن يخلق ولايفري ، و في قول أئمّتنا ﷺ : إنّ أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين ، و خلق عيسى من الطين كهيئة الطير هو خلق تقدير أيضاً ، ومكون الطير وخالقه في

---

١) راجع مجمع البحرين ، ذيل كلمة « خلق » .

٢) نفس المصدر .

٣) الكشاف ، ج ١ ص ٤٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

الحقيقة هو الله عزّوجلّ »[1] . انتهى .

و لمّا كان الظاهر من تقدير الشيء وجعل المقدار له هو التقدير في الخارج، وكان ذلك ملازماً للوجود لاانفكاك بينهما من الطرفين ؛ إذ ما لم يوجد في الخارج لم يكن له مقدار فيه ، وكلّ موجود في الخارج ممّا يصلح لعروض المقدار له بالمعنى العرفيّ فهو ذومقدار في الخارج ولا يوجد بدونه ، وكان الايجاد والتقدير أمراً وحدانيّاً في الخارج لاتمايز بينهما إلا بحسب الاعتبار ، شاع إطلاق لفظ الخلق على الايجاد ، بحيث صار كأنّه المتبادر من لفظ الخلق عند الاطلاق . بل لايبعد صيرورته حقيقة عرفية في ذلك ، وكونه منقولاً إليه .

ومن ذلك البيان يظهر الوجه في تخصيص الخلق بالعالم المقداري ، و قصره على ذوات المقادير والهيئات في مقابلة عالم الامر المجرد عن المقادير و الاشكال ، وإن كان ربّما يطلق على غيره كالعقل أيضاً اسم الخلق .

ويظهر لك وجه الجمع بين الكلمات المتقدمة وبين العرف ومجاري إطلاقات لفظ الخلق الظاهرة في إرادة الايجاد منه . ولعلّ إلى حاصل ما تقدم يشير عبارة الكشّاف المتقدمة .

ثمّ إنّه ذكر في الكشّاف بعد السؤال عن المراد « بربّكم » أنّه : « كان المشركون معتقدين ربوبيتين ؛ ربوبيّة الله ، و ربوبية آلهتهم ، فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم مشترك فيه ربّ السموات والارض والالهة التي كانوا يسمونها أرباباً . و كان قوله : « الذى خلقكم » صفة موضحة مميّزة ، و إن كان الخطاب للفرق جميعاً ، فالمراد به ربّكم على الحقيقة ، و « الذى خلقكم » صفة جرت عليه على طريق المدح و التعظيم ، ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة إلا أنّ الاول أوضح وأصح »[2] .

---

١) راجع التوحيد ، باب أسماء الله تعالى ، ص ٢١٦ .
٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٥ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

وقال بعض الافاضل في بيانه : « أنّه لاخفاء في أنّ قولنا للعبيد : « عظّموا سيّدكم » أمر لهم بتعظيم من يعتقدون أنّه سيّدهم ، فقوله : « يا أيها النّاس اعبدوا » إن كان خطاباً لجميع الفرق فالمراد بـ « ربكم » هو الله ، لأنّه المتفق على ربوبيّته فيما بينهم، فيكون « الّذي خلقكم » صفة مادحة، وإن كان خطاباً للمشركين فيحتمل أن يكون المراد هو الله تعالى ويكون الصفة مادحة ؛ لأنّهم يعتقدون أنّه ربّ الارباب ، وأنّ آلهتهم شفعاء عندالله ، و أن يكون المراد مالككم و إلهكم ، ونحو ذلك ممّا يصدق على الاله الحق وعلى آلهتهم الباطلة . فيكون الصفة مخصصة، إلا أنّ إطلاق الربّ على غير الله كان شائعاً متعارفاً فيما بينهم ، حتّى أنّ السحرة لمّا قالوا : « آمنّا بربّ العالمين» دفعوا الاحتمال بقولهم : «ربّ موسى وهارون » . و التخصيص و التوضيح هو الاصل في الصفة ، فلهذا كان هذا الوجه أوضح وأصحّ » .

اقول :

قد تقرر في علم الاصول أنّ الالفاظ موضوعة للمعاني الواقعيّة النفس الامريّة ، لا ما يعتقده المخاطب أنّه معنى للفظ إذا كان خطائه في المصداق ، بل مطلقاً وإن كان ربّما يطلق اللّفظ على ما توهمه المخاطب مصداقاً للفظ ، كما هو الظاهر في قوله سبحانه : « و انظر إلى إلهك الّذي ظلت عليه عاكفاً » [1] . لكنّه خلاف الاصل لايصار إليه إلا بدليل ، بل مقتضى إصالة الحقيقة وإبقاء الالفاظ على حالها وترك التصرف فيها أن يراد باللّفظ معناه الواقعيّ بمصاديقه الواقعيّة ، سواء كان للمخاطب اعتقاد مطابق للواقع أو مخالف له ، أو لم يكن له اعتقاد أصلا .

و أمّا ما ذكره من أنّ «قولنا : عظموا سيدكم ،أمر لهم بتعظيم من يعتقدون أنه سيّدهم » ، ففيه أنّه لاخفاء في أنّه بنفسه ليس كذلك ، بل هو أمر لهم بتعظيم

١) طه / ٩٧ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

السيد الواقعي المنكشف باعتقاد المتكلّم ؛ لكن ملاحظة السكوت في مقام بيان الحكم بعد العلم بأنّ المخاطب لايفهم منه سوى ما اعتقده مصداقاً للمعنى ، وأنّه لايتهيّأ للقيام بالمأمور به إلا بحسب اعتقاده ، و علم المتكلّم باعتقاد المخاطب و خطائه فيه ، وظهور الأمر في كون الغرض منه الامتثال المتعذر في حقّ الجاهل المركب ، إلا إذا كان التكليف على معتقده ، و ظهور المخاطبة في إرادة البيان ، لا الايقاع في مخالفة الواقع ، اللازم للاقتصار على الامر المعلّق على العنوان ، الذي غلط المخاطب فيه ، ربّما توجب صرف اللّفظ عن ظاهره و حمله على خلاف معناه الاصلي ؛ لكنّه إنّما يكون إذا لم يبين الخطاء في المصداق أصلا ، لا متصلا ولا منفصلا ، لابحال ولا بمقال ، مع انضمام الخصوصيات المشار إليها . فلا ربط لذلك بالآية حيث إنّه لم تقم تلك القرينة الصارفة هنا ، فلا تصدق اللّفظ على ما ظنوه أرباباً وإن شاع إطلاقه فيما بينهم بعد كون الاستعمال مبتنياً على خطأ وقع منهم في المصداق ؛ إذ لايصير ذلك سبباً لخروج اللّفظ عن معناه لوقوع تلك الاستعمالات كلّها على تبعيّة الوضع بحسبانهم ، فليس اللّفظ مطلقاً حتّى يحتاج إلى التخصيص ، ولايكون الصفة مخصّصة كما ذكره الفاضل المذكور ، ولا اشتراك في الاسم واقعاً كما ذكره في الكشاف حتّى يحتاج إلى المميّز . فلا يصح جعل الصفة هنا مخصّصة ولا مميّزة و إن صحّ جعلها موضحة رافعة لتوهم المخاطبين وبياناً لهم ، و دفعاً لغلطهم في المراد من اللّفظ . و كما يصحّ ذلك عند خطأ جميع المخاطبين كذا يصحّ عند خطأ بعضهم ، بل عند إمكان وقوع الخطأ ، فلا فرق بين اختصاص الخطاب بالمشركين وعموم الخطاب كما رجحناه سابقاً .

و أمّا ما ذكره الفاضل المذكور من أنّ معناه على الثاني : « الرب المتفق على ربوبيّته فيما بينهم » فهو بظاهره خارج عن مقتضى القواعد اللّفظية رأساً ؛ إذ ظاهره دعوى كون الالفاظ دالة على المعنى المجمع عليه بين المخاطبين دون

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ما انفرد به طائفة منهم ، فيكون معنى : « أقيموا الصلاة » أقيموا الصلاة المجمع على كونها صلاة صحيحة دون ما اعتقده جماعة كذلك ؛ كالقائلين بالاعميّة . ولم يحضرني [1] الان نظير لهذا الخطأ الظاهر من أحد إلا أن يدعي خصوصيّة للمقام ترك بيانها في كلامه . فلعلّ المتجه حينئذ جعل الصفة موضحة على الوجهين لا جارياً مجرى المدح والتعظيم فقط ، مع نكتة أخرى ، و هو الاشعار بالحيثية التعليلية ، فانّ صفة الخلق بمعنى الايجاد من أعظم العلل الموجبة لعبادة المخلوق لخالقه وعبوديته ، و من ذا أحقّ بالعبادة و المعبودية من الخالق الموجد له على مقداره وحدّه ، الذي أعطاه نعمة الوجود و التميز والتشخص التي بمنزلة الاصل لسائر النعم والموضوع لتلك الامور العارضة ؟ بل إذا لاحظ العقل عنوان الخالقية والمخلوقية حكم باستحقاق الموصوف بالاولى المعبوديّة ، وأنّه ينبغي للموصوف بالثانية عبادته . و إذا جردت مرآة العقل عن الاوهام و الاغشية و دققت النظر ، ظهر لك صدق هذه الدعوى وإن قطع النظر عن كون الخلق نعمة موجبة للشكر . بل الظاهر أنّ هذه القضية أقوى و أثبت عند العقل من وجوب شكر المنعم و إن كانت تلك أظهر لكثرة مصاديقه بحسب الانظار الظاهريّة الموجبة لظهور حالها بخلاف هذه ، لتوافق كثير من الانظار على أنّه لا خالق سوى الواحد الحق .

[في المراد من المخلوقين من قبل]

فان قلت : هذا إنّما يجري في اعتبار صفة خلق المخاطبين على سبيل التوزيع عند مقابلة الجمع بالجمع ، فما تقول في أخذ خلق الذين من قبلهم هيهنا ؟ وهل هو أيضاً من جهات المعبوديّة أم لا ؟

قلت : إن أُخذ القبليّة هيهنا بحسب الرتبة فقط أو مع القبلية الزمانية

---

١) في المخطوطة : « يخطرني » .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع. ف . ح . ح (ع) ******

حتّى يكون السابقين ، الآباء والامّهات بالنسبة إلى الابناء ، فالوجه في مدخليّته هنا ظاهراً : إذ خلق الاصول من مقدمات خلق الفروع ، فهو نعمة على الفروع ولو بالواسطة ، بل الانعام على الآباء موجب لشكر الابناء ؛ كما ربّما يشير إليه قوله: « **اوزعني أن اشكر نعمتك الّتي انعمت عليّ وعلى والديّ** »[1] وجملة من المخاطبات الواردة على بني إسرائيل باعتبار الانعام على آبائهم و غير ذلك . و يمكن إدخاله في بيان تفرد الحقّ سبحانه في مقام خلق الابناء حيث أنّه لو لم يكن خالقاً للأُصول لم ينحصر الشؤون المتعلّقة بالخلق فيه سبحانه ، بل لخالق الاصول أو لأنفسها نصيب من هذا المقام ، فلمّا بيّن خلقه لهم ظهر اختصاص الحقّ سبحانه بهذه الحيثية ، وأنّه ليس لغيره نصيب فيها ، ولا له شائبة من استحقاق المعبودية من تلك الجهة .

وإن أخذ القبلية زمانية محضة كان ارتباطه بمقام الامر بالعبادة باعتبار أنّ خالق جميع الاشخاص السابقة واللاحقة أحق بأن يعبده بعض مخلوقيه مما يفرض متفرداً بخلق الواحد ، كما نبهنا على نظيره في الربوبية .

ثمّ لايخفى عليك أنّ حق الله سبحانه على المخلوقين من حيث إعطاء الخلق لمّا ظهرت في هذا العالم بتوسط الابوين فصارا واسطتين ومجرائين له ، استقر حكم العقلاء باثبات الحق لهما على الولد ، و أنه ينبغي له مراعاتهما و الخضوع لهما والتبعية لهما ، ولو لم يكن لهما إحسان اختياري إليه أصلا ، وكان المتكفل لتربية الولد شخص أجنبيّ لم يكونا سببين في تربيته ، مع أنهما لم يتوسطا إلا لقضاء شهوة استولت عليهما وحداهما وبعثهما إلى الافعال التي أجرى الله بها خلق الولد من دون أن يكونا قاصدين ليكون الولد في كثير من الاوقات ، بل ربما يكونان قاصدين لخلافه ، كارهين لتكونه لأسباب وهمية وجهات خيالية ، فكيف يكون

١) النمل / ١٩ ؛ والاحقاف / ١٥ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

حق من هو الخالق بالحقيقة ، الذي ليس له في الخلق حاجة ، ولايعود عليه فيه منفعة أصلاً لاعاجلاً ولا آجلا، وهو غني عن الخلق وعن جميع ما يرتبط بهم ويصدر منهم ، بل كان فعله جوداً محضاً و مقدمة لاعطائات أخر ؟ لايزيده كثرة العطاء إلا جوداً و كرماً .

لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ

في تتمّة ما تقدّم عن تفسير الامام ﷺ أنّه قال :

« لها وجهان ، أحدهما : [خلقكم] وخلق الذين من قبلكم لعلّكم كلّكم تتّقون ؛ أي : لتتّقوا كما قال الله عزّ وجلّ : « وما خلقت الجنّ و الانس إلّا ليعبدون » [1] والوجه الآخر : « اعبدوا [ربّكم] الّذي خلقكم و الّذين من قبلكم لعلّكم تتّقون » أي : اعبدوه لعلّكم تتّقون النار . و لعلّ من الله واجب ، لأنّه أكرم من أن يعني عبده بلا منفعة [2] ، و يطمعه [3] في فضله ثمّ يخيبه ؛ ألا ترى كيف قبح من عبد من عباده إذا قال لرجل: أخدمني لعلّك تنتفع بي ولعلّي أنفعك ، فيخدمه ثمّ يخيبه ولاينفعه ؟ فالله عزّ وجلّ أكرم في أفعاله ، وأبعد من القبيح في أعماله من عباده » [4] .

١) الذاريات / ٥٦ .

٢) خ . ل : « الى منفعة » .

٣) خ . ل : « يطيعه » .

٤) راجع المصادر المذكورة في تعليقة ٢ ص ٦١٩ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

[في معنى الترجّي وما يتعلّق به وكيفيّة نسبته إلى الله تعالى]

اقول : لعلّ على الاول متعلّق بـ « خلق » ويراد بالتقوى الافعال و التروك الاختياريّة بالوجوه المتقدمة ، و ربّما يعبّر عنها بالعبادة ؛ وعلى الثاني متعلّق بـ « اعبدوا » ويراد بالتقوى التحفظ عن دخول النار وصيانة النفس عنها ، و هو غايه لتلك الامور الاختياريّة التي ربّما يعبّر عنها بالعبادة ، مقدور بواسطتها لا بنفسها . و بينهما ربط لايكاد يدرك بالانظار الظاهرية ، وقد بيّنّا في المقدمات بيان كيفيّة تعدّد المعاني للكلام الواحد من دون لزوم محذور استعمال اللّفظ في أكثر من معنى ، فراجع إليه . فلا يلزم حمل تعدد الوجه على تعدد الاحتمال ، حتّى لايليق صدوره عن المعصوم العالم بواقعيات المرادات المقدس عن الشكوك والاحتمالات .

ويمكن جعل أحد الوجهين من قبيل تفسير الظاهر والآخر من تفسير ظاهر الظاهر بالمعنى المتقدم ، وأن يجعل أحدهما تفسيراً و الآخر تأويلاً و أخذاً بلازم الكلام ؛ إذ لو كانوا مخلوقين لأجل التقوى كانوا ملتزمين بالاتصاف بها لأجل التحرز عن المضار الباقية : إذ المخلوق لأجل غاية يلزم عليه الاتيان بالغاية التي خلق لأجلها و الاتصاف بها ، و إلا كان مهملاً لنفسه مضيعاً لها ، و يحقّ لخالقه المؤاخذة على الترك بعد علمه بالغاية .

و إذا كان الغاية التقوى ، والتقوى على ماعرفت فرط الصيانة عمّا يضرّ به ، فبملاحظة الوصف العنواني و مدخليّته يظهر أنّه ملتزم بملازمة طريقة لاتقع مضرة فيها ، حذراً عن الوقوع في تلك المفاسد و المهالك ، وهي النيران الباطنية وسائر موجبات الآلام الغيبيّة المنتهية إلى النيران الحسّيّة الجسمانية فيالقيامة. فالمخلوقون ملتزمون بالاتيان بالعبادة التي هي طريق النجاة لكي ينجوا من كلّ

هلاك وشرّ .

ومن هذا البيان يظهر لك وجه ارتباط جلة «لعلّكم» بالحث والامر بالعبادة على الوجه الاول كظهوره على الوجه الثاني ؛ إذ صيانة النفس عن المهالك خصوصاً مهلكة الوقوع في نار الآخرة من أعظم البواعث على التزام ماينجي منها وهو العبادة ، ومن أوضح الجهات العقليّة لوجوب الطاعة وترك المخالفة ، حتّى ربّما ظنّ جماعة ممّن عاصرناهم من مشائخ الاصوليّين أنّ مناط وجوب طاعة الله سبحانه عقلاً هو التحرز عن الضرر المخوف ، وهو و إن كان عندنا فاسداً ،كما يظهر من التأمّل فيما فصّلناه هنا وفي كلمة الجلالة وغيرها ، لكنّه مؤيّد لكونه من أوضح الجهات العقليّة .

ولك تصوير الملازمة من الطرف الآخر وجعل الوجه الاول مدلولاً التزامياً للثاني . و ذلك لأنّهم إذا كانوا مأمورين بالعبادة والطاعة لخالقهم كانوا مخلوقين له ؛ إذ لايليق أمر المخلوق بغير غاية خلقه التي خلق لأجلها ، أو باعتبار أنّهم إذا كانوا مأمورين بالعبادة لتحصيل النجاة وكانوا مخلوقين لذلك ؛ إذ لم يخلقوا عبثاً ولا لمنفعة تعود إلى خالقهم ولا للهلاك ، فتعين كونهم مخلوقين للفلاح و الخير الخالص كما برهن عليها في محلّه . فاذا كان طريق ذلك هو العبادة كانوا مخلوقين لها .

ثمّ لايخفى عليك أن للتقوى حقيقة واقعيّة يصحّ أن تجعل غاية للأمر بالعبادة ، وهي مناط الوقاية الباطنيّة عن المهلكات الباطنيّة ، وكأنّها بذر ومعنى للنجاة الحسيّة عن النيران المحسوسة في النشأة الآخرة . ولعلّه يتضح لك شرح ذلك فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ .

ويمكن إدراجه في بعض مراتب اللّفظ المتقدم ؛ إذ هو تقوى عن نار معنوية، فيصحّ إدراجه تحت باطن اللّفظ وإن خرج عن ظاهر قشره ، فلا تغفل .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ثم إنّ في كلمة « لعلّ » و ما شابهها في المقام و نظائره من سائر الآيات الكريمة إشكالاً اختلفت الانظار فيه ، و هو : أنّ كلمة « لعلّ » معناه الحقيقي مقصور على الترجي والاشفاق ، كما يظهر من جماعة [١] ، و نسب إلى جمهور أئمّة اللّغة . تقول : لعلّ زيداً يكرمني ، ولعلّه يهينني ، وقال الله تعالى : « **لعله يتذكر أو يخشى** » [٢] ، « **لعل الساعة قريب** » [٣] .

و في الصحاح : « لعلّ كلمة شكّ » . و هو أعمّ منهما ؛ إذ الترجّي هو توقع محبوب ، و الاشفاق ترقّب مكروه ، و ربما يخلوا الشيء المشكوك حصوله من المحبوبيّة والمبغوضيّة . و يمكن حمل التخصيص بهما على ذكر الافراد الغالبة حيث إنّ المذكور بعده غالباً أمر يتعلّق به غرض المخاطب خوفاً أو رجاء ، وهو قريب جداً في مثال ماوقع من « ابن هشام » هنا حيث انّه ذكر في معناها التوقّع ، ثم قال : وهو ترجّي المحبوب والاشفاق من المكروه » [٤] ، وحمل كلام الجوهري على بيان الجنس إجمالا ، لا أنّ معناه إظهار مطلق التردد ؛ لكنّ الاول أقرب بظاهر النظر في العرف حيث لا نجد فرقاً بين تعلّقه بالمبغوض وبما ليس مبغوضاً ولا محبوباً وإن كان فرق في مواردها ، فهو بالنسبة إلى الترجي و توقّع المحبوب و بين غيره حيث إنّه ربّما ينساق إلى الذهن من كلمة « لعلّ » خصوص الترجّي .

و ذكر بعض الافاضل : « أنّ التوقّع على الوجهين يعني : في المحبوب و المكروه ، قد يكون من المتكلّم ، وقد يكون من المخاطب ، وقد يكون من غيرهما ،

---

١) كالزمخشري والرازي و السيبويه ، فراجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٥ ؛ و مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٦٠ ؛ والتفسير الكبير ، ج ١ ، ص ٣١٩ .

٢) طه / ٤٤ .

٣) الشورى ١٧ .

٤) ذكره في المغني ، الباب الاول ، كلمة « لعل » .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

كما يشهد به موارد الاستعمال » . وكأنّه نظير كلامه المتقدّم في بيان عبارة الكشاف حيث حمل اللّفظ على حسب معتقد المخاطب .

فان أراد هنا أنّ المحبوبيّة و المكروهيّة قد تكونان من المتكلّم ، و قد تكونان من المخاطب ، وقد تكونان من غيرهما ، فيكون مراده من التوقّع هو الانتظار الملازم لتعلّق همّ المتوقّع به ، و إمّا لكونه محبوباً له أو مبغوضاً له ، فهو غير بعيد ، كما لم نستبعد في صورة انتفائهما رأساً إطلاق كلمة « لعلّ » .

و إن أراد كون التوقّع بالمعنى الاول المساوي للترديد يكون من كلّ واحد منهم ، فان أراد صحّة الاطلاق ولو مع تصرف مخرج للّفظ عن أُسلوبه الاصليّ فصحيح في الجملة ، وإن أراد كونه بحسب قانونه الاصليّ أعمّ ، ففيه ما عرفت نظيره ، وأنّ المتبادر من الكلمة هو إنشاء التوقّع أو إظهاره من نفس المتكلّم ، لا إيجاد توقّع الغير ابتداء أو الكشف عنه ؛ كما أنّ معنى الامر والنهي والاستفهام وغيرها هو خصوص طلب المتكلّم واستفهامه لا غير .

ويمكن إرجاع كلامه إلى ما سنذكره ، والذبّ عن الاعتراض به . وحينئذ فنقول : إنّ الشكّ و الترجّي و الاشفاق كلّها ممّا يمتنع عليه سبحانه العالم بكلّ شيء أزلاً وأبداً بذاته الغنيّ المطلق ، الذي لاينفعه ولايضره شيء بالضرورة العقليّة ، القادر على كلّ شيء لايخرج عن تحت حكمه وإرادته التكوينيّة شيء من دون توسّط حالة منتظرة . المقدّس عن عروض الحوادث وتغيّر الاحوال عليه ، الذي إليه يرجع كلّ خوف ورجاء ؛ لأنّه منتهى كل شكوى و منتهى مطلب الحاجات ، و من عنده نيل الطلبات ، فكيف يكون راجياً أو مشفقاً وهما مع الشك والتردد من خواص الافتقار والنقصان اللازمين لدائرة الامكان ؟

و أمّا ما ذكره جماعة منهم : « الاخفش » و « الكسائي » و « ابن الانباري » من أنّ : «لعلّ » يجيء للتعليل ، وأنّه قد يكون مرادفاً لكي ، فقد ردّ بأنّ جمهور

***** بسم‌الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

أئمة اللّغة اقتصروا في معناها الحقيقي على الترجي والاشفاق، وبأنّ عدم صلوحها لمجرد معنى العلّيّة و الغرضيّة ممّا وقع عليه الاتفاق . ألاتراك تقول : دخلت على مريض كي أعوده ، وأخذت الماء كي أشربه ، ولايصح لعلّ ؟

والّذي يظهر لي في حلّ الاشكال عن المقام ونظائره أنّ كلمة « لعلّ » وما شابهها تستعمل تارة في الترديد الفعلي من المتكلّم و انتفاع جزمه بأحد طرفي النقيضين ، وأُخرى في الترديد من جهة ولحاظ خاصّ دون أُخرى، ولا من حيث مجموع الجهات ، كما أنّ المستدل إذا أثبت بطلان ما اعتقده الخصم دليلاً ربّما يقول : فلعلّ مطلبك باطل ، مع أنّه جازم به ، لكنّ الاطلاق صحيح بحسب هذه المرتبة من النظر والبحث .

وببالي ورود مثل هذا الاطلاق في مناظرة الامام عليه السلام للزنديق المنكر للصانع بابداء الاحتمال بـ « لعلّ » .

وقريب من ذلك ملاحظة صلاحيّة الشيء في حدّ نفسه لشيء بحيث لايتعين بحسب ملاحظة وقوع ذلك الشيء ولا عدم وقوعه ، سواء كان ذلك الشيء الغير المتعين غاية له ، كما يقال : غرست الشجرة لعلّه يثمر ، و إن كان جازماً لوقوعه سابقاً أو لاحقاً أو عدمه كذلك ، أم لا كما يقال : هذا مريض لعلّه يشفى أو يموت إذا كان المقصود بيان أنّ شأن المريض في حدّ ذاته صالح للأمرين معاً ، من دون نظر إلى أمر خارج عن ذلك ، وأنّه بملاحظة الامور الخارجية هل تعين أحدهما أم لا؟ وأنّ المتكلّم هل هو متردد فعلاً أم لا ؟

و حينئذ فيكون المستفاد من الكلمة هو نفس صلاحيّة متعلّقة للوقوع ، وأنّه في معرض ذلك ، وبحيث لو نظر فيه الناظر تردد في وقوعه و عدمه لعدم تعيّن أحدهما في حدّ نفسه .

و لعلّ مراد من أثبت معنى التعليل لكلمة لعلّ مرادفة لـ « كي » اداء

الغائيّة الصلوحيّة لا الغائيّة الاستلزاميّة الجزميّة ؛ إذ لايساعده العرف .

و حينئذ فنقول : إنّ علم الحقّ سبحانه للأشياء لمّا كان محيطاً بمراتب الامكانات الذاتيّه والاستعداديّة على درجاتها ، و الفعليات و ما نسبته إلى آخر بالصلوح والامكان ، وما نسبته إليه نسبة اللّزوم أو الامتناع . وإلى ما له غاية يصل إليها على وجه التحتم من حيث ملاحظة ذي الغاية ، وإلى ما له غاية صلوحيّة من شأنه الوصول إليها على اختلاف درجات الشأنيّة ، و كان البيان و اللّفظ تابعاً للمعلومات مظهراً لها على حسب حالها ، لزم أن يعبّر عمّا عدا الفعليات و اللّزوميات و الغايات المحقّقة بكلمة تدلّ على ذلك الصلوح و الشانيّة و الامكان و الغاية الاحتماليّة ليعلم السامع هذه المرتبة العلميّة . فمن جملتها كلمة « لعلّ » في مقام الغائيّة الاحتماليّة ، و في مقام بيان كون الخبر في معرض الوقوع و من شأنه ذلك ، بحيث إذا نظر إلى ذالك الصلوح والشأنيّة الناظر لتردد في الوقوع وعدمه .

ولعلّه إليه يرجع كلام من جعل «لعلّ» في الآية ونظائرها بمعنى : « كي» بارادته كونهم مخلوقين على وجه يصلح لترتب التقوى عليه ، وقول من قال هنا : أنّه عزوجل خلق عباده لتعبدهم بالتكليف ، و ركب فيهم العقول و الشهوات ، و أزاح العلّة في إقداراهم وتمكينهم ، وهداهم النجدين ، و وضع في أيديهم زمام الاختيار ، و أراد منهم الخير و التقوى . فهم في صورة المرجوّ منهم أن يتّقوا لترجّح أمرهم ، وهم مختارون بين الطاعة والعصيان ، كما ترجّحت حال المرتجي بين أن يفعل وأن لايفعل .

ويجري نظيره على تقدير جعله متعلّقاً بـ « اعبدوا » ، فانّ عبادة العابدين لاينبغى أن تكون سبباً لجزاهم بالنجاة من النار ، أو بحصول التقوى المعنويّة من المهلكات بحيث يتّكلون على أعمالهم ، ويحدث فيهم حالة الامن من مكر الله سبحانه وعذابه . وإنّما هي سبب يصلح لترتب التقوى عليه ومن شأنه ذلك برحمة الله .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

فالّذي ينبغي للعابدين محض الرجاء، وهو غاية أعمالهم، لا الجزم بحصول الغاية، فانّه غرور كما يظهر ممّا فصّل في كتب الاخلاق. فغاية الامر بالتقوى هو صلاحيتها لترتّب التقوى عليه، كما يقال: اتّجر لعلّك تربح إذا كان المتكلّم عالماً بالمآل.

ثمّ إنّه ربّما يكون في إظهار الله سبحانه كون الشيء في معرض الوقوع متعلّقا بايصال نعمة على عباده إطماع لهم، و إرجاء لهم في حصوله، و يكون تعريضاً بالوعد، ويجري إطماع الكريم الرحيم مجرى الوعد المحتوم. ومن ديدن الملوك أن يقتصروا في مواعيدهم المنجزة بقول «عسى» و «لعلّ» والاحالة والرمزة وأشباهها؛ مع أنّه لايشكّ الطالب ما عندهم عند ظهورها في وصوله إلى مقصوده.

و ربّما يشهد لذلك ما تقدم من أنّ لعلّ من الله واجب، و ما في بعض الاخبار على ما ببالي من أنّ «عسى من الله موجبة». فانّ الظاهر إرادة ما ورد منها في مقام الاطماع الذي جائت في مواضع عديدة من القرآن.

و إذا تعلّقت بانزال بلاء كانت تحذيراً وتخويفاً، و في هذين المقامين يكون كلمة «لعلّ» آلة لاحداث الرجاء والخوف في المخاطب، وكاشفاً عن حال القضية في نفس الامر، وأنّه بحيث يرجى ويخاف.

و يشبه أن يكون مطابق هذا المعنى في الكتاب التكويني هو إيجاد الامر على وجه الصلوح و الشأنيّة للوقوع. و تعلّق الرجاء و الخوف به، و انبعاثهما عنه، و هو بمنزلة الاصل للحالتين الحادثتين في النفوس الجريئة. و إذا تعلّقت بفعل من أفعال المكلّفين أفادت محبوبيّة ما تعلّق به فعلاً وتركاً، كما في قوله سبحانه: «لعلّهم يحذرون» عقيب ذكر التفقه والانذار عند الرجوع إلى قومهم [1].

---

1) إشارة إلى قوله سبحانه في سورة التوبة، آية ١٢٢، وهو: «فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون.»

[تحقيق حول الأرض والفراش والسّماء والبناء]

الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِراشاً

[في معنى الفراش وبيان وجه إطلاقه على الأرض وكيفيّة جعلها فراشاً]

عن ابن بابويه باسناده عن العسكري ،عن آبائه ، عن السجّاد عليه السلام في الآية:

« جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم ، ولم يجعلها شديدة الحمى و الحرارة فتحرقكم ، ولا شديدة البرودة فتجمدكم ، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم ، ولا شديدة النتن فتعطبكم ، ولا شديدة اللّين كالماء فتغرقكم ، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم وقبور موتاكم؛ ولكنّه عزّوجلّ جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون ، وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم ، وجعل فيها ما ينقاد به لدوركم و قبوركم و كثير من منافعكم . فلذلك جعل الارض فراشاً لكم .

ثمّ قال عزّوجلّ « و السّماء بناء » ؛ [أي :] سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم .

ثمّ قال تعالى : « و انزل من السّماء ماء » يعني : المطر ينزله من على ليبلغ قلل جبالكم وقلالكم وهضابكم [1] وأوهادكم ،

---

١) الهضبة ــ بالفتح فالسكون ــ: الجبل المنبسط على وجه الارض ، والجمع هضب و هضاب .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

ثمّ فرقه رذاذاً و وابلاً و هطلاً و طلاً ليتشفّه أرضوكم ، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة ، فيفسد أرضيكم وأشجاركم و زروعكم وثماركم .

ثمّ قال عز وجل : « فأخرج به من الثّمرات رزقاً لكم » ؛ يعني : ممّا يخرجه من الارض رزقاً لكم .

« فلا تجعلوا لله أنداداً » أي : أشباهاً و أمثالاً من الاصنام التي لاتعقل ولا تسمع ولاتبصر ولاتقدر على شيء .

« وانتم تعلمون » ، أنّها لاتقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربّكم تبارك وتعالى »[1] .

أقول :

« فتصدع هاماتكم » على بناء التفعيل من الصداع ، و « أعطبه » : أهلكه ، و « الرذاذ » كسحاب : المطر الضعيف أو الساكن المطر الدائم الصغار القطر كالغبار ، و « الوابل » : المطر الشديد الضخم القطر ، و « الهطل » : المطر الضعيف الدائم ، و « الطلّ » : المطر الضعيف ، أو أخفّ المطر وأضعفه ، أو الندى ، أو فوقه و دون المطر . كل ذلك نقل عن الفيروزآبادي[2] .

وأصل الفراش اسم لما يفرش ؛ كالبساط لما يبسط ، والمهاد لما يمهد .

و في شواذ القرائة بدل « فراشاً » بساطاً كما عن « يزيد الشامي » ، ومهاداً كما عن طلحة[3] والثاني قريب من الاول ، كما أنّ الاول مرادف للمعروف بحسب

---

١) العيون ، ج ١ ، باب ١١ ، ص ١١٢ ، ح ٣٦ ؛ و تفسير الامام ـ عليه السلام ـ ، ص ٥٥ ؛ و الصافي ، ج ١ ، ص ٦٦ ؛ والبرهان ، ج ١ ، ص ٦٧ .

٢) راجع القاموس .

٣) راجع الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٦ .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

المادة : إذ أصل الفرش هو البسط ، فيقال : فرشت الشيء أفرشه فراشاً بسطته ، و يقال : فرشه أمره إذا وسّعه إياه ، والفرش الفضاء الواسع ، والفرش في رجل البعير : اتساع قليل ، وافترش الشيء أي : انبسط ، و افترش ذراعيه : بسطهما على الارض . وافترش لسانه إذا تكلّم كيف شاء أي : بسطه ، و تفرش الطائر : رفرف بجناحيه و بسطهما . كلّ ذلك على ما ذكره الجوهري .

والسعة متقاربة مع البسط مفهوماً لتضمن البسط توسيعاً ، فكأنّ الاصل في معناه هو البسط ، و إطلاقه على غيره باعتباره ، كما يظهر من ملاحظة جملة أخرى من إطلاقه أيضاً لمعنى البسط ، كما أنّ ما فيه أيضاً من أنّ الفرش المفروش من متاع البيت ظاهر المناسبة لمعنى البسط ؛ إذ هو معدّ لأن يبسط ، و كأنّ هذا الاعتبار الاخير أعني : المفروش ، هو الظاهر من لفظ الفراش في المقام و نظائره ، لا مطلق ما يبسط ، كما أنّ لفظ البساط أيضاً كذلك . ولذلك ذكر بعضهم أنّ : «معنى جعلها فراشاً وبساطاً ومهاداً للناس أنهم يقعدون عليها وينامون ، ويتقلبون كما يتقلّب أحدهما على فراشه وبساطه ومهاده» [١] .

ولعلّ إليه الاشارة بالتفسير بـ «جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لأجسادكم» فيما تقدم ؛ إذ الفراش بهذا المعنى هو المفروشات المعدة لأن يبسط و يتقلّب عليها بالقعود والاضطجاع و غيرهما ، فلابدّ فيها من تحقّق الملائمة للطبائع و الموافقة للأجساد ، وأن لاتكون فيها كيفيّة منافرة أوضارّة من الحرارة والبرودة المفرطين ، والرائحة الشديدة المنافرة ، وأن تكون بحيث يمكن الاستقرار عليها لا كالماء ، و أن يكون ليّنة في الجملة لا كالحجر الصلب ، و أن تكون بحيث تصلح للتقلّبات المقصودة فيها . و ذلك لأنّه لايعدّ للافتراش إلا ما له مناسبة و صلاحيّة له من

---

١) نفس المصدر .

***** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) *****

الجهات المتقدمة خالية عن الجهات المنافرة عنه ؛ كسائر الأمور المعدّة للأغراض الحاصلة بها حيث يعتبر فيها اختصاص بها في كلّ شيء منها بحسبه .

فيصحّ إطلاق الفراش على الارض بالمعنى المتقدم بعد كونها مبسوطة لأجل الاستقرار عليها ، والتقلّب فيها ، وكونها ملائمة موافقة ، كما يظهر من ملاحظة كون الاجساد مخلوقة منها ، وأنّ العنصر الغالب فيها هو التراب ، و أنّ الاصل في المركب أن يكون تابعاً للجزء الغالب فيها ، و أنّ الشيء يميل إلى أصله ، وخلوها من الافراط في الحرارة والبرودة المؤديتين إلى الاحتراق و الجمود ، و توسّطها في اللّين والصلابة ليتمكن الانسان من الاستقرار والتقلّب من دون تأذي، وخلوها عن الرائحة ، حيث أنّ الرائحة الدائمة تؤدي إلى تغيير الكيفيّة الثابتة لمزاج الانسان ، وتوجب الطيّبة منها الصداع ، كما يظهر بالتجربة ، وتؤذي الكريهة منها ، و إذا دامت ربّما أدت إلى الهلاك في بعض أقسامها ، وكونها صالحة لجميع التقلّبات المقصودة منها من بناء الدور والقصور والقبور ذات متانة وتماسك يترتب عليها المقاصد ، ولاتزيد على القدر اللائق بها فيتماسك عليها الابدان و البنيان و جميع ما يحمل عليها وينقاد لكلّ شكل وصورة صبغت عليها ، ولسائر وجوه المنافع . فهذه جعلها فراشاً على حذو ما سبق في الرواية .

ولعلّ تخصيصها بالذكر توكيل لأشباهها وسائر الخصوصيّات المتحقّقة في كونها فراشاً إلى اعتبار المعتبرين وتوسّم المتوسمين ، ونبّه بتلك أنظار الناظرين ليتخذوها مثلاً إلى نظائرها ، وسائر وجوه منافعها من جهة كونها فراشاً سوى المنافع الخارجة عن تلك الجهة .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[رواية المفضّل في خلق الأرض]

وعن الصادق عليه السلام في حديث توحيد المفضل أنّه قال :

« فكّر يا مفضّل فيما خلق الله عزّ وجلّ عليه هذه الجواهر الاربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها . فمن ذلك سعة هذه الارض و امتدادها ، فلو لا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ، ومنابت أخشابهم و أحطابهم ، و العقاقير العظيمة والمعادن الجسيمة غناؤها ؟

و لعلّ من ينكر هذه الفلوات الخالية و القفار الموحشة يقول : ما المنفعة فيها ؟ فهي مأوى هذه الوحوش و محالها ومرعيها . ثمّ فيها بعد متنفس ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم ، وكم بيداء وكم فدفد حالت قصوراً وجناناً بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ؟ ولولا سعة الارض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيّق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزنه أمر يضطره إلى الانتقال عنه .

ثمّ فكّر في خلق هذه الارض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راكنة ، فتكون موطناً مستقراً للأشياء ، فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم ، و الجلوس عليها لراحتهم ، و النوم لهدوئهم ، والاتقان لأعمالهم . فانّها لو كانت رجراجة متكفئة لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء و التجارة والصناعة وما أشبه ذلك ، بل كانوا لا يتهنئون بالعيش والارض ترتج من تحتهم .

واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلّة مكثها ، حتّى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها .

فان قال قائل : فلم صارت هذه الارض تزلزل ؟ قيل له : إنّ الزلزلة وماأشبهها موعظة وترهيب يرهب بهاالناس ليرعووا عن المعاصي . و كذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم و أموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم و استقامتهم ، ويدّخر لهم إن صلحوا من الثواب و العوض في الآخرة ما لايعدّله شيء من أمورالدنيا ، و ربّما عجّل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للعامّة والخاصة .

ثم إنّ الارض في طباعها الّذي طبعها الله عليه باردة يابسة ، و كذلك الحجارة . و إنّما الفرق بينها و بين الحجارة فضل يبس في الحجارة ؛ أفرأيت [لو] أنّ اليبس أفرط على الارض قليلا حتّى تكون حجراً صلداً أكانت تنبت هذا النبات الّذي به حياة الحيوان ؟ و كان يمكن بها حرث أو بناء ؟ أفلا ترى كيف نقصت عن يبس الحجارة و جعلت على ما هو عليه من اللين والرخاوة لتتهيّأ للاعتماد ؟

و من تدبير الحكيم جلّ وعلا في خلقة الارض أنّ مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب . فلم جعل الله الارض كذلك إلا لتنحدر المياه على وجه الارض ، فتسقيها وترويها ، ثمّ تفيض آخر ذلك إلى البحر ؟ فكما يرفع أحد جانبي السطح ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولايقوم عليه ، كذلك جعل مهبّ الشمال أرفع من مهبّ الجنوب لهذه العلّة بعينها ،

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

ولولا ذلك لبقي الماء متحيراً على وجه الارض ، فكان يمنع الناس من إعمالها ، ويقطع الطرق والمسالك »[١] .

اقول :

« العقاقير » : أصول الادوية ، و « العناء » بالفتح : المنفعة ، و الخاوية : الخالية ، و « الفدفد » : الفلاة ، والمكان الصلب الغليظ والمرتفع والأرض المستوية ، و « الفسحة » بالضمّ : السعة ، ويقال : لي عن هذا الامر مندوحة ومنتدح أي : سعة ، و « حزنه أمر » أي : أصابه ، و « الراتبة » : الثابتة ، و « الراكنة » : الساكنة ، وهدء هدأً وهدوأ : سكن ، وقوله ﷺ : « رجراجة » أي : متزلزلة متحركة ، و « التكفيء » : الانقلاب و التمائل و التحريك ، و « الارتجاج » : الاضطراب . و « الارعواء » : الرجوع عن الجهل والكف عن القبيح ، و« الصلد» و يكسر : الصلب الاملس ، و « الشمال » : الريح تهبّ من ناحية القطب الشماليّ على ما ذكره الجوهري وغيره .

و عن بعض أهل التحقيق : أنّ « الشمال محلّها من الجدي إلى مغرب الشمس في الاعتدال ، والدبور من سهيل إلى المغرب ، و الجنوب من مطلع الشمس إليه ، والصباء من بين مطلع الشمس و الجدي في الاعتدال .» ويقرب منه كلام جماعة ، منهم: الشهيد في « الذكرى » . ونظم ذلك بعضهم فقال :

مهبّ الصباء من مطلع الشمس واصل   إلى الجديّ و الشمال حتّى مغيبها
و بين سهيل و الغروب تفردت   دبور و مطلعها إليه جنوبها

و على كلّ حال فالظاهر أنّ مهبّ الشمال هو : ما يلي القطب الشماليّ من طرفي الارض أو خصوص الشماليّ الغربيّ ؛ أي : ما بينهما منها على اختلاف التفسيرين، أرفع ممّا يلي القطب الجنوبيّ منها من السمت الشرقيّ أو من الطرفين.

١) نقله المجلسي (رض) في البحار ، ج ٣ ، باب ٤ ، ص ١٢١ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

و ذلك لاينافي الكرويّة التسامحيّة الّتي أثبت في الارض ، وإنّما ينافي الحقيقيّة، وهي منتفيةقطعاً لما يشاهد فيها من الجبال والتلال والاودية المنخفضة .

و يرشد إلى ذلك الاستعلاء حكمهم بفوقيّة الشمال على الجنوب في حكم تقارب البئر والبالوعة ، وما ذكره بعضهم من أنّ « أكثر الانهار كدجلة والفرات وغيرهما تجري من الشمال إلى الجنوب » .

والّذي ظهر في أنّ مجريهما و كثير ممّا سويهما مجريهما ممّا بين الشمال والمغرب إلى ما بين الجنوب والمشرق ، وهذا يوافق التفسير الثاني لمهبّ الشمال ، وهذا الارتفاع في السمت الشمالي يوجب جريان الانهار منه إلى الجنوب ، فيمرّ المياه الموجودة في ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب ، و ينتفع بها في الاراضي المتوسّطة والمتأخّرة ، ولولاه لسكنت في مكانها . وتوجب أيضاً كون محالّ المياه المحتبسة في أقطار الجهة الشماليّة مرتفعة لتبعيّتها لقرار الارض في الارتفاع و الانخفاض ، فتجري من باطنها إلى ظاهر الجهة الشماليّة ، ويلوح على وجه الارض فيها ، كما يظهر من ملاحظة قانون استخراج القنوات .

ومن جملة الحكم المعيّنة لكون الارتفاع لناحية الشمال دون ما تقرب من خطّ الاستواء أنّ موادّ المياه من الثلوج والامطار فيها أكثر وأدوم لكثرة الابخرة المتصاعدة وقلّة الحرارة المحللة ، فتوجد في الربيع والصيف فيها مياه كثيرة ، فتجري إلى سمت الجنوب في وقت شدة الحاجة إلى المياه في الزروع و غيرها ، و دون حوالي نقطة الجنوب ؛ لأنّ حضيض الشمس في البروج الجنوبيّة ، فيكون الابخرة المتصاعدة عند كون الشمس فيها إذا كانت البحار في الناحية الجنوبيّة أكثر من صورة العكس ، وتحليل الشمس للأبخرة الحاصلة في هواء ناحية الشمال عند الشتاء أقلّ ، فيكثر مواد الامطار والثلوج في الشتاء .

والظاهر عندي أنّ ارتفاع الناحية الشماليّة هو السبب في انكشاف معظمها

عن الماء ، وانخفاض الجنوبيّة هو الموجب لانغمار معظمها في الماء ، وأنّ من حكمة الله سبحانه أنّه جعل الارض ذات سطوح مختلفة ، حتّى ينكشف بذلك بعضها عن الماء ، وينغمر الآخر حتّى يصلح البارز لمسكن الانسان والحيوان وإنبات النباتات و تكون المعادن و غير ذلك . كما يشهد لذلك ملاحظة النقشة[١] الّتي أثبتوا فيها صورة سطح الارض والماء ، فانّ بملاحظتها يظهر أنّ كلّ قطعة من كلّ ربع من الارباع الاربعة ارتفعت انكشف عنه الماء ، و صارت جزيرة أو أرضاً واسعة ، و كلّ قطعة لم يكن كذلك بقيت منغمسة تحت الماء ؛ لكنّ القدر الظاهر في هذا النصف الّذي نحن فيه معظم في الربع الشمالي ، وأقلّه في الربع الجنوبي ، لكن ليس الربع الشمالي كلّه بارداً . بل جملة من سطحه مغمور في الماء ومواضعها بحار عظيمة . و أمّا النصف الآخر الّذي وقع تحتنا بالقياس إلى ملاحظتنا ، فكلا الربعين منقسم إلى الارض والبحر وإن كان البرّ في الجانب الشمالي أكثر أيضاً .

ثمّ إنّه لامنافاة بين كون الارض فراشاً و بساطاً و كونها كرويّة الشكل بالكرويّة التسامحيّة وإن ظنّ المنافاة لما ذكره بعضهم من أنّه : « ليس فيه إلا أنّ الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش سواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة ، فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها ، واتّساع جرمها ، وتباعد أطرافها »[٢] . بل الكرويّة فيها ممّا لاينبغي التأمّل فيها . وعليها بناء القواعد الهيئيّة في تشخيص القبلة و غيرها ، و الظاهر من الفقهاء التعويل على كثير ممّا ذكروه مع ظهور ابتنائه على ذلك ، وببالي تصريح العلامة وفخر المحقّقين و غيرهما بذلك . وعليها براهين عديدة معتضدة بشواهد مذكورة بعضها في محالّها ، هذا .

---

١) يعني : الخريطة .

٢) الكشاف ، ج ١ ، ص ٤٦ .

****** بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر بحق م . ع . ف . ح . ح (ع) ******

[وَالسَّماءَ بِناءً]

[في معنى البناء و كيفيّة بناء السّماء]

و « البناء » مصدر سمّي به المبنى بيتاً ، كان من طين ولبن ، أو قبّة كالخيمة، أو خباء ، أو طرافاً ، و أبنية العرب على ما ذكره الجوهري : طراف و أخبية ، فالطراف من أدم و الخباء من صوف أو أدم : و منه بنى على امرأته ؛ لأنّ الاصل فيه على ما ذكره أيضاً أنّ الداخل بأهله كان يضرب عليها قبّة ليلة دخوله بها ، فقيل لكلّ داخل بأهله بان ، فالسماء حينئذ بناء كالقبّة المضروبة والخيمة المطينة على قرار الارض الّتي هي الفراش ، كما يظهر بملاحظة إحاطتها بالارض مع ارتفاعها عنها ، و كونها محددة لما يتعلّق بها من الاقطار والابعاد ، و كونها حافظة لها عن ورود المنافيات عليها على ما هو الظاهر من ارتباط بقاء الارض على ما هو عليها بها ، و اشتمالها على الشمس التي هي السراج و القمر الذي هو النور ، و النجوم كالسقف المعلّق عليها المصابيح ، وعلى سائر المنافع التي تصل إلى الانسان بتوسّط السماء ، و ما فيها من الخواص المترتّبة عليها ، و على التغيرات العارضة لها في الحركات والانتقالات ، وتنقل الاحوال ممّا فصّل في محاله .

ثمّ المراد ... [1] .

---

١) هذا آخر ماوجدناه بخطه المبارك ــ قدس الله روحه الشريف ــ .

این صفحه در اصل کتاب ناقص است

فهرس المواضيع

كلمة الناشر ٥
ترجمة المؤلف ٩
خطبة الكتاب ١
السّبب الباعث لتأليف الكتاب ٣

المقدمات (٥ - ٢٠٨)

المقدمة الاولى في نبذة ممّا ورد في الوصيّة بالتمسّك بالقرآن والتدبّر فيه وجملة من أوصافه منضمّة إلى استعارات عقليّة ٧
في الوصيّة بالتمسّك بأهل البيت عليهم السلام و أنّهم الكتاب الناطق ١٧
بيان أنّ الكتاب هو الثقل الاكبر ١٩
أسماء القرآن ٢٢
المقدمة الثانية في ذكر جملة ممّا جاء في المنع من تفسير القرآن بالرّأي، وما يتراءى منه بترك تفسيره بغير ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام وأن من عداهم لايعلمون شيئاً منه وما أشبه ذلك و تحقيق ذلك ٣٠
نبذة من الرّوايات التي تدلّ على أنّ علم القرآن كلّه عند أهل البيت عليهم السلام ٣٠

معنى التّفسير وأنواعه ٤٣

روايات عرض الاخبار على القرآن ٤٤

في أخذ محكمات القرآن وترك المتشابهات وردّ علمها إلى أهلها ٤٨

جواز العمل بظاهر القرآن في الاحكام ٥٠

المقدمة الثالثة في نبذة ممّا جاء في أنّ علم القرآن كلّه إنّما هو عندهم عليه السلام وما أشبه ذلك ٥٨

المقدمة الرابعة في جملة ممّا جاء في معاني وجوه الآيات والتّنزيل والتأويل والظّهر والبطن والحدّ والمطلع والمحكم والمتشابه والنّاسخ والمنسوخ واشتمال الآيات على البطون والتأويلات وغير ذلك وما يتعلّق ببيانها ٦٢

الرّوايات الواردة في الظّهر والبطن والحدّ والمطلع ٦٢

المراد من الحدّ والمطلع هو التّنزيل والتّأويل ٦٤

في اندراج الجزئيات تحت الكليات وتطبيقها عليها ٦٥

إرادة الكلّي من إيراد الجزئيّ ٦٧

في كثرة العوالم وأنّ لكلّ شيء حقيقة في كلّ واحد منها ٦٩

مراتب القرآن على ما ذكر بعض العارفين ٧٢

في جواز استعمال اللّفظ في أكثر من معنى واحد ٧٤

في أنّ القرآن محكماً ومتشابهاً وناسخاً ومنسوخاً وسنناً وأمثالا وفصلاً ووصلاً وأحرفاً وتصريفاً وما جاء فيها ٨٠

حدود القرآن ٨٤

تذييل ٨٥

المقدمة الخامسة فيما نزل عليه القرآن من الاقسام الكلّية وما يتعلّق بذلك ٨٨

في أنّ الولاية المطلقة للنبيّ والأئمّة عليهم السلام ٩٢
في أنّ عليّاً عليه السلام قسيم الجنّة والنار ٩٤
في أنّ القرآن نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة ٩٦
المقدمة السادسة في نبذة ممّا جاء في أنّ القرآن تبيان كلّ شيء
وبيان ذلك ٩٩
المقدمة السابعة في نبذة ممّا جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته
ونقصه وما يتعلّق بذلك ١٠٤
اختلاف العلماء في التّحريف ١١٥
معنى التّحريف والزّيادة ١٢٣
معنى التحريف والنقيصة ١٢٦
نقد أدلّة النّافين للتّحريف ١٢٦
كيفيّة جمع القرآن وزمانه ١٣٠
اختلاف القراءات ١٣٥
اختيار القول بالتحريف في الجملة ١٣٧
المقدمة الثامنة فيما ورد من نزول القرآن على سبعة أحرف وبيانه
واختلاف القراءات والمعتبر منها ١٣٩
في عدم نزول القرآن على سبعة ألفاظ ١٤١
المراد من الأحرف ما هو ١٤٣
جواز اختيار القراءة المشهورة ١٤٦
المقدمه التاسعة في زمان نزول القرآن وما يتعلق بذلك ١٤٧
مراتب نزول القرآن ١٤٩
كيفية نزول القرآن في ليلة القدر وتفصيله ١٥١
المقدمة العاشرة في نبذة ممّا جاء في تمثّل القرآن يوم القيامة

وشفاعته لأهله ومعاتبة السّورة لتاركها بعد تعلّمها و ثواب حفظه
وتلاوته وسماعه واستماعه وفضيلتها وما يتعلّق بذلك ١٥٣
مراتب وجود القرآن في النّزول والصّعود ١٦٠
شرح تنزّل القرآن في القيامة بصور مختلفة ١٦٢
تكلّم القرآن ومعاتبة السّورة المتروكة لتاركها ١٦٥
درجات الجنّة على عدد آيات القرآن ١٦٦
رفعة مقام أهل القرآن ١٦٨
فضل قرائة القرآن وختمه واستماعه ١٧٠
المقدمة الحادية عشر في ذكر جملة ممّا ورد في آداب التّلاوة
الظاهريّة والباطنيّة وكيفيّتها وما يتعلّق بذلك ١٧٦
استحباب النظر في المصحف حال القرائة ١٧٦
استحباب الطهارة عند قرائة القرآن ١٧٧
خفض الصّوت ورفعه ورجحان أحدهما على الآخر ١٧٩
استحباب تحسين الصّوت وعدم جواز التّرجيع والغناء ١٨١
استحباب الترتيل في القرائة ومعنى الترتيل ١٨٥
ترك الافراط في مقدار القرائة إلا في شهر رمضان ١٩١
التّحزين في القرائة ١٩٤
استحباب سؤال الجنّة والاستعاذة من النار عند آيتيهما ١٩٥
التفكّر في معاني القرآن والتأثر منها ١٩٦
كلام عليّ عليه السلام في صفة المتقين وشرحه ١٩٧
عدم جواز إظهار الغشية عند قرائة القرآن ٢٠٢
المقدمة الثانية عشر فيما جرينا عليه في هذا التّفسير من
اصطلاح وغيره ٢٠٦

سورة الحمد (٢٠٩ ـ ٣٥٣)

تحقيق حول كلمة البسملة ٢١١

تفسير « بسم الله الرّحمن الرّحيم » ٢١١

القول في معنى الباء ومتعلّقها ٢١١

في معنى التّسمية ٢١٤

في وجوه تعليق الاستعانة باسم الجلالة وكيفيتها ٢١٦

تفسير الاسم باعتبار معنى كلّ حرف من حروفها ٢١٩

بحوث حول لفظ الجلالة ٢٢٨

في اشتقاق كلمة الجلالة وعلميّتها وأنّ أصلها ما هو ٢٣١

في حقيقة العبوديّة و أنّ كلمة الجلالة مستجمع لجميع الصّفات الكماليّة ٢٣٥

في بيان أنّ كلمة الجلالة ليست اسماً للذات ٢٣٩

تفسير كلمة الجلالة باعتبار حروفها ٢٤٢

بحوث حول كلمتي الرّحمن والرّحيم ٢٤٤

في أنّ مرتبة الرحمة متأخرة عن مرتبة الالوهيّة ٢٤٩

«الرّحمن» اسم خاصّ لصفة عامّة و« الرحيم » اسم عامّ لصفة خاصة ٢٥١

في بيان أنّ البسملة أقرب إلى اسم الله الاعظم من بياض العين إلى سوادها ٢٥٤

هل البسملة جزء من سورة الفاتحة أم لا ٢٥٧

في بيان علّة رجحان الإجهار بالبسملة في الصّلاة وأنّها أعظم آية من كتاب الله ٢٥٩

لماذا جعل البسملة في أوّل السّورة ٢٦١

في استحباب إتيان البسملة عند بدء كلّ أمر ٢٦٣

نزول البسملة على الانبياء ورفع شدّتهم بها ٢٦٥
في الامور الباطنيّة التي ينبغي أن يراعيها قارئ البسملة ٢٦٦
تحقيق حول كلمة الحمد ٢٦٨
تفسير « الحمد لله » ٢٦٨
الفرق بين الحمد والمدح ٢٦٨
الفرق بين الحمد والشكر ٢٧٠
أقسام الشكر ٢٧٠
في اختصاص الحمد بالله سبحانه ٢٧٢
اعتقاد العدليّة في جواز التحميد لغيرالله سبحانه ٢٧٣
وجوب شكر المنعم في الواجب والممكن ونسبته مع الحمد ٢٧٥
رجوع المحامد كلّها إليه سبحانه ٢٧٧
تفسير « ربّ العالمين » ٢٨٠
معنى كلمة الربّ واشتقاقها ٢٨١
معنى العالم وعدد العوالم ٢٨٣
إشارة إلى علم الهيئة والعالم الكبير والصّغير ٢٨٥
في أنّ الربوبيّة منحصر في الله سبحانه وبيان اشتمالها لجميع الموجودات. ٢٨٦
أثر اسم الربّ في مقام الدّعاء ٢٨٩
علة تكرار آية « الرّحمن الرّحيم » ٢٩١
تفسير « الرّحمن الرّحيم » ٢٩١
تحقيق حول « مالك » و« ملك » و« الدّين » ٢٩٣
تفسير « مالك يوم الدّين » ٢٩٣
معنى الدين ٢٩٣

اختلاف القراءات في كلمة « مالك » ٢٩٥

في إضافة الملك والمالك إلى يوم الدين وما يستفاد منها ٢٩٦

ارتباط صفة المالكيّة مع انحصار الحمدلله سبحانه ٢٩٧

تأثير التفكّر في معاني هذه الآية في النفس ٢٩٩

محاسبة النفس وتوزين الأعمال ٣٠٠

في دلالة الآيات الثلاث بالترتيب على المبدأ والمعاد وما بينهما ٣٠٢

تحقيق حول العبادة والاستعانة **٣٠٣**

تفسير « إياك نعبد » ٣٠٣

معنى العبادة وعلة تقديم المفعول على الفعل ٣٠٣

علّة إيراد الفعل بصيغة الجمع ٣٠٥

سبب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ٣٠٦

حقيقة العبوديّة والخضوع ومقاماتها ٣٠٧

تفسير « وإياك نستعين » ٣١٠

معنى الاستعانة ٣١٠

حصر العبادة والاستعانة لله تعالى ٣١١

في دلالة الآية على بطلان الجبر والتفويض ٣١٢

في شرائط الاستعانة ولوازمها ٣١٣

تحقيق حول الهداية والصراط **٣١٦**

تفسير « اهدنا الصّراط المستقيم » ٣١٦

معنى الهداية ٣١٦

معنى الصراط وصفاته ٣١٨

الصّراط في الدّنيا هو الدين ٣٢٠

الصّراط في الآخرة هو جسر معهود و بيان ارتباطه مع صراط الدنيا ٣٢٢

الأئمة عليهم السلام هم الصراط ومعرفتهم معرفته ٣٢٣
للعلوم والعقل مدخلية في السير إلى الله ٣٢٤
طلب الهداية من أهم أفراد الاستعانة ٣٢٦
أنحاء سلوك الصراط في يوم القيامة ٣٢٧
معرفة الامام هي معرفة الله ومعرفة النبي والدين والعبودية
والربوبية ٣٢٨
أنحاء الهداية على ما ذكرها الشيخ البهائي ٣٣٠
تحقيق حول النعمة والمنعم عليهم والمغضوب عليهم والضالين ٣٣٢
تفسير « صراط الذين أنعمت عليهم » ٣٣٢
الوسائط في إيصال النعمة ليسوا منعمين ٣٣٢
بيان أصناف النعمة ٣٣٣
تفسير « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ٣٣٦
في معنى الغضب والضلال ٣٣٨
علة عدوله سبحانه عن إسناد الغضب إلى نفسه ٣٤٠
السبب في اتباع الصراط المستقيم بصراط الذين أنعمت عليهم ٣٤١
في فضائل سورة الحمد ٣٤٢
في أن سورة الحمد هي شفاء كل داء وعلة تكرارها ٣٤٢
اسم الله الاعظم مقطع في أم الكتاب ٣٤٥
ما من شيء في القرآن إلا وهو في سورة الحمد ٣٤٦
الفاتحة أشرف ما في كنوز العرش ٣٥٠
في أن سورة الفاتحة مقسم قسمين بين الله وبين عباده ٣٥١

سورة البقرة (٣٥٥ - ٦٤٧)

تحقيق حول « الم » وسائر الحروف المقطّعات	**٣٥٧**
تفسير « الم »	٣٥٧
روايات في تفسير فواتح السّور وما يتعلّق بها	٣٥٨
أحاديث في معاني الحروف المقطّعة	٣٧٦
في بيان دلالة الحروف المقطّعة على حقائق أسماء الله سبحانه	٣٨٣
في حقيقة الكتاب والمتّقين والارتباط بينهما	**٣٩٢**
تفسير « ذلك الكتاب لاريب فيه »	٣٩٢
في معنى الريب	٣٩٦
تفسير « هدىً للمتّقين »	٣٩٧
في معنى الهداية وأنّ المتّقين هم المهتدون وهم الشيعة	٣٩٧
بحوث حول الايمان والغيب	**٤٠٤**
تفسير « الّذين يؤمنون بالغيب »	٤٠٤
أقسام الايمان على ما في تفسير القمي	٤٠٧
في أنّ الغيب هو الامام الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف	٤١٣
تفسير « ويقيمون الصّلاة »	٤١٥
في معنى إقامة الصلاة	٤١٥
تفسير « وممّا رزقناهم ينفقون »	٤١٧
في معنى الرزق والانفاق	٤١٧
في معنى الآخرة واليقين بها ومن هم الموقنون	٤٢١
تفسير « والذين يؤمنون بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك »	٤٢١
تفسير « وبالآخرة هم يوقنون »	٤٢١
في معنى الهداية و الفلاح و أنّ المهتدين و المفلحين هم المتقون	**٤٢٣**

تفسير « اولئك على هدىً من ربّهم » ٤٢٣
تفسير « واولئك هم المفلحون » ٤٢٣
غايات التّقوى على ما في نهج البلاغة ٤٢٥
في معنى الكفر وأقسامه ومراتبه ٤٣٣
تفسير « إنّ الّذين كفروا » ٤٣٣
تفسير « سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون » ٤٤٢
بحوث حول الختم والغشاوة ٤٤٣
تفسير « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ٤٤٣
معنى الختم والغشاوة ٤٤٣
اعتقاد المجبرة في الختم ٤٤٦
ردّ قول المجبرة وبيان حقيقة الختم وإسناده إلى الله سبحانه ٤٤٧
في أنّ الختم والتّغشية مرتبة من مراتب العقاب ٤٥٣
ارتباط درجات الختم بمراتب الحجاب في الانسان ٤٥٦
تفسير « ولهم عذاب عظيم » ٤٥٩
في معنى العذاب ٤٥٩
شرائط إدراك العذاب الباطنيّ وكيفيّته ٤٦١
تحقيق حول النفاق والمنافقين ٤٦٣
تفسير « ومن الناس من يقول آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين » ٤٦٣
في أنّ النّفاق أقبح من الكفر ٤٦٦
في بيان حقيقة النّفاق ٤٦٧
في اندراج الرّياء تحت النّفاق ٤٦٩
وجه المناسبة بين هذه الآية والآيات السّابقة ٤٧٠
تحقيق حول المخادعة مع الله والمؤمنين و الآثار المترتبة عليها ٤٧١
تفسير « يخادعون الله والّذين آمنوا » ٤٧١

في معنى الخدعة	٤٧١
في معنى المخادعة مع الله	٤٧٣
في أنّ المرائي يخادع الله	٤٧٤
في أنّ الاوّل والثاني وأضرابهما أصل الخدعه والنّفاق	٤٧٦
تفسير « ما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون »	٤٧٨
في رجوع الخدعة إلى الخادع	٤٧٨
في بيان حقيقة إسناد الخداع إلى الله	٤٧٩
المخادع لايضرّ المؤمنين بالخدعة بل يضرّ نفسه	٤٨١
أمراض قلوب المنافقين وعللها وآثارها	**٤٨٤**
تفسير « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً »	٤٨٤
في بيان معنى القلب والمراد منه	٤٩٠
معنى المرض : حقيقته	٤٩٣
أنواع أمراض القلب وآفاته	٤٩٤
في أنّ مرض القلب يوجب النّفاق	٤٩٩
تفسير « ولهم عذاب اليم بماكانوا يكذبون »	٥٠٠
في معنى الاليم ووجوه توصيف العذاب به	٥٠٠
في مراتب قبح الكذب	٥٠١
تحقيق حول الفساد وجواب المنافقين في منعهم عن الافساد	**٥٠٢**
تفسير « وإذا قيل لهم لاتفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون »	٥٠٢
في معنى الفساد	٥٠٣
كيفية إفساد المنافقين	٥٠٤
في أنّ قلب المفسد لايتأثّر بالنّصيحة	٥٠٥
عدم العمل بمقتضى الولاية يوجب الفساد	٥٠٦

تأكيد لافساد المنافقين	**٥٠٨**
تفسير « ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لايشعرون »	**٥٠٨**
تحقيق حول الايمان والنّاس والسفاهة	**٥٠٩**
تفسير « وإذا قيل لهم آمنوا ... ولكن لايعلمون »	**٥٠٩**
من المخاطب في الآية ومن المراد من الناس	٥١٠
في معنى السّفاهة ومن هم السّفهاء	٥١٣
بحوث في كيفية ملاقات المنافقين مع المؤمنين ومباحثتهم	**٥١٨**
تفسير « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ... إنما نحن مستهزؤن »	**٥١٨**
في شأن نزول الآية	٥٢٣
في معنى اللّقاء والخلوّ والشيطان وأنّ الثاني هو الشيطان الاكبر	٥٢٤
في معنى الاستهزاء وأنّه ملازم للنّفاق	٥٢٦
بحوث حول استهزاء الله بالمنافقين و إمهاله و مدده على طغيانهم	**٥٢٨**
تفسير « الله يستهزئ بهم »	**٥٢٨**
في بيان حقيقة استهزاء الله	٥٣٢
كيفيّة استهزاء الله سبحانه بالمنافقين في الآخرة	٥٣٥
تفسير « ويمدّهم في طغيانهم يعمهون »	**٥٣٦**
في معاني المدّ والطّغيان والعمه	٥٣٧
في بيان حقيقة إمهال الله المنافقين ومدده على طغيانهم	٥٣٩
وجه إضافة الطّغيان إلى المنافقين	٥٤١
في أنواع الطّغيان وأنّ النّفاق هو الطّغيان	٥٤١
بحوث حول الضلالة و الهداية و تجارة المنافقين باشتراء الاولى بالاخرى	**٥٤٤**
تفسير « اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم	

وماكانوا مهتدين »	٥٤٤
كيفيّة اشتراء الضّلالة بالهدى	٥٤٤
في بيان أزمنة ظهور الرّبح والخسران	٥٤٦
في تشبيه المنافقين بالمستوقد النار الذي أذهب الله نوره وتركه في الظلمة	٥٤٨
تفسير « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً »	٥٤٨
في بيان معنى المثل ووقود النّار	٥٤٨
تفسير « فلما اضاءت ما حوله »	٥٥٠
في معنى الاضاءة	٥٥٠
تفسير « ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لايبصرون »	٥٥٠
في بيان وجه تشبيه المنافقين بالمستوقدين	٥٥٢
في تطبيق مفاد الآية على حال المنافقين	٥٥٣
وجوه المشابهة بين النّار والدّين	٥٥٤
في ظهور آثار النّور والظّلمة في الدّنيا والاخرة	٥٥٧
في بيان وجه التّمثيل	٥٥٨
روايات حول تفسير الاية	٥٥٩
في بيان معنى الصمم والعمى والبكم وظهورها في الدنيا والآخرة	٥٦٥
تفسير « صمّ بكم عمي »	٥٦٥
تفسير « فهم لايرجعون »	٥٦٨
بيان أحوال المنافقين وامتناعهم عن استماع الحق في تشبيه آخر	٥٦٩
تفسير « أوكصيّب من السماء »	٥٦٩
في معنى الصيّب وما يراد منه	٥٦٩

تفسير « فيه ظلمات ورعد وبرق »	**٥٧١**
في بيان حقيقة الرعد والبرق وكيفيّة ظهورهما	٥٧١
تفسير « يجعلون أصابعهم في آذانهم »	**٥٧٧**
تفسير « من الصواعق حذر الموت »	**٥٧٨**
معنى الصاعقة	٥٧٨
تفسير « والله محيط بالكافرين »	**٥٧٩**
معنى إحاطة الله سبحانه	٥٧٩
وجوه تشبيه المنافقين بما أصابه الصيّب	٥٨٠
في تشبيه الحق بالمطر وبيان حقيقة متعلّقاته من الرعد وغيره	٥٨١
تحقيق حول الخطف والشيء وبيان قدرة الله سبحانه	**٥٨٧**
تفسير « يكاد البرق يخطف ابصارهم »	**٥٨٧**
في معنى الخطف ووجه خطف أبصار المنافقين	٥٨٧
في إيمان المنافقين عند الراحة وكفرهم عند الشدائد	٥٩١
تفسير «كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا»	**٥٩١**
تفسير « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم »	**٥٩٦**
في أنّ الله قادر باذهاب بصر المنافقين وإظهار كفرهم	٥٩٦
تفسير « إن الله على كل شيء قدير »	**٥٩٧**
حقيقة الشيء ومصاديقه	٥٩٧
في بيان قدرة الله تعالى : إعطائه القدرة للنّاس	٦٠٨
تحقيق حول معاني النداء والعبادة والخلق والترجّي	**٦١٣**
تفسير « ياأيها الناس »	**٦١٣**
حقيقة نداء الله سبحانه عباده وكيفيّة تأثير النّداء عليهم	٦١٣
تفسير « اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم »	**٦١٩**
في أنّ ربوبيّة الله توجب العبوديّة	٦٢٠

معنى الخلق وكيفيّة اتّصاف الربّ به	٦٢٢
في المراد من المخلوقين قبل	٦٢٨
تفسير « لعلكم تتقون »	**٦٣٠**
في معنى الترجّي وما يتعلّق به وكيفيّة نسبته إلى الله تعالى	٦٣١
تحقيق حول الارض والفراش والسماء والبناء	**٦٣٨**
تفسير « الذي جعل لكم الارض فراشاً »	**٦٣٨**
في معنى الفراش وبيان وجه إطلاقه على الارض وكيفيّة جعلها فراشاً	٦٣٨
رواية المفضّل في خلق الارض	٦٤٢
تفسير « والسماء بناء »	**٦٤٧**
في معنى البناء وكيفيّة بناء السّماء	٦٤٧
فهرس المواضيع	**٦٤٩**